



لجنة التأليف والترجمة والنشر

شرح ديوان الحماسة

للأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي

١٠٠٠ - ٤٢١

نشرة

عبد السلام هارون

أحمد أمين

القسم الثالث

الطبعة الثانية

القاهرة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٨٨ هـ = ١٩٦٨ م

الجزء الثاني

من شرح الاختيار المنسوب إلى أبي تمام الطائي
المعروف بكتاب الحماسة

صنعة

الشيخ الإمام أبي علي أحمد بن محمد بن الحسن
المرزوقي الإصفهاني

٤٢١ - ٠٠٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٣٥٣

وقال حرّان بن عمرو بن عبد مناة^(١) ،

رثى زيد الفوارس^(٢) وغيره من أبناء محمومته :

- ١ - تَبَكِّي عَلَى بَكْرٍ شَرِبْتُ بِهِ سَفَهًا تَبَكِّيَهَا عَلَى بَكْرٍ
 - ٢ - هَلَّا عَلَى زَيْدِ الْفَوَارِسِ زَيْدٌ دِ اللّاتِ أَوْ هَلَّا عَلَى عَمْرٍو
 - ٣ - تَبَكِّينَ لِرَقَاتِ دُمُوعِكَ أَوْ هَلَّا عَلَى سَلْفِي بَنِي نَصْرِ
- هذه امرأة ضايقت الشاعر - وهي من بطانته^(٣) - في بكرٍ باعه واشترى بثمنه خمرًا ، فبكت ، فأخذ يذكر حالها ويُشكر بكاءها ، فقال : تبكي هذه المرأة على بكرٍ شربتُ به ، أي شربتُ خمرًا سبأتُ بثمنه . ويروى « شَرَيْتُ بِهِ » ، ويكون أظهر .

ثم قال ، بعد أن أخبر عنها بما أخبر ، كالتأقّت إلى إنسان بحضرتة : سَفَهًا تَبَكِّيَهَا عَلَى بَكْرٍ . فانتصب سَفَهًا على المصدر ، وهو المفعول له . وتَبَكِّيَهَا في موضع رفع بالابتداء ، وَعَلَى بَكْرٍ في موضع الخبر ، أي اسفها فعلت ذلك ، لأنّه لم يبلغ

(١) كذا ورد اسمه في النسختين . وفي المبهج ٤٦ والنبريزي : « حزاز بن عمرو ، أخو بني عبد مناة » . وقال ابن جنّي : « حزاز : جمع حزازة ، وهي هبرية الرأس ، وهو ما ينتثر منه كالنخالة إذا سرحته » . ويبدو أنه شاعر جاهل .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١٨٠ ص ٥٥٧ .

(٣) جمع بطانة . وفي ل : « بطانته » .

من قدر بَكَرٍ ما تَكَلَّفَتْهُ . ولو روى : سَفَهُ تَبَكَّيْها على بكر ، فَجُعِلَ التَّبَكَّى هو السَفَهُ لم يمتنع ، وكان خبراً مقدِّماً ، وعلى بكرٍ يكون لغوا .

وقوله « هَلَّا على زيدِ الفوارس » إلى آخر البيت ، هَلَّا حرف تَحْضِيضٍ وهو يطلب الفعل ، وذلك الفعل هو تَبَكَّيْن . يخاطبها ، أَى هَلَّا تَبَكَّيْن على هؤلاء الجبال التي انهَدَّت ، والبُحُورِ التي غاضت بزيدِ الفوارس أو عمرو . ثمَّ دعا عليها فقال : لا أرقأ اللهُ دمعَكَ ، أم هَلَّا تَبَكَّيْن على سَلَفِي بنى نصر . وإنما ثَنَى السَلَفَ لأنَّه أراد العمومة والخُؤولة .

- ٤ - خَلَّوْا عَلَى الدَّهْرِ بِمَدِّهِمْ فَبَقِيَتْ كَالْمَنْصُوبِ لِلدَّهْرِ
٥ - إِنْ الرِّزِيَّةُ ما أُوْلَاكَ إِذَا هَزَّ المَخَالِيعُ أَقْدَحَ اليَسْرِ^(١)
٦ - أَهْلُ الخُلُومِ إِذَا الخُلُومُ هَفَّتْ والعُرْفِ فِي الأَقْوَامِ والنُّكْرِ

يقول : مضوا لسبيلهم ، وانتقلوا إلى جوارٍ مَنْ هو أملكُ بهم ، وتركوا أعباءَ الدَّهْرِ على ظهري ، فهي تثقلُ علىَّ وتعرِّضني لنوائبه وأحداثه ، فأنا كالغرض المنصوب له ، ليس لى من يتحمَّل عني ، ولا من يؤازرني أو يشدُّ أزرى . ومعنى « خَلَّوْا علىَّ الدَّهْر » أى صرتُ فريسةً للدَّهْرِ ، فكأنَّهم هم الذين أغروهُ بى لما ذهبوا عني وأفردوني . وهذه اللفظة تُستعمل في إغراء الجوارح على الصَّيد .

وقوله « إِنْ الرِّزِيَّةُ ما أُوْلَاكَ » إلى آخر البيت ، يريد : المصيبة كلُّ المصيبة هم أُولَاكَ إِذَا اشتدَّ الزَّمانُ وأَسَدَّتْ النَّاسُ ، واحتجج إلى مجاميع الأيسار ، لإصلاح أمر الفقراء والأيتام ، فلم يُوجَد من يُرْجَع إليه أو يُعْتَمَدُ على إفضاله وتفقدِهِ . وقوله « ما أُوْلَاكَ » ما صِلَةٌ . ومعنى هَزَّ أَجَالَ . والمخَالِيعُ : المقامس .

(١) التبريزى : « هر » بالراء المهملة . وقال : « ورواية من روى هر بالراء أجود من رواية من روى : هز ، لأنها أبلغ في الملح » .

والخَلَعةُ : القِمار . وقيل إنما سُمِّيَ مَخَالِغاً لأنه هو المولع باليسر ، فهو الذي يَخْلَعُ مَالَهُ غَيْرَهُ وَيَنْخَلَعُ هُوَ أَيْضاً مِنْ مَالِهِ ، مُنَافِسَةً وَحِرْصاً عَلَى الْمَيْسِرِ وَاكْتِسَابِ الْحَمْدِ فِيهِ وَهوَ . وقوله « إِذَا هَزَّ » هُوَ ظَرْفٌ لِمَادِلٍ عَلَيْهِ « مَا أَوْلَاكَ » . يريد أن الرِّزْبَةَ افْتَقَرُ النَّاسُ إِلَى أَوْلِيكَ فِي مِثْلِ هَذَا الْوَقْتِ فَلَا يُنَالُونَ . وقوله « أَهْلُ الْحُلُومِ إِذَا الْحُلُومُ هَنَّتْ » يَصِفُهُمْ بِالرِّزَانَةِ فَيَقُولُ : إِذَا دَهَمَ مِنَ الْأَسْرِمَاتِ هَفُو فِيهِ الْعُقُولُ وَتَزَلَّ فِيهِ الْأَقْدَامُ ، فَهَؤُلَاءِ لِأَصَالَةِ آرَائِهِمْ يَثْبُتُونَ عِنْدَ الْمَزَاوِلَةِ ، وَيُدَاوُونَ الْأُمُورَ بِدَوَائِهَا مِنْ غَيْرِ طَبِيشٍ وَلَا سَنَفِ ، وَلَا تَجَاوُزِ حَدٍّ وَعَنْتَ . وقوله « وَالْعُرْفُ فِي الْأَقْوَامِ » أَرَادَ : وَهُمْ أَهْلُ الْعُرْفِ وَالنُّكْرِ فِي الْأَقْوَامِ . يَعْنِي أَنَّهُمْ يُنْزِلُونَ الْأَقْوَامَ مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْمُوَالَاةِ وَالْمُدَاجَاةِ ، فَمَنْ دَاجَى كَانَ لَهُ النُّكْرُ مِنْهُمْ ، وَمَنْ وَآلَى كَانَ لَهُ الْعُرْفُ .

٣٥٤

وقال زويفر^(١) بن الحارث بن ضرار :

١ - أَلَمْ تَرَ أَنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ مُؤْتِراً أَنَانِي صَرِيحُ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّهُ قَتَلَ^(٢)
يُرْوَى « صَرِيحُ الْمَوْتِ » بِالْخَاءِ الْمَعْجَمَةِ « لَوْ أَنَّهُ قَبِلَ » بِالْبَاءِ . وَمَعْنَى أَلَمْ تَرَ : اعْلَمْ ذَلِكَ . أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ . وَالنَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَرَ ذَلِكَ . فَيَقُولُ : اعْلَمْ أَنِّي يَوْمَ فَارَقْتُ هَذَا الرَّجُلَ وَرَدَّ عَلَيَّ مَا يَجْرِي مَجْرَى الْمَوْتِ الصَّرِيحِ الْخَالِصِ لَوْ أَنَّهُ قَتَلَنِي وَأَتَى عَلَيَّ ، وَلَكِنَّ الْقَدَرَ ثَبَّتَ قَدَمِي فِي الْأَحْيَاءِ ، فَلَمْ يُخَلِّنِي لِلْمَوْتِ . وَمَنْ رَوَى « صَرِيحُ » بِالْخَاءِ وَ « قَبِلَ » بِالْبَاءِ فَالمراد : أَنَانِي دَاعِي الْمَوْتِ . وَالصَّرِيحُ يَكُونُ الْمُسْتَعْيِثَ

(١) التبريزي : « زويهر » .

(٢) صريح ، كتبت في الأصل لتقرأ بالمهملة والمعجمة ، مقرونة بكلمة « مآ » .

والمغيث جميعاً ، وللمراد أتاني داعي الموت لو أنه قبلي لكنتُ لا أمتنع من إجابته لما استدعى ، وإغائته لما استغاث ، لكنه لما بقاني ولم يأخذني فكأنه لم يقبلني .

٢- وكانت عليّنا عرسُهُ مثلَ يومِهِ غداةَ غَدَتِ مِنَّا يُقَادُ بِهَا الْجَمَلُ

تقدير البيت إذا أُزِيلَ ما فيه من هُجْنَةِ التَّقْدِيمِ والتَّأخِيرِ : وكانت عليّنا عرسُهُ غداةَ غَدَتِ مِنَّا يُقَادُ بِهَا الْجَمَلُ مثلَ يومِهِ . والمعنى : كانت مفارقةَ عرسِهِ لنا غداةَ انتقاليها عتاً ، وقد حُمِلَتِ الْجَمَلُ وَقِيدَ بِهَا ظَعِينَتُهَا مثلَ يومِ فقدهِ ، أى كان ذلك اليومُ مثلَ ذلك اليومِ . كأنهم كانوا أَلْفُوا من مُقَابِلِهَا أَيَّامَ عِدَّتِهَا أَنَسًا بِهَا ، وبقَاءِ دَارِهَا عَلَى مَا كَانَتْ تُعْهَدُ مِنْ قَبْلِ ، فَلَمَّا رَأَتْ مِنَ التَّنْقُلِ مَا رَأَتْ ، وَخَلَّتِ الدِّيَارُ مِنْهَا وَمِنْ أَسْبَابِهَا وَتَغَيَّرَتْ ، عَادَتِ الْمَصِيبَةُ عَلَى أَحْيَائِهَا جَذَعًا ، وَالشَّرُّ مُسْتَفْجِلًا .

٣- وكان عميدنا وبيضة بيتنا فكل الذي لاقيت من بعده جلالاً^(١)

أى كان رئيسنا والمصمود بالحاجات فينا ، وأصل بيتنا وأساس فخرينا . وقد تقدم القول في بيضة البلد^(٢) ، وأنه يُسْتَعْمَلُ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ . فأما بيضة الخدر وبيضة البيت فلا يستعملان إلا في المدح . وقد صيغ من البيضة هذا فعلٌ ، حكى ابن الأعرابي قال : يقال اجتاحوهم وابتاضوهم ، إذا استأصلوهم . وقوله « فكل الذي لاقيت من بعده جلالاً » أى صغيرٌ هينٌ في جنب ما لاقيناه فيه . والجلل يُسْتَعْمَلُ فِي الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ . وقال بعضهم : المراد ببيضة البلد أنه المعروف الموضع ، المرجوع^(٣) إليه في كلِّ مُهِمَّةٍ ، كما يرجع صاحبُ الأُدْحَى إِلَى

(١) في الأصل : « الذي حلت » ، صوابه في ل والتبريزي .

(٢) انظر ما سبق في ص ٥٥٥ ، ٨٠٤ .

(٣) في الأصل : « للرجوع » ، صوابه في ل .

أدحيه^(١) كيف توجه في المرعى ، وأنى انتجع ورعى . والأجود أن يكون المراد به وقد أضيف إلى البيت ، وهو بيت الفخر والعز ، أنه الأصل والجُرثومة ، كما حكى عن أبي بكر رضى الله عنه أنه قال : « نحن عترة رسول الله التي خرج منها ، وبيضته التي تفقت عنه » .

٣٥٥

وقال ابن عنمة الضبي^(٢)

في مقتل بسطام بن قيس^(٣) :

١ - لَامٌ الْأَرْضِ وَيَلٌ مَا أَجَنَّتْ بِحَيْثُ أضرَّ بِالْحَسَنِ السَّبِيلُ

يعظم شأن الأرض كيف ترشحت لستر^(٤) بسطام فيها ، ومن أين صارت يتسع بطنها له ميئاً وهى تضيق عن أفعاله وذكره حياً . وقال الأصمعي في تفسير ويلى إنه قبوح^(٥) . ولك أن تقول « لَامٌ » فتتبع حركة الهمزة حركة اللام . وارتفع ويلى بالابتداء وإن كان منكراً ، لأنه علم أنه دعاء ، فحصل به مثل فائدة المعارف . ومعنى « لَامٌ الْأَرْضِ وَيَلٌ » ثبت لَامٌ الْأَرْضِ وَيَلٌ ، فهو في لفظ ما وقع . وقوله « ما أجنت » ما استفهام ، وموضعه مفعول أجنت . يقول :

(١) هذا ما في ل وهو الأرفق ، وفي الأصل : « أدحيته » ، والأدحى والأدحية والأدحوة ، كلها بمعنى ، وهو مبيض النعام في الرمل .

(٢) سبقترجمته في الحماسية ١٨٩ ص ٥٨٢ .

(٣) هو أبو الصهباء بسطام بن قيس بن سمعود الشيباني . شروح سقط الزند ١٩٧٢ . وقال ابن دريد في الاشتقاق ٢١٥ : « وبسطام اسم فارسي ، وبسطام أحد الفرسان الثلاثة المذكورين : عامر بن الطفيل ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، وبسطام هذا » . التبريزي : « قتله عاصم بن خليفة : وكان ابن عنمة مجاوراً في بني شيبان ، فخاف على نفسه لما تتل بسطام ، فرثاه يستميل بذلك بني شيبان ، وهو من بني السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة » . وعاصم ابن خليفة ضبي .

(٤) في الأصل : « لسير » ، صوابه في ل .

(٥) يقال قبح الله فلاناً قبحاً وقبوحاً ، أى أقصاه وباعده .

سَتَرَتْ رَجُلًا وَأَيَّ رَجُلٍ ، أَى سَتَرَتْ جَلِيلًا مِنَ الْأَمْلَاقِ رَفِيعَ بِنَاءِ الْعِزِّ ، وَاسْعَ بَاعِ الْفَخْرِ . وَقَوْلُهُ « بِحَيْثُ أُضْرَّ » جَعَلَ حَيْثُ اسْمًا . وَمَعْنَى أُضْرَّ : دَنَا . وَالْحَسَنُ : جَبَلٌ^(١) . وَالْمَعْنَى بِمَكَانِ أُضْرَّ السَّبِيلُ بِالْحَسَنِ فِيهِ ، أَوْ أُضْرَّ السَّبِيلُ بِالْحَسَنِ ، حَتَّى نَكُونَ مَثَلًا عَلَى الْمَذْهَبِينَ جَمِيعًا .

٢ - نُقَسِّمُ مَالَهُ فِيْنَا وَنَدْعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ

يقول : نُقَسِّمُ فَوَاضِلَ مَا عِنْدَنَا مِنْ غَنَائِمِ غَزَوَاتِهِ وَمَا بَقِيَ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ فِيْنَا لَوَقْتٍ يَخْتَارُهُ لَهُ ، فَبَقِيَ بَعْدَهُ . وَفِي اقْتِسَامِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ مَا يَهَيِّجُ الْحَسَرَاتِ ، لِأَوْقَاتِ الْغَارَةِ فِي الْبُكْرَاتِ . ثُمَّ قَالَ « وَنَدْعُو أَبَا الصَّهْبَاءِ إِذْ جَنَحَ الْأَصِيلُ » يُشِيرُ إِلَى وَقْتِ الْأَضْيَافِ ، وَأَنَّ الْحَيَّ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ يَصِيرُ ضَيْجَةً وَاحِدَةً ، تَلَهْفًا فِي إِثْرِ الْفَائِتِ ، وَتَذَكُّرًا لَهُ ، وَتَوَجُّعًا لِمَا قُدِّدَ مِنَ الْمُسْتَأْنَفِ مِنْ تِلْكَ الرُّشُومِ وَاسْتِمْرَارِهَا . وَمَعْنَى نَدْعُوهُ نَنْدُبُهُ وَنَقُولُ : وَابْسِطَا مَاهُ ! وَإِنَّمَا قَالَ « مَالَهُ » لِأَنَّ مَا اجْتَمَعَ بِسَعْيِهِ وَحَدِّهِ ، وَبَأْسِهِ وَسَطْوَتِهِ ، كَانَ لَهُ . وَمَعْنَى جَنَحَ مَالٌ . وَالْأَصِيلُ الْعَشِيَّةُ . وَأَبُو الصَّهْبَاءِ : كُنْيَةُ بَسْطَامِ .

٣ - أَجِدُّكَ لَنْ تَرَاهُ وَلَنْ تَرَاهُ تَخْبُّ بِهِ عُدَاوَةَ ذَمُولٍ^(٢)

ألم في هذا بقول النابغة :

* يَقُولُونَ حِصْنٌ نَحْمُ تَأْتِي نَفُوسُهُمْ^(٣) *

كأنه لشدة الأمر عليه يكذب المشاهدة ويدع التصديق بها في الوقت

(١) ياقوت : « الحسنان : كشييان معروفان في بلاد بني ضبة ، يقال لأحدهما الحسن ، وللآخر الحسين » .

(٢) التبريزي : « لا تراه ولن تراه » ، ثم ذكر رواية المرزوقي .

(٣) يرثي حصن بن حذيفة بن بدر ، كما في شروح سقط الزند ٨١٣ . وعجزه في

: ٢٦٢ ، ٨١٣

بعد الوقت ، إما استعظاما للحال ، وإما لآفةٍ تلحق العقل ، وضعفٍ يتخلل التحصيل ، فكأنه بعد ما اقتص من الحال ما اقتص ، وشرح من الفجع ما شرح عاودته تلك الحالة وعادته ، فأوبل على نفسه يستثبتها وقال : أعلى جدٍ منك ، وأنجدُ جدك ، أنك في مستقبل الأوقات لا تراه متمكنا منه قريبا ، على عادتك في حال الأمن معه ، ولا تراه أيضا من بعيدٍ في الغزو وتسير به الخبب راحلة قوية خفيفة .

وقد ظهر بما ذكرته فائدة تكرار حرف النفي في كلامه ، لأن لن نفي قول القائل أسيفعل كذا زيد؟ فيقول : لن يفعل . فقوله ان تراه نفي الرؤية في حال السلم ، وان تراه نفي لها في حال الغزو . وتخبُّ به في موضع الحال .

٤ - حَقِيبَةٌ رَحَلَهَا بَدَنٌ وَسَرَجٌ تَعَارِضُهَا مُرَبَّةٌ دَوُولٌ^(١)
٥ - إِلَى مِيعَادِ أَرَعَنْ مُكَنَهْرٌ تَضَمَّنَ فِي جَوَانِبِهَا الْخِيُولُ^(٢)

يقول : تخبُّ به ناقة بهذه الصفة وقد شدَّ في الحقيبة التي ارتدَّ فيها درعٌ قدر ما يستر البدن ، وسرجٌ لِمَا جُنِبَ معه من فرسٍ تعارض هذه الناقة في السير ؛ وهي لعزها وكرمها على ربها^(٣) ، رُبَّتْ في البيوت ولم تُتْرَكْ هَمَلًا ، وسيرها الذميل . ويقال رببته ورببته بالتشديد بمعنى . والدالان : ضربٌ من السير . والاحتقاب : شدُّ الحقيبة من خلف ، وكذلك الاستحقاب .

وقوله : « إِلَى مِيعَادِ أَرَعَنْ » يعني به جيشًا كأنه رَعَنْ جَبَلٍ . وقيل : جيشٌ

(١) في النسختين : « دَوُول » بنقطة فوق الدال ونقطة تحتها مقرونة بكلمة « معاً » .
لتقرأ بالإعجام والإهمال ، واقتصر التبريزي على رواية الدال المهملة .
(٢) في الأصل : « في جوانبه » ، وهي مطابقة لرواية التبريزي في الصلب ، لكن التفسير هنا يقتضى ترجيح ما أثبتنا من ل وتفسير التبريزي .
(٣) في الأصل : « أنها » صوابه في ل .

أرعن : له فُضُول . والرَّعْنُ : أنف يتقدّم من الجبل ، والجميع الرِّعَان والرُّعُونَ .
مكْفَهْرٌ ، أى مرتفعٌ عالٍ . وقوله « تُضَمَّنُ فِي جَوَانِبِهَا الْخِيُولُ » أى تُقْرَنُ
الْخَيْلُ بِالْإِبِلِ فِي جَوَانِبِهَا ، إِذْ كَانَ لِكُلِّ رَجُلٍ رَاحِلَةٌ وَفَرَسٌ يَقُودُهُ مَعَهُ .
ومثل هذا قوله :

* خَصَفْنَ بِأَثَارِ الْمَطِيِّ الْخَوَافِرَا (١) *

يقول : تسير به راحلةٌ معها جَنِيْبَةٌ ، إلى ميعادِ أَرَعْنَ ، أى جيشٍ كثيرٍ
ضَمَّنَ جَوَانِبُ رَوَاحِلِهَا الْخِيُولَ . ويروى : « تُضَمَّرُ فِي جَوَانِبِهَا » بالراء ، والمعنى
تُضَمَّعُ الْخِيُولُ وَتُعَدَى فِي الْقَرَّتَيْنِ (٢) فِي جَوَانِبِهَا . والمراد أن فُرْسَانَ هَذِهِ
الْكَتَيْبَةِ دَأَبَهُمْ ذَلِكَ .

٦ - لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا وَالصَّفَايَا وَحُكْمُكَ وَالذَّشِيْطَةُ وَالْفُضُولُ
أَقْبَلَ يَخَاطِبُ الْمُرْتِيَّ بَعْدَ الْإِخْبَارِ ، عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْكَلَامِ .

وقال أبو عبيدة : كان رئيسُ القومِ في الجاهليَّةِ إِذَا غَزَا بِهِمْ فَغَنِمَ أَخَذَ مِنْ
جَمَاعَةِ الْغَنِيْمَةِ وَمِنَ الْأَسْرَى وَالسَّبِيِّ عَلَى أَصْحَابِهِ الْمِرْبَاعَ ، وَهُوَ الرَّبْعُ ، فَلِذَلِكَ قَالَ
« لَكَ الْمِرْبَاعُ مِنْهَا » فَصَارَ هَذَا الرَّبْعُ الَّذِي كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لِلرَّئِيسِ فِي الْإِسْلَامِ
خُمْسًا . وَكَانَ لَهُ الصَّفِيُّ : وَاحِدَ الصَّفَايَا مِنْ جَمَاعَةِ الْغَنَائِمِ وَالْأَسْلَابِ وَالْكَرَاعِ
قَبْلَ الْقِسْمَةِ ، وَهُوَ أَنْ يَصْطَفِيَ لِنَفْسِهِ شَيْئًا : جَارِيَةً أَوْ سَيْفًا أَوْ فَرَسًا أَوْ مَا شَاءَ ،
وَبَقِيَ الصَّفِيُّ عَلَى حَالِهِ فِي الْإِسْلَامِ : اصْطَفَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيْفَ مُنَبِّهِ
ابْنِ الْحَجَّاجِ ذَا الْفَقَّارِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَاصْطَفَى جُوبَيْرِيَّةَ بِنْتَ الْحَارِثِ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ

(١) البيت لمقاس المائذى ، كما فى اللسان (خصف) . وهو أول المفضلية ٨٥ . صدره :

* أُولَى فَأُولَى يَا أَمْرًا الْقَيْسِ بَعْدَ مَا *

(٢) القرتان : الغداة والعشى .

يومَ المُرَيْسِيعِ ، فجَعَلَ صَدَقَتَهَا^(١) عِتْقَهَا وتَزَوَّجَ بِهَا ، واصطَفَى صَفِيَّةَ بِنْتِ حُبَيْبٍ
فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهَا .

وقال أبو عبيدة : وكان له النقيعة أيضاً ، وهو بغير يَنْحَرَهُ قَبْلَ القِسْمَةِ
فَيُطْعِمُهُ النَّاسَ كَذَلِكَ . قال :

إِنَّا لَنضْرِبُ بِالسُّيُوفِ رِءُوسَهُمْ ضَرْبَ القُدَّارِ نَقِيعَةَ القُدَّامِ^(٢)

قال : وسَقَطَ فِي الإسلامِ النَّقِيعَةُ .

قال : وله حُكْمُهُ ، وهو أن يَبَارِزَ الفَارِسُ فَارِسًا قَبْلَ التَّقَاءِ الجَيْشَيْنِ
فِيقتُلُهُ وَيأْخُذُ سَلْبَهُ . والحُكْمُ فِيهِ إِلَى الرَّئِيسِ ، إن شاء نَمَلَهُ وإن شاء رَدَّهُ إِلَى
مِجْلَةِ المَغْنَمِ . وهذا باقٍ فِي الإسلامِ .

وله أيضاً « النَّشِيطَةُ » وهو ما انْتَشِطَ مِنَ الغَنَائِمِ ولم يُوجِفُوا عَلَيْهِ بِخَيْلٍ
وَلَا رِكَابٍ . فَبَقِيَتْ فِي الإسلامِ . وفَدَاكَ^(٣) مِنْ ذَلِكَ ، لم يُوجِفُوا عَلَيْهِ فَكَانَ
لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً .

قال : وكان للرئيس البسيطة^(٤) ، وبعضهم يُسمِّيها البِسْطَ^(٥) ، وهي الفَاةُ

(١) كنا ضبطت في النسختين . والصدقة بالفتح ، والنضم ، وبفتحتين ، وبضمين ،
وبفتح فضم ، كلها بمعنى واحد ، وهو المهر ، كالصداق بفتح الصاد وكسر ها .

(١) البيت لمهلل : كما في اللسان (قدر ، نقع ، قدم) .

(٣) كان ذلك في السنة السابعة ، لما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر
قذف الله الرعب في قلوب أهل فدك حين بلغهم ما حل بأهل خيبر ، فبعثوا يصلحون على
النصف من فدك ، فقبل منهم ذلك . السيرة ٧٧٦ - ٧٧٧ . وفدك : قرية بالحجاز ، بينها
وبين المدينة يومان .

(٤) الذي في المعاجم المتناولة لفظ « البسوط » ، ولم ينص فيها كذلك على المعنى الذي
ذكره أبو عبيدة فيها وفي البسط .

(٥) في الأصل : « وبعضهم قال البسيط » ، صوابه في ل ، وقد ضبطت فيه بكسر
الباء ، وهي تقال بالكسر والنضم وبضمين .

أو الحِجْرُ معها ولدها، فتجعل هي وولدها في رُبْعِ الرَّئِيسِ ولا يُعْتَدُّ عَلَيْهِ بِالْوَالِدِ .
وقال : وسَقَطَ البَسِيطَةُ فِي الإِسْلَامِ .

وكان له « الفُضُولُ » وهو ما فَضَّلَ بعد القِسْمَةِ وَيَعْجِزُ عن عَدَدِ الغُرَاةِ ،
أولا يتناولهُ القَسْمُ ، وهذا سَقَطَ أيضاً فِي الإِسْلَامِ . قال أبو عبيدة : غيرَ أَنِّي
حُدِّثْتُ عن مجاهد أَنَّهُ قال فِي قولهِ تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ
لِلَّهِ والرَّسُولِ ﴾ ، قال : هو ما شَدَّ من الغنائم ، كالفضول . وقيل إنها منسوخة .

٧ - أَفَاتِمَةُ بنو زَيْدِ بنِ عَمْرِو ولا يُوفِي بِبِسْطَامِ قَبِيلُ
٨ - فَخَرَ على الأَلاءِ لَمْ يُوسِّدْ كَأَنَّ جَبِينَهُ سَيْفٌ صَقِيلٌ^(١)

قوله « أفاتمه » فات يتعدى إلى مفعول . تقول : فاتني الشيء ، فإذا
أَدْخَلْتَ عَلَيْهِ حرفَ التَّعْدِيَةِ تعدى إلى مفعولين . فإذا كان كذلك فأحدُ
المفعولين محذوف ، كأنه قال : أفاتت الناسَ بنو زيدِ بنِ عمرو بِسْطامًا ،
أى الانتفاع بِبِسْطامِ . وقوله « ولا يُوفِي بِبِسْطَامِ قَبِيلُ » بالباء يروى ، والمعنى
لا يُوفِي بدمه قَبِيلٌ ، كَأَنَّ القَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا مطالبون بدمه ووافون به إذا أُتِيَ
بهم كلهم . وهذه الرواية أقرب إلى ما يدك عليه صدرُ البيتِ وأشبهه . ويروى
« قَتِيلٌ » بالتاء ، ويكون الكلامُ تَحْشُرًا ، والمعنى لا يُوفِي بدمِ بِسْطامِ دَمٌ
قَتِيلٌ . ويقال وَفَى وَأَوْفَى بِمعنى واحد .

وقوله « نَحَرَ على الأَلاءِ » ، [معناه^(٢)] سَقَطَ . والأَلاءُ : شجرة . ولم
يُوسِّدْ ، يستعملونه كثيراً في القَتِيلِ ، وليس ذلك لأنَّ القَتِيلَ بعضهم يوسِّدون .
وقد يقال « وَسِّدْ فلانٌ يَمِينَهُ فِي ضَرْبِهِ » ، وهذا أيضاً مثلاً ؛ لأنَّ اللَّيْتَ

(١) التبريزى : « وخر » .

(٢) هذه من ل ، وتقبلها في ل كلمة مطموسة أيضاً .

لا يوسد يمينه ، وإنما يُرادُ : تجافى المكانُ به في حالتي الدفن والقتل . وقوله « كأنَّ جبينه سيفٌ صقييلٌ » يريد وجهه وإشراق لونه .

٣٥٦

وقال الهدلول بن هبيرة^(١) :

- ١- أَلِكْنِي وَفِرْ لَابْنَ الْغُرَيْرَةِ عِرْضُهُ إلى خالدٍ من آلِ سلمى بنِ جندلٍ
 - ٢- فما أبتغي في مالكٍ بعدَ دارمٍ ولا أبتغي في دارمٍ بعدَ نهشلٍ
 - ٣- وما أبتغي في نهشلٍ بعدَ جندلٍ إذا مادعا الداعي لأمرٍ مجالٍ
 - ٤- وما أبتغي في جندلٍ بعدَ خالدٍ إيطارقٍ كليلٍ أو لعمانٍ مُكَبِّلٍ
- قوله « أَلِكْنِي » أي أعنى على أداء ألوكتي ، وهي الرِّسالة . وقد تقدّم القولُ في هذه اللفظة ؛ وأن أصلها أَلِكْنِي ، فقلِّبَ وقُدِّم اللام على الهمزة فصار أَلِكْنِي ، ثم حُذفت الهمزة استخفافاً وألقيت حركتها على اللام فصار أَلِكْنِي .
- وقوله « وَفِرْ لَابْنَ الْغُرَيْرَةِ عِرْضُهُ » معناه اترك عرضَه وافراً . يقال وَفَرْتُهُ أَفْرُهُ وَفَرًّا ، وهو موفور . والمراد : خصَّ برسالتى خالداً واطرك ابن

(١) كذا ورد في النسختين . وعند التبريزي : « الهدليل بن هبيرة أحد بني حرقة بن ثعلبة بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب » . قال ابن دريد في الاشتقاق ٢٠٣ : « ومن رجالهم الهدليل بن هبيرة ، قد رأسهم في الجاهلية ، وكان جراراً للجيش » . وكان من خبر الأبيات فيما روى التبريزي ، أن الهدليل أغار على بني كوز وهاجر من بني ضبة ، فأصاب ثلاثين امرأة أطلق سراحهن ، إلا منصوراً بنت شقيق أخت عامر بن شقيق ، واحتمل بها حتى أتى أرض قومه ، فخرج أخوها وزوجها لاستنقاذها ، فتمكنا من ذلك بعد لآي ، ثم إن الهدليل تبعها نفسه فأغار ثانياً على بني ضبة فاستصرخ بنو ضبة ببني سعد بن زيد مناة فالتقوا وقتل من بني تغلب ناس وهزموا أسوأ هزيمة ، ووقع ابن الهدليل - واسمه مشول - أسيراً ، أمره عبد الله وعبد الحارث ابنا ناشرة . ثم أتاهم الهدليل في ابنه وطلب من ابن الغريرة - وهو أحد جندل بن نهشل - أن يفادي ابنه أو يمن عليه ، فوعده أن يفعل ، فلما طال عليه ذلك قال هذه الأبيات ، فأتى خالداً فأنشده ، فأعطى ابن ناشرة مائة من الإبل وأطلقه للهدليل .

الغريرة جانباً ، لا تذكر له قبيحاً ولا تُولِه مكرهاً . والرّسالة ابتداءؤها : « فما أبتغى في مالك » . والشاعر رتب أنخاداً وبطوناً ، وذكر أن كل واحدٍ منها كان له رئيسٌ يدور أمره عليه ، ويعتصم بأمره في الملمات . وأنه بعد افتقاد ذلك فيهم فلا طائلَ ولا خيرَ عند واحدٍ منهم . ألا تراه قال : فما أبتغى في بني مالكٍ بعد خروج بني دارمٍ منهم ، وما أبتغى في بني دارمٍ بعد خروج بني نهشلٍ منهم ، وما أبتغى في بني نهشلٍ إذا صرخ الصارخُ لأمرٍ عظيمٍ بعد خروج جنديلٍ منهم ، وما أبتغى في بني جنديلٍ لسارٍ يسرى بليلٍ يطلب الضيافة ، أو أسير مكبّلٍ يطلب من يفكُّ أمره بعد افتقاد خالد . كأنه [كان (١)] يأخذ بعضهم بما يتماسك به البعض الآخر ، وذلك البعض يتماسك بآخر إلى آخر القصة . وهذا على ما رتبته في نهاية الحسن . وقوله « أمرٌ مجلّلٌ » أي معظّم . والسكبلُ : القيّد ، ورجلٌ مكبّلٌ .

٣٥٧

وقال إياسُ بنُ الأرتِ (٢) :

- ١ - وَلَمَّا رَأَيْتُ الضُّبْحَ أَقْبَلَ وَجْهَهُ دَعَوْتُ أبا أَوْسٍ فَمَا إِنْ تَكَلَّمَا
- ٢ - وَحَانَ فِرَاقِي مِنْ أَخٍ لَكَ ناصِحٍ وَكَانَ كَثِيرَ الشَّرِّ لِلخَيْرِ تَوْءَمَا

(١) هذه من ل .

(٢) ذكره ابن دريد في الاشتقاق ٢٣٥ في رجال طيبي ، من بني شمْجى . وفي القاموس (رتب) : « وإياس بن الأرت كرم شاعر » . وأنشد له الجاحظ شعراً في الحيوان (٤ : ٣٥٩) . ابن جنى في المبهج : « هو مصدر أوسه أوساً ، إذا أعطيته . وخطه السكري مصدر أيست من كذا ، وليس كذلك ، ولا أيست مصدر ، لأنه مقلوب من يئست ، ولو كان له مصدر لم يكن كذلك مقلوباً ، ولكان أيضاً تمثل فائزه وعينه ، فيقال إست وآس . والأرت : الذي في لسانه حجلة ، والأنثى رتاه » . ونظير إست آس : هبت أهاب . التبريزي : « وقال أبو العلاء : الأرت : الذي في لسانه حبسة ، وهي الرتة . وامم الأرت خالد » .

لما عَلِمَ لِلظَّرْفِ ، وهو لتوقع الشيء لوقوع غيره ، ولذلك احتاجَ إلى الجواب ، وجوابه هنا دَعَوْتُ . فيقول : لَمَّا دَنَا الصُّبْحُ وَأَقْبَلَ وَجْهَهُ يَنْفَلِقُ وَيُقْبَلُ ، دَعَوْتُ هَذَا الرَّجُلَ - يعني المرثى - فما أَجَابَ . وإنما خَصَّ وَقْتَ تَقَدُّمِ^(١) الصُّبْحِ ، لأنَّ المَرِيضَ يَخْفُفُ فِيهِ ، فَكَأَنَّهُ عَلَى عَادَتِهِ فِي تَمْرِيضِهِ ، وَتَعَرَّفَ خَبْرَهُ ، وَتَحَدَّثَ بِهِ عَلَيْهِ فِي الْعَارِضِ لَهُ ، دَعَا فَوَجَدَهُ ثَقِيلًا ، لَا يُجِيبُ وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانَهُ ، فَتَيَقَّنَ مِنْهُ قُرْبَ الْمَفَارِقَةِ ، وَالْبِعَادَ بَعْدَ الْمَقَارِبَةِ ، فَلِذَلِكَ قَالَ : « وَحَانَ فِرَاقٌ مِنْ أَيْخٍ لَكَ نَاصِحٌ » . وَمَعْنَى حَانَ : قَرَّبَ . وَالنَّصَاحَةُ : صَفَاءُ الْوُدِّ ، وَخُلُوصُ الْعَقِيدَةِ مِنَ الْغِلِّ . وَقَوْلُهُ « وَكَانَ كَثِيرَ الشَّرِّ » يَعْنِي مَعَ مَنَابِذِهِ وَمُشَاقِقِيهِ . وَلَنْ يَكْمَلَ الْفَتَى حَتَّى يَكُونَ مُسْتَصَلِحًا لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ ، فَيُجِلِّ النَّاسَ سَخَائِمَهُمْ ، وَيُوفِّيهِمْ مُسْتَحَقَّاتِهِمْ ، إِنْ خَيْرًا نَخِيرًا ، وَإِنْ شَرًّا فَشَرًّا .

وقد تَمَّحَلِ اطِّيفَةَ فِي الصِّفَةِ الثَّانِيَةِ فَقَالَ « لِلْخَيْرِ تَوْءَمًا » فَجَمَعَ الْخَيْرَ وَوَلِدَ مَعَهُ فَنَشَأُ^(٢) بِنَشْئِهِ . يُقَالُ : غَلَامٌ تَوْءَمٌ ، لِلذِّي وَوَلِدَ مَعَهُ غَيْرُهُ . وَأَتَأَمَّتِ الْمَرْأَةُ فَهِيَ مُتَمِّمٌ . وَاشْتِقَاقُهُ مِنَ الْوَأْمِ ، وَالتَّاءُ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ ، كَالْتَّاءِ فِي تُسْكُوتِهِ وَمَا أَشْبَهَهَا ، وَالْجَمْعُ تَوْءَامٌ ، وَفِعَالٌ^(٣) فِي الْجَمْعِ قَلِيلٌ . كَانَ الْوَلَدَ وَاءِمْ غَيْرُهُ فِي الْإِتْيَانِ ، أَيْ وَافَقَ . وَفِي الْمَثَلِ : « لَوْلَا الْوِئَامُ هَلَكَ اللَّئَامُ »^(٤) . وَقَدْ اسْتَقْصَيْتُ الْقَوْلَ فِيهِ فِي شَرْحِ كِتَابِ الْفَصِيحِ .

٣ - تتابع قِرَواشُ بن لَيْلَى وَعَامِرٌ وَكَانَ الشَّرُّورُ يَوْمَ ذَلِكَ مُدْمَمًا^(٥)

(١) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَسْلَ : « تَبَسُّمٌ » . (٢) ل : « يَنْشَأُ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَيُقَالُ » ، صَوَابُهُ فِي ل . وَقَدْ اِخْتَلَفَ اللَّغَوِيُّونَ وَالنَّحْوِيُّونَ الْقَدَمَاءُ فِي صِيغَةِ فِعَالٍ ، هَلْ هِيَ جَمْعٌ أَوْ اسْمٌ جَمْعٌ . وَقَدْ صَنَعَ الْأَدِيبُ جَبْرَانَ النَّحَّاسَ بَحْثًا عَنْوَانَهُ « صِيغَةُ فِعْعَالٍ لَيْسَتْ جَمْعًا » طَبَعُ فِي الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ سَنَةَ ١٩٤٧ بِمَطْبَعَةِ الْبَصِيرِ . وَانظُرْ لَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ لِتَلَابُنِ خَالَوِيهِ ص ٢٣ .

(٤) انظُرْ تَحْقِيقَهُ مَسْهَبًا فِي حِوَالِشِي مَقَابِيِسِ الْلُغَةِ (٦ : ٨٠) .

(٥) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « مَا خَصَّ لِلْبَعْضِ » .

يريد : أنهم قد تداعوا في الذهب ، وتقاطروا في الموت ، فمات الواحدُ
بعقبِ الواحد ، كأنهم دُعوا بلسانِ واحد فأجابوا ، وكان السرور يوم مات مُلقَى
مُهْلِكاً غير باقٍ ، لأنَّ كلَّ مَنْ سَمِعَ بِمَوْتِهِ أَخَذَ قِسْطاً مِنَ الْجَزَعِ لَهُ نَحْفِيَّ سُرُورُ
النَّاسِ وَظَهَرَ جَزَعُهُمْ . وقوله « يوم مات » يعني أبا أوس . هذا من باب ما خُصَّ
الْبَعْضُ بِشَيْءٍ مِنْ دُونَ الْجَمَلَةِ ، فَأَعِيدَ ذِكْرُهُ . وَالْدَّمْدَمَةُ : الْإِهْلَاكُ وَالِاسْتِنْصَالُ .
وفي القرآن : ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ﴾ . ويروى : « وكان الشُّرُورُ
يَوْمَ ذَلِكَ مُدْمَمًا ^(١) » :

ع - هَمَمْتُ بِأَنْ لَا أُطْعِمَ الدَّهْرَ بَعْدَهُمْ حَيَاةً فَكَانَ الصَّبْرُ أَبْقَى وَأَكْرَمًا
قوله : « بأن لا أطعم الدهر بعدهم » انتصب أطعم بأن ، ولو رُفِعَ لجاز على
أن يكون أن مخففة من الثَّقِيلَةِ ، ويكون اسمه مضمراً ، والفعل مع ما بعده خبرٌ
كأنه قال : هَمَمْتُ بِأَنْ لَا أُطْعِمَ حَيَاةً بَعْدَهُمْ ، أَيْ كُنْتُ وَطَّئْتُ نَفْسِي عَلَى الزُّهْدِ
فِي الْحَيَاةِ ، وَجَعَلْتُ قَتْلَ نَفْسِي مِنْ هَمِّي ، ثُمَّ نَظَرْتُ فَكَانَ الْإِثْسَاءُ بِالنَّاسِ
فِي مَصَائِبِهِمْ ، وَالصَّبْرُ عَلَى مِقَاسَةِ الْبَلَاءِ مَعَهُمْ ، أَبْقَى فِي الذِّكْرِ ، وَأَحْسَنَ فِي
الْأَحْدُوثَةِ ، وَأَكْرَمَ عِنْدَ عَدِّ الْأَفْعَالِ وَعَرَضَهَا عَلَى الْعُقُولِ . وَرَوَى : « أَتَقَى »
بِالنَّاءِ الْمَعْجَمَةِ ، وَالْمَعْنَى أَوْقَى ، لِأَنَّ النَّاءَ مُبَدَلَةٌ مِنَ الْوَاوِ ، أَيْ أَضَوِّنُ لِلدِّينِ وَالرِّضَى .

٣٥٨

وقال قبيصة بن النصراني الجرمي ^(٢)

١ - أَلَا يَا عَيْنِ فَاحْتَفَلِي وَبِكَيِّ عَلَى قَرِيمِ لِرَيْبِ الدَّهْرِ كَافٍ

(١) كنا على الصواب في ل . وفي الأصل : « مدمما » . وروى أنبهر يزي رواية ثالثة :
« مدمما » بالبدال المهملة ، وقال : « مدمم من دمت الشيء ، إذا طابته وغطيته » .
(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ١٩٩ ص ٦١٠ .

٢- وما للعَيْنِ لا تَبْكِي لِحَوْطِ زَيْدٍ وَابْنِ غَمِّهِمَا ذُفَافٍ

٣- وَعَبْدِ اللَّهِ يَا لَهْفِي عَلَيْهِ وَمَا يَخْفَى بَزِيدٍ مَنَاءَ خَافٍ

٤- وَجَدْنَا أَهْوَانَ الْأَمْوَالِ هُلْكَاءًا وَجَدَّكَ مَا نَصَبْتَ لَهُ الْأَثَافِي

يقول : يا عينِ جاء وقتُ البكاءِ فتَهَيَّئي له ، واجمعي دموعك ثم فرقيها ، ولا مساع لتقصير ، ولا مجال لتعذير . والحافلُ من الغنم : التي جمعت اللبن في ضرعها . ومعنى بكي : أكرهي البكاء أو كرريه^(١) . والقرم : الكريم من الرجال ، وأصله في الفحول ، وكذلك القرم ، وقد تقدم ذكره^(٢) .

وقوله « لِرَيْبِ الدَّهْرِ كَافٍ » قد حذف أحد مفعولي كفى ، كأنه كافٍ الناسَ ريبَ الدهر ، أى ما راب من أحداثه .

ثم عدّد من فجع به من أعزته فوجب البكاء له ، ليعلم عظيم شقائه وما أصيب به في أودائه .

وقوله « يَا لَهْفِي عَلَيْهِ » يجوز أن يكون المنادى محذوفاً كأنه قال : وعبدِ الله لهفني عليه يا قوم . ويجوز أن يكون نادى اللّهف ليرى عظيم حسرته ، وكال شقوته في فجعته .

وقوله « وَمَا يَخْفَى بَزِيدٍ مَنَاءَ خَافٍ » ، يجوز أن يكون موضعه رفعا على أنه يرتفع بيخفى ، فكأنه قال : ما يخفى خاف بزيد ، أى زيد مناة لا يخفى ، لأن الخافي هو زيد ، وهذا كما تقول : لقيتُ بزيدي أسداً . ويجوز أن يكون قوله « بزيد » هو الفاعل والباء فيه مثل الباء في قول الله تعالى : ﴿ وَكُنِيَ بِاللَّهِ ﴾

(١) ل : « وكرريه » .

(٢) انظر ما مضى في ص ١٠٠٦ .

شَهِيدًا ۞ . والمعنى ما يخفى زَيْدٌ مَنَاءَ خَفَاءَ ، وخَافٍ فِي مَوْضِعِ خَفَاءَ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَنْصَبْهُ كَمَا لَمْ يَنْصَبْ قَوْلَهُ :

* كَأَنَّ أَيْدِيَهُنَّ بِالْقَاعِ الْقَرِقِ (١) *

ومثله :

* كَفَيْتِ بِالنَّأْيِ مِنْ أَسْمَاءٍ كَافٍ (٢) *

وَقَمْتُ قَائِمًا ، وَعُدْتُ بِاللَّهِ عَائِدًا (٣) . وقد مضى مثله .

وقوله « وَجَدْنَا أَهْوَانَ الْأَمْوَالِ هُلْكًَا » كَأَنَّهُ نَبَّهَ (٤) بِهِ عَلَى مَا كَانُوا يُقِيمُونَهُ مِنَ الضِّيَافَةِ ، وَيُنْفِقُونَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ فِي الْعَفَاةِ وَأَبْوَابِ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ ، وَأَنَّ أَهْوَانَ الْأَمْوَالِ هَلَاكًا عَلَى نَفُوسِ الْكِرَامِ وَأَخْفَاءَ فِي الصُّدُورِ وَالْقُلُوبِ . مَا وَقَفَ عَلَى الْأَضْيَافِ ، وَصُرِفَ إِلَى مَا كَلَمَهُمْ ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَشْبَهَ الْأَضْيَافَ . وَانْتَصَبَ « هُلْكًَا » عَلَى التَّمْيِيزِ . وَمَعْنَى « وَجَدَّكَ » وَحَقٌّ جَدُّكَ .

وقوله « مَا نَصَبْتَ لَهُ الْأَثَانِي » فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ الثَّانِي لَوْجَدْنَا . وَالْأَثَانِي ، وَاحِدَتُهَا أَثْنِيَّةٌ . وَيُقَالُ : ثَقَّيْتُ الْقِدْرَ وَأَثْنَيْتُهَا . فَأَثْنِيَّةٌ أَفْعُولَةٌ . وَمَنْ قَالَ أَثْنَيْتُهَا فَأَثْنِيَّةٌ عِنْدِي فَعَلِّيَّةٌ ؛ لِأَنَّ الْهَمْزَةَ أَصْلِيَّةً . مِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

* وَإِنْ تَأَثْنَيْتِ الْأَعْدَاءَ بِالرِّفْدِ (٥) *

(١) سبق قريباً في ص ٩٧٠ كما مضى في ص ٢٩٤ .

(٢) سبق مع قرينه في ص ٩٧٠ كما مضى في ص ٢٩٤ . وهو لبشر بن أبي خازم . وعجزه :

* وليس لحبها إذ طال شاف *

والشاهد فيهما ترك إعراب المعتل المنصوب .

(٣) يعني وضع اسم الفاعل موضع المصدر .

(٤) ل : « ينبه » .

(٥) صدره في الديوان ٢٦ :

* لا تقذفني بركن لا كفاء له *

وقال أبو صعترّة البولاني^(١) :

- ١ - زُكَيْرَة وابنا أمّه الهمُّ والمنى وفي الصّدرِ منهم كلما غبّتُ هاجِسُ
 - ٢ - أودُّهمُ ودًّا إذا خاسرَ الحشأَ أضاء على الأضلاع والليلُ دامِسُ
 - ٣ - بني رجلٍ لو كان حيًّا أعانني على ضرِّ أعدائي الذين أمارِسُ^(٢)
- يعني بزُكَيْرَة وأخويه أولاد أخيه ، وكان توفّي والدُّهم فصار هو كافلهم .
 فيقول : هم الذين أهتمُّ لهم ، وأتمنّى خيرهم وبقاءهم ، وأقصرُ همّي على ما تستقيم به
 أحوالهم ، وتستتبُّ له أمورهم ، ومتى^(٣) غبّتُ عنهم كان في صدري هاجِسٌ من
 الفكرِ فيهم ، وسأخُج من التوفّرِ عليهم ، يُجولانِ بيني وبين الذّهابِ عنهم ؛ فجسّى
 غائبٌ عنهم ، وهو أَى حاضرهم . فهذه التي أشار إليها نتائجُ العِنايةِ بهم ،
 ومسبّباتُ الرّعايةِ في النّيابةِ عن أخيه فيهم . ثم أخذَ يذكر ما غرّسه الحبُّ في
 قلبه لهم ، ورعاه صدره من التحنُّنِ والسّفقةِ في بابهم ، فقال : أودُّهمُ ودًّا إذا
 خالطَ الحشأَ في ظلمةِ الليلِ أضاء على الأضلاع . وإنما قال هذا لأنّ الشّيءَ إذا
 أشرقَ بالليلِ وعند التّباسِ الظّلامِ ، فهو بالنهارِ أولى بالأشراقِ . فكأنّ المعنى
 أنّ طلائعَ حبِّهم في مكانِ صدره مضيئةُ الأرجاء ، نيرةُ الأكنافِ ، في كلّ
 حالٍ ووقتٍ .

وقوله « بني رجلٍ » يعني أخاه ، كأنه ذكر ما يقتضيه في أمرهم بما يأتيه ،

(١) عبارة الإنشاد مطموسة في نسخة الأصل . وفي ل : « أبو صعيرة » ، صوابه في
 التبريزي وشروح سقط الزند ١٢٤٣ حيث أنشد البيت الثاني ، والقاموس (صعتر) . وبولان ،
 بالفتح : حتى من طيبى .

(٢) التبريزي : « بنو رجل » .

(٣) في الأصل : « ومعنى » ، صوابه في ل .

فأشارَ إلى الدواعي القائمةِ بينه وبين أولادِ الأخ ، فقال : أذكرُ بني رجلٍ لو كان في جُملة الأحياء لأعانتني على الأعداء ، وأنصفني من الزمان ، ودفع عني من مضرّاتهم ومُنّا كداتهم ما يخفُّ معه ظهري ، ويقوى فيه نهوضي ووجدابي .

٣٦٠

وقال الغَطَمَشُ^(١) :

من بني شِقْرَةَ بن كعب بن ثعلبة^(٢) :

١ - أَلَا رَبُّ مَنْ يَغْتَابُنِي وَدَّ أَنْتَى أَبُوهُ الَّذِي يُدْعَى إِلَيْهِ وَيُنْسَبُ
٢ - عَلَى رِشْدَةٍ مِنْ أُمَّهِ أَوْ لَغِيَّةٍ فَيَغْلِبُهَا فَحَلُّ عَلَى النَّسْلِ مُنْجِبٌ
قوله « مَنْ يَغْتَابُنِي » من نكرة ويغتابني في موضع الصّفة له ، و« وَدَّ أَنْتَى »
جواب رَبِّ . فيقول : رَبُّ إِنْسَانٍ يَا كُلُّ لِحْمِي بظُهِرِ الْغَيْبِ وَيَتَنَقَّصُنِي ، وَمَعَ
ذَلِكَ يَتَمَنَّى أَنْ أَكُونَ أَبَاهُ الَّذِي يُسَمَّى بِهِ وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا يَبْعُثُهُ عَلَى ذَلِكَ
الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ .

وقوله « عَلَى رِشْدَةٍ مِنْ أُمَّهِ أَوْ لَغِيَّةٍ » فإنّ على يتعلّق بقوله أننى أبوه ، كأنه يريد : وَدَّ أَبُوَّتِي سِوَاكَ كَانَ وَلَدًا حَلَالًا أَوْ حَرَامًا . والرّشْدَةُ : اسمُ الهَيْئَةِ فِي الرّشَادِ . وَاللَّغِيَّةُ : الفَعْلَةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الْغَى . وَهَكَذَا يُخْتَارُ أَنْ يُقَالَ هُوَ لِرِشْدَةٍ بِكَسْرِ الرَّاءِ ، وَاللَّغِيَّةُ بِفَتْحِ الْغَيْنِ . وَقَوْلُهُ « فَيَغْلِبُهَا » نَصَبُ جَوَابِ التَّمَنِّيِ بِالْفَاءِ ، وَالْعَامِلُ فِيهِ أَنْ مَضْمُورَةٌ . وَهَذَا شَرْحُ الْغِيَّةِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ وَلَدِي عَلَى رِشْدَةٍ ، أَوْ يَغْلِبُهَا فَحَلُّ مُنْجِبٌ عَلَى النَّسْلِ فَتَأْتِي بِهِ لَغِيَّةٌ . وَأَرَادَ بِالْفَحْلِ الْمُنْجِبِ نَفْسَهُ ،

(١) سبق له الحماسية ٢٩٩ ص ٨٩٣ .

(٢) التبريزي : « بن ثعلبة بن سعد بن ضبة » . وقد كرر أبو تمام في هذه الحماسية البيتين ٤ ، ٥ وهما بيتا الحماسية ٢٩٩ . وقد سبق نظير هذا التكرار في الحماسية ٣٣ حيث كررت في رقم ٢٠٩ .

ويعنى ببيعها على الذئب غلبة الشبه ليرثه من هجفتها . وإذا قال القائل وددت
أننى أجيئك فتكرمنى ، فقوله فتكرمنى انتصب ولم يعطف على أجيئك ، لمخالفة
آخر الكلام أوله ، وذلك أن قوله أننى أجيئك متمنى غير واجب ،
وفتكرمنى ليس من التمنى^(١) بل هو واجب ، فلما خالفه نوى بالأول الاسم ،
وأضربعد الفاء أن ، لتكون الفاء عاطفة لاسم على اسم ، فكأنه قال : وددت
تجيبى إليك فإكرامك لى . وكذلك إذا قال : ألاماء فأشرب به ، يراد : لو كان
لى ماء لشربته ، تقديره : الأماماء فشر به .

٣ - فبالخير لا بالشرّ فارح مودّنى وأى امرى يُقتال منه الترهّب

كانه أقبل على هذا المغتاب له ، الناحية أثلته ، المداجى له بعداوة كامنة
مستحكمة فى الصدر فقال له : هذه المودة التى تظهرها من نفسك لى ، أرج
انتفاعك بالخير لا بالشرّ ، لأنك إن فعلت غير ذلك فإنما تحتاج إلى إصلاحه من
نفسك^(٢) ، فأما إذا كانت المودة صافية ، والعميدة خالصة ، فإن صاحبها لا يرجو
بها إلا خيراً ، وكيف يرجو غيره من ثماره وهو يغرس الخير لا الشرّ . وقوله
« أرج مودّنى » أى أرج مودّتك لى ، والمصدر يضاف إلى المفعول كما يضاف إلى
الفاعل . وقوله « أى امرى يُقتال منه الترهّب » فعنى يُقتال يُحتكم ، وهو يُفتعل
من القول ، يريد أى رجل يُحتكم عليه ومنه الترهّب ، التخوف ، وترك
السكون والأمنة إليه . أى كيف يُطلب ودّه على الرهبة منه .

٤ - أقول وقد فاضت بعينى عبرة أرى الأرض تبتى والأخلاء تذهب

(١) ل : « من التمنى » .

(٢) كذا وردت العبارة فى النسختين .

٥- أَخِلَاءُ لَوْ غَيْرُ الْجِمَامِ أَصَابَكُمْ عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الدَّهْرِ مَعْتَبٌ
 قوله « وقد فاضت بعينيَّ عبرة » اعتراض بين الفعل ومعموله . وقوله
 « أرى الأرض تبقى » متصل بقوله « وقد فاضت بعينيَّ عبرة » ، وهو
 من جملة الاعتراض . ومفعول أقول البيت الثاني . فيريدُ : أقول وقد اتصل
 بالبكاء مني ، وسالت العَبْرَاتُ من عيني ، إذ كنتُ أرى الأرضَ باقية ،
 والإخوان الخُلصَ ذاهبة ، وأنا لا أملكُ شيئاً : أَخِلَائِي إني مَغِيظٌ مغلوب ،
 مأخوذٌ عن عَزَائِي لِمَا أتاه الدهر ، ولكني إذا أفكرتُ^(١) وكان سببُ
 اخترامِكِ الموتُ الذي تتساوى فيه الأقدامُ فلا يُبقي على شريفٍ ولا وضيع ،
 ولا صغيرٍ ولا كبير ، صدّني ذلك عن العتب ، لأنَّ الموتَ لا مَعْتَبَ عليه ؛
 ولو كان الجاني فيكم ، والسالبُ لكم غير الموتِ لعتبتُ على الدهر ، وقلتُ
 وأكثرتُ في موضع القول ، وانتصفتُ وأسرفتُ في موضع الفعل . ويقال
 عَتَبْتُهُ فَأَعْتَبَ ، أي لُئِمْتَهُ فَأَرْضَى . ويروي « أَخِلَائِي » بالقصر وإثبات ياء
 الإضافة ، و « أَخِلَاءُ » بالمد وحذف ياء الإضافة ، وهذا أجود .

٣٦١

وقالت امرأة^(٢) :

١- أَلَا فَاقْصِرِي مِنْ دَمْعِ عَيْنَيْكَ لَنْ تَرَى أَبَا مِثْلِهِ تَنْمِي إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ

(١) ل : « فكرت » . والإفكار والتفكير بمعنى .

(٢) قال أبو رِيَاش : « والذي عندي أن هذه الأبيات لحمد بن بشير ، أحد بني الحارِجِيَّة ،
 يرثي بها أبا عبيدة بن عبد الله بن زمة بن الأسود بن المطلب » . وأبو عبيدة هذا والد هند
 أم محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن ، وجده زمة كان أحد « أزواد الركب » . فذكر
 أبو رِيَاش أن عبد الله بن حسن دعاه فقال : إن هذا قد جزم على أبيها فقل أبيتاً تسليماً بهن
 منه . فقال : قد قلت ، فقال : قم فادخل . فدخل إليها وهو معه فقال :

٢ - وقد عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ صَوَادِقُ إِذْ يَنْدُبْنَهُ وَقَوَاصِرُ

تقول متسليّة ورافعة الطّمع من أن يكون الجزع يرُدّ فائتًا ، فقالت كفى من دمع عينيك ، ونَهْنِهِي عَبْرَاتِكَ ، فَإِنَّكَ لَنْ تَرَى مَنْ تَعْتَاضِينَهُ مِنْ أَبِيكَ الَّذِي كَانَ إِلَيْهِ يَنْتَمِي الْمَفَاخِرُ . ومعنى « تَنْمَى إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ » أنه غاية المفاخر ، فهي إليه تنتمي . وَيُرْوَى : « يَنْمُو إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ » بضم الميم ، والمعنى يَرْتَقِي إِلَيْهِ الْمَفَاخِرُ إِذَا نَافَرَ خَصْمَهُ وَجَادَبَهُ .

وقولها « وقد عَلِمَ الأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ صَوَادِقُ » استشهدت بطوائف الأَقْوَامِ عَلَى اخْتِلَافِهَا ، وَذَكَرْتُ أَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ بَنَاتِ هَذَا الْمَتَوَقَّى فِيمَا يَنْدُبُنَ بِهِ أَبَاهُنَّ وَيَذَكُرْنَهُ مِنْ فَضَائِلِهِ وَإِفْضَالِهِ ، آتِيَاتٌ بِالصِّدْقِ غَيْرِ الْكُذْبِ ، وَعَاجِزَاتٌ عَنِ بُلُوغِ الْغَايَةِ الَّتِي يَسْتَحَقُّهَا أَبُوهُنَّ الْمُرْتَى ، فَإِنَّ الْقَوْلَ لَا يُحِيطُ بِحُدُّهُ ، وَالْوَصْفَ لَا يَنْظِمُ كُنْهَ حَقِّهِ .

٣٦٢

وقال آخر (١) :

١ - سَتَى جَدَّثَاوَارِي أَرِيْبَ بْنَ عَسْعَسٍ مِنْ الْعَيْنِ غَيْثٌ يَسْبِقُ الرَّعْدَ وَابِلَهُ

= إذا ما ابن زاد الركب لم يمس بائنا
فقومى اضربى يا هند عينيك لن تزي
وكنت إذا ماشئت سنيت والندأ
وقد علم الأَقْوَامُ أَنَّ بَنَاتِهِ
فقا صفر لم يقرب الفرش واتر
أبا مثله تنمى إليه المفاخر
يزين كما زان اليدين الأساور
صوادق إذ يندبته وقواصر

فقامت فصاحت هي وجوارها وجعل يصيح معهن ، فقال له عبد الله : يا عدو الله دعوتك تعزيبها فهيجتها على البكاء . فقال : وبما كنت عسى أن أعزى بنت [ابن] زاد الركب ، من يعزى أنا عنه ، لا والله لا أعزى عنه ولكنى أمر بالخرن عليه وأحض على ذلك .

(١) التبريزى : « وقال القلاخ . قال أبو هلال : فى الشعراء ثلاثة يقال لهم القلاخ . أحدهم القلاخ الراجز بن حزن بن جناب بن منقر ، القائل :

* أنا القلاخ بن جناب بن جلا *

٢ - مُثٌّ إِذَا أَلْقَى بِأَرْضٍ بَعَاءَهُ تَغَمَّدَ سَهْلَ الْأَرْضِ مِنْهُ مَسَابِلُهُ

دَعَا لِقَبْرِ الْمُرْتِيِّ بِالسُّقْيَا ، وَهُوَ أَرِيْبُ بْنُ عَسَّسٍ . وَمَعْنَى « مِنْ الْعَيْنِ »
مِنَ السَّحَابَاتِ الَّتِي تَنْشَأُ مِنْ عَيْنِ الْقَبْلَةِ^(١) وَهِيَ أَغْزَرُ ، فَلِذَلِكَ خَصَّهَا . وَقَوْلُهُ
« يَسْبِقُ الرَّعْدَ وَابِلُهُ » يَطْلُبُ بِهِ الْكَثْرَةَ . وَالْوَابِلُ : الْمَطَرُ الضَّخْمُ الْقَطْرُ ، وَإِذَا
سَبَقَ الْمَطَرُ الرَّعْدَ كَانَ النَّوْءُ أَغْزَرَ .

وقوله « مُثٌّ » لم يرص بأن يكون سقياه عارضاً ، ولكن جعل الغيث
مُثًّا ، وهو [بمعنى^(٢)] مقيم . وقوله « إِذَا أَلْقَى بِأَرْضٍ بَعَاءَهُ » يريد إِذَا جَاءَ
مَطَرُهُ عَلَى أَرْضٍ فَوَضَعَ أَثْقَالَهَا بِهَا امْتَلَأَتْ الْوَهَادُ ، وَتَغَمَّدَتْ الْمَسَابِلَ بِطُونَ
الْأَبَاطِحِ السَّهْلَةِ . وَالْبَعَاعُ : الثَّقَلُ ، وَالْجَهَّازُ . يُقَالُ : بَعَّ السَّحَابُ بَعًّا وَبَعَاءَةً ،
إِذَا أَلْحَ بِمَكَانٍ فَأَلْقَى بَعَاءَهُ فِيهِ .

٣ - فَمَا مِنْ فِتْيٍ كُنْنَا مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا بِهِ نَبْتَغِي مِنْهُمْ عَمِيدًا نُبَادِلُهُ

٤ - أَيَوْمٍ حِفَاطٍ أَوْ لَدَفْعٍ كَرِيهَةٍ إِذَا عَيَّ بِالْحِمْلِ الْمُعْضَلِ حَامِلُهُ

قَوْلُهُ « فَمَا مِنْ فِتْيٍ » يَدْتُ فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ ، وَتَلْخِيصُهُ مُبَيِّنًا مُعَادًا كُلَّ
شَيْءٍ إِلَى مَوْضِعِهِ : مَا مِنْ فِتْيٍ مِنَ النَّاسِ كُنْنَا نَبْتَغِي بِهِ وَاحِدًا مِنْهُمْ عَمِيدًا نُبَادِلُهُ^(٣) .

فَعَلَى هَذَا قَوْلُهُ « مِنَ النَّاسِ » مِنْ صِفَةِ الْفِتْيِ ، وَبِهِ يَعُودُ الضَّمِيرُ إِلَى الْفِتْيِ .
وَالْمَعْنَى : كُنْنَا بِسَبَبِهِ نَبْتَغِي وَاحِدًا مِنْهُمْ - أَي مِنَ النَّاسِ - عَمِيدًا ، مِنْ صِفَةِ

= وَالْآخِرُ الْقَلَاخُ بْنُ زَيْدٍ أَحَدُ بَنِي عَمْرٍو بْنِ مَالِكٍ ، وَهُوَ الْقَائِلُ :

وَلَا يَسْتَوِي يَازَيْدُ دَرَجٌ وَمَجْمَرٌ وَصَدْرُ سِنَانٍ فِي الْحُرُوبِ مَحْرَبٌ

وَالْقَلَاخُ الْعَنْبَرِيُّ ، ذَكَرَهُ دَعْبَلُ فِي شِعْرَاءِ الْبَصْرَةِ . وَهَذَا هُوَ : قَلَاخُ بْنُ حَزْنٍ . وَانظُرْ

أَمْثُوتَلَفَ ١٦٨ وَالْإِشْتِقَاقَ ١٥٣ وَاللَّامُ ٦٤٧ وَالشُّعْرَاءَ ٦٨٨ .

(١) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « مِنَ السَّحَابِ الَّتِي تَنْشَأُ عَنِ الْقَبْلَةِ » ، وَفِيهِ تَحْرِيفٌ .

(٢) بِمِثْلِهَا يَلْتَمُّ الْكَلَامُ .

(٣) انظُرْ مَعَاهِدَ التَّنْصِيصِ (١ : ١٦) رَهُ فِي تَعْمِيدِهِ شَبِيهَ بِقَوْلِ الْفَرَزْدَقِ :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مِمَّنْكَ أ. أُمُّهُ حَى أَبُوهُ يُقَارِبُهُ

الواحد ، لأننا جعلنا واحداً مفعولاً لنبتغى . نُبادله ، أى نُبادِلُ به الناسَ ، فحذف الجارَّ وقال نبادله . على هذا قول عارقِ الطائيّ :

* وليس من الفوتِ الذى هو سابقه^(١) *

أى سابقُ به . وخبر ما محذوف ، كأنه قال : ما فتى ذا صفتُه بموجودٍ فى الدنيا ، وما أشبهه .

وقوله « ليومِ حِفاظٍ » اللام تعلق بقوله نبادله ، [أى نُبادِلُ^(٢)] به لهذا الشأن ، وهو أن يحافظ على حسبِه محافظة الكرام ، أو يدافع الكرائه والشدائد لدى الجدَلِ والخِصامِ ، فى وقتٍ من الزمان يعزُّ من العشير من يكفيه الهزيمة ، وترى الناهض بالاثقال لتضاعف المؤن والبلايا يعيا بما يحمله فيعده داءً عُضالاً . وأصل العضل : المنع والتضييق . ويقال عضلت المرأة وعضلتها ، إذا منعتها من التزويج . وعضلت ، إذا عسر ولادها^(٣) .

٥— وذى تُدرًا ما لليث فى أصلٍ غابَةٍ بأشجع منه عند قرنٍ يُنازله^(٤)

٦— قبضت عليه الكف حتى تُقيده وحتى يبنى للحق أخضع كاهله

قوله « وذى تُدرًا » الواو عاطفة ، وانجرّ ذى بإضمار رُبِّ . وتُدْرًا : تُفعل من الدرء ، وهو الدَفْعُ بشِدّة . فيقول : رُبَّ رجلٍ هكذا ما الأسدُ فى خِدره بأقوى قلباً منه نظير له فى بأسه وشِدّته يُنازله . فقوله « ما الليث » إلى آخر البيت ، من صفة ذى تُدرًا . والغابة : الأجمة . وإنما قال « فى أصلٍ غابَةٍ »

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « من الموت » من حماسية تأتى فى الرابع . وصدوره :

* إلى المنذر الخير بن هند تروده *

(٢) التكلة من ل .

(٣) الولاد : الولادة . وفى الأصل : « ولدها » ، صوابه فى ل .

(٤) التبريزى : « فى أصلٍ غابه » .

إشارة إلى دخوله وتمكُّنه من غايتها . والمفاصلة إنما تكون عند تضايق المجال وتداني [أطراف ^(١)] موضع الالتقاء ، عن الإقدام والإحجام .

وقوله « قبضت عليه الكف » يقول : جمعت عليه قبضتك فمنعته عن الانفصال عند الخروج من إسارك ، حتى أمكنتك من الاقتياد منه ، وحتى عاد كاهله خاضعاً للحق راضياً به . والخطاب بجميع هذا للمرثى . وإنما يصفه بحسن الثبات في معاركة الخصوم ومزاوتهم ، وأنه باقى الصبر في استيفاء الحقوق عليهم . وقوله « كاهله » يجوز أن يرتفع بقوله بِنِي ^(٢) . ويجوز أن يرتفع على البدل من المضمَر في بِنِي ، وحينئذٍ يحتمل ضميراً للذي تُدرا . وأخضع ينتصب على الحال في الوجهين جميعاً ، ويجوز أن يرتفع أخضع فيكون خبراً مقدّماً ، وكاهله يكون مبتدأ . والأخضع : الذي في عنقه انخفاض وتطاطؤ .

٧ - فَتَى كَانَ بَسْتَحْيِي وَيَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَلْحَقُ بِالْمَوْتِي وَيُذَكِّرُ نَائِلُهُ

[راجع الإخبار عنه ثانياً ^(٣)] فيقول : هو فتى كان الحياء يملكه فلا يتعاطى ما يقبُح في الأحدثوة ، ولا يسمع منكراً إلا ألغاه ، ولا رأى مستشنعاً إلا رفضه وأقصاه ، ليطيب مسمع ما يروى عنه ، ومنظره فيما يشاهد منه . وقوله « ويعلم أنه سيلحق بالموتى » يقول : تيقن أن الخلود لا مطامع فيه ، فإن الذي له من المال ما يقدمه لِمُتُوته ، وادّخاراً لأُكرومة ، إذا تحدّث عنه بها كان ذِكْرُه حَيّاً وإن كان الشَّخصَ فينا مغيباً .

(١) التكملة من ل .

(٢) ابن جنى : « أراد يئو ، أى يرجع ، فحذف الهمزة البتة ، كما حكى عنهم : جايحي ، وسايسو » .

(٣) التكملة من ل .

٣٦٣

وقال الضبي:

- ١ - أأَبِي لَا تَبَعْدُ وَلَيْسَ بِمُخَالِدٍ حَيٌّ وَمَنْ تُصِيبِ الْمَنُونُ بَعِيدٌ
 ٢ - أأَبِي إِنْ تُصْبِحَ رَهِينَ قَرَارَةٍ زَلَجَ الْجَوَانِبِ قَعْرُهَا مَلْحُودٌ^(١)
 ٣ - فَلَرُبَّ مَكْرُوبٍ كَرَّرْتَ وِرَاءَهُ فَمَنْعَتَهُ وَبَنُو أَبِيهِ شُهُودٌ
 ٤ - أَنْفًا وَمَحْمِيَّةً وَأَنْكَ ذَائِدٌ إِذْ لَا يَكَادُ أَخُو الْحِفَاطِ يَدُودٌ
 ٥ - وَلَرُبَّ عَانَ قَدَفَكَ كَتَّ وَسَائِلٍ أَعْطَيْتَهُ فَعَدَا وَأَنْتَ حَمِيدٌ
 ٦ - يُبْنِي عَلَيْكَ وَأَنْتَ أَهْلُ ثَنَانِهِ وَلَدَيْكَ إِمَّا يَسْتَزِدُّكَ مَزِيدٌ

البيت الأول يشتمل على أنواع ثلاثة من الكلام: فقوله «لا تبعد» ما يُندب [به^(٢)] الموتى على إظهار الفاقة إلى حياته ، وقد مرّ القول فيه^(٣) . وقوله «وليس بخالد حي»^(٤) وإيمانٌ بمحتوم القدر ، وأن ذلك يوجب على المصاب الصبر والائتساء بفرق الخلق . وقوله «ومن تصب المنون»^(٥) بعيد

(١) التبريزي : «زليخ» . والزليخ ، بالفتح : الدحض المزلة ، وهو وصف بالمصدر . ويقال مكان زليخ أيضاً بفتح فكسر . وكتب في ل لتقرأ «زليج» و «زليخ» بنقطة في الأعلى وأخرى في وسط الجيم ، وهما بمعنى .

(٢) هذه من ل .

(٣) انظر ما مضى في ٨٩٢ ، ٩٠٥ .

(٤) في الأصل : «تشك» ، صوابه في ل .

(٥) التبريزي : «قال أبو العلاء : قوله ومن تصب المنون جزم بمن ، ولم يأت للشرط بالجواب . وهذا على إرادة الفاء ، كأنه قال : ومن تصب المنون فهو بعيد . ومثله :

من يفعل الحسنات الله يشكرها والشر بالشر عند الله مثلان

أراد : فانه يشكرها . ومثله قول أبي ذؤيب :

فقلت تحمل فوق طوقك إنها مطبوعة من يأتها لا يضيرها .

تبرؤ من الجرى على عادة الناس في المصائب و-اتراف بأن الموت يبعد الالتقاء بين الأحياء والأموات ، فلا تزاورَ ولا تراسل ، ولا تحاطب ولا تكاتب . فكلُّ هذا تحسُّرٌ وتوجُّعٌ .

وقوله « أأبى إن تُصْبِحَ رهينَ قرارةٍ » جواب الشرط أول البيت الذي يليه ، وهو قوله « فلربُّ مكروبٍ » . والمعنى : إن خأيتَ مكابك من الدنيا وصرتَ مرهوناً في قرارة قبرٍ زلِقِ الجوانب ، صريعُه لا يُنعشُ ، ورهينُه لا يُفكُّ ، وأسيرُه لا يُتَخَلَّصُ بمنٍ ولا فِداءً ، ولزيمُه لا يَتَمَّاسُ^(١) لوقتٍ وعِدَادٍ ، فلربما فعلتَ كذا وكذا . وقوله « قعرُها ملجود » ، تصويرٌ للقبر بلجده .

وقوله « فلربُّ مكروبٍ كررتَ وراءه » يريد : ربُّ مُضَيِّقٍ عليه أسلمه بنو أبيه لما امتحن به حتى تمكن العدو منه ، أنتَ تَعَطَّفْتَ عليه ، وصرفتَ عنايتك إليه ، نَخَفَّتْ ثِقَلَه ، وألقيتَ عنه وِزرَه ، ودفعتَ من فَوْرَتِه^(٢) دونه ، ومواليه من بنى الأعمام وغيرهم حضورٌ لا يرعون له إلا ، ولا يحفظون له عهداً .

وقوله « أنفًا وحميةً » انتصب على [أنه^(٣)] مفعول له ، وما بعده معطوفٌ عليه وفي معناه ، كأنه ذكر العلة الموجبة لما أتاه فقال : فعلت ذلك حميةً وأنفةً ، وأنَّ عادتكَ المدافعة عن كلِّ مَنْ يتعلَّقُ بك ، أو يتمسِّكُ بعروةٍ من عرَمَى عنايتك ، غريباً كان أو نسيباً ؛ وهذا تفعله في وقتٍ يزهدُ

(١) التملص والتفلت . في الأصل : « التمسك » ، صوابه في ل .

(٢) المألوف في التعبير « من فوره » أى قبل أن يسكن . لكنه أراد المرة من الفور .

(٣) التكلمة من ل .

الناس في الإحسان ، لشدة الزمان ، وبُرى المحافظ ممسكاً والمراعي مُهملاً .
 وقوله « ولربّ عانٍ قد فككت » فالعاني : الأسير ، وأصله من عنا يعنو ،
 إذا خضع . على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ . فيقول :
 ربّ مأسورٍ أخرجته من ضيق الإِسارِ إلى سعة الأمان ، فأطلقت كِبَلَهُ ،
 ونزعت غاه ؛ وربّ سائلٍ اجتدّك فأغنيتّه ، وعن التجوال أهدته ، فانصرف
 عنك وهو يُبني عليك ويتشكّر^(١) نعمتك ؛ وقد استحققت عليه ذلك بما
 أسديته إليه ، ولو عاد إليك لوجد معاداً لا ضجر منك يلحقه ، ولا سامة فيك
 تمحقه ، وإن استزاد زِدته ، لا يُمنع من موجود ، ولا يُحالُ على مفقود .

٣٦٤

وقال عكرشة أبو الشغب^(٢)

يرثي ابنه شغباً :

١ - قد كان شغبٌ لو أن الله عمّره
 عِزًّا تُزَادُ بِهِ فِي عِزِّهَا مُضْرُ
 ٢ - فارقت شغباً وقد قوسّت من كبر
 لبئست الخلتان : الشكْلُ والكِبْرُ
 يعظّمُ شأنَ ابنه ، وذلك أنه كان قد برع في فضله ، وورد أبواب الملوك
 فقبِلته العيونُ والقلوبُ نباهةً وحلاوةً ، وتوجّهاً وتقدُّماً . فقال : لو أنّ القضاء
 أمهلَ ابني شغباً ولم يُعاجِلْهُ^(٣) عن استكمالهِ ، وعن الاستمتاع بما توحد به من
 فضائله ، لكان بقاؤه عزّاً مُستجداً لقبائلٍ مُضِرِّ كلِّها ، تُضيفُهُ إلى عزِّها ،
 وتبجج باستقرارها .

(١) هذا ما في ل . والتشكر : الشكر . وفي الأصل : « ويشكر » .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ٣١٤ ص ٩٢٧ .

(٣) في الأصل : « يعالج » ، صوابه في ل .

وقوله « فارقته شغبًا » عاد إلى ما يخص نفسه من الفجع بموته ، والجزع لفراقه ، فقال : فارقته والكبير قد صاحني ، وحنى ظهري ، وانتقص جليدي ، وأوهن قواي ، ولا أمل في إدراك مثله ، ولا استقلال بالنهوض بأعباء أهله . ثم قال متحسرًا : بنست الخلتان المجتمعتان لي : ثكل من لا يعترض منه أبد الدهر ، والكبير المقصر للأمل ، المقرب ليوم الأجل .

٣٦٥

وقال آخر يرثى ابنه :

١ - لله درُّ الدافنيك عشيَّةً أما راعهم في القبر مئواك أمردا
 ٢ - مجاور قوم لا تزاور بينهم ومن زارهم في دارهم زارهمدا
 قوله « لله درُّ الدافنيك » ، فدرُّ ، وإن كان في الأصل مصدرًا فقد أزم هذا الموضع وجرى الكلمة به لكثرة الاستعمال تجرى : لله خيرك ، فلا يعمل في ظرف ولا في حال ؛ ولا في شيء مما يعمل فيه أمثاله من المصادر . فيقول على وجه التعجب من الذين تولوا دفنه في عشيَّة يومه : لله درُّهم ، أما أفزاعهم مقامك في القبر على استقبال شبابيك ، ونضارة غصنك وقرب ميلادك ، حين لم تجتمع نفسك ، ولا توجه وجهك . وفي طريقته قول الآخر^(١) :

أيا شجرَ الحبابورِ مالكِ مُورِقًا كأنك لم تحزن على ابنِ طريفِ^(٢)

(١) هو الفارعة ، أو فاطمة ، أو ليل بنت طريف ، أخت الوليد بن طريف . حماسة البحتری ٤٣٥ ووفيات الأعيان في ترجمة الوليد بن طريف .

(٢) أنشد القالي أربعة أبيات من قصيدة البهت في الأمالي (٢ : ٢٧٤) وفي العقدة

(٣ : ٢٧٩) ستة أبيات منها ، على حين أنشد ابن خلكان القصيدة بأجمعها .

وأبلغ منهما قول الآخر^(١) :

أَبْعَدَ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ بِهِ الْأَرْضُ تَهْتَزُّ الْعِضَاهُ بِأَسْوَقِ

وانتصب «أسرد» على الحال، وأصل التمرّد التماس والانجراد. يقال :
صخرةٌ سرءاء، إذا لم يفبت عليها شيء.

وقوله «مجاور قوم لا تزاور بينهم» هذا حال الأموات فيما بينهم،
يتجاورون ولا يتزاورون، ومن زارهم من الأحياء منا انصرف عنهم بالخبيمة،
والزيادة في الغمة والحسرة. والهمد : جمع هامد، وهو الميت؛ وأصله من همود
الغار. ويقال للثوب إذا بلى : قد همد.

٣٦٦

وقال لبيد^(٢) :

١ - لَعَمْرِي لئن كان المُخَبَّرُ صادقاً لقد رُزِئتُ في حادِثِ الدهرِ جَعْفَرُ^(٣)

٢ - أَخا لِي أَمَا كُلَّ شَيْءٍ سَأَلْتُهُ فَيُعْطِي وَأَمَا كُلَّ ذَنْبٍ فَيَغْفِرُ

يرثي بهذا أربد أخاه. وقوله «إن كان المخبر صادقاً» فهو قد علم صدق
الحديث، لكنّه لاستعظامه للنبأ، ونخامة أمر المتوفى في النفوس وعنده،
يرجع على الخبر بالتكذيب، ويدخل الشك على المشهود والمسموع، كما قال
الآخر^(٤) :

(١) هو الشماخ بن ضرار. وسيأتي في الحماسية ٣٨٨.

(٢) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر العامري، الشاعر المشهور، وأحد مخضرمي
الجاهلية والإسلام. ابن سلام ٤٨ والشعراء ٢٣١ - ٢٤٣ والأغاني (١٤ : ٩٠ - ٩٨)
والخزانة (١ : ٣٣٤ - ٣٣٩) وطبقات ابن سعد (٦ : ٢٠) وأسد الغابة والإصابة
والاستيعاب.

(٣) الأبيات في ديوان لبيد ٣ طبع ١٨٨١.

(٤) هو النابغة يرثي حصن بن حذيفة بن بدر، كما في شروح سقط الزند ٨١٣.

(٣ - حماسة - ثالث)

* يقولون حِصْنٌ ثُمَّ تَأْتِي نَفْسُهُمْ^(١) *

واللام من « لَعَمْرِي » لام الابتداء ، ومن قوله « لئن » هي الموطئة للقسم ، ومن قوله « لقد » هي جواب القسم .

والمعنى : وبقاى لئن وردَ هذا الخبرُ من صادقٍ برىءٍ من الحسد والنزبُ مؤدِّ لما تحقَّقه سماعاً أو عياناً . لقد أصيبت قبيلةُ جعفر بن كلابٍ فيما حدث من ريب الدهر بمرزبةٍ عظيمةٍ فظيمة .

وقوله « أخألى » انتصب عن « رُزئتُ جعفر ، أى رُزئتُ شقيقاً لى هذا صفتُهُ ، وهو أن سماحتَهُ وتكرّمَهُ كانا يبعثانه على بذلِ كلِّ حَسنةٍ تُقترَح عليه ، وأن سلاستَهُ وسهولتَهُ تدعوانه إلى التَّجافى عن كلِّ سيِّئةٍ تَبْدُرُ إليه .

٣٦٧

وقالت زينب بنت الطثرية^(٢) ترثى أخاها :

١ - أَرَى الْأَثْلَ مِنْ بطنِ الْعَقِيقِ مَجَاوِرِي مُقِيمًا وَقَدْ غَالَتْ يَزِيدَ غَوَائِلُهُ^(٣)

الأثلُ : شجر . وإنما قالت ما قالت منكراً ومستوحشة ، إذ كان الحكم

(١) عجزه : * فكيف يحصن والجبال جنوح *

(٢) كلمة « بذت » ساقطة من النسختين .

(٣) الطثرية أمها ، وهى من الطثر ، بالفتح ، حتى من اليمن . قال ابن خالكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الشاء المثناة » . وضبطها صاحب القاموس بالتجريك . وهى ترثى بهذه الأبيات أخاها يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر ، وكان يزيد جميلاً شريفاً متلافاً ، توفى سنة ١٢٦ . وروى أبو الفرج فى الأغاني (٧ : ١١٦) أن الأبيات لأم يزيد ، وهى من الأزد . قال : ويقال إنها لوحشية الجرمية .

(٤) الأبيات فى حماسة البحترى ٤٣٣ والبيان للجاحظ (١ : ٢١٦) والأغاني وأمالى

القالى (٢ : ٨٥) . والبيتان ٢ ، ٣ من هذه المقطوعة قد رويها فيما مضى فى الحماسية ٣١١ . للعجير السلولى . قال القالى : « وفيها أبيات تروى للعجير السلولى ولها » .

عندها أن تتغير الأمور عن مقارها لموت أخيها، فتتحوّل الأحوال وتبدّل الأبدال، وتتخشع الجبال، وتتقلع الأشجار؛ فلما جرى الأمر بخلافه أخبرت متوجّعة ومتحسّرة، فقالت: إن بطن العقيق ومنابت أثله بما تحويه أرى مقيا في جوارى على ما كان عليه، وأخي يزيد قد دعاه محتوم القضاء فذهب به غوائله. ويقال: غالته الغوائل، أي أهلكته المهالكات، وهذا كما يقال: عَلِقَتْ بِهِ الْعَلُوقُ. وانتصب «مقيا» على أنه مفعول ثانٍ لأرى، ومجاورى في موضع الجرّ على أنه صفة لبطن العقيق.

٢ - فَتَى قَدْ قَدَّ السِّيفِ لَا مَتَضَائِلُ وَلَا رَهْلُ لَبَّاتُهُ وَأَبَاجِلُهُ^(١)

وصفه بأنه في خِلقة السيف تجرّداً واقتضاباً، وعلى خُلقة مضاء ونفاذاً. وقوله «لامتضائل» يريد أنه شهيم حتى النفس والقلب، جرىء المقدم، لا يتخاشع لشيء ولا يماوت على حدّث. والضؤولة، أصله الدقّة. والرهل: المسترخى. يصفه بقِلّة اللّحم على الصّدر والسّاق. والأباجل: جمع أنجل، وهو عرق^(٢). وذكر الأباجل وهو يريد مواضعها. وجمعه كما يقال هو ضخم العنانين، كأنه أراد ما حوله.

٣ - إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ كَانَ عَذَوْرًا عَلَى الْحَيِّ حَتَّى نَسْتَقِلَّ مَرَاجِيهُ

العذور: السيّ الخلق، القليل الصّبر فيما يطلبه ويهمّ به. وإذا ظرف لقوله «كان عذورا». وصفه بأنه يجمع الحى لأمره فيطاع، لسيادته وجلالته محلّه، وأنه إذا نزل به الأضياف قام بنفسه في إقامة القرى لهم، غير معتمدٍ على أحدٍ فيه، وأنه يعرض له وفي خلقه عَجَلَةٌ يركبها، وتشدّد في الأمر والنهى على جماعة الحى به بصرفها، حتى تُنصبُ المراحل، وتُهيأُ المطاعم؛ فإذا ارتفع

(١) التبريزى: «وبآدله»، وهى رواية البحرى والقالى أيضاً.

(٢) هو عرق فى باطن الذراع، أو هو عرق غليظ فى الرجل.

ذَكَ عَلَى مُرَادِهِ عَادَ إِلَى خُلُقِهِ الْأَوَّلِ . والمراجِل : جمع مِرْجَل ، وهى القِدْر العظيمة النُّجاسية ، واستقلالها : انتصابها على الأثافي . وَحَتَّى تَسْتَقِلَّ ، أراد لتستقل وكي تستقل . أى كان عَذْوَرًا لذلك الشأن .

٤- مَضَى وَوَرِثْنَاهُ دَرِيْسَ مُفَاضَةٍ وَأَبْيَضَ هِنْدِيًّا طَوِيلًا حَمَائِلُهُ

يقول : أجاز دَاعِيَهُ فمضى لوجهه ، وورثناه دَرِيْسَ مُفَاضَةٍ . فانتصب دَرِيْسَ على أنه مفعول ثانٍ . ويقال : ورثته كذا وورثتُ منه كذا . فعلى هذه اللُغة كان أصله وَرِثْنَا مِنْهُ ، فحذفَ الجارَ ، ووصلَ الفعلَ فَعَمِلَ . والدَّرِيْسَ : الخَلْق من الدَّرْع وغيره ، لأنَّه كأنَّه فَعَمِلٌ بمعنى مفعول . والجمع الدَّرِسان . والمُفَاضَةُ : الدَّرْع الواسعة . وأبيض ، أى وسيفاً أبيض . وجعله طويلَ الحمايل لطول قَوَامِهِ . والمعنى أَنَّهُ أَنْفَقَ مَالَهُ فى ما ادَّخَرَ له أَجْرًا ، ونَشَرَ له حَمْدًا وشُكْرًا ، فلم يكن إزُّهُ إِلَّا ما ذَكَرَ من السَّلاح .

٥- وقد كان يُرْوَى المشرقى بكفه وَيَبْلُغُ أَقْصَى حَجْرَةِ الْحَيِّ نَائِلُهُ^(١)

وصفه بأنه كان غزاً شديداً النكاية فى الأعداء ، فكان يُعْطَى السيفَ حَقَّهُ إِذَا أَعْمَلَهُ ، وَيُرْوَى مِنْ دِمَاءِ مُشَاقِّهِ وَمُنَابِذِهِ إِذَا جَرَّدَهُ ، وَيَبْلُغُ أَبْعَدَ نَاحِيَةِ الْحَيِّ عَطَايَاهُ . وإنما قالت « يُرْوَى المشرقى بكفه » لأنها تريد أن نهضته فى ذلك بنفسه خاصَّةً من غير اعتمادٍ على حميم أو غريب ؛ لأنه كان لا يجرُّ الجرائزَ على ذويه ثم يتركهم لها ، ولكن كلُّ ما أتاه أو تجشَّمه فببفسه لا بغيره .

٦- كريمٌ إِذَا لَاقِيَتْهُ مَتَبِّسِّمًا وَإِذَا تَوَلَّى أَشْعَثُ الرَّأْسِ جَافِلُهُ

قولها « كريم » ارتفع على أنه خبر مبتدأ محذوف . أرادت : هو كريم إِذَا لَاقِيَتْهُ مَتَبِّسِّمًا . فانتصب « متبِّسِّمًا » على الحال . وجواب إِذَا يَدُلُّ عَلَيْهِ كريم .

(١) هذا البيت وتاليه وتفسيرهما ساقط من نسخة الأصل ، وإثباتهما مع تفسيرهما من ل .

فتقول : إذا لقيته راضياً ساكناً متبسماً لاقيت منه طلعة الكرام وأفعالهم ، وإن أعرض عنك وولى وجدته أغبر الرأس كثير الشعر ، لا يهتبه أمر نفسه في اللباس والطعام ، وإنما به الغزو والسعى في إصلاح أمر المشيرة ، وما يكسبه الجمال والشرف .

وقولها « أشعث الرأس » أى اغبر شعره وتلبّد . والفعل منه شعث شعثاً وشعوثة ، وهو أشعث وشعث . وقولها « جافله » من قولهم : أخذت جفلة من الصوف ، أى جزء منه . وفي كلام لهم عن الضائنة : « أجز جفلاً^(١) » . ويقال : جافل ، ومجفل .

٧ - إذا القوم أموا بيته فهو عامدٌ لأحسن ما ظنوا به فهو فاعله يجوز أن يريد بالقوم رجال الحى خاصة ، ويجوز أن يريد به طوائف الرجال ، ويكون المراد به الكثرة . وإنما وصفته بأنه مدبر المشيرة عندما يدهمهم ، والمشير عليهم فيما يحزبهم ، فإذا قصدوا حضرته قائلين ما نأمر وكيف نصنع ؟ أرشدهم وهداهم ، وتحمل عنهم ما يثقل عليهم . ثم بعد ذلك تعمّد إلى أحسن ظنونهم به فيأتيه معهم لا متبرماً ولا متكرهاً ، بل باسطاً من آمالمهم ، وجامعاً الحسن^(٢) فى كل باب لهم .

٨ - ترى جازريه يره عدان وناره عليها عداميل الهشيم وصامله

٩ - يجران ننيا خيرها عظم جارة بصيراً بها لم تعد عنها مشاغله^(٣)

(١) هو مما وضعوه على لسانها . وفى اللسان : « أولد رخالا ، وأحب كثيراً ثقلاً ، وأجز جفلاً ، ولم تر مثلى مالا » . قوله جفلاً ، أى أجز بمرة واحدة ، وذلك أن الضائنة إذا جرت فليس يسقط من صوفها إلى الأرض شئ . حتى يجز كله ويسقط أجمع .

(٢) ل : « الحسنى » .

(٣) التبريزى : « عظم جاره » .

جعلت له جازرين على عادتهم في جعلهم أصحاب المهن فيهم اثنين اثنين ، كالبائن والمستعلي في الحلب ، والماتح والقابل في الاستقاء . وجعلهما يرعدان لشدة البرد ، وإنما تعني وقت الجذب وعند إحمال الناس . والعداميل : العتيق من الحشب الغليظ ، واحدها عدمول على القياس وعودملي . والصامل : اليابس . والمعنى : إذا اشتد الزمان وشمل القحط واشتد البرد ، كان له جازران ينحران ، وناره عظيمة وقودها من الحطب الغلاظ العتيق ؛ وترى العفاة والمضرورين^(١) بالفناء نازلين ، وذوي الحاجة من جوانب الحى يعترون ، وهو يقتسم فيها ما يرضيهم .

وقولها « يجران ثنيا » يعنى الجازرين . والثنى : التى ولدت بطنين ، وهى مما يضمن بها . وقولها « خيرها » تريد : خير أبدائها ومفاصلها البدئية الذى يجعل لجارة له قد عرفها ، فهو بصير بها وبجالها . وليست تعنى جارة بعينها ، إنما المراد الكثرة ، فالجارات على ذلك لا تتخطاها أشغاله المزدهمة ، ولا يفض العناية بها الأسباب المتراكمة ، بل قد وصى بها وبأمثالها فيتفقذن بأوفر الأنصبا عند قسمة الجزور . وقالت « بصيراً بها » والفعل للمرثى ، فجرى على غير من هوله ، لأنه تبع الجارة ، وإذا كان كذلك فالواجب كان عليها أن تظهر ضميره فتقول بصيراً بها هو ، لأن اسم الفاعل والصفة المشبهة إذا جرى واحد منهما على ما قبله صفة أو صلة أو حالا أو خبراً لم يحتمل الضمير كما يحتمله الفعل ، لضعفه وانحطاط منزلته . وأكثر أصحابنا على أنه لا بد من ذلك ، حتى أن أبا الحسن كان يلحن الكلام إذا لم يجر على هذا السنن . والكوفيون وبعض أصحابنا يجوزون ترك إظهاره . وهذه الشاعرة دعتهما الضرورة إلى وضع المتصل موضع المنفصل ، فتركت التغير . وقولها « لم تعد

(١) المضروور : الذى أصابه الضر . فى الأصل . « المصرودين » صوابه فى ل .

عنها « أي لم تصرف . يقال : عدت بيننا عوادٍ ، أي صرفت صوارف .

٣٦٨

وقال أبو حكيم المري^(١) :

١- وكنت أرجى من حكيم قيامه على إذا ما النعش زال ارتدانياً

٢- فقدم قبلي نعشه فارتديته فياويح نفسي من رداءً علانياً

النعش : شبيهة بالبحفة ، كان يحمل عليه الملك إذا مرض ؛ ثم كثر حتى

سُمي النعش الذي فيه الميت نعشاً . يقول : كنت أوئل في حكيم ابني أن يتمهل

ويففس من عمره ، فيقوم على إذا مت ، ويرتدي نعشي إذا حمت ، ثم بعد

ذلك يقضى فيما أخلفه عليه ، وأعتد على كفايته وخلافته ، نجاب أملى وكذبني

ظني ، وقدم قبلي ، فارتديت أنا نعشه ، فوالبلاء نفسي من رداءً علاني بنعشه . وقوله

« ارتدانياً » تفسير لقيامه عليه^(٢) . وقد وضع الماضي موقع المستقبل ؛ أي

يرتدني في ذلك الوقت . ولو ساق الكلام على تلاؤم لقال : قيامه على

وارتدائه إيتاي إذا ما النعش زال ارتدانياً ، أي يرتدني ، فيكون إذا

ما النعش زال ظرفاً ، وارتداني مفعول أرجى . أي أرجوه يرتدني إذا

ما النعش زال .

(١) قال الزهري : وكان أبو حكيم قد قال :

يقتر بعيني وهو يقصر مدني مرور الليالي أن يشب حكيم

مخافة أن يغتالي الموت دونه ويفشى بيوت الحى وهو يتم

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « على » .

٣٦٩

وقال مُنْقِذُ الْهَلَالِيِّ (١) :

١ - الدَّهْرُ لَاءَمٌ بَيْنَ الْفَتَنِ وَكَذَلِكَ فَرَّقَ بَيْنَنَا الدَّهْرُ

٢ - وَكَذَلِكَ يَفْعَلُ فِي تَصَرُّفِهِ وَالدَّهْرُ لَيْسَ يَنَالُهُ وَتَر

نَسَبَ مَا اتَّفَقَ عَلَيْهِ وَعَلَى مُحِبِّهِ إِلَى الدَّهْرِ ، فَقَالَ : الدَّهْرُ جَمَعَ بَيْنَنَا وَسَوَّى الْفَتَنَةَ ، فَلَمَّا أَرَادَ كُلُّ مَنَّا أَنْ يَفْرَحَ بِصَاحِبِهِ كَمَا يَهْوَاهُ ، وَيَتَمَتَّعَ بِهِ وَيَتَمَلَّاهُ ، فَرَّقَ بَيْنَنَا وَشَدَّتْ شِمْلَنَا ، فَعَادَ مَا كُنَّا نَأْمُلُهُ مِنَ التَّمَلُّ وَالِاسْتِمْتَاعِ تَبَايُنًا وَتَوَجُّعًا (١) .

ومعنى وكذلك فرَّقَ بَيْنَنَا : ومثلُ ذلك . وأشار إلى ما دلَّ عليه لاءَم من التَّأليف . يريد : وكتأليفه فرَّقَ أيضاً . وكرَّرَ لفظ الدَّهْرِ تَفْخِيماً . وموضع كذلك نصبٌ على الحال من فرَّقَ بَيْنَنَا . وقوله « وكذلك يفعل في تصرُّفه » يريد أن الدهر في مصارفه فَعَّالٌ لمثل ما فَعَّلَ بِنَا ، يَهَبُ وَيَرْتَجِعُ ، وَيُؤَلِّفُ وَيَفَرِّقُ ، وَلَا يَتْرُكُ شَيْئًا عَلَى حَالِهِ إِلَّا رَيْثَ مَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرَ . وقوله « والدَّهْرُ لَيْسَ يَنَالُهُ وَتَرٌ » يريد أنه يَتَرٌ غَيْرُهُ فَلَا يُوتِرُ ، وَيَنْكِي فَلَا يُجَازِي ، فَلَيْسَ مَعَهُ إِلَّا الْإِسْتِسْلَامُ لِحُكْمِهِ ، وَالرِّضَا بِمَحْتَمُوهِ . وهذا الذى جعله للدَّهْرِ ، الْفَاعِلُ لَهُ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، تَعَالَى عَنِ الْأَشْبَاهِ .

٣ - كُنْتُ الضَّنِينِ بَمَنْ أَصِبتُ بِهِ فَسَلَوْتُ حِينَ تَقَادَمَ الْأَمْرُ

٤ - وَاخْتِزُّ حَظَّكَ فِي الْمُصِيبَةِ أَنْ يَلْقَاكَ عِنْدَ نَزْوَاهَا الصَّبْرُ

(١) هو منقذ بن عبد الرحمن بن زياد الهلالى . قال المرزبانى فى المعجم ٤٠٤ : « بصرى خليج ماجن ، متهم فى دينه ، يرمى بالزندقة ، كان فى صدر الدولة العباسية » . وأنشد له هذه الأبيات ما عدا الثانى منها . وكان من أصحاب والبة ومطبع وبشار وابن المقفع وأبان . الأغانى (١٦ : ١٤٣) .

قوله « كُنتُ الضَّنِينِ » تشكُّ (١) من الفراق الواقع بينه وبين مَنْ يرثيه ، وإظهارُ لضعفه كان به ، وتنافسُه فيه . فيقول : كُنتُ لا أَصْبِرُ عنه ، وأَعْدُ الأوقاتَ التي لا أراه فيها كُثْمَةً في العيش ، ونَقِصَةً من زَاكِي الحظِّ ، إذ كُنتُ لا أرى طِيبَ العيش إلاَّ معه ، ولا أعرِفَ طعمَ الحياة إلاَّ في صحبته فلما افترقنا وتقدّمَ العهدُ بيننا سلَوْتُ عنه ، حتَّى كَأَنِّي لم يَجْمَعُنِي وإيَّاهُ حالٌ . وهذا الكلامُ منه استقصارٌ لجزعه ، واعترافٌ بأنَّه لم يَفْعَلْ كُنتَه لواجبٍ عليه عند الرِّزِيَّةِ .

وقوله : « وَخَيْرُ حَظِّكَ » يريد : خير أنصباتك فيما تُصاب به وتعنوله ، أن يتلاقك الصَّبْرُ عند الصَّدمة الأولى لتصونَ به دينكَ ونفسكَ وعقلك ؛ لأنَّ المرجعَ إليه ، فألَّا يتسلى الإنسانُ تسَلَّى البهائمُ أحسنُ وفي هذه الطريقة قول الخُرَيْمِيِّ :
 وإني وإن أظهرتُ صَبْرًا وحِسْبَةً وصانعتُ أعدائيَ عليكَ لمَوجِعَ
 ولو شيتُ أنْ أبكي دَمًا لبِكَائِيتهُ عليكَ ولكن ساحةَ الصَّبْرِ أوسَعِ

٣٧٠

وقالت ابنةُ ضرارِ الضبية (٢)

ترثي أخاها قبيصةَ بنِ ضرارِ (٣) :

١ - لا تبعدنَّ وكلُّ شيءٍ ذاهِبٌ زيزرَ المجالسِ والنديِّ قبيصا

« لا تبعدن » لفظة قد مرَّ القولُ فيها فيما تقدّم (٤) . وقوله « وكلُّ شيءٍ ذاهِبٌ »

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « تسلى » .

(٢) التبريزي : « مية ابنة ضرار الضبية » .

(٣) كان قبيصة بن ضرار أحد فرسان ضبية . وكان قد شهد الكلاب الثاني حين اجتمعت مذحج لقتال تميم ، فهزمتهم تميم وقتلوا قريظهم عبد يغوث بن صلاة . وكان هذا للكلاب قبل الإسلام بقليل . الأغاني (١٥ : ٧٠ - ٧٢)

(٤) انظر ص ٨٩٢ ، ٩٠٥ .

تَسَلَّى . كأنها قالت متوجِّعةً : لا تَبْعَد ، ثم عَقَّبَتْهُ (١) بالتَّسَلَّى فقالت : وكل حتى
 مناميتٌ ، وكلُّ أمرٍ فينا متغيِّرٌ يا زَيْنَ المَجَالِسِ والنَّدَى يا قَبِيصَةَ . وقولها « وكلُّ
 شيءٍ ذاهبٌ » اعتراض بين المفادى وبين الدُّعاء له . والجمل المعترضة بين أنواع
 الكَلِمِ تَفِيدُ فِيهَا التَّأَكِيدَ وَتَحْقِيقَ مَعَانِيهَا . وقولها « زَيْنَ المَجَالِسِ والنَّدَى » ،
 إِنَّمَا ذَكَرْتَهُمَا وَهِيَ وَاحِدَةٌ لِأَنَّهَا أَرَادَتْ بِالمَجَالِسِ مَجَالِسَهُ خَاصَّةً إِذَا قُصِدَ لِإِنزَالِ
 المَاجَاتِ بِهِ ، وَاسْتِخْرَاجِ المَطَالِبِ مِنْهُ ، وَأَرَادَتْ بِالنَّدَى نَادَى الحَى . وَانْتَصَبَ
 قَبِيصَةَ عَلَى أَنَّهُ عَطْفُ البَيَانِ لِمَا زَيْنَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى تَكَرُّرِ النِّدَاءِ وَقَدْ
 رَجَّحَهُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : يَا زَيْنَ المَجَالِسِ يَا قَبِيصَةَ .

٢- يَطْوِي إِذَا مَا الشُّحُّ أَبْهَمَ قُفْلَهُ بَطْنًا مِنَ الزَّادِ الخَبِيثِ خَمِيصًا

يَصِفُهُ بِقِلَّةِ الشَّرِّهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَرْغَبُ مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا إِلَّا فِيمَا يَزِينُ
 وَلَا يَشِينُ ، وَيُسْتَطَابُ وَلَا يُسْتَخْبَثُ . وَقَوْلُهُ « إِذَا مَا الشُّحُّ أَبْهَمَ قُفْلَهُ » ،
 يَرِيدُ إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ فَصَارَ كُلُّ مَالِكٍ لشيءٍ يَبْخَلُ بِهِ حَتَّى لَا يُمْكِنَ اتِّزَاعُهُ
 مِنْهُ . وَإِذَا رَوَيْتَ « أَبْهَمَ قُفْلَهُ » عَلَى مَا لَمْ يَسْمَعْ فاعله ، فالمعنى أَحْكَمَ أَمْرَهُ
 وَجَعَلَ كَالْفَرَضِ الَّذِي لَا يَحْتَمِلُ التَّجَوُّزَ . وَإِذَا رَوَيْتَ « أَبْهَمَ قُفْلَهُ » جَعَلَ
 الفِعْلَ لِلشُّحِّ ، كَأَنَّ لَهُ قُفْلًا يُبْهَمُهُ . وَإِبْهَامُهُ : أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى وَجْهِهِ لَا يُدْرِي
 كَيْفَ يُفْتَحُ . فَيَقُولُ : هَذَا الرَّجُلُ يَطْوِي بَطْنًا لَهُ صَغِيرًا مَضْطَمِرًا مِنَ الزَّادِ
 السَّيِّئِ ، إِذَا تَمَلَّكَ البَخْلُ النَّاسَ لِشِدَّةِ الزَّمَانِ ، فَجَعَلَهُمْ كَذَلِكَ .

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « علقته » .

٣٧١

وقال عكرشة الضبي^(١) يرئى بنيه :

- ١ - سقى الله أجداناً ورأى تركتها بحاضر قنسرين من سبل القطر^(٢)
٢ - مَضُوا لا يريدون الرّواح وغالهم من الدهر أسباب جرّين على قدر^(٣)

الأجدات : القبور ، وكذلك الأجداف بالفاء . ويعنى بالأجدات قبور بنيه .
ودعا لها بالشقيا وجعل موضعها بحاضر قنسرين ، إجلالاً لها وتنبيهاً عليها .
وقوله « من سبل القطر » مفعول ثان لسقى الله . والمعنى : سقى الله هذه القبور
التي وصفتها من ماء السحاب ما سال على عجلة وبشدة . وخص ذلك لأنها
أعذب المياه عندهم . والقصد في طلب الشقيا لها أن تبقى عهداً غضة حمية من
الدروس ، طرية لا يتسلط عليها ما يزيل جدتها ونضارتها . ألا ترى أنه لما
أراد ضد ذلك قال :

* فلا سقاهنّ إلا النار تضطرم^(٤) *

وقوله « مَضُوا لا يريدون الرّواح » يريد : ساروا لا يعرجون على شيء ،
فلا يريدون لبناً ولا مقاما ، بل استعجلوا فتعجلوا ، وأهدكهم من أحداث

(١) التبريزي : « عكرشة العبسي » ، وهو الصواب ، وهو أبو انشعب العبسي الذي ترجم
في ص ٩٢٧ .

(٢) البيت ١ ، ٢ ، ٥ في مجالس ثعلب ٢٤٢ . وانبئت ٥ وقبله بيت آخر لم يروه
أبو تمام في اللآلي ٤٢٨ . وهذا البيت هو :

غطارفة زهر مضوا لسبيلهم ألهى على تلك الغطارفة الزهر
ورواية ثعلب : « فتيانا ورأى تركتهم » .

(٣) ثعلب : « ثورا » .

(٤) صدره كما سبق في ص ١٠١ :

* إذا سقى الله أرضاً صوب غادية *

الدَّهْرُ أَسْبَابُ جَاءَتْ عَلَى قَدَرٍ ، فَكَأَنَّهُمْ كَمَا دُعُوا أَجَابُوا ، وَكَأَنَّهُمْ يُؤْخَذُونَ ،
لَا تَلَوُّمَ وَلَا اخْتِلَافَ ، وَلَا قُصُورَ^(١) وَلَا امْتِنَاعَ .

٣- وَلَوْ يَسْتَطِيعُونَ الرِّوَا حَ تَرَوَّحُوا مَعِيَ وَغَدَوَا فِي الْمُبْصِحِينَ عَلَى ظَهْرِ
يقول : وَلَوْ قَدَرُوا فِيمَا هَهُوا بِهِ مِنْ سَيْرِهِمْ عَلَى النُّزُولِ رَوَّاحًا لَتَرَوَّحُوا مَعِيَ ،
وَأَغَدَوَا^(٢) فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ الثَّانِي عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَلَمْ يَصِيرُوا مَعَ الْأَمْوَاتِ فِي
بَطْنِهَا مَاخُودِينَ عَنْ حِظْوِظِهِمْ ، لَسَكَنَهُمْ اسْتَمْرُؤُوا فِي الْمَفَارِقَةِ فَمَلَّ مَنْ لَا يَمْلِكُ
إِلَّا ذَاكَ ، وَلَا اخْتِيَارَ لَهُ فِيمَا يَرْكَبُهُ .

وَهَذَا الْكَلَامُ مِنْهُ تَوْجَعٌ وَتَحَشُّرٌ ، حِينَ أَتَوْا مِنْ حَيْثُ لَمْ يَشْعُرُوا ، وَطَوْلِبُوا
بِمَا لَا رَجْعَةَ فِيهِ وَلَا اسْتِبْقَاءَ وَإِنْ اسْتَنْظَرُوا .

٤- لَعَمْرِي لَقَدِ وَا رَتْ وَضَمَّتْ قُبُورُهُمْ أَ كَفَّا شِدَادَ الْقَبْضِ بِالْأَسْلِ السُّمْرِ
٥- يُذَكِّرُنِيهِمْ كُلُّ خَيْرٍ رَأَيْتُهُ وَشَرٌّ فَمَا أَنْفَكُ مِنْهُمْ عَلَى ذِكْرِ

يقول : وَبِقَائِي ، لَقَدْ اشْتَمَلَتْ قُبُورُهُمْ عَلَى فُرْسَانِ شُجْعَانٍ^(٣) يَمْلِكُونَ
بِالطَّمَنِ أَ كَفَّا شِدَادَ الْقَبْضِ عَلَى الرِّمَاحِ . وَإِنَّمَا قَالَ « وَارَتْ وَضَمَّتْ » لِأَنَّ
الْمُؤَارِيَّ هُوَ السَّاتِرُ ، وَسَاتِرُ الشَّيْءِ يَكُونُ ضَامِنًا وَغَيْرُ ضَامِنٍ^(٤) . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ
يَجْعَلَ الْقُبُورَ مُؤَارِيَةً وَضَامِنَةً ، فَلِذَلِكَ جَمَعَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ . ثُمَّ عَقَّبَ هَذَا بِأَنْ
قَالَ : يُذَكِّرُنِيهِمْ الْأُمُورُ الَّتِي أَنْتَهَى إِلَيْهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَخْلُو مِنْ
أَنْ تَكُونَ نَافِعَةً أَوْ ضَارَةً ؛ فَإِنْ كَانَتْ نَافِعَةً كَانَتْ خَيْرًا ، وَكَانَتْ عَمَلُهُ

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَصُور » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٢) هَذَا الصَّوَابُ مِنْ ل . وَفِي الْأَصْلِ : « وَأَخَذُوا » .

(٣) ضَبَطْتُ فِي الْأَصْلِ بِضَمِّ الشَّيْنِ ، وَفِي ل بِكسرها . وَهَذِهِ اللَّغَةُ الْأَخِيرَةُ حَكَاهَا الْحَيَّانِيُّ .

(٤) اتَّفَقَتْ النُّسَخَتَانِ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ الضَّمَامِ بِالضَّمَامِ ، وَمَعْنَاهُمَا مُتَقَارِبٌ .

دِيمَةٌ^(١) مع مَنْ يتسبَّب إليه بِجُرْمَةٍ ، أو يُدِيلَ بِأَصْرَةٍ . وإن كانت ضارَّةً كانت شَرًّا ، وهو الذي يَشْقَى به من يُشَاقُّه ويعانده ، حتَّى لا يُخْلِيه منه أو من تَرَقَّبِهِ^(٢) ساعةً ، فلا أزال ذا كراً له بما أعتَبِرُهُ من أمور الدُّنْيَا وأحوالها ، وأنتَهَى إليه فأتأمَّلُه من مسبِّباته في طوائف النَّاسِ بعده . ويقال : ما انفكَّ يفعل كذا ، بمعنى ما زال . والذُّكْرُ ، بضم الذال ، يكون بالقلب ؛ والذُّكْرُ بكسر الذال ، يكون باللسان .

٣٧٢

وقال رجلٌ من بني أسدٍ^(٣) ،

يرئى أخاه وكان مَرِضٌ في غُرْبَةٍ ، فسأل الخروجَ به هَرَبًا من موضعه ،
فمات في الطريق :

١ - أَبْعَدْتُ مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارَ فَمَا جَاوَزْتَ حَيْثُ انْتَهَى بِكَ الْقَدْرُ

٢ - لَوْ كَانَ يُنْجِي مِنَ الرَّدَى حَذْرٌ نَجَّاكَ مِمَّا أَصَابَكَ الْحَاذِرُ

يُرْوَى : « أَبْعَطْتُ » ، والإبعاط والإبعاد متقاربان . فالإبعاط : الإسراع في السير . ويقال : أبعطتُ من الأمر ، إذا أبيتته وهربت منه . ويُرْوَى : « أَسْرَعْتُ مِنْ يَوْمِكَ الْفِرَارِ » والأوَّلُ أشهر وأجود ، لأنَّ مِنْ يتعلَّقُ فيها بأبعدت .

(١) أى دائماً : وفي حديث عائشة رضی الله عنها أنها ذكرت عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : « كان عمله ديمة » ، شبهته بالديمة من المطر في الدوام .

(٢) كذا في النسختين . والترقى : التدرج ، وليس من الختمى أن تكون « ترقبه » .

(٣) التبريزى : « ويقال إنها لابن كنانة » . وقد نسبه كذلك ابن خلكان في ترجمة حماد الراوية ، وذكر أن محمد بن كنانة يرثى حماداً الراوية بهذا الشعر . وسبقه هذه النسبة ابن النديم في الفهرست ١٣٥ . أما الجاحظ في البيان (١ : ٢٥٧) فأتى بذلك مهتماً ، إذ قال : « وقال بعض الشعراء في بعض العلماء » . والبيت الرابع من هذه المقطوعة ينطق بتصحيح هذه النسبة .

والمعنى : فَرَرْتَ مِنْ أَجْلِكَ فِرَاراً بَعِيداً . ومعنى « من يومك » من آخر أَمَدِكَ . وإِذَا رَوَيْتَ « أَسْرَعْتَ » احتجت إلى إِضْمَارِ فِعْلٍ يَتَعَلَّقُ بِهِ مِنْ ، وَلَا يَجُوزُ تَعَلُّقُهُ بِأَسْرَعْتَ ، وَلَا بِالْفِرَارِ لِأَنَّهُ يَكُونُ مِنْ صَلَاتِهِ وَقَدْ قُدِّمَ عَلَيْهِ . وقوله « فَمَا جَاوَزْتَ حَيْثُ انْتَهَى بِكَ الْقَدَرُ » يريد أنَّ الْحَذَرَ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ ، وَأَنَّكَ وَإِنْ تَحَزَّمْتَ^(١) فِي تَغْيِيرِ الْأَمَاكِنِ تَبَاعُداً مِنَ الْحَذُورِ ، وَتَفَقَّطْتَ فِي الْمَنَازِلِ هَرَباً مِنَ الْقَدْرِ الْمُحْتَمِ ، فَمَا وَجَدْتَ فِيهِ وَاقِيَةً لِنَفْسِكَ ، وَلَا جَاوَزْتَ الْوَقْتَ الْمُرْصَدَ لِحَيْنِكَ . وجعل قوله « حيث انتهى » اسماً ، فهو في موضع المفعولِ لجَاوَزْتَ . ومثله في القرآن : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ ﴾^(٢) . ومن مَحْكِي كَلَامِهِمْ وَفَصِيحِهِ : « هِيَ أَحْسَنُ النَّاسِ حَيْثُ نَظَرَ نَاطِرٌ » ، يعني وجهها .

وقوله : « لو كان يُنَجِّي » جواب لو قوله « نجاك » . والمعنى : إِيَّاكَ لَمْ تُنَوِّتْ مِنْ تَضَجِّعٍ وَقَعَ مِنْكَ ، أَوْ إِغْفَالٍ اعْتَرَضَ دُونَ طَالِبِكَ ؛ فَلَوْ كَانَ يَخْلُصُ مِنَ الْمَوْتِ تَوَقُّعاً لَوْ قَاكَ مَا أَخَذْتَ بِهِ نَفْسَكَ مِنَ الْحَذَرِ الشَّدِيدِ ، وَالْهَرَبِ الْبَعِيدِ ؛ وَلَكِنْ هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي لَا مَنَجِيَّ مِنْهُ وَلَا مَهْرَبَ عَنْهُ . وكلُّ هَذَا النُّوعِ تَوَجُّعٌ وَتَحَشُّرٌ ، وَاعْتِرَافٌ بِالْقُصُورِ وَالْعِجْزِ لَدَى مُبْرَمِ الْقَضِيَةِ .

٣ - يَرْحَمُكَ اللَّهُ مِنْ أُخَى ثِقَةٍ لَمْ يَكُ فِي صَفْوِ وُدِّهِ كَدَرٌ

٤ - فَهَكَذَا يَذْهَبُ الزَّمَانُ وَيَفِي نَيِّ الْعِلْمِ فِيهِ وَيَدْرُسُ الْأَثَرُ

قوله « يرحمك الله » استسلام . والرَّحْمَةُ مِنَ اللَّهِ : الْإِحْسَانُ وَالْعَفْوُ . ومعنى

(١) التحزم : اتخاذ الحزم . وهذه رواية ل . وفي الأصل : « حرمت » وهذه محرفة

من « حزمت » .

(٢) هذه هي قراءة جمهور السبعة ، وقرأ ابن كثير وحفص : « رسالته » بالتوحيد .

انظر ما سبق في حواشي ١٤١ ، وكذلك ص ٥٧٣ .

« من أخى ثقة » دخل من للتبدين ، أى من أخٍ يُوثقُ بودّه ، وُبو من غله ووبال حسده ، وإذا صافى الوداد وافق باطنه ظاهره ، ولم يك ذا وجهين يُعطيك حُضرتُه خِلاف ما يُعطيك غيبتُه .

وقوله « فهكذا يذهب الزمان » يريد أن ما رآه وأصابه ليس بمستبدع من حدّثان الدهر ونوائبه ، بل استمراره قديماً وحديثاً على وجه واحد ينقرضُ أهله كما أتاه ، ويفنى فيه كلُّ معلومٍ حواه ، ويدرس كلُّ أثرٍ اقتناه ووعاه . وهذا الكلامُ إظهارُ اليأسِ من المفقود ، وتضعيفُ الطمعِ فى بقاء الوجود .

٣٧٣

وقالت أم قيس الضبيّة :

١ - مَنْ لِلْخُصُومِ إِذَا جَدَّ الضَّجَّاجُ بِهِمْ بعد ابن سعدٍ ومن للضمير القود

قوله « إذا جدّ الضجاج بهم » أى صار ضجاجهم جدّاً . ويقال : ضجّ يضحّ ضجيجاً ، والاسم الضجاج ، قال العجاج يصف حرباً :

وَأَغَشَتِ النَّاسَ الضَّجَّاجَ الْأَضْجَجَا وصاح خاشي شرّها وهجها^(١)

وقوله « مَنْ لِلْخُصُومِ » لفظه استفهام ، والمعنى التوجع والاستفطاع . فيقول : مَنْ يَفْصِلُ بَيْنَ الْخُصُومِ إِذَا اشْتَدَّ بِهِمُ النِّزَاعُ ، وطال الجِدالُ والدِّفاعُ ، فاحتيجَ إلى مَنْ يَرُدُّ الْجَمَاحَ ، وَيُلِينُ الْكَبَاحَ ، حتّى إذا رجع كلُّ منهم إلى ما يقرب مسمعه ، ولا يبعد عن الفحص مُستنزعه ، أنفذ قضيتَه فقطاعها ، لا يلفتهم عن القبول مراجعةً ، ولا تخليجهم عن الاتزام مماننةً ومدافعةً بعد ابن سعد . ومن للضمير القود بعده ، أى مَنْ أَصْحَابُ الْخَيْلِ الْمَضْمَرَةِ . وتريد : مَنْ يَدْفَعُهُمْ عَنِ اشْتِطَائِهِمْ إِذَا جَاءُوا

واترين أو مورتورين . ويجوز أن تريد أنه كان غزا بها فمن لها بعده . والضمير : جمع ضامر . والقود : الطوال الأعناق .

٢ - ومشهد قد كفت الغائبين به في مجمع من نواصي الناس مشهود

٣ - فرجته بلسان غير ملتبس عند الحفاظ وقلب غير مزهود

يقول : ورب مشهد عظيم الشأن يُسأل عن حال حاضر به ، ويُسمع إلى ما يُذشر عنه من حجاج منافريه ، تكلمت فيه عن نفسك ونبت عن الغائبين من مُعتلقي حبلك ، واليوم يوم مشهود ، ورؤساء الناس وأماثلهم فيه شهود ؛ ثم كشفت الغمة ، وأنبت الحجة بكلام فصيح لا يلتبس ، وجدال راجح لا يُخيل ولا يغمض ، وقلب ثابت لا يرتدع إذا استنهض ، ولا ينتكس إذا استقدم . وقوله « نواصي الناس » أي أشراقهم والمقدمين منهم . وهذا كما وصفوا بالذوائب ، يقال : فلان ذؤابة قومه ، وناصية عشيرته . وقوله « بلسان غير ملتبس » يريد بكلام . وفي القرآن : ﴿ وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ ، وتسمى الرسالة لساناً . وقال :

* إِنِّي أَتَنَّى لِسَانًا لَا أُسْرُ بِهَا ^(١) *

وقوله « غير مزهود » فالزؤد ^(٢) : الذعر ، والفعل منه زُئِد فهو مزهود .

وقوله « عند الحفاظ » أي فعلت ذلك كله عند المحافظة على الشرف ،

والاحتماء من عار الهزيمة والعنت .

٤ - إذا قنأة اسرى أزرى بها خور هز ابن سعد قنأة صلبة العود

(١) لأعشى باهلة ، يرث المنتشر بن وهب الباهلي ، من قصيدة في الخزانة (١ : ٩٢)

- (٩٧) ، وهذا البيت أزلها . وعجزه :

* من علولا عجب منها ولا سخر •

(٢) يقال بضمه وبضمتين ، ومثله الزاد ، بالفتح والتحريك .

ذِكْرُ الْقَنَاةِ مَثَلٌ لِلإِبَاءِ وَالامْتِنَاعِ ، وَأَنَّ الْمُكْرَمَ ^(١) لَا يُخْرِجُ مِنْهُمْ الْخُضُوعَ
وَالانْقِيَادَ . أَلَا تَرَى قَوْلَ سُحَيْمِ بْنِ وَثِيلٍ :

وإِنَّ قَمَاتَنَا مَشِطٌ شَظَاهَا شَدِيدٌ مَدُّهَا عُنُقَ الْقَرِينِ

ويقال : مَشِطَتْ يَدُهُ تَمَشِطُ مَشَطًا . وَالشَّظِيَّةُ وَالشَّظَا مِنَ الْعَصَا كَاللَّيْطَةِ

مِنْهَا ، تَدْخُلُ فِي الْيَدِ فَتَمَشِطُ مِنْهَا . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ عَمْرٍو بْنِ كَلْثُومٍ :

عَشْوَزَنَةٌ إِذَا غُمِرَتْ أَرْنَتْ تَشْجُ قَفَاً الْمُثَقِّفِ وَالْجَبِينَا

وقال أيضاً :

وإِنَّ قَمَاتَنَا يَا عَمْرُوُ أَعَيْتْ عَلَى الْأَعْدَاءِ قَبْلَكَ أَنْ تَلِينَا

وزاد الآخر عليهم فقال :

وَلَنَا قَنَاةٌ مِنْ رُدَيْنَةٍ صَدَقَةٌ زَوْرَاءُ حَامِلُهَا كَذَلِكَ أَرْوَرُ

٣٧٤

وقال الجعدي ^(٢) :

١ - أَلَمْ تَعْلَمِي أَنَّي رُزِيتُ مُحَارِبًا فَمَا لَكَ مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا ^(٣)

٢ - وَمِنْ قَبْلِهِ مَا قَدَّرُيتُ بُوْحُوحٍ وَكَانَ ابْنُ أُمِّي وَالْخَلِيلُ الْمَصَافِيَا

يخاطب صاحبتَه أُمَّ مُحَارِبٍ ، وَمُحَارِبُ ابْنِهِ . وَقَوْلُهُ « أَلَمْ تَعْلَمِي » ظَاهِرُهُ

تَقْرِيرٌ ، وَإِنَّمَا هُوَ تَحْشُرٌ وَتَوَجُّعٌ . لِذَلِكَ قَالَ : « فَمَا لَكَ مِنْهُ الْيَوْمَ شَيْءٌ وَلَا لِيَا »

أَيُّ قَدْ فُجِعْنَا بِهِ فَأَصْبَحْنَا خِلْوًا مِنَ الْاسْتِمْتَاعِ بِحَيَاتِهِ ، وَالانْتِفَاعِ بِمَكَانِهِ . ثُمَّ

(١) ل : « الكره » .

(٢) هـ النابغة الجعدي . سبقت ترجمته في الحماسية ٣٣٣ ص ٩٦٨ .

(٣) البيتان ٣ ، ٤ سبقتا في الحماسية ٣٣٤ ص ٩٦٩ ، فيكون مما كرره أبوتمام في

الاختيار . انظر مثيله في الحماسية ٣٣ كررت في ٢٠٩ ، و ٢٩٩ كررت في ٣٦٠ .

(٤ - جملة - ثالث)

ذكر أنه قد فُجِعَ قبله بأخيه أيضاً ، وكان نسبياً قريباً ، وصديقاً مُصافياً حبيباً .

٣ - فَتَى كَمَلَتْ خَيْرَاتُهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيًا

٤ - فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ عَلَى أَنْ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعَادِيَا

قوله « فَتَى كَمَلَتْ خَيْرَاتُهُ » يجوز أن يكون فَتَى في موضع النصب على المدح والاختصاص ، أى أذْ كُرُ فَتَى هذه صفتُهُ . ويجوز أن يكون في موضع رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو فَتَى . وقوله « غير أنه جَوَادٌ » استثناء منقطع ، وقد تقدم الكلام في مثله ، وأن من كان عيبه والمستثنى من خصاله المحمودة ما يُذْ كُرُ بعد غير فنهايك به رَجُلًا كاملاً . وقوله « فَتَى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ » مثله ، وقد تقدم في مواضعٍ وشرَحناه .

٣٧٥

وقال رجلٌ من بني هلال^(١)

يرثي ابن عمِّ له :

١ - أَبْعَدَ الَّذِي بِالنَّعْفِ مِنْ آلِ مَاعِزٍ يُرَجِّي بَمَرَانَ الْقِرَى ابْنَ سَبِيلِ

٢ - لَقَدْ كَانَ لِلْسَّارِينَ أَيَّ مُعَرَّسٍ وَقَدْ كَانَ لِلغَادِينَ أَيَّ مَقِيلِ

٣ - بَنِي الْمَحْصَنَاتِ الْغُرِّ مِنْ آلِ مَالِكٍ يُرَبِّينَ أَوْلَادًا لِخَيْرِ خَلِيلِ

يقولُ على وجه الإنكار : أَيُرْحَى ابْنُ السَّبِيلِ الْقِرَى بَمَرَانَ بَعْدَ الْمَدْفُونِ بِالنَّعْفِ مِنْ آلِ مَاعِزٍ . أى لا يكون ذلك ، لأنَّ من كان يَشْمَلُ خَيْرُهُ^(٢) وَيُرْتَجَى النُّزُولُ بِهِ مُكْرَمًا ضَيْفُهُ قَدْ مَاتَ . وَالنَّعْفُ : مَا نَاعَكَ مِنَ الْجَبَلِ ،

(١) كذا عند التبريزي ، ول . وفي الأصل : « من بنو هذيل » .

(٢) كذا في ل . وفي نسخة الأصل : « يشتمل » .

أى استقبلك ، وقيل : هو ما انحدرَ عن السَّفْحِ وغُلْظًا ، فكان فيه صَعُودٌ وهَبُوطٌ . ذكره الدرديُّ ، قال : وجمعه نِعَافٌ .

وقوله « لقد كانَ للسَّارِينَ » جوابُ قَسَمٍ محذوف . والتَّعَرِيسُ : النزولُ عند الصُّبْحِ . والمَقِيلُ : موضع القَيْلولة ، فيقول : مَنْ أَسْرَى لَيْلَةً ثُمَّ طَلَبَ مِنْ يَنْزُلُ بِهِ ، كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مَعْرَسًا لَهُ كَرِيمًا ، وَأَيُّ مَعْرَسٍ . وهذا الكلامُ فيه تَعْجَبٌ وتَفْخِيمٌ . وكذلك مَنْ ارْتَحَلَ غُدُوًّا ثُمَّ أَرَادَ الرَّوَّاحَ كَانَ فِنَاؤُهُ لَهُ مَقِيلًا طَيِّبًا وَأَيُّ مَقِيلٍ .

وقوله « بَنِي الْمُحْصَنَاتِ » جَمَعَ إِلَى ذِكْرِهِ ذِكْرَ إِخْوَتِهِ ، فَقَالَ : أَذْكَرُ قَوْمًا كِرَامَ الْأَطْرَافِ ، أُمَّهَاتِهِنَّ مِنَ الْحِصَانَةِ وَالطَّهَارَةِ فِي أَعْلَى مَحَلٍّ ، وَأَبْعَدِ رُتْبَةٍ ، وَبِرُّ بَيْنَ^(١) أَوْلَادًا أَيْ بَعُولٍ لَا يُوَازِي بِهِمْ ، عَلُوًّا مَنَصِبٍ ، وَزَكَاءَ مَنَسِبٍ ، وَنَقْدًا فِي الشَّرْفِ وَالْإِفْضَالِ . وَبِرَاعَةً فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ .

٣٧٦

وقال كَبِدُ الْحِصَاةِ الْعِجْلِيُّ^(٢) :

- ١ - أَلَا هَلَّاكَ الْمَكْسَرُ يَا لَ بَكْرٍ فَأَوْدَى الْبَاعُ وَالْحَسَبُ التَّلِيدُ
٢ - أَلَا هَلَّاكَ الْمَكْسَرُ فَاسْتَرَا حَتَّ حَوَافِي الْخَيْلِ وَالْحَيُّ الْحَرِيدُ

(١) ل : « ويرين » .

(٢) يرثى يزيد بن حنظلة بن ثعلبة بن سيار ، ولقبه « المكسر » . وقد ضبط بكسر السين المشددة عند التبريزي ، وبفتحها في الأصل ، ل . والمكسر هو الذي يقول يوم ذى قار :

أنا ابن سيار على شكيمه من فر منكم فر عن نديمه
وجاره وفر عن حريمه إن الشرك قد من أديمه

وكانت طائفة من طيبي . أغارت على بكر بن وائل فأخذوا منهم أخاندا ، فأغار المكسر على طيبي فاكسح أموالهم وأصاب منهم سبانيا ، فأغار زيد الخيل على بني تيم الله بن ثعلبة ، وقال : إذا عركت عجل بنا ذنب غيرنا عركنا بتم الله ذنب بنى عجل

افتتح كلامه بالألا ، ثم أخذ يُعظّم الخطبَ ويفطّع الشّان ، فقال : مات هذا الرجلُ فمات بموته الكرمُ العميم ، والشرفُ الصميم .

وقول « يالَ بَكرٍ » استغائة تَمّادهاه . وقد مرّ القولُ في هذه اللامِ والفصلُ بينها وبين لامِ التعجّبِ من قولك يالَ بَكرٍ . ومعنى أودى : هلك . والباعُ هاهنا الكرمُ . ويقال : باعَ الرَّجُلُ يَبُوعُ بَوْعاً ، إذا مَدَّ باعه ، وتَبَوَّعَ . وكذلك تَبَوَّعَ البعيرُ ، إذا مَدَّ ضَبْعَهُ . والحَسَبُ : الشَّرَفُ ، وأصله من الحِسابِ ، لأنَّ الحسيبَ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ ما أثر فتلك المآثر حَسَبٌ . كما يقال نَفَضْتُ نَفْضاً ، ثم يسمّى المنفوضُ نَفْضاً . والتَلِيدُ والتَّالِدُ : ضدُّ الطَّرِيفِ والطَّارِفِ . والتَّلَادُ : ما وُلِدَ عندك من مالِكَ . قالوا : وأصلُ هذه التَّاءِ الواو .

وقوله « أَلَا هَلَكَ المَكْسَرُ » كرّره لتفطيع الأمر . ومعنى « استراحت حَوَافِي الخيلِ » وصفه بأنّه يُبْعِدُ الغَزْوُ فلا يبقى على الخيلِ وإن حَفِيت ، فلمّا مَضَى نالت الرّاحةَ وتودَّعت . وقال « حَوَافِي الخيلِ » على أن يصفها بما كان آل أمرها إليه بعد الغزو . وكذلك قوله « الحَيُّ الحَرِيدُ » ، هو المنفرد والمتباعد عن غيره . كأنّه لا يَسَلِّمُ عليه وإن حَذِرَ وتباعد . ويقال : كوكبٌ حَرِيدٌ ، إذا طَلَعَ في أفقِ السَّماءِ متنجّحياً عن الكواكب . ورجلٌ حَرِيدٌ المحلُّ ، إذا لم يُخَاطِبِ النَّاسَ ولم ينزل معهم . وقال :

* أمّا بكلِّ كوكبٍ حَرِيدٍ ^(١) *

وقال آخر ^(٢) :

* حَرِيدَ المحلِّ غَوِيّاً غَيُوراً ^(٣) *

(١) لئى الرمة ، كما فى ديوانه ١٥٧ واللسان (حرد) .

(٢) هو الأعشى . ديوانه ٦٨ واللسان (حرد) .

(٣) صدره : * إذا نزل الحى حل الجحيش *

٣٧٧

وقال ابن أهبان الفقعسي^(١)

يرثي أخاه :

١- عَلَى مِثْلِ هَمَامٍ تَشُقُّ جُيُوبَهَا وَتُعَلِّنُ بِالنُّوحِ النِّسَاءَ الْفَوَاقِدُ

٢- فَتَى الْحَيِّ أَنْ تَلْقَاهُ فِي الْحَيِّ أَوْ يَرَى سِوَى الْحَيِّ أَوْ ضَمَّ الرِّجَالَ الْمَشَاهِدُ

يقول : عَظُمَ الرُّزْمُ بِمَوْتِ هَمَامٍ فَلَا مَخْبَأً لِلْجَزَعِ وَلَا مَصْطَبَرَ، وَلَا إِسْرَارَ لِلتَّلَيُّعِ وَلَا مُدَّخِرَ . وَأَنْتَى يَكُونُ لِلسَّمْعِ بِهِ مَعْدِلٌ إِلَى التَّجَمُّلِ وَالتَّجَلُّدِ ، وَقَدْ فَقِدَ بِهِ مَنْ يُسْتَبَاحُ فِي نُدْبَتِهِ كُلُّ مُحْظُورٍ ، وَيُسْتَجَازُ فِي الرِّثَاءِ لَهُ كُلُّ مَذْكُورٍ ، فَلَا مَنَعَ مِنْ شِقِّ الْجُيُوبِ ، وَصَدْعِ الْأَكْبَادِ وَالْقُلُوبِ ، وَإِعْلَانِ النِّيَاحَةِ ، وَامْتِدَادِ الْمَاءِ فِي الْإِعْوَالِ إِلَى كُلِّ غَايَةٍ . وَقَوْلُهُ « عَلَى مِثْلِ هَمَامٍ » يَذْكَرُ الْمِثْلَ وَالْمَقْصُودُ نَفْسَهُ لَا غَيْرُ صِيَانَةٍ لَهُ وَنَزَاهَةٍ . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْقَائِلِ : مِثْلُكَ لَا يَحْسُنُ بِهِ كَذَا مَعْنَاهُ : أَنْتَ لَا يَحْسُنُ بِهِ ذَلِكَ ؛ وَلَكِنَّ الْغَرَضَ مَا ذَكَرْتَهُ ، وَقَوْلُهُ « بِالنُّوحِ » يَرَادُ بِهِ مَصْدَرُ نَاحٍ . وَقَدْ يُرَادُ بِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ النِّسَاءُ الْفَوَاقِدُ .

وقوله « فَتَى الْحَيِّ أَنْ تَلْقَاهُ » جَعَلَ لَهُ الْفَتْوَةَ وَالرِّيَاسَةَ مَسَلَمَةً لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ ، وَعَلَى كُلِّ وَجْهِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ : هُوَ الْفَتَى بَيْنَ رِجَالِ الْحَيِّ وَعِنْدَ لِقَائِكَ إِيَّاهُ فِيهِمْ . فَمَعْنَى أَنْ تَلْقَاهُ ، هُوَ الْفَتَى لِأَنَّ تَلْقَاهُ فِي الْحَيِّ ، وَوَقْتَ تَلْقَاهُ فِي الْحَيِّ . وَقَوْلُهُ « أَوْ يَرَى سِوَى الْحَيِّ » أَيْ فِي مَكَانٍ آخَرَ وَفِي قَوْمٍ آخَرِينَ .

(١) كلمة « الفقعسي » من ل والتبريزي .

بدلاً من الحى . لأنك إذا قلت : عندي رجل سوي زيد ، معناه : عندي رجل مكان زيد ، وبدلاً من زيد .

وقوله « أو ضمَّ الرجال المشاهِدُ » معناه وهو الفتى إذا حصلت وفودُ للقبائل والسننهم ورؤساؤهم في تجماع الملوك الأعظم ، ومشاهد السادة الأكابر .
وقوله « أو ضمَّ » محمولٌ على المعنى . يريد : وهو الفتى لأن ضمَّ الرجال .
والقسمة بما رتبته قد استوفت الأحوال كلها .

٣- إذا نازع القوم الأحاديث لم يكن عيباً ولا عيباً على من يقاعدُ
٤- طويلٌ نجادِ السيفِ يُصبحُ بطنُهُ خميصاً وجاديه على الزادِ حامدُ
وصفه بالبراعة وتمام الآلة ، وأنه سهلُ الخلق ، سهل الجانب ، يباسطُ
مفازة في الأحاديث ويطاؤه ، لا عيَّ يقصرُ حديثه ، ولا كبرٌ ينفقُ قعيده ،
فهو طيبُ المجلس ، خفيفُ الملتزم ، وإذا تأملت خيلته كان حسنَ القوام ،
تامَّ الجسم ، طويلَ حمائل السيف . هذا في الحى ما أقام ، وفي السفر تراه يؤثر
غيره بالزاد ، فبطنه خميص ، ومجتديه والمعول عليه حامد له شكور . وأبلغ من
قوله « طويل نجاد السيف » قول مسلم :

يَطُولُ مَعَ الرُّمَحِ الرُّدْبِيُّ قَامَةً وَيَقْصُرُ عَنْهُ طَوْلُ كُلِّ نِجَادٍ

٣٧٨

وقال ابنُ عمارِ الأسدي يَرثِي ابْنَهُ :

١ - ظَلَّتْ بِجِسْرِ سَابُورٍ مُقِيماً يُورِّقُنِي أَنْفُكَ يَا مَعِينُ^(١)

(١) رواه التبريزي : « بجسور سابور » وقال : « خسر سابور : من بلاد العجم نسب إلى خسر وسابور ، وهما ملكان من الفرس . ويصحف هذا فيقال جسر سابور » . وفي معجم البلدان : « خسرو سابور . والمامة تقول خسابور : قرية معروفة قرب واسط بينهما فراسخ ، معروفة بجودة الرمان » .

٢ - وناموا عنك واستيقظت حتى دعاك الموت وانقطع الأنين

أصل الظلول لمُكث في النهار ، ولكنه يُتوسّع فيه فيجمل للأوقات كلها . على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ۖ ﴾ وذلك لا يختص بالنهار دون الليل . وهذا الكلام اقتصاص حاله معه في تمر بضعه ، وتوليئه منه ما تفرّد به ، وفيه التشكي مما قاساه وتجرّع الغصص عنه ، فيقول : بَقِيتُ مقبياً بذلك المكان يسهرني تألمك وأنيذتك ، ونام كل من صحبته^(١) فاستيقظت أنا متجرّداً فيك ، ومتحمّلاً ما أمكن تحمّله عنك ، إلى أن أجبت داعيك ، وأطلقت من أسر الانتظار ناعيك ، فانقطع الأنين ، وجدّ مني لفقدك العويل .

٣٧٩

وقال أبو وهب العبسي^(٢) يرثي ابنه :

١ - أرباع مهلاً بعض هذا وأجملي ففي اليأس ناهٍ والعزاء بجيـل
٢ - فإن الذي تبكين قد حال دونه ترابٌ وزوراه المقام دحولٌ

سلك فيما قاله مسلك أوس بن حجر ، حين قال :

أيتها النفسُ أجملي جزعاً إن الذي تحذرين قد وقعا

والمرأة المخاطبة فيما نظن^(٣) أم المرثي . وقوله « مهلاً بعض هذا » انتصب بعض بإضمار فعل ، كأنه قال : رفقاً كُفّي بعض ما تأتينه ، وأحسني العزاء ، ففي اليأس ممن قد مضى ناهٍ لك عن الإسراف في الجزع ، والإفراط في الالتماع

(١) ل : « صحبنا » .

(٢) التبريزي : « وقال طريف بن أبي وهب العبسي » .

(٣) ل : « فيما أظن » .

والهَلْعُ ؛ والصَبْرُ جَمِيلٌ كَيْفَ كَانَ ، فَإِنَّ مَنْ تَبَكَّيْنَهُ حَجَزَ بَيْنَهُ وَبَيْنَنَا تُرَابٌ
مَهِيلٌ ، وَلَحْدٌ قَعِيرٌ ، وَحَفْرَةٌ مَعْوَجَةٌ ، وَهُوَّةٌ مَهُولَةٌ ، فَلَا طَمَعُ فِي الْإِلْقَاءِ ،
وَلَا فِي الرَّجُوعِ وَالْإِنْكَفَاءِ .

وقوله « وزوراء المقام » أى معوجة الموضع الذى يُقام فيه منها . وقوله
دَحُولٌ ، يقال بئر دَحُولٌ ، أى ذات تَلَجْفٍ .

٣ - نَحَاهُ لِلْحَدِّ زِبْرَقَانٌ وَحَارِثٌ وَفِي الْأَرْضِ لِلْأَقْوَامِ قَبْلَكَ غُولٌ

٤ - فَأَيُّ فِتْيٍ وَارَوْهُ ثُمَّتَ أَقْبَلَتْ أَكْثُهُمْ تَحْتِي مَعًا وَتَهِيلٌ^(١)

اللَّحْدُ : مَا حُفِرَ فِي مُعْرَضِ الْقَبْرِ . وَيُقَالُ لَحَدْتُ الْقَبْرَ وَأَلْحَدْتُهُ ، وَقَبْرٌ
مَلْحُودٌ وَمُلْحَدٌ وَوَلْحِدٌ ، أَيْ ذُو لَحْدٍ . يَقُولُ : وَوَلَّاهُ لِلْحَدِّ قَبْرَهُ هَذَا
الرَّجُلَانِ ، وَالْعَادَةُ مُسْتَمِرَّةٌ فِي فَنَاءِ الْأَمِّ السَّالِفَةِ قَبْلَنَا ؛ لِأَنَّ الْأَرْضَ لَا تَخْلُو
مِمَّا يَفْتَالُ الْأَحْيَاءُ وَيُهْلِكُهُمْ . وَالغَوْلُ : الْهَلَكَةُ ، وَيُقَالُ : غَالَهُ الْمَوْتُ . وَقَالَ
الشَّاعِرُ :

وَمَا مَيِّتَةٌ إِنْ مِتُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ بَعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسَ غَوْلُهَا
وَالكَلَامُ فِيهِ تَأْسٍ وَتَعَزٍّ ، بَعْدَ أَنْ اقْتَصَرَ دَفْنُهُ وَمَنْ تَوَلَّى ذَلِكَ مِنْهُ .

ثُمَّ قَالَ عَلَى وَجْهِ التَّعَجُّبِ : أَيْ فِتْيٍ غَيْبُوهُ وَدَفَنُوهُ ؟ ! يَعْظَمُ أَمْرَهُ وَيُفْخَمُ
شَأْنَهُ . وَقَوْلُهُ « ثُمَّتَ أَقْبَلَتْ » التَّاءُ مِنْ ثُمَّتَ عَلَامَةُ التَّأْنِيثِ ، وَهُوَ تَأْنِيثُ
الْخِصْلَةِ . وَكَمَا تَتَّصِلُ هَذِهِ الْمَلَامَةُ بِالْأَسْمِ نَحْوِ أَمْرِيٍّ وَأَمْرَاةٍ ، وَبِالْعَصْفَةِ نَحْوِ قَائِمٍ
وَقَائِمَةٍ ، تَتَّصِلُ بِالْفِعْلِ ، وَالْأَسْمُ وَالْفِعْلُ هَا مَوْضِعُهُمَا ، إِلَّا أَنَّهَا فِي الْأَسْمِ يُبَدَّلُ
مِنْهَا الْهَاءُ فِي الْوَقْفِ ، وَيَنْتَقِلُ الْإِعْرَابُ عَنْ آخِرِ الْأَسْمِ إِلَيْهَا . وَفِي الْفِعْلِ يُسَكَّنُ
إِلَّا أَنْ يُبَلَّغِيَهُ سَاكِنٌ آخِرٌ ، وَيَكُونُ تَاءً فِي الْوَصْلِ وَالْوَقْفِ جَمِيعًا . وَفِي الْحَرْفِ

(١) التبريزى : « وأى فتى واروه » .

يقلُّ دخوله ، وإذا دخل حُرِّك بالفتح ، نحو رُبَّتْ وُثِّمَتْ ، وتبقى تاء في كلِّ حال .

وقوله « تَخْتِي مَعَا » انتصب مَعَا على الحال . والخِئْيُ : أن ترفع يدك بالتراب أو غيره فتفرقه في الجوِّ . قال :

الْحُصْنُ أَذْنَى لَوْ تَأَيَّبْتَهُ مِنْ حَثِيكَ التُّرْبِ عَلَى الرَّاِكِبِ (١)

والخائياء : تُراب يجمعه اليربوع ، من هذا . والهَيْلُ : أن تجرفه من غير أن ترفع اليد به . ويقال : هَاتُ التُّرَابَ وَأَهْلُتَهُ . وفي المثل « مُحْسِنَةٌ فَهَيْلِي (٢) » ويقال : « جَاءَ بِالْهَيْلِ وَالْهَيْلِمَانِ (٣) » أي بالشئ الكثير ، ويجوز أن يكون من هذا ، لأنَّ المعنى جاء بما اجتمع هَيْلاً لا كَيْلاً .

وفي الطريقة التي سَلَكَهَا مِنْ اقْتِصَاصِ الْحَالِ فِي الدَّفْنِ وَالخِئْيِ ، قد أحسنَ مَنْ قَالَ :

ألم ترني أبنى على اللَّيْثِ يَدْتَهُ وَأَحْيَى عَلَيْهِ التُّرْبَ لَا أَتَخَشَعُ
كَأَنِّي أَدَلِّي فِي الْحَفِيرَةِ بِأَسِلًا عَقِيرًا يَنْوِي لِلْقِيَامِ وَيُضْرَعُ
تَخَالُ بِقَايَا الرُّوحِ فِيهِ ، لِقُرْبِهِ بَعْدَ الْحَيَاةِ ، وَهُوَ مَيِّتٌ مُقَنَّعٌ

ألا تراه كيف صَوَّرَ التَّهْيَبُ مِنْهُ وَالْإِعْظَامَ لَهُ فِي تِلْكَ الْحَالَةِ .

٥ - وَظَلَّتْ بِي الْأَرْضُ الْفِضَاءَ كَأَنَّمَا تَصَعَّدُ بِي أَرْكَانَهَا وَتَجُولُ

(١) ل : « لو تأيبتَه » . ويروى : « من حثوك التُّرْبَ » . انظر المقاييس (٢ : ١٣٧) .
(٢) قال الميداني : « أصله أن امرأة كانت تفرغ طعاما من وعاء رجل في وعائها ، فجاء الرجل فدهشت ، فأقبلت تفرغ من وعائها في وعائه ، فقال لها : ما تصنعين ؟ قالت : أهبل من هذا في هذا ، فقال لها : محسنة - أي أنت محسنة - فهيلي . ويروى : محسنة ، بالانصب على الحال ، أي هيلي محسنة . ويجوز أن ينصب على معنى أراك محسنة . يضرب للرجل يعمل العمل يكون فيه مصيباً » .

(٣) « الهيلمان » بفتح اللام وضمها .

٦ - وَشَدَّ إِلَى الطَّرْفِ مَنْ كَانَ طَرْفُهُ بِعَهْدِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَهُوَ كَلِيلٌ

يقول : دِيرَ بِي لَمَّا شَاهَدْتُ مِنْ أَمْرِهِ مَا أَنْكَرْتُ ، وَاسْوَدَّتْ الْأَرْضُ فِي عَيْنِي فَصَارَتْ عَلَى سَعَتِهَا كَأَنَّمَا جُمِعَتْ جَوَانِبُهَا ، فَأَصْعَدُ فِيهَا وَهِيَ تَجُولُ فَلَا تَهْدَأُ ، وَتَدُورُ فَلَا تَقْرُ .

وقوله « وَشَدَّ إِلَى الطَّرْفِ » أَيْ نَظَرَ إِلَى بَشَدَةٍ وَتَحْدِيقٍ . وَفِي الْحَدِيثِ : قِيلَ لِأَبِي مَحْذُورَةَ^(١) وَشَدَّ أَذَانَهُ : « أَمَّا خَشِيتَ أَنْ تَنْشَقَّ مَرِيطَاؤُكَ^(٢) » . وَيُقَالُ : شَدَدْنَا عَلَى يَدِ فُلَانٍ وَشَدَدْنَا يَدَهُ ، أَيْ قَوَّيْنَاهُ . وَالطَّرْفُ : تَحْرِيكُ الْجَفْنِ فِي النَّظَرِ . يَقُولُ^(٣) : شَخَّصَ بَصْرَهُ فَمَا يَطْرَفُ . وَقَوْلُهُ « مَنْ كَانَ طَرْفُهُ » كَانَ هَذِهِ هِيَ التَّامَّةُ . وَالْمَعْنَى مَنْ وَقَعَ طَرْفُهُ وَحَدَّثَ طَرْفُهُ فِي زَمَنِ عُبَيْدِ اللَّهِ وَبِعَهْدِهِ وَهُوَ كَلِيلٌ ، يُرِيدُ : مَنْ كَانَ لَا يَمَلُّ عَيْنَهُ مَنَى فِي حَيَاتِهِ تَهَيَّبًا صَارَ يَنْظُرُ إِلَى شَرْرًا وَنَظْرًا شَدِيدًا . وَإِنَّمَا قَوَّاهُ تَجَاوَزَهُ وَمَا حَدَّثَ لَهُ وَفِي تَقْدِيرِهِ ، مِنْ مُنَّةٍ اسْتَجَدَّهَا^(٤) ، وَقُوَّةٍ عَاوَدَتْهُ وَاسْتَتَّظَّرَ بِهَا . وَقَوْلُهُ « وَهُوَ كَلِيلٌ » ، الْوَاوُ وَالْوَاوُ الْحَالُ .

٧ - أَيْنَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ خَلَى مَكَانَهُ عَلَى حِينِ شَيْبِي بِالشَّبَابِ بِدِيلٍ^(٥)

(١) هُوَ أَبُو مَحْذُورَةَ الْمُؤَذَنُ ، وَاسْمُهُ أَوْسٌ - أَوْ سَمْرَةٌ - بِنِ مَسْعِيَرٍ . عَلِمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَذَانَ بِالْجَمْرَانَةِ . تَوَفَّى سَنَةَ ٥٩ وَقَبْلَ سَنَةِ ٧٩ ، الْإِصَابَةُ ١٠٠٨ مَن بَابِ الْكَيْ . وَالَّذِي قَالَ لَهُ هَذَا الْقَوْلُ هُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، كَمَا فِي اللِّسَانِ (مَرَط) .

(٢) الْمَرِيطَاءُ : مَا بَيْنَ السَّرَّةِ إِلَى الْعَاغَةِ .

(٣) كَذَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « يُقَالُ » .

(٤) الْمُنَّةُ ، بِالضَّمِّ : الْقُوَّةُ .

(٥) التَّبْرِيْزِيُّ : « قَوْلُهُ عَلَى حِينِ شَيْبِي . قَالَ أَبُو هِلَالٍ : لَا يَجُوزُ إِلَّا الْخَفْضُ فِي حِينٍ ، لِأَنَّ الَّذِي أَضْفَتْ إِلَيْهِ حِينٌ مُعْرَبٌ ، فَإِنَّ أَضْفَتْهُ إِلَى الْفِعْلِ جَازَ الْفَتْحُ وَالْكَسْرُ . أَمَّا الْكَسْرُ ، فَلِأَنَّهُ مَجْرُورٌ وَهُوَ اسْمٌ مُنْصَرَفٌ ، وَأَمَّا الْفَتْحُ فَلِإِضَافَتِكَ إِيَّاهُ إِلَى شَيْءٍ غَيْرٍ مُعْرَبٍ ، فَبِنَيْتِهِ عَلَى الْفَتْحِ لِأَنَّ الْمُضَافَ وَالْمُضَافَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَاحِدٌ فَبِنَيْتِهِ لِنِذَلِكَ » . وَهَذَا الْمَذْهَبُ مَذْهَبُ الْبَصْرِيِّينَ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يُوجِبُونَ الْإِعْرَابَ فِي الظُّرُوفِ الْمُهَيْمَةِ إِذَا أُضْيِفَتْ إِلَى جُمْلَةٍ صَدَرَتْهَا مُعْرَبٌ . وَأَمَّا الْكُوفِيُّونَ فَيُرُونَ الْإِعْرَابَ فِي ذَلِكَ رَاجِحًا وَالْبِنَاءَ مَرْجُوحًا . انظُرْهُمُ الْهُوَامِعُ (١ : ٢١٨) .

٨ - لقد بَقِيتَ مِنِّي قَنَاةً صَلِيبَةً وَإِنْ مَسَّ جِلْدِي نَهْكَةٌ وَذُبُولُ
 ٩ - وَمَا حَالَةٌ إِلَّا سَتُصْرَفُ حَالُهَا إِلَى حَالَةٍ أُخْرَى وَسَوْفَ تَزُولُ
 اللام من « كَتَبَ » موطئةً للقسم المضمَر ، وجوابه « لقد بَقِيتَ » . وخلق
 مكانه ، أى تَرَكَ مكانه من العيون والقلوب خاليا . ويجوز أن يريدَ تَرَكَ
 مكانه من دنياه لَمَنْ شاء . على حينِ شَيْبِي ، أى فى وقتِ استبدلتُ بالشباب
 شَيْبًا ، وبالقوَّة ضَعْفًا ، لقد بَقِيَ مِنِّي إِبَاءٌ شَدِيدٌ ، وَجَلَّاحٌ عَلَى مَنْ يَقْصِدُ اهْتِضَامِي
 بَلِيغٌ ؛ فَفَقَاتِي صُلْبَةً عَلَى غَايِزِهَا ، مَمْتِنَةً عَلَى مُثَقِّفِهَا ، وَإِنْ كَانَتِ الْمَصِيبَةُ نَالَتْ
 مِنِّي فَفَنَحَلَ جِسْمِي ، وَذُبُلَ جِلْدِي ، وَحَالَ لَوْئِي ، وَتَحَوَّلَ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ
 أَمْرِي وَشَأْنِي . وقد تقدَّم القولُ فى التَّمَنَاءِ وطريقَتِهِمْ فى استعارتها وجعلها مثلاً .
 وقوله « وما حالَةٌ إِلَّا سَتُصْرَفُ حَالُهَا » يُرِيدُ : وَمَا خُطَّةٌ إِلَّا سَتَحْوُلُ صَوْرَتُهَا
 إِلَى صَوْرَةٍ أُخْرَى مَا بَقِيَتْ وَأُمِيتَتْ ، ثُمَّ مِنْ بَعْدُ سَوْفَ تَزُولُ فَلَا تَبْقَى ،
 وَتَحْوُلُ عَنِ الْمَعْهُودِ فَتَمُنِّي . والمعنى : إِنْ شَيْئًا مِنْ أَسْبَابِ الدُّنْيَا وَأَعْرَاضِهَا لَا يَدُومُ
 عَلَى حَدٍّ ، وَلَا يَسْتَمِرُّ عَلَى طَرِيقٍ وَوَجْهٍ ، لَكِنْ يَتَسَلَّطُ عَلَيْهِ التَّغْيِيرُ وَالتَّبَدُّلُ ،
 فَيَزِدَادُ عَمَّا يَكُونُ عَلَيْهِ ، أَوْ يَتَرَاوَعُ هَذَا إِذَا سَلِمَ ، وَمِنْ بَعْدُ سَوْفَ يَكُونُ مُغَيَّرَهُ
 مُمَهْلِكُهُ ، وَمُدَبَّرُهُ مُدَمَّرُهُ .

٣٨٠

وَأَنْشُدْ أَيْضًا^(١) :

١ - وَقَاسَمَنِي دَهْرِي بَنِي بِشْطَرِهِ فَلَمَّا تَقَضَى شَطْرَهُ عَادَ فِي شَطْرِي^(٢)

(١) كذا فى النسختين وعند التبريزى : « وقال العتبي » . والعتبي هذا هو محمد
 ابن عبد الله ، من آل عتبة بن أبي سفيان ، أديب أخبارى من أهل البصرة ، له شعر جيد
 وتصانيف حسان . قال ابن النديم : « كان العتبي وأبوه سيدين أديبين فصيحين » . توفى سنة
 ٢٢٨ . ابن النديم ١٧٦ .

(٢) التبريزى : « بنى مشاطراً » .

٢- أَلَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي وَآبَتِي سَبَقْتُكَ إِذْ كُنَّا إِلَى غَايَةِ نَجْرِي
 كانت رواية الناس بُرْهَةً « وقاسمى دهرى بنى بشطره » مضافاً ، « فلما
 تقضى شطره » بالضاد ، وارتفاع الشطر به ، فجاء شبخ لنا فرواه :
 « بِشِطْرَةٍ * فلما تقضى شطره »

وكان يقول : هذه ضالّة أنا وجدتها ، وهو مما حكاه أبو زيد من قولهم :
 بنو فلان شِطْرَةٌ ، إذا كان ذكورهم بعدد إناثهم . يريد : ناصفنى . ومعنى
 « تقضى شطره » بلغ أقصاه واستوفاه . والذي أختره أن يروى « بِشِطْرِهِ »
 على الإضافة . ومن الظاهر أن تقضى أحسن من تقضى فى اللفظ ، وأبلغ فى
 المعنى . ومعنى بشطره كأنّ الدهر ادعى أنه قسيمه فى بنيه وأن له منهم الشطر ،
 وهو النصف ، فقاسمه على ذلك ، فلما استوفى حظّه أقبل يأخذ من نصيبه الذى
 كان أفرّ له به ، وسأهمه عليه . وإنما اخترت بشطره على « شِطْرَةٍ » ، لأنّ
 شِطْرَةً لم يستعمل فى الأنصبا والسّم ، والشطر فى النصف معروفٌ ومستعمل ،
 ومنه شاة شطور ، إذا يبس أحد ضرعها . وكذلك قولهم : حلب الدهر
 أشطره ، إذا جرب الأمور ، وأصله من الحلب ، أى حلب شطراً من الخبز
 وشطراً من الشر ، حتى تبصر وعرف مواضع النجاة من مواضع العطب
 والهلكة .

وقوله « ألا ليت أمى لم تلدنى » تمنى السلامة بأن كان لا يخلق ولا
 يُخترع فينجو من الابتلاء ، وملايسة أنواع البلاء ، والتردد بين السعادة
 والشقاء ؛ وتمنى بعد أن أوجد وخلق ألا يكون فاقده والمعزى فيه ، بل كان
 السابق له والمقدم عليه ، سبياً^(١) وهما جريان إلى غاية من العطب لا يحيص
 عنها ، ولا مفرّ منها .

(١) كلمة « سبياً » ساقطة من ل .

٣- وكنتُ بهُ أُكْنِي فأصْبَحْتُ كَلْمًا كُنَيْتُ بهُ فاضَتْ دُموعِي على نَحْرِي

٤- وقد كنتُ ذا نابٍ وظُفْرٍ على العِدَى فأصْبَحْتُ لا يَخْشَوْنَ نابِي ولا ظُفْرِي

جَرَى على افتنانهم في تحويل الكلام عن الإخبار إلى الخطاب ، وصرفه عن العموم إلى تخصيص بعضهم بالذكر . ألا ترى أنه أخبر في قوله « وقاسمني دَهْرِي بِنِي » ثم قال « ليتني سبقتك » فرجع إلى خطاب واحدٍ منهم ، ثم قال « وكنتُ بهُ أُكْنِي » فأخبر به عن أحد بنيهِ . والمعنى : كنت اكنيتُ بهُ حُبًّا لَدِكْرِهِ واسمِهِ ، وتفاؤلاً ببقائه ودوامِهِ ، فبقى الاسمُ والشخصُ مفقودًا ، فلا جَرَمَ أُنِي متى كُنَيْتُ بهُ تَجَدَّدَ لِي حُزْنُ أَفْضَ عَابَتِي ، وأغاض ماء عَيْشَتِي .

وقوله « وقد كنتُ ذا نابٍ وظُفْرٍ على العِدَى » يُريد : إني كنتُ تامًّا السَّلاحِ بهم ، موفور العَدَدِ والعُدَدِ بمكانهم ، مخشَى الجانبِ ، لا يُطْمَعُ في استنزالي عن حُجَّةِ أركبها ، أو شُبُهَةٍ أتعلقُ بها . وذِكْرُ النابِ والظُفْرِ مَثَلُ ضَرْبِهِ لِسلاحِهِ وآلاتِهِ التي كان يدفع الحِصومَ بها ، وَيَقهر الأعداءَ باستعمالها .
وقوله « لا يَخْشَوْنَ نابِي ولا ظُفْرِي » يريد لا ناب لي بعدهم ولا ظُفْر فيخشَى . فهو مِثْلُ :

* ولا تَرَى الضَّبَّ بها يَنْجَحِرُ^(١) *

١٣٨

وأنشد لامرأة ترثي أباهَا :

١- إذا مادَعَا الداعي عَلِيًّا وجدْتِنِي أُرَاعُ كما رَاعَ العَجُولَ مُهَيْبُ

٢- وكم من سَمِيٍّ ليسَ مِثْلَ سَمِيِّهِ وإنْ كانَ يُدْعَى بِاسمِهِ فيُجِيبُ

(١) البيت لابن أحر ، كما سبق في حواشي ١٢٠ ، ٢٤٠ ، ٥٩٩ . وصدوره :

* لا تنزع الأرنب أخوالها *

يقول : متى قرَعَ أذنى دعاه داعٍ باسمِ ولدى أذعر وأقلى ، كما يذعر
الشكلى مهيبٌ ، وهو الداعى . والشكلى تنزع لأذنى صبيحة ترهقها ،
أو قرعة تصدم قلبها . ويجوز أن يريد بالمعجول ناقة فقدت ولدها بنحرٍ
أو موتٍ ، فهى فى حنينها تنفر من أخفض إهابه ، وأذنى بعث وإزاجه .
ويقال لأمثالها من الشوق : المعاجيلُ أيضاً . ووجدهن يزيد على كلِّ وجدٍ .
لذلك قال :

فما وجدُ أظارٍ ثلاثِ روائمِ رأى مجرّاً من حوارٍ ومصرعاً^(١)
بذكرن ذابث الحزين ببدته إذا حنت الأولى سجعن لها معاً
بأوجد منى^(٢)

وقوله « وكم من سمى » يقول : ليس التوافق فى الأسماء مما يوجب التعداد
والتشابه فى المسميات ، لأن الأعلام لا تُفيد فى المسمين شيئاً ، لكن التشابه
إنما يكون بالأوصاف الحاصلة ، والمعانى المتماثلة . وإذا كان كذلك فالشرك
فى الأسماء وإن حصلت به الإجابة عند الدعاء لا يوجب تقارب المسمين
ولا تباعدهم .

٣٨٢

وقال رجل من كلب^(٣) :

١ - لى الله دهرًا شره قبل خيره ووجدًا بصيفي أتى بعد معبد

(١) الأبيات لمتعم بن نويرة فى رثاء أخيه مالك ، من قصيدة فى المفضليات رقم ٦٧ ،
وأنشدها المبرد فى الكامل ٧٥٦ - ٧٥٧ لبيسك .

(٢) البيت بتمامه :

بأوجد منى يوم قام بمالك مناد بصير بالفراق فأسمعا

(٣) سبق البيت الثالث والرابع من هذه الحماسية فى الحماسة ٣٠١ ص ٨٩٥ - ٨٩٦ .

وقد سبق التنبيه على مثل لهذا التكرار فى الحماسة ٣٦٦ .

- ٢ - بَقِيَّةُ إِخْوَانِي أَتَى الدَّهْرُ دُونَهُمْ فما جَزَعِي أُمَ كَيْفَ عَنْهُمْ تَجَلَّدِي
٣ - فلو أَنَّهُ إِحْدَى يَدِي رُزِيَتْهَا ولكنْ يَدِي بَانَتْ عَلَي إِثْرِهَا يَدِي
٤ - فَأَلَيْتُ أَسَى بَعْدَهُمْ إِثْرَ هَالِكِ قَدِي الْآنَ مَنْ وَجَدِي عَلَي هَالِكِ قَدِي^(١)

لَحَى اللهُ : دعاء على الدهر الذي وصفه ، وقد تقدّم القول في حقيقته . ومعنى « شَرُّهُ قَبْلَ خَيْرِهِ » أى ما كان يُحْدِثُ من شرِّه في الأحياء سبق ما كان يُرْتَجَى من خيره بهم . ثمّ دعا على وَجْدٍ تَعْجَلَّ له بصيفيِّ بعد وجدٍ تقدّم في معبد ، كأنه كان لا يأمن من أحداث الدهر فيما حُبِّي وَأُنْعِمَ عليه في إخوة كرامٍ نَنَاسَقُوا في الولاد والوداد ، وتقابلوا في جَوَازِ تعليق الرجاء بهم عند الحفاظ ، فيخاف . وعلى ذلك كان يَغْلِبُ في نفسه وعلى قلبه سلامتهم وبقاؤهم ، حُسْنُ ظَنِّ بالواهب ، وشِدَّةَ طمَعٍ في الموهوب ، فيسكن ولا يهاب . فلمّا جرى الأمر على خلافِ ما ظنَّ زعم أن شرَّ الدهرِ سبقَ خيره ، فدعا عليه . وقوله « وَوَجَدًا بصيفيِّ » ، يقول : ولحى أيضاً جَزَعًا تَجَدَّدَ بصيفيِّ بعد معبدٍ . وهذا تبرُّمٌ منه بما قاسى من الدهر ، وكابد من جَزَعٍ بعد جَزَعٍ . وفيه إشارة إلى معنى قول الآخر^(٢) :

* نُوَكِّلُ بِالْأَذْنَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي^(٣) *

وقوله « بَقِيَّةُ إِخْوَانِي » يجوز أن يكون المرادُ به خيارَ إخواني ، كما يقال : فلانٌ من بَقِيَّةِ الناسِ . ويجوز أن يريد به أنه كان في إخوانه وفورٌ ففقد منهم عِدَّةً ، وجعل يأنس ببقيتهم ، فأتى الدهرُ عليهم أيضاً . وقوله « فما جَزَعِي أُمَ كَيْفَ عَنْهُمْ تَجَلَّدِي » كأنه كان لا يَعتدُّ بالجزع الواقع لهم ومن أجلبهم ، لقصوره عن الواجب ، ووقوعه دون اللازم ، ولا يَطْمَعُ من نفسه في مُسْكَاةٍ

(١) فيما سبق : « فأقسمت لا آسى على إثر هالك »

(٢) هو أبو خراش الهذلي . انظر الحماسية ٢٦٢ ص ٨٧٦ .

(٣) صدره : * على أنها تعفو الكلام وإنما *

يَتَعَلَّقُهَا ، أَوْ سَلْوَةٍ يَتَكَلَّمُهَا ، إِذْ كَانَ الْخَطْبُ أَعْظَمَ ، وَالرُّزْهَ أَمْلَكَ .
 وقوله « فلو أنهما إحدى يدي رزيتها » جواب لو محذوف ، يريد : لو أصبتُ
 ببعضهم لسهل ما تعذّر أو خفّ ما ثقل ، ولكنهم تجاوبوا للدعوة ، وتتابعوا
 في الثقلة ، فمدحت المصيبة ، وجلت الرزية^(١) .

وقوله « فآليت آسى بعمهم » يريد : حلفت لا آسى بعمهم في إثر هالك ،
 فحذف لا ولم يخن التباسه بالواجب ، إذ كان للواجب صيغة مفردة باللام
 وإحدى التونين الثقيلة أو الخفيفة ، وقد مرّ مثله . والمعنى أن خوفي كان فيهم ،
 وإذا قد أصبت بهم فإني لا أجزع لفائت ، فحسبي على الهلاك ما بي حسبي .
 وقال « قدي » ولو قال : قذني ، فإني بنون العباد ليسلم سكون قذ ، لجاز .
 قال الشاعر^(٢) :

* قذني من نصر الخبيبين قدي *

فأني بهما جميعاً .

وقوله « إثر هالك » انتصب على الظرف .

٣٨٣

وأنشدني لأعرابي^(٣) :

١ - لحي الله دهرًا شره قبل خيرهِ تقاضى فلم يحسن إلينا التقاضيا

٢ - فتى كان لا يطوى على البخل نفسه إذا انتمرت نفسها في السرّ خاليا

قد مرّ القول في بيان الدعاء على الدهر وشرحه ، وفي معنى « شره قبل

(١) ما سبق من شرح البيت في ص ٨٩٦ أقوى وأشمل مما هنا .

(٢) دوحيد الأرقط . الحزانة (١ : ٤٥٣) . وقد سبق في ٨٩٦ .

(٣) كذا في ل . وفي الأصل : « وأنشد لابن الأعرابي » ، وهو تحريف . وعشد

الثبريزي : « وقال أعرابي » .

خيرِه^(١) « فأما قوله « تقاضى فلم يحسن إلينا التقاضيا » فالمعنى طالبنا بردَّ ما منحنّا فلم يُحسِن في التقاضى ، لإسرافه في الفعل ، واستعجاله في الردّ ، واعتسافه في الأخذ ، ولأنّ العواريّ قد تُرتَجَعُ ، والمناخ قد تُستردّ ، على وجه لا يُخلُّ فيه بالإجمال ، ولا يُفسدُ به ما تقدّم من الإفضال .

وقوله « فتى كان لا يطوى على البخل نفسه » يريد أنّه إذا اجتداه المُجتدَى لا يرى لنفسه أن تطوى على البخل والإمساك ، والضنّ بما في يده عليه ، إذا ائتمرت نفساه ، أى تشاورت فيما بينه وبينهما ، فأقبلت واحدة تأمرُ بالبذل ، والأخرى تُشير بالإمساك . ففي ذلك الوقت يصمّم على ترك الائتمار للآمرِ بالبخل ويخرُج من طاعته إلى العطاء والبذل . والائتمار : التّشاور هاهنا . فأما قوله :

* وَيَعْدُو عَلَى الْمَرْءِ مَا يَأْتِمُرُ^(٢) *

فالمراد به ما يجعله من أمره وهمه ، فيتمول : إذا ائتمر المرء لغيره مالم يس برشاد . فإنه يعدو عليه فيهلكه . وهذا كما قيل : من حَفَرَ مَهْوَاةً وَقَعَ فِيهَا .

٣٨٤

وقال الأبيرد اليربوعى^(٣) :

١- ولما نعى الناعى يزيد تغوّلت بي الأرض فرط الحزن وانقطع الظهْر^(٤)

(١) انظر الحماسية السابقة .

(٢) لامرئ القيس في ديوانه ٣ . وصدده :

* أحار بن عمرو كأنى خمر *

(٣) هو الأبيرد بن المعذر بن عبد بن قيس بن عتاب بن هرمى بن رياح بن يربوع بن مالك بن حنظلة التميمى . شاعر بدوى من شعراء صدر الإسلام وأول دولة بنى أمية . الأغاني (١٢ : ٩ - ١٥) .

(٤) يزيد ، كذا وردت في النسختين . والصواب « بريدا » كما في الأغاني ورواية التبريزى . وبريد هذا هو أخوه الأبيرد ، كما في شرح التبريزى والأغاني ، وأمالي القالى (٣ : ٢) وتذقيته البكرى ٦٦ .

يقول : لما خَبَّرَ الحَبْرَ بموت يزيدَ تلوَّنت الأوضُ في عيني فابيضَّت تارةً
واسودَّت أخرى ، لشدَّة حُزنى ، وانقطعَ ظهري ، وتساقطت قواي ، وقوله
« تغوّلت » اشتقاقه من الغول . وهم يعتقدون في هذا القبيل من الجنّ أنهم
يتصوِّرون بما شاءوا من الصُّور . ويقال : غَوَّلتهم الغولُ وتغوّلتهم ، إذا
توهَّتهم . وانتصب « فرطَ الحزن » على أنه مفعول له . والكلام تسلٍّ من
غيرِ الدهر وتأثير المصيبة فيه ، حتّى انكسر قنأة ظهره ، واختلَّ ما كان
قويماً من أمره .

٢ - عَسَاكِرُ تَغَشَى النَّفْسَ حَتَّى كَانَتِي أَخُوَسَكْرَةَ دَارَتْ بِهَامَتِهِ الخمرُ^(١)
العساكر : جمع عَسْكَرَةٍ ، وهى الشدَّة . قال :

* ظَلَّ فِي عَسْكَرَةٍ مِنْ حُبِّهَا^(٢) *

فيقول : غَشِيَتْ نفسى أنواعُ البلاء ، فزالَ عقلى لها ، حتّى صرتُ كأتى
سكرانُ دبَّت الخمرُ في عقله ودماغه ، حتّى دارت هامتُه ، وزال تماسُّكه وقوَّته .
ولك أن تروى : « دارت بهامتي الخمر » لأنّه لما كان أخو السَّكْرَةِ نَفْسَهُ جاز
أن يُجْعَلَ الضَّميرُ الراجعُ إليه ضميرَ نفسه . وهم يفعلون في الصِّفات والصلِّات
هذا . على ذلك قوله :

* أَنَا الَّذِي سَمَّيْتِ أُمَّي حَيْدَرَةَ^(٣) *

ولم يقل أمّه ، وإن كان وجه الكلام . وإن رويت « دارت بهامتة الخمر »
فهو الصَّواب المختار .

(١) فى الأمالى : « أخو نشوة » .

(٢) البيت لطرفة فى ديوانه ٦٥ واللسان (عسكر) . وعجزه :

* ونأت شحط مزار المذكر »

(٣) لعل بن أبى طالب ، كما سبق فى حواشى ١١٥ ، ٢٩٧ ، ٤٠٧ ، ٦١١ ، ٦٤٢ .

٣- فَتَىٰ إِن هُوَ اسْتَعْنَىٰ تَخَرَّقَ فِي الْغِنَىٰ وَإِنْ قَلَّ مَالٌ لَمْ يَضَعْ مَتْنَهُ الْفَقْرُ^(١)
 ٤- فَتَىٰ لَا يَعُدُّ الرَّسْلَ يَقْضِي ذِمَامَهُ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَوْ تَنْحَرَّ الْجُزُرُ
 البيت الأول يشبهه قولُ الهذلي^(٢) :

أبو مالكٍ قاصِرٌ فَقْرُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمُشِيعٌ غِنَاهُ

وقوله « تَخَرَّقَ فِي الْغِنَى » أى تَكَرَّمَ فِي غِنَاهُ وَتَوَسَّعَ . وَهُوَ تَفَعَّلَ مِنْ الْخُرُقِ : الْكَرِيمِ مِنَ الرَّجَالِ ، الَّذِي يَتَخَرَّقُ بِالْمَعْرُوفِ .

وقوله « وَإِنْ قَلَّ مَالٌ » أَرَادَ مَالَهُ . وَمَعْنَى « لَمْ يَضَعْ مَتْنَهُ الْفَقْرُ » أَيْ لَمْ يُوْرِئِهِ إِقْلَالَهُ تَخَضُّعًا وَنَخْشَةً حَتَّى تَطَاطَأَ ظَهْرُهُ وَانْخَفَضَ شَخْصُهُ . وَإِنْ رُوِيَ « وَإِنْ قَلَّ مَالًا » بِالنَّصْبِ جَازٌ ، وَيَكُونُ فَاعِلُ قَلَّ مَا اسْتَكَنَّ فِيهِ مِنْ ضَمِيرِ الْفَتَى ، وَانْتَصَبَ مَالًا عَلَى التَّمْيِيزِ ، كَقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ .
 وَقَوْلُهُ « فَتَى لَا يَعُدُّ الرَّسْلَ يَقْضِي ذِمَامَهُ » يَرِيدُ إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ بِهِ لَا يَعُدُّ اللَّبَنَ قَاضِيًا ذِمَامَ قِرَامٍ ، وَلَا كَافِيًا فِيمَا يَجِبُ عَلَيْهِ لَمْ ، حَتَّى يَنْحَرَّ جُزْرَهُ ، وَيُوَسَّعَ مَطَاعِمَهُ . وَقَوْلُهُ « أَوْ تَنْحَرَّ » أَوْ بَدَلٌ مِنْ إِلَّا ، وَانْتَصَبَ الْفِعْلُ بِإِضْمَارِ أَنْ^(٣) .

(١) القامى : « وَإِنْ كَانَ فَقْرٌ لَمْ يُوْدِ مَتْنَهُ الْفَقْرُ » . الْأَغَانِي : « وَإِنْ قَلَّ مَالًا لَمْ يُوْدِ مَتْنَهُ » . وَبَيْنَ هَذَا الْبَيْتِ وَتَالِيهِ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ :

وَسَامَى جَسِيَاتِ الْأُمُورِ فَنَالَهَا عَلَى الْعُسْرِ حَتَّى أَدْرَكَ الْعُسْرَ الْيُسْرُ

(٢) هُوَ الْمَتَنُخَلُّ الْهَذَلِيُّ . دِيْوَانُ الْهَذَلِيِّينَ (٢ : ٣٠) . وَقَدْ سَبَقَ هَذَا الْبَيْتُ فِي ٥٥٢ .

(٣) أُنْشِدَ التَّبْرِيزِيُّ بَعْدَهُ هَذَا الْبَيْتَ :

أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ لِأَقِيًّا بُرَيْدًا طَوَالَ الدَّهْرِ مَا لِأَلَاءِ الْعُقْرِ

وَقَالَ : الْغَفْرُ الظَّبَاءُ الَّتِي تَعْلُو بِبَيَاضِهَا حَمْرَةً . وَلِأَلَاءِ الظَّبْيِ : حَرَكٌ ذَنْبِهِ . وَمِنْهُ تَلَأَلَ الْبَرْقُ ، إِذَا تَحَرَّكَ . وَلَمَّا اسْتَعْمَلُوا ذَلِكَ فِي الْبَرْقِ وَكَانَ مَعَ إِضَاءَةٍ اسْتَقْوُوا مِنْهُ اسْمَ اللَّوْلُقِ .

٣٨٥

وَأَنْشَدَ لِسَلْمَةَ الْجُعْفِيِّ يَرِثِي أَخَاهُ لِأُمَّهِ (١) :

١- أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ الْوُمَهَا لَكَ الْوَيْلُ مَا هَذَا التَّجَلُّدُ وَالصَّبْرُ

٢- أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ لَسْتُ مَاعِشْتُ لِأَقِيًّا أَخِي إِذْ أَتَى مِنْ دُونِ أَوْصَالِهِ الْقَبْرُ

يقول : إني أنسخط ما أقيمه من الهلع فيمن أصبت به ، حتى أرجع إلى نفسي إذا خلوت بها باللوم والتعنيف ، وأقول حل (٢) بك الويل ، ما الذي يظهرُ منك من تكأف الجأد والصبر فيما بُليتُ به . أما علمتِ أني مدّة عيشي لا ألاقِي أخِي وقد حَجَزَ بيْنِي وبيْنَهُ النَّفْيُ ؟ !

وقوله « أومها » في موضع الحال ، « ولك الويل » في موضع المفعول لأقول ، و « ما هذا التجلُّد » استفهامٌ على طريق التقرُّيع والتوبيخ . وارتفع التجلُّد على أنه عطف البيان . وقوله « ألم تعلمي » تقرير فيما هو واجب ، لأنَّ حرف الاستفهام قد ضامه حرف النفي ، والاستفهام غير واجب فهو كالنفي ، ونفي النفي إيجاب .

وقوله « أن لست » أن مخنفة من الثقيلة ، واسمه يجوز أن يكون ضمير الرّجل ، أراد أني لست ، ويجوز أن يكون ضمير الأمر والشأن . و « ماعشت » في موضع الظرف . و « لاقيا » خبر ليس . و « إذ أني » ظرف له . والأوصال :

(١) هو سلمة بن يزيد بن مشجعة بن المجمع بن مالك بن كعب بن سعد بن عوف بن حريم بن جعفي . وجمعى : حتى من مذبح نزل الكوفة . وكان ممن وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدث عنه . الإصابة ٣٣٩٨ . وذكر ابن حجر أنه يرثي أخاه شقيقه قيس بن يزيد . وذكر النقي في الأمالي (٢ : ٧٣) أنه أخوه لأمه كما قال أبو تمام ، واسمه عنده : « قيس بن سلمة » ، وصحح البكري في التنبيه ٩٧ أن أخاه لأمه هو « مسلمة بن مغراء » . (٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « جل » بالميم المعجمة .

جمع وَضَلٍ ، وهو اسمٌ للأعضاء المتَّصلِ بعضها ببعض . ويقال : وَضِلُّ وَوَصَلٌ ، بالفتح والكسر .

٣- وكنتُ أرى كالموتِ من بينِ ليلةٍ فكيفَ بيِّنٍ كان ميعاده الحشرُ
٤- وهَوْنٌ وَجْدِي أَنِّي سوفَ أَعْتَدِي على إنِّره يوماً وإنَّ نفسَ العُمُرُ

قوله « كالموت » جعل الكاف وحده اسماً . وكان أبو العباس يتبع أبا الحسن الأخفش في جواز وقوعه اسماً في غير الضرورة ، وأنشد :

أَتَنْتَهُونَ وَلَنْ يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ كَالطَّعْنِ يَهْلِكُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفُتْلُ^(١)

ويجعل الكاف في موضع فاعل يَنْهَى . وسيبويه لا يرى ذلك إلا في الضرورة ، كأنه قال : أرى مثل الموت . ولا يمتنع أن يكون « كالموت » صفةً لموصوف محذوف ، كأنه قال : وكنتُ أرى شيئاً أو أمراً مثل الموت .

وقوله « من بين ليلةٍ » من دَخَلَ للتبيين^(٢) ، والمعنى : كنتُ أَعُدُّ مفارقتي له في ليلةٍ كالموت ، أو أقاسي مثل الموت من أجل مفارقة ليلةٍ منه ، فكيف يكون حالي وقد فرَّق بيني وبينه بيِّنٌ مؤعِدُ الالتقاء بعده يوم القيامة . ومثل قوله « من بين ليلةٍ » قوله تعالى : ﴿ فَأَجْتَنَّبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْتَانِ ﴾ . ولك أن تجعل من بين ، في موضع المفعول لأرى ، وتجعل من زائدة على طريقة الأخفش في جواز دخوله زيادةً في الواجب ، فيكون التقدير : كنتُ أرى بين ليلةٍ ، أي فراق ليلةٍ ، كالموت . فيكون كالموت في موضع المفعول الثاني . وقوله « كان ميعاده » وَضَعَ الماضي موضع المستقبل أي يكون ميعاده ، والهاء يرجع إلى البين ، كأنه وعدُّه الزوال والالتقاء معه من بعده في يوم الحشر .

وقوله « وهَوْنٌ وَجْدِي أَنِّي » موضع أنِّي رَفَعٌ ، لأنه فاعل هَوْنٌ

(١) البيت للأعشى من لاميته المشهورة . ديوانه ص ٤٨ .

(٢) في الأصل : « للتبيين » . صوابه في ل .

والمعنى : خَفَّفَ وَجْدِي وَقَلِّقَ أَنْفِي ذَاهِبٌ فِي إِثْرِهِ ، وَنُحِّلَ مَكَانِي فِي الدُّنْيَا بَعْدَهُ يَوْمًا ، وَإِنْ أُطِيلَ عُمْرِي ، وَنُفِّسَ فِي أَجَلِي .

٥- فَتَى كَانَ يُعْطَى السَّيْفَ فِي الرَّوْعِ حَقَّهُ إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِيَ وَتَشَقَّى بِهِ الْجُزْرُ

٦- فَتَى كَانَ يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ اسْتَغْنَى وَيُبْعِدُهُ الْفَقْرُ

يريد أن المرثى كان إذا حضر الوغى تصوّر للسيف عليه حقًا ، فجاهد نفسه في توفير ذلك الحق عليه إذا أعاد الداعي وكرّر : يال فلان !! مراراً . والتثويب في الأذان معروف . وقوله « وتَشَقَّى بِهِ الْجُزْرُ » يريد وقت نزول الأضياف ، وأنه كان لا يُرْضِيهِ أَقْرَبُ الْمَنَازِلِ فِي نَزْلِ الضَّيْفِ ^(١) ، بل كان يرتقى إلى أعلاها . وهذا المعنى قد مضى قريباً ، وكذلك البيت الثاني قد مضى مثله ^(٢) .

ومعنى يُدْنِيهِ الْغِنَى مِنْ صَدِيقِهِ أَنَّهُ كَانَ يَعْذُ التَّفَرُّدَ بِالْغِنَى لَوْثًا ، وَكَانَ يُشْرِكُ أَصْدِقَاءَهُ فِيهِ ، كَمَا يَعْذُ فِي حَالِ الْإِضَافَةِ وَالْفَقْرُ مَلَابَسَةُ الْأَصْدِقَاءِ كَالْتَعَرُّضِ لَخَيْرِهِمْ ، فَيَبْعُدُ عَنْهُمْ .

٣٨٦

وقالت عمرة الخثعمية ، ترثي ابنيها :

١ - لَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي جَزَعْتُ عَلَيْهِمَا وَهَلْ جَزَعُ أَنْ قُلْتُ : وَابَاَهُمَا

الزُّعْمُ يُسْتَعْمَلُ كَثِيرًا فِيمَا لَا حَقِيقَةَ لَهُ ، لِذَلِكَ قَالَتْ فِيمَا حَكَّتْ عَنِ الْقَوْمِ : زَعَمُوا . كَانَهَا لَمَّا اسْتَشْرَفَ ^(٣) النَّاسُ جَزَعَهَا وَهَلَعَهَا ، فَتَذَاكَرُوا أَمْرَهَا فِيمَا بَيْنَهُمْ أَظْهَرَتِ الْإِنْكَارَ وَالتَّكْذِيبَ فِيمَا تَوَهَّمُوهُ ، فَقَالَتْ : وَهَلْ جَزَعُ أَنْ قُلْتُ وَابَاَهُمَا ،

(١) النزل بضمه وبضمّتين : ما يهياً للضيف أن ينزل عليه .

(٢) انظر الحماسية السابقة .

(٣) في النسختين : « استشرف » بالشين المعجمة بعد التاء ، والوجه ما أثبت .

تَرَى أَنْ مَا تَكَلَّفْتَهُ مِنَ التَّوَجُّعِ لَهَا عَلَى قَدْرِ قَوْلِ الْقَائِلِ : وَابَاها . وَنَفْظَةُ
 « وَابَا » تَأْلُمُ وَتَشَكُّ ، وَهِيَ حَرْفٌ لِلنُّدْبَةِ . وَ« ابَاها » أَرَادَتْ : أَبِيها ، ففَرَّ
 مِنَ الْكُسْرَةِ وَبَعْدَهَا ياءٌ إِلَى الْفَتْحَةِ فَانْقَلَبَتْ أَلْفًا . عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : بَادَاةٌ
 وَنَاصَاةٌ ، فِي بَادِيَةٍ وَنَاصِيَةٍ . وَقَوْلُهَا « وَهَلْ جَزَعٌ » ارْتَفَعَ جَزَعٌ عَلَى أَنَّهُ خَبْرٌ
 مُقَدَّمٌ ، وَ« أَنْ قُلْتُ » فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدَأِ ، تَقْدِيرُهُ هَلْ جَزَعٌ قَوْلِي وَابَاها ،
 وَارْتَفَعَ هَا مِنْ وَابَاها عَلَى الْمَبْتَدَأِ ، وَابَاها خَبْرُهُ . هَذَا عَلَى طَرِيقَةِ سَيْبُويَةَ ، وَعَلَى
 مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ يَرْتَفَعُ بِالظَّرْفِ . وَرَوَاهُ بَعْضُهُمْ : « بَأَنَاها » ، أَيْ أَفْدِيَهُمَا
 بِنَفْسِي وَأَنَا هُوَ ضَمِيرُ الْمَرْفُوعِ ، وَقَدْ وَقَعَ مَوْضِعَ الْمَجْرُورِ ، وَكَقَوْلِهِمْ : هُوَ كَأَنَا ،
 وَأَنَا كَهُوَ .

٣ - هَا أَخَوَانِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَالَهُ إِذَا خَافَ يَوْمًا نَبْؤَةَ فِرْعَانَ
 أَلَمْتُ فِي هَذَا بِقَوْلِهِ (١) :

* إِذَا لَمْ أَجْنِ كُنْتُ مَجْنَجَانٍ (٢) *

تَقُولُ : كَأَنَا يَنْصُرَانِ مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ مِنَ الْقَوْمِ إِذَا خَشِيَ نَبْؤَةَ مِنْ نَبَوَاتِ
 الدَّهْرِ يَوْمًا فَاسْتَعَاثَ بِهِمَا . وَقَوْلُهَا « أَخَوَانِي الْحَرْبِ مَنْ لَا أَخَالَهُ » فَصَلَتْ
 فِيهِ بَيْنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَالْمُضَافِ بِالظَّرْفِ ، فَذَلِكَ حَذَفَتِ النُّونَ مِنْ أَخَوَانِ ،
 فَهُوَ كَقَوْلِهِ :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مِنْ إِيفَالِهِنَّ بِنَا أَوَاخِرِ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيحِ (٣)
 فَفَصَّلَ بِقَوْلِهِ « مِنْ إِيفَالِهِنَّ بِنَا » . وَقَوْلُهَا « مَنْ لَا أَخَالَهُ » نَوَتْ الْإِضَافَةَ
 ثُمَّ أَدَخَلَتِ اللَّامَ تَأْكِيدًا لِلْإِضَافَةِ الَّتِي قَصَدَتْهَا ، لِذَلِكَ أَثْبَتَتِ الْأَلْفَ مِنْ

(١) هُوَ سُورَةُ بِنِ الْمَضْرَبِ السَّعْدِيِّ . الْخَاسِمِيَّةُ ١٨ ص ١٣٣ .

(٢) صَدْرُهُ : * وَأَنِّي لَا أَزَالُ أَخَا حُرُوبِ *

(٣) الْبَيْتُ لِذِي الرِّمَّةِ فِي دِيْوَانِهِ ٧٦ وَاللِّسَانُ (نَقْضٌ) . وَيُرْوَى : « لِنَقَاضِ الْفَرَارِيحِ » .

لا أخوا ، لأن هذه الألف لا تثبت إلا في الإضافة إذ كان في الإفراد يُقالُ أخٌ .
 وخبر لا محذوف كأنها قالت : لا أخوا موجوداً أو في الدنيا . ولو قالت : لا أخ
 له ، لكان له خبراً للا ، على قولهم : لا أب لك ، ولا أباً لك . وإنما قلت
 أدخلت اللام لتوكيد الإضافة التي قصدتها ، لأن الإضافة غير معتد بها هنا ، فلا
 تُعرَّفُ الأخ ، واللام تُبطلُ الإضافة في الأصل . وهذه اللام لا تدخل إلا في
 بابين : أحدهما باب النفي ، وهو ما نحن فيه ، والثاني باب النداء في مثل قولهم :

* يا بوسَ للحرب^(١) *

لأن المراد : يا بوسَ الحرب .

٣ — هَما يلبسانِ المجدَ أحسنَ لبسةٍ شحيجانِ ما اسطاعا عليه كلاًهما
 وصفتهما بأنهما يكتسبان المجد ويستمتعان به أحسن استمتاع وأجمل
 اكتساب ، وأنهما يضمنان به حيثُ ظهر وطلع فلا يترُكانه لأحدٍ مادام
 يستطيعان كسبه والفوز به . وانتصب « أحسن لبسة » على أنه مصدر . وارتفع
 « شحيجان » على أنه خبر مقدم ، والمبتدأ « كلاهما » ، و « ما اسطاعا » في
 موضع الظرف واسم الزمان محذوف معه . واسطاع منقوص عن استطاع .
 وتقدير الكلام : كلاهما شحيجان به ما اسطاعا عليه ، أي ما قدرا عليه . ومعنى
 « يلبسان المجد » ، أي يتمليانه ويمتعان به . قال :

لبستُ أبا حتى تملئتُ عيشه وبليتُ أعمامى وبليتُ خاليا

٤ — شهابانِ منّا أوقداً ثم أخذاً وكان سناً للمُدججين سناها
 ارتفع « شهابان » على أنه مبتدأ ، وجاز الابتداء به لكونه موصوفاً بمنّا ،

(١) قطعة من بيت في الحماسية ١٦٧ . وهو بتمامه :

يا بوس للحرب التي وضعت أراط فاستراحوا

وأوقدًا في موضع الخبر . والمعنى : أنهما لم يُمهَّلا للتمام والسكال ، بل كانا كنفارين أوقدتا ثم أنبعتا بالإخاد . والكلام توجعٌ وتأهفٌ . وقولها « وكان سناً للمدجلين سناهما » تريد نارها الموقدة للضيغان وللطراق بالليل ، وأنهم كانوا يستضيئون بها فيردون فناءه مستمسكين أرقامهم به ، ومتخلصين من سلطان البرد والجوع وشقة السفر إليه . ولا يمتنع أن يرتفع شهابان على أنه خبر مبتدأ محذوف أي هما شهابان .

٥- إذا نزلت الأرض المخوف بها الردى يُخفف من جأشيهما مُنصلاًهما

تصفهما بالصبر في دار الحفاظ ، وأنهما إذا نزلتا مكاناً مخوفاً لا يؤمن الردى فيه يسكن من قلقهما سيفهما . وهذا فيه إعلامٌ بأنهما كانا لا يعتمدان في الشدة تنزل بساحتها على غيرها ، وأنهما كانا يتحملان الأثقال بأنفسهما ، فلا صاحب لهما يتكفل عليه ، ولا معين يسكن إليه ، إلا السيف . فهو كقول الآخر^(١) :

* ولم يررض إلا قائم السيف صاحباً^(٢) *

٦- إذا استغنيا حب الجميع إليهما ولم ينأ عن نفع الصديق غناهما

تقول : وإذا نالا الغنى وساعدهما الحال حبيب جماعة الحى والمعتلين^(٣) بجهلها ، فازداد توفرًا عليهم ، وتفقداهم ، ولم يبعد غناهما من انتفاع الغرباء والأجانب ، ومن يتسبب بوترٍ وصداقة إليهما . فقولها « حب الجميع إليهما » مقصورٌ على النسب ، وآخر البيت مصروف إلى الصديق الغريب . وساغ أن يراد بالجميع الحى كلهم لاجتماعهم حوله . والجمع والجمع : المجتمعون . والجمع : المتفرقون . قال :

(١) هو سعد بن ناشب . الحماصية ١٠ ص ٧٤ .

(٢) صدره : * ولم يستشر في أمره غير نفسه *

(٣) ل : « والمعتلين » .

* من بين جمعٍ غيرِ مُجمَعٍ^(١) *

٨- إذا افتقر المِجْثُمَا خَشِيَةَ الرَّدَى ولم يَحْشَ رُزْءًا مِنْهُمَا مَوْلِيَاهُمَا

تريد أَنَّهُمَا إِذَا مَسَّهُمَا الْفَقْرُ ، وَضَاقَ بِهِمَا الْأَمْرُ ، لَمْ يَلْزَمَا بِيُوتَهُمَا تَارِكِينَ لِلْغَزْوِ وَالتَّجْوَالِ فِي طَلْبِ الْمَالِ ، خَوْفًا مِنَ الْهَلَاكِ ، وَمَيْلًا إِلَى الرَّاحَةِ عَنِ التَّسْيِيرِ لِسَكْنَهُمَا يَسْعِيَانِ نَلَا كِتْسَابَ ، وَبِتَحْمَلَانِ مِنَ الْمَشَاقِّ مَا يَنْلَانُ بِهِ مَنَاهُمَا ، أَوْ يَقِيَانُ بِهِ الْعُذْرَ [عند^(٢)] مَنْ رَاعَى أحوَالَهُمَا . وَقَوْلُهَا «وَلَمْ يَحْشَ رُزْءًا مِنْهُمَا مَوْلِيَاهُمَا» تَرِيدُ أَنَّهُمَا لَا يَسْتَحْمَلَانِ مَوْلِيَيْهِمَا عِبْتًا مِنْ فِقْرِهِمَا ، وَلَمْ يَضَعَا أَنْفُسَهُمَا فِي مَوْضِعِ الْارْتِزَاءِ مِنْهُمَا ، وَجَبَرَ الْحَالِ بِمَا لَهَا وَيَسَارِهَا . وَهَذَا كَقَوْلِ الْآخِرِ^(٣) :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقْرَهُ عَلَى نَفْسِهِ [وَمَشِيْعٌ غِنَاهُ^(٤)]

وَقَوْلُهَا «لَمْ يَحْشُمَا» مِنْ جَمِّ الطَّائِرِ . وَهِيَ يُسْتَبْنُونَ مَنْ رَضِيَ بِفِقْرِهِ وَصَارَ لَبِيئَتُهُ كَبَعْضِ أَحْلَاسِهِ : الضَّاجِعُ وَالضُّجْعِيُّ^(٥) ؛ لِأَنَّ الضُّجْعَةَ خَفَضُ الْعَيْشِ . وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى يُشِيرُ الْقَائِلُ فِي ذِمَّةِ قَوْمًا :

أَوْلَاكَ مَعْشَرٌ كَبِنَاتٍ نَعَشٍ ضَوَاجِعُ لَا تَسِيرُ مَعَ النُّجُومِ^(٦)
يُرْوَى : «رَوَاكِدُ» . وَانْتَصَبَ خَشِيَةَ الرَّدَى عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ .
وَقَوْلُهَا «مَوْلِيَاهُمَا» لَيْسَ يَرَادُ بِهِ التَّنْذِيَةُ ، بَلِ الْمُرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ . وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : لَبِيْكَ وَسَعْدَيْكَ .

(١) لأبي قيس بن الأسلت الأنصاري في المفضلية ٧٥ . وصدره :

* حتى تجلت ولنا غاية *

(٢) التكملة من ل .

(٣) هو المنتخل الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ٣٠) .

(٤) التكملة من ل وديوان الهذليين .

(٥) بضم الضاد وكسرهما .

(٦) انظر الأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٣٧٢ . وفي اللسان (ضجع) :

أولئك قبائل كبنات نعش ضواجع لا يفرن مع النجوم

٨ - لَقَدْ سَأَنِي أَنْ عَدَّسَتْ زَوْجَتَاهَا وَأَنْ عُرِّيَتْ بَعْدَ الْوَجَى فَرَسَاهَا

٩ - وَلَنْ يَلْبَثَ الْعَرْشَانِ يُسْتَلُّ مِنْهُمَا خِيَارُ الْأَوَاسِي أَنْ يَمِيلَ غَمَاهَا

يقال : عَدَّسَتِ الْمَرْأَةَ وَعَدَّسَتْ بَاتَشَدِيدٍ ، إِذَا قَعَدَتْ بَعْدَ بُلُوغِ النِّكَاحِ
أَعْوَامًا لَا تُنْكَحُ . وَيُسْتَعْمَلُ فِي الرَّجُلِ أَيْضًا . قَالَ :

* حَتَّى أَنْتَ أَشْمَطُ عَانِسُ *

كأَهِمَا كَانَا تَزَوَّجَا بِمِسْرَاتَيْنِ وَلَمْ يَحْوِلَاهَا^(١) ، وَلَمَّا اتَّفَقَ عَلَيْهِمَا مَا اتَّفَقَ
بَقِيَّتَا عَلَى حَالِهِمَا زُهْدًا فِي النِّكَاحِ بَعْدَهُمَا ، وَعِلْمًا بِالْأَعْتِيَاضِ مِنْهُمَا . فَتَقُولُ :
زَادَ ذَلِكَ فِي مَسَاءَتِي ، وَزَادَ فِيهَا أَيْضًا تَعْرِيبَةً مِنَ الْإِسْرَاجِ وَالْإِلْجَامِ ، بَعْدَ أَنْ
كَانَا يُسْتَعْمَلَانِ عَلَى مَا يَعْتَرِضُ لِهَمَا مِنَ الْحَفَى فِي غَزْوِ الْأَعْدَاءِ وَغَيْرِهِ . وَإِنَّمَا سَاءَهَا
مَا حَصَلَ مِنَ الْأَمْنَةِ فِي الْجَوَانِبِ الَّتِي كَانَا يَقْصِدَانِ وَيُوقِعَانِ بِهَا بَعْدَ الرِّقْبَةِ
الشَّدِيدَةِ ، وَمَا عَلِمَ^(٢) أَنَّهُمْ وَجَدُوهُ وَلَزِمُوهُ مِنَ الشَّمَاتَةِ وَإِظْهَارِ الْفَرَحِ وَالْمِسْرَةِ .

وَقَوْلُهَا : « لَنْ يَلْبَثَ الْعَرْشَانِ » جَعَلَتْ لِكُلِّ وَاحِدٍ عَرْشًا بِهِ كَانَ يَثْبُتُ
وَيَقُومُ ، فَيَقُولُ : الْعَرْشُ إِذَا بَقَاؤُهُ بَعْمُدِهِ ، فَإِذَا انْتَزَعَ خِيَارُهَا مِنْهُ فَلَنْ يَلْبَثَ
أَنْ يَمِيلَ سَقْفُهُ فَيَسْقُطُ . وَهَذَا مَثَلٌ ضَرْبَتُهُ لِعِزِّ ذَوِيهِمَا ، وَإِذْ قَدْ مَضَى فَيُوشِكُ
أَنْ يَتَلَمَّ وَيَنْخَفِضَ . وَالْأَوَاسِي : جَمْعُ آسِيَّةَ ، وَهِيَ الْأَسَاطِينُ . وَالغِيَاءُ ، بِكسْرِ
العين والمدّ : سَقْفُ الْبَيْتِ . وَالغَمَّا بِالْفَتْحِ وَالْقَصْرِ لَغَةٌ .

(١) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي النُّسخَتَيْنِ وَعِنْدَ التَّبْرِيذِيِّ ، وَلَمْ يَتَضَحَّ لِي
مَا الْمُرَادُ بِالتَّحْوِيلِ .

(٢) ل : « وَمَا عَلِمْتَ » .

٣٨٧

وقال الآخر :

١ - صَلَّى إِلَهُ عَلَى صَفِيِّ مُدْرِكٍ يَوْمَ الْحِسَابِ وَمَجْمَعِ الْأَشْهَادِ

٢ - نِعْمَ الْفَتَى زَعَمَ الرَّفِيقُ وَجَارُهُ وَإِذَا تَصَبَّصَ آخِرُ الْأَزْوَادِ

يُرْوَى : « وَمَجْمَعِ الْأَشْهَادِ » تَجْرُهُ وَتَعْطِفُهُ عَلَى الْحِسَابِ ، وَيَكُونُ مَجْمَعٌ فِي مَعْنَى جَمْعٍ . وَيُرْوَى « وَجَمْعَ » بِالنَّصْبِ ، وَيَكُونُ ظَرْفَ مَكَانٍ وَمَعْطُوفًا عَلَى يَوْمِ الْحِسَابِ . وَالصَّلَاةُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى : الرَّحْمَةُ . وَالْمُرَادُ : رَحِمَ اللَّهُ مُدْرِكًا صَفِيًّا فِي الْوَدِّ ، رَحْمَةً تَأْتِي مِنْ وَرَاءِ ذَنْبِهِ ، وَتُعْنَى عَلَى سَوَابِقِ فَرَطَاتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِذَا حَضَرَ الشُّهُودُ وَوُضِعَ الْحِسَابُ عَلَى تَحَاكُمِ الْخِصُومِ ، وَقَامَ الْجَزَاءُ مِنَ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ عَلَى الْمُطِيعِينَ وَالْعُصَاةِ .

وقوله : « نِعْمَ الْفَتَى » الْمُدْوَحُ مَحْذُوفٌ ، كَأَنَّهُ قَالَ نِعْمَ الْفَتَى مُدْرِكٌ . قَالَ : وَلَيْسَتْ هَذِهِ الشَّهَادَةُ مِنِّي وَمِنْ جِهَتِي ، وَلَا مِنْ جَمَلَةٍ مَدْحِي ، عَلَى عَادَةِ النَّاسِ فِي تَأْبِينِ الْهَلَاكِ ، وَلَكِنَّهَا مِمَّا أَدَّاهُ وَكَثَّرَهُ رَفَقَاؤُهُ فِي السَّفَرِ ، وَجِيرَانُهُ فِي الْحَضَرِ ؛ فَهِيَ حِكَايَةُ أَسْنَتِهِمْ ، وَمُؤَدَّاةُ قَضِيَّتِهِمْ . وَقَوْلُهُ « وَإِذَا تَصَبَّصَ آخِرُ الْأَزْوَادِ » مَعْنَى تَصَبَّصَ قَرُبًا مِنَ النَّفَادِ . يَرِيدُ : وَنِعْمَ الْفَتَى هُوَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، لِأَنَّهُ يُوَثِّرُ غَيْرَهُ بِالطُّغْمِ عَلَى نَفْسِهِ . وَتَلْخِيصُ الْكَلَامِ : نِعْمَ الْفَتَى مُدْرِكٌ فِي الْمُرَافَقَةِ وَالْمَجَاوِرَةِ ، وَعِنْدَ نِفَادِ الزَّادِ . وَالْأَشْهَادُ : جَمْعُ الشُّهُودِ . وَآكْتَفَى زَعَمَ بِالْفَاعِلِ فِي اللَّفْظِ ، لِأَنَّ مَفْعُولِيهِ دَلَّ الْكَلَامَ عَلَيْهِمَا .

٣- وَإِذَا الرَّكَّابُ تَرَوَّحَتْ ثُمَّ اغْتَدَتْ حَتَّى الْمَقِيلِ فَلَمْ تَعْمَجْ لِحَيَادِ

يريد : ونعم الفتى هو إذا وصلت الرِّكابُ السَّيْرَ بالشَّرَى ، فلم تَعْطِفْ
 لا نحرافٍ وازورار ، ولم تعرِّج لإصلاح شأن ، لكنَّها استمرَّت ووجدتَ لِمَا
 أزعجهم وبعثهم على استدامة التَّشمير ، وتعجيل الحركة وترك التَّقصير ، وطى
 المنازل ، واستقصار المراحل . ومعنى تروَّحتَ راحت . والرَّواحُ : العشيُّ .
 وراحتَ الإبلُ رَوَاحًا . والإراحة : رَدُّ الإبلِ عَشِيًّا من المرعى . يقال : سرَّختُها
 بالغداة^(١) وأرَّختُها بالعشي . ومعنى اغتدتَ حتَّى المقييل : سارت غُدُوًّا إلى وقت
 القيلولة . أى كان في هذه الحالة يأتى بما يستحقُّ به المدح من أصحابه ورفقائه ،
 لكرم صحابته ، وحسن رفاقته . ومعنى « لم تعجج » لم تعطف . يقال : عاج
 عوجًا وعيًّا جا . والحِياد : الإعراض عن السَّير للنزول . والفعل منه حَدَّ .
 ويقال : مالكَ عن هذا محيِّدٌ وحَيِّدانٌ وحِيادٌ .

٤ - حَثُّوا الرِّكابَ تَوُّوبًا أنضأوها فزها الرِّكابَ مغنَّيانٍ وحادٍ^(٢)

٥ - لَمَّا رَأَوْهُمْ لَمْ يُحْسُوا مُدْرِكًا وَضَعُوا أَنَامِلَهُمْ عَلَى الْأَكْبَادِ

وصف وزاد فنائه بعد فنائه ، وزوار قبره طلباً لِحَبائمه ، فيقول : استعجلوا
 رواحتهم وحضوها على قصده والوصول إلى بابيه ، ومهازيلها التي قد أثر بعدُ
 الشُّقَّة فيها فأنضأها ، تَوُّوبٌ إليها إذا نزلت ، أى تسير النهار كله حتى يتصل
 سيرها بالليل ، طلباً للتَّلاحُتِ معها ، فاستخزنها ونشَّطها مغنَّيانٍ بالخداء ، وسائقٌ
 يحدوها ، حتى وصلوا ، فلَمَّا رَأَوْا أَنفُسَهُمْ قد فَمَدَّتْ مُدْرِكًا ، يعنى المرثى ،
 أمسكوا على أكبادهم خوفاً من تصدُّعها ، إذ لو أدركوه حَيًّا لم يكن بينهم وبين
 الغنى إلا ما لا يعدُّ حَجزاً ولا مانعاً .

(١) سرحت المشية تسرح سرحاً ومسروحا ، وسرحتها أنا سرحاً ، يتعدى ولا يتعدى .

(٢) التبريزى : « تَوُّوبًا أنضأوها » . قال : « ويروى : تَوُّودها »

إن قيل: لِمَ جاز لنا رأوهم، والفاعلون هم المنعولون، وأنت لا تقول ضَرَبْتُنِي ولا ضَرَبْتِكَ، بل تأتي بدل ضمير المنصوب بالنفس، تقول: ضربت نفسي وضربت نفسك؟ قلت: إن أفعال الشك واليقين جُوزَ فيها ذلك. تقول: حَسِبْتُنِي ورَأَيْتَكَ وعلمتني، لمخالفتها سائر الأفعال في دخولها على المبتدأ والخبر. وقوله «تَوَوَّبَهَا أَنْضَاؤُهَا» في موضع الحال من الرّكاب.

٣٨٨

وقال الشماخ^(١)

في عمر بن الخطاب رضي الله عنه^(٢):

١ - جَزَى اللهُ خَيْرًا مِنْ أَمِيرٍ وَبَارَكْتَ يَدُ اللهِ فِي ذَلِكَ الْأَدِيمِ الْمَمْرُوقِ^(٣)

٢ - فَمَنْ يَسْعُ أَوْ يَرْكَبُ جَنَاحِي نِعَامَةٍ لِيُدْرِكَ مَا قَدَّمْتَ بِالْأَمْسِ يُسْبِقِ

يقول: جزاه الله عن الرعيّة خيراً من بين الأمراء، وباركت نعمته الله—

تعالى جدّه وإحسانه— في أديمه الممروق، يعني جلد عمر رضي الله عنه، حين

طعنه أبو لؤلؤة فتى المغيرة بن شعبه. وأصل البركة النماء والثبات. ومنه برك

البعير بُرُوكاً. وبراء كاء القتال: حيث يبتريكون، أي يجثون على رُكبتهم.

(١) هو معقل بن ضرار بن سنان بن أمية بن عمرو بن جحاش بن بجالة بن مازن بن ثعلبة ابن سعد بن ذبيان. والشماخ لقب له. والشماخ مخضرم من أدرك الجاهلية والإسلام. وهو أحد من هجا عشيرته وأضيافه ومن عليهم بالقرى. الأغاني (٨: ٩٧ - ١٠٤) والمؤتلف ١٣٨ واللائل ٥٨ - ٥٩ والخزانة (١: ٥٢٦) والشمر ٢٧٤ والاشتقاق ١٧٤، وكتب الصحابة.

(٢) يزعمون أن الجن ناحت على عمر قبل أن يقتل بهذه الأبيات. الأغاني. وقال التبريزي: «وقال أبو رياش: الذي عندي أنه لمزرد أخيه. وقال أبو محمد الأعرابي: هو لجزء ابن ضرار أخيه». وقد نسبها الجاحظ في البيان (٣: ٢٦٤) إلى مزرد بن ضرار.

(٣) البيان: «عليك السلام من إمام». الأغاني: «عليك سلام من أمير».

وقوله : « فمن يَسَع » يريد أن شأوه في الإيالة واستصلاح الرعيّة وتفقد مصالحيهم لا يُدرك ، فمن أراد بلوغه والارتقاء إلى غايته بقي حسيراً مسبوقة ولوركب جناح النعمامة . يريد : لو أسرع إسرعاها . وقوله « بالأمس » ذكره على طريق تقريب الأمد . وقوله « يُسَبِّق » هو جوابُ الجزاء .

٣ - قَضَيْتَ أُمُورًا ثُمَّ غَادَرْتَ بَعْدَهَا بَوَائِحَ فِي أَكْثَمِهَا لَمْ تَفْتَقِ (١)

يقول : أحكمت أُمُورًا بصائبِ نظرِكَ ، وجميلِ رأيِكَ ، وحسنِ تألّهِكَ (٢) ثم أُعْجِلْتَ فَتَرَكْتَ بَعْدَهَا دَوَاهِيَ وَخُطُوبًا عَظِيمَةً ، هِيَ فِي أَغْطِيَتِهَا لَمْ تَظْهَرَ وَلَمْ يُكْشَفْ عَنْهَا . وَالْفَتْقُ : ضِدُّ الرَّتْقِ ، وَكُلُّ مُتَّصِلٍ مُسْتَوٍ رَتْقٌ ، فَإِذَا انفصل وانكشف فهو فَتَقٌ . والبوائِح : الدَوَاهِي العَامَّة . ويقال : بَاجَهُمُ الشَّرُّ ، أَي عَمَّهُمْ . قال الشاعر :

* فَبَجَّتْهُ وَأَهْلَهُ بَشَرٌ *

والأكمام : الأغطية ، منه كُمُ الثمرة . ويقال : لكل شجرة مُنْمِرَةٌ كُمٌ وهو بُرٌّ عُوْمَتُهَا .

٤ - أَبْعَدَ قَتِيلٍ بِالْمَدِينَةِ أَظْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ تَهْتَزُّ الْعِضَاهُ بِأَسْوُقِ

قوله « أبعد قتيلاً » لفظه استفهام ، ومعناه التفضيع والإنكار . وحرف الاستفهام يطلبُ الفعل ، فكأنه قال : أتهتزُّ العِضَاهُ على أسْوُقِهَا بعد قتيلاً بالمدينة أظلمتُ له الأرض . هذا عَجَبٌ .

وقوله « أَظْلَمَتْ لَهُ الْأَرْضُ مِنْ صِفَةِ قَتِيلٍ . والمعنى أن حصولَ هذا الأمرِ

(١) البيان : « بوائِح في أكثَمِهَا » . والبائِقة : الداهية .

(٢) التأله : التنسك والتعبد .

وَجَرِيَانَهُ عَلَى مَا كَانَ مُنْكَرٌ فظييع ، بَعْدَ مَا اتَّفَقَ عَلَى قَتِيلٍ هَذَا صِفَتُهُ .
وَالْمِضَاهُ : شَجَرٌ ، وَاحِدَتَهَا عِضَّةٌ . قَالَ :

* وَمِنْ عِضَّةٍ مَا يَنْذِبُ شَكِيرُهَا ^(١) *

وقد مضى القول في مثل هذا البيت . وبشبهه قول الآخر ^(٢) :

أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ

٥- تَطَّلُ الْحِصَانَ الْبِكْرُ يُلْتَقِي جَنِينَهَا نَثَا خَبْرٍ فَوْقَ الْمَطِيِّ مَعَلَّقِي

٦- وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ بَكْنِي سَبَدْتِي أَرْقِي الْعَيْنِ مُطْرِقِي

الْحِصَانُ : الْعَفِيفَةُ وَقَدْ أَحْصَنْتَ وَحَصَنْتَ . وَالْبِكْرُ : الَّتِي حَمَلَتْ أَوَّلَ

حَمَلِهَا ، فَهِيَ بِكْرٌ وَالْوَلَدُ بِكْرٌ وَالْأَبُ بِكْرٌ . وَالنَّثَا ، يَسْتَعْمَلُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ .

يُقَالُ : نَثَوْتُ الْكَلَامَ أَنْثَوُهُ نَثْوًا ، إِذَا أَظْهَرْتَهُ . فَيَقُولُ : تَرَى الْحَامِلَ

يُسْقِطُ حَمَلَهَا مَا يُنْثَى مِنْ خَبْرٍ سَارَ بِهِ الرَّكْبَانُ ، وَتَقَادِفَتُهُ الْأَقْطَارُ ، اسْتَفْظَاعًا

لَوْقُوْعِهِ ، وَاسْتَشْعَارًا لِكُلِّ بَلَاءٍ وَخَوْفٍ مِنْهُ .

وقوله «وما كنت أخشى» يقول : إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَمْنِ الْحَدَثَانَ عَلَيْهِ ، وَصِرْتُ

أَرْقَبُ جَمِيعِ أَسْبَابِ الرَّدَى فِيهِ حَتَّى ظَنَنْتُ ظُنُونَ الْمَشْفِقَاتِ ، مُسْتَدْفِعًا لِلآفَاتِ

عِنْدَهُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِي أَنْ يَكُونَ فِي جَلَالَتِهِ وَارْتِفَاعِ حَمَلِهِ يُرْدِيهِ عَبْدٌ جَسُورٌ

لَيْمٌ جَرِيءٌ ، أَرْقِي الْعَيْنِ ، مُسْتَرْخِي الْأَجْفَانِ . وَإِنَّمَا حَلَّى قَاتِلَهُ بِهَذِهِ الْحَلِيَّةِ

تَنْبِيْهًُا عَلَى حَقَارَتِهِ فِي نَفْسِهِ وَجِنْسِهِ ؛ وَذَنَّا الْأَصْلِيَّ وَفِرْعَهُ ، وَإِعْلَامًا بِأَنَّ الصَّغِيرَ مِنْ

الرَّجَالِ يَجْنِي السَّكْبِيرَ مِنَ الْأُمُورِ ، وَأَنَّ مَا لَا يَتَمَعُّ فِي الْوَهْمِ اسْتِبْعَادًا لِكُونِهِ ،

يَشَاهِدُهُ الْإِنْسَانُ أَقْرَبَ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ ، ثُمَّ لَا يَمْلِكُ إِلَّا اسْتِغْرَابَهُ وَقَضَاءَ الْعَجَبِ

(١) انظر اللسان (شكر) وشروح سقط الزند ١٥١١ .

(٢) هوليلي بنت طريف ، كما في حماسة ابن الشجري ٨٩ وحماسة البحترى ٤٣٥ . وقيل

إن الشعر للفارعة بنت طريف . والمرثى بهذه القصيدة هو الوليد بن طريف الشاري . وقد روى

ابن خلكان في ترجمته القصيدة كاملة ، وهي نادرة .

منه والتزام الجزع فيه . والسببنتى والسببندى ، أصله فى النمر ، ويستعمل فى الجرم المقدم . وقال الدريدى ؛ المطرق : الغليظ الجن الثقيله .

٣٨٩

وقال صخر بن عمرو^(١) أخو الخنساء :

١- وقالوا ألا تهجوا فوارس هائيمٍ ومالى وإهداء الخنساء ثم ماليا
٢- أبى الهجر أئى قد أصابوا كريمتى وأن ليس إهداء الخنساء من شماليا^(٢)
يريد : قال الناس باعثنى لى على هجاء من أصابنى فى أخى معاوية ونحت
أثلتهم ، وذكر أعراضهم : ألا تنتقم منهم بالتول إلى أن يتسهل الفعل فتذكر
معايبهم ، وتكشف عن مستور مخازيهم ، ومجهول مقابحهم ومساويهم ؟ فأجبتهم
وقلت : مالى وذكر القبيح وإهداء الفواحش ثم مالى ؟ أما تعلمون أن ما بينى
وبينهم أقذع من الهجاء ، وأن جزاء من أصاب كريمتى أفضع من الإهجار ،
وأنه ليس قول القبيح وتنقص الناس من عادتى وطبيعتى ، إذ كنت أربأ
بقدرى عن الوقوف موقف المغتابين والطاعنين فى الأنساب والأعراض . وقوله
« ومالى وإهداء الخنساء » انتصب إهداء بفعل مضمري ، وتكريره لى دلاله
على استقباحه لما بعث عليه ، ودعى إليه . والخنساء هو الفحش ، كأنه قال : مالى
الابس الخنساء وأتكلفه . وقوله « أصابوا كريمتى » فالكريمة أخرج إخراج

(١) هو صخر بن عمرو بن الحارث بن الشريد ، من أشرف بنى سليم ، أخو الخنساء
الشاعرة الصحابية ، وقد مات قبلها فرثته رثاء صادقا ، وضرب بجزنها عليه المثل ، ويبدو أنه
مات قبل الإسلام . وفى ذلك تقول الخنساء : كنت أبكى لصخر من القتل ، فأنا أبكى له اليوم
من النار . انظر ترجمته مع الخنساء فى الأغاني (١٣ : ١٢٩ - ١٤٠) والخزانة (١) :

(٢٠٧ - ٢١١) والشعراء ٣٠١ - ٣٠٦ .

(٢) التبريزى : « أبى الهجو » .

المصادر . وعلى ذلك ما رُوِيَ على النبي صلى الله عليه وسلم « إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه ^(١) » .

ويجوز أن تكون الماء للبالغة . وقوله « وأن ليس إهداء الخلفاء » أن مخففة من الثقيلة ، واسمها مضمرة ، والجملة التي بعده في موضع الخبر ، وموضع أن رفعه بكونه معطوفاً على أني قد أصابوا ، وأنني فاعل أبي الهجر .

٣- إذا ما امرؤ أهدي لميت تحية فحياك رب الناس عني معاوية

٤- لنعم الفتى أدى ابن صرممة بزه إذا راح فحل الشول أهدب عارياً ^(٢)

يقول : إذا رَجُلٌ حَيًّا مَيِّتًا فتولى الله تعالى عني تحيتك يا معاوية .
والتحية من الله تعالى : الإكرام والإحسان ، والتفضلُ عليه بما هو أهله .

وقوله « لنعم الفتى » المحمود بهذا الكلام محذوف ، كأنه قال : لنعم الفتى الذي ذا صفته . وقوله « أدى ابن صرممة بزه » أراد سلاحه وسلبته . وقوله « إذا راح » ظرف لما دل عليه نعم الفتى . أي يُحمدُ في هذا الوقت إذا اشتدَّ الزمان وأجدبت الأرض ، وانصرف فحل الشول من مرعاه عارياً من اللحم مهزولاً ، لكثرة أفضاله ، وحسن تفقده واتصال بره بمن يجمعه إليه نسب أو سبب . والشول : الثوق القليلة الألبان ، واحدها شائلة . وابن صرممة المذكور يجوز أن يكون القاتل لمعاوية أو المعين عليه .

٥- وطيب نفسي أنني لم أقل له كذبت ولم أنخل عليه بما ليا

٦- وذى إخوة قطعت أقران بينهم كما تركونى واحداً لا أخاليا

(١) هو حديث أنه أكرم جرير بن عبد الله لما ورد عليه ، فبسط له رداه وعممه بيده وقال : « إذا أتاكم كريمة قوم فأكرموه » .

(٢) بعده عند التبريزي :

إذا ذكر الإخوان رقرقت عبرة وحييت رمسا عند لية ثاويا

تَسَلَّى فِيمَا أَوْجَعَهُ مِنْ ارْتِزَاءٍ بَأَن لَمْ يَكُنْ جَنَاهُ وَهُوَ حَيٌّ قَوْلًا وَلَا فِعْلًا ، ثُمَّ
تَسَلَّى أَيْضًا بِأَنَّهُ كَمَا فُرِّقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِخْوَتِهِ وَتُرِكَ فَرِيدًا وَحِيدًا ، قَدْ تَوَلَّى مِثْلَ
ذَلِكَ مِنْ مُعَادِيهِ ، فَرُبَّ إِخْوَةٍ مُتَنَاصِرِينَ صَارَتْ كَلِمَتُهُمْ وَاحِدَةً ، وَأَهْوَاؤُهُمْ
مَتَّفِقَةٌ ، وَهُمْ فِي تَأَلُّفِهِمْ وَتَشَابُهِهِمْ ، وَتِلَاوُمِهِمْ وَتَرَافُدِهِمْ ، كَالْحَلِيقَةِ الْمُفْرَغَةِ
لَا يُدْرَى أَيْنَ رَأْسُهَا ، أَنَا قَطَعْتُ عِلَاقَتَ بَيْنِهِمْ ، وَوَصَلَّ نِظَامَهُمْ ، فَتَفَرَّقُوا
وَتَفَاقَدُوا حَتَّى صَارُوا فِي الدُّشْتِ مِثْلًا ، كَمَا كَانُوا فِي التَّجْمَعِ مِثْلًا . وَهَذَا بِإِزَاءِ
مَا فَعَلَ بِي ، وَفِي مُقَابَلَةِ مَا نِيلَ مِنِّي . وَالذَّهْرُ تَارَاتٌ ، وَ « مَنْ يَرَى يَوْمًا
يُرَبِّهِ » . وَقَدْ مَرَّ الْقَوْلُ فِي قَوْلِهِ « لَا أَخَالِيَا » . وَانْتَصَبَ « وَاحِدًا » عَلَى
الْحَالِ مِنْ تَرْكُونِي ، وَلَا أَخَالِيَا صِفَةً لَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : تَرْكُونِي وَحِيدًا فَرِيدًا .
وَقَوْلِهِ « أَفْرَانَ بَيْنَهُمْ » أَيْ وَصَلَ بَيْنَهُمْ . وَأَصْلُ الْأَقْرَانِ الْحَبَالُ ، وَالوَاحِدُ
قَرْنٌ . يُرِيدُ : إِنِّي قَطَعْتُ الْأَسْبَابَ الْجَامِعَةَ بَيْنَهُمْ بِقَتْلِهِمْ وَتَفْرِيقِهِمْ . وَ « بَيْنَ »
جَعَلَهُ اسْمًا . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ .

٣٩٠

وقالت أخت المقصص^(١) :

١ - يَأْطُولُ يَوْمِي بِالْقَلْبِيبِ فَلَمْ تَكْدُ شَمْسُ الظَّهِيرَةِ تَمْتَقِي بِحِجَابِ

(١) اسمها « ميسون » كما ذكر التبريزي . وروى من خبر هذه الأبيات أن المقصص
أخا بني الصموت ، من بني عبد الله بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، خرج في أيام فتنة
ابن الزبير يصدق من مر به من الناس ، حتى أتى بني قنفذ من بني سليم ، بناحية هضبة القليب ،
فصدقهم ، ثم بعث إلى هلال أخى بني سمال بن عوف : أن ابعث إلى بابنتك . فقال هلال : إن
كان تزويجا فليأتنا فإنه كفء . قال : إنما أردت أن تمشط رؤوسنا وتحدث معنا . فضرب
هلال الرسول ، فركب المقصص في فرسان ثلاثة حتى هجم على الحى ، فثاروا إليه ، وكان في
الذين ثاروا إليه مع هلال فتيان من بني قنفذ ، يقال لأحدهما المستوضح والآخر الحسن بن الأسود ،
فناوشوه قليلا . ثم إن المقصص حمل على هلال فخاف هلال أن يطعنه وليس معه سلاح ، فوجد =

٢ - **وَمَرْجَمٍ عَنكَ الظُّنُونِ رَأَيْتَهُ** و**رَأَاكَ قَبْلَ تَأْمُلِ المَرْتَابِ**
قوله « يا طُولِ يَوْمِي » لفظه نداء ، ومعناه تعجب واشتكاء ، وإنما استطالته
لأنه كان يومَ محسٍ ومكروه . فيقول : يَوْمِي بِالْقَلْبِ امتدَّ وطال حتى كادت
الشمس لا تحتجب عن الأبصار بحجابها المعلوم ؛ فيأله من يومٍ ما أطوله .
والقلب : موضع^(١) . وأضاف الشمسَ إلى الظَّهيرة كأنه لما قام قائمُ
الظَّهيرة وقفت حيرى فلم تكن تجنح إلى المغيب ، ولا كانت تسير
فتهوى للغروب .

وقوله « ومَرْجَمٍ عَنكَ الظُّنُونِ » وصفه بأن الآفاق على بعدها كانت
قريبةً عليه لما أيد [به] من العزم وتسهل له وفي نفسه من روعة السير ، فيقول :
ربُّ مُكاشِحٍ لك كان على تنائيهِ عنك ، وتحزُّمه معك ، واستظهاره بإبعاد
الدَّارِ منك ، يرجمُ الظنَّ فيك ، ويؤسوس إليه ما يعرفه من إبعادك في الغزو ،
وقلة احتفالك فيما تركبه بلواحق التَّعب ، وعوارض الخطر - أنك تقصده
وتتوقع به آمن ما كان منك ، وهو في وسواسه لم يحدث نفسه بتأمل ما وقع
في خَلده ، ولا بالكشف عمَّا ارتاب له ، إذ أنت أتيتَه من حيث لا يحتسبه ،
واستبجحت حريمه ، واستغنمت ماله . وقوله « قَبْلَ تَأْمُلِ المَرْتَابِ » يجوز أن
يريد به قبل تأمله ، فيكون المرتاب هو المَرْجَمُ المُكاشِح . ويجوز أن يكون
جعلَه مثلاً .

= أنفية مرتزة في الرماد فاقتلعتها ورماء بها ، فركب رده ومات ، وانهمز أصحابه وسروا على
جعدة بن عبد الله ، أخى بنى غيظ بن مالك ، فقتلوه فتال هلال :

أعددت للهيجا ويوم المشهد وللأحاديث التي بعد الغد

* مستوضحاً والحسن بن الأسود *

فركب أولياء المقصص حين هدأت الفتنة إلى الحجاج فذكروا أمر صاحبهم وأمر
الغيطي ، فأعذر دم المقصص وأفادهم بالغيطي ، فقالت أخت المقصص هذه الأبيات .

(١) في معجم البلدان : « هضب التليب بنجد . والهضب : جبال صغار . والتليب في
وسط هذا الموضع يقال له : ذات الإصا ، وهو من أسمها . وعنده جرى داحس والغبراء . »

وقد ألم بهذا المعنى أبو تمام في قوله :

أَسْرَتْ لَكَ الْآفَاقَ عَزْمَةٌ هَمِيَّةٌ جُبِلَتْ عَلَى أَنَّ الْمَسِيرَ مُقَامٌ
٣ - فَأَفَاتَ أَدْمًا كَالْحِضَابِ وَجَامِلًا قَدْ دُنَّ مِثْلَ عَلَائِفِ الْمُقْصَابِ^(١)

٤ - لَكُمْ الْمُقْصَصُ لِأَنَّا إِنَّا أَنْتُمْ لَمْ تَأْتِكُمْ خَيْلٌ ذُوو أَحْسَابٍ
يقول : غَزَوْتَهُ لُجَعَاتَ مَالِهِ فَيَمَّا وَغَنِيمَةً : نُوقًا كَالْجِبَالِ سِمَانًا ،
وَذِكُورَةً عِظَامًا ضِخَامًا ، عُدُنَ كَأَتَى يَسْمُنُهَا الْجَزَارُ لِلنَّحْرِ .

وقوله : « لَكُمْ الْمُقْصَصُ لِأَنَّا » يقول : إن لم تأتكم خيلاً إذا طلبوا الثأر طلبوه عن امتعاضٍ وشدةِ أنفةٍ ، وجِدِّ في الأمر واجتهادٍ ، فِعْلَ الْحِسَابِ الْكَرِيمِ الَّذِي لَا يَغْمُضُ عَلَى قَدِّي ، وَلَا يَصْبِرُ فِيمَا يَحِقُّ لَهُ عَلَى أَدْيٍ ، فَأَتَمَّ أَوْلِيَاءَهُ دَمِيهِ مِنْ دُونِنَا ، وَالْمَالُ كَوْنَ لَهُ سَوَانًا . وَقَدْ تَرَكَنَاهُ لَكُمْ ، وَفُزْتُمْ بِمَا أَصَبْتُمُوهُ ، وَاسْتَمْرَأْتُمْ مَا طَعِمْتُمُوهُ . وَقَوْلُهُ « أَفَاتَ » مِنَ الْفِيءِ : الْغَنِيمَةُ ، لَا مِنَ الْفِيءِ الرَّجُوعِ . وَالْجَامِلُ مُوَحَّدُ اللَّفْظِ مَصْوَغٌ لِلْجَمْعِ ، وَيُرَادُ بِهِ الْإِبِلُ ، لِكَنْهِهِ مُشْتَقٌّ مِنْ لَفْظِ الْجَمَلِ ، كَالْبَاقِرِ مِنَ الْبَقَرِ . وَالْعَلَائِفُ : جَمْعُ الْعَلُوفَةِ ، وَهُوَ مَا يَسْمَنُ فِي الْبُيُوتِ . وَيُقَالُ : شَاةٌ مُعَلَّفَةٌ ، أَيْ مَسْمُومَةٌ . وَالْمُقْصَابُ ، بِنَاءُ بِنَاءِ مَا يَكُونُ آلَةً ، فَهُوَ كَالْمِفْتَاحِ ، لَا بِنَاءِ مَا يَكُونُ لِلْحِرْفَةِ وَالْمَزَاوِلَةِ . وَالْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ « الْقَصَابُ » ، وَهُوَ مِنَ الْقَصْبِ : الْقَطْعِ وَالْفَضْلِ ، لِأَنَّهُ يَقْصَبُ الشَّاةَ أَيْ يَقْطَعُهَا .

(١) رواية التبريزي : « المقضاب » ، وقال في تفسيره : « المقضاب : المزرعة التي تنبت القصب ، وهو القصب . فأرادت أنهم امن لحصب في روضة مستكة كاستكان نبات القصب . وقيل : المقضاب شبه منجل . تريد كأنها علائف سميت للنحر . والمقضاب أيضاً : الرجل الكثير القطع . والقضاب : الذي صناعته ذلك . فإذا روى القضاب فعناه مثل علائف الذي ينحرن كثيرأ . ومن روى المقضاب بالصاد نسبة إلى القصب . ويحتمل أن يكون المقضاب : الموضع الكثير القصب ، كما أن المعشاب الموضع الكثير العشب . »

٥ - وَأَبُو الْيَتَامَى يَنْدُبُونَ بِبَابِهِ نَبَتَ الْفِرَاحِ بِمُكَلِّيٍّ مِعْشَابٍ^(١)

٦ - فَكَيْهٌ إِلَى جَنْبِ الْخِوَانِ إِذَا غَدَتُ نَكْبَاءُ تَقْلَعُ ثَابِتَ الْأَطْنَابِ

قوله « وأبو اليتامى » أى كان يكفلهم ويعولهم ، ويُشْفِقُ عليهم ويتحدث ، حتى كأنه أبوهم . وارتفع « أبو » كأنه خبر ابتداءً محذوف كأنها قالت : وهو لليتامى أب . ومعنى « يندبتون ببابه » يروى « فناءه » ، وانتصابه على أنه أخرجَه إلى باب الظُّروف ، كما فُعلَ ذلك بمَقْعَدِ القَابِلَةِ ، وَمَنَاطِ الثَّرِيَاءِ وما أشبههما . والمعنى أنهم يترَّبون في فناءه ويتنعمون ، تَرَبَّى فِرَاحِ الطَّيْرِ بِمَكَانِ كثير العُشْبِ والكَلَاءِ . ويقال : أكلَ الموضِعُ ، إذا صار ذا كَلَاءٍ وَعُشْبٍ . والمعشاب : الكثير العُشْبِ .

وقوله « فكيهٌ إلى جنب الخوان » فالفكيه : الكثير المزاح واللَّعِبُ^(٢) ، تأنيساً للضعيف وبسْطاً منه ، كما قال الآخر^(٣) :

* أَحَدُّهُ إِنْ الْحَدِيثَ مِنَ الْقِرَى^(٤) *

وقوله « إذا غدت » ظَرْفٌ لِلْفَكِيهِ . يريد : يفাকে الضَّيفُ عند الأكل بمَلْحِ الكَلَامِ ، كى يستأنسَ وَيَتَسَّعَ الوقتُ له فيستوفى . وإلى من قوله « إلى جنب الخوان » تعلقَ بفعلٍ مضمَرٍ دَلَّ عليه فَكِيهِ ، كأنه مع قُربِ الخوان يَفَكُّهُ . و « إذا غدت نكبَاءُ » يريد وقت البردِ وهبوبِ الرِّيحِ الباردةِ المزعزعة للبيوت ، القالعة لأوتادها وحبالها . وأطناب البيوت : حبالها . ومنه إطنابَةُ الحُزْمِ والقِسَى . والجميعُ الأطانيب . قال :

(١) روى التبريزى هذا البيت بعد تاليه .

(٢) اتفقت اللسختان في هذا الضبط .

(٣) هو عتبة بن بجير ، أو مشكين الدارمى ، كما سأتى في القسم الرابع من الحامسة .

(٤) عجزه : * وتعلم نفسى أنه سوف يهجع *

* بَرَّ كُضْنَ قَدْ قَلَقَتْ عَقْدُ الْأَطَانِيبِ (١) *

٣٩١

وقالت عمرة بنت مرداس (٢) ترى أخاها عباساً :

١ - أَعْيَنِي لَمْ أَخْتَلِكُمَا بِخِيَانَةٍ أَبِي الدَّهْرُ وَالْأَيَّامُ أَنْ تَتَصَبَّرَا
 ٢ - وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ أكونَ كَأَنِّي بَعِيرٌ إِذَا يُنْعَى أَخِيَّ تَحَسَّرَا
 ٣ - تَرَى الخِصْمَ زُورًا عَنْ أَخِيَّ نَهَابَةً وَابْنَ الجَلِيسِ عَنْ أَخِيَّ بَازُورًا
 تقول : يا عيني لا أقول إنكما لم تجزعا ولم تذرifa ، ولم تخلطا بدمع دما ،
 فأكون قد خدعتكما بخيانة استعملتها معكما . وكيف لا تكونان كذلك والأيام
 والليالي امتنعت عليكما أن تتصبرا فيها ، إذ كانت حملتكما من أعباء الرزية
 ما استنفد وسعكما ، واستغرق طوقكما ، حتى نزلت دموعكما ، وتوقفت
 عن الإجابة شؤونكما ، فما بقي منكما إلا شفا .

وقولها : « وما كنت أخشى » يقول : كنت قبل هذه الرزية واثقا بقوتي
 وصبري ، ومسكتي وعقلي ، حتى لا أخشى - إذا أخطرت بيالي أحداث الدهر
 وتأثيرها في الأحبة والأهل - سوء احتمال فيها ، وضعف منة عنها ، إلى أن
 نعى أخى فورده على نفسي ما أبداني بالتأسك تهالكها ، وبانهتبت تساقطا ،
 حتى صرت كأني بعير أريح عليه فتحسّر ورزح ، وعقل في مبركه بالعجز
 فما برح .

(١) البيت لسلامة بن جندل ، ولم يرو في ديوانه ولا في المفضليات . لكن نسب في
 الأساس إلى النابغة ، ومع ذلك لم يرد في ديوان النابغة في قصيدته التي على هذا الروي .
 وصدوره في اللسان :

* حتى استغثن بأهل الملح صاحبة *

(٢) سبمت ترجمة أخيها في الحامية ١٤٩ ص ٤٣٣ .

وقولها « تَرَى الْخَصْمَ زُورًا » جمعت الخَصْمَ للجمع فلذلك قالت زُورًا .
 والمصدرُ إذا وُصِفَ به يُبْقَى على حاله فلم يُبَنَّ ولم يُجَمَع . وقد قيل : خَعْمَانُ
 وخصُوم ، لَمَّا غلبت عليه الوصفية وكثر في الاستعمال أُجْرِيَ عليه حكمُ الصِّفَةِ .
 والمعنى : تَرَى مُنَابِذِي أُخَيِّ مَنْحَرَفِينَ عَنْهُ وَعَنْ كُلِّ مَتَّصِلٍ بِهِ ، مسالِمِينَ لَهُ
 وَلَمَنْ أَعْلَقَ حَبْلَهُ بِحَبْلِهِ ، إِعْظَامًا لَهُ وَتَهَيُّبًا ، وَإِكْبَارًا وَتَخَوُّفًا . وترى جُلسَاءَهُ
 وَنُدْمَاءَهُ مَبَاسِطِينَ لَهُ وَمَسْتَأْسِينَ بِهِ ، لَا يَتَدَاخَلُهُمْ مِنْهُ رُعبٌ ، وَلَا يَقْبِضُهُمْ عَنْهُ
 تَجَبُّرٌ وَكِبَرٌ . وَالخَلْتُلُ : المَكْر . وقال الخليل : هو تَخَادُعٌ عَنِ غَفْلَةٍ . وإنما قال
 الدهر والأَيَّامُ ، لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالْأَيَّامِ الْأَحْدَاثَ . وهذا كما قيل للوقعات : الأَيَّامُ .
 وإنما صَغَّرَتِ الْأَخَّ لِتَلطِيفِ الْحَلِّ . هذا على قولهم صُدِّقِي . والتحشُّرُ : الضعف
 عن الإعياء . ويقال : الحُسْرُ والحُسُورُ أيضًا . وحَسَرَتِ النَّاقَةُ فَهِيَ حَسِيرٌ وَالْجَمْعُ
 الحُسْرَى . ولك أن تروى : « أُخَيِّ » وهو الأَصْلُ ، و « أُخَيِّ » فتحذف ياءَ
 استئقلاً لِاجْتِمَاعِ الْيَاءَاتِ ، وَتَبْنِيهِ عَلَى الْفَتْحِ لِأَنَّهُ أَخْفُ الْحَرَكَاتِ . وَانْتَصَبَ
 « مَهَابَةٌ » لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ .

٣٩٢

وقالت ربيعة بنت عاصم :

- ١- وَقَفْتُ فَأَبْكَنِي بَدَارِ عَشِيرَتِي عَلَى رُزْمِينَ النَّبَاكِيَاتِ الْخَوَاسِرُ
 - ٢- غَدَوَا كُسُيُوفِ الْهِنْدِ وَرَادَحُومَةٍ مِنْ الْمَوْتِ أَعْيَا وَرَدَهُنَّ الْمَصَادِرُ
 - ٣- فَوَارِسُ حَامِوَاعِنِ حَرِيمٍ وَحَافِظُوا بَدَارِ الْمَنَابِيَا وَالْقَنَا مُتَشَاجِرُ^(١)
 - ٤- وَلَوْ أَنَّ سَلَمَى نَاهَا مِثْلُ رُزْمِنَا لَهَدَّتْ وَلا كُنْ تَحْمِلُ الرُّزْمَ عَامِرُ
- تقول : دعاني ما أصبتُ به في عشيرتي إلى الوقوف بدارهم ، فشجيتُ

(١) التبريزي : « عن حريمي » .

بِشَجَى النِّسَاءِ النَّوَادِبِ الحَوَاسِرِ ، حَتَّى بَكَيتُ لِبِكَائِهِنَّ عَلَى حَادِثِ الرِّزْءِ ،
وَاقْتَفَرْتُ آثَارَهُنَّ فِي التَّهْلَعِ وَالْحَزْنِ .

وقولها « غَدَوَا كَسِيوفِ الهِنْدِ » أَخَذَتْ تَصِفُ حَالَ عَشِيرَتِهَا فَقَالَتْ :
ابْتَكُرُوا وَهَمَّ فِي خِلَقِهِمْ وَتَجَرَّدُوهُمْ ، وَصَفَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ ، كَسِيوفِ الهِنْدِ ، فَوَرَدُوا
حَوْمَةً مِنَ المَوْتِ أَعْجَزَهُمُ الصَّدْرَ عَنْهَا . وَالْحَوْمَةُ : مُعْظَمُ الحَرْبِ وَغَيْرِهَا . وَحَوْمَةُ
الْبَحْرِ : أَكْثَرُ مَوَاضِعٍ مِنْهُ مَاءٌ ، وَكَذَلِكَ حَوْمَةُ الحَوْضِ . وَيُقَالُ : حَامَ الطَّائِرُ
عَلَى المَاءِ يَحْوِمُ حَوْمًا ، إِذَا دَارَ عَلَيْهِ فِي الطَّيْرَانِ .

وقولها « فَوَارِسُ حَامُوا عَنْ حَرِيمٍ » وَصَفَتْهُمْ بِأَنَّهُمْ حَفِظُوا مَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ
حِفْظُهُ مِنْ حُرْمِهِمْ . وَفِي المَثَلِ : « لَا بُقْيَا لِلْحَمِيَّةِ بَعْدَ الحُرَامِ » أَيْ عِنْدَ
الحُرْمَةِ ، وَالْحُرْمَةُ : مَا لَا يَحِلُّ لَكَ اتِّهَانُهَا ، وَكَذَلِكَ المَحَارِمُ ، وَاحِدَتُهَا
مَحْرَمَةٌ . قَالَ :

* وَمَحْرَمَاتٌ هَتَكُنَّهَا بُجْرِيٌّ ^(١) *

وَمِنْ ذَلِكَ قَيْلٌ : حَرِيمِ الدَّارِ ، لِمَا كَانَ مِنْ حَقِّهَا .

وقولها « وَحَافَظُوا بِدَارِ المَنَابِيَا » أَيْ ثَبَتُوا فِي دَارِ الحِفَاظِ ، وَدَافَعُوا
وَصَدَرُوا ، وَلَمْ يَنْتَقِلُوا عَنْهَا طَالِبًا لِلسَّلَامَةِ ، وَحِرْصًا عَلَى نَيْلِ الخِصْبِ وَالأَمْنَةِ .
وَفِي هَذِهِ الطَّرِيقَةِ قَوْلُ الأَخْرِ ^(٢) :

وَتَحَلُّ فِي دَارِ الحِفَاظِ بُيُوتُنَا زَمَنًا وَيَطْعَنُ غَيْرُنَا الأَمْرَعِ

وقولها « وَالقَنَا مُتَشَاجِرِ » الوَاوُ مِنْهُ وَأَوَالِ الحَالِ . وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى قِيَامِ الحَرْبِ

(١) البيت للعجاج في ديوانه ٦٨ . وقبله :

* وَجَارَةُ البَيْتِ لَهَا حَجْرِيٌّ *

(٢) هو الحادرة الذبياني . المفضلية ٨ .

بينهم ، وانتصابِ الشرِّ فيهم ، وأنَّ للطَّعن تَلاحُظًا كما أنَّ للتَّعاضدِ في الاختلافِ تَدَاخُلًا .

وقولها « ولو أنَّ سَلَمَى » فسَلَمَى : أحدُ جبَلَيْ طَيْبٍ . والمعنى : لو أنَّ ما نَزَلَ بنا من الرُّزءِ مثله نَزَلَ بهذا الجبَلِ لانهدَّ ، ولكنَّ الإنسانَ صَبُورًا شديدًا ، يتحمَّل كلَّ ما حَمَلَ ؛ وإنَّ ضُوعِفَ على وُسْعِهِ وثُقِّلَ . وعامسُ : قبيلتهم .

٣٩٣

وقالت عاتكة بنت زيد بن نفيل^(١) :

١- آلَيْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي حَزْبِنَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِدِّي أَعْبَرًا

٢- فَلِلَّهِ عَيْنًا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى أَكْرَرَ وَأَحَى فِي الْهِيَاجِ وَأَصْبَرًا

٣- إِذَا أُشْرِعَتْ فِيهِ الْأَسِنَّةُ خَاضَهَا إِلَى الْمَوْتِ حَتَّى يَبْزُكَ الْمَوْتَ أَحْمَرًا

روى بعضهم أنَّ عليًّا عليه السلام استأذنَ عمرَ رضى اللهُ عنه في مُكاملة

عاتكة بنت زيدٍ ، وهى يومئذٍ زوجته ، فقال عمر رضى اللهُ عنه : لا غَيْرَةَ منك

يا أبا الحسن ! فقال عليُّ عليه السلام مازحًا : آنتِ القائلة :

آلَيْتُ لَا تَنْفَكُ عَيْنِي قَرِيرَةً عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُ جِدِّي أَصْفَرًا^(٢)

(١) هى عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل العدوية ، أخت سعيد بن زيد أحد العشرة . وقد أسقط المرزوق هنا اسم جدها « عمرو » . وهى صحابية كانت زوج عبد الله بن أبي بكر الصديق ، ثم عزم عليه أبوه أن يطلقها لما شغلته عن مغازيه ، فطلقها ثم تبعها بنفسه ، فسمعه أبوه يوما يقول :

ولم أر مثلى طلق اليوم مثلها ولا مثلها من غير جرم تطلق
فرق له أبوه وأذن له فارتجعها ، ثم لما كان حصار الطائف أصابه سهم فكان فيه
هلاكه ، فات بالمدينة فرثته بهذه الأبيات . ثم تزوجها زيد بن الخطاب فاستشهد بإيمامة ، ثم
تزوجها عمر ، فاستشهد فرثته بأبيات ستأق فى الحماسية ٣٩٦ . انظر الإصابة ٦٩٢ من
قسم النساء ، ونوادى المخطوطات ٦١ .

(٢) أصفر ، من استعمال الغيب والخلوق . وهو كناية عن السرور واطراح الحزن .

فقلت : لم أفُلْ كذا . وعاودت حُزنها وجزَها . ومعنى « لا تنفك » لا تزال .

وقولها « فَلَهِ عَيْنَا » تعجُّبٌ ، وهي في تعظيم الشئ . يندسُّبونه إلى الله عزَّ وجلَّ ، وإن كانت الأشياء كلها له تعالى وفي مدِّكته .

وقولها « أكرَّ » أى أكثرَ كَرًّا . و« أحمى » يجوز أن يكون من الحماية ويجوز أن يكون من الحَيَّة . والمعنى : لله عينا رجل رأى مثله أكرَّ منه وأحمى . وقولها « من » نكرةٌ تريد رجلاً أو إنساناً . و« رأى مثله » صفة لمن . وقولها « إذا أمرِعتُ فيه الأسنَّة » ، تريد : فى الهياج . ويجوز أن تريد فى المرثى ، أى قبَله . والهياج يجوز أن يكون مصدر هأج ، ويجوز أن يكون جمع هَيَّج ، والمراد به الحربُ وقد هاجت . فتريد : إذا هَيَّتُ الرِّمَاحُ لطمعةٍ اقتحمها وتلقاها ، لا يحيد عنها حتى يخوض الموتَ بها ، فيتركه أحر ، أى شديداً . ويقال : مِيتةٌ حمراء ، وسنةٌ حمراء ، وسنونَ حمراوات . ويقولون : « الحسنُ أحر » ، أى طلبُ الجمال تُتجسَّم فيه المشاق .

٣٩٤

وقالت امرأة من طيء :

١ - تَأَوَّبَ عَيْنِي نُصْبُهَا وَاسْتَبَاهَا وَرَجَّيْتُ نَفْسًا رَثَ عَنْهَا إِيَّاهَا

٢ - أَعْلَلْتُ نَفْسِي بِالْمَرْجَمِ غَيْبُهُ وَكَاذَبْتُهَا حَتَّى أَبَانَ كِذَابُهَا

أصل التأوَّب والتأوَّيب : سَيرَ النَّهَارِ كُلَّهُ حَتَّى يَتَّصَلَ بِاللَّيْلِ . وقد فَسَّرَ

ابن الأعرابي قول النابغة :

* وليس الذى يتلو النجومَ بآيبٍ ^(١) *

(١) صدره : * تظاول حتى قلت ليس بمنتقض *

على أنه من هذا لا من الأوبة الرجوع . والنُّصْب ، من قولهم أنصَبَه
المرضُ والحُزْنُ ، إذا أثر فيه . قال :

* تَعَنَّكَ نَصْبٌ مِنْ أُمَيْمَةَ مُنْصِبٌ *

وقال الدردي : يقال نَصَبَهُ أَيضاً . والا كمتاب : الحُزْنُ . والمعنى أنه
نابَ عيني ، وواظبَ عليها من السهرِ والكتابةِ والهمِّ النَّاصِبِ ، ما أثر فيها ،
وعَلَّقْتُ رَجَائِي بِنَفْسٍ غَائِبَةٍ عَنِّي قَدْ اسْتَعْجَمْتُ أَخْبَارُهَا عَلَيَّ ، فأبطأ رجوعها إلي .
وقولها « أعلل نفسي بالمرجم غيبه » تريد : أزعجني وقتي وأرضي نفسي
بظنِّ مرْجُومٍ وأملِ مرْجُومٍ ، وحديث مؤلَّف ، وتمنِّ مزْخرفٍ فيما لا حقيقة
يعتمد عليها ، ولا أمانة يتأكَّد الطَّمَعُ فيها . ويقال : رَجَمَ الرَّجُلُ بِالْغَيْبِ ،
إذا تكلم بما لا يعلم .

وقولها « وكاذبتها حتى أبان كذابها » أي استعملت ملفق الأحاديث
ومؤمَّة الأباطيل معها ، إلى أن برح الخفاء ، وانكشفَ عن جليَّة الأمر الغطاء ،
وتعلَّى رُغوة الكذب عن مصدوقَةِ الخبر . والمكاذبة تكون من اثنين ،
كأنه كان يكذب نفسه فتقتربه^(٢) وتزيد عليه .

٣ - فلهني عليك ابن الأشدَّ لبهمةٍ أفرَّ الكمأة طعنها وضرابها^(١)

٤ - متى يدعه الداعي إليه فإنه سميعٌ إذا الأذان صمَّ جواؤها

٥ - هو الأبيض الوضاح لورميت به ضواحٍ من الریان زالت هضابها

تتلهف على ما فات عشيرته منه من حسن الدفاع ، والثبات في وجه الشجاع
الذي لا يدري كيف يدفع ، وأنى يؤنى ويقدح ، وقد طرد الشجعان وطرقهم

(١) التبريزي : « أفر الكمأة » بالراء المهملة ، قال : « ويروي أفر الكمأة بالزاي »

ثم قال : « وأفر الكمأة - يعني بالراء - طردهم » .

(٢) تقتربه : تنبئه . وفي النسختين : « فتقتر به » .

ذُعْرًا، شِدَّةُ مُطَاعِنَتِهِ، وَقُوَّةُ مُضَارَبَتِهِ. وَقَالَ الخليل: أَفْرَهُ: أَفْرَعَهُ. وَاسْتَفْرُوه: أَخْرَجُوهُ مِنْ دَارِهِ وَخَدَعُوهُ حَتَّى أَلْقَوْهُ فِي الجَهْلِ. وَفِي القُرْآنِ: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْتِنُوكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾. وَالبُهْمَةُ تَقَعُ عَلَى الوَاحِدِ وَالجَمَاعَةِ، وَهَاهُنَا هِيَ لِلوَاحِدِ، بِدَلَالَةِ قَوْلِهَا «مَتَى يَدْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ» فَلَمْ تَقُلْ إِلَيْهِمْ، فَأَمَّا قَوْلِهَا «طَعْنُهَا وَضِرَابُهَا» فَالضَّمِيرُ جَاءَ فِيهِ عَلَى لَفْظِ البُهْمَةِ.

وَمَعْنَى «مَتَى يَدْعُهُ الدَّاعِي إِلَيْهِ»، أَنَّهُ إِذَا دَعَا الدَّاعِي لِمُبَارَاةِ هَذِهِ البُهْمَةِ وَمُنَازَلَتِهِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ وَيُجِيبُ، فِي وَقْتٍ تَسْمَعُ فِيهِ المَسَامِعُ لَشِدَّةِ الأَمْرِ، وَإِلْبَاسِ الخَوْفِ. وَجَعَلَ الصَّمَمَ لِلجَوَابِ مَجَازًا، وَإِنَّمَا تَصَمُّ الأَذَانُ عَنِ السَّمْعِ فَيَمْتَقِطُ الجَوَابَ.

وَقَوْلِهَا «هُوَ الأَبْيَضُ الوَاضِحُ» تَرِيدُ خُلُوصَ النِّسَبِ وَزَكَاءَ المَنْصِبِ، وَاسْتِهَارَ الذِّكْرِ فِي الأَفْقِ.

وَقَوْلِهَا «لُورُمِيَّتٌ بِهِ ضَوَاحٍ» تَرِيدُ نَفَاقَةَ وَحُسْنَ خُرُوجِهِ، مِمَّا يَدْخُلُ فِيهِ وَشِدَّةَ صَدْمَتِهِ^(١) لِلأُمُورِ، وَجَلَّاجَهُ فِي إِبْرَامِهَا. فَيَقُولُ: لُورُمِيَّتٌ بَوَارِزٌ هَذَا الجَبَلُ بِهِ لَزَعَزَعُهَا، وَهَدَّ جَوَانِبُهَا.

٣٩٥

وَقَالَتِ العُورَاءُ ابْنَةُ سَبْعٍ:

- ١- أَبْنِي لَعْبِدِ اللهِ إِذْ حُشَّتْ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَارُهُ
- ٢- طَيَّانَ طَاوِي الكَشْحِ لَا يُرْخَى لِمُظْلَمَةٍ إِزَارُهُ
- ٣- يَعْصِي البَخِيلَ إِذَا أَرَا دَ المَجْدَ مَخْلُوعًا عِذَارُهُ

(١) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ قِي ل. وَفِي الأَصْلِ: «مَنْدَمَتُهُ».

تريد أنها إذا تذكّرت حال المرثى فيما كان تجرى أموره عليه ، وبأخذ نفسه به ، عاودها البكاء والنحيب . ومعنى « حُسَّتْ نارُهُ » ضُمَّ ما تفرَّق من الحُطْب إليها وأوقدت . وإما تريدُ نارَ الضيافة .

ومعنى « طَيَّانَ » صغير البطن ، مهضومُ الجنبين ، قليلُ الطَّعم . وقولها « طاوِي الكَشْحَ » أى يَمْضِي فى الأمور لوجهِه لا يُعْرَج على شيء ولا يَنْثِنِي . ويقال : انطَوَى كَشْحًا ، فيصير من باب تصبَّبَ عَرَقًا . قال :

* أَخٌ قَدْ طَوَى كَشْحًا وَأَبٌ لِيذَهَبًا^(١) *

وقولها « لا يُرْخَى لمُظْلَمَةٍ إِزارُهُ » تريد أنه إذا نابته النَّوَابُ تجرَّد لها وفيها وهو مشمَّرُ الإزار ، مقاصِّ الذَّيل ، فدَوَّاهَا بدوائها ، ونهض فيها نهْضَ المقتدرِ عليها ، الفاصِلِ لها .

وقولها « يَعِصِي البَخِيلِ » تقول : وإذا أراد اِكْتِسَابَ المجد أهان ماله للفقراء والعفاة ، وفى إِصْلَاحِ أمرِ المشيرة ، وَعَصَى المُشيرَ عليه بالإمساكِ والبُخلِ ، نَخَلَعَ رِبْقَةَ طاعته ، وعذارِ احتشامِهِ .

٣٩٦

وقالت عاتكة بنت زيد^(٢) :

١ - مَنْ لِنَفْسٍ عَادَهَا أَحْزَانُهَا وَلِعَيْنٍ شَفَّهَا طُولُ السَّهْدِ^(٣)

(١) كلمة « أخ » ساقطة من ل . وكلمة « قد » ساقطة من الأصل . وإثباتهما من مجموع النصين ومن ديوان الأعشى ٨٩ ومقاييس اللغة واللسان والجوهرة . وصدوره :

* صرمت ولم أصركم وكصارم *

(٢) سبقتم ترجمتها فى الحماسية ٣٩٣ ص ١١٠٢ .

(٣) ضبطت فى النسختين وكذا عند التبريزى « السهد » بضمهين ، والأوفق لمراعاة الشعر أن تضبط بفتحيتين ، وهى لغة فى الأول .

- ٢ - جَسَدٌ لُفَّفَ فِي أَكْفَانِهِ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ الْجَسَدِ
 ٣ - فِيهِ تَفْجِيعٌ لِمَوْلَى غَارِمٍ لَمْ يَدْعُهُ اللَّهُ يَمْشِي بِسَبْدٍ
 قولها « مَنْ انْفَسِي » تَوَجُّعٌ وَتَشَكُّيٌّ وَاسْتِغَاثَةٌ . وَعَادَهَا ، أَى اعْتَادَهَا . قَالَ :
 * عَادَ قَلْبِي مِنَ اللَّطِيفَةِ عَيْدُ *

والمعنى مَنْ بُؤْمِنَ نَفْسًا مِمَّا اعْتَادَهَا مِنَ الْأَحْزَانِ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهَا فِي رُزْمِهَا
 مِنَ الْأَوْصَابِ وَالْآلَامِ ، وَمَنْ لَعِينِ آذَاهَا طَوْلُ الْأَرْقِ ، وَدَوَامُ الشَّهْرِ .
 وَقَوْلُهَا « جَسَدٌ لُفَّفَ فِي أَكْفَانِهِ » لُفَّفَ بِمَا بَعْدَهُ صِفَةً لِلْجَسَدِ ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ
 بِمَا بَعْدَهُ ، اعْتَرَضَ بَيْنَ الْأَوْصَابِ ، لِأَنَّ قَوْلَهَا « فِيهِ تَفْجِيعٌ » صِفَةٌ أَيْضًا .
 وَالْكَلَامُ تَحْسُّرٌ وَتَاهُفٌ . فَتَقُولُ : رَحِمَ اللَّهُ جَسَدًا جُهِّزَ بِمَا يَجْهِّزُ بِهِ الْمَوْتَى ،
 وَفُجِّعَ بِهِ مَوَالِيهِ الَّذِينَ كَانُوا يَمِيشُونَ فِي فِنَائِهِ ، فَإِذَا لَحِقَ أَحَدَهُمْ غُرْمٌ وَقَدْ
 ضَاقَتْ حَالُهُ عَنْ احْتِمَالِهِ وَسَّعَ لَهُ فِي جَنَابِهِ ، وَأَعَانَهُ عَلَى دَهْرِهِ بِمَالِهِ . وَقَوْلُهَا « لَمْ
 يَدْعُهُ اللَّهُ يَمْشِي بِسَبْدٍ » تَرِيدُ أَفْقَرَهُ فَلَمْ يُبْقِ لَهُ شَيْئًا . وَيُقَالُ : « مَا لَهُ سَبْدٌ وَلَا
 لَبْدٌ » ، فَالسَّبْدُ : الشَّعْرُ ، وَاللَّبْدُ : الصَّوْفُ .

٣٩٧

وقالت امرأة من بني الحارث^(١) :

- ١ - فَارِسٌ مَا غَادَرُوهُ مُلْحَمًا غَيْرَ زَمِيلٍ وَلَا نِكْسٍ وَكَلٍ^(٢)

(١) من بني الحارث بن كعب ، كما في الخزانة (٥ : ٥٢٢) وأملى ابن الشجري (١ :
 ١٨٧ ، ٣٣٣) .

(٢) ويروى أيضا كما في الخزانة : « فَارِسًا » ، بالنصب : قال ابن الشجري : « الرواية
 نصب فارس بمضمرة يفسره الظاهر . وما صلة ، والمفسر من لفظ المفسر ، لأن المفسر يتعد
 بنفسه إلى ضمير المنصوب ، ولكن لو تعدى بحرف جر أضمرت له من معناه دون لفظه ،
 كقولك : أزيداً مررت به ، التقدير : أجزت زيدا . لأنك إن أضمرت مررت أضمرت الجار ،
 وذلك ما لا يجوز . فالتقدير إذن : غادروا فارساً . ويجوز رفع فارس بالابتداء والجملة التي هي =

- ٢ - لو يَشَا طَارَ بِهِ ذُو مَيْعَةٍ لَاحِقُ الْأَطَالِ نَهْدٌ ذُو خُصَلٍ (١)
- ٣ - غَيْرَ أَنَّ الْبَأْسَ مِنْهُ شَيْمَةٌ وَضُرْبُ الدَّهْرِ تَجْرِي بِالْأَجَلِ
- قولها « فارسٌ ما غادروه » ماصلة ، والكلام فيه تفخيمٌ لأمر المرتبة وتعظيمٌ لشأنه . تريد : تركوا فارساً رفيعَ المحل مُلحماً ، أي طعمةً لعوافي السَّبَاعِ والطير . قال :

* قَدْ أَلْحَمْتَنِي الْمَنَابِئَ السَّبْعَ وَالرَّخْمَا *

وقولها « غيرَ زُمَيْلٍ » فالزُّمَيْلُ والزَّمَالُ والزَّمَلُ : الضعيف ، كأنه زُمَلٌ في العَجْزِ كما يُزَمَلُ الرَّجُلُ فِي الثَّوْبِ . وقولها « وَلَا نِنكسُ وَكَأَنَّ » فالنَّكْسُ : المقصَّرُ عن غاية النجدة والكرامة ، وأصله في السَّهْمِ ، وهو الذي انكسرَ فجعِلَ أسفلهُ أعلاه ، فلا يزال ضعيفاً . وَالْوَكَلُ : الجَبَانُ الذي يتَّكَلُّ عَلَى غَيْرِهِ فيضِيعُ أَمْرَهُ .

وقولها « طَارَ بِهِ ذُو مَيْعَةٍ » حَكَى الْحَالِ ، والمراد لو شاء أَنْجَاهُ فَرَسٌ لَهُ ذُو نَشَاطٍ . وقال الخليل : مَيْعَةُ الْحُضْرِ وَالذَّشَاطُ : أولُهُمَا وَجَدْتُهُمَا . وقولها « لَاحِقُ الْأَطَالِ » تريد : ضَامِرَ الْجَنْبَيْنِ . نَهْدٌ ، أي غَلِيظٌ . ذُو خُصَلٍ ، أي من الشَّعْرِ .

وقولها « غَيْرَ أَنَّ الْبَأْسَ مِنْهُ شَيْمَةٌ » : تقولُ ثَبَتَ وَلَمْ يَرِ لِنَفْسِهِ الْإِنْقِبَاضَ وَالْإِحْجَامَ ، لِأَنَّ الصَّبْرَ فِي الشَّدَّةِ وَالْبَأْسَ عَازَةٌ مِنْهُ وَطَبِيعَةٌ ، وَلِأَنَّ صُرُوفَ

= غادروه وصف له ، وغير زميل خبره ولا موضع من الإعراب في وجه النصب للجملته التي هي غادروه ، لأنها منسرة فحكمتها حكم الجملة المنسرة . وحسن رفعه وإن كان نكرة لأنه تخصص بالصفة . وإذا نصبته نصبت غير زميل وصناً له . ويجوز أن يكون وصفاً للحال التي هي ملحماً .

(١) لو يَشَا ، ضبطت في ل بالجزم ، وهي رواية وشاعدا في أن « لو » قد تجزم الفعل . انظر الخزانة وأمل ابن الشجري .

الدَّهْرِ تَجْرِي إِلَى النُّفُوسِ بِأَجَالِهَا ، وَكُلِّ حَتَّى وَقْتٍ مِنْ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ، فَإِذَا
انْتَهَى الْعُمُرُ بِهِ إِلَى ذَلِكَ الْوَقْتِ انْقَطَعَ .

٣٩٨

وقال جرير^(١) ، يرثي قيس بن ضرار^(٢) :

١- وَبَاكِيةٍ مِنْ نَأْيِ قَيْسٍ وَقَدَنَاتٍ بِقَيْسٍ نَوَى بَيْنَ طَوِيلٍ بَعَادُهَا
٢- أَظُنُّ انْهَمَالَ الدَّمْعِ لَيْسَ بِمُنْتَهَى عَنِ الْعَيْنِ حَتَّى يَضْمَحِلَّ سَوَادُهَا
٣- وَحُقَّ لِقَيْسٍ أَنْ يُبَاحَ لَهُ الْحِمَى وَأَنْ تُعْقَرَ الْوَجَنَاءُ أَنْ خَفَّ زَادُهَا
قوله « وبأكية من نأى قيس » أَلَمْ فِيهِ بِقَوْلِ الْآخِرِ^(٢) :

وَكُنْتُ أَرَى كَالْمَوْتِ مِنْ بَيْنِ لَيْلَةٍ فَكَيْفَ بَيْنِ كَانِ مِيعَادِهِ الْخُشْرُ
فيقول : رَبَّ اسْرَأْتِ بِأَكِيَةِ لُبْعِدِ قَيْسٍ عَنِ مَقَرِّ عَزِّهِ ، وَمَسْكَنِ نَخْرِهِ ،
وَنَأْيِ قَيْسٍ السَّاعَةَ لِمُنْتَوَى بُعْدِهِ طَوِيلٍ . وَالنَّوَى : وَجْهَةُ الْقَوْمِ الَّتِي يَنْوُونَهَا ،
وهي مؤنثة . وَأَضَافَ النَّوَى إِلَى الْبَيْنِ - وَهُوَ الْفِرَاقُ - لِأَنَّ الْفِرَاقَ فِي تِلْكَ
النَّوَى كَانَ مَفَارِقَةَ الْأَحْيَاءِ ، وَالتَّنْقُلَ إِلَى دَارِ الْقَرَارِ ، فَالْبَيْنُ سَبَبُهَا وَمَقْتَضِيهَا .
وَارْتَفَعَ « بَعَادُهَا » بِطَوِيلٍ ، وَالضَّمِيرُ مِنْهَا يَعُودُ إِلَى النَّوَى . وَالْوَاوُ مِنْ قَوْلِهِ
« وَقَدَنَاتٍ » وَارِ الْخَالِ .

وقوله « أَظُنُّ انْهَمَالَ الدَّمْعِ » يَرِيدُ أَنْ أَوْقَاتَ الْبُكَاءِ مَتَّصِلَةٌ ، وَأَمَادَ سَيْلَانِ
الدَّمْعِ غَيْرُ مَنْقَطِعَةٍ ، وَالْعَيْنُ وَشُؤُونَهَا لَا تَثْبُتُ لِذَلِكَ وَلَا تَقْوَى بِهِ ، فَلَا شَكَّ

(١) التبريزي : « قيس بن ضرار بن القعقاع بن معبد بن زرارة » . وهذه المرثية آخر
المرثيات عند المرزوق ، لكن التبريزي روى بعدها ثلاث مرات ، سننبتها في الحواشي في نهاية
هذا الباب .

(٢) هو سلامة الجعفي . وقد مضى في الحماسة ٣٨٥ ص ١٠٨١ .

(٧ - حماسة - ثالث)

أَنَّ سَوَادَهَا يَبْطُلُ . وَذَلِكَ أَنَّ مَسَبِّبَاتِ الْأَشْيَاءِ إِنَّمَا تَقْوَى وَتَدُومُ بِقُوَّةِ أَسْبَابِهَا
وَمُقْتَضِيَّاتِهَا ، فَمَا دَامَ سَبَبُ الْبِكَاءِ - وَهُوَ الْحُزْنُ وَالْمَلَمَعُ - يَمْلِكُ الْبَاكِيَ
وَيَقُودُ زِمَامَهُ ، فَالذَّمَّعُ سَائِلُ ذَارِفٍ ، وَسَوَادُ الْعَيْنِ مُشْفٍ عَلَى الْبُطُولِ هَالِكٌ (١) .
وَقَوْلُهُ « وَحُقَّ لِقَيْسٍ أَنْ يُبَاحَ لَهُ الْجَمَى » الْأَصْلُ فِي الْجَمَى الْمَاءُ وَالْكَلَاءُ ،
وَلَمَّا كَانَ الْعَزِيزُ مِنْهُمْ يَسْتَبِيحُ الْأَحْمِيَّةَ وَيَحْفَظُ حِمَى نَفْسِهِ وَيَمْنَعُ مِنْهُ كُلَّ
أَحَدٍ ، وَإِذَا قَالَتْ أَحْمِيَّتُ هَذَا الْمَكَانَ ، أَيْ جَعَلَتْهُ حِمَى ، كَانَ يُتَجَنَّبُ وَيُتَحَامَى
إِجْلَالًا وَخَوْفًا مِنْهُ - اسْتُعِيرَ مِنْ بَعْدُ لِلْقَلْبِ وَمَا يَمْتَلِكُ مِنْهُ الْحُبُّ أَوْ الْحُزْنُ
أَوْ غَيْرُهَا وَمَا لَا يَمْتَلِكُ مِنْهُ ، فَيَصِيرُ كَأَنَّهُ حِمَى الْعَقْلِ . فَيَقُولُ : حُقَّ لِقَيْسٍ
وَالْمَصَابِ بِهِ أَنْ يُبَاحَ لَهُ مِنَ الْقُلُوبِ مَا كَانَ حِمَى ، فَلَا يَنْزِلُ بِهِ غَمٌّ ، وَلَا يَمْتَلِكُهُ
سُرُورٌ ، أَيْ حُقَّ لِلْجَزَعِ بِهِ أَنْ يَبْلُغَ مِنَ الْقَلْبِ حَدًّا لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُ شَيْءٌ . وَقَدْ
أَخْرَجُوا هَذَا الْمَعْنَى فِي مَعَارِضَ لِأَنَّهُ مَعْنَى صَحِيحٍ حَكِيمٍ شَرِيفٍ ، فَقَالَ كَثِيرٌ فِي
الْحُبِّ يَصِفُ امْرَأَةً :

أَبَاحَتْ حِمَى لَمْ يَرَعَهُ النَّاسُ قَبْلَهَا وَحَلَّتْ تِلَاعًا لَمْ تَكُنْ قَبْلُ حُلَّتِ
يُرِيدُ : بَلَّغَتْ مِنَ الْقَلْبِ هَذَا الْمَبْلَغَ .

وَأَخَذَهُ مِنْهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصَّمَّةِ الْقَشِيرِيُّ ، فَقَالَ :

فَحَلَّتْ تَحَلًّا لَمْ يَكُنْ حُلًّا قَبْلَهَا وَهَانَتْ مَرَاقِيهَا لِرَبِّهَا وَذَلَّتْ

وَأَخَذَهُ أَبُو نُوَّاسٍ فَقَالَ :

مُبَاحَةٌ سَاحَةُ الْقُلُوبِ لَهُ يَرْتَعُ فِيهَا أَطَايِبَ النَّعْرِ (٢)

وَأَخْرَجَهُ عَلَى وَجْهِ آخِرٍ فَقَالَ يَنْفِي (٣) :

(١) يُقَالُ : بَطَلَ يَبْطُلُ بَطْلًا ، بِالضَّمِّ ، وَبَطُولًا ، وَبَطْلَانًا : ذَهَبَ ضِياعًا وَخَسِرَ .

(٢) ل : « يَرْتَعُ مِنْهَا » .

(٣) هَذِهِ الْكَلِمَةُ مِنْ ل .

بَصَحْنِ خَدِّ لَمْ يَغِيضْ مَاؤُهُ وَلَمْ تِيخُضْهُ أَعْيُنُ النَّاسِ^(١)
فَنَقَلَ إِلَى الْخَدِّ وَغَمَضَ كَمَا تَرَى .
وقال آخر يصف ناقة :

* حمراء منها ضخمَةُ الْمَكَانِ^(٢) *

يريد عظمة المكان من القلب . ذكره الأصمعي . يريد أنها محببة . وقد قيل فيه غير هذا .

وقوله : « وَأَنْ تُعَقِّرَ الْوَجْنَاءَ أَنْ خَفَّ زَادُهَا » كان الواحد منهم إذا مرَّ بقبر رئيسٍ وهو في ضُحْبَةٍ أَحَبَّ أَنْ يَنْوِبَ عَنِ الْمَقْبُورِ فِي الضِّيَافَةِ ، فَإِذَا لَمْ يَسَاعِدْهُ مِنَ الطَّعَامِ مَا يَدْعُو النَّاسَ إِلَيْهِ عَقَرَ نَاقَتَهُ ؛ إِكْرَامًا لَهُ . لِذَلِكَ قَالَ « وَأَنْ تُعَقِّرَ الْوَجْنَاءَ إِنْ خَفَّ زَادُهَا » . وَالْوَجْنَاءُ : النَّاقَةُ الضُّلْبِيَّةُ ، أُخِذَ مِنَ الْوَجِينِ ، وَهُوَ الْأَرْضُ الضُّلْبِيَّةُ . فَمَنْ رَوَى « أَنْ خَفَّ زَادُهَا » بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ ، فَالمراد لِأَنَّ خَفَّ زَادُهَا . وَمَنْ رَوَى « إِنْ خَفَّ » بِكسْرِ الْهَمْزَةِ فَهِيَ لِلشَّرْطِ . وَقَدْ اعْتَذَرَ بَعْضُهُمْ^(٣) مِنْ تَرْكِ ذَلِكَ فَقَالَ :

لَوْلَا السَّفَارُ وَبُعْدُ خَرَقِ مَهْمَةٍ
لَتَرَكَتُهَا تَحَبُّوْ عَلَى الْعُرْقُوبِ

يعنى ناقته .

وقد حكى ابن الأعرابي حكايةً مایحةً ، قال : كان رجلٌ يُواصِلُ امْرَأَةً نَخْرَجُ فِي سَفَرٍ لَهُ وَعَادَ وَقَدْ اسْتَبَدَّتْ بِهِ ، فَأَتَاهَا لِعَادَتِهِ^(٤) ، فَقَالَتْ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ بُدِّلَ حَاضِرًا وَأَنْ شِعَابَ الْقَلْبِ بَعْدَكَ حُلَّتْ

(١) تخضه ، بالياء في الأصل ، وبالطاء في ل .

(٢) الرجز لابن ميادة ، كما في أمالي القمالي (٣ : ٢٠٢) . وانظر مجالس ثعلب ٥٠٦ .

(٣) هو حفص بن الأحنف الكنتاني . سبق في الحماسية ٣٠٦ ص ٩٠٦ .

(٤) لعادته ، باللام ، كما في الأصل و ل والتبريزي .

فأجابها :

فإن تك حلت فالشعاب كثيرة^١ وقد نهلت منها قلوصى وعلت

تم باب المرائى بحسن توفيق الله وجميل صنعه ، وله على تواتر نعمه ،
وتتابع أياديه ، أجزال الحمد^(١) .

(١) بعده فى ل : « وأكثر الشكر ، وعلى النبى المصطفى ، محمد المحببى خير الورى ، أوفى صلواته ، وأسمى بركاته ، وعلى آله الطيبين الظاهرين ، وسلم » .
هذا . وقد روى التبريزى بعد هذه الممتطوعة ثلاث مقطوعات أخرى آثرنا إثباتها هنا ، وهى :
وقال آخر :

إن المساءة للمسرة موعده^١ أختان رهن للعشيّة أو غد
فإذا سمعت بهالك فتية^١ نن أن السبيل سبيله وتزود

وقال آخر يرثى أخاه :

أخ وأب برّ وأم شفيقة^١ تفرّق فى الأبرار ما هو جامعهُ
سلوت به عن كل من كان قبله^١ وأذهلني عن كل ما هو تابعه

وقال آخر يرثى ابنه :

ذهبت على حين أعجبتنى وولى السباب وجاء الكبر
فإن أبك أبك على فاجع وإن يك صبر فنبلي صبر

بَابُ الْإِدْبَارِ

بَابُ الْأَدَبِ

٣٩٩

قال مسكين^(١) الدارمي :

١- وفتيان صدق لست مُطِيعَ بَعْضِهِمْ عَلَى سِرِّ بَعْضٍ غَيْرِ أُنَى جَمَاعِهَا

قوله : « وفتيان صدق » أضاف الفتيان إلى الصدق ، كما يقال فتيان خير . والمعنى أنهم يصدقون في الوَدِّ ولا يخونون . وقال الخليل : يُقال رَجُلٌ سَوءٌ وإذا عَرَفْتَ قُلْتَ الرَّجُلَ السَّوءَ ، ولم تُضِفْ ، بل تجعله نَعْتًا . وتقول : عَمَلٌ سَوءٌ وَعَمَلُ السَّوءِ ، وقولُ صِدْقٍ وقولُ الصِّدْقِ ، ورجل صِدْقٍ ، ولا تُثَقِّلُ الرَّجُلَ الصِّدْقَ ، لأنَّ الرجل ليس من الصِّدْقِ .

فيقول : رَبِّ فِتْيَانٍ هَكَذَا اسْتَنَامُوا إِلَيَّ وَاسْتَوَدَعُونِي أَسْرَارَهُمْ ، فَكَنتُ أَنَا نِظَامَهُمْ لَا يَفْوَتُنِي مِنْ خَبِيئَاتِ صُدُورِهِمْ شَيْءٌ ، ثُمَّ أَفْرَدْتُ كَلَّامَهُمْ بِالْوَفَاءِ لَهُ ، وَكْتَمَانِ مَا أُوْدَعَنِي مِنْ سِرِّهِ ، وَلَا أُطِيعُ بَعْضَهُمْ عَلَى مَا يَسْتَكْتُمُنِي الْبَعْضُ الْآخِرَ ، بَلْ أَصُونُهُ مِنَ الْإِذَاعَةِ ، وَأَحْفَظُهُ مِنَ النَّشْرِ بِالطَّيِّبِ وَالصَّيَّانَةِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ حِفْظَ السِّرِّ يَجْرِي بِجَرَى أَدَاءِ الْأَمَانَاتِ ، فَهُوَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا مَأْخُودٌ بِهِ وَمَبْعُوثٌ عَلَيْهِ . وَقَوْلُهُ « جَمَاعُهَا » ، هُوَ كَمَا يُقَالُ نِظَامٌ ، لِأَنَّ النَّظَامَ اسْمٌ لِمَا يُنظَّمُ بِهِ الشَّيْءُ فَهُوَ كَالْوِثَاقِ وَالرُّبَاطِ . وَكَذَلِكَ الْجَمَاعُ : اسْمٌ لِمَا يُجْمَعُ بِهِ الشَّيْءُ . وَالضَّمِيرُ مِنْ

(١) مسكين لقب له ، واسمه ربيعة بن أنيف الدارمي ، شاعر إسلامي هاجى الفرزدق ثم كافه ، وكان له أثر ظاهر في ترشيح يزيد بن معاوية للخلافة . انظر ترجمته في الأغاني (١٨ : ٦٨ - ٧٢) والخزانة (١ : ٤٦٥ - ٤٧٠) واللكل (١٨٦ - ١٨٧) ومعجم الأدباء (٤ : ٢٠٤ - ٢٠٦) مرجليوث ، والشعر والشعراء ٥٢٩ - ٥٣٠ .

جِماعُها يَرجعُ إلى الفِتيانِ ، ويَجزَأَن يَرجعُ إلى ما دلَّ عليه الـكلامُ من ذِكرِ الأسرارِ . وانتصب « غَيْرَ » على أَنه استثناءٌ منقطعٌ .

٢- اِكْلُ امْرِئٍ شِعْبٌ مِنَ الْقَلْبِ فَارِغٌ وَمَوْضِعٌ نَجْوَى لَا يُرَامُ اِطْلَاعُهَا
٣- يَظْلُونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ وَسِرُّهُمْ إِلَى صَخْرَةٍ أُعْيَا الرِّجَالَ انصِداعُهَا

قوله « لِكُلِّ امْرِئٍ » يريد لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ جَانِبٌ مِنَ الْقَلْبِ ، وَشِقٌّ قَدْ فُرِّغَ لَهُ وَخُصَّ بِمَوْضِعِ سِرِّهِ وَنَجْوَاهُ ، لَا يُطَلَّبُ الاِطْلَاعُ عَلَيْهِ وَالْكَشْفُ عَنْهُ ، لِمَا عُرِفَ مِنْ مَحَافِظَتِي وَوَفَائِي . وَالنَّجْوَى يَجْرِي عَلَى أَحْكَامِ الْمَصَادِرِ : الدَّعْوَى ، وَالْعَدْوَى ، وَالْفُهُ لِلتَّأْنِيثِ ، وَيُوصَفُ بِهِ الْأَمْرُ الْمَكْتُومُ . وَيُقَالُ : نَجَّوْتُهُ فَهُوَ نَجِيٌّ ^(١) . وَقَدْ وَصِفَ بِالنَّجْوَى وَالْمَجِيّ الْوَاحِدَ وَالْجَمْعَ . [وَفِي ^(٢)] الْقُرْآنُ : ﴿ خَلَصُوا نَجِيًّا ﴾ ، وَ ﴿ إِذْ هُمْ نَجْوَى ﴾ ، وَ ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ ﴾ . وَيُقَالُ : تَنَاجَوْا وَانْتَجَوْا .

وقوله « يَظْلُونَ شَتَّى فِي الْبِلَادِ » يريد أَنَّهُمْ يُفَارِقُونَهُ فَيَتَغَيَّبُونَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَسِرُّهُمْ مَكْتُومٌ مُحْصَنٌ ، كَأَنَّهُ أَوْدِعَ صَخْرَةً أُعْجَزَ الرِّجَالَ صَدْعُهَا . وَيُقَالُ : شَتَّ الْأَمْرُ شَتًّا وَشَتَاتًا ، وَهُوَ شَتِيْتُ وَشَتٌّ ، وَهُمُ اشْتَاتٌ وَشَتَّى . فَأَشْتَاتٌ جَمْعُ شَتٍّ ، وَشَتَّى : جَمْعُ شَتِيْتٍ . وَيُرْوَى « أُعْيَا الْجِبَالَ اتِّضَاعُهَا » . وَالْمَعْنَى أَنَّ هَذِهِ الصَّخْرَةَ لِإِشْرَافِهَا وَثُبُوتِهَا فِي مَوْضِعِهَا لَوْ رَامَ الْجِبَالُ حَطَّهَا لِأَعْجَازِهَا ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ « إِلَى صَخْرَةٍ » أَي مَضْمُومٌ إِلَى صَخْرَةٍ . فَتَعَاقَى إِلَى بِفَعْلٍ مَضْمُورٍ دَلٌّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ .

(١) ل : « نجيسى » .

(٢) التكللة من ل .

٤٠٠

وقال يحيى بن زياد^(١) :

- ١- لَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ لَاحَ بِيَاضُهُ بَمَفْرِقِ رَأْسِي قَلْتُ لِلشَّيْبِ مَرَّحَبًا^(٢)
 ٢- وَلَوْ خِفْتُ أَنِّي إِنْ كَفَفْتُ تُحِيَّتِي تَنَكَّبَ عَنِّي رُمْتُ أَنْ يَتَنَكَّبَا
 ٣- وَلَكِنْ إِذَا مَا حَلَّ كُرُهُ فَسَاخَمْتُ بِهِ النَّفْسُ يَوْمًا كَانَ لِلْكَرهِ أَذْهَبِي

قوله « لَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ » لَمَّا عَلِمَ لِلظَّرْفِ ، وهو لوقوع الشيء لوقوع غيره . وجوابه « قَلْتُ لِلشَّيْبِ مَرَّحَبًا » . وكان الواجب أن يقول : قَلْتُ لَهُ مَرَّحَبًا وَلَكِنَّهُمْ يَكْرُرُونَ الأَعْلَامَ وَأَسْمَاءَ الأَجْنَاسِ كَثِيرًا ، والقصد بالتكرير التّفخيم . والمعنى : لَمَّا وَجَدْتُ الشَّيْبَ اشْتَعَلَ رَأْسِي بِيَاضِهِ ، طَيَّبْتُ نَفْسِي بِطُلُوعِهِ وَقَلْتُ لَهُ : أَتَيْتَ رُحْبًا وَسَعَةً . وقوله « مَرَّحَبًا » انتَصَبَ عَلَى المَصْدَرِ . ويقال : رَحِبْتُ بِلَادُكَ رُحْبًا وَرَحَابَةً . وَحُكِيَ رَحِبْتُ بِلَادُكَ بِكسْرِ الحَاءِ تَرَحَّبُ رُحْبًا . وَالرَّحْبَةُ وَالرَّحْبَةُ ، وَاحِدٌ وَهُمَا سَاحَةُ المَسْجِدِ .

وقوله « وَلَوْ خِفْتُ » يريد بِخِفْتِ رَجَوْتُ ، وَهُمْ يَضَعُونَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الرِّجَاءِ وَالخَوْفِ مَوْضِعَ الأَخْرِ . أَلَا تَرَى قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا لَإِيرَ جُونَ حِسَابًا ﴾ ، أَيْ لَا يَخَافُونَ . وَقَوْلُ الأَخْرِ ، وَهُوَ الهَذَلِيُّ : « يَرَجُونَ لَسَعَهُ^(٣) » . يَعْنِي النَّحْلَ . فَيَقُولُ : لَوْ رَجَوْتُ أَنِّي إِذَا تَكَرَّهْتُ الشَّيْبَ وَتَسَخَّطْتُهُ ،

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٢٨١ ص ٨٦٠ .

(٢) كذا جاء البيت بالخرم في النسختين ، وجاء تاما في التبريزي : « ولما رأيت الشيب » .

(٣) كذا في النسختين . والمعروف كما عند التبريزي : « لم يرج لسمها » . وهذا قطعة

من بيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين (١ : ١٤٣) ، وهو بتمامه :

إذا لسعته النحل لم يرج لسمها وخالفها في بيت نوب عواسل

وكففت عن إظهار الرضا به والشروع لطلعتيه فارقتي وانحرف عني ، لرمت ذلك ، ولكن إذا حل ما يكرهه فطاوعت نفسه به ، وتلقاه بالصبر عليه ، كان ذلك أعون على زوال الكراهة فيه ، وإلا اجتمع وجهان مما يشق نزوله به ، واغتمامه له . وقوله « فساحت به النفس » أى ساهلت . ومنه قيل : عود سمح أى لا أبن فيه^(١) . ومما يجرى مجرى المثل : « إذا لم تجد عزاً فسمخ » أى إن وهن . وقوله « كان للكره أذهباً » كان الحكم أن يقول أشد إذهاباً ، لأن الفعل منه ليس بثلاثي . ولكن على طريقة سيبويه يحىء أن يُبنى فعل التعجب مما كان على أفعل أيضاً ، وإن كان الباب على الثلاثي . وقد يمكن أن يقال : إنما قال « أذهباً » على حذف الزوائد . ألا ترى قوله :

فإننا وجدنا العرض أفقر ساعةً إلى الصون من برود يمان مسهم^(٢)
والفعل لم يحىء إلا افتقر ، فكأنه نوى حذف الزوائد وردّه إلى فق ،
وعليه جاء « فقير » وإن لم يستعمل الفعل .

وقوله « ولكن إذا » لكن جاء في هذا المكان لترك قصّة إلى قصّة ، وهى إذا جاءت عاطفة كانت لاستدراك بعد النفي . وجواب « لو » فى قوله : لو خفت « رمت أن يتمكبا » ، وجواب إذا من قوله « إذا ما حل كره » : « كان للكره أذهباً » . ويوماً انتصب على الظرف ، والمامل فيه حل ، واسم كان مادل عليه قوله ساحت ، كأنه قال : كان المسامحة أذهب للكره .

(١) الأبن : جمع أبنة ، بالضم ، وهى العقدة فى العود ، والعيب .
(٢) البيت لأوس بن حجر فى ديوانه ٢٧ واللسان (سهم) ، والرواية فىهما : « أحوج ساعة » .

٤٠١

وقال المرار بن سعيد^(١) :

١- إذا شئت يوماً أن تسودَ عشيرةً فبالحلمِ سُذْ لا بالتسرعِ والشتمِ-
 ٢- وللحلمِ خيرٌ فاعلمنَّ مغيبةً من الجهلِ إلا أن تشمسَ من ظلمِ
 جواب وقوله « إذا شئت » قوله فبالحلم . والمعنى أن السيادة لها آلات ،
 وإليها مراقي ودرجات ، فمن أتاها من وجهها ومأتاها تمت له ؛ وذلك أن منها
 استعمال الحلم ، وترك التعجل ، وكظم الغيظ ، وتسهيل الجانب ، والاحتمال
 في النفس والمال والجاه ، إلى غير ذلك مما يطول ذكره . فمن صبر في طلب
 الرياسة وحصول سيادة العشيرة ، على هذه الخصال ، فهو حقيق بإدراكها ،
 فإن أخذ يُخشنُ جانبه ويقطب وجهه ، ويفلظ كلامه ، ويوسع غيظه ويفظظ
 قلبه ، ويعجل الطاعة له ، نفرت العشيرة منه ، وبانوا عنه . لذلك قال
 من قال :

فإن كنت سيّدنا سُدتنا وإن كنت للخالِ فأذهب فخل^(٢)

وقوله « وللحلمِ خيرٌ فاعلمنَّ مغيبةً » انتصب مغيبةً على التمييز . وقوله
 « فاعلمنَّ » حشو . فإن قيل : كيف اختير هذا البيت بهذا الحشو ، والمتكلم
 إذا استعمل في كلامه مع المخاطب اعلم وامتع وما يجري مجراها ، عد ذلك مفه
 عينا ؟ قلت : إن هذه اللفظة في هذا المكان تحتاج إليها في عمدة المعنى المقصود ،

(١) هو المرار بن سعيد بن حبيب الفقمسي الأسدي ، وهو من مخضرمي الدولتين ،
 وقيل : إنه لم يدرك الدولة العباسية : الأغاني (٩ : ١٥١ - ١٥٤) والخزانة (٢ :
 ١٩٣ - ١٩٧) والمؤتلف ١٧٦ والمرزبان ٤٠٨ - ١٠٩ والشعر والشعراء
 ٦٨٠ - ٦٨٣ .

(٢) البيت ٤ من الحماسة ٦٧ ص ٢٥٢ .

وإنَّ ما أشرتَ إليه إنَّما يكون زوائدَ وفُضولاً لا يُحتاجُ إليه ، فإذا وصلَ المتكلمُ بها كلامه مستعينا بها عدَّ منه خطأً وعلماً ، وهو في هذا المكانِ وصَّاه بالفكر فيما أورده والتبيين له ، وبمعرفةِ الحِلْمِ ووقته حتى يدري كيف يأخذُ به . فقوله : فاعلمنَّ ، فاعرفنَّ ، ومفعوله محذوف ، والمراد فاعلمنَّ الحِلْمَ ومغَبَّتَه ، فأطاق . رجع فيما أشار به مطلقاً ، واستثنى في كلامه فقال : إلا أن تنفِرَ من ظلمِ يركُبُك ، وهزيمة تنالك ؛ فإنَّ الجهلَ في ذلك الوقتِ أرجحُ في الاختيار من الحِلْمِ ، إذ كان صدمُ الشرِّ بالشرِّ أقرب ، ودفعُ الجهلِ بالجهلِ أحلم . ويقال : غَبَّتِ الأمور ، إذا صارت إلى أواخرها . وإنَّ لهذا الأمرِ كَمَغَبَّةً محمودة ، أى عاقبة . وقوله « تَشَمَّسَ » ، يقال إنه لَدُو شِمَاسٍ شديد ، إذا كان عَسِراً . وشَمَّسَ لى فلانٌ إذا تذكرَ وهمَّ بالشرِّ .

٤٠٢

وقال عِصَّامُ بْنُ عُبيدِ اللَّهِ^(١) :

- ١ - أَبْلِغْ أَبَا مِسْمَعٍ عَنِّي مُغْلَغَلَةً وَفِي الْعِتَابِ حَيَاةٌ بَيْنَ أَقْوَامِ
- ٢ - أَدْخَلْتَ قَبْلِي قَوْمًا لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِي الْحَقِّ أَنْ يَدْخُلُوا الْأَبْوَابَ قُدَّامِي^(٢)

قوله « مغلغلة » أى رسالةٌ يُغْلَغِلُها إلى صاحبها . وهو من قولهم : تغلغل الماء ، إذا دخلَ بين الأشجار ، وغلغلته أنا^(٣) . وقال الدرديُّ : الغلغلة : دُخُولُ الشَّيْءِ فِي الشَّيْءِ . وقال الخليل : الغلغلة : سُرْعَةُ السَّيْرِ . يقال تغلغلوا ومَضَوْا . ورسالةٌ مُغْلَغَلَةٌ : محمولة من بلدٍ إلى بلد . وقوله « وفي العتاب حياة »

(١) التبريزي : « عصام بن عبيد الزماني » . على أن الأبيات رواها الجاحظ في البيان (٢ : ٣/٣١٦ : ٤/٣٠٢ : ٨٥) منسوبة إلى همام الرقاشي .
 (٢) الجاحظ : « أن يلجوا الأبواب » .
 (٣) في الأصل : « وغلغله إياه » ، صوابه في ل .

بين أقوام « اعتراضٌ ، وقد مرَّ القول في فائدة الاعتراضات . والمعنى أنهم ما داموا يتعاتبون فإن نياتهم تُعاود الصَّلاح وتُراجعه ، وإذا ارتفع العتابُ من بينهم انطوت صدورهم عن الإحن والضغائن ، وظهر الشرُّ على صفحات أقوالهم وأفعالهم ، فاهتاجت الحميميات ، وأنتجت من سوء عقائدهم البليّيات . وفي طريقته قال أبو تمام :

* إن الدَّمَّ المغتَرَّ يجرُّهُ الدَّمُّ (١) *

وقال غيره : « القَتْلُ أَقْلٌ لَلْقَتْلِ » (٢) . فأما قولُ الله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ فإنَّ بلاغةَ القرآن لا تُدانيها بلاغةٌ ، وكلُّ كلامٍ وإن علا ينحطُّ دونه . والرَّسالةُ قوله : أَدْخَلْتُ قَبْلِي قَوْمًا . والمعنى أنك قدّمت على في الإذن والدُّخول قَوْمًا لم يكن من حقِّهم أن يتقدّموا على إذا وردنا الأبواب ، ولا بلغت من محالِّهم ورُتبهم أن تُرفع على ما يُقسم لي في مجالس الكبار . وقوله « أن يدخلوا الأبواب » حقه عند سيبويه أن يقال أن يدخلوا في الأبواب ، يجعله مما يتعدّى في الأصل بحرف الجرِّ ثم يُحذف الجارُّ من اللفظ تخفيفًا . ومسألة الكتاب (٣) : دخلتُ البيتَ . وغيره يذهب إلى أنه مما يتعدّى تارةً بنفسه وتارةً بحرف الجرِّ ، وفي أنهم يقولون دخلت في الأمر فيعدّي بنى لا غير ، وأنَّ ضده وهو خرجت يتعدّى بحرف الجرِّ ، بيّانٌ لصحّة قول سيبويه .

(١) في الأصل : « المغنى » ، صوابه في ل . والمغتر ، بالعين المعجمة : الغافل . وفي ديوان أبي تمام ٢٧٤ : « المعتر » بالعين المهملة . وصدر البيت :

* وأخافكم كى تغمدوا أسيافكم *

وقبل البيت بيت سائر ، وهو :

فقسا لتزدجروا ومن يك حازما فليتمس أحياباً على من يرحم

(٢) كذا في النسختين . ويروى : « القتل أنى للقتل » .

(٣) أى كتاب سيبويه .

٣- لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ كُنْتُ أَكْرَمَهُمْ مَيِّتًا وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ مَنْزِلِ الدَّامِ (١)

٤- فَقَدْ جَعَلْتُ إِذَا مَا حَاجَتِي نَزَلْتُ بِيَابِ دَارِكَ أَذْلُوهَا بِأَقْوَامِ (٢)

[قوله (٣)] : « لَوْ عُدَّ قَبْرٌ وَقَبْرٌ » المراد به والأصل فيه : لَوْ عُدَّتِ الْقُبُورُ قَبْرًا قَبْرًا ، إِلَّا أَنَّهُ اخْتَصَرَ الْكَلَامَ وَحَذَفَ الْقُبُورَ وَرَفَعَ قَبْرًا عَلَى أَنْ يَقُومَ مَقَامَ الْفَاعِلِ ، فَلَمَّا رَفَعَهُ وَأزَالَهُ عَنِ سَنَنِ الْحَالِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِمْ : بَعْتُ الشَّاءَ شَاءً شَاءً ، وَقَبَضْتُ الْمَالَ دِرْهَمًا دِرْهَمًا ، وَصُمْتُ رَمَضَانَ يَوْمًا يَوْمًا ، رَدَّ حَرْفَ الْعَطْفِ ، وَإِنَّمَا قُلْتُ هَذَا لِأَنَّهُ مِنْ مَوَاضِعِ الْعَطْفِ ، لَكِنَّهُمْ اتَّسَعُوا فِي الْحَالِ لِعِلْمِ الْمُخَاطَبِ . وَقَالَ سِيبَوِيهٌ : إِنَّ الْغَالِبَ عَلَى هَذَا الْبَابِ كُلِّهِ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُهُ مِنْ إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ : الْحَالِ أَوْ الظَّرْفِ ، لِأَنَّ الْاِتِّسَاعَ مِنْهُمُ عَلَى هَذَا الْحَدِّ وَالْجَوَازِ لَمْ يَكُنْ إِلَّا فِيهِمَا . وَالظَّرْفُ كَقَوْلِهِ : لَقِيمَتُهُ يَوْمَ يَوْمٍ ، وَصَبَاحَ مَسَاءٍ ، وَمَا جَانِسَهُمَا . قَالَ : وَالْإِفْرَادُ فِي هَذَا الْبَابِ لَا يَجُوزُ حَمَايَةً عَلَى الْمَعْنَى الَّتِي يَتَضَمَّنُهَا التَّكْرَارُ .

وإن قيل : هل يجوز على ما بينت : لَوْ عُدَّتِ الْقُبُورُ قَبْرٌ وَقَبْرٌ ، عَلَى الْبَدَلِ ، وَكَذَلِكَ يُبَيِّنُ حِسَابُهُ بَابَ وَبَابٍ ؟ قُلْتُ : لَا يَجُوزُ ذَلِكَ ، لِأَنَّ الْقَصْدَ وَالْغُرْضَ مِنَ الْكَلَامِ ، وَقَدْ أُجْرِيَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ، التَّفْصِيلُ وَالتَّتَابُعُ ، وَمِنْ الْإِبْدَالِ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَا يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ . وَمَعَ ذِكْرِ الْقُبُورِ يُحْذَفُ الْوَاوُ مِنَ الْأَسْمَنِ الْمُتَرَجِّمِينَ عَنِ الْحَالِ بَعْدَهُ . لَا يَجُوزُ بَعْتُ الشَّاءَ شَاءً وَشَاءً ؛ فَكَذَلِكَ هَذَا ، عَلَى أَنْ بَابِي الْحَالِ وَالظَّرْفِ يَحْتَمِلَانِ مِنَ التَّوَشُّعِ مَا يَضْبِقُ عَنْهُ أَكْثَرُ أَبْوَابِ الْإِعْرَابِ

(١) البيان : « كنت أكرمهم قبرا » .

(٢) البيان : « إذا ما حاجة عرضت » .

(٣) التكلية من ل .

ويعجز ، وإذا كان كذلك لم يجز تجاوزها بالاتساع فيهما إلى غيرها . ألا ترى أنه لو قال : لو عدّ قبران كنت أكرمهما مئيتاً ، لم يجز ، ولم يتبين منه ذلك المعنى ، وإن كان المعطوف والمعطوف عليه إذا قات جاءني رجلٌ ورجلٌ بمثابة جاءني رجلان .

ومعنى البيت : لو عدت القبورُ منوعةً مفصلةً — وإنما يعنى أسلاف من قدّم عليه في الإذن والدخول خوولةً وعمومة — لكنت أكرمهم أباً ، وأشرفهم بيوتاً . فكنتي عن البيت والمنصب بقوله « وأبعدهم من منزل الذام » أى من منزل العيب ، لأنّ الذام والذم بمعنى . يقال : ذامه يذمه ، كما يقال ذمه يذمه ، وحيث يحصل العيب يحصل الذم ، أظهر أو لم يظهر .

وقوله « فقد جعلت إذا ما حاجتي نزأت » يريد جعلت طفقت وأقبلت . يقال : جعل يفعل كذا . والمعنى : أني قعدت عنك وتركت زيارتك ، وإذا انفق ما لا بد لي منك ومن معونتك من حاجة أو عارض سبب فإني معتمد على غيري في التنجز والاستسماف . ومعنى « أدلوها » من قولك دلوت الدلو ، إذا أخرجتها من البئر ، أى أتسبب بغيري ، وأصون من التبذل عرضي .

٤٠٣

وقال شبيب بن البرصاء^(١) :

- ١ — وإنني لترأك الضغينة قد بدا ترأها من المولى فما أستشيرها^(٢)
- ٢ — مخافة أن تجني عليّ وإنما يهيج كبريات الأمور صفيها

(١) هو شبيب بن يزيد بن جرة المرى . والبرصاء أمه . وشبيب شاعر إسلامي بدوي من شعراء الدولة الأموية ، وكان يهاجى عقيل بن علفة . الأغاني (١١ : ٨٩ - ٩٤) .
(٢) التبريزي : « فلا أستشيرها » .

يقول: إني أصابرتُ مَوَالِيَّ وأَحْتَمِلُ أذَاهُمْ، وأَعْفَى عَلَى فَرَطَاتِهِمْ ما وجدتُ سبيلًا إلى الصَّبْرِ، فَأَتْرِكُ ضَعْفَانَهُمْ تَبْدُو أَوَائِلُهَا، وتَظْهَرُ نَحَائِلُهَا، ولا أُكْشِفُ عنها ولا أَطْلُبُ ثَوْرَانَهَا، مَخَافَةَ أَنْ يَسْتَفْجِلَ الشَّرُّ وَيَرْجِعَ الصَّغِيرُ مِنْهُ كَبِيرًا، وَسَهْلُهُ عَسِيرًا؛ فَإِنَّ أَوَائِلَ الْأُمُورِ كُلِّهَا ضَعِيفَةٌ ضَيِّقَةٌ، فَإِذَا اتَّفَقَ لَهَا مَنْ يَهَيِّجُهَا وَيَزِيدُ فِي مَوَادِّهَا قَوِيَّتُهَا وَاتَّسَعَتْ. وَالتَّرَاكُ: بِنَاءُ الْمَبَالِغَةِ، وَهُوَ الْكَثِيرُ التَّرَكُّ لِلشَّيْءِ، وَليْسَ هُوَ بِاسْمِ الْفَاعِلِ مِنْ تَرَكَ. وَالضَّغِينَةُ وَالضَّغْنُ وَالضَّغْنُ (١) وَاحِدٌ، وَهِيَ الْحَقْدُ وَالْعَدَاوَةُ. وَيُقَالُ: ضَغِنَ عَلَيَّ وَاضْطَغَنَ. وَقَالَ الْخَلِيلُ: الضَّغْنُ فِي الدَّابَّةِ: عَسْرُهُ وَالتَّوَاؤُهُ. وَدَابَّةٌ ضَغِنَةٌ، إِذَا نَزَعَتْ إِلَى وَطَنِهَا. وَالتَّرَى: النَّدَى، وَالْفِعْلُ مِنْهُ تَرَى. وَالْمُرَادُ بِهِ هَاهُنَا مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى كَامِنِ الْحَقْدِ. وَيُقَالُ: ثَارَ الْأَرْنَبُ مِنْ مَوْضِعِهَا، وَاسْتَقَرَّتْهَا أَنَا.

وقوله «مخافة» انتصب على أنه مفعول له، و«أن تجني» في موضع المفعول منها، وقد أضافها إليه. وقوله «صغيرها» يراد به الكثرة، أي صغائرها.

٣ - لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْرَفْتُ يَوْمَ عُنَيْزَةٍ عَلَى رَغْبَةٍ لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا
٤ - تَبَيَّنُ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ وَتَقْبِلُ أَشْبَاهًا عَلَيْكَ صُدُورُهَا

قوله «على رغبة» أي على مرغوب فيه، كأنه كان ظهر له من الفرص في صاحبه ما لو انتهزها ولم يغفل عنها لكان فيها الاشتفاء منه، ودرك المطلوب في بابه، فلما لم يفعل وأصرَّ صاحبه على مَسَاءَتِهِ أَخَذَ بِتَحَسُّرٍ. وَقَوْلُهُ «لَوْ شَدَّ نَفْسِي مَرِيرُهَا» يَرِيدُ: لَوْ قَوَّيْ نَفْسِي عَزِيمَتِهَا، وَحَصِيفُ رَأْيِهَا. وَالْمَرِيرُ: الْمُمَرَّ الْحَكِيمُ. وَوُصِفَ الْحَبَلُ بِهِ لِذَلِكَ. وَيُقَالُ: اسْتَمَرَّ مَرِيرُ فُلَانٍ، إِذَا اسْتَحْكَمَ رَأْيَهُ وَاسْتَحْصَفَ. وَعُنَيْزَةٌ: مَوْضِعٌ (٢).

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل.

(٢) موضع بين البصرة ومكة، كما في معجم البلدان.

وقوله « تَبَيَّنُ أَعْقَابُ الْأُمُورِ إِذَا مَضَتْ » مثله قول القطامي :
 وَلَا يَعْلَمُ الْغَيْبُ أَمْرًا قَبْلَ مَا يَرَى وَلَا الْأَمْرَ حَتَّى تَسْتَبِينَ دَوَابِرُهُ
 وَأَكْشَفُ مِنْهُ قَوْلُ حُمَيْدِ بْنِ ثَوْرٍ :
 أَشْبَهُ غَيْبَ الْأَمْرِ مَا دَامَ مُقْبِلًا وَلَكِنَّا تَبَيَّانُهُ فِي التَّدْبِيرِ^(١)
 وَأَعْقَابُ الْأُمُورِ : أَوَاخِرُهَا . وَيُرْوَى : « تَبَيَّنُ أَدْبَارُ الْأُمُورِ إِذَا انْقَضَتْ »
 يُرَادُ بِهِ تَبَيَّنَ . وَانْتَصَبَ « أَشْبَاهَا » عَلَى الْحَالِ .

٥- إِذَا افْتَخَرَتْ سَمْدُ بْنُ ذُبْيَانَ لَمْ تَجِدْ سِوَى مَا ابْتَدَيْنَا مَا يَمُدُّ فَخُورُهَا
 ٦- أَلَمْ تَرَ أَنَّا نُورُ قَوٍّ وَإِنَّمَا يُبَيِّنُ فِي الظَّالِمِ لِلنَّاسِ نُورُهَا
 يَقُولُ : مَفَاخِرُ سَعْدِ وَمَبَانِي مَكَارِمِهَا عَلَى مَا أَسَّسَهُ قَدِيمُنَا ، وَعَمَّرَهُ حَدِيثُنَا ،
 فَهَتَّى اسْتَعْرِضَتْ الْمَسَاعِي فِي مَذَافِرَةِ الْخُصُومِ لَمْ تَجِدْ بَنُو سَعْدٍ مَا يَعْتَمِدُهُ فَخُورُهَا ،
 وَيُكَائِرُ بِهِ خَصِيمُهَا ، إِلَّا مَا شَيْدَنَاهُ عَلَى صِرِّ الْأَيَّامِ ، وَتَعَاقَبِ الْأَحْوَالِ . فَقَوْلُهُ
 « سِوَى مَا ابْتَدَيْنَا » اسْتِثْنَاءٌ مُقَدَّمٌ . وَ« مَا » يَعْدُ فِي مَوْضِعِ مَفْعُولٍ لَمْ تَجِدْ .

وقوله « أَلَمْ تَرَ » تقرير لمن تصوَّره مخاطباً فيقول : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لِأَهْلِ
 قَوٍّ^(٢) بِمَنْزِلَةِ النُّورِ لِلْأَبْصَارِ ، فَهَمَّ بِنَا يَهْتَدُونَ ، وَبِعَالَمِنَا يَهْتَدُونَ ، وَلِمَرَّاسِمِنَا
 يَهْتَفِرُونَ^(٣) ، وَبِسَنَارِ أَيْنَا يَسْتَضِيئُونَ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانُوا يَتَوَقَّعُونَ^(٤) فِي مَرَّاشِدِهِمْ
 فَلَا يَهْتَفِرُونَ ، وَيَتَحَيَّرُونَ فِي آرَائِهِمْ^(٥) فَلَا يَمْضُونَ ، كَمَا أَنَّ النَّاسَ لَوْلَا مَا يَمُدُّ
 بِهِ النُّورُ أَبْصَارَهُمْ فِي رَوَاكِدِ الظُّلْمِ حَتَّى يَتَبَيَّنُوا الْمَرْتَبَاتِ ، وَيَتَمَيَّزُوا أَشْبَاحَ
 الْمَدْرَكَاتِ عَلَى حَقَائِقِهَا ، لَوْ قَفُوا حَيَارَى لَا يَتَقَدَّمُونَ وَلَا يَتَأَخَّرُونَ .

(١) البيت لم يرو في ديوان حميد ، ولا في ملحقات ديوانه .

(٢) قو : منزل للقاصد إلى المدينة من البصرة .

(٣) الاقتنار : التمتع ، وأصله في تنوع الأثر .

(٤) ل : « يتوقعون » ، صوابه في نسخة الأصل .

(٥) في الأصل : « مرآشدهم » ، صوابه في ل .

ومفعول « يُبَيِّن » محذوف ، والضمير من نورها يعود إلى الظلماء لما كان يتعقبها . وهم يُضَيِّفون الشيء إلى الشيء لأدنى تناسب بينهما .

٤٠٤

وقال معن بن أوس^(١) :

١ - لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَأَوْجَلُّ عَلَى أَيْنَا تَعَدُّو المَنِيَّةَ أَوَّلُ

لعمرك مبتدأ ، وخبره مضمرة ، وفيه معنى القسم ، وقد تُقَصَّى القولُ فيه . وقوله « إِنِّي لَأَوْجَلُّ » مما جاء فيه أَفْعَلُ وَلَا فَعْلَاءُ لَهُ ، كأنهم استغنوا عن وَجَلَاءِ بَوَجَلَةٍ . ويقال : وَجِلْتُ أَوْجَلُّ وَأَجَلُّ وَجَلًّا ، وهو وَجِلٌ وَأَوْجَلُّ . وقلبي من كذا أَوْجَلُّ وَأَوْجَرُ ، بمعنى . ويروى : « تَعَدُّو المَنِيَّةَ » و « تَعْدُو » ومعناها ظاهر . وأوَّلُ ، بُنِي عَلَى الضَّمِّ ، كما فَعِلَ ذَلِكَ بِقَبْلُ وَبَعْدُ ، وذلك أنه لما كان أصله أَفْعَلُ الذي يتمُّ بمن ، وأضيف من بعد ، وجعل الإضافة فيه بدلا من من ، والمضاف إليه من تمامه ثم حذف المضاف إليه لِمِ الخاطب به ، وجعل في نفسه غايةً ، وكان معرفةً كما كان قبلُ وبعد كذلك وجب أن يُبَيَّن كما بُدِّيا . وموضعه نصبٌ على الظَّرْفِ . ومعنى البيت : وبقائك ما أعلم أيننا

(١) معن بن أوس : شاعر فحل من نخصرى الجاهلية والإسلام ، له مدائح في جماعة من الصحابة ، وعمر إلى زمان ابن الزبير ، وهو القائل له : « لعن الله ناقة حملتني إليك » . الإصابة ٨٤٤٥ والأغاني (١٠ : ١٥٦) . وفي الأغاني (١٠ : ١٦٢ - ١٦٣) أن القائل هو عبد الله بن فضالة . وفي الخزائن (٢ : ١٠٠) أن قائلها عبد الله بن الزبير الأسدي ، وكذا في زهر الآداب (٢ : ١٦٤ - ١٦٥) . وانظر العتد (٦ : ١٧٦) . وروى التبريزي من سبب الشعر أن معن بن أوس كان له صديق وكان معن متزوجاً بأخته ، فاتفق أنه طلقها وتزوج غيرها ، فألى صديقه ألا يكلمه أبداً . فأنشأ معن يقول يستعطف قلبه عليه ، ويستترقه له . وفي الأبيات ما يدل على القصة ، وهو قوله :

فلا تغضبني أن تستعار ظعيمة وترسل أخرى كل ذلك يفعل

يكون المقدم في عدو الموت عليه، وانهاء الأجل إليه^(١)، وإني لخائف مترقب. فوضع « على أيّنا » نصب لأنه مفعول ما أدرى، والذي لا يدر به هو مقتضى هذا السؤال. وقوله « إني لأوجل » اعتراض.

٢ - وإني أخوك الدائم المهدي لم أحل إن أبزأك خضم أو نبأ بك منزل^(١)
 ٣ - أحارب من حاربت من ذي عداوة وأحبس مالي إن غرمت فأعقل يقول: إني وديدك الذي يدوم عهده، ويتصل على تقلب الأحوال وتبدل الأبدال، ولا يحول [إن تطاول^(٢)] عليك خضم، أو بطش بك عدو، أو ضاق عنك منزل، فاحتجت إلى التحول عنه والاستبدال به. وقال الخليل: يقال أبزيت بفلان، إذا بطشت به وقهرته. وحكى الدردي: بزاه يبزوه بزوا، إذا قهره. وأنشد:

جاري ومولاي لا يبزي حريمهما وصاحبي من دواء السر مصطحب^(٤)
 ويبزي يكون مستقبل بزي وأبزي جميعاً. والله أعلم. ويجوز أن يكون أبزي منقولاً بالألف عن بزي يبزي فهو أبزي، واسمارة بزوا؛ وهو دخول الظهر وخروج البطن. ويكون المعنى: إن خفض منك خضم، أو طأطأ من إشرافك عدو، وحملك من الثقل ما يبزي له ظهرك، فلا تطيق الثبات تحته، والنهوض به.

وقوله « أحارب من حاربت » هو تفسير دوام عهده وثبات وده. والمعنى تجدني ذاباً عنك واقعاً معك، أرصد الشر لأعدائك، وأدافعهم دونك، وإن

(١) ل : « به » .

(٢) التبزي : « لم أحن » ، ونبه في شرحه على الرواية هنا .

(٣) تكلمة يفتقر إليها الكلام .

(٤) مصطحب ، بالخاء المهملة المفتوحة . وفي اللسان (بزاه) : مُصْطَحِب ، بالخاء

أصابك غُرْمٌ حَبَسَتْ مَالِي عَلَيْكَ ، واحتملت فيه الثَّقلُ عنك . وكان الواجب أن يقول : فَأَعْقِلْ عَنكَ ، لأنه يقال عَقَلْتُهُ إِذَا أَعْطَيْتَ دَيْتَهُ ، وعَقَلْتُ عَنْهُ إِذَا غَرِمْتُ مَا لَزِمَهُ فِي دَيْتِهِ . وقال الخليل : الغُرْمُ لزومٌ نَائِبَةٌ فِي مَالٍ مِنْ غَيْرِ جُنَايَةٍ . والمَالُ إِذَا أُطْلِقَ يَرَادُ بِهِ الْإِبِلُ . ويجوز أن يكون معنى فَأَعْقِلْ : أَشَدُّهَا بُعْقَلِمَا بِنَفَائِكَ ، لِنَدْفَعَهَا فِي غَرَامَتِكَ .

٤- كَأَنَّكَ تَشْفِي مِنْكَ دَاءَ مَسَاءَتِي وَسُخْطِي وَمَا فِي رَيْبَتِي مَا تَعَجَّلُ^(١)
قوله « مساءتي » يريد مساءتك إلى ، وكذلك « سُخْطِي » يريد سُخْطَكَ عَلَيَّ ، فأضافهما إلى المفعول . ويُقال : مساءةٌ ومَسَائِيَةٌ . وَالسُّخْطُ وَالسُّخْطُ لَغَتَانِ ، ومثله السُّقْمُ وَالسَّقَمُ ، وَالْعُدْمُ وَالْعَدَمُ ، وهو نقيضُ الرِّضَا . ويقال : سَخِطْتُهُ وَتَسَخَّطْتُهُ ، إِذَا لَمْ تَرْضَ بِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِي التَّفَعُّلِ فَضْلٌ تَسَكَّفُ . ومعنى البيت أنك تستمرُّ في إساءتك إلىَّ وَسُخْطِكَ عَلَيَّ ، حتى كأنَّ بكِ دَاءٌ ذاك شفاؤه ، وما تطلبه من عَجَلَتِي لَا تَجِدُهُ فِي بَطْنِي ، أَي مَا تَقْدِّرُهُ يَتَعَجَّلُ لَكَ مِنَ الْمِكْشَافَةِ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، واستئثارَ الْحَقْدِ الْكَامِنِ فِيكَ ، لَا يَحْصُلُ لَكَ مَنِّي مُتَبَاطِئًا أَيْضًا . والمعنى أَنِّي أَصَابُكَ وَأَتْرُكُكَ عَلَى مَدَاجَاتِكَ .

٥- وَإِنْ سُوَّتَنِي يَوْمًا صَفَحْتُ إِلَى غَدٍ لِيُعْقَبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ مُتَبِيلٍ

٦- سَتَقَطُّعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي يَمِينِكَ فَانظُرْ أَيَّ كَيْفٍ تَبَدَّلُ

قوله « وَإِنْ سُوَّتَنِي يَوْمًا » يقال : سُوَّتَ فُلَانًا ، وَسُوَّتَ [لَهُ]^(٢) وَجْهَهُ

(١) ترتيب سائر التصيدة عند التبريزي يخالف ترتيب المرزوقي . فالتبريزي يروي هذا البيت بعد البيت الخامس ، ويروي التبريزي بعد الخامس بيتاً لم يروه المرزوقي . وهو :

وَإِنِّي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْكَ تَرِيدِنِي قَدِيمًا لَدُو صَفْحِ عَلَى ذَاكَ مُجْمِلٌ

ثم يروي بعده البيت السادس فالسابع إلى آخر المقطوعة .

(٢) هذه من ل .

مَسَاءً وَمَسَائِيَّةً . والمعنى : أني لا أُوأخِذُكَ بما يَظْهَرُ من مَسَاءِ تِك ، بل أقابلهُ
بصَفْحٍ جَمِيلٍ عِنكَ ، انتظاراً لَفَيْثَةٍ تَظْهَرُ مِنْكَ في مُقْتَبِلِ أَمْرِكَ ، ومراجعةٍ
تَعْفَى عَلى قَبِيحِكَ ، فإن لم يَتَّفِقْ مِنْكَ عُقْبَى حَسَنَةً تُدْسِي زَلَّاتِكَ ، بل تُتَابِعُ
بَين مَسَبِّاتِ القَطِيعَةِ ومَوجِبَاتِهَا بما تُظْهَرُهُ من الجَفَاءِ والعُقُوقِ فيما يَجْمَعُنِي وإِيَّاكَ ،
فإِيَّاكَ تَقْطَعُ أَخَاهُ في مُظَاهَرَتِكَ ، والانطواءً عَلى مَسَاعِدَتِكَ ، والدَّخُولِ تَحْتَ
طَاعَتِكَ في كُلِّ ما يَعرِضُ لَكَ ، بِمَنْزِلَةِ يَدِكَ اليمِينِي ، فانظُرْ مِنْ بَعْدُ
مَنْ تَعْتَاضُ مِنْهُ ، وَعَلى مَنْ تَعَوَّلُ إِذَا صَارَ مِنْهُ . وانتصب « أَيَّ كَفِّ »
بـ « تَبَدَّلَ » . وقوله « لِيَعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ » يجوز أن يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ
أَعْقَبَ هَذَا ذَاكَ ، أَي صَارَ مَكَانَهُ ، وَيَكُونَ المَعْنَى : لِيَصِيرَ مَكَانَ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِكَ
مَذْمُومٌ يَوْمٌ آخِرٌ مِنْهَا مَقْبَلٌ مَحْمُودٌ . وهذا حَسَنٌ . ويجوز أن يَكُونَ أَعْقَبَ غَيْرَ
مَتَعَدٍّ ، وَيَكُونَ مِنْ أَعْقَبَ الأَمْرُ عُقْبَانًا وَعُقْبَى ، أَي صَارَ لَهُ عَاقِبَةٌ . ويرتفع
« آخِرُ » بِيَعْقِبُ ، وَيَكُونَ قَوْلُهُ يَوْمًا مِنْكَ ظَرْفًا . والمعنى : لِيَصِيرَ ما يُقْبَلُ مِنْ
أَمْرِكَ يَوْمًا إِذَا عَاقَبَهُ مَحْمُودَةٌ . ويجوز أن يَكُونَ مِنْ أَعْقَبَ فُلَانٌ غَرًّا ، أَي أَبَدِلُ ،
وَيَكُونَ المَعْنَى : لِيَعْقِبَنَا يَوْمًا مِنْكَ مَحْمُودًا أَمْرٌ آخِرٌ مُؤْتَنَفٌ . ورأيت مَنْ
يُروِيهِ : « لِيَعْقِبَ يَوْمًا مِنْكَ آخِرُ » بِفَتْحِ الياءِ ، وَيَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ عَقَبَ فُلَانٌ
فُلَانًا إِذَا خَلَفَهُ ، وَهِيَ عَقِيبَانِ ، وَقَدْ اعْتَقَبَا وَتَعَاقَبَا . وَيَكُونَ المَعْنَى : لِيَخْلُفَ
يَوْمًا مِنْكَ يَوْمٌ آخِرٌ مَقْبَلٌ .

٧- وفي الناس إن رثت حبالك واصل في الأرض عن دار القلي متحول

٨- إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على شرف الهجران إن كان يعقل

٩- ويركب حد السيف من أن تضيئه إذا لم يكن عن شفرة السيف مرحل

قوله « وفي الناس إن رثت حبالك واصل » إظهار للزهد في وداده إذا

لم يستقم معه . ويقال : رثَّ الثوب يَرِثُ رُثُوْتًا ورَثَاةً . وقال أبو زيد
وأبو عبيدة : رَثَّ المتاعُ وأرثَّ جميعاً . وأنشد لعدى^(١) :
* أرثَّ جديدُ الوصلِ من أمِّ مَعْبِدٍ^(٢) *

وفي طريقة ما قاله قولُ لبيد :

واحِبُ المُجَامِلِ بالجزيلِ وُصْرُمُهُ باقٍ إِذَا ضَلَعَتْ وَزَاغَ قِوَامُهَا^(٣)
وقولُ أوس :

وإن قال لي ماذا ترى يستشيرني يجِدُنِي ابنِ عَمِّ مَخْلَاطِ الأَمْرِ مِنْ يَلَا
فيقول : إذا رغبتَ عن مواصلي ، وتقطَّعتَ حبالُ الوُدِّ بيني وبينك في
الناسِ واصلُ غيرُك ، وإذا نبأ بي جوارك ، وضاقَ عني أرضك وديارك في
جوانب الأرض سعةً ومزحلَ عنك ، سيماً والتحوُّلُ عن دار البُغضِ والنُّبُوِّ لي
عادةٌ أعتادُها ، وسُنَّةٌ أسيرُها ولا أعدِلُ عنها . واعلم أنك إذا لم تُعطِ أخاك
النَّصْفَةَ ولم تُوفِّرْ حقوقَه متوخِّياً المعدلة ، ولم يوجبْ له عليك مثلَ ما تُوجِبُه
لنفسك عليه ، ألفتَه هاجراً لك ، مشارفاً قطيعتك ، مُستبدلاً بك وبمؤاخاتك
إن كانت به مُسكَّةً ، أو يملكه عقلٌ ومعرفة ، ثم لا يُبالى أن يركب من
الأمر ما يقطعه تقطيعَ حدِّ السيفِ ويؤثرُ تأثيرَه فيه ، مخافة أن يدخلَ عليه
ضيمٌ ، أو يلحقَه عارٌ واهتضام ، متى لم يجد عن رُكوبه مَبْعَدًا ومَعْدِلًا . وكما
قال هذا « دار القلي » قال غيره^(٤) :

(١) كذا . والصواب أنه دريد الصمة ، كما في اللسان (رثث) . وقصيدة دريد هذه
في الأصمعيات ٢٣ ليسك وجهرة أشعار العرب ١١٧ .

(٢) عجزه كما في المراجع السابقة ومقاييس اللغة (عتب) :

* بعاقبة وأخلفت كل موعد *

(٣) كذا جاءت الرواية في النسختين ، وضلعت بمعنى مالت . والرواية المعروفة في
المعلقات « ظلعت » بالظاء .

(٤) هو عبد قيس بن خفاف البرجمي . البيت ٩ من المفضلية ١١٦ والأصمعية ٨٧ طبع
المعارف ، وشواهد العيني (٢ : ٢٠٢ - ٢٠٣) وشواهد المتنبي ٩٥ وحماسة البحرى ١٧٩ .

* دَارُ الْهَوَانِ لِمَنْ رَأَاهَا دَارَهُ ^(١) *

وقوله « مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ » معناه بدلاً مِنْ أَنْ تَضِيْمَهُ . ويجوز أن يريد
بركوب السَّيْفِ الصَّبْرَ عَلَى الْحَرْبِ وَالْمَوْتِ . وشفرة السَّيْفِ : حَدُّهُ . والشَّفِيرُ :
حرف كل شيء ، منه .

١٠- وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبُ رَامَ ظَنَنْتِي وَبَدَّلَ سُوءًا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
١١- قَلَبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمِجَنِّ فَلَمْ أَدُمَّ عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثَ مَا أَتَحَوَّلُ
١٢- إِذَا انصَرَفَتْ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكْذُبْ إِلَيْهِ بِوَجْهِهِ آخِرَ الدَّهْرِ تُقْبَلُ
يقول : وإذا رأيت صاحبي يتجنى على ويتجرم ، ويتطلب على ما ينتج
ظِنَّةً وَيَوْلِدُ تَهْمَةً ^(٢) ، وطينق يقبِّح آثاري ، ويبدل حسناتي ، اتخذته عدواً ،
وقلبت له ظهرَ الترس متقيماً منه ، ومُدْفَعاً له ، ولم أدم على تلك الحال المتقدمة
معه إلا قدر ما أتحوَّل ، وبُطء ما أتثقل . فقوله « رَامَ ظَنَنْتِي » أي رام ارتفاع
التَّهْمَةِ عَلَى . وقوله « بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ » أي أفعله ، فحذف الضمير استطراداً
لصلة الذي .

وقوله « إِذَا انصَرَفَتْ نَفْسِي » يريد أنني أمدُّ نَفْسَ الصَّبْرِ مَا أَمَكُن ، فإذا
أعجزتني الحال العارضة عن الاحتمال انصرفت مالكا عناني ، ثم لا يثنيني على
ما أعرضت [عنه] ^(٣) شيء أبداً الدهر . « وقوله بوجه » الباء تعلق بقوله تقبل
أي لم تكذب تقبل إليه بوجه من الوجوه ، وعلى لون من الألوان .

(١) عجزه : * أفرأحل عنها كمن لم يرحل *

(٢) جاء في اللسان (وهم) : « التهمة فعلية من الوهم ، والتاء بدل من الواو ، وقد

تفتح الهاء » .

(٣) هذه من ل .

٤٠٥

وقال عمرو بن قمية^(١) :

- ١- يا لهفَ نَفْسِي على الشباب ولم أفقد به إذ فقدته أمماً
 - ٢- إذ أسحبُ الرِيْطَ والمُرُوطَ إلى أذنى تجارى وأنفُضُ اللَّمَمَا
 - ٣- لا تَغْبِطِ المرءَ أنْ يقالَ له أضْحَى فلانٍ لِعمرِهِ حَكَمًا^(٢)
 - ٤- إن سَرَّهُ طوْلُ عَيْشِهِ فَلَقَدْ أضْحَى على الوَجْهِ طوْلُ ما سَلِمَا
- يتحسّر على ما فاته من الشباب وحسن أيامه ، ونضارة العيش به ، فقال :
يا حسرة نفسي على متقضّي الشباب ومتولّيه ، فإنّ ما فاتني منه لم أفارق به أمراً
قربياً ، وشيئاً هيئناً ، لكنني فقدت به صحّة بدني ، وروعة وجهي ، وطيب
عيشي ، وقوّة رُوحِي ، حين كنت أجُرُّ رِيْطِي (وهو الإزار الذي ايس بملفّق)
ومُرُوطِي (وهو جمع مرط ، وهو ملحقّة يُؤْتَزَرُ بها) إلى أقرب الخمارين إلى
وأنفُضُ شعَرَ رأسي إعجاباً به ، واستحساناً له ، وطرباً يُدَاخِنِي في جميع أسبابي
معه . ثمّ قال مُزَرِّياً بالشَّيب وبما يكتسبه المرء إذا علاه ، من إكبار النَّاسِ له ،
وتقدّمهم في المجالس إِيَّاه ، ومن الرُّجُوع إلى قولِهِ ، واستشارتهم فيما يعرُّ من
الخطوبِ رأيه ، فقال : لا تَغْبِطَنَّ الرَّجُلَ ولا تَرْمُقَنَّ ولا تَجْعَلَنَّ^(٣) مُحْسِداً إذا

(١) قمية : مسهل قميّة. وقميّة أمه ، وهو عمرو بن قميّة بن ذريح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعيب بن علي بن بكر بن وائل . وهو جاهلي أقدم من امرئ القيس ، ولقيه امرؤ القيس في آخر عمره فأخرجه معه إلى قيصر لما توجه إليه ، فأت معه في طريقه ، وسمته العرب عمراً الضائع ، لموته في غربة وفي غير أرب ولا مطلب . الأغاني (١٦) : (١٥٨ - ٦٠) والخزانة (٢ : ٢٤٧ - ٢٥٠) والمعمرين ٨٩ والمؤتلف ١٦٨ والشعراء ٣٣٦ - ٣٣٨ .

(٢) ل : « لا يغبط المرء » بالبناء للمفعول . التبريزي : « أضحى فلان لسنه » .

(٣) ل : « لا يغبطن الرجل ولا يرمقن ولا يجعلن » بالياء والبناء للمفعول .

قِيلَ فِيهِ : صار فلان حَكَمًا في عَشِيرَتِهِ لكَثْرَةِ تِجَارَتِهِ ، وامتدادِ عُمُرِهِ ، ودوامِ مُزَاوَلَتِهِ لِلأُمُورِ ، وَاِتِّصَالَ لِقَائِهِ لِلنَّاسِ وَمِمَّا رَسَمْتَهُ لَهُمْ وَفِيهِمْ ، لِأَنَّهُ إِنْ سَرَّهَ امْتِدَادُ عُمُرِهِ ، وَتَنَفُّسُ عَيْشِهِ فَلَقَدْ ظَهَرَ فِي نَفْسِهِ مِنْ ضَعْفٍ وَانْحِنَاءٍ ، وَعَلَى وَجْهِهِ مِنْ ذُبُولٍ وَسُهُومٍ إِلَى غَيْرِهَا مِمَّا يَدُلُّ عَلَى طَوْلِ سَلَامَتِهِ الَّتِي هِيَ الدَّاءُ الَّذِي لَا دَوَاءَ لَهُ . ومثل هذا قول الشاعر^(١) :

* وَحَسْبُكَ دَاءٌ أَنْ تَصِحَّ وَتَسَلَّمَ^(٢) *

وقول الآخر^(٣) :

فَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصِحَّنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءٌ

وقوله « أن يقال له » أراد لا يُغَبِّطُ لِأَن يُقَالَ لَهُ ، وَمِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَالَ لَهُ .
وقوله « أدنى تجارى^(٤) » إظهارٌ لَعَلُّوهُ فِي سِبَاءِ الخمرِ وَسَرَفِهِ ، ثُمَّ تَبَجُّحُ بِإِضَافَتِهِمْ إِلَى نَفْسِهِ .

٤٠٦

وقال إياس بن القائف^(٥) :

١ - يُقِيمُ الرَّجَالُ الْأَغْنِيَاءَ بِأَرْضِهِمْ وَتَرْمِي النَّوَى بِالْمُفْتَرِّينَ الْمَرَامِيَا^(٦)

(١) هو حميد بن ثور الهلالي . ديوانه ٧ والبيّن (١ : ١٥٣) والحيوان (٦ : ٥٠٣) .
(٢) صدره : * أرى بصرى قد رايتني بعد صحة *
(٣) من شعراء الجاهلية ، كما في الكامل ١٢٥ ليبسك .
(٤) كذا ورد تفسير هذه الكلمة هنا مع أنها في البيت السابق ، فيبدو أن الخرزوقي أضافها مؤخرًا .

(٥) التبريزي : « هو من تاف يقوف إذا اتع ، مثل يقفو . قال الشاعر :
كذبت عليكم لا تزال تقوفني كما قاف وآثار الوسيمة قائف
وجعه قافة ، ومن ذلك قيل للتوم الذين ينظرون إلى الولد فيحكون من أبوه : القافة :
لأنهم يتبعون الشبه في الأعضاء » .
(٦) التبريزي : « تقيم الرجال » .

يفضّل الغنى على الفقر ويبعثه على طلبه وارتياحه . فقال : ترى المُوسرين يتودّعون ، وتطول إقامتهم في دُورهم وأرضيهم يُمتعون ، والفقراء تراهم ترمي بهم البلدانُ النائية ، وتَقذِف النوى بهم المَقاذِف البعيدة ، والمهالكُ المُستصعبة ، فلا يهدؤون ولا يَقَرّون . والنوى : وجهُ القوم التي يَنوونها . والمرامى : جمع سمرى ، وهو المكان لا غيرُ هنا ، لأنه قابلُ الأغنياء بالمُقترين ، وأرضَ الأغنياء بمرامى الفقراء ، لأنهم لا تَدنو بهم داراً أبداً ، فمجالُ تسيارهم لسكسبهم وتصرفهم كدور أولئك لهم . ومَقَمَلٌ يكون اسماً للحَدَث ، وزمانه ، ومكانه .

٢ - فأكرم أخاك الدهرَ ما دُمْتَ مَعاً كفى بالعماتِ فرقةً وتنايياً

٣ - إذا زرتُ أرضاً بعد طولِ اجتنابها فقدمتُ صديقي والبلادُ كما هيأ

يقول : أحسنُ صحبة أخيك وصاحبك . وتناولهُ بالإكرام طولَ الدهرِ ومُدَّة العمر ، فإن المنايا كفتك مفرقةً ومبعدةً . وقوله « الدهر » انتصب على الظرف ، وما دمتما انتصب على أنه بدل من الدهر . وانتصب « معاً » على أنه خبر مادمتما . ومعنى مادمتما معاً : مدَّة بقائكما ودوامكما مجتمعين . وقوله « كفى بالمنايا » موضع بالمنايا رفعٌ على أنه فاعلُ كفى . وانتصب « فرقةً » على التمييز ، أو يكون في موضع الحال ، كأنه قال : كفى بفرقة المنايا فرقةً . والتقدير : كفى فرقةً بالمنايا من فرقةٍ ، أو كفى المنايا مفرقةً ومتنايية .

وقوله « إذا زرتُ أرضاً بعد طولِ اجتنابها » هذا الكلام توجعٌ وتشكٌّ من نوابِ الدهرِ . يقول : أرى الإخوانَ تخترمُهم المنايا فهم يتفقدون ، وبلادهم وأروضهم على ما كانت عليه ، فمتى زرتُ مكاناً بعد طولِ العهد به وجدتُ أصدقائي مفقودين ، وأما كنههم كما كانت . وقد تقدّم القول في إعراب « كما هيأ^(١) » . وقوله صديقي يرادُ به الكثرة لا الواحد .

٤٠٧

وقال ربيعة بن مقروم^(١) :

١- وكم من حاملٍ لي ضبَّ ضغنٍ بعيدي قلبه حلوا اللسان

٢- ولو أنني أشاء نَقَمْتُ منه بشغبٍ أو لسانٍ تيجان

كم لفظةٌ وُضِعَتْ للتَّكثيرِ، كما أن رُبَّ وُضِعَ للتَّقليلِ، إلا أنه اسم ورُبَّ

حرف وله موضعان: الاستفهام، والخبر، وهو من باب الخبر هنا. والضَّبُّ:

الحقد. قال:

فَمَا زَالَتْ رُقَاكَ تَسْلُ ضِغْنِي وَتُخْرِجُ مِنْ مَكَامِنِهَا ضِيبِي^(٢)

وأضافه إلى الضغن لأن الضغن العسر، فكأنه حقدُ عسرٍ ولجاج. فيقول:

كثيرٌ من الرِّجال يحملون لي الضغائن، ويُسرُّون لي البغضاء، وقد حلا منطقتهم

لي جرِّياً على سُدْنِهم في المداجاة، وبعُدَ قلبهم منِّي استمراراً في طريق الشَّنآن

لي والمعاداة، ولو شئت لانتقمْتُ منه بالفعل أو بالقول، فإن لسانِي عَرِيضٌ

ويدي عالية، يتأتَّى له مكافأةُ كلِّ النَّاسِ على مقدارِ فعلِهِ، وبمثل ما ينفطوي

لي من خيرٍ أو شرٍّ. ويقال: نَقَمْتُ عليه أي أنكرت عليه فِعْله، ونَقَمْتُ منه

بمعنى انتقمْتُ. ونَقَمَ ونَقِمَ اغتبان. والتَّيجان لا يُكسر ياؤه، وقد مضى

القولُ فيه^(٣).

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٩ ص ٦١، وسبق نسبه البهرزي: ربيعة بن مقروم

ابن خالد بن عمرو بن غيظ بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة.

(٢) ويروى: «من مضابئها». والبيت لكثير عزة، كما في الحيوان (٤: ٢٥٠،

٣٠٣/٦: ١٠١) والموشح ١٤٣ والصناعتين ٧٢ وزهر الآداب (٢: ٦٣) وابن سلام

١٢٥ ليدن ١٨٥ مصر.

(٣) انظر ما سبق في الحماسية ١٨ ص ١٣١ - ١٣٢.

- ٣ - وَلِكِنِّي وَصَلْتُ الْجَبَلَ مَنِّي مُوَاصَلَةً بِجَبَلِ أَبِي بَيَانَ
 ٤ - وَضَمْرَةٌ إِنْ ضَمْرَةٌ خَيْرٌ جَارٍ عَلِقْتُ لَهُ بِأَسْبَابِ مِتَانِ
 ٥ - هِجَانُ الْحَيِّ كَالذَّهَبِ الْمُصْفَى صَبِيحَةٌ دِيمَةٌ يَجْنِيهِ جَانِ

قوله « وَلِكِنِّي وَصَلْتُ الْجَبَلَ مَنِّي » يقول : أَبَقَيْتُ عَلَى مَنْ يَعَادِنِي وَلَمْ أَعَجَّلْ مُوَاخَذَتَهُ بِإِسَاءَتِهِ وَإِصْرَارِهِ . وَتَمَادِيهِ فِيمَا أَكْرَهُهُ وَجَلَاغِهِ ، لِأَنِّي قَدْ وَاصَلْتُ أَبَا بَيَانَ وَعَلَقْتُ حَبْلِي بِجَبَلِهِ ؛ وَكَذَلِكَ احْتَشَمْتُ ضَمْرَةَ لِأَنَّهُ خَيْرُ جَارٍ ، وَقَدْ اسْتَحْكَمْتُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَوْاصِرُ حَفْظُهَا عَنِ الْقَطِيعَةِ وَاجِبٌ ، وَلِأَنَّ الْعِصْمَ الْمَتِينَةَ الَّتِي تَجْمَعُنَا تُنْزِلُنِي الْوُقُوفَ فِيمَا يَكْرَهُانِهِ ، وَتَرَكَّ مَا لَا يُؤْمِنُنِي اسْتِحْيَاشَهُمَا ، وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ كِرَامُ الْحَيِّ لَا غَائِلَةَ لَهَا ، وَلَا شُبْهَةَ فِي مَصَافَاتِهِمَا وَحُسْنِ عَقِيدَتِهِمَا ، فَمَا وَدَّهَا إِلَّا كَابْرِيْزِ الذَّهَبِ الْمُصْفَى ، وَمَا يَظْهَرُ مِنْ مَعَادِنِ الذَّهَبِ صَبِيحَةَ مَطْرَةٍ تَكْشِفُ عَنْ عُرُوقِ الذَّهَبِ ، فَيَجْتَنِيهِ الْمُجْتَنُونَ ، أَيْ يَلْتَقِطُهُ الْمَلْتَقِطُونَ . وَهَذَا الَّذِي وَصَفَهُ يَقَالُ إِنَّهَا تَكْثُرُ فِي نَوَاحِي الْيَمَنِ وَالْيَمَامَةِ ، وَتَسْمَى تِلْكَ الْمَعَادِنِ مَعَادِنِ اللَّقَطِ ، فَإِذَا مُطِرَتْ وَانْكَشَفَتِ الْهَبَوَاتُ وَالْغُبَارُ عَنْ وُجُوهِ حَجَارَتِهَا يَظْهَرُ مِنْ عُرُوقِ الذَّهَبِ فِي صَفَائِحِهَا مِثْلُ مَا وَصَفَهُ أَوْ أَحْسَنُ .

وقوله « هِجَانُ الْحَيِّ » ارْتَفَعَ عَلَى أَنَّهُ خَيْرٌ مَبْتَدَأُ مَحْدُوفٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : هُمُ هِجَانُ الْحَيِّ . وَهِجَانٌ جَمْعٌ ، وَوَاحِدُهُ هِجَانٌ أَيْضًا ، لِأَنَّ فَعِيلًا وَفِعَالًا يَشْتَرِكَانِ فِي الْجَمْعِ كَثِيرًا ؛ فَهِجَانٌ جَاءَ مِنْ هِجَانٍ وَاحِدًا كِظْرَافٍ مِنْ ظَرِيفٍ . وَقَوْلُهُ « كَالذَّهَبِ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ « يَجْنِيهِ جَانِ » حَالٌ مِنَ الذَّهَبِ الْمُصْفَى . وَقَوْلُهُ « مُوَاصَلَةٌ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُصَدِّرًا فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيْ مُوَاصِلًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَوْضُوعًا مَوْضِعَ صِلَةٍ فَيَكُونُ مُصَدِّرًا مِنْ غَيْرِ لَفْظِهِ ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴾ ؛ وَقَوْلُهُ « يَجْنِيهِ جَانِ » وَضَعَهُ مَوْضِعَ يَلْتَقِطُهُ .

٤٠٨

وقال سلم بن ربيعة^(١) :

- ١- إنَّ شِـوَاءَ وَنَشْوَةَ وَخَبَبَ الْبَـازِلِ الْأُمُونِ
- ٢- يُجَشِّمُهَا الْمَرْءُ فِي الْهَوَى مَسَافَةَ الْغَائِطِ الْبَطِينِ
- ٣- وَالْبَيْضَ يَرْفُنَ كَالدَّحَى فِي الرَّيْطِ وَالْمَذْهَبِ الْمَصُونِ
- ٤- وَالْكَثْرَ وَالْخَفْضَ آمِنًا وَشِرْعَ الْمِزْهَرِ الْخُنُونِ
- ٥- مِنْ لَذَّةِ الْعَيْشِ وَالْفَتَى لِلدَّهْرِ وَالذَّهْرُ ذُو فَنُونِ
- ٦- وَالْيُسْرَ كَالْعُسْرِ وَالْغِنَى كَالْعُدْمِ وَالْحَى الْمَمْنُونِ

هذه المقطوعة خارجة عن البحور التي وضعها الخليل بن أحمد، وأقرب ما يقال فيها أنها تجيء على السادس من البسيط^(٢)، وليس هذا موضعاً لبسط الكلام فيه .

والنشوة : الخمر والشكر^(٣) . والخبيب والخلب : ضرب من السير . والبازل : التي قد استكملت لها تسع سنين فتناهى قوتها . والأمون : الموثقة الخلق . وخبر إن في قوله « من لذة العيش » .

وقوله « يُجَشِّمُهَا الْمَرْءُ » من صفة البازل ، والمعنى يكلفها صاحبها قطع المسافة البعيدة فيما يهواه ، والمسافة مأخوذة من السوف ، وهو الشم . وكان الدليل إذا اشتبه عليه الطريق يفعل ذلك . والغائط : المطمئن من الأرض . والبطين : الواسع الغامض .

(١) كذا في النسختين ، وصوابه كما في التبريزي : « سلمى بن ربيعة » . انظر ما سبق من التحقيق في حواشي ص ٥٤٦ .

(٢) يعني ما يسمى مخلع البسيط .

(٣) الخمر ، هنا : مصدر خمر الرجل خمرأ ، فهو مخمور .

وقوله « والبييض يرُفُن كالدُّحَى » يعنى به النساء . ويرُفُن : يتبخترن في الرِّيطِ ، وهى الملاعة الواسعة^(١) . والمذهبُ المصُون ؛ يُراد به الثياب الفاخرة المطرزة بالذهب . وتعلَّق في من قوله « فى الرِّيطِ » بيزُفُن ، وكالدُّحَى فى موضع الحال . والمعنى : والنساء البيض يتبخترن فى المصونات من الثياب الكريمات وهنَّ مُشبهاتٌ للصُّور .

والكُثر انعطَفَ على البييض ، كما أن البييض انعطَفَ على « وخَبَبَ البازلِ الأُمون » . والمراد بالكُثرِ كثرةُ المالِ ومساعدةُ الحال ، وضِدُّهُ القُلُّ . وقال الخليل : كُثرَ الشَّيءُ : أ كثره ، وكذلك قُلُّه أقلُّه . وانخَفَضَ : التَّوَدَّع . وانتصب « آمِنًا » على الحال ، وانعطَفَ « وشِرَعٌ » على الخفض . فىقول : إنَّ لذات الدنيا من مأ كُولٍ ومشروبٍ وملبوسٍ ، ومركوبٍ وقد استعمله صاحبه فيما يهواه ، وكلفه قطعَ المسافاتِ فيما تدعوه إليه نفسه ، والنساء البييض بالصفة التى ذكرها ، والغنى والراحة فى الأمن والملاهى ، جميع ذلك من لذة العيش . وقوله « وشِرَعِ المِزهرِ » أى الأوتار ، واحِدُها شِرَعَةٌ . والمِزهرُ : العود . والخُنون : يُريد به الصبِّت من الحنين ، فكأنه أشار إلى المِزهر منقوراً ينقره الملهى^(٢) . فانظرُ فإنه جمع كلِّ ما يلتذ به النفس ، وجعلها تامَّةً بما قرَن به من حال الأمن ، لأنَّ جميع ذلك إذا عرَى من الأمن لم يُستطب ولم يُستمرأ .

ثم قال : « والفتى للدهرِ والدهرُ ذو فنونٍ » الواو واو الحال ، وذو فنون أى ضروب . يريد : أن كلَّ ذلك مما يلتذُّ العائش به ، لكنَّ الفتى مهْدَفٌ للدهر ، والدهر ذو تاراتٍ : كما يهَبُ يرتجع ، وكما يُسَلَّمُ بعِلِّ ، وكما يُودَّع يُتعب ، وكما يُصنِّفُ يكدر . وبعد ذلك قال :

(١) كذا فى النسختين . والوجه « الملاة الواسعة » إذ أن « الرِّيطِ » جمع لا مفرد .

(٢) الملهى : المشتغل بسمع الغناء .

وَالْيَسْرُ كَالْعُسْرِ وَالغَنَى كَالْعُدْمِ وَالْحَيُّ لِمَنْوَنِ
 يريد أن شيئاً من هذه الأحوال لا يدومُ إلا ريث ما يُسَاطَ عليه القواطعُ
 والمغيّراتُ ، فاليسار إذا حصل كالإعسار ، في أن واحداً منهما لا يبقى ، وغنى
 النفس كفقرها ، ثم انتهاء كل ذلك للحى منا إلى الموت الذي لا غاية وراءه ،
 وليس يتخلص منه بحيلة تنفذ ، أو روية تُعمل .

٤٠٩

وقال آخر^(١) :

١ — وَأَنْتِ امْرُؤٌ وَإِمَّا اتَّمَنْتُكَ خَائِبًا فَخُنْتُ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بِلَا عِلْمٍ

٢ — فَأَنْتِ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِمَنْزِلَةِ بَيْنِ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ^(٢)

يقول : أنت رجلٌ إمّا وثقتُ بك في شيءٍ يُحتاج إلى أداء الأمانة فيه ، وقد
 خلوت معك وأظهرت الشكوكَ إليك فخنتني ، وإمّا أستنيمُ إلى ناحيتك في
 الخير فكذبت عليّ ، وخبرت بما لا علم لك به ، فأنت ممّا بيني وبينك واقفٌ
 في محلّ بَيْنِ الْخِيَانَةِ فيما اتّمنت فيه . وَالْإِثْمِ فيما رجعت إليك في الكشف عنه .
 وقوله « اتّمنتك » هو افتعل من الأمانة ، ولك أن تخفف الهمزة وتبدل منها
 ياء ، ولك أن تعوّض من الهمزة تاءً فتدغمه في التاء التي بعدها فتقول : اتّمنتك .

(١) التبريزي : « هو عبد الله بن همام السلولى من بنى مرة بن صعصعة ، من قيس عيلان .
 وبنى مرة يعرفون ببنى سلول ، وسلول أمهم ، وهى بنت ذهل بن شيبان بن ثعلبة ، وكان
 عبد الله مكيناً عند آل مروان ، وهو الذى بعث يزيد بن معاوية على البيعة لابنه معاوية في قوله :

تعزوا يا بنى حرب بصـ
 خلافة ربكم حاموا عليها
 فن هذا الذى يرجو الخلودا
 ولا ترموا بها الغرض البعيدا
 تلقفها يزيد عن أبيه
 فخذها يا معاوى عن يزيدا »

وقد روى التالى فى الأمالى (٢ : ٤٦) هذين البيتين وقصتهما .

(٢) رواية الأمالى : « فأبت » بالياء . وذكر محققه أنها فى نسخة : « فأنت » . والمعنى

على كل صحيح .

وخالياً انتصَبَ على الحال ، وذو الحال يجوز أن يكون الشَّاعِرَ . والمعنى : جعلتُك موضعاً للأمانة وقد خلوتُ بك لثلاً يتجاوزنا السِّرُّ الذي أودعتك . ويجوز أن يكون حالاً للمخاطب ، والمعنى منفرداً .

وروى أن رجلاً أتى عُبيدَ الله بن زيادٍ فأخبره أن عبدَ الله بن همام السَّلُولِيَّ سَبَّهُ وأسرفَ جِهَاراً ، لا حِشْمَةَ تَرَدَّعُهُ ، ولا رِقْبَةَ تَمْنَعُهُ . فأرسل عُبيدُ الله إلى ابن همام واستحضره ليقابله بالرجُل ، وَيَتَبَيَّنَ مِنْ حُضُورِهَا صِحَّةَ الخبر ، فأتاه ابن همام ، فلما استقرَّ به المجلسُ قال عُبيدُ الله : يا ابن همام ، إنَّ هذا يزعمُ أنَّك قلتَ كذا وكذا . فأقبلَ ابنُ همام على الرجلِ وخاطبه بقوله : « أنت اسروؤُ إمَّا ائتممتك خاليا » . . . البيتين .

فإن قيل : ما موضعُ « إمَّا ائتممتك » من الإعراب ؟ قلت : هو في موضع الرَّفْعِ على أن يكون صفةً لامرئٍ . وإمَّا هذه هي التي تُعَدُّ في حروف العطف ، والكلام خبرٌ . يريد : أنت رجلٌ لا تخلو مما تصكُّ به وجهي من أحد الأمرين اللذين أذكُرهما . فهو كما تقول : أنت رجلٌ إمَّا صالحٌ وإمَّا طالحٌ . وقوله « فخنَّت » انعطف على ائتممتك ، كأنه قال : أنت رجلٌ إمَّا مؤتمنٌ فحاشٌ ، وإمَّا قائلٌ قولاً لا علمَ لك به . وقوله « وإمَّا » الواو هي العاطفة . وإمَّا كأو في أنه لأحد الأمرين ، إلا أن « أو » يُبَيِّنُ الكلامُ فيه على اليقين ، ثم يعترض ما يخرج به عنه ؛ و « إمَّا » يُبَيِّنُ الكلامُ فيه على اليقين . ولهذا الذي قلناه قال حذائق أصحابنا : إنه ليسَ من حروف العطف ، وكيف يكون منها وهو يحى قبل ما يُعطَفُ عليه أو مع حرف العطف . تقول : رأيتُ إمَّا زيدا وإمَّا عمراً . فإمَّا الأولى سابقُ المعطوفِ عليه وهو زيد ، وإمَّا الثانية معها الواو العاطفة .

وقوله « فأنت من الأمر الذي كان بيننا » مبتدأ وخبره « بمنزلة » ، وبين الخيانة صفة المنزلة . والمعنى : أنت مما^(١) بيننا في موقف يُشفي بك إما على الخيانة فيما اتُّممت فيه ، وإما على الإثم فيما تُستشهد فيه ، فتقول بما لا علم لك به .

٤١٠

وقال شيب بن البرصاء^(٢) :

١ - قلت لغلّاقٍ بعِرنانٍ ماترى فما كاد لي عن ظهرٍ واضحةٍ يُبدي
عِرنانُ : اسم وادٍ^(٣) . وقوله « عن ظهر واضحة » يجوز أن يريد عن ظهر خصلة بيّنة . والمراد : لما استشرته وقد حصلنا بعِرنان ارتبك فلم يكدر يكشف لي عمّا يصح المراد به ، ويمكن الاعتماد عليه . ويجوز أن يريد بالوضحة السن . والمعنى : لم يكدر يتهلّل أو يكشف عن أسنانه به ضاحكا أو كاشراً . ويكون استعمال الواضحة كما قال طرفة :

كلُّ خليلٍ كنتُ عاهدته لا ترك الله له واضحةً

وقوله « تبسم كرها » يدلُّ على الوجه الثاني .

٢ - تبسم كرها واستبنت الذي به من الحزن البادي ومن شدة الوجد

٣ - إذا المرء أعراه الصديقُ بدالهُ بأرض الأعدى بعض ألوانها الرُّبْدُ

انتصب كرها على أنه مصدر في موضع الحال . يقول : بسم لي كرهاً فتبيّنت الذي به من حزنٍ ظهر عليه ، ومن وجد استكن في قلبه ويقال استبنت وتبيّنت بمعنى واحد . وبسم وابسّم وتبسم بمعنى واحد ، إلا أن في

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « فيما » .

(٢) سبنت ترجمته في الحساسية ٤٠٣ ص ١١٢٣ .

(٣) وعن السكوني أنه جبل بين تيماء وجبلى طيب . معجم البلدان .

تبسّم زيادة معنى التكلف ، كأنه تكلف منه ما تكلف على كراهية .
 وقوله « إذا المرء أعراه الصديق » يريد به : إذا الرجل خذله صديقه
 وقعد عن نصرته ، وترَكَه بالعراء ، في أرض الأعداء ، بدا له من ألوان
 الأرض إذا اسودّت بعضها . وهذا التفصيل والتبويض دلّ على أن اسوداد
 الأرض يكون من وجوه عدّة ، وللحالة التي أشار إليها ما يختصُّ بها ، ويجب
 أن يكون أشدها . وهذا لأن ما يرد على النفس من المكاره مراتب ، فاسوداد
 الأرض عليه لها على حسب مقاديرها في أنفسها .

٤١١

وقال سالم بن وابصة^(١) :

- ١- أَحِبُّ الْفَتَى يَنْفِي الْفَوَاحِشَ سَمِعُهُ كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقَرَأَ
 - ٢- سَلِيمٌ دَوَاعِي الصَّدْرِ لَا بَاسِطٌ أَذَى وَلَا مَانِعٌ خَيْرًا وَلَا قَائِلٌ هُجْرًا^(٢)
- يقول : أَحِبُّ من أخلاق الفتى أن يكون متكرماً إذا طرق أذنه ذِكْرُ
 الفواحش ، فلا يبعيها ولا يجعلها من نفسه ببالي ، حتى كأن به صمّاً عن أنواع
 الفواحش كلها .

وقوله « سَلِيمٌ دَوَاعِي الصَّدْرِ » ارتفع سَلِيمٌ لأنه خير مبتدأ محذوف ،
 كأنه قال : هو سليم ، ويكون ما بعده صفات له . ويريد بالدواعي ما يتعلق
 بالأغيار منه لا ما يخطئه في نفسه . ألا ترى أنه فسره بقوله « لا باسطٌ أذى ولا

(١) التبريزي : « سالم بن وابصة الأسدي » . وقد سبقت ترجمته في الحماسية ٢٤٤
 ص ٧١٠ . والأبيات في أمال الثمالي (٢ : ٢٢٤) .

(٢) التبريزي : « لا باسماً ... ولا مانعاً ... ولا قائلاً » . ومثله الثمالي ، لكن روايته
 في آخر البيت : « ولا ناطقاً هجراً » .

مانعٌ خيراً ولا قائلٌ هُجراً» وكلُّ ذلك للغيَرِ لا للنفسِ . ويكشفُ هذا أنه إذا بسَطَ أسبابَ الأذى عادَ الضررُ منها على المتأذى لا عليه . وإذا منَعَ خيرَه كذلك عادَ الضررُ على المنتفعِ به وعلى هذا إذا قال هُجراً . والهَجْرُ : الفُحْشُ . ويقالُ : أهجَرَ الرجلُ ، إذا أتى به . وقد كان من فلانٍ هاجرةً . على ذلك قوله :

* إذا ما شيتَ نالكَ هاجرَ أتى ^(١) *

ولك أن تنصبَ « سليمَ » بما بعده ، فيكون في موضع الحال ، وما يتبعه صفات له ، وهو لا باسطاً أذى ولا مانعاً خيراً ولا قائلًا هُجراً .

٣ - إذا ما أتت من صاحبٍ لك زلةٌ فكُنْ أنتِ مُحْتالاً لِرِزَّتِهِ عُدراً ^(٢)

٤ - غني النفسِ ما يكفِيكَ مِنْ سَدِّ حَاجَةٍ فإن زادَ شيئاً عادَ ذاكَ الغنيَ فقراً ^(٣)

يقول واعظاً ومهدئاً : إذا انفقت من صديق لك زلةً ، أو وقوف موقوف تهمة ، فحسّن أمره في ذلك واحمله على ضروبٍ مما يبسطُ عُذْرَهُ فيه ، بل كن أنتَ المحتالَ لعُدْرِهِ ، فلا تُحَوِّجْهُ إلى تكلف الاعتذار .

وقوله « غني النفس ما يكفِيكَ مِنْ سَدِّ حَاجَةٍ » يقول : خذ من دنياك ما تسدُّ به فقرَكَ ، فإن غني النفس ما يضمن الكفاية ، فإن زاد قليلاً عاد ذلك بزيادتك فيه الفقر ، وذلك أن الدواعي إنما تكثر وتتوسع بتوسع الأسباب وكثرتها ، وما يفضل عن الكفاية يمتُّ كلُّ جزءٍ منه بماتةٍ صاحبه فلا يكاد يكتفي ببعضه

(١) عجزه في اللسان (هجر) :

* ولم أعمل بهن إليك ساقى *

(٢) قبله عند التبريزي : ولم يروه القالي :

إذا شئت أن تدعى كريماً مكرماً أديباً ظريفاً عاقلاً ماجداً حراً

(٣) التبريزي : « ما يكفِيكَ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ » . التالي : « ما يكفِيهِ مِنْ سَدِّ خَلَّةٍ

إلا وما عداه يُمْتُّ بمثل مائته . وإذا صار الأمر على ذلك فـ كلُّ منزلة ينتهي إليها طلبُ الفضل تدعوه إلى ما فوقها ، فيبقى أبداً مُتَعَباً فقيراً . وقوله « فإن زاد ، شيئاً » انتصب شيئاً على المصدر ، لأنه واقعٌ موقعَ زيادة . وزاد هاهنا بمعنى ازداد ، فلا يتعدى . وانتصب فقراً على الحال .

٤١٢

وقال آخر^(١) :

١ - وَكَمْ مِنْ لَيْمٍ وَدَّ أُنَى شَتْمُهُ وَإِنْ كَانَ شَتْمِي فِيهِ صَابٌ وَعَلَقَمٌ

٢ - وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ اللَّيْمِ تَكَرُّمًا أَضْرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يُشْتَمُ

اللَّيْمُ : الذي اجتمع فيه خصالٌ مذمومةٌ في نفسه وأبويه . فيقول : كم من رجل دنى النفس والأصل ، يتمنى أن أنخذه نظيراً لي أكليله وزناً بوزن ، وأكافيه لفظاً بلفظ ، وإن كان في هجوى له وشتمى إياه ما يجرى مجرى الصاب والعلقم في المرارة . والصَّابُ : شجرة لها ابنٌ فإذا أصاب العين حلبها . والعلقم : الحنظل . وقال الخليل : يقال : علقم الحنظل ، إذا اشتدت سارته .

ثم قال : لإمساكي عن مُشَاتِمَةِ اللِّئَامِ آخِذاً بِالكَرَمِ ، أَصْوَنُ لِعِرْضِي ، وَأَعُوذُ عَلَيْهِم بِالضَّرْرِ مِنْ كُلِّ ذَمٍّ وَهَجْوٍ . وانتصب « تَكَرُّمًا » على أنه

(١) التبريزي : « وقال المؤمل بن أميل الحاربي » . والمؤمل ، كذا ضبط بالميم المشددة المفتوحة عند التبريزي . وهو المؤمل بن أميل بن أسيد الحاربي ، نسبة إلى محارب بن خصيفة بن قيس بن عيلان بن حضرم . شاعر كوفي من مخضرمي شعراء الدولتين ، وكانت شهرته في العباسية أكثر ، لأنه كان من الجند المرتزقة معهم . وانتفع إلى المهدي في حياة أبيه . وكان يهوى المرأة من أهل الخبرة يتان لها هند ، وفيها يقول قصيدته المشهورة :

شفت المؤمل يوم الخبرة النظر ليت المؤمل لم يخلف له بصر

فيقال إنه رأى في منامه رجلاً أدخل إصبغه في عينيه وقال : هذا ما تميت . فأصبح أعمى . الأغاني (١٩ : ١٤٧) ومعجم الأدباء (٧ : ١٩٥ مرجليوث) والخزانة (٣ : ٥٢٣) ونكت الهيران ٢٩٩ رسميل الآلي ٥٢٤ .

مصدرٌ في موضع الحال ، أى متكرما ، ويجوز أن يكون مفعولاً له ،
أى للتكرّم .

٤١٣

وقال عقيل بن علفة^(١) :

١- وَلِدَّهْرٍ أَثْوَابٌ فَكُنْ فِي ثِيَابِهِ كَلْبَسْتَهُ يَوْمًا أَجَدًّا وَأَخْلَقًا
٢- وَكُنْ أَكَيْسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ وَإِنْ كُنْتَ فِي الْحَقِّ فَكُنْ أَنْتَ أَحَقًّا
ذِكْرُ الْأَثْوَابِ مِثْلُ ، وَإِنَّمَا يُرِيدُ تَلَوُّنَ الدَّهْرِ بِأَهْلِهِ ، وَتَصَرُّفَهُ بِأَحْدَاثِهِ
وَتَارَاتِهِ وَغَيْرِهِ . وَاللَّبْسَةُ : اسْمُ حَالَةِ اللِّبَاسِ . أَيْ اللَّبْسُ ثِيَابَهُ لِبَسْتَهُ مُجِدًّا
أَوْ مُخْلَقًا ، وَإِنْ أَجَدًّا أَوْ أَخَقًّا ، لِأَنَّ الْحَالَ يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْجَزَاءِ . وَالْقَصْدُ إِلَى
تَوْصِيَةِ الْمُخَاطَبِ بِأَنْ يَطْلُبَ مَوَافَقَةَ النَّاسِ فِي دَهْرِهِمْ ، وَيَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ . وَمَعْنَى
أَجَدًّا : جَعَلَ ثَوْبَهُ جَدِيدًا . وَكَذَلِكَ أَخْلَقَ الثَّوْبُ نَفْسَهُ فَهُوَ مُخْلَقٌ ؛ وَهَذَا أَشْهُرُ
مِنَ الْأَوَّلِ . وَقَدْ قِيلَ فِي الدُّعَاءِ لِللِّبَاسِ الْجَدِيدِ : « أَبْلٍ وَأَجْدِدُ » يَرَادُ بِهِ فِعْلٌ
مِثْلُهُ فِي الْمُسْتَأْنَفِ ، وَاتِّصَالُ عَمْرِهِ . وَقَدْ صَرَّحَ عَنِ الْمَعْنَى فِيمَا بَعْدَهُ ، لِأَنَّهُ قَالَ :
وَكَنْ أَكَيْسَ الْكَيْسَى إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ . وَالْمَعْنَى : تَكَيْسُ مَعَ الْأَكْيَاسِ ،
بَلِ اجْتِهَادُ أَنْ تَفُوقَهُمْ فِي كَيْسِهِمْ وَإِنْ ابْتَلَيْتَ بِحَمَقَتِي فَتَحَامَقْ مَعَهُمْ . وَقَوْلُهُ
« كُنْ أَنْتَ » أَنْتَ تَوْكِيدٌ لِلْمَضْمَرِ فِي كُنْ . وَ« أَحَقًّا » يَجُوزُ إِلَّا يَرِيدُ بِهِ أَفْعَلَ
الَّذِي يَتَمُّ بِمَنْ وَيَكُونُ الْمَعْنَى تَحَامَقَ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَفْعَلَ الَّذِي يَتَمُّ بِمَنْ ،
وَقَدْ حُذِفَ مِنْهُ مِنْ لَأَنَّهُ خَبَرَ فُجَّازَ ذَلِكَ فِيهِ . وَيَدُلُّ عَلَى هَذَا أَنَّهُ قَالَ : كُنْ
أَكَيْسَ الْكَيْسَى . وَقَدْ قِيلَ : مَا أَحَقُّهُ ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْخَلْقِ فِي شَيْءٍ . أَلَا تَرَى

(١) سبقتم ترجمته في الحماسية ١٣٦ ص ٤٠٠ . التبريزي : « وقال عقيل بن علفة المري ،

مرة بن عوف بن سعد بن بنيض ويصحف بابن علفته . وعلته تيمى لم يعرف اسمه ونسبه » .

أن صاحبه يُؤَبَّخ على ما يأتيه منه . فأما قوله « الحَمَقِي » ففَعَلَى جَمْعُ فيما يكون
بلاءً وزمانةً . على ذلك الجرحى والمرضى ، فشَبَّهت الحماقة به ، ثمَّ حَمَلَ الكَيْسِي
عليه ، لأنهم يَحْمَلُونَ النَّقِيضَ على النَّقِيضِ كثيراً .

٤١٤

وقال بعضُ الفزاريين :

١- أ كُنِيهِ حِينَ أَنْادِيهِ لِأَكْرَمِهِ وَلَا أَلْقَبُهُ وَالسَّوْءَةَ اللَّقْبَا (١)
٢- كَذَاكَ أَذْبْتُ حَتَّى صَارَ مِنْ خُلُقِي إِنِّي وَجَدْتُ مَلَكَ الشِّيمَةِ الْأَدْبَا
يصف حُسنَ عِشْرَتِهِ لصاحبه وجليسه ، ومؤاخِذَةَ نَفْسِهِ بصيانتِهِ وإِكْرَامِهِ
فيقول : إِذَا خَاطَبْتُهُ خَاطِبَتُهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ إِلَيْهِ ، وَهُوَ الْكُنْيَةُ ، وَأَعْدِلُ عَنْ
نَبَزِهِ وَلَقَبِهِ (٢) ؛ لِأَنِّي عَلَى هَذَا أَذْبْتُ ، حَتَّى بِهِ تَطَبَّعْتُ ، فَصَارَ خُلُقًا ثَانِيًا لِي وَإِنْ
كَانَ أَصْلُهُ تَخَلُّقًا ؛ إِنِّي وَجَدْتُ الْأَدْبَ مَلَكَ الْأَخْلَاقِ . وَالْمَلَائِكَةُ : اسْمٌ لِمَا يُمَلَّكُ
بِهِ الشَّيْءُ ، فَهُوَ كَالرِّبَاطِ وَالنِّظَامِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا . وَقَوْلُهُ « وَلَا أَلْقَبُهُ وَالسَّوْءَةَ اللَّقْبَا »
بِنَصَبِ السَّوْءَةِ ، فَتَنْصَبُ اللَّقْبُ مِنَ الْقَبِّ ، وَيَنْتَصِبُ السَّوْءَةُ عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولٌ
مَعَهُ ، فَيَكُونُ مِنْ بَابِ : جَاءَ الْبَرْدُ وَالطَّيَالِسَةُ . وَالتَّقْدِيرُ : لَا أَلْقَبُهُ اللَّقْبَ مَعَ
السَّوْءَةِ . وَيَجْرِي هَذَا الْجُرْيُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ﴾ ،
لِأَنَّ الْمَعْنَى مَعَ شُرَكَائِكُمْ . وَيَكُونُ الْمُرَادُ : لَا أَجْمَعُ بَيْنَ الْقَبِّ وَمَا يَسُوؤُهُ مِنْ
فُحْشِ الْكَلَامِ . فَهَذَا وَجْهُ لِنَصَبِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ انْتِصَابُ السَّوْءَةِ عَلَى

(١) يروى : « والسوءة اللقب » على الابتداء والخبر ، كما يروى تأليه « ملاك الشيمة
الأدب ، على جعل الجملة مفعولا ثانياً لوجدت ، ومفعوله الأول ضمير الشأن المحذوف ، أو على
أن « وجدت » معلق عن العمل في اللفظ بلام الابتداء المقدرة ، والجملة بعدها من المبتدأ والخبر
سدت مسد مفعولى وجد . انظر الخزانة (٤ : ٥ - ٧) .

(٢) النبز ، بالتحريك : اللقب ، وجمعه أنباز .

المعنى ، كأنه قال : ولا آتى السَّوءة ، فعمل فيه معنى لا ألقبه ، فيكون على هذا من باب :

يا ليت بعلك قد غدا متقلداً سيفاً ورُمحاً^(١)

و : * علفتها تبناً وماءً بارداً^(٢) * :

ويجوز أن يكون السَّوءة مفعولاً به ، وقد عمل ما قبل الواو فيه ، كما تقول : ما زلتُ وزيداً حتى فعل كذا ، أى ما زلتُ يزيدٍ حتى فعل . وتقدير الباب في هذه أكَشَفُ من تقدير مَع وإن تقارَبَ معنيهما ، كأنه قال : لا ألقبه اللقب بالسَّوءة . ويقال : سمَّيته كذا وبكذا ، ولقَّبته كذا وبكذا . قال الله تعالى : ﴿ ولا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ ﴾ . وإن رُفِعَ فارتفاعة يجوز أن يكون بالابتداء ويكون الخبر مضمراً ، كأنه قال : والسَّوءةُ ذلك ، يعنى إن لقَّبته فالفحش فيه^(٣) . ويجوز أن يكون مبتدأ وخبره اللقب ، ويكون مصدرًا كالجمزى والوَكَرْمَى وما أشبههما . والمراد : والفحش استعمال اللقب معه ، ويكون تفضيلاً للأمر لو فعل . ويجوز أن يكون خبراً مبتدأً محذوف ، كأنه قال : لا ألقبه اللقب ، وهو السَّوءة . وهذا أقرب . والسَّوءة : الفَعْلَةُ القبيحة . قال الشاعر :

(١) ويروى : « يا ليت زوجك » . ويروى : « يا ليت بعلك في الوشى » . والبيت لعبد الله بن الزبيرى كما في حواشى ابن التورطية على الكامل ١٨٩ . وانظر الكامل ٢٠٩ ، ٤٠٣ وأمالى المرتضى (٤ : ١٧٠) والإنصاف لابن الأنبارى ٣٥٧ ، وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٣٢١) والخزانة (١ : ٣٢٠) والمخصص (١ : ١٣٦ / ١٤ : ٢٣٢) .
(٢) أى وسقيتها ماءً بارداً . والبيت لم يعرف قائله . وهو عند المعنى (٤ : ١٨١) والمرتضى (٤ : ١٧٠) وابن الشجرى (٢ : ٣٢١) وشرح شواهد المعنى للسيوطى ٣١٤ والخزانة (١ : ٣٣٠ ، ٤٩٩) . قال البغدادى : « وأورداه العلامة الشيرازى ، والفاضل يعنى ، صدرأ وجعل المذكور عجزاً هكذا :

لما حططت الرجل عنها واردا علفتها تبناً وماءً باردا
وجعله غيرهما صدرأ وأورد عجزاً هكذا :

علفتها تبناً وماءً بارداً حتى شئت هائلة عينها .

(٣) كذا فى ل ، وفى الأصل : « به » .

(٤) هو أبو زيد الطائى ، كما فى متنايبس اللغة واللسان (سوا) .

* يَا لِقَوْمٍ لِّلسَّوَةِ السَّوَاءِ (١) *

ويسمى الفرج السوءة ، لقبه . وفي القرآن : ﴿ فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوَاتِهِمَا ﴾ .
ويقال : سوءة لفلان (٢) ! دعاء عليه .

٤١٥

وقال رجلٌ من بني قريع (٣) :

١ - متى ما يرا الناسُ الغنيَّ وجاره فقيرٌ يقولوا عاجزٌ وجليدٌ

٢ - وليس الغني والفقيرُ من حيلة الفتى ولكن أحاطِ قسَّمتُ وجدودُ

أخرج هذا الكلام تخرج الإنكار لما تعودته الناس في الحكم على الأغنياء والفقراء . فيقول : مما يقضى به الناس على الغني وإلى جنبه فقيرٌ ، أن يقولوا : هذا من عجزه أتى ، وهذا جلادته أغني . وهذا خطأ ، لأن الغني والفقير مما قدر الله تعالى وأجرى به قسمة في خلقه ، وليس المعتمد فيه على احتياهم ، وسعيهم واجتهادهم ، لكنها جدود وحظوظ درجوا عليها ، وخلقوا لها ، على ما عرف الله تعالى من صالح خلقه .

وجواب « متى ما يرا » قوله « يقولوا » . وارتفع عاجزٌ على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه : هذان عاجزٌ وجليدٌ .

٣ - إذا المرء أعيته المرؤة ناشئاً فمطلبها كهلًا عاينه شديد (٤)

(١) صدره : * لم يهب حرمة البدم وحقت *

(٢) في الأصل : « سوءة فلان » ، صوابه في ل ، واللسان (سوأ ٩١) .

(٣) هو المعلوط السعدي القريني ، كما في عيون الأخبار (٣ : ١٨٩) . وقريع ، من بني كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . الاشتقاق ١٥٥ ، ١٥٠ . وقد صرح به ابن جني في التنبيه حيث قال : « قال المعلوط بن بدل القريني : إذا المرء أعيته » ، وأنشد البيت الثالث .

(٤) ابن جني : « أعيته السيادة » .

٤ - وكأئن رأينا من غني مذمم وصعلوك قوم مات وهو حميد
 قوله « إذا المرء أغيته » بعث وتخصيض على النهوض في طلب المعالي في
 ابتداء الدشء ، وحين كان في القوّة فضلة ، وفي العمر مهلة ، حتى تتلاقى أوائل
 عمره وأواخره في طلب الرياسة ، وإقامة المروءة ، وأنه إن دافع بما عليه في ذلك
 وماطل انتظارا لأحوال تجتمع [له ^(١)] ، فاكتهل ولما تساعده تلك الأحوال
 فإنه يتعذر عليه طلبها ، ويشتد عليه إدراكها . وانتصب « ناشئا » على الحال ،
 والعامل فيه أغيته . ويقال : فتى ناشئ ، أي شاب . قال الخليل : ولا يوصف
 به الجارية . والناشئة : أول الوقت ^(٢) ، من هذا . وينتصب « كنهلا » على
 الحال أيضا ، والعامل فيه مطلبها ، لأن المعنى مطلبه لها وهو كهل ، فالمصدر
 مضاف إلى المفعول ، أو مطلبه لها إذا كان كنهلا ، ومثله : هذا تمرًا أطيب
 منه بسرًا .

وقوله « وكأئن رأينا » كأئن بمعنى كم . وكأئه أخذ بفضل الفقر إذا جرى
 صاحبه في محمود الطرائق من التجمل ، والاكتفاء والتعفف ، على الغنى وصاحبه
 يبظر ، ويطغى وبأشر ، ثم لا يؤدي حق النعمة عليه ، فقال : كم من غني
 ساعدته الدنيا والأقدار ، ثم أصبح مذمما حين لم يلتزم شروط محمود الغنى ، وكم
 من فقير قوم لما جرى في ميدان العفاف والتجمل ، والرضا بما له والتشكر ،
 مات وهو حميد الطريقة ، رضى السريرة . والصعلوك : الفقير . ويقال :
 صعلكته ، أي ذهب بما له كله .

(١) التكلة - من ل .

(٢) أي في نحو قوله تعالى : « إن ناشئة الليل . »

٤١٦

وقال بعضهم^(٤):

- ١ - وَأَضَحَّتْ أُمُورُ النَّاسِ يَغْشَيْنَ عَالِمًا بِمَا يُتَّقَى مِنْهَا وَمَا يُتَعَمَّدُ
٢ - جَدِيرٌ بِأَلَا أَسْتَكِينَ وَلَا أَرَى إِذَا الْأَمْرُ وَلَّى مُدْبِرًا أَتَبَلَّدُ

قوله « يغشين عالماً » أى يغشين منى عالماً ، لأن العالم هو هو ، فحذف منى .
والمعنى : إننى باشرت الأمور العظيمة ، ولا بست الخطوب الجميلة ، فصرت بطول
تجربتي ، واتصال ممارستي ، عالماً من أمور الناس إذا وردت أخبارها^(٢) على
بما يتحامى منها ويحذر ، وما يتمنى منها فيطلب . فلا جرم أننى خليقٌ بألا
أضرع عند نوابب الدهر ولا أخضع ، ولا أرى إذا فأننى أمرٌ أتحمسُ في أثره
وقد ولى ، وأضربُ بلدةً إحدى كفتي بالأخرى^(٣) ، ثوجعاً وتلهفاً ، إذا كنتُ
واقفاً بأن الأمور يملكها التغيير ، وأن الفأنت يُتلافى ، فلا يدومُ شئٌ على حالٍ
إلا ريث ما يتسلط عليه انتقال .

وقال الدردي : تَبَلَّدَ الرَّجُلُ ، إذا تحيَّر في أمره فأقبل يضرب بلدةً نحوره
بيده . وَبَلْدَةُ النَّجْرِ : الثُّغْرَةُ وَمَا حَوَالَيْهَا . وَقَالَ الْخَلِيلُ : التَّبَلُّدُ : نَقِيضُ التَّجَلُّدِ
وهو استكانهٌ وخُضُوعٌ . وَبَلْدُ الرَّجُلِ ، إِذَا انْكَسَرَ^(٤) فِي الْعَمَلِ وَضَعُفَ .

(١) التبريزى : « وقال آخر » .

(٢) ل : « أخبارهم » .

(٣) البلدة ، بالفتح : راحة الكف .

(٤) كذا فى ل ، وفى الأصل : « إذا نكس » .

٤١٧

وقال آخر :

- ١ - وَإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ أَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أَمْ هُوَ أَسْعَدُ
٢ - عَسَى سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ مِنْ الْيَوْمِ سُؤلاً أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدٌ
٣ - وَفِي كَثْرَةِ الْأَيْدِي لِذِي الْجَهْلِ زَاجِرٌ وَلِلْجَلْمِ أُنْبَقَى لِلرِّجَالِ وَأَعْوَدٌ
هذه الأبيات تشبه قول الآخر :

وَأَكْرَمُ كَرِيماً إِنْ أَتَاكَ حَاجَةٌ لِعَاقِبَةٍ إِنْ الْعَضَاءَ تَرَوَّحَ^(٢)
وقول الآخر^(٣) :

لَا تُهَيِّنَ الْفَقِيرَ عِلَّكَ أَنْ تَرَكَعَ يَوْمًا وَالذَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

وقوله « أَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أَمْ هُوَ أَسْعَدُ » تقديره أَنْتَ أَسْعَدُ بِمَا تُعْطِيهِ أَمْ هُوَ . وَأَمْ هَذِهِ هِيَ الْمَتَّصِلَةُ الْمَعَادِلَةُ لِأَلْفِ الْاسْتِفْهَامِ ، فَانْعَظْ هُوَ بِهِ عَلَى أَنْتَ . وَقَدْ يَجِيءُ الْخَبْرُ فِي مِثْلِهِ مَكْرُوراً ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ^(٣) :

بَاتَ يَقَامِي أَمْرُهُ أُمْبَرُمُهُ أَعْصَمُهُ أَمْ السَّحِيلُ أَعْصَمُهُ

فِيكَوْنُ التَّكْرَارِ فِيهِ عَلَى طَرِيقِ التَّأَكِيدِ . وَيَجْرِي « بَيْنَ » هَذَا الْجُرْيِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِمْ : بَيْنَ زَيْدٍ وَبَيْنَ عَمْرٍو خِلَافَ ، وَلَوْ لَمْ يَكْرُرْ بَيْنَ لِكَانَ الْوَجْهَ . وَالشَّاعِرُ يَقُولُ : إِذَا زَارَكَ سَائِلٌ فَتَوَفَّرَ عَلَيْهِ ، وَلَيْنَ قَوْلُكَ وَجَانِبُكَ لَهُ ، فَإِنَّكَ لَا تَعْلَمُ أَنْتَ أَسْعَدُ بِمَا يَنْالُهُ مِنْكَ أَمْ هُوَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَحْتَاجَ إِلَيْكَ إِنْ مَنَعْتَهُ سُؤْلَهُ وَطَلَبْتَهُ فَهُوَ حَقِيقٌ بِأَنْ يَنْالَ مَا مَنَعْتَهُ فِي غَدِهِ . وَقَوْلُهُ « أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدٌ » فِي

(١) ترويح النبات والشجر : طال . اللسان (٣ : ٢٩٤) .

(٢) هو الأضبط بن قريع السعدي . البيان (٣ : ٣٤١) والمعمرين ٨ ومجالس ثعلب

٤٨٠ والأمال (١ : ١٠٧) والأغني (١٦ : ١٥٤) وحامسة ابن الشجري ١٣٧ والخزانة

(٤ : ٥٨٩) والمثل السائر (١ : ٢٦٠) .

(٣) هو التراجم العجلاج . ديوانه ٦٤ .

موضع خبر عسى ، والضمير من له يعود إلى السائل ، والمعنى : عساه إن منفعته
سؤله من يوم كان عليه ، أن يكون غد ذلك اليوم له ، ولهذا قال الله عز
وجل : ﴿ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾ ، فقد يرتفع بيكون ، وله في
موضع الخبر .

وقوله « وفي كثرة الأيدي لذي الجهل زاجر » يريد استببق إخوانك
وذويك ، واعلم أن في التكأثر بهم مزجرة للجاهل ، ولتعاون أيديهم مدفعة
لأذى المغلب الخامل . ومع ذلك فالحلم أبقى شأنًا وأمرًا للرجال ، وأرد عليهم
وأنفع لهم . وهذه الوصاة اشتملت على أمرين : أحدهما اكتساب مودات
الإخوان لكي يكونوا إذا احتيج إليهم عونًا . والثاني استعمال الحلم مع الأعداء ،
والجرى معهم على حد لا يخرجهم إلى المكاشفة ، ولا يُخوِّجهم إلى خرق الهيبة .
وقوله « من اليوم سولا » ، يقال : أعطى فلان سؤله ، فيهمز ولا يهمز .

٤١٨

وقال آخر :

- ١ - إِيَّاكَ وَالْأَمْرَ الَّذِي إِنْ تَوَسَّعْتَ مَدَاخِلَهُ ضَاقَتْ عَلَيْكَ الْمَصَادِرُ^(١)
 - ٢ - فَمَا حَسَنٌ أَنْ يَعْدِرَ الْمَرْءَ نَفْسَهُ وَلا يَسْأِرَ النَّاسِ عَاذِرُ
- انتصب « والأمر » بفعل مضمَر . وإيَّاك ناب عن أحذرك ، فكأنه
قال : أحذرك أن تُتلايسَ الأمر الذي إن توسَّعت مداخله ضاقت عليك
مخارجُه . والمعنى : تأمل كل ما تُتلايسه ، واعرف أواخره وإن اشتدَّت ،
كما تعرف أوائله وإن تبيَّنت ، لأنه يقبَّح بالمرء أن يكون فيما يفتحمه عند
نفسه معذوراً ، وعند الناس ملومًا .

(١) التبريزي : « إن توسست مواردك » .

وقوله « فما حسنٌ أن يعذر المرء نفسه » في إعراب « أن يعذر » وجوهٌ :
أحدها أن يرتفع بالابتداء وخبره متقدم عليه ، وهو حسنٌ ، لأن ما النافية إذا
قدم خبره على اسمه يبطل عمله . ويجوز أن يكون موضعه رفعا بفعله وفعله حسنٌ ،
ويرتفع حسنٌ بالابتداء ، ويستغنى بفاعله عن خبره ، وجاز الابتداء بحسنٍ وإن
كان نكرةً لاعتماده على حرف النفي . والمعنى : ما يحسنُ عذرُ المرء نفسه فيما
يتولاه وليس له من الناس عذرٌ . ويجوز أن يرتفع « أن يعذر » بأنه خبر
المبتدأ الذي هو حسنٌ ، وهذا أضعفُ الوجوه . ويروى : « إن توسعت مواردُه
ضاقت عليك المصادرُ » . وقوله « من سائر الناس » أي من باقى الناس ، وهو
من الشؤر . ومن وضعه موضع الجميع فقد أخطأ .

٤١٩

وقال العباس بن مرداس (١) :

١- تَرَى الرَّجُلَ النَّحِيفَ فَتَزْدَرِيهِ وَفِي أَثْوَابِهِ أُسْدٌ مَزِيرٌ (٢)
٢- وَيُعْجِبُكَ الطَّرِيرُ فَتَبْتَلِيهِ فَيُخْلِيفُ ظَنَكَ الرَّجُلَ الطَّرِيرُ
ينبّه بهذا الكلام على أن الرجال ليسوا بجزرٍ يُطلب عِظْمُهَا وَسِمْنُهَا ، لأن
المرء بأصغريه : قلبه ولسانه . فيقول : ترى الرجل النحيف المهزول الدقيق ،
فتستحقره لضؤولته ، وإذا فتشت عنه واستشففت ما وراء ظاهره وجدته أسداً
مزيراً . والمزيرُ هو الجلد الخفيف النافذ فى الأمور . ويروى : « يزيرُ » وأيس
بجيدٍ من طريق المعنى ، فكان أصله يزيرُ فنقلت الحركة إلى الزاء وأبدل من
الهمزة ياءً ، كما يقال المرأة والسكامة ، فى المرأة والسكامة . وإنما ضعف من طريق

(١) سبقتم ترجمته فى الحماسية ١٤٩ ص ٤٣٣ . قال التبريزى : « وقال أبو يوش : هذا
الشعر لمعاوية بن مالك معود الحكماء الكلابى » .
(٢) التبريزى : « ويروى : مزير ، أى قوى القلب شديده » .

المعنى لأنَّ تشبيهه إِيَّاهُ بِالْأَسَدِ لافائدةٍ لذكر الزَّئِيرِ معه ، إذ لا تدومُ حاله على ذلك . ووجهه على ضَعْفِهِ أن يكون مَوْرِدُ « يَزْئِرُ » تَأْكِيداً للتشبيه ، كما يُستعارُ صفةُ المشبَّه به للمشبَّه وإن كان حصوله لو حصلَ ذَمًّا فيه ، تَأْكِيداً للتشبيه .
على ذلك قوله :

* أزلُّ إن قيد وإن قاد نصب *
والزلُّ من صفة الذئب . ومثله قول الآخر^(١) :

* صكَّاء ذُعَلْبَةٍ إذا استدبرتها^(٢) *
والصكك من صفة النعام .

وقوله « فِعْجَبِكِ الطَّيْرُ » فالطير : الشابُّ الناعم ذو الكِدْنَةِ . فيقول :
ويتفق في الرجال من يُعْجِبُكَ خِلْقَتُهُ ، فإذا بلوتُهُ وامتحنَتْ أخلاقَهُ وجدته
لا يصدق ظنك فيه ، بل يُخَلِّفُ وَيُخَالِفُ في كل ما تعتمد عليه ، أو تَكِلُهُ إليه .
٣ - فما عِظَمُ الرَّجَالِ لِمَ بِفَخْرٍ ولكن فخرهم كرمٌ وخيرٌ
٤ - ضعافُ الطيرِ أطولها جُسُومًا ولم تَطُلِ البُزَاةُ ولا الصُّقُورُ
٥ - بغاثُ الطيرِ أكثرها فراخًا وأمُّ الصَّقْرِ مِقلاتٌ نزور^(٣)
صَرَّحَ عن الغرض المقصود فيما تقدَّم فقال : إنما يُحمَدُ من المرءِ كرمه وفضله
وكثرة محاسنِهِ وخيرِهِ ، وكلُّ ذلك يرجعُ إلى الأخلاق لا إلى الخلق ، فلا
اعتبار بالعِظَمِ ، ولا فخرٌ في البَسْطَةِ إذا حصلتْ في الجسمِ خاصَّةً من دون العلم .
ثم أخذ يمثِّلُ فقال : ترى الطير ضعافها كالكراتى وطيور الماء أطولها
جُسُومًا ، وأمدُّها أعناقًا وسوقًا ، ثم كراتها كالبُزَاةِ والصُّقُورِ ، وهى تصيد

(١) هو المسيب بن علس . المفهومية ١١ .

(٢) عجزه : * حرج إذا استقبلتها هلواع *

(٣) نسب هذا البيت في اللسان (قلت) إلى كثير عزة . والبغاث بتشليث الباء .

ما وزنه يتضاعف على وزنها . وما طوله وعرضه يتزايد على طولها وعرضها ، ثم بعائها وهي صغارها ومصطادها أكثر فراخاً وأوسع نسلاً ، وأم الصقر قليلة الفراخ مقالات لا يبقى لها أيضاً ما تفرخه . وانتصب « جسوماً » و« وفراخاً » على التمييز . والمقالات : مفعال من القات ، وهو الهلاك . والنزور : القليلة الأولاد ، من النز ، وهو القليل .

- ٦ - لقد عَظَّمَ البعيرُ بغيرِ لبِّ فلم يَسْتَعْنِ بِالْمَعْظَمِ البعيرُ
٧ - يُصَرِّفُهُ الصَّبِيُّ لِكُلِّ وَجْهِ وَيَجْبِسُهُ عَلَى الْخَسْفِ الْجَرِيرِ^(١)
٨ - وَتَضْرِبُهُ الْوَالِيدَةُ بِالْهَرَاوِي فَلَإِ غَيْرِ لَدَيْهِ وَلَا نَكِيرِ

لما ضرب المثل بذوات الأجنحة والماشية على رجلين ، عاد يذكر من ذوات الأربع مثل ذلك فقال : ترى البعير مع عظمه وقوته ، وصبره على النهوض بالأعباء الثقيلة ، والأحمال العظيمة ، لما لم يصحب عظمه اللب ، وقوته التمييز ، لم يستغن بما أعطى من ذلك ، بل تراه مسخرًا لأن يديره الصبي على وجه من وجوه التذليل ، ويحبسه زمامه على كل خسف وهضم ، حتى أن الوليدة تضربه أوجع الضرب ، فلا إنكار منه ولا ذهاب عنه ، ولا تغيير إليه ولا نكير لديه .

وقوله « الهراوى » جمع هراوة ، ووزنه فعائل هراوى ، لأن فعيلة وفعالة يشتركان في هذا البناء من التكسير ، تقول : صحيفة وصحائف ، ورسالة ورسائل ، إلا أنهم فرثوا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة ، فصار هراءا ، فاجتمع همزة وألفان فكانه قد اجتمع ثلاث ألفات أو ثلاث همزات ، فأبدلوا من الهمزة واواً فصار هراوى . فإن قيل : هلا أبدلت منه الياء ، كما فعلته في مطايا وما أشبهها ؟

(١) التبريزى : « بكل وجه » .

قلت: أرادوا أن يظهر في الجمع الواو كما ظهر في الواحد ليمتيز بنات الباء عن بنات الواو.

٩ - فَإِنَّ أَكْ فِي شِرَارِكُمْ قَلِيلًا فَإِنِّي فِي خِيَارِكُمْ كَثِيرٌ

يقول: إن كثرت شراركم وأرادلکم ، لوفور عددہم وكونی واحداً فیہم ، فإنی أكثر خیارکم وأغلبہم لقلنتہم وكثرتی ، وذلك أنى أنوب عن جماعة إذا عدّ الأخير . ويجوز أن يريد أنه لا خيار لكم ، فأنا وإن كنت واحداً من حيث العدد ، كثير إذا طلب الخيار منكم ، إذ لم يكن لكم خيار . وقد مضى القول في غير موضع في حذف النون من لم أك وإن أك .

٤٢٠

وقال بعضهم :

- ١ - أَعَاذِلُ مَا عُمَرِي وَهَلْ لِي وَقَدَاتَتْ لِدَاتِي عَلَى خَمْسٍ وَسَتِينَ مِنْ عُمَرِي
- ٢ - رَأَيْتُ أَخَا الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ خَافِضًا أَخَا سَفَرٍ يُسْرِي بِهِ وَهُوَ لَا يَدْرِي
- ٣ - مُقِيمِينَ فِي دَارِ نَرُوحٍ وَنَعْتَدِي بِلَا أَهْبَةِ الثَّأْوِي الْمَقِيمِ وَلَا السَّفَرِ

وقوله « ما عمري » استفهام على طريق التّحتمير والاستقلال ، فكأن العاذلة كانت عتبت عليه في تبذير وإنفاق ، وخوفته العواقب وما تؤدّي إليه بانفاق ، فأخذ يجيبها ويقول : يا عاذلة ، أي شيء عمري ، وكيف يدوم بقائي حتى أخوف بالفقر ، وهل لي عمر وأقراي يعدّون خمسا وستين سنة . ثم أخذ يذم الحرّيص على الدنيا وأعراضها ، ويقص ما تستوي فيه أقدام الخلائق من إرصاد الفناء لها فقال : رأيت صاحب الدنيا وإن كان متودعا مقما ، كالمسافر يسار به وهو لا يعلم ؛ وذلك لأن له أجلا يساق إليه ، ومُنْتَهَى من العمر يحال عليه ، فالأيام تأخذ

منه ، وتنقص من عمره ، فهو كالمسافر وقد انتوى نيةً فما يقطعه من المسافة يُقرِّبه من مقصده ، ويُعجِّل وصوله إلى أمده .

وقوله « مقيمين في دار » انتصب على الحال من قوله « أبا الدنيا » ، لأنه أراد به الكثرة ، فهو كأسماء الأجناس . وقال : « نروح ونغتدي » لأنه من إخوان الدنيا ، فأدخل نفسه فيهم . وقوله « بلا أهبة الثاوي المقيم ولا السفر » يريد : لا نأمل البقاء في هذه الدنيا ، ولا نأمن الفناء ، فلسنا كالثاوي فمتأهب أهبته ، ولا كالمسافر فنعدَّ عدته . وأراد بالثاوي المقيم الكثرة لا الواحد . وقد تقدّم القول في حقيقة العمر^(١) .

٤٢١

وقال بعضهم^(٢) :

١ - لا تعرِّض في الأمر تُكفي شؤونه ولا تنصحن إلا لمن هو قابله

٢ - ولا تتخذ المولى إذا ما مائة^(٣) ألمت ونازل في الوغى من ينازله^(٤)

يوصى مخاطبه بأن يُعرض عن الأمر الذي لا يعنيه ، وبترك الاعتراض فيه ، وألا يتنصَّح إلا لمن يرجو قبول^(٥) النصيح منه ، وبألا يخذل ابن عمه إذا

(١) كذا وردت هذه العبارة في هذا الموضع ، وحقها أن تكون تعليقاً على البيت الأول لا الأخير .

(٢) هو عبيد بن أيوب انعميري ، كما في مجموعة المصنف ١٤ . وعبيد بن أيوب : أحد بني العنبر بن عمرو بن تميم ، وكان جني جنانية فضليه السبطان وأباج دمه ، فهرب في مجاهل الأرض وأبعد ، لشدة الخوف . وكان يخبر في شعره أنه يرافق الغول والسحابة ، ويهايت الذئاب والأفاعي ، ويأكل مع النضباء والوحش . اشعر وأشعراء ٧٥٨ واللي ٣٨٣ .

(٣) بعده عند التبريزي ومجموعة المعنى :

ولا تحرم المولى الكريم فإنه أخوك ولا تدري لعلك سائله

(٤) في الأصل : « تبرك » ، صوابه في م .

نزلت به نازلة ، بل يُنازِل مَنْ يَنازله ، ويناوي مَنْ يَناوئُه . وهذا على طريقةتهم في قولهم : « انصُر أخاك ظالماً أو مظلوماً » . وأصل الوغى هو الجلبة والصوت . وقوله « في الأمر تُكفي شؤونه » يريد تُكفي أسبابه وجوانبه . والضمير من « قابله » لما دلَّ عليه قوله لا تَنصَحَنْ ، وهو النصح .

٤٢٢

وقال منظور بن سحيم^(١) :

١- ولستُ بهاجٍ في القرى أهلَ منزلٍ على زادهم أبكى وأبكى البواكيا

٢- فإمّا كرامٌ مؤسرونٌ أتيتهم فيحسبي من ذى عندهم ما كفانيا^(٢)

٣- وإمّا كرامٌ مُعسرونٌ عذرتهم وإمّا إثمٌ فادكرتُ حياءيا

يصف نفسه بالتمقّف عن المطامع الدنيّة ، والطاعم الذميمة ، فيقول : لا أهجو بسبب القرى ، وهو ما يُقدّم إلى الضيف ، ولا أشكو أهل دارٍ فأبكي على ما يفوتني من زادهم وأبكي غيري مهى . وقوله « أبكى وأبكى البواكيا » لا بُكاء ثمّ ، وإنما أراد تفضيع التأشّف . فيريد : لا آسفٌ لما أرى من الحرمان أسف من يبكى ويبكى غيره تهالكاً على مالٍ غيره ، وتوجعاً لشدة نهيمته .

وقوله « فإمّا كرامٌ » فصل بين حرف الجزاء والفعل بقوله كرام ، فارتفع بفعلٍ مضمّر دلّ عليه الفعل الذي بعده ، كأنّه قال : فإمّا يُقصدُ كرامٌ مؤسرونٌ أتيتهم . وقوله « فيحسبي » في موضع الابتداء ، و « ما كفانيا » في موضع الخبر ،

(١) منظور بن سحيم النقمسي الكوفي ، إسلامي ، ذكره المرزباني في معجمه ٣٧٤ - ٣٧٥ . وفي الإصابة ٨٤٦٣ : « منظور بن سحيم بن نوفل بن نضلة بن لأشتر ابن جحوان بن فقيس الأسدي النقمسي ، ذكره المرزباني في معجم الشعراء ، وقال إنه مخضرم » .
(٢) التبريزي والمرزباني : « من ذو عندهم » .

والفاء مع ما بعده جواب الشرط . وقوله « مِنْ ذِي عِنْدِهِمْ » أراد من عندهم .
والعرب تقول : هذا ذو زَيْدٍ ، يريدون : هذا زَيْدٌ . وهذا من إضافة المُسَمَّى
إلى الاسم . قال الكُمَيْت :

* إِلَيْكُمْ ذَوِي آلِ النَّبِيِّ تَطَلَّعَتْ^(١) *

يريد يا أصحاب ذا الاسم . وقال الأعشى :

فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ ذُو آلِ حَسَّانَ يُزْحِي الْمَوْتَ وَالشَّرْعَا
أى العسكر الذى يقال له آل حَسَّان .

ويروى : « مِنْ ذُو عِنْدِهِمْ » ويكون ذو بمعنى الذى ، وعندهم فى صلته ،
وذو هذه طائفة . والمعنى : لا يخلو مَنْ أَقْصِدُهُ وَأَنْزَلُ بِهِ مِنْ وَجْهِهِ : إِمَّا أَنْ
يَكُونُوا قَوْمًا يَرْجِعُونَ إِلَى كَرَمٍ وَيَسَارٍ ، فَيَتَوَفَّرُونَ عَلَى حَسَبِ مَا يَقْتَضِيهِ كَرَمُهُمْ
وَأَكْتَفَى مِنَ الذِّى عِنْدِهِمْ لِي بِمَا يَكْفِينِي ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا كِرَامًا مُضِيغِينَ^(٢)
أَثَرِ الدَّهْرِ فِيهِمْ ، فَأَعْدِرَهُمْ لِإِضَاقَتِهِمْ ، وَعَلَى بِحَالِهِمْ . فقوله « وَإِمَّا كِرَامٌ مَعْسُرُونَ »
ببأنه : وَإِمَّا قُصِدَ كِرَامٌ مُضِيغُونَ عَذْرَتَهُمْ فِي تَقْصِيرِهِمْ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونُوا قَوْمًا
لثَامًا فِي أَخْلَاقِهِمْ دَنَاءَةً ، وَفِي أَعْرَاقِهِمْ نَدَالَةً ، فَتَذَكَّرْتُ حَيَاتِي وَصِيَانَتِي لِنَفْسِي ،
فَلَمْ أَبْذُلْ لَهُمْ وَجْهِي ، وَلَمْ أَبْتَدِلْ بِتَقَاضِيهِمْ رُطَالَتِهِمْ جَاهِي .

٤- وَعَرِضِي أَبْقَى مَا ادَّخَرْتُ ذَخِيرَةً وَبَطْنِي أَطْوِيهِ كَطَيِّ رِدَائِيَا

قوله « أَبْقَى مَا ادَّخَرْتُ » ما فى موضع الجرّ ، كأنه قال : عَرِضِي أَبْقَى شَيْءٌ
أَدَّخَرَهُ ذَخِيرَةً ، أَيْ اكْتَسَبَهُ ذَخِيرَةً . فعلى هذا ينتصب « ذخيرة » على الحال

(١) عجزه كما فى الهاشميات ٣٩ :

* نوازع من قلبى ظاء وألبب *

(٢) مضيقين ، بالقاف من الإضاعة ، وهى العسر . وفى الأصل : « مضيقين » بالفاء

صوابه فى ل .

للمؤكدة لما قبله . وادّخر : افتعل من الذخر لكنه أُبدل من التاء دالاً فأدغم الدال فيه ، فلك أن تقول ادّخر ولك أن تقول ادّخر .

وهذا الكلام بيان ما يأخذ به نفسه من الصيانة والقناعة ، وسُلوك طرائق الانقباض عمّا يشين ولا يزين من الانبساط إلى اللئام . فكأنه قال : أُبقي على عرضي ، لأنه أعزُّ الذخائر لي ، وأطوى بطني عن المآكل المردية كما أطوى ردائي ، إذ كان التزهّد فيما يُخزي أولى عندي .

٤٢٣

وقال سالم بن وابصة^(١) :

- ١- وَنَيْرِبٍ مِنْ مَوَالِي السَّوِّذِيِّ حَسَدٍ يَقْتَاتُ لَحْمِي وَمَا يَشْفِيهِ مِنْ قَرَمٍ
٢- دَاوَيْتُ صَدْرًا طَوِيلًا غَمْرُهُ حَقْدًا مِنْهُ وَقَمَّتْ أَظْفَارًا بِلَا جَلَمٍ

النَّيرِب : النيمة والعداوة وقوله « ونيرب » أراد وذى نيرب ، والمصدر وما يجري مجراه إذا وُصفَ به إما أن يكون على حذف المضاف ، وإما أن يُجعل الموصوفُ نفسَ الحدثِ لكثرة وقوعه منه . فيقول ربّ ذى نيربٍ حَسودٍ من موالى السَّوِّءِ ، يَغْتَابُنِي بِظَهْرِ الْغَيْبِ ، وَيَأْكُلُ لَحْمِي وَلَا يَشْفِيهِ ذَلِكَ مِنْ قَرَمٍ . وَالْقَرَم : شهوة اللحم . والمعنى أنه لا يكفيه ما يتناول منّي وإن كان لا يألُو جهداً في تَلْبِي . وجواب ربّ قوله « داويت » من البيت الثاني . ويقْتَات : يفتعل من القوت ، وهو فعل المطوعة . ويقال : قاتَه كذا فاقتاته .

ومعنى « داويتُ صدرًا طويلًا غمْرُهُ » أي صابرتُه على مُداجاته وانطوائه على حتمدي ، فدفعتُ شرّه عن نفسي بطول مداواتي ، وفلّلتُ حدّه بترك

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٢٤٤ ص ٧١٠ .

مكاشفته حتى لم يجد إلى إثارة كامن غمّره طريقاً ، فاحتاج إلى الإمساك عن أذاتى ، لدوام تمسكى بهجاملته شاء أو أبى . وقوله حَقْدًا هو اسم الفاعل من حَقَدَ ، وهو لغةٌ في حَقَدَ . يقال حَقَدَ يَحْقِدُ فهو حَقُودٌ ، وَحَقَدَ يَحْقِدُ فهو حَقِيدٌ .

٣ - بِالْحَزْمِ وَالْخَيْرِ أُسْدِيهِ وَالْحِمَّةِ تَقْوَى الْإِلَهِ وَمَا لَمْ يَرْعَ مِنْ رَحْمِي^(١)

٤ - فَأَصْبَحَتْ قَوْسُهُ دُونِي مُوْتَرَةً يَرْمِي عَدُوِّي جِهَارًا غَيْرَ مُكْتَمٍ

الباء من قوله « بالحزم » تعاقب بقامت أو داويت من البيت المتقدم .

والخير : الكرم ، وقيل : هو الهيئة والطبيعة ، يقال : هو كريم الخيم والخير

جميعاً . وقوله « أسديه والحمه » خبران لفأ أحدهما بالآخر . فقوله « تقوى

الإله » يرجع إلى أسديه ، و « ما لم يرع من رحمي » يرجع إلى الحمه . والمعنى :

داويت صدره أى مكنون صدره ، وقامت ظفّره باستعمال الحزم والخير معه ،

ثم جعلت تقوى الله تعالى سدى ما بينى وبينه ، والحمته رعاية ما ضيّعه من

الرحم ، فلا جرم أنه كف من شأو شره وغرب عداوته ، وأقبل فى الظاهر

يُعَادِي من يُعَادِي ، فقوسه الآن موترّة دونى يرمى منها أعدائى بأسمهم

النصرة . ، مجاهرة لا مكاتمة .

٥ - إِنَّ مِنَ الْحِلْمِ ذُلًّا أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ فَضْلٌ مِنَ الْكِرَامِ

نبة بهذا الكلام على أن تحمله عن أدانيه كان عن قُدْرَةٍ لا عن عجز

ونقيصة ، ولو شاء لانتقم منهم . وأنه لم يُكْسِبْه إمساكه عن مجاذبتهم ذلًّا ،

ولو كان يُفِضِي به الحال إلى ذلك لما فعل ، فتحلمه كرم ، وإبقاؤه على

ما يجمعه وإياهم من قربى وقراية تُتَقَى وتفضل . وقوله « فضل من الكرم »

يريد أنه نوعٌ من الفضل يُعَدُّ فى خصال الكرم . ومثل هذا قول الآخر :

(١) التبريزى : « من رحم » .

جَهُولٌ إِذَا أُرْزِيَ التَّحَلُّمَ بِالْفَتَى حَلِيمٌ إِذَا أُرْزِيَ بَدَى الْحَسَبِ الْجَهْلُ

٤٢٤

وقال بعضهم :

وَأَعْرِضْ عَن مَطَاعِمٍ قَدْ أَرَاهَا فَاتْرُكْهَا وَفِي بَطْنِي انْطَوَاهُ
فَلَا وَأَبِيكَ مَا فِي الْعَيْشِ خَيْرٌ وَلَا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ^(١)

يمائل هذا قول الآخر :

وَأَقْدُ أُبَيْتُ عَلَى الطَّوَمَى وَأَظْلَهُ حَتَّى أَنَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَطْعَمِ^(٢)
قوله « وَأَظْلَهُ » يريد أظْلُّ عليه ، فحذف حرف الجر ، كما قال :

* لَوْلَا الْأَسَى لَتَضَانِي^(٣) *

أى لفضى على .

٤٢٥

وقال نافع بن سعيد الطائي :

١- أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى طَمَعٍ لَمْ أَنْسَ أَنْ أَتَكْرَمًا
٢- وَلَسْتُ بِلَعْوَامٍ عَلَى الْأَمْرِ بَعْدَمَا يَفُوتُ وَلَسَكُنْ عَلَّ أَنْ أُنْقَدَّمَا

(١) بعده عند التبريزي :

يَعِيشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِحَيْرٍ وَيَمِيقِي الْعُودُ مَا بَقِيَ اللَّحَاءُ

(٢) المعروف في الرواية : « كريم المأكَل » . وهذه الرواية المعروفة في بيت عنبرة ، في اللسان (ظلل) وديوان عنبرة ١١٩ . وانظر مقاييس اللغة (٣ : ٤٣٠) .

(٣) البيت لأعرابي من بني كلاب ، كما في الكامل ٢١ لبيسك واللسان (غرض ، قضى) . وصدده :

* تحن فتبدي ما بها من صباية *

يقول : أما علمت من أخلاق الكف عن كثير من المبانى الجالية لقالة الناس وتصرفهم في الحكم عليه وله ، وأنتى إذا أمكنتى النوز بالمطامع القرابة والمآكل الهنيئة ، فأشرفت منها على تحصيلها لم أنس أخذ النفس بالنظر فيها ، واستعمال الكرم في ترك ما يجمع على عاراً منها . وقواه « على طمع » أى على مطموع فيه ، ومنه قيل لأرزاق الجند : أطعاهم .

وقوله « ولست بلوأم » يقول : إذا فانتى أسراً لا أرجع على نفسى باللوم الكثير تحشراً نى إرهم ، لكننى حقيق أن أتقدم فى تحصيله قبل فواته إن كان مما يهم . وقوله « والكن عل » هر أصل لعل ، وهو حرف موضوع للطمع والإشفاق ، واسمه مضممر كأنه قال والكن لعانى أن أتقدم . وهو يحى بأن وبغير أن ، فإذا كان معه أن أفاد فائدة عسى ، وإذا جاء بغير أن كان الفعل أقرب وقوعاً ، لأن أن للاستقبال ، ولعل وإن كان حرفاً يعد مع أفعال المقاربة وهى عسى وكاد . ولوأم بقاء المبانة ، وليس بمبنى على لوم لأن المبنى عليه هو ملوم .

٤٢٦

وقال بعض بنى أسد^(١) :

- ١ - إنى لأستغنى فما أبطر الغنى وأعرض ميسورى على مئبتغى قرضى
- ٢ - وأعسر أحياناً فقتشد عسرتى فأدرك ميسور الغنى ومعى عرضى
- ٣ - وما نالها حتى تجلت وأسفرت أخو ثقة منى بقرض ولا فرض^(٢)

(١) هو الحكم بن عبدل الأسدى ، كما فى أسالى التالى (٢ : ٢٦٠) ، وقال : « اجتمع الشعراء بباب الحجاج وفيهم الحكم بن عبدل الأسدى ، فتلوا : أصاح الله الأمير : إنما شعر هذا فى الغار وما أشبهه . قال : ما يقول هؤلاء يا ابن عبدل ؟ قال : اسمع أيها الأمير . قال : هات . فأنشده » . وروى هذه التصيدة .

(٢) روى بعده التبريزى :

وأبذل معروفى وتصفو خليقتى إذا كدرت أخلاق كل فتى محض

يعدّد في هذه الأبيات عادانه في حالتي الغنى والفقر ، فقال : إِنِّي أَنَالَ الْغِنَى
فَلَا يَكْسِبُنِي أَشْرًا وَلَا بَطْرًا ، لكنني أشكر الواهب وأبقي على حالتي الأولى ،
بل ^(١) يترّبني ما أناله من المتّصلين بي ، والمنضمّين إليّ بسبب من الأسباب ،
فأعرض ما يتيسر لي على طُلاب قرضي ، وأشرك من يمتّ إليّ في الخير المتاح .
وقد يتعمّق الإيسار إيسار في الوقت بعد الوقت ، فأصبر وإن اشتدّ عُسري ،
وأُسبِلُ على نفسي جناح ^(٢) تحمّلي وتعفّني حتى أدرك ميسور الغنى ونفسي
معي ، لم أبتذلها ولم أدنسها بتعريض أو تصريح لفضلٍ أطلب بهما عنده مطمعا ،
وأجتلب مرغبا .

وقوله : « وما نالها » يريد وما نال تلك العسرة أخ لي يوثق بوجه لا بعارية
ولا بعطيّة ، إلى أن انكشفت وفارقت .

وقوله « أَبْطَرُ الْغِنَى » معناه أَبْطَرُ في الغنى حتى أذهب عن سنن الشكر
فأتجاوزه وأخلفه ورأى ، غمطاً للنعمة ، أوجهلاً بحقّ الصّنيعه . وقال الله تعالى :
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا ﴾ . وقوله « أَعْرِضُ ميسوري »
وضعه بلفظ المفعول للمصدر ، يريد اليُسْر . ومثله ماله معقول . وضده حِمْل عليه
وهو العُسْر ، فليل معسور . وإنما قال « ومعي عرضي » لأنه إذا صانته عن القبايح
ولم يُسلط عليه من يتملّكه بهيبة أو صلة ، فكأنّه معه لم يفارقه . ولو أجراه
على غير هذا لكان مفارقاً له ، وداخلاً في مَلَكة غيره .

٤ - وَلِكِنَّهُ سَيْبُ الْإِلَهِ وَرِخْلَتِي وَشَدَى حَيَازِيمِ الْمَطِيَّةِ بِالْغَرَضِ
الماء من قوله « ولكِنَّه » يعود إلى ميسور الغنى . واستدرك النفي من قوله
« ما نالها حتى تجلّت » بقوله لكنّ ، يريد : لكنّ الغنى المتجدّد ، وهو عطية

(١) في الأصل : « فلو » ، صوابه في ل .

(٢) في الأصل : « جزاء » ، صوابه في ل .

الله تبارك وتعالى ، وتقلبي وارتجالي ، وشدي حيازيم المطايا بالغرروض . كأنه ذكر الأسباب التي يسرت له الغنى ، وأنها لم تخرج من تفضل الله تعالى واجتهاده . وقوله « المطيية » أراد بها الجنس ، لذلك قال « حيازيم » وجمعها . والسائب : العطاء والمعروف ، وأكثر في الاستعمال حتى سمي الكنوز سيبوباً ، وقيل لما تخرجه المعادن سيبوب . والغرض والغرضة : البطان ، وهو للبعير بمنزلة الحزام للدابة . والمعرض منه كالمحزوم .

٥ - وأستنقذ المولى من الأمر بعدما يزل كما زل البير - ير عن الدحض
٦ -- وأمنجه مالي ووُدِّي ونصرتي وإن كان محي الضلوع على بغضى^(١)

يقول : إنني أتعطف على أبناء عمي ، فأخلصهم من الشدائد ، وأخذ بأضباعهم إذا زلت أقدامهم ، فأقيمهم بعد أن كانت زلتهم كزلة البعير عن المزلقة . وإنما خص البعير لأن سقطته أفضع وأسرع في المزال . يقال : مكان دحض ومدحضة . ودحضت رجل البعير ، إذا زلقت . قال :

* وحدث كما حاد البعير عن الدحض^(٢) *

(١) بعده عند التبريزي :

ويغمره حلمي ولو شئت ناله قوارع تبرى العظم عن كلم ماض
وأفضى على نفسي إذا الأمر نابي وفي الناس من يقضى عليه ولا يقضى
ولست بذى وجهين فيمن عرفته ولا البخل فاعلم من سمائي ولا أرضي
وإني لسهل ما تغير شيمتي صروف ليالي الدهر بالفتل والنقض

(٢) البيت لطرفة في ديوانه ٤٨ واللسان (دحض) . وصدرة في الديوان :

* أبا منذر رمت الوفاء فهبته *

وفي اللسان :

* رديت ونجى اليشكري حذاره *

ومنه : ﴿ حَجَّتْهُمُ دَاخِضَةٌ ﴾ أى لا تثبت . ودَحَضت الشمسُ عن كِبِدِ السماء : زالت .

وقوله « وأمنحه مالى » يريد : أننى بعد استنقاذى إياهُ أتوفرُّ عليه ببذل المال ، وإخلاقِ الود ، وتقريب النُّصرة ، وإن كان منظوياً على العداوة والبغضاء .

وقوله « محنّ الضُّلوع » أى معطوفها . ويقال : حَنَيْتُ الشَّيْءَ وَحَنَوْتُهُ حَنِياً وَحَنَوّاً ، فهو مَحْنِيٌّ .

٤٢٧

وقال حاتمُ الطَّائِي (١) :

- ١ - وما أنا بالسَّاعِي بِفَضْلِ زِمَامِهَا لَتَشْرَبَ مَاءَ الْحَوْضِ قَبْلَ الرَّكَّابِ (٢)
٢ - وما أنا بالطَّائِي حَقِيبةَ رَحْلِهَا لِأَبْعَثَهَا خِفًّا وَأَتْرِكَ صَاحِبِي (٣)

يقول : لا أجتذب إلى نفسى الفضلَ مع خاطائى وشركائى فى الشربِ وغيره فلا أتسرع فى الورودِ مستعجلاً براحتى لتشرب ماءَ الحوضِ قبل وُرودِ ركائبهم . ومعنى قوله « بالسَّاعِي بِفَضْلِ زِمَامِهَا » السَّابِقُ بما أُعْطِيَ راحلتى من زمامها .

(١) هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج الطائي . وكان من شعراء الجاهلية ، وبه كان يضرب المثل فى الخود ، وأخباره فى ذلك كثيرة مشهورة . انظر الأغاني (١٦ : ٩٢ - ١٠٥) وشرح شواهد المغنى ٧٥ والخزانة (١ : ٤٩٤ - ٤٩٥) والشعراء ١٩٣ - ٢٠٣ . والبيتان من أبيات فى ديوانه ١١٨ .

(٢) فى الديوان : « ما فى الخرض » .

(٣) فى الديوان : « لأركبها خفما » . وبعده عهد التبريزى :

إذا كنتَ ربًّا للقلوصِ فلا تدعْ رَفِيقَكَ يمشى خلفها غير راكبِ
أنخها فأردفه فإنَّ حَمَلتُكُما فذاك وإن كان العقابُ فعاقبِ
للعقاب : أن يتناوب المسافران الدابة يركب كل منهما عقبته . والعقبة ، بالضم : النوبة .

وهذا مثل . والرَّكَّابُ : جَمْعُ رَكُوبٍ ، وهو اسمٌ يَجْمَعُ ما يُرَكَّبُ ، ويقال : رَكُوبَةٌ ، فهي كاللُّوبَةِ والحَمُولَةِ ، وتقع للواحد والجمع .

وقوله « وما أنا بالطَّائِرِ حَقِيبَةٌ رَحِلِهَا » ، يقول : وإذا كان لي رَفِيقٌ في السَّفَرِ وسَعَتِ جَنَابِي لَهُ ، وَلَا أتركُهُ يَمْشِي وقد خَفَّفتِ حَقِيبَةَ رَحْلِ نَاقَتِي طلباً للإبْقَاءِ عَلَيْهَا ، وَالسَّكِيُّ أُرْدِفُهُ أَوْ أُرْكَبُهُ . والحَقِيبَةُ : ما يُشَدُّ خَلْفَ الرَّحْلِ . قال :

* وَالْبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ (١) *

والفعل منه احْتَقَبَ واستَحَقَبَ . واستَعْمِرَ فَعْمِلَ : احْتَقَبَ إِثْمًا . قال :

فَالْيَوْمَ فَاشْرَبْ غَيْرَ مُسْتَحَقَبٍ إِثْمًا مِنْ اللَّهِ وَلَا وَاغْلٍ (٢)

٤٢٨

وقال آخر :

١ - وَإِنِّي لَأَنْسَى عِنْدَ كُلِّ حَفِيظَةٍ إِذَا قِيلَ مَوْلَاكَ ، احْتِمَالِ الضَّغَائِنِ

٢ - وَإِنْ كَانَ مَوْلَى لَيْسَ فِيمَا يَنْوُبُنِي مِنَ الْأَمْرِ بِالْكَافِي وَلَا بِالْمَعَاوِنِ

يصف نفسه بأنَّ الحقد ليس من طَبْعِهِ وَلَا عَادَتِهِ ، فيقول : إِنِّي أُشْفِقُ عَلَى مَوَالِيِّ حَتَّى إِذَا اتَّفَقَ لَوَاحِدٍ مَا يَحْتَاجُ مِنِّي إِلَى مَعُونَةٍ نَسِيتُ سَيِّئَتَهُ ، وَلَمْ أَحْتَمِلْ فِي صَدْرِي لَهُ ضِغْنَهُ ، فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَأَعْنَيْتُهُ عَلَى دَهْرِهِ ، وَإِنْ كَانَ فِيمَا يَنْوُبُنِي لَيْسَ بِكَافٍ لِي وَلَا مُعِينٍ ، إِذْ كُنْتُ أَوْجِبُ لَهُ بِكَوْنِهِ مَوْلَى مَا يُذْسِي تَبَاغُضَهُ وَجَفَاءَهُ . والحَفِيظَةُ : الخَصْلَةُ يُحْفَظُ لَهَا الْإِنْسَانُ ، أَيْ يُعْضَبُ . ويقال : « أَهْلُ

(١) البيت لامرئ القيس بن حجر ، كما في الشعراء ٦١ .

(٢) وهذا أيضاً لامرئ القيس في ديوانه ١٥٠ . ويروى : « فالיום أسق » . ويروى أيضاً : « فالיום أشرب » ببناء الفعل على السكون ، أو بتقدير علامة الإعراب . انظر الخزانة (٣ : ٥٣٠ - ٥٣٢) .

الحفاظُ أَهلَ الحِفاظِ ، لأنَّهُم يُحامونَ من وراءِ إخوانهم . وانتصب « احتمال »
بأنسى . والضَّغائنُ : جمع الضَّغينة ، وقد مرَّ ذِكْرُها .

٤٢٩

وقال آخر (١) :

وإني لَعَفُّ عن مَطائِمِ جَعَّةٍ إذا زَيْنَ الفَحشاءَ للنَّاسِ جُوعُها
قد مضى له نظائر .

٤٣٠

وقال آخر :

١ - وَمَوَالِي جَفَتْ عَنهُ الْمَوَالِي كَأُهِ مِنَ الْبُوسِ مَطْلَى بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ
٢ - رَيْمَتْ إِذَا لَمْ تَرَأْمِ الْبَازِلُ ابْنَهَا وَلَمْ يَكُ فِيهَا لِلْمُبْسِينِ مَحَلَبُ
يقول : رَبِّ ابْنِ عَمِّ زَهْدِ أَقْرَبُهُ فِي الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ فَاطَّرَحُوهُ وَانْتَنَوْا عَنْ
الْفِكْرِ فِيهِ وَالتَّوَفُّرُ عَلَيْهِ ، مُبُوءًا عَنْهُ وَعَنْ اصْطِنَاعِهِ ، فَأَثَّرَ فِيهِ الْبُوسُ ، وَأَحَاطَ
بِجَوَانِبِهِ الشَّقَاءُ وَالضَّرُّ ، حَتَّى صَارَ كَالْبَعِيرِ الْجَرِيبِ وَقَدْ طُلِيَ بِالْقَارِ ، هَيْئَةً وَلَوْنًا ،
وَضُؤُولَةً وَانْحِزًّا ، وَتَبَاعَدًا عَنِ النَّاسِ وَتَجَافِيًا ، أَنَا عَطَفْتُ عَلَيْهِ ، وَأَثَرَكُنْتُهُ فِيمَا
وَهَبَ اللَّهُ لِي فِي وَقْتٍ مِنَ الزَّمَانِ لَا يُؤْوِي (٢) أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ غَيْرَهُ ، إِشْمُولُ
الْقَحْطِ ، وَغَلَبَةُ الضَّرِّ وَالْفَقْرِ ، حَتَّى أَنَّ النُّوقَ تَوَثَّرَ التَّبَاعُدَ عَنْ أَهْلِهَا فَلَا
تَرَأْمُهَا ، وَتَرَى الَّذِينَ يُبِيسُونَ بِذَوَاتِ الْأَبْيَانِ عِنْدَ الْحَلَبِ ، لَا يَجِدُونَ فِي ضَرْعِهَا
خَيْرًا . وَيُقَالُ : بَسَّ بِالنَّاقَةِ وَأَبَسَّ ، إِذَا دَعَاهَا لِلْحَلَبِ . وَمِنْ أَمْثَلِهِمْ : « لَا أَفْعَلُ

(١) هذه الحماسية ذات البيت الواحد لم يروها التبريزي .

(٢) في الأصل : « يروى » ، صوابه في ل .

كذاما أبسَّ عَبْدُه بِنَاقَةٍ^(١) ، أُمى دَعَاها لِجَلَبِ . وَيُقَالُ : رَمَمَتِ النَّاقَةُ رُمَامًا ، إِذَا عَطَفَتْ .

٤٣١

وقال عروة بن الورد^(٢) :

١ - دَعَيْنِي أَطَوِّفُ فِي الْبِلَادِ لَعَانِي أُفِيدُ غِنَى فِيهِ لِيذِي الْحَقِّ مَحْمَلُ
٢ - أَلَيْسَ عَظِيمًا أَنْ تُتَلِّمَ مُلَمَّةً وَلَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْحَقِّ مَعْوَلُ
يُخَاطَبُ عَاذِلَةً لَهُ فِيمَا هَمَّ بِهِ مِنَ التَّرْحَالِ فِي طَلَبِ الْمَالِ ، فَقَالَ : اتْرُكِينِي
وَمَا اخْتَارُهُ مِنَ التَّجْوَالِ ، وَالتَّنَمُّلِ فِي الْبُلْدَانِ ، طَمَعًا فِي خَيْرِ اسْتِفِيدُهُ ، وَغِنَى
اسْتَجِدُّهُ ، لَكِنِّي إِذَا نَابَنَا ذُو حَقٍّ وَجَدَّ عَلَيْنَا مَحْمَلًا ، وَعَلَيْنَا فِي التَّزَامِ وَاجِبِهِ
مُتَّكِلًا ؛ لِأَنَّ مَنْ جَالَ نَالَ ، وَمَنْ قَرَعَ بَابًا وَجَدَّ وُلُوجًا ، وَأَوَّلُ دَرَجِ الْحِرْمَانِ
الْوَقُوفُ عِنْدَ أَدْنَى الْهِمَمَتَيْنِ ، وَآخِرُهَا الرِّضَا بِأَوْدَعِ الْعَيْشِينَ .

وقوله « أليس عظيمًا » يريد تقريرها على فظاعة الفقر والفناء ، وقباحة
إمسالك الناس عن تعليق الرجاء بهم والطاعة ، فقال : ألا تستعظم^(٣) أن تنوب
الحى نائبةً فلا يُعَوَّلُونَ عَلَيْنَا فِي الاحتمال عنهم ، ولا يرتجون منا تعطفًا عليهم ،
لاتضاع حالنا ، وتأكد اليأس من نيلنا . وقوله « أفيد » بمعنى استفيد . وأليس
يقرر به في الواجب الواقع ، وأن تُلمَّ في موضع الرفع بليس .

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « بنافه » .

(٢) سبقتم ترجمته في الحماسة ١٤٥ ص ١٢١ . و«بيعتان في ديوانه ١٠٦ .

(٣) هذا على الالتفات . والبرج « ألا تستعظمين » .

٤٣٢

وقال آخر :

تَثَاقَلْتُ إِلَّا عَنِ يَدِ اسْتَفِيدُهَا وَخَلَّةِ ذِي وَدٍّ أَشَدُّ بِهِ أُزْرِي
 هذا في طريقة ما تقدم . والمعنى : أني أتباطأ عن المطالب والمباغى كلها
 إلا إذا اتفق مصنع عند حُرِّ ، فإني أتسرع إليه ، وأتخفف في تحصيله ، مخافة أن
 يفوز به غيري ، لأن اعتقاد المنن في أعناق الرجال أعدده غنيمته تُفْتَنَم ، وفائدة
 تُدَخَّر ؛ وإلا صداقة أخ وديد أعتمدوها في مدافعة شر ، ولاشديد أزر ، فإني
 أجمع يدي عليها ، ولا أصبر على المزاحمة فيها . ويقال : شد فلان أزره ، إذا
 شد معقدا إزاره . ويقال : آزره على أمره ، إذا ظاهره وعاونه عليه .

٤٣٣

وقال عبد الله بن الزبير^(١) :

١- لا أَحْسِبُ الشَّرَّ جَارًا لَا يُفَارِقُنِي وَلَا أَحْزُنُّ عَلَى مَا فَاتَنِي الْوَدَجَا
 ٢- وَمَا نَزَلْتُ مِنَ الْمَكْرُوهِ مَنَزِلَةً إِلَّا وَثِقْتُ بَأَنَّ أَلْقَى لَهَا فَرَجًا
 يصف حُسن ثقته بربه ، وجميل ظنه بفضله ، وأنه قد جرّب وتبصّر ،
 وعرف من أعقاب الأمور ما جعله لا يذبح لنايبة ، ولا يتخشع لنازلة ، فلا
 يظن الشر إذا بلي به ضربة لازيم^(٢) لا يخالف ، وجار سوء لا يفارق . قال :
 وإذا فاتني أمر وإن جل لا أهلك أسى في إرهِه ، ولا أقتل نفسي جزعًا

(١) التبريزي : « عبد الله بن الزبير الأسدي » . وقد سبقت ترجمته في الحماسية

٣٢٢ ص ٩٤١ .

(٢) ل : « ضربة لازب » ، وهما سيان .

لَفَوْتِهِ ، وَلَا أَنْزَلَ مِنْ مَظَانِّ الْمَكَارِهِ مَنْزِلَةً إِلَّا وَثَّقْتِي بِتَلَقِّي الْفَرَجِ وَتَعْجَلُهُ عَلَيَّ
أَقْرَبَ مَسَافَةٍ مِنِّي . وَالْوَدَّجَانِ : عِرْقَانِ يَقَطَعُهُمَا الذَّابِحُ . وَيُقَالُ : وَدَجْتُ
الذَّابَّةَ ، إِذَا أَصَبْتَ وَدَجَهَا .

٤٣٤

وقال مالك بن حزيم^(١) :

- ١ - أُنبِيتُ وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبِ وَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا لَسْتَ تَعْلَمُ
- ٢ - بَأَنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيَبْثِي عَلَيْهِ الْحَمْدَ وَمُو مُذَمَّمُ
- ٣ - وَأَنَّ قَلِيلَ الْمَالِ لَمَرءٍ مُفْسِدٌ يَحْزُ كَمَا حَزَّ الْقَطِيعَ الْمُحْرَمُ
- ٤ - يَرَى دَرَجَاتِ الْمَجْدِ لَا يَسْتَطِيعُهَا وَيَقْدُمُ وَسَطَ الْقَوْمِ لَا يَتَكَلَّمُ

قوله « وَالْأَيَّامُ ذَاتُ تَجَارِبِ » اعتراضٌ وقعَ بين أنبئت ومفعوليه ، وهما
في قوله « بَأَنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ » لأنَّ أنبئت ونبئت وأخواتها كلُّ واحدةٍ منها
تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل . وقوله « وَتُبْدِي لَكَ الْأَيَّامُ » اعتراضٌ ثانٍ وإن
عُطِفَ عَلَى مَا قَبْلَهُ . والمعنى أَنَّ الْأَيَّامَ وَاللَّيَالِيَ تَفِيدُ أَرْبَابَهَا تَجْرِبَ بِمَا يَحْدُثُ
فِيهَا مِنَ الْحَوَادِثِ ، وَيَتَحَوَّلُ مِنَ الْأَحْوَالِ ، وَتُعَلِّمُهُمْ تَمَّا يَنْكَشِفُ عَنْهَا وَيَشْتَمِلُ

(١) هذا ما في الأصل . وفي ل : « خریم » . وفي شرح التبريزي والقاموس (حرم)
ونوادر أبي زيد ٩٦ وأمالى التتالي (٢ : ١٢٣) : « حريم » ، وهو مظهر من مظاهر
اختلاف الرواة في اسمه . وفي سمط اللآلى ٧٤٨ : « واختاف في مالك بن حريم الهمداني ...
فقال ابن انحناس : قال لي نخطويه : هو مالك بن خريم بالزاي . قال : وقرأت على أبي إسحاق
في كتاب سيبويه في بيت أنشده له : مالك بن خريم بالخاء المضمومة المعجمة والراء المهملة
المفتوحة وكذلك كان محمد بن يزيد يقول مالك بن خريم . وقال الهمداني : هو مالك
حريم » . ومالك بن حريم : شاعر جاهلي إسلامي : كما في اللآلى . وهو مالك بن حريم بن
مالك بن حريم بن دالان الهمداني .

عليها من غوامض الأمور وخفيتها ، ما لا يخطر لهم ببال ، ولا يؤديه إليهم
رَسْمٌ ولا مِثَالٌ . فيقول : أَخْبِرْتُ وَالْأَيَّامُ هَذِهِ حَالُهَا أَنَّ كَثْرَةَ الْمَالِ ، وَالتَّوَشُّعَ
فِي الْحَالِ ، يَرْجِعَانِ بِالنَّفْعِ عَلَى صَاحِبِهِمَا فَيُصَوِّرَانِهِ بِصُورَةِ الْمَشْكُورِ وَالْمُحْمُودِ ،
وَإِنْ كَانَ عِنْدَ التَّحْقِيقِ وَالتَّحْصِيلِ مَشْكُورًا مَذْمُومًا ؛ وَأَنَّ فِي قِلَّةِ الْمَالِ مَفْسَدَةً
لِحَالِ الْمُقَالَ وَجَاهِهِ وَنَفْسِهِ ، حَتَّى يَبْرِيَهُ وَيَقْطَعَهُ بَرِي السَّوْطِ الْجَدِيدِ الَّذِي لَمْ يَلَيْنِ
بَعْدُ ، الْمَضْرُوبَ بِهِ ، فَتَرَاهُ يَبْخَعُ نَفْسَهُ ، وَيَتَخَشَّعُ لِلْآقِيهِ وَالنَّاطِرِ إِلَيْهِ ، وَيَلْزَمُ
السُّكُوتَ فِي نَادَى الْحَيِّ فَلَا يَفْبِسُ تَمَاوُتًا وَتَصَاغِرًا ، إِذْ كَانَ قَدْ عَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ
أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ التَّرَقِّيَ فِي مَدَارِجِ الْفَضْلِ وَالْإِفْضَالِ ، وَأَنَّهُ تَقَعُدُ الْحَالُ بِهِ عَنِ
النُّهُوضِ بِمَا يَنْهَضُ بِهِ أَمَانُ الرُّجَالِ ، فَهُوَ يُسَلِّمُ الْأَمْرَ لَهُمْ ، وَيَبْرَأُ مِنَ التَّدْبِيرِ إِلَيْهِمْ .
وقوله « بَأَنَّ ثَرَاءَ الْمَالِ » تَعَلَّقَ بِأَنْبِئَتْ بِأَنَّ الْأَمْرَ كَذَا وَأَنَّ الْأَمْرَ كَذَا .
وَالْقَطِيعُ : السَّوْطُ . وَالْمُحْرَمُ : الَّذِي لَمْ يُمَرَّنْ بَعْدُ .

٤٣٥

وقال محمد بن بشير^(١) :

١ - لَأَنَّ أَرْجَى عِنْدَ الْعُرَى بِالْخَلْقِ وَأَجْتَزَى مِنْ كَثِيرِ الزَّادِ بِالْعُلُقِ

٢ - خَيْرٌ وَأَكْرَمٌ لِي مَنْ أَنْ أَرَى مِنْنًا خَوَالِدًا لِلنَّاسِ فِي عُنُقِي^(٢)

يَصِفُ رِضَاهُ بِبَسِيرِ الْحِظِّ مِنَ الدُّنْيَا ، وَعَمَّافُهُ عَنِ كَثِيرِ مَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ
فِي تَوَقُّيْ ، فَيَقُولُ : لَأَنَّ أَنْبَلَّغَ عِنْدَ التَّعَرُّيِّ بِأَكْتِسَاءِ الْخَلْقِ ، وَأَكْتَفَى مِنَ الزَّادِ
السُّكُوتِ بِمَا يُمْكِنُ بِهِ سَدُّ الْفَاقَةِ - أَضْوَانُ لِي وَأَرَدُّ عَلَى مَنْ أَنْ أَرَى مِنْنًا مَعْقُودَةً
فِي عُنُقِي ، مُثْقَلَةً لظَهْرِي ، بَاقِيَةً عَلَى أَعْتَابِ الزَّمَانِ لِلنَّاسِ عِنْدِي . وَالْعُلُقُ :

(١) سبقت ترجمته في الخماسية ١٦٩ ص ٨٠٨ .

(٢) التبريزي : « مننا معقودة » .

جمع العُلقة ، وهى البسير من الشيء يُتَبَلَّغُ به وَيَعْتَلِقُهُ المحتاجُ إليه . ويجوز أن يكون من عَلِقَ يَعْلِقُ ، إِذَا رَعَى . ومنه الحديث : « إِنَّ أرواحَ الشهداءِ لَتَعْلَقُ فى الجنةِ » وتكون العُلقة كما غُرْفَةُ والطَّعْمَةُ وما أشبههما . وقوله « لأنَّ أَرْجَى » اللام لام الابتداء ، وأنَّ أَرْجَى مبتدأ وخبره قوله « خَيْرٌ وَأَكْرَمُ بى » .

٣- إني وإن قصرت عن همتي جدتي وكان مالي لا يقوى على خلقي
٤- لتارك كل أمر كان يلزمي عارا ويشرعني في المنهل الرنق
نَبَّهَ على تمام الظلف والعفاف إذا أَخَذَ به الإنسان ، فيقول : أنا وإن عَجَزْتُ غُنَيْتِي عَمَّا توجبه همتي ، وكان فى حالى قُصُورٌ عما يدعو إليه خلقي ، مُعْرِضٌ عن كلِّ أمرٍ إذا نلتَه رجع منه عارٌ علىَّ أذْكَرُ به ، ويوردنى مشارع الكدر ، فإذا صدرتُ عنها لم أتهنأ بشربى منها . ولك أن تروى : « فى منهل الرنق » فيكون المنهل مُضافاً إلى المصدر ، ولك أن تروى : « فى المنهل الرنق » بكسر النون فيكون صفةً له . والمنهل : موضع النهل . والناهل : العطشان ، والرَّيَّانُ جميعاً . والوُجْدُ والجِدَّةُ : مصدر وَجَدْتُ ، فى المال . ويقال : شرعت فى الماء ، إِذَا خُضْتُ . وَأَشْرَعَنِي فيه فلانٌ وشرعني أيضاً . وفى المثل : « أَهْوَنَ الوِرْدِ التَّشْرِيعُ » .

٤٣٦

وقال أيضاً :

١- ماذا يكلفك الروحاتِ والدُّجَا البَرَّ طَوْرًا وَطَوْرًا تَرْكِبُ الأَجْجَا

٢- كم من فتى قصرت فى الرزقِ خُطْوَتُهُ الأَفْيْتُهُ بِسِهَامِ الرِّزْقِ قَدْ فَلَجَا

قوله « ماذا » لفظه استفهام ، والمعنى الإنكار ، ويجوز أن يكون « ما » مع

ذا بمنزلة اسمٍ واحدٍ مبتدأ ، ويكلفك خبره . ويجوز أن يكون وَخَدَهُ اسماً ،
 وذا في موضع الخبر ، ويكلفك من صلته ؛ كأنه قال في الأول : أى شئ يكلفك ،
 وفي الثانى : ما الذى يكلفك السَّيرَ فى اللَّيْلِ والنَّهَارِ مَتَّصِلًا ، لا تفتُرُ ترَكِبَ الْبَرَّ
 تارةً ، والبحرَ أخرى . والرَّوْحَاتُ : جمع الرَّوْحَةِ ، وهو يريد به السَّيرَ رَوَاحًا .
 والدَّلَجُ والدُّلْجَةُ : السَّيرُ بالليل . وقوله « طَوْرًا » انتصَبَ على الظَّرْفِ ، والْبَرَّ
 انتصَبَ بفعلٍ مضمَرٍ دلَّ عليه الفعلُ الذى بعده . واشتقاق الطَّوْرِ من قولهم :
 لا أطور به ، ومن طَوَّار الدَّارِ ، وهو ما كان ممتدًّا معها .

وقوله « كم من فتى » أفاد كم التَّكْثِيرَ ، والكلام خبر ، والمراد : كثيرٌ
 من النِّتْيَانِ تَوَدَّعُوا فى منازلهم ، وقصرتْ خُطواتهم للسَّعى فى طلبِ أرزاقهم ،
 أُلْفُوا قد نالوا ما غلبوا به المجدِّ فى الطَّلَبِ ، المتعبَ نفسه فى التَّنْقُلِ . ومعنى
 فَلَجَّ : غَلَبَ . وسهام الرِّزْقِ ، يراد بها قداح الرِّزْقِ ، كأنه فازَ لَمَّا خرجَ له عند
 الإِجَالَةِ بما غلبَ به مُقَامِرُهُ ومُزَاحِمُهُ . ويجوز أن يريدَ بسهام الرِّزْقِ ما حُظَّ له
 من الحظِّ ، وأسهمَ له وقسمَ فى الرِّزْقِ .

٣- إنَّ الأمورَ إذا انسَدَّتْ مَسَالِكُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتِقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَبَا
 ٤- لا تَيْأَسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالَبَةٌ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجًا
 يقول : اسْتَعْنُ بِالصَّبْرِ فى كُلِّ مَا تَزَاوَلَهُ وَتَرَاوَدَهُ^(١) ، فَإِنَّ الْأُمُورَ إِذَا
 انسَدَّتْ طَرُقُهَا ، وَأَعْيَتْ الْحِيلُ فى تحصيلها ، فَإِنَّ الصَّبْرَ يَسْهَلُ مَدَارِجَهَا ،
 وَيُوسِّعُ مَوَالِجَهَا ، وَيَفْتَحُ مَا انغلقَ مِنْهَا ، وَيَفْتِقُ مَا ارْتَقَى مِنْ أسبابها ،
 وَلَا يَتَسَاءَلَنَّ عَلَيْكَ مِنَ الْيَأْسِ مَا يَفْتُرُ عِزْمَكَ ، أَوْ يَقْصُرُ سَعْيَكَ ، وَإِنْ دَامَتْ
 مَطَالِبُكَ ، وَاتَّعَلَمَتْ مَوَاطِبُكَ . واعتقد أنَّ الفرجَ يتلَقَّك ، والنَّجْحَ بأقرب

(١) هذا الصواب من ل . وفى الأصل : « وترادفه » .

الْمَنَازِلِ مِنْكَ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فُزْتَ بِكُلِّ مَا تَرَوْهُ ، وَتَعَجَّلَ لَكَ كُلُّ مَا تَهْوَاهُ . وَقَوْلُهُ « أَنْ تَرَى » فِي مَوْضِعِ الْمَفْعُولِ مِنْ تَيَأَسَنٌ . وَقَوْلُهُ « فَالصَّبْرُ يَفْتُقُّ » جَوَابٌ إِذَا ، وَخَبَرٌ إِنَّ الْأُمُورَ فِي الشَّرْطِ وَالْجَوَابِ . وَيُقَالُ رَتَجْتُ الْبَابَ وَأَرْتَجُّهُ ، إِذَا أَغْلَقْتَهُ ، وَبَابُ مُرْتَجِّجٌ وَمُرْتُوجٌ . وَالرَّتَاجُ : الْبَابُ نَفْسُهُ .

٥ - أَخْلِقْ بِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظِيَ بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنِ الْقَرْعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلِجَا

٦ - أَبْصِرْ لِرَجْلِكَ قَبْلَ الْخَطْوِ مَوْضِعَهَا فَمَنْ عَلَا زَلَقًا عَنْ غِرَّةٍ زَلِجًا^(١)

يقول : إِنَّ مُدْمِنَ الصَّبْرِ فِي الْأُمُورِ ، وَمُلازِمَ التَّمَثُّبِ وَالتَّلَوُّمِ عِنْدَ الْخَطُوبِ^(٢) حَقِيقٌ أَنَّ يَظْفَرِ بَطْلِبَتِهِ ، وَبِنَجَاحِ السَّعْيِ فِي مَرَامِهِ وَبِغِيَّتِهِ^(٣) . كَمَا أَنَّ مَنْ أَدَامَ قَرْعَ أَبْوَابِ مَدَاخِلِهِ ، وَغَمَزَ مَفَاصِلَ آرَائِهِ ، حَقِيقٌ بُولُوجِهِ وَوَصُولِهِ ، وَمَعْرِفَتِهِ مُتَّيِّحٌ مَا يَرْجُوهُ وَمُرِيحِهِ .

ثم قال : وَإِذَا سَعَيْتَ فِي أَمْرٍ فَاعْرِفْ مَوَاطِئَ قَدَمِكَ قَبْلَ أَنْ تَعْلَوْهَا ، وَمَوَاقِعَ خَطْوِكَ قَبْلَ أَنْ تَعْدُوَهَا ، وَاقْسِمْهَا بَيْنَ نَظْرِكَ وَاخْتِبَارِكَ^(٤) ، وَتَحْقِيقِكَ وَحَدْسِكَ ؛ فَإِنَّ مَنْ رَكِبَ مَزَلَقَةً عَنْ غِرَّةٍ وَغَفْلَةٍ ، يُوشِكُ أَنْ يَسْقُطَ لِيَدِيهِ وَفِيهِ ، وَتَزَلَّ بِهِ قَدَمُهُ إِلَى قَرَارِ هَلَاكِهِ وَحَيِّهِ . وَالزَّلَاجُ : الشَّرْعَةُ فِي الْمَشْيِ وَالسَّقُوطِ وَغَيْرِهِ . وَفَرَسٌ زَلُوجٌ : سَرِيعُ السَّيْرِ . وَكَذَلِكَ يُقَالُ قَدَحٌ زَلُوجٌ . وَمَزَلَجُ الْبَابِ : الْخَشْبَةُ الَّتِي يُفَلَقُ بِهَا .

(١) التبريزي : « قدر لرجلك » . وبعده عنده :

وَلَا يَغْفِرُ نَكَ صَفْوَهُ أَنْتَ شَارِبُهُ فَرُبَّمَا كَانَ بِالتَّكْدِيرِ مَمْتَزِجًا

(٢) التلوم : الانتظار والتلبث .

(٣) البغية ، بضم الباء وكسر ها . وضبطت في النسختين بالكسر .

(٤) ل : « واختيارك » .

٤٣٧

وقال آخر^(١):

١ - لِحِجَّتَنَا وَأَجَّتْ هَذِهِ فِي التَّغَضُّبِ وَشَدَّ الْحِجَابِ بَيْنَنَا وَالتَّنْقِيبِ^(١)
 ٢ - تَلُومٌ عَلَى مَالٍ شَفَانِي مَكَانَهُ إِيَّاكَ فُلُومِي مَا بَدَا لَكَ وَأَغْضَبِي
 كَانَ هَذَا الشَّاعِرَ اطَّلَعَ مِنْ أَحْوَالِ أَيْتَامِ أَخِيهِ عَلَى مَا سَاءَ وَأَنْفَ مِنْهُ ،
 ثُمَّ دَعَاهُ التَّحَنُّنُ وَالْإِشْفَاقُ مِمَّا يَتَدَاوَلُهُ النَّاسُ فِي مَجَالِسِهِمْ مِنْ أَحَادِيثِ الْبِرِّ
 وَالْعُقُوقِ ، وَتَصَرُّفِهِمْ فِي صَرْفِ الْمَقْتِ إِلَى مُسْتَحَقِّهِ ، وَالْحَمْدِ إِلَى مَكْتَسِبِهِ ، إِلَى أَنْ
 أَمَرَ عَبْدَيْهِ الرَّاعِيَيْنِ بِإِرَاحَةِ مَا رَدَّ إِلَى فَنَائِهِ مِنْ مَسَارِحِ إِبِلِهِ عَلَيْهِمْ^(٢) ،
 فَانْتَظَرَتْ امْرَأَتُهُ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْكَرَتْ فِعْلَهُ ، وَخَوَّفَتْهُ فِي أَنْتَاءِ مَلَامِهَا بِالْفَقْرِ
 وَهَجْرَتِهِ ، فَأَخَذَ يَقْتَصِرُ مَا كَانَ مِنْهَا وَمِنْهُ فَقَالَ : تَمَادَّتْ امْرَأَتِي فِي الْغَضَبِ
 وَالْهَجْرَانِ ، وَاللُّومِ وَالْإِحْتِجَابِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْهَا فِي مَالِ شَفَانِي مَوْضِعُهُ الَّذِي
 وَضَعْتُهُ فِيهِ ، وَمَصْرُفُهُ الَّذِي صَرَفْتُهُ إِلَيْهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهَا مُسْتَهِينًا بِهَا وَبَفِعْلِهَا
 فَقَالَ : إِيَّاكَ فُلُومِي مَا بَدَا لَكَ . وَالْمَعْنَى : أَجْمَعِي أَمْرَكَ ، وَاسْتَمْرِي فِي عَتَبِكَ
 وَغَضَبِكَ مَا بَدَا لَكَ ، فَإِنَّ الرَّشَادَ فِيمَا آثَرْتَهُ ، وَالصَّلَاحَ فِي قِرَانِ مَا اخْتَرْتَهُ .
 وَ« إِيَّاكَ » : اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَفْعَالِ هُنَا ، كَمَا يَكُونُ عَلَيْكَ ، وَعِنْدَكَ . وَلِذَلِكَ
 عَطَفَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ « فُلُومِي » . وَ« مَا بَدَا لَكَ » فِي مَوْضِعِ الظَّرْفِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ
 الْقَوْلُ فِي أَمْثَالِهِ .

(١) هر حجية بن المضرب . وفي التبريزي : « وحدث ابن كناسة أن حجية ابن المضرب كان جالساً بفناءه بيته ، فخرجت جارية بتعب فيه لبن ، فقال لها : أين تريدني بالتعب ؟ فقالت : بنى أخيك اليتامى نوحم وأراح راعيها إبله ، فقال : اصفقها نحو بنى أخى ، ثم دخل منزله فمدت يده امرأته فقالت : »

(٢) التبريزي : « ولط الحجاب در فنا و التنقيب » .

(٣) كتب بجوارها في ل بخط دقيق : « يعنى بنى أخيه » .

٣ - رَأَيْتُ الْيَتَامَى لَا تَسُدُّ فَقُورَهُمْ هَدَايَا لَهُمْ فِي كُلِّ قَعْبٍ مُشَعَّبٍ (١)

٤ - فَقُلْتُ لِعَبْدَيْنَا أَرِيحَا عَلَيْهِمُ سَأَجْعَلُ بَيْتِي مِثْلَ آخِرِ مُعْزِبٍ

٥ - عِيَالِي أَحَقُّ أَنْ يَنْأَلُوا خِصَاصَةً وَأَنْ يَشْرَبُوا رِنْقًا إِلَى حِينِ مَكْسَبِي (٢)

يعنى باليتامى أولاد أخيه المتوفى . يريد : رأيتم لا تسد مفقرهم ولا تقيم مختل أحوالهم ، تحف نوجه إليهم ، وهدايا تحمل نحوهم في قعاب مشعوبة . يشير بذلك إلى ما كانت امرأته تتولاه وتأتيه من برهم وتفقدهم قبل ذلك . وفي قوله : « هدايا لهم في كل قعب مشعب » إزراء بصنيعها ، وبالألبن المنقولة إليهم وظروفها . وجمع الفقور لا اختلاف وجوها .

وقوله « فقلت لعبدنا » يعنى راعيه الذين أمرنا بسوق الإبل المردودة من المراعى إلى فناء أولاد أخيه . وإنما ثنى على عادتهم في تنمية مزاولي أعمالهم ، كالبائن والمستعلي في الحباب وما أشبههما . وقوله : « سأجعل بيتي مثل آخر » ، يريد مثل بيت آخر وقد عزبت إبله وتباعدت ، فإن عيالي ولهم كاسب مثلي أحق بمزاولة الفقر ، ورثائه العيش ، والصبر على المشرب الرائق ، إلى أن أكسب ما تعود به حالهم إلى ما ألقوه من الخصب والسعة ، والخفض والدعة . ويقال : أعزب الرجل ، إذا عزبت عنه إبله في المرعى .

٦ - ذَكَرْتُ بِهِمْ عِظَامَ مَنْ لَوْ أُتَيْتُهُ حَرِيْبًا لَأَسَانِي لَدَى كُلِّ مَرْكَبٍ (٣)

٧ - أَخُوكَ الَّذِي إِنْ تَدَعُهُ لِمَلَمَّةٍ يُجِبُّكَ وَإِنْ تَغْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبُ (٤)

(٢) التبريزى :

(١) ل : « لايسد » .

بَنِي أَحَقُّ أَنْ يَنْأَلُوا سَعَابَةً وَأَنْ يَشْرَبُوا رِنْقًا لَدَى كُلِّ مَشْرَبٍ

(٣) التبريزى : « ويروى : حوت بها قبر امرئ لو أتيتته » .

(٤) التبريزى :

أَخِي وَالَّذِي إِنْ أَدْعَاهُ لِمَلَمَّةٍ يُجِبُّنِي وَإِنْ أَغْضَبَ إِلَى السَّيْفِ يَغْضَبُ

قال أبو ريش : وفيها :

فَلَا تَحْسَبْنِي بُلْدُمًا إِنْ نَكَحْتَنِي وَلَكِنِّي حُجِّيَّةٌ بِنِ الْمُضْرَبِ

يقول : تَذَكَّرْتُ بِهِؤْلَاءِ الْأَوْلَادِ أَبَاهُمُ الَّذِي لَوْ أُتَيْتَهُ مَحْزُونًا مَسْلُوبًا ،
وَمُتَعَبًا بِأَعْبَاءِ الْفَقْرِ مَبْهُورًا ، لَضَمَّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَشَمَلَنِي تَضَاعِيفُ بَرِّهِ ، وَجَعَلَنِي
إِسْوَةً نَفْسِهِ فِي كُلِّ مَا أَرْكَبُهُ ، وَالْمُسْعَفَ بِطَلِبَتِهِ عِنْدَ جَمِيعِ مَا أَخْطُبُهُ ، لِأَنَّ
الْأَخَ الْكَامِلَ الْأَخُوَّةَ هُوَ الَّذِي يَشُدُّ أَرْكَكَ ، وَيَحْمِي ظَهْرَكَ ، وَإِنْ دَعَوْتَهُ
إِفْئَابَةً تَنُوبُ أَجَابَكَ سَرِيعًا ، وَإِنْ أَعْمَلْتَ سَيْفَكَ أَعْمَلَ سَيْفَهُ مَعَهُ حَيْثُمَا .

٤٣٨

وقال المقنع الكندي^(١) :

- ١ - يُعَا تَبُنِي فِي الدِّينِ قَوْمِي وَإِنَّمَا دِيُونِي فِي أَشْيَاءِ تَكْسِبُهُمْ حَمْدًا
٢ - أَسُدُّ بِهِ مَا قَدْ أَخْلُوا وَضَيَّعُوا تُغَوَّرَ حُقُوقِ مَا أَطَاقُوا لَهَا سَدًّا
٣ - وَفِي جَفَنَةٍ مَا يُغْلَقُ الْبَابُ دُونَهَا مُكَلَّلَةً لِحْمًا مَدْقَقَةً تُرْدَا
٤ - وَفِي فَرَسٍ نَهْدٍ عَتِيقٍ جَعَلْتَهُ حِجَابًا لِابْنَتِي ثُمَّ أَخْدَمْتُهُ عَبْدًا

كَأَنَّ قَوْمَهُ يَنْعَوْنَ عَلَيْهِ^(٢) سَرَفَهُ فِي الْإِنْفَاقِ ، وَتَخْرُقَهُ فِي الْإِفْضَالِ ،
وَتَجَاوُزُهُ مَا تُسَاعِدُهُ بِهِ حَالُهُ وَتَتَسَّعُ لَهُ ذَاتُ يَدِهِ إِلَى الْاسْتِقْرَاضِ ، وَبِذَلِكَ الْوَجْهِ
فِي الْإِدْيَانِ^(٣) ، فَقَالَ : كَثُرَتْ لِأُمَّتِهِمْ فِيمَا يَرْكَبُنِي مِنَ الدُّيُونِ ، وَإِنَّمَا هِيَ
مَصْرُوفَةٌ فِي وَجْهِهِ مُؤَنَّنًا عَلَيَّ ، وَجَمَالُهَا لِي ، وَقَضَاؤُهَا فِي أَنْفْسِهَا يَلْزَمُنِي ،

(١) اسمه محمد بن ظفر بن عميرة . وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان له
محل كبير وشرف ومرية وسؤدد في عشيرته . ويزعم المؤرخون أن العملة في لزومه القناع
ما كان يخاف على نفسه من العين ، فقد كان أحسن الناس وجهًا ، وأمدهم قامه ، وأكلهم
خلقًا ، فكان إذا سفر أصابته عين الناس فيمرض ويلحقه عنت . الأغاني (١٥ : ١٥١)
والشعراء ٧١٥ - ٧١٦ واللكل ٦١٥ - ٦١٦ .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « كان قوم يعيبون عليه » .

(٣) الإديان ، افتعال من الدين .

ومحمدُها موفِّرة عليهم . ثمَّ أخذَ يعدُّ فقال : من تلك الوجوه أنَّ ما ينوبُ من الحقوق فيُخلون بها ويضيِّعونها مجزاً عن الوفاء بواجبها ، أنا أسدُّ ثغورها ، وأقيم فروصها .

ومنها : أنَّ لى دارَ ضيافة قُدورها مُشبعة موفورة ، وجفانها معدة منصوبة ، لا يُمنع منها طالبها ولا يُحجب عنها رائدها ، فلحماها كالأكليل على رموسها ، ورائدها قد نُمقَ تدقيقها .

ومنها : أنَّ بفنائى فرساً مربوطاً قد أُعدَّ للهيمات ، على عادة أمثالى من الأكارب والرؤساء . ولا كرمه وما يتوقَّر عليه من إكرامى إياه قد صار كاللحجاب لباب بيتى ، وقد شغلتُ بخدمته عبداً يتفقده برأى منى ، لا أهله ولا أغفل عنه .

قوله : « مدققة » أى مملوءة . والأحسن أن يُروى معه : « تُرداً » بضم التاء . ويروى « مدققة تُرداً » بفتح التاء . والمراد مترددة تُرداً دقيقاً . والنهد : الجسيم المُشرفُ من الخليل .

٥- وَإِنَّ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَ بَنِي أَبِي وَبَيْنَ بَنِي عَمِّي لَمَخْتَلِفٌ جِدًّا (١)
 ٦- فَإِنْ يَا كَلُوا لَحْمِي وَفَرَّتْ لِحُومِهِمْ وَإِنْ هَدَمُوا تَجْدِي بَنِيْتُ لَهُمْ مَجْدًا (٢)
 ٧- وَإِنْ ضَيَّعُوا غَيْبِي حَفِظْتُ غُيُوبَهُمْ وَإِنْ هُمُ هَوُوا غَيْبِي هَوَيْتُ لَهُمْ رَشْدًا
 ٨- وَإِنْ زَجَرُوا طَيْرِي بِدَحْسِ تَمْرِي زَجَرْتُ لَهُمْ طَيْرًا تَمْرًا بِهِمْ سَعْدًا (٣)
 ذكر بعد ما عدَّد معاذيره (٤) فيما أنكره عليه ، أنَّ إخوته وأبناء عمه

(١) هذا ما فى ل والتبريزى . وفى الأصل : « فإن » .

(٢) التبريزى : « فإن أكنوا » .

(٣) كذا فى ل والأصل . وعند التبريزى : « وإن زجروا طيراً » .

(٤) ل : « معاذره » . والثلب : العيب . والإذالة : الإهانة .

يُحسدونه ويأتمرون العداوة والغواية له ، وهو يُصايرُهُم ويُجامِلُهُم ، ويتغابى معهم ، فقال : إن ما بيني وبينهم في طرفي تقيض ، وعلى لون من الخِلاف عجيب ؛ فإنهم إن اغتابوني وتطعموا الحى أمسكتُ عنهم ، وتركتُ أعراضهم موفورة ، لم يتخونها مني إذالةً ولا ثدباً^(١) ، وأعراضهم محفوظة لم يتخيفها تحاملٌ ولا غرضٌ . وإن سَعَوْا في نقض ما أبرمته من مسعاةٍ كريمةٍ ، وهدم ما أسسته من خطةٍ تجدي عليّةٍ ، جازيتهم بابتداء شرفٍ لهم مستحدث ، وإعلاء شأنٍ لهم مستأنف . وإن أهملوا غيبي فلم يرأعوه بحسن الدِّفاع عنه ، وإسباغ ثوب الحمامة عليه حفظت أنا غيبهم ، وأرصدت الغوائل لمن اغتالهم . وإن أحبوا لي الغواية ، والتسكع في الضلالة والبطالة ، اخترتُ لهم المرشد ، وهويت في مباحيهم المناجح . وإن تمموا إلى المنحسة ، وزجروا من بوارح الطير وسوانحها في المشامة ، جعلت عيافتي لهم فيما يُمِرُّ بي منها المسعدة والطَّيرة الحميدة . وقوله :

« سَعَدًا » صفة لطيرًا .

٩ — وَلَا أَجْمَلُ الْحَقْدَ الْقَدِيمَ عَلَيْهِمْ وَأَيْسَ رَيْسَ الْقَوْمِ مَنْ يَحْمِلُ الْحَقْدَا
١٠ — لَهُمْ جُلٌّ مَالِي إِنْ تَتَابَعَلِي غَنِي وَإِنْ قَلَّ مَالِي لَمْ أَكَلِّفْهُمْ رِفْدَا
١١ — وَإِنِّي لَعَبْدُ الضَّيْفِ مَا دَامَ نَازِلًا وَمَا شِيمَةٌ لِي غَيْرَهَا تُشْبِهُ الْعَبْدَا

أثبت لنفسه الرياسة عليهم في هذا البيت . والمعنى أنه متى استعطفوه عطف عليهم ، وإن استقالوه^(٢) أقالهم وأسرع الفيئة لهم ، غير حامل الضغن واللجاج معهم ، ولا معتقدًا انتهاز الفرص فيهم ، إما اكتمن من عوادي الحقد عليهم . وقوله : « وليس ريس القوم من يحمل الحقدا » يجري مجرى الالتفات ، كأنه أقبل على مخاطب فقال : إني لا أجمِّل^(٣) بترك مؤاخذتهم ، وأطراح الحقد

(١) التخون : التنقص .

(٢) ل : « وإذا استقالوه » .

(٣) ل : « لا أجمد » .

في مساوتهم ، فإن الرئيس يُحِبُّ لَتَبِعِهِ ذلك عليه في شروط الرِّياسة . وقوله : « لهم جلُّ مالى » يريد إن تَوَاصَلَ الغنى لى أَشْرَكَتْهُمْ فى مُعْظَمِهِ ، من غير امتنان ولا تكدير ، وإن تَحَيَّفَ مالى حادِثٌ بِلِمْ ، أو عارضٌ يَحْدُثُ ، لم أنتظر من جهتهم مَعُونَةً ، ولا كَلَفَتْهُمْ فيما يَخْفَ أو ينقل مؤونة .

وقوله « وإنى لعبد الضيف » أراد أن بيِّن ما عنده للغريب الطارق ^(١) ، والضيف النازل ، بعد أن سَرَحَ حاله مع مواليه ، وخصاله فى مُرافقة ذويه ، فقال : وأبْلُغُ فى خِدْمَةِ الضُّيُوفِ مَبالِغَ العبيد فيها . ثم أكَّد ما حكاه بقوله « وما شِمة لى غَيْرَها تُشْبِهُ العبداء » ، فانتصب « غير » على أنه مستثنى مقدَّم ؛ وذلك لأنَّه لما حال بين الموصوف والصفة ، وهما شِمة وتُشْبِهُ ، وتقدَّم على الوصف صار كأنَّه تقدَّم على الموصوف ، لأنَّ الصِّفة والموصوف بمنزلة شىء واحد . وقوله « تشبه العبداء » يريد : تُشْبِهُ شِيمَ العبد ^(٢) ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه .

فليتأمل الناظر فى هذا الباب وفى مثل هذه الأبيات ، وتصرف قائلها فيها بلا اعتساف ولا تكلف ، وسلاسة ألفاظها ، وصحَّة معانيها ، فهو عَفْوُ الطَّبَعِ ، وَصَفْوُ القَرَضِ .

٤٣٩

وقال رجل من الفزاريين :

- ١ - إَلا يَكُنْ عَظْمِي طَوِيلًا فَإِنِّى لَهُ بِالْخِصَالِ الصَّالِحَاتِ وَصُولُ
- ٢ - وَلا خَيْرَ فى حُسْنِ الجُسُومِ وَنُبُلِهَا إِذَا لم تَزِنْ حُسْنَ الجُسُومِ عُقُولُ

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « الطائف » .

(٢) ل : « العبيد » .

٣- إذا كنت في القوم الطوال أصببتهم بعارفة حتى يقال طويل^(١)

يقول : إن لم يكن في طولي امتداد ، ولا في خلقي بسطة وكال ، فإني لا أزال أصل نقص جسمي ، وأمدد قصر قامتي بما أتولاه من الأفعال الكريمة ، وأختاره من الخصال الحميدة ، حتى أمحو سمة الإزراء عن نفسي . ومن أوتي الفضل في خلقه ونفسه ، وعاداته وشيئمه ، خير ممن أوتي العظم في خلقه ، والبراعة في جسمه ، فلا فضيلة لمن حسن وجهه ونبل منظره ، إذا لم يزينه عقل وافر ، وتخبر رائق . ومتى حصلت بين أقوام طوال القامات ، قابلت طولهم بطول يدي فيهم ، وأنلتهم معروفي حتى عظمت في أعينهم ، وامتلات من حبهم لي وميلهم إلي قلوبهم ، فأنسأهم طول باعي بالعطية قصر قامتي بين قاماتهم . وقوله « حتى يقال طويل » ارتفع طويل على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هو طويل . أي يسلمون له فضيلة الطول عندهم .

٤- وكم قد رأينا من فروع كثيرة تموت إذا لم تحيين أصول

٥- ولم أر كالمعروف أمّا مذاقه فحلوا وأما وجهه فجميل

هذا مثل ضرب به للخصال المجتمعة في الإنسان ، لا تعدّ فضائل إلا إذا اقترنت بمخالص آخر ، وهي كالأصول لها . ومثال ذلك ما قدمه من ذكر عبالة الخلق^(٢) إذا عريت من نباهة الخلق ، وما شاكلها من صباحة الوجه إذا خلت من صحابة العقل . ثم قال : ولم أر شيئاً كإسداء المعروف وبث العطاء والإحسان ، فإن من ذاقه استجلاه ، ومن رآه استحسناه وارتضاه . وهذا تأكيد ما ذكر من قوله : « أصبتهم بعارفة حتى يقال طويل » .

(١) التبريزي : « علوتهم بعارفة » .

(٢) العبالة ، بتثقيل اللام ، وتخفيفها لغة عن الحياني ، وهي الثقل .

٤٤٠

وقال عبد الله بن معاوية^(١) :

- ١ - أَرَى نَفْسِي تَتَوَقُّ إِلَى أُمُورٍ وَيَتَضَرُّ دُونَ مَبْلَغِهِنَّ مَالِي
٢ - فَتَنْفُسِي لَا تَطْلُوعُنِي بِبُخْلِ وَمَالِي لَا يَبْلُغُنِي فَعَالِي

قد مضى له أمثال^(٢) ، ومعناه ظاهر ، ويروى : « لَا يَقُومُ لَهُ فَعَالِي » .

٤٤١

وقال مضر بن ربيعي^(٣) :

- ١ - إِنَّا لَنَصْفَحُ عَنْ مَجَاهِلِ قَوْمِنَا وَنُنِيمُ سَالِفَةَ الْعَدُوِّ الْأَضِيدِ
٢ - وَمَتَى نَخَفَ يَوْمًا فَسَادَ عَشِيرَةٌ نُضِلِّحُ وَإِنْ نَرَا صَالِحًا لَانْفِيدِ

يصف صفاء نيتهم لقومهم ، وأنهم يسلكون معهم طرائق ما يعود على
الأسود بالصلاح ، وعلى السائد باستكمال الرياسة والارتفاع ، فقال : إذا جهلوا
علينا صفحنا عنهم ، وأبقينا على المال بيننا وبينهم ، واستفأنا إقامتهم ورجعتهم .
كل ذلك لئلا ينفروا فيزداد ما بيننا وبينهم تفاقماً . فأما الأعداء فإننا
نكسرهم ونستل عنهم كبرهم وخزوا نيتهم ، ونلين أعناقهم حتى ينقادوا على

(١) التبريزي : « عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر » . وهو عبد الله بن معاوية
ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، كان من فتيان بني هاشم وأجوادهم وشعرائهم . وكان يرمى
بالزندقة ، وخرج بالكوفة في آخر أيام مروان بن محمد ، ثم انتقل عنها إلى الجبل ثم خراسان ،
فأخذه أبو مسلم فقتله . الأغاني (١١ : ٦٣ - ٧٤) .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « مضى أمثالها » .

(٣) هو مضر بن ربيعي بن لقيط بن خالد بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقمس
ابن طريف بن عمرو بن قعين الأسدي . شاعر محسن متمكن ، كان معاصراً للفرزدق . المؤتلف
١٩١ ومعجم المرزباني ٣٩٠ .

ضِعْنٍ مِنْهُمْ . وَالسَّالِفَةُ : صَفْحَةُ الْعُنُقِ . وَالصَّيْدُ : مَيْلٌ فِي الْعُنُقِ مِنَ الْكِبْرِ كَمَا مَا يَكُونُ الصَّعْرُ فِي الْخَلْدِ ، وَكَأَنَّ الصَّادَ يَسْتَعْمَلُ فِي النَّظَرِ .

وقوله : «ومتي نخف يوماً فساد عشيرة» يريد : إِنَّا نَسَى فِي إِصْلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ ، وَلَا نَدْعُهُمْ يَتَدَابِرُونَ وَيَتَضَاعَنُونَ ؛ لِأَنَّ عِزَّ الرَّجُلِ بِعَشِيرَتِهِ . ثُمَّ إِنْ رَأَيْنَاهُمْ عَلَى حَدِّ مِنَ الصَّلَاحِ زِدْنَا فِي قُوَّةِ نِيَّاتِهِمْ ، وَحَمَلْنَاهُمْ عَلَى مَا يَزِدَادُونَ بِهِ اسْتِقَامَةً وَاسْتِمْرَاراً .

٣ - وَإِذَا نَمَوْنَا صُغُرًا فَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مِنْهَا الْخَبَالُ وَلَا نَفُوسُ الْحُسَدِ
٤ - وَنُعِينُ فَاعِلَنَا عَلَى مَا نَابَهُ حَتَّى نُيَسِّرَهُ لِفِعْلِ السَّيِّدِ

يقول : وَإِذَا ارْتَقَوْا فِي دَرَجَاتِ الْعِزِّ وَتَبَوَّءُوا مَنَازِلَ الْفَضْلِ ، لَمْ نَحْسُدْهُمْ ، وَلَمْ نَضَيِّقْ عَلَيْهِمْ طَرَائِقَ مَتَاعِهِمْ ، فَيُورِثُهُمْ ذَلِكَ خَبَالاً^(١) وَفَتُوراً . وَالسَّاعِي مِنْهُمْ إِذَا جَدَّ فِي إِقَامَةِ مَا يَنْبُؤُهُ مِنَ الْحَقُوقِ أَعْنَاهُ عَلَى إِمَامٍ مَا يَشِيدُهُ ، وَالزِّيَادَةَ فِيمَا يُوَيْدُهُ ، حَتَّى نَبْلُغَ بِهِ فِعْلَ السَّيِّدِ ، عَلَمًا بِأَنَّ رَفَعْتَهُمْ لَنَا ، وَجَمَالَهُمْ بِجَمَالِنَا .

٥ - وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَّاحِ بِثَنَابٍ عَجَلِ الرَّكُوبِ لِذَعْوَةِ الْمُسْتَنْجِدِ
٦ - فَتَنْفُلُ شَوْكَتَهَا وَنَفْسًا حَمِيهَا حَتَّى تَبُوحَ وَحَمِينًا لَمْ يَبْرُدِ
٧ - وَنُحَلُّ فِي دَارِ الْخِطَابِ بِيَوْمِنَا رَتَعَ الْجَمَائِلِ فِي الدَّرِينِ الْأَسْوَدِ^(٢)

قوله « وَنُجِيبُ دَاعِيَةَ الصَّبَّاحِ » ، يَرِيدُ : وَإِنْ اسْتَعَانَ بِنَا مِنْ أُغْيَرٍ عَلَيْهِ صَبَّاحًا مِنْ ذِي مَحْرَمٍ أَوْ جَارٍ ، أَوْ مَتَسَبَّبٍ بِإِلِّ وَقَرَابَةِ ، أَجْبَفَاهُ سَرِيعًا بِجَمِيشِ سَرِيعِ الرَّكُوبِ لِذَعْوَةِ الْمُسْتَصْرِخِ ، فَتَنْفُلُ شَوْكَةَ الْمَغِيرِينَ ، وَنُحَمِدُ نَائِرَتَهُمْ وَنَسْكُنُ مَحَامَهُمْ حَتَّى تَبْرُدَ ، وَنَحْمَانَا لَمْ تَسْكُنْ وَلَمْ تَبْرُدْ^(٣) . وَجَعَلَ الشَّوْكََةَ كِنَايَةً عَنِ

(١) ل : « خبالا » .

(٢) ل ، التبريزي : « وَتَحَلُّ فِي دَارِ الْخِطَابِ بِيَوْمِنَا » .

(٣) فِي النُّسَخَتَيْنِ : « يَبْرُدُ » وَ « يَسْكُنُ » .

السَّلاح والقُوَّة جميعاً . وقوله « نغماً » هو من فَشَّتْ القِدْرَ ، إذا سَكَنْتْ غليانها . وقوله « حتى تَبُوحَ » يقال : باخَتِ النَّارُ إذا طَفِئَتْ .

ومعنى « ونُحِلُّ^(١) » في دار الحِفاظِ بيوتنا « نَصَبُ بِرٍ في دار الحِفاظَةِ على الشَّرَفِ إذا اشْتَدَّ الزَّمانُ ، وإذا قَصَدَ غيرُنا لِلخِصْبِ أو طابَ الانتِجاعُ أقنأ مُرْتَعينَ في الدَّرِينِ مالنا ، ولا نَمَكِّنُ أعداءنا من أرضنا وجمانا . والدَّرِينِ : اليابس من السَّكَلِ القديمِ العَهْدِ . وجعله أسودَ لفسادِهِ وطولِ قِدَمِهِ . ويروى « وتَحُلُّ^(٢) » في دار الحِفاظِ بيوتنا . وانتَصَبَ « رتَعَ الجمائلِ » على أنه مصدر في موضع الحال . ومثله قول الآخر^(٣) :

وَنُحِلُّ في دارِ الحِفاظِ بِيوتِنا زَمَناً وَيَطْعَنُ غيرُنا للأمرِجِ^(٤)

٤٤٢

وقال المتوكلُ الليثي^(٥) :

١ - إني إذا ما الخليلُ أَدَثَ لي صَرَمًا ومَلَّ الصِّفاءُ أو قَطَعًا
٢ - لا أُحَدِّثُ ماءهُ على رَنقٍ ولا يَرانِي لبيِّنِهِ جَزِعًا
يقولُ : إذا عوجَّ صديقِي لي والتوى ، وطلبَ الخِلافَ عليّ فأحدث لي
نُبوءًا وجَماءً ، وتبرَّمَ من مُصافاني فأقبَلَ بتجنيّ عليّ ، فأني لا أرومُ منه العودَ ،
ولا أعرِضُ عليه الرُّجوعَ ، بل أصارِخُ ولا أتجرِّعُ ماءَ الوُدِّ بيني وبينه على

(١) ل : « وتحل » .

(٢) ل : « ونحل » بالنون .

(٣) هو الخادرة الزبياني . المفضلية ٨ .

(٤) ل : « ونحل » . المفضليات : « ونقيم في دار الحِفاظِ » .

(٥) هو المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن وهب بن عمرو بن لقيط الكناني ، وكان يكنى

أبا جهمة . وكان على عهد معاوية وابنه يزيد ، ومدحهما . الأغاني (١١ : ٣٧ - ٤١)
والمؤتلف ١٧٩ ومعجم المرزباني ٤١٠ .

كدر فأحتملُ مكرهه ، ولا أظهرُ جزعًا لاستحداثِ فراقِ منه ، أو تفكرٍ
ينطوي عليه فأخبتُ له^(١) ، لأنِّي وَصَّالٌ صَروم ، أصافي من بَصَافِي ، وأجامِل
من يُجامِلني ، وأداجِي من يداجيني .

٣ - أهجرُهُ ثم تنقضي غُبرُ الـ هِجْرَانِ عَنِّي ولم أَقُلْ قَدَا^(٢)

٤ - اخذزُ وِصالَ اللئيمِ إنَّ له عَضَّهُ إِذَا حَبَلُ وَصَلِهِ انْقَطَعَ

الغُبرُ^(٣) : البقايا ، واحدها غُبرَةٌ . ويقال : تغَبَّرتِ الناقةُ ، إِذَا احتلمت

غُبرَتِها . وغُبرُ الليلِ : ماخيره . قال :

فِيا صُبْحُ كَمَشِ غُبرِ الليلِ مُصْعِدًا بِبِمٍ وَنَبَّهَ ذا العِفاءِ المُوشِحِ^(٤)

والقَدَعُ والقَدِيعَةُ : الفُحْشُ . يقال : قَدَعْتُهُ ، إِذَا رَمَيْتَهُ بالقَدَعِ . وأقْدَعُ

الرَّجُلُ : أَى بالفُحْشِ . وكلامُ قَدَعٍ . ويَتوسَّعُ فِيهِ فيقالُ للقَدَرِ : القَدَعُ ، حتَّى

يقال : قَدَعُ ثوبَهُ بالبولِ وغيره . يقول : أَقْطَعُ العلائقَ بِنِي وبِينِهِ فَأَنْصَرِفُ عَنْهُ

هاجِرًا ، وتنقضي^(٥) مُدَّةُ الهِجْرانِ عَنَّا ولم أَعْتَبْهُ ولا قَلْتُ فِيهِ فُحْشًا ، ولا ذَكَرْتُهُ

بِزَلَّةٍ كانتَ مِنْهُ .

ثم قال : اخذزُ مُواصلَةَ اللئيمِ ومُؤاخاتِهِ ، لأنَّهُ إِذَا انْقَطَعَ حَبَلُ وَصَلِهِ ،

وانصَرَمَ ما يَجْمَعُ وإِياهِ مِنْ وَدِّهِ يَتَكذَّبُ عَلَيْكَ ، وَيَخْلُقُ مِنَ الإِفْكَ فِيكَ

ما لم تَكْتَسِبْهُ لا بِيدِكَ ولا لسانِكَ ، وهذا كأنَّهُ لَمَّا نَفَى عَنِ نَفْسِهِ فِي البَيْتِ الأوَّلِ

ما نَفَى بَيْنَ فِي البَيْتِ الثَّانِي أَنَّهُ لا يَفْعَلُ ذَلِكَ ، لكَوْنِهِ مِنْ فِعْلِ اللُّثامِ . والعَضَةُ :

ذِكْرُ القَبِيحِ كَذِبًا وَزورًا . ويقال : عَضَّهْتُه ، إِذَا رَمَيْتَهُ بِالزُّورِ . وأَعْضَةَ الرَّجُلَ

(١) أخبت ، الإخبات : التواضع والاطمئنان .

(٢) التبريزى : « ثم ينقضي غبر الهجران » .

(٣) كذا وردت مضبوطة في النسختين في متن البيت وشرحه .

(٤) البيت للطرماح في ديوانه ٦٩ والحيوان (٢ : ٢٥٤ ، ٣٤٦ / ٧ : ٥٩)

واللسان (وشح) . (٥) ل : « وتنقضي » .

أنى بالعضية ، وهى الإفك . ومن كلامهم : يا للعضية ! ويا للأفكة !

٤٤٣

وقال بعضهم^(١) :

١ - خَلِيلِي بَيْنَ السُّلَسَلَيْنِ لَوْ أَنَّي بِنَعْفِ اللَّوَى أَنْكَرْتُ مَا قُلْتُمَا لِيَا^(٢)

٢ - وَلَكِنِّي لَمْ أَنْسَ مَا قَالَ صَاحِبِي نَصِيْبِكَ مِنْ ذُلِّ إِذَا كُنْتَ خَالِيَا^(٣)

النَّعْفُ : مَا نَاعَمَكَ ، أَيْ عَارِضَكَ مِنَ الْجَبَلِ أَوْ الْمَكَانِ الْمُرْتَفِعِ . وَاللَّوَى : مُسْتَرَقُّ الرَّمْلِ . وَجَوَابُ لَوْ « أَنْكَرْتُ » ، وَكَأَنَّ نَعْفَ اللَّوَى كَانَ أَرْضَهُ وَدِيَارَهُ ، فَيَقُولُ : لَوْ كُنْتُ فِي أَرْضِي وَمَعِيَ عَشِيرَتِي وَأَهْلِي ، ثُمَّ سُمْتُمَايَ مَا سُمْتُمَايَ لِأَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَقْبَلْهُ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَذْهَبْ عَمَّا وَصَّانِي بِهِ صَاحِبِي مِنْ قَوْلِهِ : الزَّمْ نَصِيْبَكَ مِنَ الذُّلِّ إِذَا كُنْتَ فِي دَارِ غُرْبَةٍ ، وَمَتَبَاعِدَا عَنِ نَصَّارِكَ وَالْمَشْفِقِينَ عَلَيْكَ . وَانْتَصَبَ « نَصِيْبِكَ » بِإِضْمَارِ فِعْلٍ .

٤٤٤

وقال قيس بن الخطيم^(٤) :

١ - وَمَا بَعْضُ الْإِقَامَةِ فِي دِيَارٍ يَهَانُ بِهَا الْفَيْتَى إِلَّا بَلَاءٌ

٢ - وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَائٍ كَدَاءِ الْبَطْنِ لَيْسَ لَهُ دَوَاءٌ

(١) هو قتادة بن خرجة الثعلبي ، من بني عجب بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان . انظر البيان (٣ : ٢٤٩) . والبيتان وردا في معجم البلدان في رسم (السلسلين) بدون نسبة أيضاً .

(٢) في البيان : « بهر اللوى » .

(٣) وكذا روايته في المعجم . وفي البيان : « إذا كنت نائياً » .

(٤) سبقت ترجمته في الحماسية ٣٦ من ١٨٣ .

٣ - يُرِيدُ المرءَ أَنْ يُعْطَى مِنْهُ وَبِأَبِي اللَّهِ إِلَّا مَا يَشَاءُ

٤ - وَكُلُّ شَدِيدَةٍ نَزَلَتْ بِحَيٍّ سَيَأْتِي بَعْدَ شِدَّتِهَا رَخَاءٌ

قوله « وما بعضُ الإقامة » إنما بعضُها لأنَّه أشار إلى الإقامة التي أوائلها تنزَّح معها المثل، ويسهل في اختيارها الانفصال والترحُّل، وأواخرها تتغيَّر بما يعرض فيها حتى يشقَّ لها التلوُّم والتلثُّث. وارتفع « بلاء » لأنَّه خبر المبتدأ، وهو بعضُ الإقامة، و« يهأن بها الفتى » في موضع الصِّفة لقوله في ديار. فيقول: إذا أمكنَّ الارتحالُ عن دار الهوان، ولا دافعَ ولا مانعَ يُوجبان الصِّبر فالإقامة بها بلاءٌ، ويجبُ على الحرِّ طلبُ الانفكاك منه، وروُّمُ الخِلاص من أذاه.

وقوله « وبعضُ خلائقِ الأقوامِ » يريد أن بعضَ ما يتخلَّق به النَّاسُ يتعدَّر مفارقتَه ومداواةَ إزالته، فهو كالدَّاء الذي يكون بالإنسان وقد استصحبه من بطنِ أمِّه. يريد أن ما اعتاده الإنسان من الأخلاقِ يصيرُ إذا أتت الأيامُ عليه، وقوى الإلفُ له، كالخِلقَةِ أو ما يجري مجراها.

وقوله « يريد المرءُ أن يُعطَى مِنْهُ »، معناه أن الإنسانَ يتمنَّى أن يحصلَ له (١) ما يتعلَّق به شهوتُه، ويرتاده هواه وإرادته، ويتمنَّعُ اللهُ تبارك وتعالى إلا ما يكون بمشيئته، ويعرفه من مصلح خليقته.

وقوله « وكلُّ شديدةٍ » يريد أن الشَّيء لا يدوم على حال، فالشَّدائد إذا نزلتْ يتعقَّبها الخيرُ ورخاء العيش وسعته، لأنَّ لكلِّ أمرٍ أمدًا يمدُّ له الوقت، فإذا تدهأى انقطع.

٥ - إِيَّاكَ يُعْطَى الحَرِيبُ غَنِيَّ الحَرِصِ وَقَدْ يَنْمِي إِلَى الجودِ الثَّرَاءُ (٢)

(١) هذا ما في ل. وفي الأصل: « يحمل له ».

(٢) ل: « فلا يعطى ». التبريزي: « على الجود ».

٦ - غَنِيَّ النَّفْسِ مَا عَمَّرَتْ غَنِيٌّ وَفَقْرُ النَّفْسِ مَا عَمَّرَتْ شَقَاءُ

٧ - وَلَيْسَ بِنَافِعِ ذَا الْبُخْلِ مَالٌ وَلَا مُزْرٍ بِصَاحِبِهِ السَّخَاءُ

٨ - وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ وَدَاءُ التُّوَكِّ لَيْسَ لَهُ شِفَاءٌ

قوله « ولا^(١) يُعْطَى الحريص » يريد أن حرصَ الإنسان في طلب الغنى لا يجدي عليه نفعا ، ولا يقرب منه بعيدا ، لأن ميسر اليسر والغنى هو من له الخلق والأمر ، وإليه الإبرام والنقض .

وقوله « وقد ينمى إلى الجود » يريد أن التروة والكثرة هما بنميان مع الجود . وإنما يقدر بهذا الكلام في البخل والإمساك ، وأن زيادة المال وبقائه لا يحصلان لهما وبهما . وقوله « إلى الجود » إلى بمعنى مع . تقول : هذا إلى ذلك .

وقوله « غَنِيَّ النَّفْسِ مَا عَمَّرَتْ غَنِيٌّ » ، يريد أن غنى النفس خير من كثرة المال ؛ لأن من كان راضيا بماله ، غنيا عن غيره بما يحصل في يده ، تراه باكتفائه أغنى للموسرين ، وفقير النفس وإن ساعده المال ، وأطاعه القدر يزداد على مر الأيام وزيادة الحال ، حرصا ونهمة وشقاء .

وقوله « وليس بنافع ذا البخل مال » ، يريد أن البخيل لا ينتفع بماله ، لأنه يجمعه ويتركه لغيره ، والسخاء لا يقصر بصاحبه ، بل يرفع منه ، ويكسبه الحمد والأحدوث الجميلة .

وقوله « وَبَعْضُ الدَّاءِ مُلْتَمَسٌ شِفَاهُ » ، جعل الداء للجنس فتاب عن الجمع فقال : بعضها يعرف شفاؤه فيطلب إزالته ، وداء الحق لا شفاء له ، ولا يحيد

(١) ل : « فلا » .

لصاحبه عنه . وقوله « شِفَاه » قَصَرَ الممدود ، وهذا لا خلافَ في جوازِهِ
على المذهبَيْن .

٤٤٥

وقال يزيد بن الحكم^(١) :

١ - يا بَدْرُ والأَمْثالُ يَبْضُ رَبِّها لِيذِي الأَبِّ الحَكِيمِ

٢ - دُمٌ لِلخَلِيلِ بُوْدُهُ ما خَيْرُ وُدِّ لا يَدومُ

قوله « والأَمْثالُ يَبْضُ رَبِّها » اعتراض دخلَ بين قوله « يا بَدْرُ » ، وبين دُمٌ لِلخَلِيلِ
من البيت الثاني ، ونَبَّهَ بهذا الاعتراض على أن وصِيَّتَهُ وصِيَّةُ حَكِيمٍ ، وأنَّ
اللَّبِيبَ العاقلَ يأخُذُ بها ويتأدَّب .

ومعنى قوله « دُمٌ لِلخَلِيلِ بُوْدُهُ » أى بوْدُك له ، فأضافه إلى المفعول ، والمصدر
كما يضاف إلى الفاعل يُضاف إلى المفعول . وقوله « ما خَيْرُ وُدِّ » استفهامٌ على
طريق الاستثباتِ والقصدِ إلى النُّقْي . والمعنى : أنَّ الوِدَادَ إذا لم يَصْفُ ولم يَدُمُ
فلا خَيْرَ فيه . وقوله « لا يَدومُ » صفة لودِّ . تلخيصه : أى شئٌ خَيْرٌ وُدِّ
غيرِ دائمٍ .

(١) التبريزى « ... يعظ الله بدرا » . وهو يزيد بن الحكم بن أبي العاص صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم . مر الفرزدق يوماً به وهو ينشد في المجلس شعراً فقال : من
هذا الذى ينشد شعراً كأنه من أشعارنا ؟ فتمالوا : يزيد بن الحكم . فقال : نعم أشهد بالله
أن عمى ولدته . ودعاه الحجاج يوماً فولاد كورة فارس ودفع إليه عهداً بها ، ثم أنشد بعض
شعره فألفاه يفتخر بأبيه ، فنفس عليه ذلك واسترد العهد منه ، فخرج يزيد مغاضباً ولحق بسليمان
ابن عبد الملك فدحه ، فأعجبه ذلك وقال له سليمان : كم كان أجرى لك لهامة فارس ؟ قول :
ششرين ألفاً . قال : فهى لك على ما دمت حياً . الأغاني (١١ : ٩٦ - ١٠١) والخزانة
(١ : ١١١) .

- ٣- واعرف لَجَارِكَ حَقَّهُ وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
 ٤- واعلمَ بِأَنَّ الضَّيْفَ يَوْمٌ مَا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يَلُومُ
 ٥- وَالنَّاسُ مُبْتَنِيَانِ مَحْمُودُ الْبُنْيَانِ أَوْ ذَمِيمٌ^(١)

يقول : اعرف حقَّ الجوارِ لجاورِكَ ، فإنَّ الكريم هو الذي يعرفُ حقَّ مثله . وقوله « والحق يعرفهُ » الواو واو الحل ، وهو واو الابتداء . ولورويته بالفاء كان أجودَ ، والمعنى اعرف حقَّ الجار لأنَّ حقَّه تعرفهُ الكرام . فإذا رويته بالواو يكون حالاً لقوله حقَّه ، كأنه قال : اعرف حقَّه معروفاً للكرام ، وهو معروفٌ للكرام .

وقوله « واعلمَ بِأَنَّ الضَّيْفَ » يقال علمت كذا ، وبكذا . وهذه الوصاةُ بالضيف قد علَّما بقوله « سوف يحمَدُ أو يَلمُ » . والمعنى : أحسنْ إليه وتفقدهُ ، علماً بأنَّ نزوله بك يَجلبُ حمداً إن أحسنتَ إليه ، أو لوماً إن أسأتَ إليه أو قصرتَ في حقِّه .

وقوله « محمود البناية » أتى بالبناية غير مبنيٍّ على مذكرٍ حصلَ من قبل ، ثم أدخلَ تاء التانيث عليه ، فهو كالتثنية اسم الخبيل ، والشقاوة والرعاية والغباوة . ولو كان مبنيّاً على مذكرٍ لكان « البناية » لأنَّ الواو والياء إذا كانا حرفي إعرابٍ بعد ألفٍ زائدة تُبدلُ منهما المعزة . على ذلك : الرعاء والكساء والرِّداء والبابُ كلُّه .

ومعنى البيت : أن أفعالَ عقلاء النَّاس لا تخلو من أن تكونَ مما يُستحقُّ به حمدٌ أو ذمٌّ ، فهم يبنيون مبانيهم ، ويؤسسون مكاسبهم على أحد هذين الرُّكنين ، وذلك لأنَّ الأفعالَ تابعةٌ للأغراض ، وغرضُ العاقلِ إليهما ينقسم ،

(١) في ل ضبطت « البناية » بكسر الباء وضمها مترونة بكلمة « معا » ، تحقيقاً للضبطين .

فانظرُ ماذا تَجَلِبُّ على نفسك بما تبتنيه من فعلك ، وتدَّخره من كَسْبِكَ .
وارتفع « محمود » على أنه بدل من « مبتنيان » ، أو خبر مبتدأ محذوف ،
كأنه قال : هما محمود البنية أو ذميم .

- ٦ - واعلمَ بُنْيُ فَإِنَّهُ بِالْعِلْمِ يَنْتَفِعُ الْعَالِمُ
٧ - إِنَّ الْأُمُورَ دَقِيقُهَا مِمَّا يَهِيحُ لَهُ الْعَظِيمُ^(١)
٨ - وَالتَّبَلُّ مِثْلُ الدِّينِ تُقَى ضَاهُ وَقَدْ يَلْوِي الْغَرِيمُ^(٢)
٩ - وَالْبَغْيُ يَضْرَعُ أَهْلَهُ وَالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ وَخَيْمُ

قوله « بنى » إن ضمته فهو منادى مفرد ، وإن كسرتة فهو منادى مضاف
وقد حذف ياء الإضافة^(٣) . وإذا كان ياء الإضافة في المنادى يُحذف في نحو يا غلام
لأن الكسرة تدلُّ عليه ، وهو واقعٌ موقع ما يُحذف في هذا الباب وهو التنوين
وبابُ النداء بابُ حذفٍ ، لكثرة الاستعمال ، فهو في بنى أولى بالحذف ، لاجتماع
الياءات والكسرات . في آخرها وقوله « فإنه بالعلم ينتفع العالم » الهاء ضمير
الأمر والشأن ، والجملة اعتراضٌ بين اعلمَ ومفعوليه . والمراد باستعمال العلم ، وذلك
أن من علمَ طرقَ الرِّشَادِ ثم لم يسلكها كان معرفته بها وبالاً عليه .

وقوله « إن الأمور » مفعول واعلم ، ودقيقها مبتدأ وما بعده خبره ، والجملة
خبر إن . ولك أن تكسره فتقول « إن » على الاستئناف ، ويكون واعلم معلقاً

(١) كتبت « أن » بكسرة وفتحة لتقرأ بالروايتين .

(٢) تنقضاء ، كتبت في ل بالتاء والياء معا ، لتقرأ بالروايتين .

(٣) بنى ، كذا ضبطت في النسختين والتبريزي . وهما الوجهان الكثيران في العربية .
لكن الأكثر في الاستعمال المعاصر « بنى » بفتح الياء ، وهو استعمال صحيح وردت به قراءة .
عاصم في قوله تعالى : « يا بنى اركب معنا » ، وقراً باقي السبعة بالكسرة اجتزأ بها عن الياء .
أما قراءة عاصم فهي اجتزأ بالفتحة عن الألف ، وأصلها « يا بنيا » كما في قولهم « يا حسرتنا »
ويا غلاما . التصريح (٢ : ١٧٧) وتفسير أبي حيان (٥ : ٢٢٦) .

والمعنى : أن الشرَّ يبدوؤه أصغرُهُ ، كما أن السَّيْلَ أولُهُ مطرٌ ضعيف . وهذا الكلامُ بَعَثَ على النَّظَرِ في ابتداءات الأمور وتصورِ عواقبها .

وقوله « والتَّئِبُ مثلُ الدَّيْنِ » ، التَّئِبُ : الذَّحْلُ ، ومعنى يَلْوِي يَمْطُلُ ، ومصدره اللَّوْيُ وَاللَّيَّانُ . وفي الحديث : « لَيْ الوَاحِدِ يُجِلُّ عَقوبته » . وقد روى « يُلْوِي » و « يُلْوِي » فإذا رويت يُلْوِي بالكسر ، فمعناه يذهب بالحق ، يقال : ألوى بالشئ إذا ذهب به ، و « يُلْوِي » هو بناء ما لم يُسَمَّ فاعله ، لَوَى إذا مَطَل . والغريم : اسمٌ لمن لَه الدَّيْنُ ، ولِلَّذِي عَلَيْهِ الدَّيْنُ . وأصل الغرامة اللُّزوم ، وليكون كلُّ واحدٍ منهما ، لازماً لصاحبه إلى أن ينقضى ما بينهما أُجْرِي الاسمُ عليهما . والمعنى أن الوِثْرَ وَالذَّحْلَ كالدَّيْنِ على الواتر ، فهو بَعْرَضٍ للمطالبة به كالغريم ثم ، قد يَقْضِي وقد يَمْطُلُ ، فلا تكتسبه ، لأن العداوات وخيمته الأواخر ، سيئة المبادئ .

وقوله « والبَغْيُ بِضَرْعِ أَهْلِهِ » يقول : وإذا كان لك خَصْمٌ في شئ فلا تستهن به ، ولا تستعمل البغى معه ، فإنَّ من بَغِيَ عليه بَعْرَضُ النُّصْرَةِ ، والباغى بَعْرَضُ التَّلْفِ وَالهِلَاكَةِ ، ولا تَظْلِمُ فإنَّ الظُّلْمَ ذمُّهُ المَرْتَعُ وَبَيْلُهُ ، وفَطِيحُ المَسْمَعِ قَبِيحُهُ . ويقال : ظَلَمْتُهُ ظُلْمًا بفتح الظاء وهو المصدر ، وظُلْمًا بضم الظاء وهو الاسم .

١٠ - ولقد يَكُونُ لَكَ الغَرِيْبُ بِ أَخًا وَيَقْطَعُكَ الحَمِيمُ

١١ - والمرءُ يُكْرِمُ للغِنَى وَيُهَانُ لِلْعَدَمِ العَدِيمُ

١٢ - قد يُقْتَرُ الحَوْلُ التَّقِيُّ وَيُكْثِرُ الحَمِقُ الأَيْمُ

١٣ - يُغْتَلَى لِذَلِكَ وَيُنْتَلَى هَذَا فَأَيْهُمَا المَضِيْمُ

قوله « ولقد يكون » معناه أن الوفاء قد يكون في الغريب إذا آخيته ،
والحيانة تتفق من القريب إذا صافيته ، فانظرُ لفسك إذا اخترت ، ولا تعتمد
القربى والقراية ، فإن المواخاة مبيدنة على الأصول الزكية ، والنفوس الوفية ،
لا على الأنساب والأسباب .

وقوله « والمرءُ يُكرّمُ » بقول : ادّخرِ المالَ واسعَ في جمعِهِ ، وإبّاكَ
واستعمالَ التبذيرِ فيه ، فإنّ اليسيرَ منه مع حُسنِ التدبيرِ يتصلُ بقاؤه ، وكرامَةُ
المرءِ متسببة عن غناه ، كما أنّ هوانَهُ في قرانِ فقرِهِ . وقوله « والمرءُ » ارتفع
بالابتداء ، وخبره يُكرّمُ ، وقد عطف على هذه الجملة جملةً مخالفةً لها من
التقارب لما صلح ذلك . ومثله قول الآخر (١) :

* أموفٍ بأدراعِ ابنِ ظبيّةٍ أمّ تدمّم (٢) *

على العكس من هذا قولُ الله تعالى : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ
صَامِتُونَ ﴾ ، لأنّ هذا عطف فيه المبتدأ والخبر على الفاعل والفاعل .

وقوله « قد يُقْتَرُ الحَوَلُ » ، فالحوَلُ : الكثير الحيلة . وصُحِّحَ بناؤه ولم
يُعلِّمَ إخراجاً له على أصله ، وتنبيهاً أنّ ما عللَ من نظائره كان حكمه أن يجيء
على هذا . ومما جاء على القياس من نظائره : رَجُلٌ مَالٌ وصاتٌ وما أشبهَ ما .
وكذلك هذا كان يجبُ أن يقال حالٌ . والمعنى أنّ الكثير الحيل ، الخراج
الولّاج ، وهو سديدٌ في طرائقه ، قد يفتقرُ فيكون مُقللاً ، وأن المائق الناقص
في عقله ، المكتسب بجهله ، المرتكب للأوزارِ بحرصِهِ ، قد يستغنى هو فيكون

(١) هو راشد بن شهاب اليشكري . انظر البيت ١١ من المفضلية ٨٦ .

(٢) ظبية ، كذا وردت في النسختين . وفي المفضليات : « ظبية » . وصدده :

* أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد *

مُكثِرًا، إذ كانت القِسْمُ والحُظوظُ لا تَقِفُ على كَيْسِ المرءِ وخُرْقِهِ،
ولا على تَقَاهُ وفِسْقِهِ.

وقوله « يُمَلَى لَدَاكَ » أشار بذاك إلى الحَمِيقِ الأثِيمِ، وبهذا إلى الحَوِيلِ
التَّتَقَى. وقد طابَقَ بذاك وهذا^(١) فيقول: أُمَلِيَ لَدَاكَ الجَاهِلِ وأرَخِيَ لَه الجَبَلُ
فقال ما نال، وابتُلِيَ هذا الحَوِيلِ التَّتَقَى حَتَّى شَقِيَ وَحُرِمَ، فأثِيمًا المَظْلُومِ. والمعنى
أَنَّ ذلِكَ مِن قِسْمَةٍ مَن عَرَفَ مَصَالِحَ خَلْقِهِ، وَعَلِمَ ما يَتَأَدَّى إِلَيْهِ حَالُ كُلِّ
وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فاخْتارَ الأحكامَ في التَّدْبِيرِ، والأصْلَحَ للصَّغِيرِ والكَبِيرِ.

١٤ - وَالْمَرْءُ يَبْخُلُ فِي الْحُقُوقِ قِ وَاللِّكَلَالَةَ مَا يُسِيمُ

١٥ - مَا بَخُلُ مَنْ هُوَ لِمَنْ نِ وَرَيْبِهَا غَرَضٌ رَجِيمٌ

١٦ - وَيَرَى الْقُرُونَ أَمَامَهُ هَمْدُوا كَمَا هَمَدَ الْمَهْشِيمُ

يقول: تَرَى الرجلَ يُسَوِّفُ بما يلزمُه من أداءِ الحقوقِ، فيبْخُلُ بإخراجه
وأدائه، فيموتُ عَمَّا يَجْمَعُهُ وَيَبْخُلُ بِهِ، ويتركُه لَلِكَلَالَةِ. وَاللِّكَلَالَةُ هُمُ
الْوَرَاثِ وَقَدْ خَلَوْا مِنَ الْوَالِدِ وَالْوَالِدِ. وَأَصْلُهُ مِنَ تَكَلَّلَهُ النَّسَبُ، إِذَا أَحَاطَ بِهِ.
وقيل هو من الكلالِ: الإعياء؛ كَأَنَّ بُعْدَ النَّسَبِ أَكَلَهُ. وقوله « ما يُسِيمُ »
يجوز أن يكون مصدرًا، كأنه قال: فإِسَامَتُهُ لِمَالِهِ لِغَيْرِ لِنَفْسِهِ. ويجوز أن
يكون ما بمعنى الذي، وقد حذف الضميرَ العائدَ إليه من يُسِيمُ، كأنه قال:
وللورثة ماله الذي يُسِيمُهُ. والإِسَامَةُ: إخراجُ المَالِ إلى المَرْعَى. ويقال:
أَسَمْتُ البَعِيرَ فَسَامَ. ومنه السَّامَةُ للمالِ: الرَّاعِيَةُ.

وقوله « ما بَخُلُ مَنْ هُوَ » استفهامٌ على طريق الإنكار. فيقول: ما يُغْنِي
بَخْلُ مَنْ هُوَ للحوادثِ كالغَرَضِ المنصوبِ للرَّمَى، فإذا عَلِمَ من نفسه أَنَّهُ غَيْرُ

(١) هذا ما في ل. وفي الأصل: « طابق هذا وذاك ».

مُخَلَّد ، بل هو منقولٌ من دار الفناء إلى دار البقاء ، فلماذا يُمَسِّك ولا يُنْفِق ، ويَجْمَع ولا يَفْرُق . هذا وقد رأى الأمم الخالية قباه ماتوا وفنوا فعادوا رمياً ، كما يَهْمُدُ النباتُ فيصيرُ بعد نضارته دَرَبِنًا هَشِيماً ، وهو اليابس المتهشم الأسود لطول القِدَم . والمُنُون يكون اسماً للدهر فيذكر ، ويرادُ به المنيةُ فيؤنث . وهو من المَن : القطع . فلك أن تروى : « ورَيْبِهِ » « ورَيْبِهَا » جميعاً . ومعنى « ورَيْبِهَا » نزولها ، قال أبو عبيدة : راب عليه الدهرُ ، أى نزل . وقد بُرِّدُ برَيْبِ الزَّمانِ أحداثُهُ وصُروفُهُ الرَّائِبَةُ .

١٧ - وَتَخَرَّبُ الدُّنْيَا فَلَا بَؤْسٌ يَدُومٌ وَلَا نَعِيمٌ^(١)

١٨ - كُلُّ امْرِئٍ سَتَيْتٌ مِنْهُ الْعَرِسُ أَوْ مِنْهَا يَتِيمٌ

١٩ - مَا عَلِمُ ذِي وَلَدٍ أَيُّهُ كَكَلُهُ أَمِ الْوَلَدُ الْيَتِيمُ

يقول : وإذا كانت الدنيا مبنيةً للفناء لا للبقاء ، والحراب لا للعارة ، وكذلك أعراضها مخلوقة للزوال لا للدوام ، وقرب الأمد في الاستمتاع بالمعار لا الإملاء ، فلماذا يفرح الإنسان بما يقال ، ويجزع لما يفوت ، وكلُّ شئ بائدٌ غير ثابت ، ومُستَلَب غير موقر .

وقوله « كلُّ امرئٍ » ، يقول : إن الأليفين فيها لا بدَّ من فقدان أحدهما للآخر ، والبعل يموت فتبقى العرس منه أيمًا ، لتقدم موته ، والعرس يموت فيبقى هو منها أيمًا لتقدمها . ويقال : رجلٌ أيمٌ وامرأةٌ أيمٌ . وقد آمت تيم أيمَةً . وكذلك ذو الولد لا يدري أيموت فييتم الولد ، أم يهلك الولد فيشكل الوالد ، فإن سُكَّانَ الدنيا موعودون لأجالٍ منتظرة ، مدعوون لأحوالٍ مؤخرة .

(١) « تخرب » ضبظت في ل لتقرأ بالهاء والياء . تخرب مخفف تتخرب ، وتخرب هو المبنى للمفعول من مضارع « خرب تخريباً » .

وقوله « ما عِلْمُ ذِي وَلَدٍ » استفهامٌ معناه النَّفْيُ ، والمراد : لا يَعْلَمُ الوالدُ ما يكون منه ومن ولده في الإمهال والاستعجال ، أي لا يَدْرِى أى الأمرين يتبع . وقد عطف قوله « أُمُّ الوالدِ اليتيمُ » وهو جملةٌ من ابتداء وخبر على « أَيَشْكَلُهُ » وهو فعلٌ وفاعل . وجاز ذلك لما قدَّمته (١) .

٢٠ - وَالْحَرْبُ صَاحِبُهَا الصَّايِبُ بُ عَلَى تَلَاتِلِهَا الْعَزُومُ

٢١ - مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا وَلَدَى الْحَقِيقَةِ لَا يَنْجِمُ

٢٢ - وَاعْلَمْ بِأَنَّ الْحَرْبَ لَا يَسْطِيعُهَا الْمَرِيحُ السَّوْمُ

٢٣ - وَالْخَيْلُ أَجْوَدُهَا الْمَنَا هَبُ عِنْدَ كَبَّتِهَا الْأَزُومُ

الصَّيْبُ : الضُّلْبُ ذُو الصَّلَابَةِ . وَالتَّلَاتِلُ : الشَّدَائِدُ ، وَيُقَالُ : تَلَّتَلَهُ ،

إِذَا حَرَّكَهُ . يَقُولُ : وَصَاحِبُ الْحَرْبِ هُوَ الصَّبُورُ عَلَى شِدَائِدِهَا ، الْقَوِيُّ الْعَزِيمُ فِي مَصَارِفِهَا ، الْحَامِي الشُّكَّةَ (٢) عَلَى نَوَائِبِهَا ، فَلَا يَمَلُّ عِضَاضَهَا ، وَلَا يَنْجِمُ عِنْدَ حَقَائِقِهَا . وَمَعْنَى يَنْجِمُ : يَجْبُنُ .

وقوله « مَنْ لَا يَمَلُّ ضِرَاسَهَا » فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنْ

قَوْلِهِ الصَّيْبُ . وَالضَّرْسُ : الْعِضُّ ، وَأَصْلُهُ إِصَابَةُ الشَّيْءِ بِضِرْسِهِ .

ثُمَّ قَالَ : وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَرْبَ لَا يُطِيقُهَا الْمَلُولُ النَّزِقُ ، الْعَجُولُ الطَّرِيفُ (٣) ،

لِأَنَّ مَبَانِيهَا عَلَى الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ ، وَالتَّدْبِيرِ السَّدِيدِ ، وَالْحَذَرِ الشَّدِيدِ ، وَاسْتِعْمَالِ

الْإِقْدَامِ فِي وَقْتِهِ ، وَالْإِحْجَامِ لَدَى مُوجِبِهِ . وَقَوْلُهُ « لَا يَسْطِيعُهَا » يَرِيدُ

لَا يَسْتَطِيعُهَا . وَالْمَاضِي مِنْهُ اسْطَاعَ يَسْطِيعُ بِكَسْرِ الهمزة ، وَأَصْلُهُ اسْتَطَاعَ ،

فحذف التاء .

(١) انظر ما سبق في ص ١١٩٤ .

(٢) الشُّكَّةُ : السَّلَاحُ . وَفِي ل : « السُّكَّةُ » .

(٣) الطَّرِيفُ : الَّذِي لَا يَثْبُتُ عَلَى حَالٍ . وَفِي الْأَصْلِ : « الطَّرِقُ » ، صَوَابُهُ فِي ل .

وقوله « والخيل أجودها » يريد : خير الخيل ما ينتهب الأرض انتهاباً في سعيه . وقال الخليل : المناهبة : المباراة في الجرمى والحضر . ومعنى « عند كبتها » أى حمتها . وسئل رجل^(١) : كيف طعمت قتيك ؟ قال : « طعمته في الكبة ، طعمته في السبة^(٢) فأنفذتها من اللبة » . وكل ما جمعه فقد كبته . ومنه كبة الغزل . والأزوم : العضوض . والأزم : العَضُّ ، وكُنِيَ به عن الاحتماء ف قيل : « نِعَمَ الدَّوَاهِ الأَزْمِ » ، فكأنه أراد بالأزم هنا الصبر والثبات .

٤٤٦

وقال مُنْقِذُ الْهَلَالِيِّ^(٣) :

- ١ — أَيْ عَيْشٍ عَيْشِي إِذَا كَفْتُ مِنْهُ بَيْنَ حَلٍّ وَبَيْنَ وَشِكِّ رَحِيلِ
٢ — كُلُّ فِجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِذُحُولِ
٣ — مَا أَرَى الْفَضْلَ وَالْتِكْرَمَ إِلَّا كَفَّكَ النَّفْسَ عَنْ طِلَابِ الْفُضُولِ
٤ — وَبَلَاءِ حَمْلِ الأَيَادِي وَأَنْ تَسْ مَعَ مَنَّا تُؤْتَى بِهِ مِنْ مُنِيلِ

قوله « أَيْ عَيْشٍ » استفهام مبتدأ . والمعنى الإزراء به والذم له . « وإذا » تعلق بما دل عليه عيشي . والمراد ؛ إذا كفت من عيشي بين سفر متواصل ، ونزولٍ وارتحالٍ متتابع ، ولا أنالُ دعةً ، ولا أحصل خفضاً وراحة ، فكأنه لا عيش لي . وقوله :

كُلُّ فِجٍّ مِنَ الْبِلَادِ كَأَنِّي طَالِبٌ بَعْضَ أَهْلِهِ بِذُحُولِ

(١) السائل هو النعمان بن المنذر . انظر اللسان (سبب ٤٤٠) والأغانى (١٤ : ٨٧) .
(٢) السبة : الإاست . وقيل لأبي حاتم : كيف طعمته في السبة وهو فارس ؟ فضحك وقال : انهزم فاتبعه ، فلما رهقه أكب ليأخذ بمعرفة فرسه فطعمه في سبته .
(٣) سبقت ترجمته في الحماسية ٣٦٩ ص ١٠٥٢ .

قد سَلَكَ مثلَ هذا المسلكِ أبو تمامٍ في قوله :

كَأَنَّ بِهِ ضِغْفَنَا عَلَى كُلِّ جَانِبٍ مِنْ الْأَرْضِ أَوْ شَوْقًا إِلَى كُلِّ جَانِبٍ
والمعنى : أَنِّي لَا أَقْتَصِرُ عَلَى قَصْدِ مُنْتَوَى ، وَرَمِي نَفْسِي فِي جَانِبٍ مِنْ
الْأَرْضِ مُرْتَمَى ، وَلَكِنِّي أَتَنَقَّلُ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ وَأَفَاقِهَا ، وَأَضْرِبُ فِي
أَعْرَاضِ الْبَسِيطَةِ وَأَعْمَاقِهَا ، كَأَنِّي أَطْلُبُ بَعْضَ أَهْلِهَا بِتَرَةٍ ، فَهُوَ فِي الْهَرَبِ وَأَنَا
فِي الطَّلَبِ .

وقوله « ما أرى المَضِلَّ » يَنْبَهُ بِهِ عَلَى أَنْ سَمِعِيهِ فِي إِصْلَاحِ عَيْشِهِ ، وَتَرَكَ
مَا لَا يَعْنِيهِ مِنْ شَأْنِهِ ، فَقَالَ : لَيْسَ الْفَضْلُ وَالْعَفَافُ ، وَحَدْسُ النَّفْسِ فِيمَا بَيْنَكَ
وَبَيْنَ النَّاسِ عَلَى التَّكْرُمِ وَالْكَفَافِ ، إِلَّا إِذَا زَمَمْتَ نَفْسَكَ عَمَّا يَتَجَاوَزُ رَمَّ
الْحَالِ (١) ، وَوَقَفْتَ عِنْدَ مَا يُمَكِّنُ الْاِكْتِفَاءَ بِهِ مِنَ الْمَعَاشِ . فَمِنْ الْبَلَاءِ الْعَظِيمِ
تَحْمُلُ النَّعْمِ عَنِ الْمُفْضِلِينَ ، وَسَمْعُكَ امْتِنَانِ الْمُنِيَلِينَ . وَهَذَا دَأْبِي فِيمَا أَلْتَزِمُهُ مِنَ
التَّعَبِ ، وَأَحْمِلُ عَلَيْهِ نَفْسِي مِنَ التَّجَوُّالِ فِي الْبِلَادِ وَالتَّقَلُّبِ . وَارْتَفَعَ « بِلَاءٌ »
عَلَى أَنَّهُ خَبِرَ مُقَدِّمَ ، وَالْمَبْتَدَأَ حَمْلَ الْأَيَادِي . وَقَوْلُهُ « تُوْتُتِي بِهِ » مِنْ صِفَةِ الْمَنَّ .

٤٤٧

وقال محمد بن أبي شحاذ (٢) :

- ١ - إِذَا أَنْتَ أُعْطِيتَ الْغِنَى ثُمَّ لَمْ تَجِدْ بِفَضْلِ الْغِنَى أَلْفِيَتَ مَالِكَ حَامِدٍ
- ٢ - إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرُكْ بِجَنْبِكَ بَعْضَ مَا يَرِيبُ مِنَ الْأَدْنَى رَمَاكَ الْأَبَاعِدُ

(١) رم الحال : إصلاحها . وفي الأصل : « مراحل » ، وأثبت ما في ل .

(٢) التبريزي : « محمد بن أبي شحاذ الضبي » . أبو الفتح : شحاذ علم غير منقول .
قال : وأجيز مع هذا أن يكون في الأصل مصدر شاحذني يشاحذني شحاذًا ، إذا راسلك
وضاهاك في شحذ السيف ونحوه . وفي القاموس : « ومحمد بن أبي شحاذ ككتاب شاعر ضبي » .

قوله « إذا أنت » جوابه أُلْفَيْتِ ، وهو الفعل الواقع فيه ، لأن إذا بتضمينه للجزاء يطلبُ جواباً ويكون ظرفاً له ، فيقول : إذا نلت اليسار والغني ، ومُكِّنْتَ من أطماع الدنيا فملكتها ، ثم لم تتسخَّ بما يفضُّل من وُجِدِكَ ، وُجِدْتَ لا يُثْنِي عليك حامد ، ولا يحفظ غيبك ذائد ، وفي الثناء الباقي على الدهر خَفُّ من نَفَادِ العُمر ، فإن لم تَكْتَسِبْهُ بما تناله لِحِقِّكَ الذُّمُّ مِّنَ الحَاظِمِ سِهام ، وألْفَاظِهِم سِمام .

وقوله « إذا أنت لم تعرُّك » جوابه رماك الأبعاد . وكما بعث في البيت الأول على الإفضالِ وذمِّ الإمساك مع القدرة ، بعث في هذا البيت على مُصَابِرَةِ العَشِيرَةِ واستبقائهم ، وتركِ مؤاخذتهم بما يتفق من هَفَوَاتِهِمْ ، وتَدَقُّيقِ محاسبتهم على بدواتهم وزلاتهم . فقال : لا يُؤْمِنُكَ إقبالُ الدنيا عليك إذ بارها عنك ، ولا دَوْلَةٌ لك من إدالةٍ منك . واعلم أنك إذا لم تعفَّ عما برَّيك من أدانيك ، ولم تحتمله في عفوك وحلمك ، اجترأ عليك الأبعادُ فرموك بما لا صبرَ لك عليه من أذاهم ومكروههم . ويقال : عرَّكتُ كذا بجَنبِي ، أي احتملته وجعلته مَنِي بظَّهر . والعرك والدلك بمعنى واحد . وقال : « بعض ما برَّيب من الأذنى » ، إشارة إلى ما يكون فيه على الحلم محمِل . لأنه ليس كلُّ ما برَّيب يُعَدُّ التجافي عنه حَسَنًا .

٣- إذا الحلم لم يغلب لك الجهل لم تزل عليك بروق جمّة ورواعد
٤- إذ العزم لم يفرج لك الشك لم تزل جنيباً كما أنتتلى الجنيدة قائد

قوله « إذا الحلم » جوابه لم تزل ، فيقول : تحلم في كثير مما يعرفك ويطرُقك ، وانظر أن تكون لك الغلبة على جهلك ، والتملك لاحتمادك وصولك ، فإنك إن لم تستعمل الأناة في مقارضاتك ، وتسرعْتَ إلى المكفأة على ما يظهر لك ، ولم تضنَّ بمن بلوته فعرفت مذهبَه ، وخبرتَ خلانقَه ، وصار

مستمد رأيك ومشتكى حزنك لم تنتفع بغيره ، واجتمعت عليك البروق والرواعد ممن تعده لك وعليك . وهذا مثل لأنواع الأذى والمكروه ، والتوعد بضروب القول ، وفنون الفعل .

وقوله « إذا العزم لم يفرج » جوابه لم تزل جنيباً . والمعنى : انظر لنفسك فيما تشرف عليه طالباً للجزم ثم اعزم ، ودع التشكك والتلوم فيما يريك رأيك وإلا بقيت تابعا لغيرك ، متوقفاً فيما يمشك ، كما يستتبع قائد الخيل مجنوباً له . وهذا بعث على اقتحام الأمور ، واستعمال الاستبداد فيها بعد النظر والتحزم في الظاهر ، وترك التعرج^(١) على قول مانع ، أو دفع مزاحم ، أو مذكر بعاقبة . كما وصى في البيت الذي قبله بالرفق في الأمور التي تكسب العداوات ، واستعمال الصبر فيما يجلب الضغائن ويهيج الثرات .

٥ - وقل غناء عنك مال جمعه إذا كان ميراثاً وواراك لاحد^(٢)

٦ - تجللت عاراً لا يزال يشبهه سباب الرجال نثرهم والقصائد^(٣)

المراد بذكر القلة هاهنا التقي ، لا إثبات شيء قليل . وانتصب « غناء » على الحال ، أي مغنياً عنك . فيقول : لا يعني عنك مال جمعه إذا ذهبت عنه وتركته لورثتك ، فإن ما تملكه هو ما تنفقه أيام حياتك ، وتصرفه فيما يدخر لك أجراً ، أو يكسب لك حمداً ، فأما إذا سترك من يلحد قبرك ، فما تتركه لغيرك لا حظ لك فيه ولا نصيب ، بل تكنتسى عاراً منه لا يزال يوقد ناره ، [ويرفع في الحافل ذكره سباب الرجال ، من النثر تارة^(٤)] ، ومن النظم

(١) ل : « التعرج » .

(٢) التبريزي : « إذا صار ميراثاً » .

(٣) انظر الكلام على هذا البيت في الدلكي ٤٢٩ .

(٤) هذه التكملة من ل .

أخرى ، لأن الباخل مذمومٌ بكلِّ لسانٍ حيًّا وميتًا ، وفي كلِّ زمانٍ موجوداً ومفقوداً ، ثم تراه كالجانى على كلِّ مَنْ يعرفه ، فهم يذُثمونه بظَهْرِ الغيب ، ويَقْدَعُونه فى الحضور ، فلا يزال مسبوباً ، ما كَوَلَ اللحمَ مدحوراً .

٤٤٨

وقال^(١) :

١- وَيَلْمُ لِدَاتِ الشَّبَابِ مَعِيشَةً مَعَ الكُثْرِ يُعْطَاهُ الفَتَى المُتَلِفُ النَّدَى

٢- وَقَدْ يَغْقِلُ القُلُوبَ الفَتَى دُونَ هَمِّهِ وَقَدْ كَانَ لَوْلَا القُلُوبُ طَلَاعَ أَنْجِدِ

لفظة « وَيَل » إذا أُضيفت بغير اللام فالوجه فيها النصب ، تقول : وَيَل زيد ، والمعنى أَلَزَمَ اللهُ زيدا وَيَلًا ، فإذا أُضيفت باللام فقول : وَيَلُ زيد ، فحكه أن يُرْفَعَ فيصير مع ما بعده جملةً ، ابتدئ بها وهى نكرةٌ لأنَّ معنى الدعاء منه مفهوم . والمعنى : الويل ثابتٌ لزيد . كأنه عدّه مُحْصَلًا له ، كما يقال : رَحِمَ اللهُ زيداً ! فيُجْعَلُ اللفظُ خبرًا . وإذا كان حُكْمُ وَيَلٍ هذا وقد ارتفع فى قوله « وَيَلْمُ لِدَاتِ الشَّبَابِ » فمن الظاهر أن أصله وَيَلُ لَأَمِّ لِدَاتِ الشَّبَابِ ، فحذف من أمِّ الهمزة ، واللام من وَيَلٍ ، وقد أتى حركة الهمزة على اللام الجارة ، فصار وَيَلْمُ . وقيل : وَيَلْمُ ، كما قيل : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ و ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ إتباعًا لإحدى الحركتين الأخرى ، وقصده إلى مدح الشَّبَابِ وحمدِ لذاته بين لذات المعاش

(١) يفهم منه أن البيتين لمحمد بن أبي شحاذ . لكن قال التبريزى : « وقال آخر » . وفى الخزانة (١ : ٥٦٣) : « ونسبهما الأعلام الشنتمرى فى حمايته حميد بن سجار الضبى » . وما هو جدير بالذكر أن محمد بن أبي شحاذ يقال له « حميد » أيضا . وكلمة « سجار » محرقة من شحاذ . انظر حواشى التلانى ٤٢٩ . ونسبهما البغدادى أيضا إلى علقمة النحل . وهما فى ديدانه ١٣٥ . ونسبها فى اللسان (قلل) إلى خالد بن علقمة الدارمى ؛ وفى (نجد) إلى حميد بن أبي شحاذ الضبى .

وقد طاع لصاحبه الكثر، وهو كثرة المال، فاجتمع الغنى والشباب له وهو سخى مبذر فيما يكسبه ذكراً جميلاً، وصيتاً عالياً. ثم قال: وقد يخبس قلة المال صاحبه دون ما يهتم له أو يهتم به. وقد كان لولا إضاقتة وقلة ذات يده طلاباً للترقى في درجات الفضل والإفضال، طلاعاً على عوالم الرتب في النهايات. وانتصب « معيشة » على التمييز.

٤٤٩

وقالت حرقه بنت النعمان^(١):

- ١ - بَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ مِنْهُمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ^(٢)
 ٢ - فَأَفِ لِدُنْيَا لَا يَدُومُ نَعِيمُهَا تَقَلَّبُ تَارَاتٍ بِنَا وَتَصَرَّفُ
 بينا: كلمة تستعمل في المفاجآت، وهي من ظروف الزمان. وقد يقال بينا؛ كأنهم أرادوا أن يصلوه بدلاً مما كان يُضاف إليه من قبل بما أو بالألف، والمراد: بين الأزمنة التي تجري علينا ونحن نسوس الناس ونُدبر أمرهم بما نريد، وطاعتنا واجبة، وأحكامنا نافذة، إذا الأمر انقلب فأنضعت الأحوال، وتسأطت الأبدال. وصرنا سوقة نخدم الناس. والناصف في اللغة: الخادم. والسوقة: من دون الملك. ومعنى « والأمر أمرنا »، أى لا يدفوق أيدينا.

(١) هي حرقه بنت النعمان بن المنذر بن امرئ القيس بن عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن نمارة بن لحم. المؤتلف ١٠٣. التبريزى: « وحرقه هذه وأخوها حرق ابن النعمان، وفيهما يقول الشاعر:

نقسم بالله نسلم الخلقه ولا حريقاً وأخته حرقه »

ودشله في اللسان لكن جعل اسم أخيها « حريق » كما في نص الشعر. ونبه التبريزى على أن الشاعر فتح لام « الخلقه » لضرورة الشعر.

(٢) كذا في النسختين. وفي التبريزى والمؤتلف واللسان (نصف) : « إذا

نحن فهم » .

والعامل في بينا مادلاً عليه قولها « إذا نحن منهم سُوقة » . وإذا هذه ظرفُ مكان ، وهي المفاجأة ، وقد تقدّم القولُ فيه .

وقوله « فَأَفِّ » فيه لغات عدّة ، يفتح ويكسر ويضم ، وينوّن في كلِّ ذلك ويُترك التنوينُ فيه . وهو اسمٌ من أسماء الفعل ، وأسماء الفعل أكثرُ ما تقع في الأمر والنهي ، وفي باب الخبر تقع قليلاً ، فمنها أُفِّ هذه ، وواها ، وهَيَّات وأحرفٌ أُخر . ومعنى أُفِّ التَّحقير . كأنه قول : حَقارةٌ لِدُنيا نعيمِها يزول ، وحالها لا يدوم ، بل تَقَلَّبُ بأهلها وتحوَّل ، وتتصرَّفُ بطُلَّابِها وتبَدَّل . فمن فَنَح أُفِّ فلخفَّة الفتحه ، ومن كَسَر فالانلقاء الساكنين ؛ لأنَّ الكسر فيه أُولَى ، ومن ضَمَّ فالإنباع الضمّة الضمّة . والتنوين فيه أماره للتَّنكير ، وترك التنوين أماره للتعريف .

وقال الحكم بن عبدل^(١) :

- ١- أَطْلُبُ مَا يَطْلُبُ الْكَرِيمُ مِنْ الِ رَزْقٍ بِنَفْسِي وَأُجْمِلُ الطَّلَبَا
٢- وَأَحْلُبُ الثَّرَّةَ الصَّفِيَّ وَلَا أَجْهَدُ أَخْلَافَ غَيْرِهَا حَلَبًا^(٢)

(١) هو الحكم بن عبدل بن جبلة الأسدي ، ينتمي نسبه إلى أسد بن خزيمه ، وكان هجاء خبيث اللسان من شعراء الدولة الأموية ، ومنزله ومنزه الكوفة . وكان أعرج لا تفارقه العصا ، فترك الوقوف بأبواب الملوك ، وكان يكتب على عصاه حاجته ويبعث بها مع رسله فلا يجيب له رسول ، ولا تُؤخر له حاجة ، وفي ذلك يقول يحيى بن زوفل :

عصا حكم في الدار أول داخل ونحن على الأبواب نقصى ونحجب
وكانت عصا موسى لفرعون آية وهذي لعمر الله أدهى وأعجب
تطاع فلا تعصى ويحذر سخطها ويرغب في المرضاة منها ويرهب

الأغني (٢ : ١٤٤ - ١٥٣) والمؤتف ١٦١ .

(٢) التبريزي : « أخلاف غيرها » ، ثم قال : « وبروي : الصفوف ... والصف ف : التي يصف لها إناهان فتماؤها . ومن روى الصفي فعناه الغزيرة . وبعض الناس ينشد : =

يَقُولُ : مَطَالِبِي مِنَ الدُّنْيَا وَمَرَاغِبِي عَلَى حَدِّهِ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْكِرَامِ .
والتعفف ، لا يزرى بي نظراً الناظر إلى ، لأني إذا طلبتُ أجملت ، وإذا
سُدَّتْ مَفَاقِرِي اِكْتَفَيْتُ (١) ، ثُمَّ لَا أَعُوَّلُ فِيمَا أَزَاوَلُهُ إِلَّا عَلَى نَفْسِي ، مُتَمَهِّمًا
سَعَى غَيْرِي ، وَكُلُّ ذَلِكَ أَبَقَى عَلَى مِرَاعَاةِ الْعَفَافِ وَالْكَفَافِ .

وقوله : « وَأَحْلَبُ الثَّرَّةَ الصَّفِيَّ » يَقُولُ : أَعْلَقَ طَمَعِي بَمَنْ إِذَا اسْتَدِرَّ حَلْبَهُ
كَانَ غَزِيرًا ، لِأَنِّي لَا أُسِفُّ لِمَطَامِعِ الدُّنْيَا ، وَلَا أَضَعُّ نَفْسِي فِي الْمَوَاضِعِ
الْحَسِيصَةِ . وَالثَّرَّةُ : الْغَزِيرَةُ . وَيُقَالُ : عَيْنٌ ثَرْتَارٌ (٢) ، إِذَا كَانَتْ كَثِيرَةَ الْمَاءِ .
وَالصَّفِيُّ : الْجَامِعُ بَيْنَ مَحْلَبَيْنِ فِي حَلْبَةٍ . وَقَوْلُهُ « وَلَا أَجْهَدُ أَخْلَافَ غُبْرَاهَا
حَابًا » اِنْتَصَبَ الْحَلْبُ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرٌ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ . وَالْمَعْنَى : أَنِّي لَا أُطَلِّبُ
الزَّهِيدَ الْحَقِيرَ الْقَدْرَ ، وَلَا اسْتَدِرُّ الْبَكِي الْقَلِيلَ الدَّرَّ . وَالْحَلْبُ قَدْ يَرَادُ بِهِ
الْمَصْدَرُ ، وَقَدْ يَرَادُ بِهِ الْمَحْلُوبُ .

٣ - إني رأيتُ الفتى الكريمَ إذا رَغِبْتَهُ فِي صَنِيعَةٍ رَغِبَا

٤ - والعبدُ لا يطلبُ العلاءَ ولا يُعْطِيكَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَهَبَا

٥ - مثلُ الحجارِ الموقَّعِ السَّوِّءِ لَا يُحْسِنُ مَشِيئًا إِلَّا إِذَا ضُرِبَا

قوله « إني رأيتُ الفتى الكريمَ » يَقُولُ : إِنَّ مِنْ تَكَرُّمِ عَمْرُوقِهِ وَتَزَكُّو
أَصُولِهِ ، إِذَا دَعَوْتَهُ إِلَى اصْطِنَاعِ صَنِيعَةٍ ، وَهَزَزْتَهُ لِابْتِنَاءِ مَكْرُمَةٍ ، أَجَابَكَ

أخلاف غيرها ، يذهب إلى الغُبر الذي هو بقية اللبن . وقد يجوز مثل ذلك إلا أن الكرام
يكون كالمقلوب ، لأنه أراد : ولا أجهد غير أخلافها . ومن روى : أخلاف غيرها فروايتها
أحسن . يريد أنه لا يحلب إلا ثرة ، كأنه يصف نفسه بطلب الرزق في مظانه ، ورغبته إلى
الكرام ، وإعراضه عن اللئام .

(١) المفاقر : وجوه الفقر ، لا واحد لها . وقد يجوز أن يكون جمع مفقر . وأنشد :

لمال المرء يصلحه فيغني مفاقره أعف من التنوع

(٢) كذا وقعت في النسختين بدون التاء . وفي اللسان والقاموس : « ثرثرة »

و « ثرارة » .

حريصاً على استغنامه وترى الدني الحسيس الهمة والنفس لا يطلب ارتفاعاً ولا يكسب ادخاراً ، ولا يسمع بشيء إلا عن رهبة ، فقل من لا يبتغي في مصاريفه حداً ، ولا يقيني ليومه وغده خلاً ، فهو كاللحم السوء ، الذي بظهره آثار دبر وقد ذل في العمل ، لا يجيب إلا إذا استحث حتى يضرب ، بلادة منه وكسلا . وقوله « لا يحسن » موضعه من الإعراب نصب على الحال . وارتفع « مثل » على أنه خبر مبتدأ مضمرة .

وقوله « مثل الحمار الموقع » يجوز أن يراد منه الذي في ظهره أثر الإكاف أو الدبر ، ويجوز أن يراد به المذلل ، كما يقال : طريق موقع . ويجوز أن يكون من وقعت الحديد ، إذا ضربتها بالميقعة ، كأنه لبلادته يضرب كثيراً .

٦ - ولم أجذُ عمروة الخلائق إلا الدين لما اعتبرت والحسبنا

٧ - قد يرزق الخافض المقيم وما شد بعنسٍ رَحلاً ولا قتبنا

٨ - ويحرمُ المالَ ذو المطية ولرحلٍ ومن لا يزال مُغترِباً

قوله « لم أجذ » يريد أن مسك الخلائق الشريفة ، ووثائق عمراها ، إنما هي إذا اعتبره المعتبر في الدين وعمارته ، وفي الشرف وتحصيله . كأنه جعل طلب الحسب للدنيا وأسبابها والاعتلاء فيها ، وجعل الدين للآخرة وتقديم ما يفوز به من رضا الله عز وجل ، والثواب الجسيم .

وقوله « قد يرزق الخافض المقيم » سلك فيه مسلك الآخر^(١) في قوله :

ماذا يكلفك الروحات والدُّلجا البر طوراً وطوراً تركب اللججا
البيتين ، وقد تقدما .

والخافض : الودع الذي لم يحدث نفسه بتجوالٍ وارتحال . فيقول : قد

(١) هو محمد بن بشير . الحماسية ٤٣٦ ص ١١٧٣ .

ينالُ الرِّزْقَ الواسِعَ مَنْ لا يُؤَثِّرُ على الإِقامةِ في وطفه شيئاً ، وقد تَرَمَى قاطعَ الشُّقَّةِ البعيدة ، وصاحبَ الرَّحْلِ والمِطِيَّةِ ، الصَّابِرَ على الغُرْبَةِ ، محروماً مَضِيَّقَ العَيْشِ ، مكدودَ العُمُرِ . والرَّحْلُ : مَرَكَبُ البعيرِ ؛ والرَّحَالَةُ نُحُوهُ ؛ وهو السَّرَجُ أيضاً . والقَتَبُ : إِكْفُ الجَمَلِ ، كذا ذكره الخليل . وقوله « ذُو المِطِيَّةِ والرَّحْلِ » ، الرَّحْلُ : مصدرٌ رَحَلْتُ البعيرَ ، إِذا شَدَدْتَ عليه الرَّحْلَ .

٤٥١

وقال آخر :

- ١ - يَا أَيُّهَا العامُّ الَّذِي قد رَأَيْتَنِي أَنْتَ الفِداءَ لِذِكْرِ عَامِ أَوَّلًا
- ٢ - أَنْتَ الفِداءَ لِذِكْرِ عَامِ لَمْ يَكُنْ نَحْسًا وَلَا بَيْنَ الْأَحْبَةِ زَيْلًا

يفضِّلُ أَيَّامَهُ المَاضِيَةَ على أَيَّامِهِ الحَاضِرَةِ ، فقال كالمخاطب لها : أَيُّهَا العامُّ الَّذِي قد أتى بما يَرِيبُنِي ، جَعَلْتَ اللهُ فِداءً لِعَامِ أَوَّلٍ مِنْ عَامِي ، تقضى بما سرَّني . وقوله « عَامِ أَوَّلًا » مما أُلِفَ فيه كثرة الاستعمال ، فوُصِفَ بصفةٍ لم توصف به نظائره ، اعتماداً على التَّعارُفِ . والمراد بهذا أنه لم يقل شهرٌ أوَّلٌ ولا حَوْلٌ أوَّلٌ ، ولا سنةٌ أوَّلَى ، وإنما خُصَّ هو بذلك لكثرة الاستعمال ، ولأنَّ دَلالةَ الحَالِ وتعارُفِ المتكلمين به سوَّغَ الحذفَ والإجراءَ على ما أُلِفَ فيه .

وقوله « أَنْتَ الفِداءَ » يريد تَكَرُّرَ الدُّعاءِ على التَضَجُّرِ بِحَاضِرِ وَقْتِهِ وَعَامِهِ ، والتَّنبِيهِ على ما رابَه منه . فيقول : جَعَلْتَ اللهُ فِداءً لِذِكْرِ عَامِ لَمْ يَعُدْ بِمَنْحَسَةٍ ، وَلَا حَكَمَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ بِفُرْقَةٍ . وإنما قال « لِذِكْرِ عَامِ » لأنَّ العامَّ وقد تقضى لا يصحُّ فيه التَّفْدية . والفَحْسُ : ضِدُّ السَّعْدِ ، وقد وُصِفَ به الغُبْرَةُ والأَمْرُ المَظْلَمُ . وفي القرآن : ﴿ فِي أَيَّامِ نَحْسَاتٍ ﴾ . ويقال : رَجُلٌ مُنَحَّسٌ أَى مُخْزَوْنٌ .

٤٥٢

وقال الفرزدق^(١) :

١ - إذا ما الدهرُ جرَّ على أناسٍ حَوَادِثُهُ أَنَاخَ بآخِرِينَا

٢ - فُؤُنَ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَيْلَقَ الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا

يقول : إذا صُروف الدهرِ أناختْ على قومٍ بإزالة نِعَمِهِمْ ، وتكديرِ عَيْشِهِمْ ، فجرت عليهم أذيال الشرِّ والتَّغْيِيرِ ، ودرست آثارهم ومحت دَوْلَهُمْ^(٢) ، تراها تنقل إلى آخرين ، لأنها كاتَّهَبُ ترتجع ، وكما تُؤَلِّي تستلب .

ثم قال : قل لمن شئت بنا فيما رأى من أثرِ الزَّمانِ فينا : انتهبوا من رقدتكم وانحوا من شمانتكم ، فستلقون كما لقينا ، وتمتحنون كما امتحننا ؛ لأنَّ حَيَاتَنَا وجميع ما في أيدينا عوارٍ ، والعواري تُستردُّ وإن طالت المهلة .

(١) انظر ما سبق في الحماسية ٢٢٦ ص ٦٧٦ .

(٢) الاول ، كذا وردت في النسختين بكسر فتح ، وهي و « الدول » بضم فتح : جمع الدولة .

٤٥٣

وقال الصلتان العبدى^(١) :

- ١- أشاب الصغير وأفنى الكبير كثر الليالى ومرّ العشى^(٢)
- ٢- إذا أيلة هرمت يومها أتى بعد ذلك يوم فتى
- ٣- نروح ونغدو لحاجتنا وحاجة من عاش لا تنقضى

ذكر في هذه الأبيات ما تدور عليه دوائر الأيام ، وصروف الأزمان ، وأنها لا تقف عند غاية ، ولا تعرف فيما تجرى فيه مقررّ نهاية ، وأن من عاداتها تغيير الأمور ، وفي تقضيها وقضاياها تحويل الأحوال ، فقال : إن كرور الأيام ، ومُرور الليالى والأوقات ، تراها تجعل الصغير كبيراً ، والكبير حقيراً ، وتجعل الطفل شاباً ، والشيوخ فانياً ، فكلماً خلقت جِدّة يومٍ جاء بعدها يومٌ آخر فتىٌ جديد ، ونحن فيها ندأب في حاجتنا ، فلا نحن نعملُ ، ولا حاجتنا تفنى أو تقلُّ ، ولا الوقتُ بنا يقف ، ولا واحدٌ منا يذتظرُ أو يتوقّف ، إذ كان ذو العيش مآربه متّصلة ، كما أن أوقاته دائرة متتابعة .

(١) كذا ورد في نسخ الحماسة . وفي الحيوان (٣ : ٧٧) : « وقال الصلتان السعدى ، وهو غير الصلتان العبدى » ، ثم أنشد الأبيات . لكن ذكر المرزبانى في معجمه ٢٢٩ « الصلتان العبدى » ، ثم قال : « وله القصيدة التى يوصى فيها ابنه ، وهى طويلة حسنة كبيرة الأمثال » . وأنشد الأبيات . والصلتان لقب لعدة شعراء أحدهم الصلتان الفهمى . قال الآمدى فى المؤلف ١٤٥ : « لست أعرفه فى شعرائهم ، وأظنه متأخراً » . وثانيهم الصلتان العبدى أحد بنى محارب بن عمرو بن وداعة بن لكبير بن أفضى بن عبد القيس ، وهو الذى قضى بين جرير والفرزدق فى قصة مشهورة ، واسمه قثم بن خبيبة . قال الآمدى : « شاعر مشهور خبيث » . والثالث الصلتان الضبى ، قال الآمدى : « ولست أعرفه فى شعراء بنى ضبة ، وأظنه متأخراً » . والرابع « الصلتان السعدى » الذى ذكره الجاحظ فى الحيوان . انظر أيضاً الخزانة (١ : ٣٠٨) والشعراء ٤٧٥ - ٤٧٩ واللكلى ٧٦٦ .

(٢) وكذا وردت الرواية فى الشعراء . وفى سائر المراجع والتبريزى : « كر الغداة » .

معنى هرمت يومها : ضَعَفْتَهُ مُسَلِّمًا لِلزَّوَالِ . ويقال : هو ابن هرمة أبيه ، كما يقال : هو ابن عجزة أبيه ، لآخر الأولاد ، كأنه من الهرم . والهرمي من الخشب : مالا دخان له ، لعنته وذهاب قوته . والفتي مصدره الفتاه ، وضده الذكي . ويقال : فتاه فلان كذ كاء فلان وكتذ كية فلان .

٤ - تموت مع المرء حاجاته ويبقى له حاجة ما بقي^(١)

٥ - إذا قلت يوماً لمن قد ترى أروني السرى أروك الغني^(٢)

يقول : تموت مع المرء حاجاته . يريد أن المرء ما دام حياً فأربه وشهواته تتجدد تجدد^(٣) الأوقات ، وأمانيه تتصل ما اتصل عمره ، فإذا جاء أجله وتناهى أمده ، انتهت مآربه ، ووقفت مطالبه .

وقوله « إذا قلت يوماً لمن قد ترى » يريد : وإن سألت كل من تقع عينك عليه من المميزين ، عن سراة الرجال وكرامهم ، أحالوا على المثربين وإن ضعفت رغباتهم في اكتساب الخير ، واستجلاب الحمد . والسرؤ : سخاء في مروءة . ويقال : سرؤ الرجل يسرؤ ، وهو سرى من قوم سراة . وكان هذا سلك مسلك الآخر^(٤) حين قال :

وَأَنْ ثَرَاءَ الْمَالِ يَنْفَعُ رَبَّهُ وَيَبْنِي عَلَيْهِ الْحَمْدَ وَهُوَ مُذَمَّمٌ
٦ - أَلَمْ تَرَ لُقْمَانَ أَوْصَى بِنِيهِ وَأَوْصَيْتُ عَمْرًا وَنِعْمَ الْوَصِي^(٥)
٧ - بُنِيَ بَدَا خِبُّ نَجْوَى الرَّجَالِ فَكُنْ عِنْدَ سِرِّكَ خَبَّ النَّجِيِّ^(٦)

(١) في التبريزى وسائر المراجع : « وتبقى له » بالتاء .

(٢) وكذا في التبريزى والشعرا ، والخزانة . وفي الحيوان : « يوماً لدى معشر » .

(٣) ل : « بتجدد » .

(٤) هو مالك بن حزيم الهمداني . الحماسية ٤٣٤ ص ١١٧١ .

(٥) التبريزى : « فنعم الوصى » . المرزبانى : « أوصى ابنه » .

(٦) انظر ما سبق في الحماسية ٤٤٥ ص ١١٩٢ .

٨ - وسِرُّكَ ما كانَ عندَ امرئٍ وسِرُّ الله - لآئتهِ غيرُ الخَفِي (١)
 معنى « ألم تر » : اعلم . ويريد التذبية على أن له فى وصانته ابنه اقتداءً
 بالحكام قبله ، فكما ساع لثمان أن يوصى ابنه ساع للصّلتان أن يوصى عمراً ولده .
 والمحمود فى قوله « نعم الوصى » محذوف ، كأنه قال : ونعم الوصى هو . وهذا
 ترغيبٌ منه لعمرو فى الاحتذاء بما يرسم له . وقوله « بنى بدا خبٌ نجوى
 الرّجال » ، فالخبٌ : المكر بكسر الخاء ، والخبٌ بفتحها : المكار . ومثله
 رجلٌ صبٌ . والنجوى : مصدر ، وهو يستعمل فيما يتحدّث فيه اثنان على
 طريق السّتر (٢) والكتان . فيقول : إذا ناجيت صاحباً لك فكن خبياً
 فيما تُودعه من سرّك ، فإن نجوى الرّجال إذا بدا خبها ، ومكر أربابها فيها ،
 عادت وبالاً وفضيحة . والنّجى يقع على الواحد والجمع ، وكذلك النّجوى .
 وفى القرآن ﴿ إذ هم نجوى ﴾ .

وقوله « وسِرُّكَ ما كانَ عندَ امرئٍ » ذهب فيه مذهب من قال :

إذا جاوز الاثنين سِرٌّ فإنه يَدَّث وتكثير الوشاة قمين (٣)

وقد قيل فى « الاثنين » من هذا البيت أراد به الشّفتين . وكان من فسّر
 هذا التفسير يريد : لا تُفش سرّك إلى أحد .

آخر باب الأدب ، والحمد لله وحده ، والصلاة على نبيه محمد وآله بعده .

(١) بعده عند التبريزى :

كما الصمّتُ أذننى لبعض الرّشادِ فبعضُ التّكلمِ أذننى لغى

(٢) ل : « السر » .

(٣) ل : « بنث » بالنون . والبيت لتيس بن الخطيم فى ديوانه ١٨ . وفى الديوان :

« بنشر » .

بَابُ النَّسَبِ

(١) باب النسيب

٤٥٤

وقال الصَّمَّةُ بنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ (٢) :

١ - حَنَنْتَ إِلَى رَبِّيَا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ مَزَارِكَ مِنْ رَبِّيَا وَشَعْبًا كَمَا مَعَا

٢ - فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا وَتَجْزَعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ اسْمَعَا

الحنين : تألم من الشوق وتشكيت . وربيا ؛ اسمُ امرأةٍ (٣) . فإن قيل :

هَلَّا قِيلَ رَوَّى ، لَأَنَّ فَعَلَى إِذَا جَاءَ اسْمًا مِنْ بَنَاتِ الْيَاءِ يَقْلِبُ يَأُوهُ وَآوًا ، عَلَى

هَذَا الْفَتْوَى وَالشَّرْوَى وَالتَّقْوَى وَالبَقْوَى ؟ قُلْتُ : إِنَّهُ سُمِّيَ بِهِ مَقُولًا عَنِ الصِّفَةِ ،

وَفَعَلَى صِفَةٍ يَصْحَحُ فِيهِ الْيَاءُ ، عَلَى هَذَا قَوْلِهِمْ : خَزْيَا وَصَدْيَا وَرَبِّيَا كَأَنَّهُ تَأْنِيثُ

رَبِّيَانٍ فِي الْأَصْلِ ، كَمَا يُقَالُ عَطْشَانٌ وَعَطْشَى ، ثُمَّ نُقِلَ مِنْ بَابِ الصِّفَاتِ إِلَى بَابِ

(١) البريزي : « النسيب : ذكر الشاعر المرأة بالحنن ، والإخبار عن تصرف هواها به ، وليس هو الغزل ، وإنما الغزل الاستهتار بمودت النساء والصبوة إليهن . والنسيب ذكر ذلك والخبير عنه » .

(٢) هو الصممة بن عبد الله بن الطفيل بن قررة بن هبيرة بن عامر بن سامة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، شاعر إسلامي بدوي مقل ، من شعراء للدولة الأموية ، ولجده قررة بن هبيرة صحبة بالنسي صلى الله عليه وسلم ووفادة . وكان من خبر الشعر ما روى التبريزي وأبو الفرج في الأغاني (٥ : ١٢٧) وياقوت في (البشر) والسيوطي في شرح الشواهد ٧٩ : أن الصممة خطب ابنة عمه إلى أبيها ، فقال : لا أزوجهما إلا على كذا وكذا من الإبل (في رواية التبريزي أنها خمسون) . فذهب إلى أبيه فأعلمه بذلك ، وشكا إليه ما يجدها ، فساق الإبل عنه إلى أخيه ، فلما جاء بها عدما عمه فوجدها تنقص بعيراً ، فقال : لا أخذها إلا كاملة ، فغضب أبوه وحلف لا يزيد على ما جاء به شيئاً ، ورجع إلى الصممة فقال له : ما وراءك ؟ فأخبره ، فقال : تالله ما رأيت قط ألام منكها جيماً . وإني لألام إن أقيمت بينكما . ثم ركب ناقته ورحل إلى ثغر من ثغور الشام فلقى الخليفة فكلمه ، فأعجب به وفرض له فرضاً ، وألقه بالفرسان ، فأقام به حتى مات . وفي ذلك يقول هذا الشعر . والأبيات عند القالي (١) :

١٩٠ - ١٩٢) .

(٣) هي ابنة عمه التي أراد الزواج بها .

النسبية بها فترك على بفاثه . وقوله « ونفسك باعدت » الواو واو الحال ، وهي للابتداء ، ومعنى باعدت بَعَدَت ، وهو كما يقال ضَاعَفَتُ وضَعَّفَتُ . وفي القرآن : ﴿ بِأَعْدُ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ ،

والمزار : اسمُ مكان الزَّيَارَةِ . والشعب . شَعَبَ الحَيَّ ، يقال : التَّامَّ شَعْبُهُمْ ، أى اجتمعوا بعد تفرُّق ، وشَتَّ شَعْبُهُمْ ، إذا افترقوا بعد تجمُّع . وقوله « وشعبا كما معا » الواو واو الحال أيضا ، والمامل في « ونفسك باعدت » حَذَنَت ، وفي قوله : « وشعبا كما » باعدت . ومعنى قوله : « معا » مجتمعان ومصطحيان ، وموضعه خبر المبتدأ .

وقوله « فما حسن أن تأتي الأمر طائعا » في حَسَنَ وجوهٌ : يجوز أن يكون مبتدأ ، وجاز الابتداء به وهو نكرة لاعتماده على حرف النفي ، و « أن تأتي » في موضع الفاعل لِحَسَنُ ، واستغنى بفاعله عن خبره ، والتقدير : ما يحسن إتيانك الأمر طائعا . وانتصب طائعا على الحال من أن تأتي . ويجوز أن يرتفع حسن على أنه خبر مقدم ، وأن تأتي في موضع المبتدأ . ويجوز أن يرتفع حسن بالابتداء وأن تأتي في موضع الخبر ، وهذا أضعف الوجوه لكون المبتدأ نكرة والخبر معرفة . وقوله « وتجزع أن داعى الصبابة » أن مخففة من أن الثقيلة ، والمراد : وتجزع من أن داعى الصبابة أسمعك صوته ودعاك .

ومعنى البيتين : شكوت شوقك إلى هذه المرأة ، وأنت آثرت البعد عنها بعد أن كان حيا كما مجتعبين ، وليس بجميل اختيارك الأمر طائعا غير مُكْرَه . وجزعك بعده ، لأن داعى الشوق والمائد منه إليك أسمعك وحرك منك .

٣ — قِفَا وَدَّعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى وَقَلَّ انْجَدٍ عِنْدَنَا أَنْ يُودَعَا

٤ — وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ عَلَيْكَ وَالْكَنْ خَلَّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا

يخاطب صاحبين له يستوقفهما ويكلفهما توديع نجد معه والنازل بالحمى منه .

ثم استأنف فقال ملتفتا : ويقل لنجد وساكنه التوديع منا ، لأن حقهما أعظم

من ذلك ، ولكننا لا نقدر على غيره . والحجى : موضع فيه ماء وكلاً يُمنع منه الناس . ويقال : أحيت المكان ، إذا جعلته حياً . وحكى ابن الأعرابي أنهم يقولون للمكان وقد أبطل وأبيح ولم يُحَمَّ : بهزج . وأنشد :

فَخُـبِرَتْ بَيْنَ حَمَى وَبَهْرَجٍ مَا بَيْنَ أَجْرَازٍ إِلَى وادِي الشَّجِي (١)
وقوله « أن يُودعا » في موضع الفاعل لقل .

ومعنى قوله « وليست عشيّات الحجى برواجع » أنك وإن أفرطت في الجزع ، فإن أوقات المواصلة بالحجى مع أحبابك لا تكاد تعود ، ولكن آدم بالبكاء لها ، مع التوجع في إثرها ، تجد فيه راحة . وفي هذا الملام بقول الآخر :
فَنُتُّ لَهُ إِنَّ الْبُكَاءَ لِرَاحَةٍ بِهِ يَشْتَفِي مَنْ ظَنَّ أَلَّا تَلَاقِيَا

وقوله « تدمعا » جواب الأمر . ولو قال تدمعان ، لكان حالاً للعينين .

٥- ولما رأيت البشرَ أعرضَ دوننا وحالتَ بناتُ الشوقِ يحنينَ نزعاً (٢)

٦- بكتَ عينيَ اليمنى فلما زجرتُها عن الجهلِ بعدَ الحلمِ أسبَلتَنا معاً (٣)

البشر : جبل (٤) . وأعرضَ دوننا : أبدى عرضَه . وحالت : تحركت .

يقال : استَحَلتُ الشَّخصَ ، إذا نظرتَ هل يتحرك . ومنه لا حَوْلَ ولا قوَّةَ

إِلَّا بِاللَّهِ ! والمعنى : لما تباعدنا عن نجدٍ ؛ وحجَرَ بيننا وبينه البشرُ ، تحركت

بناتُ الشوقِ نوازِعَ كثيرةَ الحنينِ ، مظهرَةً ضعفِ الصَّبرِ . وجواب لما قوله

« بكتَ عينيَ اليمنى » . وأراد بيناتِ الشوقِ مسبباته . وهذا كما قال الآخر (٥) :

يَضُمُّ إِلَى اللَّيْلِ أَطْفَالَ حُبِّهَا كَمَا ضَمَّ أَرْزَارَ الْقَمِيصِ الْبِنَائِقُ

(١) أجزاز : موضع بنجد .

(٢) الأمانى والأمانى : « وجالت » بالجيم .

(٣) التبريزى والأمانى : « بكت عيني اليمنى » .

(٤) جبل في أطراف نجد من جهة الشام .

(٥) هو المجنون ، كما في اللسان (بنق) .

فأطفالُ الحُبِّ كبناتِ الشوق . والنزَّع ، الأشهر فيه أن يكون جمع نازع بمعنى كافٍ ، فوضَعها موضع نوازِع ، والألفظتان المتواخيتان لكونهما من أصلٍ واحد يُستعمار ما لإحداها للأخرى . وإنما قال « بكت عيني اليمنى » لأنه كان أعور ممتعا بعينه اليسرى^(١) . والعين العوراء لا تدمع . فيقول : بكت عيني الصحيحة ؛ فاجتهدت في زجرها عن تعاطي الجهل بعد أن كنت تحملت وتركت الصبي ، فلما تكلفت ذلك لها أقبلت العوراء تدمع معها وتبكي . ونبتة بهذا على عصيان النفس والقلب ، وقلة اثمارها له ، وأنهما إذا زجرا وردا عن مواردما زادا على المنكر منهما .

٧ - تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْذَعًا
٨ - وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْحَمَى ثُمَّ أَنْذَنِي عَلَى كَبِدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعًا
يقول : أخذت في مسيري لما أبصرت حان نفسي في تأثير الصباية فيها ، ملتفتا إلى ما خلفته من الحي وأرض نجد ، حتى وجدتني وجع اللبت - وهو عرق فيها - لطول إصغائي ، ودوام التفاتي ؛ كل ذلك تحسرا في إثر الفات من أحبابي وديارها ، وتذكر أطياب أوقاتي معهم فيها . وقد قيل فيه : إن من رموزهم أن من خرج من بلد فالتفت وراءه رجعا إلى ذلك البلد . وأنشد فيه أبيات منها قوله :

عَيْلَ صَبْرِي بِالثَّغْلَبِيَّةِ لَمَّا طَالَ لِيْلِي وَمَلَّنِي قُرْنَائِي^(٢)
كَلَّمَا سَارَتِ الْمَطَايَا بِنَا مِيْلًا تَنْفَسْتُ وَالتَّمْتُ وَرَائِي

(١) كناية عن أن عينه اليسرى هي العوراء . جاء في الكنايات للشعالبي ص ٣٦ س ٥ : « ويكنى عن الأعور بالمتع » .

(٢) هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « بالثغلبية » تحريف . والثغلبية : نزل من منازل طريق مكة من الكوفة ، قالوا : نسبت إلى ثعلبة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء .

قالوا : النفث لـكى يُقضى له الرُّجوع ، لكونه عاشقاً .

وانتصب « لَيْتاً » لأنه تمييز ، وهذا من باب ما نُقِلَ الفعلُ عنه ، كأنَّ الأصل : وَجِعَ لَيْتِي وَأَخَذَعِي ، فلما شغِلَ الفعلُ عنهما بضميره أشبها المفعولَ فَنَصَبَهُمَا . ومثله : تصببتُ عمراً ، وقررتُ به عينا .

وقوله « وأذكرُ أيامَ الحمى ثم أنثى » يقول : وأتذكرُ أوقاتي بالحمى لَمَّا كانَ من أسباب الوصالِ تساعداً ، وبينَ دورِنا ودورِ الأُحبة تقاربٌ ، وللتراسلِ إمكان ، ومع الحبيبِ في الوقتِ بعدَ الوقتِ تلاقٍ واجتماع ، ثم أنعطِفُ على كبدى وأقبضُ عليها مخافةً تشقُّقها ، وخروجها من مواضعها ، شرقاً إلى أمثالها ، وحسرة في إثرٍ منقطعها .

وقد ذكر هذه الأبيات أبو عبد الله المفجعُ رحمه الله ، في حدِّ العزَل من كتابه المعروف بالترجمان ، فنذكر بيتين منها في (باب الصَّباة) ، وهما :

* حنفتَ إلى رِيًّا ونفسك باعدتَ *

و : * فما حسنٌ أن تاتى الأمرَ طامعاً *

وقال في تفسيرها^(١) : « يقول : الحربُ بينك وبين قومك تمنعك من

قربها ولقائها » . وذكر مع البيتين قولَ عنترَةَ :

عَلَّقْتَهَا عَرَضاً وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا زَعَمًا لَعَمْرُ أَبِيكَ لَيْسَ بِمَزْعَمٍ

ثم جاء إلى (باب الحنين) ، فذكر ما في الأبيات ،

* وأذكرُ أَيَّامَ الحمى *

و : * وليستَ عَشِيَّاتُ الحمى برواجعٍ *

و : * بكتُ عَيْنِي - اليُمْنِي *

(١) نقل هذا النص . موجزاً التبريزي في شرحه للحماسة . وما هنا أوفى وأتم .

الأبيات ، وقال في تفسيرها : هذا كان مجاوراً لأحبابه وهم منتجعون
بجنوب الحمى^(١) فنشأت عين - والدين : سحابة تجي من ناحية القبلة -
فنشأت من عن يسار القبلة ، فارتاع لذلك ، وخشى الفرقة إذا اتصل الغيث ،
فذلك معنى قوله : بكت عيني اليسرى^(٢) ، كناية عن السحاب . وجهلها :
كثرة مطرها . وجعل ارتياحه منها زجراً لها . ثم نشأت أخرى من عن يمين
القبلة ، فأيقن حينئذ بالفراق . فذلك معنى قوله : أسبقتا معا . ثم قال معترفاً
بالبين : خل عيذك تدمعا ، يعني السحابتين . وقال جرير :

إن السواري والغواصي غادرت للريح منخرفاً بها ومجالاً .

هذا كلامه في كتابه ، وقد حكيناه على ما أورده لا زيادة فيه ولا نقصان .
وأظن أنه تذكر أبياتاً غير هذه ، ثم تصرف في تفسيرها وذكر هذه الأبيات
في أثناء تفسير ما ذكره ، ولم يأت بها . وقد أحسنت الظن مستطرفاً فعمله .
والله أعلم .

٤٥٥

وقال آخر^(٣) :

- ١ - وَنُبِّئْتُ لَيْلَى أَرْسَلَتْ بِشَفَاعَةِ إِلَى فَهَلَا نَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا
 - ٢ - أأَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَى فَتَبْتَعِي بِهِ الْجَاءَ أَمْ كُنْتُ أَسْرَأَ لَا أُطِيعُهَا
- نبي يحتاج إلى ثلاثة مفاعيل ، وقد حصلت إلى قوله « أرسلت بشفاعة إلى » .

(١) جنوب ، ضبطت بضم الجيم في النسختين . والجنوب : جمع جنب ، بمعنى الناحية .

(٢) يفهم من هذا أن رواية المنجج : « بكت عيني اليسرى » ، كما روى التبريزي
والقال . انظر ما سبق في ص ١٢١٧ .

(٣) هو الصمة بن عبد الله القشيري صاحب المقطوعة السابقة . أو هو عبد الله بن الدمينه
صاحب المقطوعة اللاحقة ، وقيل : هو المجنون . انظر شرح شواهد المغنى للسيوطي ٧٩ .

وقوله « هَلَّا نَفْسَ لَيْلِي » هَلَّا : حرفٌ تحضيض ، وهو يطلبُ الفعل ، وقد وَقَعَ في البيت بعده جملةٌ من مبتدأٍ وخبرٍ . وفارق « هَلَّا » هذه أختها « لولا » في قوله :

تَعْدُونَ عَقْرَ النَّيْبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ بِنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيِّ الْمُقْنَعَا^(١)

وذلك لأنَّ تأثيرَ الفعلِ بالنصبِ بعد لولا من البيت دلٌّ عليه ، فأثره في إضمارِ الفعلِ بعده قوى . وهذا لم يَصْلُحْ له أن يَنْصِبِ النَّفْسَ بعد هَلَّا ، فكانَ يجيئُ التقديرُ : فَهَلَّا أُرْسَلَتْ نَفْسُهَا شَفِيعَةً ؛ لأنَّ القوافيَ مرفوعةٌ ، فجعلَ ما بعده مبتدأً لَمَّا لم يتأتَّ له ما تَأْتَى لذلك^(٢) . وقد يفعلون هذا في الحروفِ المختصةِ بالأفعالِ إذا كان في الكلامِ دلالةٌ على المضمَرِ من الفعلِ . ألا تَرَى أنْ وَ يَطْلُبُ الفعلَ . ثمَّ جاءَ قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّكُمْ تَعْلَمُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَا أَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ﴾ . وعلى ذلك جاءَ إنَّ الجازمةُ الدَّالَّةُ على الشرطِ في وَقوعِ الاسمِ بعده ، وإنَّ كان يَطْلُبُ الفعلَ عاملاً فيه بالجزمِ ، وذلك نحو : إنَّ زَيْدًا أتاني أكرمته . وقول الشاعر^(٣) :

* إنَّ ذُو لُوثَةٍ لانا^(٤) *

وما أشبهه . فإن قيل : هَلَّا جملةٌ المضمَرِ بعد هَلَّا فعلاً رافعاً فيرتفعُ النَّفْسُ به لا بالابتداء ، كما يُفَعَّلُ ذلك في : إنَّ زَيْدًا أتاني أكرمته ، فيصيرُ هَلَّا

(١) هو جرير ، من قصيدة يهجوها الفرزدق . الخزانة (١ : ٤٦١ - ٤٦٢) .

(٢) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « لما يتأت لذلك » ، تحريف ونقص .

(٣) هو قريظ بن أنيف . انظر ص ٢٢ ، ٢٥ .

(٤) البيت بتمامه :

إذا لقام بنصري معشر خشن عند الحفيظة إن ذولوثة لانا

فى ذلك أجري فى بابهِ من أن يكون ارتفاعه بالابتداء؟ قلت: إن قولك إن زيد أتانى أكرمته، ارتفع زيدُ بفعلِ هذا الظاهرُ نفسيره، وأكرمته جوابُ إن، فساغَ فيه ما لم يساغَ هاهنا، لأنه ليس هاهنا شىءٌ يكون تفسيراً لذلك الفعل. وإنما جاء بدلَ الفعلِ المفسَّرِ شفيعُها، ويكون خبراً لا غير، وإذا كان كذلك لم يُمكن حملُ هذا عليه.

ومعنى البيت: خُبرتُ أن ليلى أرسلتُ إلى ذا الشفاعة^(١) فى بابها، تطأب به جاهاً عندى، مستكفية^(٢) عن ذكرها فى الشُّعر وعن إتيانها وما يجرى تجراه. ثم قال: هَلَّا جعلتُ نفسها شفيعاً. فقوله «بشفاعة» حذف المضاف وأقام المضافَ إليه مقامه، الفعلُ الذى يقتضيه هَلَّا دلَّ عليه شفيعُها، لو قال: هَلَّا نفسها شفيعُها — لكان أقربَ فى الاستعمال، إلا أنه قصدَ إلى التَّفخيم بتكرير اسمها.

ثم قال: «أأكرمُ من ليلى على»، فأتى بلفظ الاستفهام، والمراد التَّقرُّب والإنكار، كأنه أنكرَ منها استعانتها بالغير عليه، وطلبَ الشَّفيعَ فيما أرادت لديه. وقوله «فتبتغى» فى موضع النصب على أن يكون جوابَ الاستفهام بالفاء. وقوله «أم كنت» هى أم المتصلة، كأنه قال: أى هذين توهمتُ: طلبُ إنسان أكرمَ هلى منها، أم اتَّهَمُها لطاعتى لها. وخبر أكرم على «محذوف»، كأنه قال: أأكرمُ منها موجود، [أو^(٣)] فى الدنيا.

(١) ل: «ذا شفاعة».

(٢) ل: «مستكفة».

(٣) التكلة من ل.

٤٥٦

وقال آخر^(١) :

- ١ - أَمَا يَسْتَفِيقُ الْقَلْبُ إِلَّا أَنْبَرَى لَهُ تَوْهْمُ صَيْفٍ مِنْ سُعَادٍ وَمَرْبَعٍ
 ٢ - أُخَادِعُ عَنْ أَطْلَالِهَا الْعَيْنَ إِنَّهُ مَتَى تَعْرِفِ الْأَطْلَالَ عَيْنُكَ تَدْمَعُ
 ٣ - عَهْدْتُ بِهَا وَخَشَا عَلَيْهَا بَرَاقِعُ وَهَذِي وَحُوشٌ أَصْبَحَتْ لَمْ تَبْرَقِعْ

استفراق وأفاق بمعنى صحا . وانبرى : تعرض . وأراد بالصيف المصيف .
 وقوله « من سعاد » أراد من دار سعاد وأرضيها^(٢) . و « أما » هي ما النافية
 أدخل عليها ألف الاستفهام تقريرا أو إنكارا . والمراد : لا يحدث القلب بالسؤال
 والإفاقة مما تداخله من علائق حب هذه المرأة ، وتشبث به فآلهاه عن كل
 شيء ، إلا اعتراض له تذكر مصيف ومرّبع من أرضيها^(٣) بعد التوهم . كأنه
 كان يقف على منازلها فيتوهمها بآياتها وعلاماتها ، ثم يعرفها . وأكثر
 ما يذكر التوهم في الديار يعقبونه بالعرفان دون العلم . وهذا أحد ما انفصل
 به بين العلم والمعرفة ، ولهذا وأشباهه نمتنع من أن نصيف الله تعالى بأنه عارف .
 لذلك ، قال زهير :

(١) كذا في النسختين . وعند التبريزي : « وقال ابن الدمينة » . والأبيات في ديوان
 ابن الدمينة ٢٥ . والدمينة أمه ، وهي الدمينة بنت حذيفة السلولية ، وهو عبد الله بن عبيد ،
 أحد بني عامر بن تيم الله بن مبشر بن أكلب بن ربيعة بن غفرس بن خلف بن أفتل ، وهو
 خشم بن أنمار . وابن الدمينة : شاعر إسلامي رقيق النسيب ، اختار له أبو تمام في هذه الحماسة
 ست مقطوعات ، وكفى ذلك شاهداً على منزلته . انظر الأغاني (١٥ : ١٤٤ - ١٥٠)
 والآل ١٣٦ والشعراء ٧٠٩ . وقد طبع ديوانه في مصر سنة ١٣٣٧ بتحقيق محمد
 الهاشمي البغدادي .

(٢) كذا في ل بالجمع . وفي الأصل : « بأرضها » بالإفراد .

(٣) صدره : * وقفت بها من بعد عشرين حجة .

* فَلَايَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمٍ ^(١) *

وأشباهه كثير .

وقوله « تَوَهُّمٌ صَيْفٌ » حقيقة أنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، كأنه قال : تَوَهُّمٌ موضع صَيْفِيًّا ، فيكون الصَّيْفُ مصدر صَيْفْنَا بالمكان نَصِيْفٌ به صَيْفِيًّا . وقوله « مربع » يجوز أن يكون اسم المكان .

وقوله « أَخَادِعُ عَنِ أَطْلَالِهَا الْعَيْنِ » يريد أني إذا وقفتُ على آثارِ دارِها ^(٢) وجوانِبِ محلِّها رُمْتُ خَدَعَ النَّفْسِ وَالْعَيْنِ عَنِ تَأْمُلِهَا ، تفادياً مما يتسلط من الوجد بها ، ويتجدد لي من الصَّباة نحوها . ولئلا أتذكرَ بما أتفرَّسُ فيها أحوالي قَبْلَها ، لأنَّ العينَ إذا عرَفَتْها وَكَفَّتْ بالدَّمْعِ ، والنَّفْسَ إذا تَبَنَيْتَها أُشْقِيَتْ بالوجد .

وقوله « عَهْدتُ بِهَا وَحُشًا » هذا تحسُّرٌ فيما رأى الدَّارَ عليه من الاستبدالِ وَحُوشًا ، فقال : عَهْدتُ بِهَا نِسَاءً مَبْرَقَةً — يشير بذلك إلى عَفَافِهَا وَقَلَّةِ تَبَرُّجِهَا — كالوحشِ كمالاً وَحُسْنًا ، ونَقُورًا عن الرِّيبِ ، وأرى الآنَ وَحُوشًا تَحْتِيفًا فِيهَا غير مبرقة . وفي هذه الطَّرِيقَةُ قول الآخر :

بِعِزِّ عَلَى أَنْ يُرَى عِوَضَ الدُّمَى بِحَافَاتِهِ هَامٌ وَبُومٌ وَهَجْرِسٌ ^(٣)
وقوله « عليها براقع » صفة للوحش ، وكذلك « أصبحت لم تبرقع » .

٤٥٧

وقال آخر :

١ — فَيَارَبُّ إِنْ أَهْلِكَ وَلَمْ تُرَوْ هَامِي بَلِيْلَى أُمَّتْ لَا قَبْرَ أَعْطَشُ مِنْ قَبْرِى

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « ديارها » .

(٢) الهجرس : ولد الثعلب .

٢ - وإن ألك عن ليلى سلوتُ فإنما تسليتُ عن يأسٍ ولم أسألُ من صبرٍ^(١)

٣ - وإن يكُ عن ليلى غني وتجلدُ فرُبَّ غني نفسٍ قريبٍ من الفقرِ

حذف الياء من « يارب » لوقوعها موقع ما يحدث في باب النداء ، البتة ، وهو التنوين ، ولأن الكسرة تدلُّ عليه ، ولأن باب النداء باب حذف وإيجاز ، لكثرة تردده في الكلام ، وقوله « أمت » جواب الشرط . وقوله « لا قبر أعطش من قبري » الجملة في موضع الحال . وقد روي : « ترؤ » بفتح التاء ويكون الفعل للهامة ، « وترؤ » بضم التاء والفعل لله عز وجل . فيقول متأماً من برح الصبابة ، وعطش الاشتياق ، ومتشكياً إلى الله تعالى : يارب إن مت ولم أنل شفاء من دائي ، ورباً من عطشي إلى هذه المرأة مت ولا قبر لعاشق أشد عطشاً من قبري . وإنما قال : لم ترو هامتى ، لأنهم كانوا يزعمون أن عظام الموتى تصير هاماً فتطير . والأصلح في هذا المكان أن يكون جعل نفسه مُقتتلاً لحبها . ومعنى « ترو هامتى » لم تطلب دمي من قاتلي ، تبق هامتى أعطش من كل هام . وكانوا يقولون : إنه يخرج من رأس المقتول هامة فتصيح وتقول : اسقوني اسقوني ! إلى أن يدرك ناره .

وإنما آثرتُ هذا لتوحيده هامة . والروايتان في ترؤ وترؤ

معنيهما ظاهران .

وقوله « وإن ألك عن ليلى سلوتُ » قد تقدم القول في حذف النون من أكن . وجواب الشرط قوله « فإنما » بما بعده والمعنى : إن ألك في الظاهر حصل لي سلوتُ عنها لمن يتأملُ حالى ، فإنما تكلفتُ ما ظن منى سلواً لغلبة اليأس منها على ، فأما نفسى فهي كما كانت ، ذهاباً فيها وولوعاً بها . وقوله

(١) التبريزى : « عن صبر » .

« سلوت » معناه طَبَّتْ نَفْسًا . وَتَسَلَّيْتُ مَعْنَاهُ تَكَلَّفْتُ ذَلِكَ ، وَالتَّفَعُّلُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ تَكَلُّفٍ فِي أَكْثَرِ الْأَحْوَالِ ، وَكَذَلِكَ التَّفَاعُلُ ، فَأَنَّى بَسَلَوْتُ بِنَاءً عَلَى ظَهْمٍ وَاعْتِقَادِهِمْ ، وَتَسَلَّيْتُ بِنَاءً عَلَى حَالِهِ .

وقوله « وَإِنْ يَكُ عَنْ لَيْلِي غِنَى » يريد : وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُ أَمْرِي أَنِّي اسْتَفْنَيْتُ عَنْهَا بِخُلُوقِ قَلْبِي مِنْ حُبِّهَا ، أَوْ أَنِّي أَتَجَلَّدُ لِلْوَهْنِ الْعَارِضِ فِي الْأَشْتِيَاقِ إِلَيْهَا ، فَرُبَّ غِنَى نَفْسٍ يَقْرُبُ مِنَ الْفَقْرِ . وَالْمَعْنَى أَنَّ بَاطِنَ أَمْرِي بِخِلَافِ ظَاهِرِهِ . وَإِنَّمَا يُتَصَوَّرُ مَنِّي غِنَى يَقْرُبُ مِنَ الْفَقْرِ إِذَا حَصَلَ وَتَوُؤَّمَلُ . وَمَنْ رَوَى « أَمْرًا مِنَ الْفَقْرِ » فَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ وَالْفَاءُ مِنْ فَرَبَّ بِمَا بَعْدَهُ جَوَابٌ لِلشَّرْطِ . وَفَائِدَةُ رَبَّ التَّقْلِيلِ ، كَأَنَّهُ اسْتَقْلَلَّ الْحَالَاتِ الَّتِي تُشَبِّهُ حَالَهُ ، فَلِذَلِكَ أَنَّى بِرُبَّ .

٤٥٨

وقال آخر :

١ - يَوْمَ ارْتَحَلْتُ بِرَحْلِي قَبْلَ بَرْدِ دَعَتِي وَالْعَقْلُ مُتَّلَهُ وَالْقَلْبُ مَشْغُولُ

٢ - ثُمَّ انصرفتُ إِلَى نِضْوَى لِأَبْنَيْتِهِ إِثْرَ الْخُدُوجِ الْغَوَادِي وَهُوَ مَعْقُولُ

انتصب « يَوْمَ » بإضمار فعل ، كَأَنَّهُ أَرَادَ : أَذْكَرُ يَوْمَ هَذَا الْأَمْرِ وَالشَّانِ . وَأَضَافَ الْيَوْمَ إِلَى الْفِعْلِ تَشْبِيهًا لَهُ وَتَعْظِيمًا لِمَا اتَّفَقَ فِيهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ بَاغَتَهُ حَدِيثُ الْفِرَاقِ وَمَا هَمَّ بِهِ الْمَجْتَمِعُونَ مَعَهُ فِي النُّجُوعَةِ مِنَ الْارْتِحَالِ ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَحْسِبْهُ وَلَمْ يَحْدِثْ نَفْسَهُ بِهِ تَوَلَّاهُ وَخُوَّلَطَ ، حَتَّى صَارَ لَا يَدْرِي مَاذَا يَأْتِي عِنْدَ مَا هَمَّ بِهِ مِنْ تَشْيِيعِهِمْ ، وَالتَّهْيِؤُ لِلْكَوْنِ مَعَهُمْ ، فَقَالَ : أَذْكَرُ يَوْمَ أَقْبَلْتُ أَضْعُ الرِّحْلَ عَلَى النَّاقَةِ قَبْلَ الْبَرْدِ دَعَةٍ ، وَعَقْلِي فَاسِدٌ وَقَلْبِي مَشْغُولٌ بِمَا دَهَمَهُ مِنَ الْحَالِ . وَقَوْلُهُ « مُتَّلَهُ » هُوَ مُفْتَعِلٌ مِنَ الْوَالِهِ ، وَأَصْلُهُ مُؤْتَلَهُ ، فَأُبْدِلُ مِنَ الْوَاوِ تَاءً كَمَا تَقُولُ

في اتقى واتَّجِهَ وما أشبههما ، ثم أدغم إحدى التاءين في الأخرى . ويروى :
« مختَبِلٌ » والخَبِلُ : الفساد .

وقوله « ثم انصرفت إلى نضوى » تتميم إيمان حاله فيما انعكس عليه من
قصدِه ، وفسد من همّه ، فقال : ثم رجعت إلى بَعيرى لأقيمه في إثر الطَّعائن
الباكرة ، وهو مشدودُ بعقاله لم أحله . وهذا غاية ما يقال في انحلال العقدة ،
واسترخاء المسكة ، وسوء الضبط وانقلاب القلب . ومعنى أبعثه أهيججه .
والنضو : البعير المهزول . والخدوج : سراكب النساء الطاعنة . وانتصب إثر
على الظرف .

وقد سلك أبو تمام هذا المسلك فقال :

أَصَمَّي سِرِّهْمَ أَيَّامَ فُرْقَتِهِمْ هل كنت تعرفُ سرَّ أيورث الصمما
نأوا فظلت لوشك البين مقلته تَنْدَى نَجِيْعاً وَيَنْدَى جِسْمُهُ سَقَمًا^(١)
أظله البين حتى إنَّه رجلٌ لو مات من شغله بالبين ما علما

٤٥٩

وقال جران العود^(٢) :

١ - أيا كبدًا كادت عشيَّة غرَّبٍ من الشوقِ إثرَ الطَّاعنينَ تصدَّعُ
٢ - عشيَّة ما فيمن أقام بغيرٍ مقامٌ ولا فيمن مضى متسرَّعُ

(١) في الأصل : « ويبدى جسمه » ، صوابه في ل ودبوان أبي تمام ٣٠٢ .

(٢) التبريزي : « العود : المسن . والجران : باطن عنق البعير والدابة . ويقال : إن

الشاعر سمى بذلك لقوله :

خذنا حنرا يا جارقي فإني رأيت جران العود قد كاد يصلح

واسمه عامر بن الحارث . وقال أبو ريارش : هي لذى الرمة . وفي القاموس (جرن) :

وجران العود شاعر نيمري واسمه عامر بن الحارث ، لا المستورد ، وغاط الجوهري .

يروى « يا كَبِدًا » والمراد يا كَبِدِي على الإضافة ، ففرّ من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة ، فانقلبت ألفا . ويروى « يا كَبِدًا » والمراد به كبده وإن نكّرها ، بدلالة أنه وصفها بقوله « كادت عَشِيَّةَ غُرَبٍ من الشوق » ... البيت . وهذه الصفة لم تحصل إلا لها . والمراد أنه تألم مما دهمه من أمر الفراق بعد الاجتماع الحاصل في مواضع الانتجاع ، وكان المجتمعين تحزّبوا حزبين ، ارتحل أحدهما وصاحبه معه ، وأقام أحدهما بالتهيؤ والاستعداد وهو فيهم ، فالمتقدمون ليس فيهم متسرع ، لانتظارهم المتخلفين ، والمتخلفون لا مقام لهم لاستمجالهم اللّحاق بهم . فشكّا الحالة الواقعة في أثناء ذلك ، وهو مع ذلك يحنّ ويشتاق . وغُرَبٌ : موضع^(١) . وأضاف العشيّة إليه تخصيصاً . وفصل بين كاد وبين الفعل الذي تناوله بالظرف على ما اتصل به . و « إثر » انتصب على الظرف من الشوق ، و « عشيّة » من البيت الثاني بدل من العشيّة الأولى . وكما أضاف الأولى إلى غُرَبٍ تبييناً أضاف الثانية إلى قوله « ما فيمن ألام غُرَبٍ » تبييناً ، وهما عشيّة واحدة وإن اختلف مبينهما .

٤٦٠

وقال الحسين بن مطير^(٢) :

١ - لقد كنتُ جلدًا أقبل أن تُوقد النوى على كَبِدِي نارًا بطيئًا خُودها^(٣)

(١) في معجم البلدان : « ماء بنجد ثم بالشريف من مياه بني نيمر » . ثم أنشد هذين البيتين .

(٢) سبقتم ترجمته في الحماسية ٣١٩ ص ٩٣٤ . وفي الأغاني (١٤ . ١١٣) عن التوزي قال : قلت لأبي عبيدة : ما تقول في شعر الحسين بن مطير ؟ فقال : والله لو ددت أن الشعراء قاربته في قوله : مخرصة الأوساط » وأنشد هذا البيت والذي بعده . وقد ساق أبو علي القالي أبيات الحسين بن مطير هذه في الأمل (١ : ١٦٥) كاملة .

(٣) بين هذا البيت وتاليه عند القالي :

وله تركت نار الهوى لتضرمت ولكن شوقا كل يوم يزيدها

٢- وقد كنت أرجو أن تموت صبا بتي إذا قدمت أيامها وعهودها
يقول: كنت قوی النفس ، ثابت القلب ، راجح العقل ، صبورا في
الشدائد ، قبل أن يبلت بفراق الأحبة ، فلما أوقدت نيتهم التي انتووها نار
الصبا بة على كبدی فأبطأ سكونها ضعفت عن الثبات لها ، وظهر عجزی عن
تحمل أعبائها ، وقد كنت أومل إذا أتت الأيام على ما أقاسيه ، واستمرت
النفس في التألم تارة وفي التصبر أخرى ، أن يتنقص ذلك صبا بتي ، وأن قدم
الأيام وانحاء العهود يؤثر في تسكين نائرتها ، ويبطل ما تسلط على من أذاها
ومكرودها . وقوله « إذا قدمت » ظرف لمتوت صبا بتي .

٣- فقد جعلت في حبة القلب والحشا عهاد الهوى تولى بشوق بعيدها^(١)

يريد أن ما كان يرجوه من سكون صبا بته قد ازداد ، لأنها صيرت في
حبة القلب وأحشائه أمطار الهوى ، تجدد وتنبع بولي من الشوق يردها كما
كانت ، وانتصب « عهاد » على أنه مفعول أول لجمعت . وتولى بشوق في
موضع المفعول الثاني ، ويعيدها في موضع الصفة للشوق . ومعنى « تولى »
تمطر الولي . والولي المطرة الثانية لأن الأولى منها تسمى الوسمى . والعهاد :
جمع العهد ، وهو المطر الذي يجي هولما تقدمه عهد باق لم يذهب . وحبة القلب
هي العلفنة السوداء في جوفه . ويروي « عهاد الهوى - بالرفع - يولى -
بالياء - بشوق بعيدها ، بالياء^(٢) » ، فيكون معنى جعلت طفقت وأقبلت ،
ويكون غير متعد ، ويرتفع عهاد بجمعت ، ويعيدها يقوم مقام فاعل يولى .
فيكون المعنى : فقد طفقت أوائل هواها يمطر أبعدها بشوق يجددها .

(١) بعده في الأمالي :

لمرتجة الأطراف هيف خصوصها عذاب ثناياها عجاف قيودها

(٢) التبريزي : « وتعلب يروي : بعيدها » .

- ٤ - بِسُودٍ نَوَاصِيهَا وَحُمْرٍ أَكْفُهَا وَصُنْفَرٍ تَرَاقِيهَا وَبَيْضٍ خُدُودُهَا
 ٥ - مُخَصَّرَةَ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ عُقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا
 ٦ - يَمْنَيْنِنَا حَتَّى تَرِفَ قُلُوبُنَا رَفِيفَ الْخَزَامِيِّ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا^(١)

الباء من قوله « بسود نواصيها » يجوز أن يتعلق بقوله تموت صبايتي ، ويجوز أن يتعلق بجعلت إذا ارتفع عهد الهوى به يريد : جعلت العهد تفعل هذا بسبب نساء هكذا . وإنما جاز أن يجمع سود وحمراً وغيرها وإن ارتفع ما بعدها بها ، لأن هذه الجموع لها نظائر في هذه الأسماء المفردة^(٢) ، ولو كانت جموع سلامة أو ما لا نظير له في الواحد لما جاز جمعها . تقول : مررت برجالٍ ظرافٍ آباؤهم . ولو قلت : ظرافين آباؤهم ، لم يجز .

وقوله « مخصرة الأوساط » يريد أنها دقيقة الخصور ، غير واسعة الجنوب وأن قلائدها وحليها تكتسب من التزيين بها إذا علقت عليها ، أكثر مما تكتسبه منها إذا تحلّت بها .

وقوله « يمنيّننا » يصف لطاقتهن في مواعيدهن ، وتقريبهن أمر الوصال بينه وبينهن ، وأنها لا تزال تُمنى وتضمن من حسن الإجابة ما يصير للقلوب به بريق ونضارة ، كبريق الخزامى إذا بقي ليلته بطل بالجوّد ، والرّيف كثرة الماء في النبات ونضارتها . ومعنى « حتى ترف » إلى أن ترف .

(١) بعده في الأمل :

وفيهن متلاق الوشاح كأنها مهابة بتربان طويل عقودها
 قال أبو علي : « يريد موضع العقود ، وهو العنق » .

(٢) ل : « في الأسماء المفردة » .

٤٦١

وقال أبو صخر الهذلي^(١) :

١- أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأخيا والذي أمره الأمر
 ٢- لقد تركتني أحسد الوحش أن أرى أليفين منها لا يروعهما الذعر^(٢)
 تكريره للذي ليس بتكثير للأقسام ، لأن اليمين يمين واحدة بدلالة أن
 لها جوابا واحداً ، ولو كانت أيمانا مختلفة لوجب أن يكون لها أجوبة مختلفة ،
 وفائدة التكرير التّفخيمُ والتهويل . وعلى هذا إذا قال القائل : والله والله لقد
 كان كذا ، فاليمين واحدة . وما في القرآن من قوله : ﴿ وَلَلَّيْلُ إِذَا يَغْشَى .
 وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى . وَمَا خَقَّ الذِّكْرَ وَلَا نُشَى . إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴾ مثله . على
 أن ما في البيت من اختلاف الأفعال الداخلة في الصلوات جعل الكلام أحسن ،
 والتّفخيمُ أبلغ . وجواب القسم « لقد تركتني » ، وفاعل تركتني ضمير المرأة
 المستكن فيه . والمعنى : أرى إذا تأملت الوحوش وهي تأتلف في سرايها
 ومُتصرّفاتها اثنين اثنين ، لا يفزعها رقيب ، ولا يدخل فيما بينها تنفير ،
 حسدتها وتمنيت أن تكون حالتى مع صاحبتى كحالها في الأفاها .

وقوله « أحسد الوحش » في موضع الحال ، وأن أرى ، في موضع البدل
 من الوحش . وقوله « لا يروعهما » في موضع الصفة لأليفين ، لأن أرى من
 رؤية العين ، ويكتفى بمفعول واحد ، وهو أليفين .

(١) سبقتم ترجمته في الحماسية ١٠٩ ص ٣٢٧ . وقصيدة أبي صخر رواها القالى في
 أماليه (١ : ١٤٨ - ١٥٠) .
 (٢) التالى : « وقد تركتني أغبط الوحش » .

٣ - فَيَا حُبَّهَا زِدْنِي جَوَى كُلِّ لَيْلَةٍ وَيَا سَلْوَةَ الْعُشَاقِ مَوْعِدُكَ الْحَمِيرُ^(١)
 ٤ - عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا فَلَمَّا انْقَضَى مَا بَيْنَنَا سَكَنَ الدَّهْرُ
 تَجَلَّدَ فِي الْهَوَى وَادَّعَى اللَّذَاذَةَ بِهِ ، حَتَّى اسْتَزَادَ مِنْ أَجْزَاءِ الْجَوَى الْحَاصِلِ
 لَهُ ، وَهُوَ دَاهِ الْجَوْفِ ، مَا يَبْتَضَاعُ بِتَجَدُّدِ الْأَوْقَاتِ ، وَاسْتَبَعَدَ التَّسْلِيَّ مِنْهَا
 حَتَّى جَعَلَ الْمَوْعِدَ بَيْنَهُمَا يَوْمَ النَّشْرِ . وَهَذَا غَايَةُ التَّفَقُّتِ فِي الْهَوَى ، وَالتَّصَبُّرِ
 عَلَى الرَّدَى .

وقوله « عَجِبْتُ لِسَعْيِ الدَّهْرِ » يجوز أن يريد به سُرْعَةَ تَقْضِي الْأَوْقَاتِ .
 مُدَّةُ الْوَصَالِ بَيْنَهُمَا ، وَأَنَّهُ لَمَّا انْقَضَى الْوَصْلُ عَادَ الدَّهْرُ إِلَى حَالَتِهِ فِي الشُّكُونِ .
 وَهَذَا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي اسْتِقْصَارِ أَيَّامِ السَّرُورِ وَاللَّهْوِ ، وَاسْتِطَالَةِ أَيَّامِ الْفِرَاقِ
 وَالْهَجْرِ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِسَعْيِ الدَّهْرِ سِعَايَةَ أَهْلِ الدَّهْرِ وَإِبْقَادَهُمْ نَارَ الشَّرِّ
 بَيْنَهُمَا بِالنَّمَائِمِ وَالْوِشَايَاتِ ، وَأَنَّهُ لَمَّا فَتَرَتْ أَسْوَاقُهُمْ بِالتَّهَاجُرِ الْوَاقِعِ مِنْهُمَا ، وَارْتَفَعَ
 مُرَادُهُمْ فِيمَا طَلَبُوهُ مِنَ الْفَسَادِ بَيْنَهُمَا ، سَكَنُوا . وَكَمَا أَرَادَ بِسَعْيِ الدَّهْرِ سَعْيَ
 أَهْلِ الدَّهْرِ ، كَذَلِكَ أَرَادَ بِسُكُونِ الدَّهْرِ سُكُونِ أَهْلِ الدَّهْرِ .

٤٦٢

وقال^(٢) :

١ - بِيَدِ الَّذِي شَعَفَ الْفُؤَادَ بِكُمْ تَفْرِيجُ مَا أَلْقَى مِنْ الْهَمِّ^(٣)
 ٢ - وَيُقِرُّ عَيْنِي وَهِيَ نَارِحَةٌ مَا لَا يُقِرُّ بِعَيْنِ ذِي الْحِلْمِ

(١) كتب في الأصل تحت كلمة « العشاق » : « الأيام » . ورواية التبريزي والقالى :
 « وياسلة الأيام » .

(٢) أى أبو صخر الهذلي . والأبيات بهذه النسبة في الأغاني (٢٠ : ١٤٧ - ١٤٨)

(٣) الأغاني . « فرج الذى ألقى » . كما أن الرواية فيها « شغف » بالعين المعجمة .

الذي شَعَفَ القلب به من زعمه هو الله تعالى . ومعنى شعف الفؤاد : أصاب شَعَفَتُهُ . وشَعَفَتُهُ كلُّ شيءٍ أعلاه . وقوله « بكم » أراد بحبِّكم ، ويقال : فلانُ مشعوف بكذا ، إذا شَغِلَ قلبه به وأصيب . وارتفع « تفرّيج » بالابتداء ، وخبره بيد الذي ، على طريقة سيديويه ، وعلى مذهب أبي الحسن الأخفش ارتفع تفرّيج بالظرف ، والمعنى : بيد الله الذي ابتلاني بكم ، وشغَلَ قلبي بحبِّكم ، كَشَفُ ما أقاسيه من الهمِّ . وهذا للشاعر في الهوى على الضدِّ ممن تقدّم ذكره ، لأنَّ شكواه في نهاية القوة والعلوِّ ، كما أن التّذاذَ ذاك في نهاية الجِدَّةِ والغلوِّ .

وقوله « وُبِقِرْتُ عيني وهي نازحة » يريدُ أنه يسرّه فيها على بعدها منه مالا يسرُّ به عاقل . وإنما فَبَّه بهذا على شِدَّةِ تَمَنُّعِها ، وعلى قوَّةِ يأسِهِ منها ، حتّى أنه مع البعاد إذا أخطر بباله شيئاً من أحوالها التي يُشاركه فيها ، عدّه مرزئةً منها^(١) ، واستمتاعاً بها . وقد شرح ذلك فيما بعده . وقد روى بعضهم : « بعين ذى الحلم » بضم الحاء ، وليس بشيء .

٣ - إني أرى وأظنُّ أن ستري وضح النهارِ وعالي النّجم - لك أن تروى « أني » وتجعله في موضع الرفع بدلاً من « مالا يُقِرُّ » ؛ ولك أن تكسر إن ، كأنك تستأنف شرح ماقدّم ، وتفصل ما أُجمل . ويكون للمعنى : يُقِرُّ عيني أني أرى بياض النهارِ وعالي الكواكب بالليل ، وهو أضوؤها وأغلنها^(٢) ، وأظنُّ أنها تُشاركني في رؤيتها ، فأفرحُ بذلك ، وهذا ممّا لا يفرحُ به عاقل ، ولا يفتدّه لذة . ويروى والمعنى ما بيّنته ، على غير هذا ، وهو :

إن الذي ساظنُّ أن ستري وضح النهارِ وعالي النّجم -
فيرتفع وضحُ على أن يكون خبر إن ، وأتى بعالي النّجم على أصله فضم

(١) رزاه مرزئة : أصاب منه خيرا .

(٢) ن : « وأغلها » .

الياء منها . والمعنى ذلك المعنى ، إلا أنه زاد الظن تراخياً بإدخال السين عليه .
ويُرَوَى :

إِنِّي أَرَى وَأُظُنُّ أَنْ سَتَّرِي وَضَحَ النَّهَارِ عَوَالِي النَّجْمِ^(١)

فَيَنْتَصِبُ وَضَحَ عَلَى الظَّرْفِ ، وَعَوَالِي عَلَى أَنَّهُ مَفْعُولُ أَرَى . والمعنى : أرى
الكواكب ظهراً ، فيما أقاسيه من بَرِّحِ الهوى ، وأظنُّ أنها ستمتحن في
حُبِّها لي بمثل ما امتحنت في حُبِّي لها ، وأن أسباب الهوى تُفارقني وتعود إليها ،
فَتَرَى مِثْلَ مَا أَرَى ، فَأَفْرِحُ بِذَلِكَ وَتَطْيِبُ لَهُ نَفْسِي ، وهذا مما لا يفرحُ به عائل .

٥ - وَلَلَّيْلَةُ مِنْهَا تَعُودُ لَنَا فِي غَيْرِ مَا رَفَّتِ وَلَا إِثْمَ

٦ - أَشْهَى إِلَى نَفْسِي وَلَوْ نَزَحَتْ مِمَّا مَلَكَتُ وَمِنْ بَنِي سَهْمِ

نَبَّهَ بهذا الكلام على تهالكه في هواها ، وتناهي صبايته بها ، وأن
اليسير إذا عاد عليه منها عدّه كثيراً . وقد أظهر العفاف في بلواه ، وأنه يتمنى
ما يتمنى فيها حلالاً لا حراماً ، فيقول : وَلَلَّيْلَةُ مِنْ أَوْقَاتِهَا تَحْصُلُ لَنَا فِي غَيْرِ
فُجْشٍ تُذْكَرُ بِهِ ، أَوْ إِثْمٍ تَسْكُتُ بِهِ ، أَلذُّ إِلَى نَفْسِي وَأَطْيَبُ فِي قَلْبِي مِنْ
مِلْسِكِي كُلِّهِ ، وَمِنْ عَشِيرَتِي بِأَسْرَمِ .

وقوله « أشهى إلى نفسي » في موضع المبتدأ ، وهو وليلةٌ منها . وقوله ولو
نزحت شرطٌ فيما تمنى حصوله ، وقد فصل بها بين أشهى إلى نفسي وبين ما مَلَكَتُ
أى وإن بعدت تلك الليلة فعادت إلى أولى أحوالها في التمتع على التفصي منى .

٧ - قَدْ كَانَ صُرْمٌ فِي الْمَمَاتِ لَنَا فَمَجَلَّتْ قَبْلَ الْمَوْتِ بِالصَّرْمِ

٨ - وَلَمَّا بَقِيَتْ لَيِّبَقَيْنِ جَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ مُضْرِعِ جِسْمِي

(١) هي رواية التبريزي ، لكن آخر البيت عنده : « وعالي النجم » .

٩ - فَتَعَلَّمِي أَنْ قَدْ كَلِمْتُ بِكُمْ ثُمَّ أَفْعَلِي مَا شِئْتِ عَنْ عِلْمٍ

عاد إلى مخاطبتها ، بعد أن تألم مما تألم ، فقال يعتب عليها :

قد كان لنا في الموت قطيعةً وافتراق ، لكِنَّكَ لم تصبري إلى حين وقوعه ، ولم تنتظري نزوله ، فتعجَّلتِ الشرْمَ قبل الموت ، فلا جرَمَ أن بينَ جوانحي داءٌ يبقى مُدَّةَ بقاى فيها ، ويُذِيبُ جِسمي ، وَيَكْسِفُ بَالِي .

وقوله « ولَمَّا بَقِيْتُ » أدخل اللام الموطئة للقسم على ما بقيت ، وهو مصدرٌ في موضع الظرف ، إِمَّا يَتَضَمَّنُ من معنى الشرط . وقوله « لِيَبْقَيْنَ جَوِّي » جوابُ القسم المضمَر ، والكلام كأنه : ائِنَّ بَقِيْتُ لِيَبْقَيْنَ جَوِّي ؛ لِأَنَّ المعنى : وَلَمُدَّةَ بَقَاى لِيَبْقَيْنَ جَوِّي . فمحصول الكلام يعود إلى ذلك .

وقوله « فَتَعَلَّمِي أَنْ قَدْ كَلِمْتُ بِكُمْ » يضعون تعلم موضع اعلم ، إلا أن المخاطب ليس له في الجواب أن يقول تعلمت ، لكن يقول : علمت . والمعنى : اعلمي كلفني بكم ، وانحطاطي في هواكم ، وكُنْتَهُ ما أفاسيه في حبِّكم ، ثم آثري في بابي ما أردت بعد علمك بالحال ، لِأَنَّ الذي أطلبه رضاك ، ثم لا أبالي بما يلحقني من بقاء أو فناء ، أو سراء أو ضراء .

٤٦٣

وقال آخر (١) :

١ - إِنْ الَّتِي زَعَمْتَ فَوَادَكَ مَلَمَّا خُلِقْتَ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتَ هَوَى لَهَا

٢ - بَيْضَاءُ بَاكَرَهَا النَّعِيمُ فَصَاعُهَا بَلْبَاقَةٌ فَادِقُّهَا وَأَجَّأَهَا

يقول : إِنْ المَرَأَةَ الَّتِي ادَّعَتْ عَلَيْكَ مَلَالَ قَلْبِكَ مِنْهَا ، وَإِعْرَاضَكَ عَنْهَا ،

(١) وكذا وردت الأبيات بدون نسبة في أمالي النقال (١ : ١٥٦) . وعند التبريزي :

« وقال آخر . قال أبو رياش : هي لابن أذينة » وابن أذينة هذا هو عروة بن أذينة .

وَرَيْدَتِكَ فِي اسْتِبْدَالِكَ بِهَا ، خُلِقَتْ هَوَى لَكَ كَمَا خُلِقَتْ أَنْتَ هَوَى لَهَا .
وَالْمَعْنَى أَنَّ دَعْوَاهَا تَجَنُّ مِنْهَا ، وَتَسَخُّطُ لِمَا يَظْهَرُ مِنْ شَعْفِكَ بِهَا ، وَهِيَ لَكَ
لَا انْفِكَكَ لِقَلْبِكَ مِنْ عَشَقِهَا ، كَمَا تَدْعَى أَنَّهَا لَكَ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ ، فَأَنْتَ تَهْوَاهَا
كَمَا أَنَّ تِلْكَ تَهْوَاكَ ، لَا مَرِيَّةَ فِي ذَلِكَ وَلَا شَكَّ .

وقوله « بيضاء باكرها النميم » يريد أنها نشأت في النعمة والنعمة ، وأن
خفض العيش ربها وحسن خلقها بحذق ولباقة ، فجعل محاسنها مرتبة بين
ما يستحب دقتها ، وبين ما يستحب فخامتها . ومعنى « باكرها » سبق إليها
في أول أحوالها ؛ لأن البكور : اسم لا ابتداء الشيء ؛ على ذلك باكورة الربيع .
واللباقة : الحذق ؛ يقال : هو لبق ولبيق ، أى حاذق . ومعنى أدقها وأجلها :
أتى بها دقيقة جليلة ، فَمَا يُسْتَحَبُّ دَقَّتْهَا مِنْهَا مِثْلُ الْأَنْفِ وَالْعَيْنِ وَالشَّفْرِ
وَالْخَصْرِ جَعَلَهَا دَقِيقَةً ، وَمَا يُسْتَحَبُّ جَلَّالَتُهَا مِنْهَا مِثْلُ السَّاقِ وَالْفَخِذِ وَالْعَجْزِ
وَالصَّدْرِ جَعَلَهَا جَلِيلَةً . وهذا كما قال الآخر (١) :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَّرَتْ وَأَكْمَلَتْ فلو جُنَّ إِنْسَانٌ مِنَ الْحَسَنِ جُنَّتِ
وكما قال :

يَمَانِيَّةٌ تَلِمُ بِنَا فُتْبِدِي دَقِيقَ مُحَاسِنٍ وَتُكِنُّ غَيْلًا (٢)
٣ - حَجَبَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقْلَمَهَا
٤ - وَإِذَا وَجَدْتُ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةٍ شَفَعَ الضَّمِيرُ لَهَا إِلَى فَسَلَهَا (٣)
كأنها لما لامته في ملاله وظهور التسلي منه ، هجرته وأقبلت لا تقبل
تحية (٤) ولا ترد جوابها . فيقول : لما أعرضت وتحجبت عن رسلي ، وأظهرت

(١) هو الشنفرى . البيت ١٢ من المفضلية ٢٠ .

(٢) البيت لوضاح اليمن . سبق في ص ٦٤٣ .

(٣) التبريزى : « شفَعَ الضمير لهما إلى فسَلَهَا » .

(٤) كذا في ل . وفي الأصل : « تحية » .

اطَّرَاحَ وَدَّى ، قلتُ متأسِّفًا ومتعجبًا : ما كان أكرها لنا حين كانت متوفِّرة علينا وما أقلها لنا السَّاعةَ وقد زهدتَ فينا هذا الزُّهدَ المُسرِفَ ، وضجرتَ بنا الضجْرَ المُفرطَ . والذي استكثره واستقله هو نيلها وميلها . هذا إذا جعلتَ الضمير من « أكرها » و « أقلها » راجعاً إلى المرأة ، ويجوز أن يرجع الضمير إلى التحيَّة ، والمراد : ما كان أكرها لنا لو حصلتَ ، إذ كان فيه مساكُ أرماقنا ، وحياةُ قلوبنا . وما كان أقلها في نفسها . وهذا كما قال الآخر :

إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْثُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِمَّنْ يُحِبُّ الْقَلِيلَ

وقوله « وإذا وجدتُ لها وساوس سلوة » يبيِّن به استحكامَ حبِّها في قلبه ، وأنه كلما تداخله ضجْرٌ بدالها وتأبَّيها ، لحدتَ نفسه بالتسلى عنها والتصبُّرُ دونها ، أقبلتَ دواعي الليل إليها ، والأسبابُ المتسلطة على قلبه والمشملة على لُبِّه ، ولها تشفُّعٌ وتعصُّبٌ ، فنزعتُ ما خطر ، بالبال من ذلك ، وصارت شوافعُ الضمير أغلب على تدبيره ، وأملكَ لتصرفاته ، حتَّى يصير الحكمُ لها ، والغلبُ لقضاياها . وفي طريقته قول كثير :

أُرِيدُ لِأَنْسَى ذِكْرَهَا فَكَأَنَّمَا تَمَثَّلُ لِي لَيْلَى بِكُلِّ سَبِيلِ

٤٦٤

وقال آخر :

١ - أَمَا وَالَّذِي حَجَّتْ لَهُ الْعَيْسُ وَأُرْتَمَى لِمَرْضَاتِهِ شَعْتُ طَوِيلٌ ذَمِيلُهَا
٢ - لَيْتَن نَائِبَاتُ الدَّهْرِ يَوْمًا أَدْلَنَ لِي عَلَى أُمَّ عَمْرٍو دَوْلَةً لَا أُقِيلُهَا

افتتح كلامه بأما ، ثم أقسم بالله ، لأن الذي قصدت العيسُ بيته ، وطلبتِ الحُجَّاجُ العُزْبُ الوجوه الطَّوَالُ الذمِيلُ مَرْضَاتِهِ ، هو الله تبارك وتعالى .

واللام من « لئن » هي الموطئة للقسم ، وجواب القسم « لا أقيلها » .
 والمعنى : والله لئن جعلت نوابب الدهر لي دولةً على أمّ عمرٍو أعددتُ ذلك
 ذنباً لا أقيلها منه . فالضمير من لا أقيلها يرجع إلى الفائبات ، كأنّ لذته كان
 في الهوى ، وأن يكون لتلك عليه البسطة في الأمر ، والتمكّن^(١) من التصريف
 فيما يسوءه أو يسره ، فإذا تغير الأمر عن ذلك عدّه شقاءً وضرراً فادحاً . وهذا
 الوجه حسن . ويجوز أن يكون الضمير يعود إلى المرأة ، فيكون المعنى : إني إن
 صارت لي اليد عليها ، وجعلت أملك من أمرها مثل ما تملك من أمرى جازيتها
 حينئذٍ بما تعاملني به ككيل الصّاع بالصّاع ، وتركبتها لا أنعشها من صرعها ،
 ولا أقيلها عثرتها . وهذا المعنى إذا قايسته إلى ما تقدّم ذكره كان منجطاً عنه ،
 وواقعاً دونه ، وفيه إظهار العجز عن مكابدة الصّباية ، والتصريح بسوء الملكة .
 ومثل هذه الطريقة لا يرتضيها أرباب الهوى ، والحكام على مدعى العشق ولهم .
 ومعنى « أدلّني » جعان لي دولةً . ويروى : أدرن لي « فينتصب دولة على
 أنّه مفعول به . والدائرات كالدائرلات لا فضل . ومن روى « أدلّني لي »
 انتصب دولةً على أنّه مصدر ، فيكون موضوعاً موضع الإدالة . ويقال : أدالك
 الله من عدوك ، أي جعل لك عايبه دولةً .

٤٦٥

وقال آخر :

- ١ - وكنت إذا أرسلت طرفك رائداً نقلبك يوماً أتبتك المناظر
 ٢ - رأيت الذي لا كُله أنت قادرٌ عليه ولا عن بعضه أنت صابر^(٢)

(١) ل : والتمكين .

(٢) ل : « الذي ما كنه » .

الرَّائِدُ : الذي يتقدم القومَ فيطلبُ لهم الماءَ والكلأَ ، ولذلك قيل في المثل :
« لا يكذبُ الرَّائِدُ أهله » لأنَّه إن كذَّبَهُمْ مَلَكَ معهم . فيقول : إنك إذا
جعلتَ عيْنك رَائِدًا لِقَابِكَ تَطْلُبُ له مَصَبًا هَوَاهُ ، ومَقَرَّ لِهَوَاهُ وصِبَاهُ ، أتعَبْتِكَ
مناظرُها في مَطَالِبِكَ ، وأوقعتك موارِدُها في أشقِّ مكارِهك ؛ وذلك أنها تهجم
بالقلب في ارتياده لها على ما لا يبصر في بعضه على فراقه مع مَهَيِّجاتِ اشتياقه ،
ولا يقدرُ على السُّلُوِّ عن جميعه مع تذكُرِ غرائبِ الحسن منه ، فهو الدَّهْرُ ممتَحِنٌ
ببلاوى ما لا يقدرُ على كَلِّه ، ولا يبصرُ عن بعضه . والجنايَة فيهما للعين ،
لكونها قائداً للفؤاد إلى الرَّدَى وسائقاً ، وهادياً لدواعي الحبِّ إليه وحادياً .

وقد ألمَّ بهذا المعنى أبو تمام حيث يقول :

لم تَطْلُعِ الشَّمْسُ المُضِيئَةُ مُذْ رَأَتْ عَيْنِي خِلالَ الخِدرِ شَمْسًا تَقْرُبُ
لأَعْدَبَنَّ جُفُونِ عَيْنِي إِنَّمَا بِجُفُونِ عَيْنِي حَلَّ ما أتعذبُ (١)

وأبين من هذا قول الآخر :

ألا إِنَّمَا العَيْنانِ للقلبِ رَائِدُ فما تَأَلَّفِ العَيْفانِ فالقلبُ يَأَلْفُ

وقوله « رَائِدًا » انتصَبَ على الحال ، وجواب إذا أرسلت « أتعبتك
المناظر » . وقد حصل خبر كُنت فيه ومعه . وقوله « رأيت الذي » تفصيلٌ
لما أَجْمَلَهُ قوله « أتعبتك المناظر » .

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « حال ما أتعذب » .

٤٦٦

وقال الصمة بن عبد الله القشيري^(١) :

- ١ - أقول لصاحبي والعيس تهوي بنا بين المنيفة فالضمار^(٢)
 ٢ - تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار
 العيس : بياض في ظلمة خفية . والعرب تجعله في الإبل العراب خاصة .
 والمنيفة : موضع ، أو هضبة مرتفعة^(٣) . ومنه : أناف على كذا ، أي أشرف ،
 وقولهم : مائة ونيف . والضمار : مكان أو وادٍ منخفض يضم السائر فيه ،
 لذلك قال الأعشى :

نرانا إذا أضمرتك البلا د نجني ونقطع منا الرحم

ومنه قيل للعدة المسوفة : الضمار ، وقيل لما لا يُرجى رجوعه من المال :
 الضمار . قال :

* وعينه كالكالي الضمار^(٤) *

يذمه بأن حاضره كغائبه . يقول : إنني أجارى رفيقي وأبائه قصتنا ،
 والرواحل تسرع بين هذين الموضعين ، وأقول في أثناء ذلك متاهفاً : استمتع
 بشم عرار نجد ، فإننا نعدمه إذا أمسينا بخروجنا من أرض نجد ومفابته .

(١) التبريزي : « وقال آخر » . « الصمة هذا غير والد دريد . وقد سبقت ترجمة الصمة
 ابن عبد الله في المقتوعة ٤٥٤ ص ١٢١٥ .

(٢) انكلى ١٤٠ : « تخي » . والأبيات في زهر الآداب (٣ : ١٠٣) ومعجم
 البلدان (الضمار ، المنيفة) بدون نسبة . ونسبت في معاهد التنصيص (٢ : ٨٥) للصمة ، ثم
 قال : وقيل : الأبيات لجمدة بن معاوية بن حزم العقيلي . وفي الوساطة ص ٣٤ ستة أبيات
 منها بلا غزو .

(٣) في معجم البلدان أنه ماء لتيم على فليح ، بين نجد واليمامة .

(٤) انظر سفايمس الالة (٥ : ١٣٢) .

والشَّمِيمُ : مصدر ، وأكثر ما يحىءُ فعملٌ مصدرًا في الأصوات ، كالحصَّييل
والشَّحِيحِجِ ؛ ومثله العذِيرُ والنَّكِيرُ . ويقال : تَمَتَّعْتُ بكذا ومن كذا .
والعَرَّارُ : بقلةٌ صفراءُ ناعمةٌ طيبةُ الرِّيحِ ، والواحدة عَرَّارَةٌ . قال الخليل :
العَرَّارَةُ البهارةُ البريَّةُ ، وقيل هو شجر . وقد شَبَّه لَوْنُ المرأةِ بها . قال الأعشى :

بَيْضَاءَ صَحْوَوَاتِهَا وَصَفَّ رَأْيَ الْعَشِيَّةِ كَالعَرَّارَةِ

وقوله « مِنْ عَرَّارٍ » مِنْ لاسْتَفْرَاقِ الْجِنْسِ ، وموضع « مِنْ عَرَّارٍ » رفع
على أن يكون اسمَ ما . والواو من قوله « والعيس تهوى بنا » واو الحال ، وموضع
« تَمَتَّعَ مِنْ شَمِيمٍ » نصبٌ لأنه مفعولٌ أقولُ . وقوله « بَيْنَ الْمُنَيْفَةِ فَالضَّمَّارِ »
أجود الروايتين « بَيْنَ الْمُنَيْفَةِ وَالضَّمَّارِ » ، لأنَّ بَيْنَ يَدْخُلُ لِشَيْئَيْنِ يَتْبَايِنُ أَحَدُهُمَا
عَنِ الْآخَرِ فَصَاعِدًا ، وإذا كان كذلك لا يكتبي بقوله الْمُنَيْفَةِ فَيُرْتَبِ عَلَيْهِ الضَّمَّارُ
بِالْفَاءِ الْعَاطِفَةِ ، اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَ الْأَجْزَاءِ « الْمُنَيْفَةِ » فَتَصِيرُ الْمُنَيْفَةُ كَأَسْمِ
الْجَمْعِ ، نَحْوِ الْقَوْمِ وَالْعَشِيرَةِ وَمَا أَشْبَهَهُمَا . وعلى هذا جِئْتُ قَوْلُ امْرِئِ الْقَيْسِ :

* بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوَمَلٍ ^(١) *

وكان الأصمعي يردُّه ويرويهِ بالواو .

- ٣ - أَلَا يَا حَبْدًا نَفَحَاتُ نَجْدٍ وَرِيًّا رَوْضِهِ غِبَّ الْقِطَارِ ^(٢)
٤ - وَأَهْلُكَ إِذْ يَحُلُّ الْحَيُّ نَجْدًا وَأَنْتَ عَلَى زَمَانِكَ غَيْرُ زَارِ
٥ - شُهُورُهُ يَنْقَضِينَ وَمَا شَعَرْنَا بِأَنْصَافٍ لَهْنٍ وَلَا سِرَّارِ ^(٣)

(١) البيت أول معلقة امرئ القيس . وهو بتمامه :

قننا نبلك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

(٢) ل والتبريزي : « بعد القطار » .

(٣) ضبطت السين بالفتح والكسر في الأصل والتبريزي . وسيأتي في التفسير أن

الأفصح الفتح .

ألا : حرفٌ لافتتاح الكلام ، والمبادئ في يا حَبْدًا محذوف كأنه قال يا قومٍ أو يا ناس ، حَبْدًا نَفحات نجد . وارتفع نَفحاتٌ بالابتداء ، وخبرُهُ حَبْدًا ، كأنه قال : محبوبٌ في الأشياء نَفحاتٌ نجدٍ ، وهو تَضَوُّعُ الرِّيحِ بالنَّسيمِ الطيب . ويقال : له نَفحةٌ طَيِّبةٌ وخبيثة . وقوله « رِيًّا رَوْضِهِ » يراد بها الرَّائحةُ هنا . وارتفع قوله « وأهلك » عَطْفًا على وَرِيًّا ، وهما جميعًا معطوفانِ على « نَفحاتٌ » وكأنه قال : وحَبْدًا أزمانُ أهلكَ حينَ كانوا نازلين بنجدٍ وأنت راضٍ من الزَّمان ، لمساعدته إِيَّاكَ بما تهواه وتريده ، فلا تَعَيِّبه ولا تَشكوه . ويقال : زَرَيْتُ عليه ، إذا عَيَّبْت عليه ؛ وَأَزْرَيْتُ به ، إذا قَصَّرْت به . وقوله « وأنت » الواو واو الحال ، وارتفع « مشهورٌ » على أنه مبتدأ ، وهو تفسير الزَّمان الذي حَمَدَهُ وتلَّهَّنَ على انقضائه . وقوله « ينقضين » خبره . ويجوز أن يرتفع مشهور على أنه خبر مبتدأ محذوف ، وما ينقضين حينئذ يكون صفةً له . وقوله « وما شَعَرْنَا » أي ما علمْنَا . يقال : شِعْرَةٌ وشِعْرًا . ومنه الشُّعْر . يقال : شَعَرَ الرَّجُلُ ، إذا قال الشُّعْر ، فَشَعِرَ بكسر العين أي صار شاعِرًا . وسَرَّارُ الشَّهْرِ : آخِرُهُ ؛ لأنَّ القَمَرَ يَسْتَدِيرُ فيه . وقد حُكِيَ كسر السين فيه ، وليس بكثير . والمعنى : يا قومُ ، محبوبٌ فيما تقضى نَسِيمُ أرواح نجدٍ ورواحِ رِياضِهِ عِقَبَ إتيانِ المَطَرِ عليه ، وهزُّ الرِّيحِ لغباتها . ومحبوبٌ أيضًا زمانُ أهلكَ وإقامَتُهُم بنجدٍ ، حينَ كُنتَ تَشكُرُ وقتَكَ وترتضيه ، إذ كانت شهورُهُ وأيامُهُ تنقضي وأنت لا أشعُرُ بأنصافها ، ولا بأوائها وأواخرها ، لاشتغالِكَ بلهوك ، وذهابِكَ في غفلتك . وهم يَسْتَقْصِرُونَ أَيَّامَ السَّلَامَةِ والسَّعَادَةِ ومواصلةِ الأَحِبَّةِ ، وعندَ طاعِهِ الدَّهْرِ والأقْدَارِ لهم ، كما يستطيعون ما كان على خِلافِهِ من الشُّهورِ والأعوامِ .

٤٦٧

وقال آخر :

- ١- ومما شجاني أنها يومَ أعرَضتْ تولَّتْ وماءَ العينِ في الجفنِ حائِزُ
٢- فلما أعادتْ مِن بعيدِ بنظرةٍ إلى التفاتنا أسلمته المحاجرُ

يقول مُلماً بالمعنى الذي شرحه أبو تمام حين قال :

لأودِّعَنَّكَ نُمَّ تَدَمَّعُ مُقَلَّتِي إِنَّ الدَّمُوعَ هِيَ الوداعُ الثاني
يقول: ومما حزنتي وصار نَصَبَ عَيْنِي وَحِلْفَ قَلْبِي^(١) تَذَكَّرُنيهِ الأحوالُ
فلا أنساه، وتمثله لناظري الأوقات فلا أتغاباه، أن صاحبتي يومَ الفراقِ عند
الوداعِ أعرَضتْ لي ودَمَّعُها يترقرق في جَفْنِ عَيْنِها وبتَحَيَّرٍ، لامتلائها به،
إلا أنها كانت تحبسه فلا تُسِيلُه، فلما أعادت التفاتها إلى بعد إعراضها عني،
بنظرةٍ جَدَّدتْها، أسلمت محاجرُ عَيْنِها ما اجتمع فيها من الدَّمعِ، فتحدَّرتْ في مدامعها؛
لأن ذلك كوداعٍ ثانٍ منها، وكمُتَمِّمةٍ مَتَمَّعَتْنِي بها وزيادَةَ زادٍ في الحب زودتْنيها.
وقوله « أنها » مبتدأ و « مما شجاني » خبره . ويقال : شجاه يشجوه شجواً
فَشَجِي يَشَجِي ؛ فهو شَجِي . وحر الماء والدَّمعُ ، إذا تحَيَّرَ في موضعه وقد
ملاه فلا موضعَ له . وقوله « أعرَضتْ » : أبَدتْ عُرْضَها . وخبر أن تولَّتْ .

وقوله « فلما أعادت » يجوز أن يكون التفاتاً مفعولاً أعادت ، وموضع بنظرةٍ
حالاً ، كأنه قال : لما أعادت التفاتها ناظرةً من بعيدٍ إلى أسلمته . وجواب لما
« أسلمته » ، وإلى تعلق بنظرةٍ . ولا يجوز أن يتعلق بالتفاتاً ، لأنه إذا جُمِلَ

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « خلف قلبي » .

كذلك يكون صلة المصدر وقد قُدمت على الموصول . ويجوز أن يكون بنظرة في موضع المفعول لأعادت ، والباء إن شئت جعلتها زائدة ، وإن شئت جعلتها مؤكّدة ، كما جاء في قول الآخر^(١) :

* سُودُ الْحَاجِرِ لَا يَقْرَأَنَّ بِالسُّورِ^(٢) *

وبصير « التفاتاً » مصدرأ في موضع الحال ، والتقدير : لما أعادت نظراتها من بعيدٍ إلى ملتفتةً أسننته . والهاء من أسننته للدّمع كما قدمته والمخاجر : جمع الخجير ، وهو ما يبدو من نقاب المرأة إذا تنقّبت . والكيفة حول العينين^(٣) يقال لها : التّحجير . ويقال : حجّر القمر ، إذا استدار حوله خط رقبى .

٤٦٨

وقال آخر :

١- ولما رأيت الكاشحين تتبّعوا هواناً وأبدوا دوننا نظراً شزراً
٢- جعلت وما بى من جفاء ولا قلى أزوركم يوماً وأهجركم شهراً
الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع ، والكاشح : العدو الباطن العداوة .
ويقال : هو بين الكشاحة والكاشحة : ويقال : طوى فلان كشحه على كذا ، إذا استمرّ عليه . وهذا كلامٌ مُبَقى على المحبوب ، كارهٍ لا انتشار القالة فيهما ، مختارٍ لاستتار الهوى بينهما . فيقول : لما رأيت الوشاة يتتبعون أحوالنا بالتميمة وإفشاء أسرارنا ، وأخذوا ينظرون إلينا نظراً الأعداء بتجدد شديداً ،

(١) هو الراعى النيرى ، أو التيمال الكلابى . انظر ما سبق في حواشى ٣٨٣ ،

٥٠٠ ، ٦٠٦ .

(٢) صدره : * دن الحرائر لا ربات أحمره *

(٣) ل : « العين » .

واستكشافٍ لما خفي من أمرنا بليغ ، أقبلتُ أحترزُ وأقصرُ أشواطهم فيما يندتحنونه من مساءتنا ، والقعودِ والقيامِ بذكرنا ، فأتأخرُ عن زيارتكم شهراً وأوافيكم يوماً ؛ هذا ولا أقصدُ جفاءً ولا أضمرُ بغضاً ، وإنما بي مضيُّ أيامنا بالسلامة منهم ، وردُّ كيدهم في نحورهم ، ولئلا يجدوا مقالا فيركبون عليه قصصاً وأنباء . وقوله « نظراً شزراً » يقال : هو يشزُرُ الطرفَ إلى ، إذا نظَرَ نظراً مفكراً يتبين فيه العداوة . قال أوس (١) :

إذ يشزرون إلى الطرف عن عرضٍ كأن أعينهم من بغضتي عورُ
وقوله « جعلتُ » لا يحتاج إلى مفعول لأنه في معنى طفقتُ وأقبلتُ . وانتصب يوماً وشهراً على الظرف ، و « تتبّعوا هواناً » في موضع المفعول الثاني لرأيت .

٤٦٩

وقال بعض القرشيين (٢) :

- ١ - بينما نحن بالبلاكتِ فالقا ع سراعاً والعيس تهوي هويًا (٣)
- ٢ - خطرت خطرة على القلب من ذكراك وهنأ فما استطت مضياً
- ٣ - قلت لبئك إذ دعاني لك الشوق وللحاديين كراً المطيباً (٤)

(١) أوس بن حجر . ديوانه ص ٩ .

(٢) التبريزي : « وهو أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسور بن مخزوم ، خرج إلى الشام ، فلما كان ببعض الطريق ذكر امرأته صالحه بنت أبي عبيدة بن المنذر بن الزبير ، وكان شديد الحب لها ، فضرب وجوه رواجه إلى المدينة وقال : بينما نحن بالبلاكت . فلما رأته رجوعه من أجلها وسمعت الشعر قالت لا جرم والله لا أستأثر عليك بشيء ! فشاطرته مالها ، وكانت تضن عليه بما لها » . وأنشد ياقوت في (البلاكت) بيتاً لكثير ، ثم قال : « وقال أيضاً » ، وأنشد الأبيات ، فهي عنده منسوبة لكثير .

(٣) ابن جنى في التنبيه : « في بلاكت بالقاع » .

(٤) التبريزي وياقوت : « حشا المطيباً » .

قد تقدّم القول في « بينا » و « بينا » جميعاً^(١) ، وأنهما يستعملان في المفاجأة . وانتصب « سراعا » على الحال ، لأنه جمل بالبلا كـ مستقراً .
والواو من قوله « والعيس » واو الابتداء وهو للحال أيضاً .

وقوله « خَطَرَتْ خَطْرَةً »^(٢) هي الحالة التي فاجأتهم . وانتصب « وَهْنًا » على الظرف ، ومعناه بعد ساعةٍ من الليل . وقوله « خَطَرَتْ خَطْرَةً » ، يقال : خَطَرَ بِبَالِي خُطُورًا ، وَخَطَرَ البعيرُ بذنبه خَطْرًا نَا . ويقال : سَنَحَ لِي سَانِحٌ ، وَهَجَسَ هَاجِسٌ ، وَخَطَرَ خَاطِرٌ . وكأنه أجرى خَطَرَتْ خَطْرَةً مجرى قوله : دَعَتْ دَعْوَةً مِنْ ذَكَرَاك ، لقوله : « قَلْتُ لَبَيْكَ إِذْ دَعَانِي لِكِ الشُّوقِ » .
والشاعر وَصَنَ مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ الهَوَى ، وَأَنَّهُ فِي مَلَكَتِهِ ، إِذَا دَعَاهُ أَجَابَ حَتَّى لَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى ذَلِكَ . فيريد : بينما نحنُ بهذين الموضعين نسيرُ مُسْرِعِينَ ، وَالرَّوَاهِلُ تَهْوِي بِنَا فِي أَثْنَائِهِمَا وَمَعَاظِفِهِمَا ، وَتَقَطَعُ الْمَسَافَةَ بَيْنَهُمَا ، خَطَرَتْ ذِكْرَةً بِبَالِي ، وَقَدْ مَضَى مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةٌ ، فَتَحَبَّرْتُ حَتَّى لَمْ أَقْدِرْ عَلَى التَّوَجُّهِ فِي الْمَقْصِدِ الَّذِي كُنْتُ أُوْمُهُ ، وَحَتَّى لَمْ أَمْلِكْ إِلَّا إِجَابَةَ دَاعِي الشُّوقِ إِلَيْكَ بِالتَّلْبِيَةِ وَالْوَقُوفِ لَهُ ، وَبَعْدَ ذَلِكَ قَلْتُ لِلْحَادِيَيْنِ : انصَرِفَا بِرُؤُوسِ مَطْيَكُمَا ، فَقَدْ مَنَعَ مَا طَاعَتُهُ أَوْجِبُ ، وَدَفَعَ فِي صَدُورِنَا مَنْ أَمْرُهُ أَنْفَذُ .
وقد تقدّم الفرق بين الهوى والهوى^(٣) .

وقوله « بالبلا كـ فالبقا كـ » رتّب القاع على البلا كـ بالفاء العاطفة ، كأنه ارتقى منها إليها ، ويجوز أن البلا كـ اسم لبقا كـ مختلفة ؛ لأن بقاءه بناء الجمع .
وقوله « لَبَيْكَ » هو من أَلَبَ بِالْمَكَانِ ، إِذَا أَقَامَ ؛ إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْصَرِفُ كَمَا أَنَّ سَبْحَانَ اللَّهِ لَا يَنْصَرِفُ . والكلمة مُثَنِّاةٌ عِنْدَ سَيَبُويهِ ، وَالْمُرَادُ عِنْدَهُ إِقَامَةٌ

(١) انظر ما مضى في الحاشية ٤٤٩ ص ١٢٠٣ .

(٢) الكلام بعده إلى « خَطَرَتْ خَطْرَةً » التالية ، ساقط من ل .

(٣) انظر ما سبق في ص ٩١ .

للدّاعى تتبعها إقامة ودوام على طاعته ومتابعته . ويُقرن بها سَعْدَيْكَ ، المعنى :
مساعدة بعد مساعدة واستمراراً على مشايعته . وحصل التّكثير والاتّصال فيه
بالتثنية ، كما حصل بالتّكرير في قولك : ادخلوا الأوّل فالأوّل . قال سيديويه :
أخبرنا أبو الخطاب أنه يُقال للمداوم على الشّيء لا يُقاع عنه ولا يفارقه : قد
ألبّ عليه . أنشد للتثنية فيه قول الشاعر :

دَعَوْتُ لِمَا نَابَنِي مِسُورًا فَلَبِّيَ فَلَبِّيَ يَدَيَّ مِسُورًا^(١)

هكذا روايته وإنشاده عن العرب بهذا اللفظ . وحكى أيضاً عن بعضهم :
لَبٌّ بالكسر ، يجعله صوتاً مثل غاقٍ . وعند يونس أنه موحد آبي ، وانقلب
ألفه ياءً كما انقلب في عَلِيٍّ وَوَلَدِيَّ عند الإضافة إلى مضمر . وعلى مذهبه يجب أن
يكون « فَلَبِّيَ يَدَيَّ » كما أن عَلِيٍّ وَوَلَدِيَّ إذا أُضيفت إلى الظاهر لا يتغيّر
ألفها . تقول : على زيدٍ وإلى عمرو .

٤٧٠

وقال آخر^(٢) :

١ - اسْتَبَقِ دَمْعَكَ لَا يُودِ الْبَكَاءُ بِهِ وَاسْكُفْ مَدَامَعَ مِنْ عَيْنِكَ تَسْتَبِقُ

(١) البيت من أبيات سيديويه الخمسين التي لم يعرف لها قائل . سيديويه (١ : ١٧٦) ،
والخزافة (١ : ٢٦٨) .

(٢) التبريزي : « وقال ابن هرمة » . وهو إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة الفهري ،
كان من الشعراء المعاصرين لجرير . وكان الأصمعي يقول : ختم الشعر بابن هرمة ، وحكم
الخصري ، وابن ميادة ، وطغيل الكعني ، ودكين البمذري . وفي الأغاني (٤ : ١١٣) :
« ولد ابن هرمة سنة تسعين وأنشد أبا جعفر المنصور قصيدته التي يقول فيها :

إن الغواني قد أعرضن مقلية لما رمى هدف الخمسين ميلادي

ثم عمر بعدها مدة طويلة » . وقد ذكر ابن جنّي في الميهج ٥٥ أن مأخذ هرمة من الهرم ،
بالفتح ، وهو ضرب من النبات . وانظر الخزافة (١ : ٢٠٣ - ٢٠٤) واللكلبي ٣٩٨
والشعراء ٢٧٩ - ٣١٧ .

٢ - ليس الشؤون وإن جادت بباقية ولا الجفونُ على هذا ولا الحدقُ قوله «لا يُودِ البكاءُ به» يجوز أن يكون جوابَ الأمرِ ، ويجوز أن يكون نهيًا وهو أحسنُ وإن لم يكن معه حرفُ العطف ، وذلك لأنه قد ذكر بعده «واكفُفْ مدامعَ من عينيك» ولم يأت له بجواب ، كأنه أمره باستنباطِ الدمعِ ، ونهاه عن التهالك في البكاء فيفسدَ عليه آتته . ثم أمره بكفِّ المدامع وهي تستبق . وإذا كان الكلامُ نهيًا بعد أمرٍ وأمرًا بعد نهيٍ ، كان أبلغ . ومعنى أودى بكذا أهلكه . والاستباق في المدامع مجازٌ ؛ لأنَّ الذي استبَق في التحذُر هو الدمع . والمدمعُ : تجرى الدمعُ ، ولا يمتنع أن يكون المدمع اسمًا للحدث الذي هو السيلانُ ، كأنه موضوعٌ موضعَ الدمعِ ، وهو مصدر دمعتُ ، ويكون المراد به أيضًا العينَ الذي هو الجاري ؛ لأنَّ الاستباق لا يصحُّ إلا فيه .

وقوله «ليس الشؤون وإن جادت بباقية» يريد : أنك إن أدمتَ البكاء استهلكتَ مفايعَ الدمعِ ومجاريها ، وأطباقَ العينِ وحماليقها ؛ لأنَّ شيئًا من هذه الآلات ، إن سمحتُ بالإجابة مدَّةً لا يدوم على فعلك ، ولا يقوم لتكليفك . وقوله «على هذا» أشار بهذا إلى فعله ، وعلى تعلُّق بباقية ، وهو مضمَّرٌ دلَّ عليه الباقية المذكورة ، كأنه قال : ولا الجفونُ باقيةٌ على هذا ، وجعل «لا» من قوله والجفونُ بدلًا من ليس ، والجفنُ في اللغة : المنعُ والحبسُ ؛ لذلك سُمِّي غلافُ السيفِ الجفنَ .

٤٧١

وقال آخر :

١ - قد كنتُ أعلو الحبَّ حينًا فلم يزكْ بيَّ النَّقْضُ والإبرامُ حتَّى عَلا نِيا
يقول : بقيتُ أزاوِلُ الحبِّ وأجاذبه ، وهو معي متردِّدٌ بين أن أعلوه تارة

فأدفعه عن نفسه بجهدي ، وبين أن يعلوني فيغلبني على مرادي ، وأخذ مقررته
من فؤادي ، فلم نزل بين النقص والإصرار ، أنقض عليه وهو يمر ، وينقض
علي وأنا أمر ، إلى أن صار الغلب له .

وهذا الذي أشار إليه حالة الحب إذا لم يكن عن اعتراض . لذلك قال
أبو تمام :

هوى كان خلساً إن من أبرح الهوى هوى جلت في أفيائه وهو جائل^(١)
كأنه يريد المحبوب فيفكر في محاسنه حالاً بعد حال ، ووقتاً بعد وقت ،
ويستحلبها^(٢) شيئاً بعد شيء ، إلى أن يصير لها في قلبه قاذح ونازع ، فيدفعه
عن نفسه بأن يزيّف تلك المحاسن ، ويتفاسى ويدراً في صدر ذلك القاذح من
الهوى ويتأني^(٣) ، فكأما قدر أنه قد تحلّى عاوده الوسواس جذعاً ، فلا يزال
بين القبول والامتناع ، والناسك والانهيار ، ومدافعة الداء بالدواء ، إلى أن
يصير الغلب للهوى .

والمعترض من الهوى هو الذي يقع عن أول وهله ، فيسبي القلب في دفعة
واحدة ، إلا أن تركه أسرع ، كما أن أخذه أسرع . على ذلك قول الأعشى :

* علقتهَا عَرْضاً^(٤) *

وما يجري مجراه . وهم يشبهون مثل هذا الهوى بنار توقد بضرام أو بعرفج
وما يجري مجراه ، فترتفع سريعاً وترجع سريعاً . وأنشد ابن الأعرابي بيتاً

(١) في الديوان ٢٥٦ :

هوى كان خلساً إن من أحسن الهوى هوى جلت في أفيائه وهو خامل

(٢) ل : « ويستحلبها » .

(٣) ل : « ويتأني » .

(٤) البيت بتمامه :

علقتهَا عَرْضاً وعلقت رجلاً
غيرى وعلق أخرى غيرها الرجل

في قسمة [الهوى] ^(١) زعم أنه لا ثانی له ، وأن قائله لا يُعرف وهو :

ثلاثة أحباب فحبُّ علاقةٌ وحبُّ تملّاقٍ وحبُّ هو القتل ^(٢)
يعنى ما يكون من تعمل وطول تأمل .

٢ - ولم أر مثلينا خليلي جنابةً أشدَّ على رغمِ العدوِّ تصافياً
نبه بهذا الكلام على أنها مع الجنابة واستعمال الحذر ، واستدفاع شرِّ
الرُقباء والحافظين بترك الورود والصدر ، وإكساد سوق الوشاة والنمامين
بإخماد نائرة الخبر ، يُصافى كلُّ واحدٍ منهما صاحبه ، حتّى لا خلل في الهوى
ولا فساد ، ولا استزادة في الحبِّ ولا عتاب ، ولا تسلطُّ شهمة ^(٣) لعارضٍ تسلُّ ^(٤)
وحؤولٍ عن عهد .

وإنما قال « على رغمِ العدوِّ » استهانةً بهم . وهو من الرغام : التراب .
وإذا قيل : أرغم الله أنفه فالمعنى أذله الله وأسخطه . وانتصب « تصافياً » على
التمييز . وقوله « خليلي جنابةً » انتصب على أنه بدل من مثلينا ، وأشدُّ مفعول
ثانٍ لأرى .

٣ - خليلين لا ترجو لقاء ولا ترى خليلين إلا يرجون التلاقياً
ذكر أن اليأس قد استقرَّ في قلب كلِّ واحدٍ منهما من مُلاقاة صاحبه
والتصافى بينهما هو أن ذلك من كمال البلاء ، إذ لا يُوجد خليلان غيرهما إلا وهما
على شفا الرجاء في الاجتماع ، وقوّة من الطمع في الالتقاء والاستمتاع ، واليأس لدى

(١) التكملة من ل .

(٢) كذا ضبط البيت في النسختين ، ويصح أن يقرأ بإضافة ، بجر « علاقة » .
و « تملّاق » . وانظر مجالس ٢٩ . وفي إعراب ثلاثين سورة من القرآن لابن خالويه
ص ٨١ ، قال ثعلب : ومثله :

ثلاثة ابيات فبيت أحبه وبيتان ليسا من هواي ولا شكلي
(٣) ل : « بهمة » .

(٤) في الأصل : « تشك » صوابه في ل .

أشار إليه كأنه لارتفاع منزلة المحبوب عن منزلته : أو لكثرة أوابائه وقوة
عشيرته أو لعفائه وتألهه ، وما يجرى مجراها .

٤٧٢

وقال آخر^(١) :

١ - وكلُّ مُصِيبَاتِ الزَّمانِ رأيتها سِوى فرقة الأحابِيبِ هَيْئَةُ الخَطْبِ^(٢)

موضع « سِوى فرقة الأحابِيبِ » نصب على أنه مستثنى مقدم ، لأن
تقدمه على صفة المستثنى منه كتقدمه عليه نفسه . ومعنى البيت ظاهر .

٤٧٣

وقال الحسين بن مطير^(٣) :

١ - فَيَا عَجَبًا لِلنَّاسِ يَسْتَشْرِفُونَنِي كَأَن لَمْ يَرَوْا بَعْدِي مُحِبًّا وَلَا قَبِيلِي

قوله « يستشرفونني » أى ينظرون إليّ ، وتطمح أبصارهم نحوى .
ويؤدون أنى على شرف من الأرض ، لأكون معرّضاً لهم .

والشاعر أخذ يتعجب من أحوال الناس فيما رأوه عليه ، واستطرافهم
لحالته فى حُبّه ، واستشرافهم لما يشاهدونه عليه ، حتى كأنه يدع من الحوادث
لم يشاهد مثله ، ولم يقع فى تقدير أحدٍ جواز صورته ، فقال : يا عجباً للناس فى حال
استشرافهم لى ، واستطلاعهم من جهتي ما أنا عليه ، وإفراطهم فى التعجب مما
يجدونى مبتلى به ، ومرهوناً له كأنهم لم يشاهدوا قبل مشاهدتهم لى ، ولا بعد

(١) هو قيس بن ذريح ، صاحب لبنى . انظر مجالس ثعلب ٢٨٥ - ٢٨٧ وشرح
شواهد المغنى للسيوطى ١٨٣ والأغانى (٨ : ١١٢) .

(٢) رواية ثعلب والسيوطى عنه :

وكل ملهات الدهور وجدتها سوى فرقة الأحابِيبِ دينة الخطب

وفى الأغانى : « وكل ملهات الزمان وجدتها » .

(٣) سبق ترحمته فى الحماسية ٣١٩ ص ٩٣٤ .

مشاهرتهم لى محبباً، وكان الحبّ شىء أنا ابتدعته^(١)، وكان مسبباته لم توجد قطُّ إلا فيّ. وليس الأمر كذلك، لأنّ الدنيا وأهلها إذا تؤمّلت أحوالهم فيها لم يُموزَ تقديرًا أو تحصيلًا من حاله حالٍ مثلي فيه زائدًا على ما أنا عليه، أو قاصرًا عنه. هذا إذا جمعت «لم يروا» بمعنى لم يشاهدوا. فإن جعلته بمعنى لم يعلموا كان المعنى أكشَفَ وأبين، إلا أنّه يكون بمعنى يعرف، ويكتفى بمفعول واحد. وقوله «بعدي» أى بعد رؤيتهم لى، فحذف المضاف، وكذلك قوله «ولا قبلى» يريد ولا قبل رؤيتهم لى. وقوله «يا عجبًا» يجوز أن يكون منادى مضافًا، ويجوز أن يكون مفردًا، وقد تقدّم القول فيه وفي أشباهه.

٢ — يقولون لى اضرم برجع العقل كله وضررم حبيب النفس اذهب للعقل يقول: يُشيرُ الناس على بالتسلى عنها، والأخذ في مصارمتها، وأخذ النفس على الانفكاك منها، فإن في ذلك بزعمهم إذا تدرّجت فيه مراجعة العقل كاملاً، وانتزاع ربة الذل عاجلاً. وإذا تأمّلت حالى في قبول ما يشيرون به، ورُكوب الجِدِّ في قطيعتها، والحيلولة بين النفس ومصادها فيها، وجدت ذلك أدعى إلى زوال العقل كله، وإن كان الباقي منه شفاقةً، وأجلب لهلاك النفس، وخرج الصدر، وإن كنت عائشاً بصُبابَةٍ. وقوله «أذهب للعقل» قد تقدّم القول في أن سيديويه يجوز بناء فعل التعجب بعد الثلاثي مما كان على أفعل خاصة، فإذا جاز ذلك فبناء التفضيل يتبعه.

٣ — ويا عجباً من حبّ من هو قاتلي كائى أجزيه المودّة من قتلي تعجب من حال نفسه في مقاساة^(٢) ما يقاسى منها، وبقائه^(٣) على حبها

(١) ل : «أبدعته» .

(٢) ل : «مقاساته» .

(٣) هذا ما فى ل . وفى الأصل : «ويعانيه» .

فيقول : إني أداوم اعتقادَ الجميلِ لها ، وقيامَ القلبِ بعمارة الهوى فيها ، حتى كُأني أُجازيها على قتلها إيتاي بأن أزيدَ في ودّها وإخلاص العقيدة لها . وقوله « من قتلي » أراد من قتلها لي . والمصدر يُضاف إلى المفعول كما يُضاف إلى الفاعل ، وكذلك قوله « من حب من هو قاتلي » أي من حبي من هو قاتلي ، لأنَّ مَنْ في موضع المفعول . وقوله « يا عجباً » يجوز أن يكون الألف بدلاً من ياء الإضافة . ويجوز أن يكون ألفَ التثنية وزيدت ليمتدَّ الصَّوتُ به ، ويكون يا عجب منادى مفرداً ، وامتداد الصوت يدلُّ على عِظَمِ البليَّةِ ، وتفخيم أمر العجيبة .

ع - وَمِنْ بَيِّنَاتِ الْحُبِّ أَنْ كَانَ أَهْلُهَا أَحَبَّ إِلَى قَابِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِي
يقول : وَمِنْ آيَاتِ حَبِّي الْبَيِّنَةِ ، وشواهدهِ الصَّادِقَةِ ، على تكامله لها ، وتناهيهِ في استحكامها ، أني أوثِرُ أهلها على أهلي ، وأنَّ رتبتهم في العينِ والقلبِ أعلى من رتبة عشيرتي عندي . وقد خَلَّصَ هذا المعنى عنترَةً حيث قال :
عَلَّقْتُهَا عَرَضًا وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا زَعَمًا لِعَمْرٍ أُبَيْكَ لَيْسَ بِمَزْعَمٍ^(١)
لأنَّ في قضيَّةِ الهوى والعقل أنَّ حبَّها مع عداوةِ أهلها ليس بمَنسِقِي ولا متسبِّبٍ ، بل يُنَافِي كلُّ واحدٍ صاحبه^(٢) ، وأنَّ الواجبَ أنها إذا كَرُمْتَ عليه فكلُّ متسبِّبٍ إليها بسببٍ ، ومنسبٍ [بنسبٍ]^(٣) ، يجب أن يكون مؤثراً عنده ، مبيحاً في حكمه .

وأبينُ من ذلك كله قولُ الآخر :

وَأُقْسِمُ لَوْ أَنِّي أَرَى نَسَبًا لَهَا ذِنَابَ الْفَلَا حُبَّتْ إِلَى ذُنَابِهَا^(٤)

(١) الزعم ، بالتحريك وبالفتح : الطمع . وهذا البيت شاهده .

(٢) ل : « بل ينافي صاحبه » . (٣) التكملة من ل .

(٤) سيأتي هذا البيت في الحماسية ٥٣١ .

وقوله « أن كان أهلها » أن مخففة من الثقيلة ، أراد أنه كان أهلها ، والماء من أنه ضمير الأمر والشأن ، وقد تقدم مثله . وموضع أن بما بعده رفعٌ بالابتداء . وخبره قوله ومن بينات الحب .

٤٧٤

وقال عمر بن أبي ربيعة (١) :

١- وأما تفاوضنا الحديث وأسفرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا (٢)
 ٢- فقلت لمطربين ويحك إنما ضررت فهل تستطيع نفعاً فتنفعا (٣)
 قوله « لما » يحتاج إلى جواب ، لأنه لوقوع الشيء لوقوع غيره ، إذا كان عالماً للظرف ، فيقول : لما تذازعنا الحديث ، واندفعنا فيه ، وأشرقت وجوه تلاً نوراً ، استخفت أربابها الحسن الجائل في جوانبها ، ومنعها من أن يسترها بقناع محبها ، والتذاذاً بخوض عيون الناس في محاسنها ، قلت للمثنى عليهم : إن ثناءك يضرنا ، لتنبهك على كثير مما لعله يحفى عليهم من دقائق الجمال .

(١) هو أوبر الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة الخزومي ، أحد شعراء الغزل في صدر الإسلام والدولة الأموية ، ولد في الليلة التي مات فيها عمر بن الخطاب سنة ٢٣ ونفاه عمر بن عبد العزيز إلى « دهلك » لما شاع غزله وتعرضه للنساء ومنهن سكينه ، وابنة لعبد الملك ابن مروان ، ثم غزا في البحر ، فأحرقت السفينة التي كان فيها فاحترق ، وذلك في سنة ٩٣ . الأغاني (١ : ٢٨ ٩٤) والخزانة (١ : ٢٣٨ - ٢٤٠) ، ووفيات الأعيان والشعر والشعراء ٥٣٥ - ٥٤٠ .

(٢) بعده عند التبريزي :

تباهن بالعرفان لما عرفني وقلن امرؤ باغٍ أكل وأوضعا

وقربن أسباب الهوى لمتيم يقبس ذراعاً كلما قسن إصبعا

(٣) في الديوان ٣٣ وأمالى التالي (٢ : ٤٩) : « لمطهرين بالحسن » . وفي الأصل :

« ويلك إنما » ، والتفسير يقضى ما أثبت من ل والتبريزي .

ولطائف الكمال . إذ كان ذلك يزيد في الإعجاب بأنفسهن ، ويكسب^(١) الكبر في أخلاقهن ، فهل تقدرُ بدَل ذلك على ما ينفَعُنا معهن . وجواب لَمَّا إن شئت جعلته « فقلت » على أن يكون الفاء زائدة ، وإن شئت جعلته محذوفاً ، كأنه قال : لَمَّا فعلنا ذلك كله توانسنا ، أو ما يجري مجراه . وقد تقدّم القول في أن لو ولمّا وحتى يُحذف أجوبتها ، ويكون إبهامها ليحذفها أبلغ في المعنى . ويقال : أطرى فلانُ فلاناً ، إذا مدحه بأحسن ما قدرَ عليه . وقوله « تستطيع » منقوص عن تستطيع . وويح ، قال الأصمعي : هو ترحم ، فإذا أضيف بغير اللام بُنصب ، ويكون العامل فيه فعلاً مضمراً ، كأنه قال : ألزمه الله ويحاً ، وانتصب فتتفعلاً بأن مضمرة ، وهو جواب الاستفهام . ومعنى « زهاها الحسن » استخفها ويقال : زهت الأمواجُ السفينةَ والرياحُ النباتَ . وقوله « أن تتقنما » أراد من أن تتقنما ، وهم يحذفون الجارَّ مع أن كثيراً .

٤٧٥

وقال أبو الربيع التغلبي^(٢) :

- ١ - هل تُبلِغني أمَّ حربٍ وتقدِّفنِ على طَرَبٍ بيوتَ همِّ أقاتلُهُ
 - ٢ - مُبِينَةٌ عنِّي حُسنَ خَدِّ ومِرِّ فَمَّا به جَنفٌ أن يعرُك الدِّفَّ شاغِبُهُ
- قوله « على طَرَبٍ » يجوز أن يتعلَّق بقبغانِي ، ويجوز أن يتعلَّق بوقدِّفنِ ،

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « ويكسب » .

(٢) كذا في النسختين واللسان (ريس) ونص على أنه « من شعراء تغلب » . وصورابه « الشعلي » كما عند التبريزي ، وقال : « من ثعلبة بن سعد بن ذبيان » ، وهو يطابق ما في التكملة للصغاني . وفي القاموس : « وأبو الربيع عباد بن طهمة الشعلي » ، وفي تاج العروس أنه يقال أيضاً « طهفة » ، وه شاعر إسلامي ، كما ذكر البغدادي في الخزانة (٢ : ٥٣٤) نقلاً عن ابن ماكولا . وذكر البغدادي في رواية أخرى أنه أبو الربيع عباد بن عباس بن عوف ابن عبد الله بن أسد بن ناشب بن سيد بن رزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان .

والفعلان جِماعاً على قوله «مُبِينَةُ عُنُقٍ» وهي ناقةٌ. والاختيارُ عند أصحابنا البصريين أن يرتفع بالأقرب، وهو تَقْدِفَنٌ، ويجوز أن يرتفع بتبليغني، وعلى هذا: جاءني وأكرمني زيدٌ. والطَّرَبُ: خِمْةٌ تَلْحَقُ لِنَشَاطِ وَجَدَلٍ، واهتمامٍ وجزعٍ. وبُيُوتُ هَمٌّ، فَعُولٌ من قولك: بات يبيت. كأنه هَمٌّ جاءه ليلاً فلازمه. وعلى هذا قيل في الصَّقِيعِ: البُيُوتُ. وانتصب «حُسْنَ خَدِّ» على التمييز. والجَنَفُ: المَيْلُ ورجُلٌ أَجْنَفٌ: في خَلْقِهِ مَيْلٌ، وقيل: هو الطَّوِيلُ المنحني. والعَرَكُ: الدَّالُّكُ والعَمَزُ. وقوله «به جَنَفٌ» في موضع النصب، لأنه صفة لمرْفَقٍ. و«شاغله» صفةٌ لجَنَفٍ. وإضافته على طريق التَّخْفِيفِ، فهو نكرة والتنوين مَنوِيٌّ، كأنه شاغلٌ له. ويريد بقوله «به جَنَفٌ» أن المِرْفَقَ متباعدٌ عن الزَّوْرِ، لأنَّ الناقَةَ فَتَلَاهُ؛ ولولا بُعْدُهُ [عنه^(١)] لكان يكون ناكماً أو حازاً أو ضاعطاً، أو ناقراً^(٢) وذلك عيبٌ يمنع من إدامة السَّيرِ. فيقول على وجه التَّمَنِّي: هل أراني راكبَ ناقةٍ توصلني إلى هذه المرأة، نشيطةٍ طَرِبَةً، وتطرَّحُ عني زُئلاً هَمٌّ أزاولُهُ وأدفعُهُ، وهي تُتَلَازِمُنِي بالليل ولا تُفارقني. وهذه الناقَةُ لها شواهدٌ تُوجِبُ عِتْمَتَهَا وَكَرَمَهَا، من حُسْنِ الخَدِّ والمِرْفَقِ المتجانفِ عن الزَّوْرِ.

٣- مُطَارَةٌ قَلْبٍ إِنْ ثَنَى الرَّجُلَ رِشْمًا بِسَلْمٍ غَرَزٍ فِي مُنَاخٍ تُعَاجِلُهُ

هذا يرجعُ إلى صفة الناقَةِ، والمراد أنها ذكِيَّةُ الفؤادِ، شَهْمَةُ النفسِ، فَكَانَ بِهَا لِنَشَاطِهَا وَذَكَائِهَا جُنُونًا أَطَارَ قَلْبَهَا، وَأَزَالَ مُسَكَّتَهَا. وقوله «إِنْ ثَنَى الرَّجُلَ رِشْمًا» جوابُ الشَّرْطِ فِيهِ قَوْلُهُ «تُعَاجِلُهُ» وَأَصْلُهُ تُعَاجِلُهُ، اللامُ

(١) الكلمة من ل.

(٢) الناكِت: أن ينحرف المرفق حتى يقع في الجنب فيؤثر، فإذا حز فيه قيل له حاز، فإذا خرقه فذلك الضاعط.

ساكنة للجزم ، ولسكنه نُقِلَ إليها حركة الهاء ، وهو ضمير يرجع إلى «ربها» .
ومثله قول طرفة :

* لو أطيعُ النَّفْسَ لم أَرِمُهُ^(١) *

يريد : لم أَرِمُهُ ، فنقل . والمعنى أنها خلقتها وحديثها ، متى هم صاحبها
بركوبها فشنى رجلها ، أى غطف بغرزها الذى هو كالسلم ، وهو الركاب ،
عاجلته فنهضت به قبل تمسكه من ركوبها ، واستقراره على ظهرها .
وقد سلك هذا المسلك ذو الرمة فى البائية التى أولها :

* ما بال عينك منها الماء ينسكب^(٢) *

حدثت عن الكسروى على بن مهدى الإصهاني^(٣) عن شيوخه ، أن
ذا الرمة أنشد هذه القصيدة كثير عزة ، فلما انتهى إلى قوله :
* حتى إذا ما استوى فى غرزها تذب^(٤) . *

قال له : أهلكت والله راكبها ، هلا قلت كما قال الراعى :

ترأها إذا قمت فى غرزها كمثل السفينة أو أوقر

فهذا ما روى لنا . وقد ذكر الراعى فى موضع آخر فقال :

وكان ريضها إذا يأسرتها كانت معاودة الرحيل ذلولا

وحكى لى أن سعيد بن سلم الباهلى ، قال : قرأنا هذه القصيدة على

الأصمى من شعر الراعى ، فلما اتهمنا إلى البيت رواه :

* وكان ريضها إذا باشرتها *

(١) صدره فى ديوان طرفة ١٦ :

* حابسى رسم وقفت به *

(٢) عجزه : * كأنه من كلى مغرية مرب *

(٣) ل : « الأصهبانى » ، وإصهبان تقال بالباء وبالفاء ، ويفتح الهمزة وكسرها .

(٤) صدره : * تصغى إذا شدها بالكورجانحة *

فقلت : ما معنى « باسرتها » ؟ قال : ركبتها ، من المباشرة . فسألنا ذلك
أبا عبيدة عنه ، فقال : صحف والله ، إنما هو « إذا ياسرتها » أى لم أعازها ولم
أقتسرها . ومثله قوله .

إذا يوسرت كانت وقوراً أديبةً وتحسبها إن عوسرت لم تؤدب
٤ - يبارى بها القود التوافخ في البرى قليل الزول أعيد الخلق عاطله
٥ - مراجع نجد بعد فرك وبغضة مطلق بصرى أصمغ القلب جافله
يقول : يعارض بهذه الراحلة التي وصفتها رواحل طوال الأعناق ، تفنخ
في برأها لنشاطها ، رجل قليل الزول عنها ، ناعم الخلق عاطله ، يعنى نفسه ،
أى أنه يجتد في السير ويديمه . وقوله : « مراجع نجد » أى أنه بعد أن
فارق نجدًا وأبغضه خلوه من حبيبه يريد أن يراجعة وينتقل عن بصرى -
وهى قرية بالشام تطبع فيها الشيوف البصرية - ويخلياها . ومعنى أصمغ
القلب : حديده . جافله ، أى مسرعه . ويقال : أجفل الظلم وجفل ،
إذا نشر جناحيه وصرَّ يعدو ، وكل هارب من شئ فقد أجفل عنه . والظلم
مُجفل وجافل جميعاً . وذكر المراجعة والتطبيق ، واستعارة للانتقال والتخيلية .

وقد فعل أبو تمام مثل هذا فقال :

* فيها وطلقت الشرور ثلاثاً^(١) *

إلا أن ما قاله هذا الشاعر أحسن ، حين زوج التطبيق بالمراجعة . وقوله
« نوافخ في البرى » النوافخ : المتنفسات نفخاً لنشاطها . والبرى : الحلق التي
في أنوفها . وقوله « أعيد الخلق » أى منثنيه ، وعاطله أى يعطله من الترفه ،
ويفطمه عن النعمة . وكل مهمل متروك فهو معطل وعاطل .

(١) صدره في ديوانه ٦٦ ،

* أرض خلعت اللهو خلعي خاتمي *

٤٧٦

وقال عبد الله بن عجلان النهدي^(١) :

١ - وَحُقَّةٌ مِسْكِ مِنْ نِسَاءِ لَبِيسْتِهَا شَبَابِي وَكَاسٍ بَاكَرْتَنِي شَمُولُهَا

٢ - جَدِيدَةٌ سِرْبَالِ الشَّبَابِ كَأَنَّهَا سِقِيَّةٌ بَرْدِي نَمَتْهَا غُمُولُهَا

قوله « وَحُقَّةٌ مِسْكِ » كنايةٌ عن امرأةٍ جعلها لطيبِ رِيَّاهَا كظرفِ مِسْكِ . ومعنى « لَبِيسْتِهَا » تَمَتَّعتْ بِهَا . وقال ابنُ أحرر :

لَبِيسْتُ أَبِي حَتَّى تَمَلَّيْتُ عَيْشَهُ وَبَلَّيْتُ أَعْمَامِي وَبَلَّيْتُ خَالِيَا

وموضعُ قوله « شَبَابِي » نصبٌ على الظرف . والمعنى زَمَنَ شَبَابِي ، ومُدَّةُ شَبَابِي . والمصادر تُحذفُ منها أسماءُ الزمانِ كثيراً . وقوله « وَكَاسٍ » انعطف على قوله « وَحُقَّةٌ مِسْكِ » والعاملُ فِيهَا رُبٌّ ، والواو واو العطف ، وليست بنائبةً عن رُبٍّ ، بدلالةِ أَنَّهُ لو كان كذلك لوجبَ أن يُدخَلَ الحرفُ العاطفُ عليه ، فيقال وَوَحُقَّةٌ مِسْكِ . والشَّمُولُ : الحمرةُ التي لها عَصْفَةٌ كعَصْفَةِ الشَّمَالِ . وقد قيل : هي التي تشتمل على العقل فتَمَلِكُه وتَذَهَبُ بِهِ .

وقوله « جَدِيدَةٌ سِرْبَالِ الشَّبَابِ » أدخلَ الماءَ على جَدِيدَةٍ ، والأكثرُ أن يُقالَ : مِلْحَفَةٌ جَدِيدَةٌ . وطريقةُ سِيدُويَةٍ فِيهِ أَنَّهُ صِفَةٌ مذكَّرةٌ تَبَعَتْ مُؤنَّثًا ، وَيُنَوَّى فِي ذَلِكَ الْمُؤنَّثِ مَا يَكُونُ لِفِظِهِ مذكَّراً ، كَأَنَّهُ يَنْوِي بِالْمِلْحَفَةِ إِزَارًا ، وَمَا يَجْرِي هَذَا الْجَرِي . وَبَعْضُهُمْ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُ فَعِيلٌ فِي مَعْنَى فاعِلٍ ، فَلِحِقَّةِ الْمَاءِ

(١) هو عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد ابن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة ، شاعر جاهلي ، أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم ، وكان له زوجة يقال لها هند فطلقها ثم ندم على ذلك ، فتزوجت زوجا غيره . فمات أسفاً عليها . الأغاني (١٩ : ١٠٢ - ١٠٥) والشعراء ٦٩٦ وتزيين الأسواق لداود الأنطاكي ٧٦ - ٧٨ .

قياساً ، فهو كظريفٍ وظريفة . لأن الفعلَ منه جَدَّ الثَّوبُ يَجِدُّ جِدَّةً . وبعضهم ذهبَ إلى أنه فعيل في معنى مفعول ، كأنَّ ناسجها جَدَّها قريباً ، أى قَطَعها ، فهذا يُستنكرُ إلحاقُ الماءِ به . ومعنى « جديدة سربال الشباب » أنها في عُفوان شبابها ، وأنَّ عليها غَضارةَ الحدوثِ ، ونَضارةَ النَّشءِ ، فكأنَّها سَقِيَّةٌ بَرْدِيٌّ . والسَقِيَّةُ في معنى مَسْقِيَّةٍ ، جعلها اسماً ، فهي كالبَيْدِيَّةِ واللَّقِيطةِ . وشبَّها بها لزيادة خِلقتها وحُسنِ بِنيتها . ألا ترى أنه قال : « نمتها عُيولُها » . والغُيولُ : جمع الغَيْلِ ، وهو الماء الذي يجري بين الأشجار . وقال الثريدي : الغَيْلُ : الماء الذي بين الحجارة في بطن وادٍ . والغَيْلُ ، بكسر الغين : الماء يجري بين الأشجار ، وربما سَمَّوا الشجرَ الملتفَّ غَيْلاً . ويشبه هذا قول الآخر (١) :

بَرْدِيَّةٌ سَبَقَ النِّعِيمُ بِهَا أَقْرَانَهَا وَغَلَابَهَا عَظْمُ

وفي طريقته قولُ الآخر (٢) :

لَمْ تَلْتَفِتْ لِلدَّاتِهَا وَمَضَتْ عَلَى غُلَوَائِهَا

وإنما يكون ذلك من نتائج الترفه ، ولوائح النعمة . وقد ظهر معنى البيتين بما ذكرته ، لأنه تَبَجَّحَ بتعاطيه الصِّبَا واللَّهْوِ ، وشُرِبَ الخمرَ مدَّةَ الصِّبَا [وأَيَّامَ الشباب (٣)] .

٣ - وَخُمْلَةٌ بِاللَّحْمِ مِنْ دُونَ تَوْبِهَا تَطُولُ الْقِصَارُ وَالطَّوَالُ تَطُولُهَا (٤)

٤ - كَانَ دِمَقْسًا أَوْ فُرُوعَ غَمَامَةٍ عَلَى مَتْنِهَا حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَدِيدُهَا (٥)

(١) هو الخبل السعدى . المفضلية ٢١ .

(٢) هو ابن قيس الرقيات . اللسان (غلا) .

(٣) التكملة من ل .

(٤) التبريزى : « ويروى : فروع عمامة ، بعين غير معجمة ، وهو أشبه بالدمقس » .

(٥) بعده عند التبريزى :

قوله « ومُحْمَلَةٌ » من جملة صفاتها وإن عطفتها بالواو ، فعلى هذا لك أن تقول :
 سررتُ برجلٍ فاضلٍ عاقلٍ أديبٍ ، وأن تقول : برجلٍ فاضلٍ وعاقلٍ وأديبٍ .
 ومعنى « ومُحْمَلَةٌ » أن أعضاءها تساوتُ في رُكوب اللحم إياها ، وظهورِ
 السَّمَنِ والبُذَنِ عليها ، فيكأن اللحمُ جُعِلَ سَخْلًا لها . وفائدة « من دونِ ثوبها »
 أنها مِلٌّ دِرْعِيها ، فهي سَمِينَةٌ المَعْرِي . وإلى هذا أشار الأعشى في قوله :
 * صِفْرُ الوِشاحِ ومِلٌّ الدَّرْعِ بَهَكْنَةٌ ^(١) *

وقوله « تَطُولُ القِصَارَ » يريد أنها رُبْعَةٌ ، فإذا حَصَلَتْ في القِصَارِ طالَتْهُنَّ ،
 وإذا حَصَلَتْ في الطَّوَالِ طُلُنَّهَا يُشِيرُ إلى التَّوَسُّطِ الذي هو المختار في كلِّ عَقْلِ ،
 ولذلك قيل : « خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَاطُهَا » ولأنَّ الغُلُوبَ والإفراطِ مذمومان ، كما
 أن القُصُورَ والتفريطِ مذمومان . و « تطول » في البيت مُعَدِّي ، لأنه بمعنى
 تَغَلِبُ في الطول ، فهو من طاوَلْتَهُ فَطُلَّتَهُ .

وقوله « كَأَنَّ دِمَقْسًا أو فروعَ غَمَامَةٍ » الدِّمَقْسُ ^(٢) : الحرير الأبيض .
 وفروع الغمامة ، أشارَ إلى أطرافها وجوانبها والشمس تحتها ، لأن تلك الأطرافَ
 بشُعاعِ الشمسِ تُشْرِقُ أبدأ . والمعنى أنها لَيِّنَةٌ المَجَسُّ بِرَاقَةِ اللونِ ، كَأَنَّ الحريرَ
 وأطرافَ غمامةٍ استكَمَّتْ الشمسُ تحتها على مَتْنِهَا . وقوله « حيثُ اسْتَمَقَّرَ
 جَدِيلُهَا » تخصيصٌ لما عَمَّهُ قوله « على مَتْنِهَا » . والجَدِيلُ ، هو الوِشاحُ ، وما
 تشدُّه المرأه في حَقْوِها من الأَدَمِ المَضْفُورِ . وليس هذا من عادات العرب . وإذا

= وأبيضَ منقوفٍ وزقٍ وقينيةٍ وصهباءٍ في بيضاءٍ بادٍ حجولها
 إذاضِبَّ في الرَّأْوِقِ منها تَضَوَّعَتْ كَمِيتٌ يَلدُّ الشارِبِينَ قَلِيلُهَا

(١) عجزه : * إذا تَأَنَّى يكاد الحصر ينخزل *

(٢) هو معرب « دمسه » الفارسية . استينجاس ٥٣٥ والألفاظ الفارسية ٦٦ . وانظر

حواشي تهذيب الصحاح للزنجاني (دمس) .

كان من لوّنين فهو البريم . وهذا يُشَدُّ في أختي الصبيان يُدْفَعُ به العين .

٤٧٧

وقال عبد الله بن الدمينة الخثعمي^(١) :

١ - ولما لحقنا بالحمول ودونها خميص الحشا توهي القميص عواتقه
٢ - قليل قذى العينين نعلم أنه هو الموت إن لم تلو عنا بواتقه^(٢)

قوله «ولما لحقنا» جوابه ما دلّ عليه البيت الثالث ، وهو «عرَضنا» . وأراد بالحمول الظمائن وأثقالها . وقوله «ودونها خميص الحشا» يريد قيمهن . فيقول : لما دعانا الشوق إلى اللّحوق بالظمائن بعد تشييعنا لها ، وإلى تجديد العهد بها ، فأدر كناها ودونها رجلٌ قليل اللحم على بدنه ، لطيف طي البطن ، مديد القامة ، حتى إن عواتقه ، وهي النواحي من عاتق الإنسان ، تكاد أن توهي قميصه . وهذا مما تتمدّح به العرب ، لأن السمّنة^(٣) عندهم مذمومة .

وقد كشف عن هذا المعنى قول الآخر :

فتي لا يُرَى قَدْ القميصِ بخصره ولكنّا نفرى الفرى مناكبه
وقوله «قليل قذى العينين» يصف امتعاضه وقلة صبره على درن العار^(٤) .

(١) التبريزي : « هذا البيت قد تكلم عليه الفري ، لأن فيه خلافا لما قبله ، إذ كان البيت المتقدم في صفة امرأة ، وهذا البيت يجب أن يكون في صفة ناقة ، ولا شك أنه قد سقط منه شيء يصله بما قبله . ولم يذكر ذلك أحد منهم ، وإنما يريد أنها ترفع ذنبها إلى متنها .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ٤٥٦ ص ١٢٢٣ .

(٣) التبريزي : « يُعلم أنه هو الموت إن لم تصر عنا » . وهي رواية الديوان ٤٣ .

يقال : صريت الشيء ، إذا قطعته ومنعته .

(٤) كأنه جعل « السمّنة » اسما للسمن ، والمعروف في المعاجم ، أن السمّنة بالضم : دواء

يتخذ للسمن .

(٥) هذا ما رآه المرزوقي ، وأجود منه قول التبريزي : « يصفه بحدة النظر ، أنه

ليس بعينه نعمس ، فهو أحد لنظره » .

ويقال : فلان لا يُغضَى على قَدَى ، إذا لم يحتمل ضيماً . وقوله « نعلم أنه هو الموت » يصفه بشدة الحمية عند غضبه . وأن ناره لا يُصطَلَى [بها^(١)] إذا غار على حُرْمِهِ . والمعنى أننا مع تعرُّضنا له نخذره مخافة أن يحمى ، لتحققنا أن شره لا يُقام له إذا سطا . والبوائق : جمع بائقة ، وهي الخصلة المنكرة في شمولها ، فيقال : باقتهم بائقة . والبوقة . الدفعة الشديدة من المطر ، منه . قال رؤبة .

* من باكر الوسمى نضاح البوق^(٢) *

وقو « تلو عنا » أي تصرف . ويرى « تلق عنا » من الإلقاء .

٣ - عرَضْنَا فسلمنا فسلم كارهاً علمنا وتبريح من الغيظ خانقه^(٣)

٤ - فسأيرته مقدار ميل وليتني بكرهه له ما دام حياً أرافقه^(٤)

يقول : لما لحقنا بالظاهرين عرَضْنَا لَهُنَّ ، وسلمنا على قِيَمهن والمحامي دونهن ، فأجابنا جواب الكاره لنا ، والمنكر لتسلمنا ، قد خنقه غيظٌ مُبرِّحٌ . ويقال : لَحِقْتُهُ وَلَحِقْتُ بِهِ . وانتصب « كارهاً » على الحال . والتبريح : التَّشديد . ويقال : برِّح بي كذا وكذا ، ومنه قول الأعشى :

* أبرحت رباً وأبرحت جارا^(٥) *

(١) التكملة من ل .

(٢) نضاح ، بالحاء المهملة في الأصل واللسان . وفي ل والديوان ١٠٥ : « نضاح » بالحاء المعجمة ، وهما سببان .

(٣) الديوان : « وقفنا فسلمنا » . التبريزي : « الرواية التي عليها الناس : من الغيظ . وفي شعر ابن الدمينه : الغنط ، الذي يراد به أشد الكرب . يقال غنطه غنطاً . قال الشاعر : إذا غنطنا ظالمين أعانهم على غنظهم من من الله واسع » . ابن جني في التنبيه : « هذا من نحو تسمية الثواب باسم العمل ، نحو قول الله سبحانه : « وجاء سيئة سيئة مثلها . . . فكذلك قوله فسلمنا فسلم ، أي فرد السلام . والأول في العرف والاستعمال مسلم ، والثاني راد » .

(٤) الديوان :

فسأيرته ميلين يا ليت أني على سخطه حتى المات أرافقه

(٥) صدره : * تقول ابنتي حين جد الرحيل *

ويقال : هو في بَرَحٍ من الشَّوقِ بَارِحٌ . وقوله « خَانِقُهُ » يريدُ أَنَّهُ امتلأَ صدرُهُ من الغَيْظِ فارتقى إلى ما هو فوقه حتى خنقه .

وقوله « فسأيرتُهُ مقدارَ مِيلٍ » انتصب مقدارَ على الظرف . ومعنى سَأيرتُهُ صاحبَتُهُ في السَّيرِ ، ثم قال : وليتني أرافقه ما دامَ حَيًّا ، على كُرهِ مَنِّي ، لأنَّهُ استطاب صحبته لما له من اللذازة^(١) في النظرِ إليهن ، واستكراه الكونَ معه لما يخاف على نفسه منه ، إلا أَنَّهُ غلبَ الالتذادَ . و « وما دامَ حَيًّا » انتصب على الظرف ، و « أرافقه » في موضع خبر ليت . وقوله « بكرهى له » نصب على الحال ، والعامل فيه أرافقه .

- ٥ - فَلَمَّا رَأَتْ أَنْ لَا وَصَالَ وَأَنَّهُ مَدَى الصَّرْمِ مَضْرُوبٌ عَلَيْهِ سَرَادِقُهُ^(٢)
- ٦ - رَمَتْنِي بِظَرْفٍ لَوْ كَمِّيَّارَمَتْ بِهِ لَبَلٌ نَجِيحًا نَحْرُهُ وَبَنَائِقُهُ
- ٧ - وَلَمَحَ بِمِيزَانِهَا كَأَنَّ وَمِيزَانَهُ وَمِيزَانُهَا كَأَنَّ وَمِيزَانَهُ

قوله « أن لا وصال » أن فيه مخففة من أن الثقيلة ، يريد أنه لا وصال . ألا ترى أنه عطفَ عليه « وأنه مدى الصرم » . ووصال انتصب بلا ، وخبره محذوف ، كأنه قال : لا وصالَ بيننا . والجملة في موضع خبر أن ، والضمير في أنه الأولى والثانية ضمير الأمر والشأن . وقوله « مدى الصرم » في موضع الابتداء ، و « مضروب علينا » خبره . وسرادقه ارتفع بمضروب ، لأنه قام مقام الفاعل . وقوله « رمتني بظرف » جواب لما . كأنه لما تأملت حاله في مسأيرته ، وضيق الوقت عن مجاذبته ، لما كان يحول بينهما من مراقبته ، ثم رأته تغشظ

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « اللذة » .

(٢) الديوان : « فلما رأته ألا جواب وإنما » .

الرقيب وكراهيته^(١) ، مع معرفتها بنتائج ضجره ، نظرت إلى الشاعر نظراً
إنكار استدل منه على ضلاله فيما يأتيه ، وسوء توفيقه فيما يباح فيه ، فكأنه
رمتهم بسهمٍ لو لم يكن نظراً ، بل كان سهماً رُمي به شجاعٌ في معركة ، لأصيب
مقله ، فكان يبتلُ نحره وبنائق قميصه نجيعاً . والنجيع : دم الجوف . ويقال
تَنَجَّعَ به ، أي تَلَطَّخَ .

وقوله « ولامح بعينها » انعطف على قوله بطرفٍ . واللامح : النظر ،
ويستعمل في البرق والبصر . وكذلك الطرفُ هو النظر [هنا^(٢)] ، كأن
الرسمي بالطرفِ كان إنكاراً منها . واللامح بالعينين مُواعدةٌ وتوجيهٌ بجميلٍ
بعد تعذر المطلوب : والومض والوميض : اللامع . وأومضت له فلانة بعينها ،
إذا برقت . لذلك شبه وميض لَمَحَّها بوميض الحيا ، وهو الغيث المَحْيِي
للأرضِ وأهلها وقد هَدَيْتْ أَي أُرْشِدَتْ شقائمه ، وهي قِطْعُ سحابِهِ ، لنجد .
كأنه جعلها قاتلةً في رميها ، مُحْيِيَةً بَلَمَحَّها . والشقيقة : البرقة إذا استطارت في
عُرْضِ السحاب وتكشفت أيضاً .

(١) ل : « وكراهته » .

(٢) التكملة من ل .

٤٧٨

وقال أبو الطمحان القيني^(١) :

١ - أَلَا عَلَّلَانِي قَبْلَ صَدْحِ النَّوَامِحِ وَقَبْلَ ارْتِقَاءِ النَّفْسِ فَوْقَ الْجَوَامِحِ^(٢)

٢ - وَقَبْلَ غَدِي يَا لَهْفَ نَفْسِي عَلَى غَدِي إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي وَلَسْتُ بِرَأْمِحِ

يُرْوَى « يَا لَهْفَ نَفْسِي مِنْ غَدِي ». وَالصَّدْحُ : شِدَّةُ صَوْتِ الدَّيْكِ وَالغَرَابِ وَغَيْرِهَا . وَالصَّيْدَحِيُّ : الشَّدِيدُ الصَّوْتِ . وَالْجَوَامِحُ : ضُلُوعُ الصَّدْرِ . وَارْتِقَاءُ النَّفْسِ فَوْقَهَا ، كَمَا يُقَالُ : بَلَغَتْ نَفْسُهُ التَّرَاقِي . فَيَقُولُ : عَلَّلَانِي بِالْمَقْتَرَحِ عَلَيْكَمَا قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ فَتَقُومَ النَّوَامِحُ عَلَيَّ يَنْدُبُنَنِي ، وَقَبْلَ مِيقَاتِ أَجَلِي . وَأَوَانِ تَحْلُفِي عَنْ أَصْحَابِي وَقَدْ رَاحُوا عَنِّي ، لِنُزُولِ الْقَدَرِ الْمَقْدُورِ بِي .

فإن قيل : كيف قدّم ذكر صدح النوامح على ذكر الموت ، وإنما يكون بعده ؟ قلت : إن العطف بالواو لا يوجب ترتيباً . ألا ترى أن الله تعالى قال : ﴿ وَاسْجُدْ وَاركَعْ ﴾ ، والرُّكُوعُ قَبْلَ السُّجُودِ فِي تَرْتِيبِ أَعْمَالِ الصَّلَاةِ .

وقوله « إِذَا رَاحَ أَصْحَابِي » يجوز أن يكون إذا في موضع الخبر بدلاً من غدي ،

(١) الطمحان ، بالتحريك : فعلان من طمح بأنفه ، إذا تكبر . وأبو الطمحان هو حنظلة بن الشرق ، أو ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانة بن القين بن جسر بن شيع الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، أدرك الإسلام فأسلم ، ولم ير النبي صلى الله عليه وسلم . وكان معروفاً بالفسق ، قيل له : ما أدنى ذنوبك ؟ قال : ليلة الدير . قيل له : وما ليلة الدير ؟ قال : نزلت بديرانية فأكلت عندها طموشلاً بلحم خنزير ، وشربت من نمرها ، وزنيت بها وسرقت كساءها وهضيت . ويذكرون أنه عمر مائتي سنة . وفي الشعراء أيضاً أبو الطمحان الأسدي كان في زمن يوسف ابن عمر ، وأبو الطمحان النهشلي ، وأبو الطمحان الطائي . الخزانة (٣ : ٤٢٦) وشرح التبريزي للحماسة ، والإصابة ٢٠٠٧ والمعمرين ٥٧ والمؤتلف ١٤٩ والاشتقاق ٣١٧ واللكل ٣٣٢ والأغاني (١١ : ١٢٥ - ١٢٨) والشعراء ٣٤٨ .

(٢) التبريزي : « قيل نوح النوامح » ، ثم قال : « ويروى : قبل صدح الصوادح » .

والبديل إذا جاء مؤكداً للمبديل منه ومفصلاً جملته قد لا يستغني عن المبديل منه ،
 وإذا كان كذلك فليس لأحد أن يقول : من شرط البديل أن يُبَاقى المبديلُ منه
 ويُجَعَلَ هو مكانه . وإذا كان كذلك لم يَجْزُ أن يَبْلَى إذا العَامِلِ في غَدٍ ، وهو
 « على » أو « من » في الروايتين جميعاً . على أن أبا العباس قد جَوَّز وقوع
 إذا في موضع المجرور والمرفوع . ويجوز أن يكون نصباً بدلاً من موضع
 « من غَدٍ » أو « على غَدٍ » العامل والمعمول فيه جميعاً ، لأن موضعهما نصبٌ
 على المفعول مما دلَّ عليه قوله يالْهفْ نفسي ، وهو : أتلهف من غَدٍ .

وإنما جاز أن يُودَع البيتين باب النسيب لرقتهما ولأن المتعلل به كان لذة
 من اللذات . وهذا عادته في أبواب اختياره (١) .

٤٧٩

آخر :

- ١ - هَلِ الْوَجْدُ إِلَّا أَنْ قَلْبِي لَوَدَّنَا مِنْ الْجَمْرِ قَيْدَ الرُّمْحِ لَأَحْتَرِقَ الْجَمْرُ
- ٢ - أَيْ الْحَقِ أَنِّي مُغْرَمٌ بِكَ هَائِمٌ وَأَنْكَ لَا خَلٌّ هَوَاكَ وَلَا خَرٌّ
- ٣ - فَإِنْ كُنْتُ مَطْبُوبًا فَلَا زِلْتُ هَكَذَا وَإِنْ كُنْتُ مَسْجُورًا فَلَا بَرَأَ السَّحْرُ

قوله : هل الوجد « استفهام لفظه ومعناه النفي ، بدلالة وقوع إلا بعده ،
 كأنه قال : ما الوجد ، أو ليس الوجد إلا هذا الذي بي ، وهو أن قلمي لو قرُب من
 الجمر حتى لا يكون بينهما إلا قدر رمح لغلب ناره نار الجمر ، وكان الجمر يحترق .
 وقوله « الوجد » مبتدأ وخبره إلا مع ما بعده . وانتصب « قَيْدَ الرُّمْحِ » على
 الظرف . ويقال : بيني وبينه قاب قوسٍ ، وقيد رُمح ، وغلوة مَهْمٍ . وحكى

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « وهو عادته في باب اختياره » .

بعضُ أهلِ التَّفْسِيرِ في قوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ﴾ أنَّ لكلَّ قوسٍ قَابَيْنِ ، وهو ما بين اللَّقْبِضِ وَالسَّيَّةِ . وَأهلُ اللُّغَةِ على ما قَدَّمْتُهُ .

وقوله « أفي الحقِّ أنِّي مُغْرَمٌ بِكَ هَامٌّ » فالغرم : الذي قد لَزِمَهُ الحُبُّ يُقال : حُبُّهُ غَرَامٌ ، أي لا تَفْصِيَّ مِنْهُ . ومنه عذابُ غَرَامٍ . والهَامُّ : المتحَيِّرُ . والهَيَامُ كالجنون من العِشْقِ ، ومنه الهَيَمُّ : الذي يَهْذِي بِالشَّيْءِ وَيُكْثِرُ ذِكْرَهُ . والمعنى أنه لا يدخلُ في الحقِّ ووجوهه ، وأنواع قِسَمِهِ . أن يكون حُبِّي لَكَ غَرَامًا ، وحُبُّكَ لا يرجع إلى معلوم ، ولا يَحْصُلُ على حَدٍِّ محصور . ويقال : ما هو بِخَلٍِّ ولا خَمْرِ ، والمعنى أنه ليس بشيء يَخْلُصُ وَيَتَبَيَّنُ .

وقوله « فَإِنْ كُنْتُ مُطْبُوبًا » فالطَّبُّ : السَّحْرُ والعلمُ جميعًا . وهو طَبٌّ ، أي عليم . وفي الحديث : « حِينَ طَبَّ » أي سِحْرٍ . وهو مطبوبٌ ، أي مسحور . ومعنى البيت : إن كان الذي بي وأقاسيه داءً معلومًا يُعرفُ دواؤه ، فلا فارقي فأنتي ألتدُّ به — وهذا هو الفِئْتِيَانِيَّةُ في الهوى ، والتجلُّدُ على البلاء — وإن كنتُ مسحورًا ، يريد وإن كان الذي بي لا يُعَلِّمُ ما هو ، وأغيا الوقوفُ عليه الأَطْبَاءُ ، والعلماءُ بالأدواء ، حتى يُسَلِّمَ لِلسَّحْرِ فلا فارقي أيضًا . وإنما قال هذا من عادة العامة ، لأنهم كذا يعتقدون في الأوصاب والعِئِلِ . ولا يجوز أن يكون معنى مطبوبًا مسحورًا ، لأنه بصير الصدرُ والعَجْزُ لمعنى واحد .

٤٨٠

آخر :

- ١ - نَشَكِّي الْمُحِبُّونَ الصَّبَابَةَ لِيَتَنِي
تَحَمَّلْتُ مَا يَلْقَوْنَ مِنْ بَيْنِهِمْ وَحَدِي
- ٢ - وَكَانَتْ لِنَفْسِي لَذَّةُ الحُبِّ كُلِّهَا
فَلَمْ يَلْقَهَا قَبْلِي مُحِبٌّ وَلَا بَعْدِي (١)

(١) التبريزي : « فكانت » .

هذا كلامٌ من تجلّد في الهوى وادّعى التلذذ به وإن برّح به وأثر فيه ،
 فيقول (١) : شكا الخبّون جناية الصّباة عليهم ، وجريرة العشق لديهم ، وبودى
 أنى (٢) تحمّلت أعباءها كلّها وحدى ، وخلصّ للصّبر فيها ولها عفوى وجهدى ،
 وكانت نفسى تغال لذة مجموعها ومفرّقها ، وتفرد بمكابدة مجهولها ومعرفها (٣) ،
 فأفوز بادّعائها ، وتسقط المشاركة بينى وبين أربابها ممن سبقنى لتقدّم زمانه ،
 أو تأخر عني لتأخر ميلاده .

٤٨١

وقال شبرمة بن الطفيل (٤) :

١ - ويومٍ شديدٍ الحرِّ قصّر طوله دمُ الزقِّ عنا واصطكك المزاهر (٥)
 ٢ - لدن غدوة حتى أروح ، وصحبتي عصاة على الناهين شمّ المناخر
 ٣ - كأنّ أباريق الشمول عشيّة إوزاً بأعلى الطّف عوج الحناجر

قوله « ويومٍ » انجرّ بإضمار رُبّ ، وجوابه قصّر طوله . يقول : رُبّ يومٍ
 من أيام الصّيف شديد الحرّ ، جعل طوله قصيراً ، ما اشتغلنا به فيه من الشرب
 والقصف . وأراد بدم الزقّ الخمر . واصطكك المزاهر : مدافعة أوتار البربط بعضها
 لبعض بالضرب . ويقال : ازدهر الرّجل ، إذا فرح . فيجوز أن يكون العود
 مسمى مزهراً منه .

(١) في الأصل : « فيكون » ، صوابه في ل .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « أن » .

(٣) هذا ما في ل ، وهو الموافق لموسيقى الناصبة ، وفي الأصل : « وممروفيها » .

(٤) الشبرمة : واحدة الشبرم ، وهو نبت حار يحدّر الطبيعة . ولم نثر لشبرمة على ترجمة .

على أن الأبيات نسبت في الحيوان (٦ : ١٧٩) وثمار التلّوب ٥٠٢ إلى ابن الطّرية .

(٥) التبريزى والجاحظ والشعالبي والثلاى ٩٣٨ : « واصطفاق المزاهر » . وقد أشار

التبريزى إلى رواية « واصطكك » .

وقوله « لَدُنْ غُدُوَّةٍ » انتصب غُدُوَّةٌ عن النون من لَدُنْ (١) ، ولا ينتصب به غيره ، فهو شاذٌّ . والمعنى : باكرنا الشرب ، فلما رُحِمْنَا كان أصحابي قد سَكِرُوا واكتَسَبُوا كِبْرًا وَنُبْلًا ، وَذَهَابًا عَمَّا يُشِيرُ بِهِ النَّاهِي وَالْمَسَدُّ (٢) .

وقوله « كَأَنَّ أَبَارِيقَ الشُّمُولِ عَشِيَّةً » شَبَّهَ أَوَانِيَ الْحَمْرِ وَقَدْ فُرِّغَتْ وَأُمِيَاتِ بَطِيورِ مَاءِ اجْتَمَعَتْ عَشِيَّةً بِأَعْلَى السَّاحِلِ (٣) ، مَعَوِجَةَ الْحَفَاجِرِ وَالْحَلُوقِ .

وَأَدْخَلَ هَذِهِ الْقِطْعَةَ فِي بَابِ النَّسِيبِ لِرِقَّتِهَا وَدَلَالَتِهَا عَلَى الْاَلَهُوِ وَالْخَسَارَةِ .

٤٨٢

وقال جابر بن ثعلب الجرمي (٤) :

١ - وَمُسْتَخِيرٍ عَنِ سِرِّ رَبِّا رَدَدْتُهُ بِعَمِيَاءٍ مِنْ رَبِّا بَغَيْرِ بَقِيْنِ

٢ - فَقَالَ انْتَصِحْنِي إِنِّي لَكَ نَاصِحٌ وَمَا أَنَا إِلَّا خَبْرَتُهُ بِأَمِينِ

يروى : « انتصحني إنني ذوامانة ، وهذا في كتمان سرِّ المحبوب ، والحفاظة على الدِّمام والحرم . يقول : رَبِّا مُسْتَدْرِجٌ لِي فِيمَا بَيْنَ رَبِّا وَبَيْنِي ، طَالِبٌ لِلْوَقُوفِ عَلَى الْمَكْتُومِ مِنْ أَمْرِهَا وَأَمْرِي (٥) ، رَدَدْتُهُ عَنِ نَفْسِي بِقَصَّةِ عَمِيَاءٍ لَا يَهْتَدِي فِيهَا لِمَطْلُوبٍ ، وَلَا يُرْجَعُ فِيهَا إِلَى يَقِيْنِ ، فَلَمَّا لَمْ يُمْكِنْهُ أَنْزَالِي عَمَّا حَاوَلَهُ قَالَ انْتَصِحْنِي ، أَمْي أَدْخَانِي فِي أَمْرِكَ ، وَأَجْرِنِي مَجْرَى نَصْحَانِكَ ، إِنِّي أَمِينٌ لَا دَغْلَ فِي هَمَّتِي ، وَلَا خِيَانَةَ فِي شَأْنِي ، وَلَوْ خَبَّرْتُهُ بِمَا التَّمَسَّ ، وَأَطْلَعْتُهُ عَلَى

(١) الأوضح منه ما ذكر التبريزي : « بنصب غدوة مع لَدُنْ ، تشبه النون منها بنون عشرين » ، يريد أن غدوة تنصب على شبه التمييز .

(٢) المسدد : الذي يوجه نحو السداد والصواب . وفي الأصل : « والمشدد » صوابه في ل .

(٣) أي ساحل الفرات . وفي معجم البلدان : « والطف طف الفرات ، أي الشاطئ » .

(٤) كذا في النسختين ، وهو المطابق لما مضى في ص ٣٠٤ . وعند التبريزي : « جابر

ابن الثعلب الجرمي ، من طيبي » . ويقال أيضاً « ابن ثعلبة » . انظر حواشي ٢١٥ .

(٥) كذا في ل . وفي الأصل : « فيما بيني وبين ربا ، طلب الوقوف من أمرها وأمري » .

ما استشرح ، كنتُ أنا غيرَ أمينٍ ، فكيف أصير معه مؤتمناً ، وذلك أني إن بُحْتُ بسرِّها فقد ضيَّعتُ أمانتها ، والسرُّ إذا جاوزَ اثنينِ خرجَ من أن يكونَ سرّاً . ومثل هذا قولُ جرير :

ولقد تَسَقَّطَنِي الوُشَاةُ فصادَفُوا حَصِرًا بِسِرِّكَ يَا أُمَيْمَ ضَمِينًا

٤٨٣

وقال نفر بن قيس^(١) ، وبنو نفرٍ رَهْطُ الطَّرِمَّاحِ :

١ - أَلَا قَالَتْ بِهَيْشَةَ مَا لِنَفْرِ أَرَاهُ غَيَّرَتْ مِنْهُ الدَّهْرُ^(٢)

٢ - وَأَنْتِ كَذَاكَ قَدْ غَيَّرْتِ بَعْدِي وَكُنْتِ كَأَنَّكَ الشَّعْرَى الْعَبُورُ

كانَّ المرأةَ ازدرتَه وأنكرتْ شُحوبَه وهزَّالَه ، وتغيَّرَه عما عهدتَه ، فصرفتْ ذلكَ إلى أَنه من مقتَضياتِ الكِبَرِ ، ومسبباتِ القَشْفِ^(٣) ، وقالت مستفهمةٌ : ما لِنَفْرِ ، أَرَى الأَيَّامَ أَثَرَتْ فِيهِ ، والأحداثَ أَضَدَّتْهُ وهزَّالَتَهُ ، فأجابها من طريق إنكارها وقال : إنَّ كان ذلكَ من عُقَبِ الأَيَّامِ فإنها لم تَغْفُلْ عنكَ ولم تُهْمَلْ تغييرَكَ أيضاً ، فما أنكرتَه مِنِّي موجودٌ فيكِ وظاهرٌ على سَحْنَتِكَ^(٤) ولونك ، فقد كنتِ كالشَّعْرَى العبورِ إشرافاً وتلاؤماً ، وقد حلتِ وتغيَّرتِ . و « العبور » قيل فيه : هو من عَبَرْتُ النَّهْرَ ، إذا جُرَّتَه . وقيل : بل هو من عَبَرْتُ بِهِ ، إذا شَقَّقْتَ عَلَيْهِ^(٥) ، كأنَّها إذا طلعتْ تُعَبِّرُ المَالَ الرَّاعِيَةَ بِحَرِّها ،

(١) هو الجلد الثاني للطرماح ، إذ هو الطرماح بن حكيم بن الحكم بن نفر بن قيس بن جحدر بن ثعلبة بن عبد رضا بن مالك بن أبان بن عمرو بن ربيعة بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيبي . وكان الطرماح نفسه يلقب « أبان نفر » . انظر ما مضى من ترجمته في ص ٢٢٧ .
(٢) التبريزي : « بهيسة » بالسین المهملة ، وهما روايتان صحيحتان . انظر اللسان : (بهس ، بهش) حيث ذكر هاتين الروايتين .

(٣) القشْف : يبس العيش وضيقة وسوء الحال .

(٤) في الأصل : « سحيتك » ، صوابه في ل .

(٥) في القاموس : « وعبر به الأمر تعبيراً : اشتد عليه . وعبرت به : أهلكته » .

وإذا سَقَطَتْ فببردها . وقوله : وأنتِ كذاكَ ، الكاف الأولى للتشبيه ، و « ذا » أشار به إلى ما أنكرت منه ، والكاف الأخيرة للخطاب ولا موضع له من الإعراب ، فهو حرف .

٤٨٤

وَقَالَ بُرْجُ بْنُ مُسَهْرٍ^(١) :

- ١ - وَنَدْمَانُ يَزِيدُ الْكَأْسَ طَيْبًا سَقَيْتُ إِذَا تَعَرَّضْتُ النُّجُومَ^(٢)
٢ - رَفَعْتُ بِرَأْسِهِ وَكَشَفْتُ عَنْهُ بِمُعْرَقَةٍ مَلَامَةً مَن يَلُومُ^(٣)

النَّدْمَانُ وَالنَّدِيمُ : مَن يُنَادِيكَ عَلَى الشَّرَابِ ، ومثله في البناء سَلْمَانُ وَسَلِيمٌ ، وَخَمْدَانٌ وَخَمِيدٌ ، وَرَحْمَنٌ وَرَحِيمٌ . ومعنى « يزيد الكأس طيباً » أى يحسُن عِشْرَتَهُ ، وأدب مجالسته يزداد شُرب المدام وإدارة الكأس معه لذة . والمعنى : رُبَّ نَدِيمٍ عَلَى مَا وَصَنَتْهُ سَقَيْتُهُ إِذَا تَعَرَّضْتُ النُّجُومَ ، أى أبدت عُرضَهَا لِلغُيُوبِ . ويقال : تَعَرَّضْتُ الْجَبَلَ ، أى أخذتُ يَمِينًا وَشِمَالًا فِيهِ ، ولم أصبتهم في الصُّعُودِ . قال :

تَعَرَّضِي مَدَارِجًا وَسُورِي تَعَرَّضَ الْجُوزَاءُ لِلنُّجُومِ^(٤)

ومعنى قوله « رفعتُ برأسه » أنهبته من منامه ، وأزلتُ عنه ما كان يُدَاخِلُهُ

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ١٢٢ ص ٣٥٩ .

(٢) التبريزى واللسان (عرق) : « إذا تغورت » ، ثم قال التبريزى في التفسير : « إذا تعرّضت النجوم ، أى أبدت عرضها للمغيب » . ورواية المؤلف ٦٢ تطابق رواية المرزوق .

(٣) أنشده في اللسان والمقاييس (عرق) . ورواية المقاييس : « أخذت برأسه » .

(٤) الرجز لعبد الله ذى البجادين المزنى دليل رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر

لللسان (درج) . وأنشده في المقاييس (درج) بدون نسبة . وبعده :

* هذا أبو القاسم فاستقيمى *

من النعم بلوم اللامعين إياه على معاطاة الشرب وإدمانه اللهو ، بأن سقيته
مُعْرَقَةً - وهى الصَّرْف من الخمر ، وقيل هى القليلة المزاج . ويقال : تعرَّقتُ
الخمرَةَ ، إذا مزَجْتَهَا . وأعرَقَه الساقى ، إذا سقاه مُعْرَقًا . وقوله « إذا تعرَّضت
النجوم » يشير به إلى الاصطباح .

٣ - فلَمَّا أَنْ تَدَشَّى قَامَ خِرْقٌ مِنْ الْفِتْيَانِ مُخْتَلِقٌ هَضُومٌ^(١)

٤ - إِلَى وَجْنَاءِ نَاوِيَةٍ فَكَاسَتْ وَهَى الْعُرْقُوبُ مِنْهَا وَالصِّمِيمُ

انتَشَى وَنَشَى وَتَدَشَّى بِمَعْنَى سَكِرَ . وَالنَّشْوَةُ : الشُّكْرُ . وَأَرَادَ بِالْخِرْقِ
نَفْسَهُ ، وَهُوَ الْكَرِيمُ الْمُتَخَرِّقُ بِالْمَعْرُوفِ . وَالْمُخْتَلِقُ : النَّامُ الْخَلْقِ . وَالْهَضُومُ ،
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ الْمِنْفَاقُ فِي الشِّتَاءِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : هُوَ الْكَرِيمُ الْمِفْضَالُ ، كَأَنَّهُ
يَهْضُمُ مَالَهُ بِأَنْ يُخْرِجَ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنَ الْوَاجِبِ فِيهِ . وَالْوَجْنَاءُ ، هِيَ الْفَاقَةُ الْغَلِيظَةُ
الْوَجْنَتَيْنِ . وَقِيلَ بَلْ هِيَ الصُّلْبَةُ ، مَا خُوذُ مِنَ الْوَجِينِ ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ .
قَالَ الْخَلِيلُ : وَقَلَّ مَا يُقَالُ لِلْجَمَلِ أَوْجَنٌ . وَالنَّاوِيَةُ : السَّمِينَةُ .

وقوله « فكاست » اختصر الكلام ، والمراد فعرقبها فكاست . والكؤوس :
المشي على ثلاث قوائم . وأراد بالصميم المعضو الذى به القوام ؛ يقال : هذا
صميم الوظيف ، وصميم الرأس . والعُرْقُوبُ : عَقَبٌ^(٢) مؤنث خلف الكعبين
فُوَيْقَ الْعَقَبِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ مَفْصِلِ الْوَضِيفِ وَالسَّاقِ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ .
وعرْقَبْتُهُ : قَطَعْتُ عُرْقُوبَهُ . وقوله « وهى العُرْقُوبُ » إظهارٌ للعلة فى كوسها .
والوهى : الشَّقُّ وَالْخِرْقُ . وَفِي الْمَثَلِ : « غَادَرَ وَهِيَّةً لَا تُرْقَعُ » ، أَيْ فَتَقَّةً

(١) روى التبريزى أيضا : « مختلق » بكسر اللام ، وفسره بأنه الكريم الأخلاق .

(٢) الذى فى اللسان : « عصب » . والعقب ، بالقاف وبوزن العصب أيضا ، هو عصب

المتنين والساقين والوظيفين ، يختلط باللحم ، يشق منه مشقا ويهذب وينقى من اللحم ويسوى
منه الوتر .

لا يُطاق إصلاحها ورتقها. والمعنى: لما أقيم رسم الاصطباح، وانتشى الندمان، قام هو إلى ناقةٍ بهذه الصفة فعرقبها .

- ٥ - كهاةٍ شارِفٍ كانت لِشَيْخٍ لَهُ خُلُقٌ يَحَاذِرُهُ الْغَرِيمُ^(١)
 ٦ - فَأَشْبَعَ شَرْبُهُ وَجَرَى عَلَيْهِمْ بِإِزْبِقَيْنِ كَأَسْمَمَا رَذُومٍ^(٢)
 ٧ - تَرَاهَا فِي الْإِنَاءِ لَهَا مُحْيَا كُمَيْتًا مِثْلَ مَا فَقَعَ الْأَدِيمُ^(٣)
 ٨ - تُرْنِخُ شَرْبَهَا حَتَّى تَرَاهُمْ كَأَنَّ الْقَوْمَ تَنْزِفُهُمْ كَلُومٌ

الـكهاةُ: الناقة الضخمة كادت تدخل في السنّ، وكذلك الكهياة .
 والشارِفُ: المسنة . وقوله « كانت لِشَيْخٍ » كان الكريمُ منهم المحسنانُ إلى
 عشيرته ، المُفضالُ على رفقاته ونُدماؤه ، يتعمّد إذا نحر لهم في الشرب وعند
 السكر ، أن يفعل ذلك في غير مِلْكِهِ ، يَسْتَأْمُ^(٤) مالِكَ الجَزُورِ بها أغلَى
 الأثمان فيغرّمه ، ويعدُّ ذلك الغرْمُ غنما ، والصبرَ على سوء خلقه وإنكاره
 التبسط في مِلْكِهِ بغير إذنه كَرَمًا . لذلك قال : « لَهُ خُلُقٌ يَحَاذِرُهُ الْغَرِيمُ » ،
 يريد البُخْلَ منه والاستقصاء .

وقد سلك هذا المسلك طَرَفَةٌ فَقَالَ وَوَفَى الْمَعْنَى حَقَّهُ ، وكأنه صَبَّ في قَالِبِ
 هذا الشاعر :

وَبَرَكَ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ مَخَافَتِي نَوَادِيهَا أَمْشِي بَعْضُ بَجَرَدٍ^(٥)

(١) لم يرو الأمدى هذا البيت .

(٢) التبريزي : « وسمى عليهم » ، ثم أشار إلى الرواية الأخر .

(٣) الأمدى : « ويروى : نقع الأديم ، أى روى . ويقال : أرجوان ناقع ، وهو
 الذى قد روى من الصبغ . فأما فقع فعناه أحر ، ولذلك قيل : أحر فقاعى . »

(٤) ل : « ليستام » .

(٥) البرك : الإبل الكثيرة الباركة . النوادى : القواصي منها . العضب : السيف القاطع .

فمرّت كهامة ذات خيفٍ جلالةً عقيلةً شيخٍ كالوبيل الندد^(١)
 يقول وقد ترّ الوظيفُ وساقها ألسّت ترى أن قد أنيت بمؤيد^(٢)
 وقال ألا ماذا ترّونَ بشاربٍ شديدٍ علينا بغيه مُتعمّد
 فقال ذروه إنما نفعها له وإلا تكفّوا قاصي البرك يزدد
 فظللّ الإمام يمتلن حوارها ويُسعى علينا بالسديف المسرهد^(٣)

قوله « فأشبع شرّبه » يعنى من الفائة المعقورة . وجعل الجارى عليهم بأبريقين والكأس ملامى تقطر ؛ لأنّ شرّبهم كان بداراً . ثم وصف الخمرة فقال : لها سورةٌ شديدةٌ ، ولونها حمرة متناهية . ومعنى فقّع : حسنَ وصفاً ويقال : أحمرُ فاقعٌ . ويروى : « مثل ما نصع » والمراد خلص . والحما مصغرٌ لا مكبر له ، وقد تقدّم القولُ فى بنائه . وكُميت : مصغرٌ مرخم ، والمراد به تكبيره ، وهو أكمّت ، لذلك جمع على كُميت . ومثله فرسٌ وردٌ ، ثم قيل خيلٌ وردٌ ، لأنه أريد به أفعالٌ . ومما جاء مصغراً قولهم كُميتٌ ، وهو طائرٌ ، وجَميل^(٤) ، والثريا ، والغبيراء ، والمرِطاء ، واللجين ، وهنيدةٌ .

وقوله « تُرّخ شرّبهم » أى لشدتها تُزيل قواهم ، فكأنهم أسارى نُزفت دماؤهم . ويقال : ضربته حتى رنّته ، أى غشى عليه .

٩- فقمنا والركابُ مخيساتٌ إلى قتلِ المرافقِ وهى كوم^(٥)

(١) الخيف ، بالفتح ، جلد ضرع الناقة . العقيلة : كريمة المال . الوبيل : العصا الضخمة . والألندد واليلندد : الشديد الضخومة .

(٢) تر : سقط . المؤيد : الداهية العظيمة الشديدة .

(٣) يمتلن ، الامتلال : جعل الشيء فى الملة ، وهى الجمر والرماد الحار . وفى النسختين : « يمتلكن » ، تحريف . والحوار : ولد الناقة . السديف : قطع السنام . المسرهد : السمين ، أو المقطع قطعاً . (٤) فى اللسان : « سيبويه : الجميل البليل ، لا يتكلم به إلا مصغراً » .

(٥) هذا البيت وتاليه لم يروهما الآمدى .

١٠ - كَأَنَّا وَالرَّحَالَ عَلَى صِيَّوَارٍ بِرَمْلِ خَزَاقِ أَسْمَاهُ الصَّرِيمُ
يُرَوَّى « محبسات » أى معقولاتٌ مُنَاخَةٌ بِالْفِغَاءِ ، وهو الوجه . ورَوَى
بعضهم : « مَخِيَّسَاتٌ » أى مَذَلَّلَاتٌ ، لَكِي إِذَا رُكِبَتْ لِلَّهِو^(١) ، وفى حالة
الشُّكْرِ كما فعله هُوَلَاءُ ، لم تَعْسِفْ بِرُكْبَانِهَا ، ولم تَأْتِ الْعَرِضَةَ فى سِيرِهَا .
وَالْفُتْلُ : جمع أَفْتَلٍ وَفَتْلَاءٍ ، وهى البعيدة المرفق عن الزَّوْرِ . وَالْكُومُ : العظامُ
الْأَسْنِمَةُ . وقال الخليل . الْكُومُ ، الْعِظْمُ فى كلِّ شَيْءٍ . وقوله « كَأَنَّا وَالرَّحَالَ »
شَبَّهَ رُكَّابَهُمْ بِقَطِيعٍ مِنَ الْبَقَرِ بِالرَّمْلِ الْمَذْكُورِ ، أَسْمَاهُ الصَّرِيمُ إِلَى الصِّيَّادِينَ
وَالْكِلَابِ ، نَخَفَتْ وَعَدَّتْ . وَالصَّرِيمُ اسْتُعْمِلَ فى الصَّبْحِ وَاللَّيْلِ جَمِيعًا ، لِأَنَّ
كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَنْصَرُمُ عن صاحبه وقتَ السَّحَرِ . وَإِنَّمَا رَكَبُوا بَعْدَ الْإِصْطِبَاحِ
لِلتَّنْزُهِ أَوْ فى بَطَالَةٍ حَضَرَتْهُمْ^(٢) .

١١ - فَبِتْنَا بَيْنَ ذَاكَ وَبَيْنَ مِسْكِ فَيَا عَجَبًا لَعِيشٍ لَوْ يَدُومُ

١٢ - وَفِينَا مُسْمِعَاتٌ عِنْدَ شَرْبٍ وَغِزْلَانٌ يُعَدُّ لَهَا الْحَمِيمُ^(٣)

تَبَجَّحَ بِأَنَّهُمْ نَالُوا أَكْثَرَ أَنْوَاعِ اللَّذَاتِ ، مِنْ شَرْبٍ وَقَصْفٍ ، [وَتَنَزُّهُ^(٤)]
وَأَهْوٍ ، وَمَعَاشِرَةٍ وَطَرَبٍ ، وَتَسَخٍّ وَإِفْضَالٍ ، وَتَنَدِّيٍّ عَلَى الْغَدْمَاءِ وَإِكْرَامٍ ،
وَتَتَرَّفٍ وَتَعَطُّرٍ ، وَتَمَتُّعٍ بِالنِّسَاءِ وَتَغَزُّلٍ . وقوله « فَيَا عَجَبًا » إِنَّمَا تَعَجَّبَ مِنْ اسْتِمْرَارِ
الْوَقْتِ بِمِثْلِ الْعَيْشِ الَّذِي وَصَفَ ، وَكَيْفَ سَمَّحَ الزَّمَانُ بِهِ ثُمَّ غَفَلَ عَنْهُ حَتَّى اتَّصَلَ .
وَالْمُسْمِعَاتُ : الْعَنِّيَّاتُ . وَالسَّمَاعُ : الْغِنَاءُ . وَذَكَرَ الْحَمِيمَ لِقَفْعَمَهُنَّ ، وَلِأَنَّ بِلَادَهُنَّ
كَانَتْ صُرُودًا^(٥) . وَعَلَى هَذَا قَالَ عَمْرُو بْنُ كَلثُومٍ :

(١) سبق نحو هذا التعبير فى ص ١١٦٩ س ٩ « لَكِي إِذَا نَابَنَا ذُو حَقِّ » .

(٢) البطالة : اتباع اللهُو والجُهَالَة .

(٣) هذا البيت لم يروه الآمِدَى .

(٤) هذه من ل .

(٥) الصرود : جمع صرد ، وهو المكان المرتفع من الجبال ، وهو أبرد ما ..

مُشْعَشَمَةً كَانَ الْحَصَّ فِيهَا إِذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا
قال ابن الأعرابي: سخينا حال بمعنى مُسَخَّنٍ ، لأنَّ البرد اقتضاهم
بذلك الماء .

وقوله « فَبِتْنَا بَيْنَ ذَاكَ » يريد أن حاضر وقتهم كان على ذلك ثم تغيَّر .
١٣ - نُطَوِّفُ مَا نُطَوِّفُ ثُمَّ يَاوِي ذَوُو الْأَمْوَالِ مِنَّا وَالْعَدِيمُ
١٤ - إِلَى حُفْرِ أَسَافِلُهُنَّ جُوفٌ وَأَعْلَاهُنَّ صُقَّاحٌ مُقِيمٌ
يقول : يُكْتَبُ الْوَاحِدُ مِنَ التَّطَوُّفِ عَلَى اللَّذَاتِ ، وَالتَّجْوَالِ فِي الْأَطْرَافِ
لِطَلْبِ الْبَطَالَةِ ، وَلَيْسَ مَالَ الْجَمِيعِ مُقْتَرِنًا وَغَنِينًا إِلَّا إِلَى حُفْرِ ، يَعْنِي بِهَا الْقُبُورَ .
ثُمَّ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا جُوفُ الْأَسَافِلِ لِلْجُودِهَا ، وَأَنَّ أَعْلَاهَا نُصِبَتْ عَلَيْهَا حِجَارَةٌ
عِرَاضٌ كَالشَّقُوفِ لَهَا ، وَهِيَ دَائِمَةٌ عَلَى هَذِهِ أَبَدًا .
وقوله « نُطَوِّفُ مَا نُطَوِّفُ » أَي مَدَّةَ تَطَوُّفِنَا . وَيُقَالُ : أَوَى إِلَى
كَذَا أَوْيًّا .

٤٨٥

وقال إياس بن الأرت^(١) :

١ - هَلُمَّ خَلِيلِي وَالغَوَايَةَ قَدْ تُصِيبِي هَلُمَّ نَحْيِي الْمُنْتَشِينَ مِنَ الشَّرْبِ
٢ - نُسَلِّ مَلَامَاتِ الرَّجَالِ بَرِيَّةً وَنَفْرٍ شُرُورَ الْيَوْمِ بِاللَّهْوِ وَاللَّعِبِ
قوله « وَالغَوَايَةَ قَدْ تُصِيبِي » اعترض ، وَكَرَّرَ هَلُمَّ عَلَى طَرِيقِ التَّأَكِيدِ .
وَالْفَائِدَةُ فِي هَذَا الْإِعْتِرَاضِ تَحْقِيقُ الْقِصَّةِ الْمَدْعُودِ إِلَيْهَا .

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٣٥٧ ص ٢٠٢٨ . التبريزي : « إياس بن الأرت

وللعرب في « هلم » طريقتان: منهم من يُجْرِيه بحرى أسماء الأفعال، وحينئذ يقع للواحد والجمع والمؤنث والمذكر على حالة واحدة، والقرآن نزل به، لأنه قال تعالى ذكره: ﴿ يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾ . ومنهم من يجعل أصلهاها التثنية ضم إليه لم، وهو فعل، جعلاً معاً كالشيء الواحد، فيثنيه ويجمعه ويؤنثه . وكان الفراء يقول: هو هل أم تركباً معاً . وليس إهل في الكلام إلا موضعان: أحدهما - وهو الأكثر - أن يكون للاستفهام؛ ولا معنى للاستفهام ها هنا . والثاني: أن يكون بمعنى قد، على ذلك فسّر قوله تعالى: ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ ﴾ ، وليس لمعنى قد في هذا مدخل . وإذا كان كذلك فما قاله فاسد .

وقوله « والغواية قد تُضَيِّبِي » يريد أن الغي يدعو صاحبه إلى أمور كثيرة مختلفة، وقد يحمله على الصبأ واللهو في الوقت بعد الوقت . وطلب من صاحبه مساعدته على تحييته للشرب^(١)، والدخول في مجلتهم، وتسليمة النفوس عن ملامات من يدعو إلى الرشاد، ويحمل على سلوك طرق الصلاح والسداد^(٢)، بشرب رية، وهي الكأس الممتلئة خمراً، وقطع وقت الشر والغم باللهو واللعب .

وقوله « نسل » في موضع الجزم، لأنه جواب الأمر . و « نفر »، معطوف عليه . ويقال: فرئت الأديم، إذا قطعتة على جهة الصلاح، وأفرأيتة إذا قطعتة للفساد .

٣ - إذا ما تراخت ساعة فاجعلنها خَيْرٍ فَإِنَّ الدَّهْرَ أَعْصَلُ ذُو شَعْبٍ

٤ - فَإِنَّ يَكُ خَيْرٌ أَوْ يَكُنْ بَعْضُ رَاحَةٍ فَإِنَّكَ لَاقٍ مِنْ غُمُومٍ وَمِنْ كَرْبٍ

قوله: « إذا ما تراخت ساعة فاجعلنها » في طريقته ما أنشده ابن الأعرابي:

إِذَا كَانَ يَوْمٌ صَالِحٌ فَاقْبَلْنَاهُ فَأَنْتَ عَلَى يَوْمِ الشَّقَاوَةِ قَادِرٌ

(١) ل: « تحية الشرب » .

(٢) ل: « الرشاد والسداد » .

وقوله « فَإِنَّ الدَّهْرَ أَعْصَلُ » ، العَصَلُ : اعوجاج الأنياب . قال الخليل : ولا يقال أعصل إلا لكل معوجٍ فيه صلابةٌ وكزازة . والمعنى : أن ما يعصُّ عليه الدهرُ لا يمكن انتزاعه منه ، كما لا يمكن انتزاع الشيء من الناب التي فيها عَصَلٌ . والشَّعْبُ : تهيبج الشرِّ . ويقال : رَجُلٌ مُشَغَبٌ .

وقوله « فَإِنْ يَكُ خَيْرٌ أَوْ يَكُنْ بَعْضُ رَاحَةٍ » ، يريد أن الدهر لا تصفو أحواله من الكدر ، ولا عطاياه من التعب والأذى ، فلا تُعِنُّهُ على نَفْسِكَ ، واجتهد في إصلاح ما يُفْسِدُهُ ، وإلقاء ما يَشُقُّ مِنْهُ . وقوله « فَإِنَّكَ لَاقٍ مِنْ غُغُومٍ » من زائدة على مذهب الأَخْفَشِ ، كأنه قال : إِنَّكَ لَاقٍ غُغُومًا . وسيبويه لا يرى زيادة « مِنْ » في الواجب ، فطريقته في مثله أنه صفةٌ لحدوف ، كأنه قال : إِنَّكَ لَاقٍ مَا شَدَّتْ مِنْ غُغُومٍ .

٤٨٦

وقال آخر :

١ - أَحِبُّ الأَرْضَ تَسْكُنُهَا سُلَيْمَى وَإِنْ كَانَتْ تَوَارَتْهَا الْجُدُوبُ

٢ - وَمَا دَهْرِي بِحُبِّ تَرَابِ أَرْضٍ وَلَكِنْ مَنْ يَحُلُّ بِهَا حَبِيبُ

يذكر حنينه إلى محلِّ سُلَيْمَى ومكانها ، وميله وإن كان قفراً^(١) متردداً في الجدوبة متناهياً أقطاره في اليبوسة ، وأنَّ ذلك زاً عليه لكونها به ، فأما حُبُّ الأَرْضِينَ مجردةٌ فليس من دأبه وعادته .

وقوله « وَمَا دَهْرِي بِحُبِّ تَرَابِ أَرْضٍ » جعل الحُبَّ للدَّهْرِ على طريقتهم في قولهم : نهاره صائم ، وليله قائم . والمعنى : ليس حُبُّ الأَرْضِينَ مِنِّي بِمَادَةٍ فِي

(١) في الأصل : « فقيراً » ، صوابه في ل .

دهرى ، وقوله « ولكن من يجلُّ بها حبيب » يشبه قول الآخر :

ألا يا بَيْتُ بالعلِيَاءِ بَيْتُ وَلَوْلَا حُبُّ أَهْلِكَ مَا أَتَيْتُ^(١)
 يريد أن البيوت في الموضع الذي جئت منه قد كثرت ، والكنى قصدتك
 لحبِّ أهلك . وقوله « توارثها » أى تتوارثها . فحذف إحدى التاءين استئقلا .
 وقد مضى مثله .

٣ - أَعَادِلَ لَوْ شَرِبْتَ الْخُمْرَ حَتَّى يَكُونَ لِكُلِّ أُنْمَلَةٍ دَبِيبٌ
 ٤ - إِذَنْ أَعَدَّرْتَنِي وَعَلِمْتَ أَنِّي بِمَا أَتَلَفْتُ مَنْ مَالِي مُصِيبٌ^(٢)

كأن عاذلةً أفرطت في لوميه على ما يُدمنه من الشرب ، ويذهب فيه من
 طُرُقِ اللُّهُو ، فقال لها : لو شربت الخمر فأخذت منك ، ودبت في عُروقتك
 ومفاصلك ، وجمعت السارِّ لك ، وكشفت أنواع الغمِّ عنك ، لعرفت من لذاتها
 ومنافعها ، وحُدوث الطَّرب والجدل في النفوس لها ، واستمتاع الرُّوح بنشوتها
 وقواها ، ما يبعثك على بسط عُذري في الوُوع بها ، والثبات على هواها ،
 ولعلت أئى راكب ثبح الصَّواب ، وغير عادِلٍ عن الواجب في إنفاق المال .
 معنى « لما أتلفت » أى من أجل إتلافي . ويروى : « بما أتلفت » والمعنى
 أئى مصيبٌ بسببه ومن أجله .

(١) أنشده في اللسان (بيت) شاهداً على أن البيت فيه معنى المرأة .

(٢) ل : « لما أتلفت » ، وأشير في هامشها إلى أنها في نسخة « بما أتلفت » .

٤٨٧

وقال أبو صعتره البولاني^(١) :

- ١ — فَمَا نَطْفَةٌ مِنْ حَبِّ مُزْنٍ تَقَادَفَتْ بِهِ حَسَنُ الْجُودِيِّ وَاللَّيْلُ دَامِسُ^(٢)
 ٢ — فَلَمَّا أَقْرَبَتْهُ اللَّصَابُ تَنَفَّسَتْ شِمَالَكَ لِأَعْلَى مَائِهِ فَهُوَ قَارِسُ^(٣)
 ٤ — بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ وَاسْكِنَنِي فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسُ

قوله « حَسَنُ الْجُودِيِّ » رواه البرقي : « بِهِ حُزْنُ الْجُودِيِّ » ، وكثير من الناس يرويه : « بِهِ جَنْبَتَا الْجُودِيِّ » . وقيل في « حَسَنُ الْجُودِيِّ » : إنه قطعة متصلة بالجوودي ، والجوودي : جبل . وقال صاحب العين : حَسَنُ : اسم رمل لبني سعد^(٤) . وذكر البرقي أن الجَزَنَةَ والحَزْنَ من الأرض والدَّوَابَّ : ما فيه خُشُونَةٌ . والفعل منه حَزُنَ حُزُونَةً ، ورجل حَزِنَ : شَرِسٌ ، وقومٌ حُزِنٌ . ومن روى : « بِهِ جَنْبَتَا الْوَادِي » فالمراد به الكنفُ والنَّاحِيَةُ . وبعضهم استدلل على أن قول الناس : فُلَانٌ فِي جَنْبَةِ فُلَانٍ ليس بشيء ، وإنما الصواب في جَنْبَةِ فُلَانٍ ، بسكون النون ، استدلالاً بهذا البيت .
 وقد روى الأصمعي :

* وَالنَّاسُ فِي جَنْبٍ وَكُنَّا جَنْبًا *

فيقول : ما ما اجتمع من حَبِّ مُزْنٍ — وهو البردُ ، لأنَّ المَزْنَ اسمٌ يجمع

(١) سبقَت ترجمته في الحماسية ٣٥٩ ص ١٠٣٣ . وهذه المتطوعة من بحر المتطوعة وروياها ، فلعلهما من قصيدة واحدة .

(٢) هذا ما في ل وياقوت (٢ : ٢٧٩) ، وفي الأصل : « جنبتا الجودي » .

(٣) ل : « لأعلى متنه » .

(٤) ياقوت : « حسن ها هنا : جمع حسنة ، وهي مجارى الماء » . وضبطت الحسن فيه بكسر ففتح كما في النسختين هنا ، وضبط في اللسان بفتحيتين في الجمع والمفرد .

(٥) في اللسان : « الأصمعي : الحزن : الجبال الغلاظ ، الواحدة حزنه — أى بالضم —

مثل صبرة وصبر » .

أنواع السحاب ، فهو كالغيم - ترامت به جوانب هذا الجبل والليل مظلم إلى أن زال رنقه ، وانقطع كدره . وخبر « ما » قوله « بأطيب » . ثم وصف الماء بأنه لما حصل في القرارات بعد تقطعه بنضد الحجاره ، وجوانب المذانب والأدوية ، فزال عنه أكثر شوبه ، هبت عليه شمال لينة فصفتة وبردته . يريد : ما ماء سارية بهذه الصفة بأعذب من رضب فم هذه المرأة ، ولا أقول هذا عن ذواق واختبار ، ولكن عن صدق فِرَاسَة ، واعتبار مُشَاهِدَة .
وفي طريقته قول الآخر^(١) :

يا أَطْيَبَ النَّاسِ رِيْقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ

واللصاب : جمع لصب ، وهو شقوق في الجبل . والقارس : البارد . وقوله « فارس » أراد به المتفرس . ويقال : هو فارس على الخيل بين الفروسة^(٢) ، وإذا كان يتفرس في الأشياء ويحسن النظر فيها قات : هو فارس بين الفِرَاسَة . والدَّامِس : المظلم ، ويقال : دمس ، أي أظلم ؛ وأتيتُه دمس الظلام .

٤٨٨

وقال الحارث بن خالد المخزومي^(٣) :

١ - إني وما نحرروا غداة مني عند الجمار توودها العقل
٢ - لو بدلت أعلى مساكنها ميفلاً وأصبح سفلهما يعلو

(١) هو بشار بن برد . أمالي القالي (١ : ٢٢٨) والأغاني (١٨ : ١٩٢) .

(٢) ل . « الفروسية » ، وهما سيان .

(٣) هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن كعب بن لؤي بن غالب : وهو أحد شعراء قريش المعدودين الغزاليين ، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى المديح والهجاء ، وكان يهوى عائشة بنت طلحة ويشبب . وولاه عبد الملك بن مروان مكة . الأغاني (١٨ : ٩٧ - ١١١) .

٣- لَعَرَفْتُ مَعْنَاهَا لِمَا ضَمِنَتْ مِنِّي الضَّلُوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ
 أَقْسَمَ بِالْقَرَابِينِ الَّتِي يَنْحَرُّهَا الْحَجِيجُ عِنْدَ الْمُحَصَّبِ غَدَاةَ مِنِّي وَهِيَ مَعْقُولَةٌ
 أَنَّهُ لَوْ غَيَّرْتُ دِيَارُ هَذِهِ الْمَرْأَةِ عَنْ خِطِّهَا الْمَعْهُودَةَ ، وَرَسُومِهَا الْمَشْهُورَةَ ، حَتَّى
 جُعِلَتْ أَعَالِيهَا أَسَافِلَهَا ، وَأَسَافِلُهَا أَعَالِيهَا لَعَرَفَ مَعْنَاهَا الْمُخْتَصَّ بِهَا ، وَمَثْوَاهَا
 الْجَامِعَ لِأَسْبَابِهَا لِمَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مَحَانِي ضُلُوعِهِ مِنْ وَدِّ أَهْلِهَا أَيَّامَ ، وَوَأَصْلَتِهَا^(١) ،
 حَتَّى كَانَ لَا يَلْتَبِسُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا . وَمَعْنَى « تَوَوَّدُهَا » تَنْقَلِبُهَا . وَجَوَابُ الْيَمِينِ
 « لَعَرَفْتُ » . وَالْمَعْنَى : الْمَنْزِلُ . وَيُقَالُ : غَنِينَا بِمَكَانٍ كَذَا نَغْنَى بِهِ غِنَى .
 وَجَوَابُ « لَوْ بُدِّلَتْ » مَا هُوَ جَوَابُ الْقَسَمِ ، وَهُوَ لَعَرَفْتُ .

٤٨٩

آخر^(٢) :

- ١- مَرِيضَاتُ أَوْبَاتِ التَّهَادِي كَأَنَّهَا تَخَافُ عَلَى أَحْسَائِهَا أَنْ تَقَطَّعًا^(٣)
 - ٢- تَسِيْبُ أَسْيَابِ الْأَيْمِ أَخْضَرَهُ النَّدَى فَرَفَّعَ مِنْ أَعْطَافِهِ مَا تَرَفَّقًا^(٤)
- التَّهَادِي : الْمَشَى بَيْنَ اثْنَيْنِ ؛ يُقَالُ : رَأَيْتُهُ يُهَادِي بَيْنَ اثْنَيْنِ وَيَتَّهَادِي .
 يَصِفُهَا بِالنَّعْمَةِ وَالرَّقَّةِ وَضَعْفِ الْحَرَكَةِ ، لِثِقَلِ رِدْفِهَا ، وَدِقَّةِ خَصْرِهَا ، وَتُرْفُقِهَا
 الْمَتَمَلِّكَةِ لِأَعْضَائِهَا وَحَوَامِلِهَا ، فَيَقُولُ : إِذَا تَهَادَتْ بَيْنَ اثْنَيْنِ فَعَطَّفَاتِ حَرَكَاتِهَا
 مَرِيضَةٌ ، وَنَهَضَاتِ انْدِفَاعِهَا بِطَيِّئَةٍ ، فَكَأَنَّهَا تَجْذِبُ أَعَالِيَهَا أَسَافِلَهَا ، تَخَافُ عَلَى

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « ود أهلها لها ومواصلتها » .

(٢) هو رجل من بني سعد ، كما في محاضرات الراغب (٢ : ١٣٩) . والبيتان رويان

أيضاً في الحيوان (٤ : ٢٥٩) ومجموعة المعاني ٢٥٩ .

(٣) الحيوان : « مريضة أثناء التهادي كأنما » .

(٤) في الأصل : « من أعطافها » ، صوابه في ل والتبريزي وسائر المراجع ، لكن في

الحيوان : « يرفع من أعطافه » .

خصرها التَّقَطُّعَ إِنْ تَبَسَّطَتْ فِي الْمَشْيِ ، أَوْ تَسَرَّعَتْ فِي الْقَصْدِ .
 وقوله « تسبب انسياب الأين » فالأين : الجان من الحيات . ويروى
 « الأيم » أيضاً ، وهي الحية . والحية لا تصبر على البرد ، لأنه إذا أثر فيها
 يديس جرمها فتكسرت . فيقول : هي تنساب أى تتدافع في مشيها تدافع الحية
 وقد أثر فيها الندى فخصرت وأخذت من جرمها وأعطاها ما أطاعها وأمكنها .
 كأن الحية وقد خصرت شق عليها ما يذللها من خصر الندى وبرده ، فهي في
 انسيابها تتجافى^(١) عن الأرض جهدها . ويقال : ساب وانساب بمعنى واحد .
 وفي القرآن : ﴿ وَلَا سَائِبَةٌ ﴾ . قال الدردي : ساب الماء ، إذا جرى .

٤٩٠

آخر :

١ - أبت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وأن تمس ظهوراً^(٢)
 ٢ - وإذا الرياح مع العشي تفاوحت تبهن حاسدة وهجن غيوراً
 لف في البيت الأول الخبرين لفا ، ثم رمى بتفسيرها جملة ، ثقة بأن السامع
 الكلامه يرُدُّ إلى كلِّ ماله ، وذلك لأنه قال « أبت الروادف والثدي
 لقمصها » ، فجمع بين ما يكون خلفاً وقدماً من الرذف والثدي . وهو يريد
 أن يصنمها بأنها ناهدة الثديين ، دقيقة الخصر ، لطيفة البطن ، وأنها عظيمة
 الكفل والرذف ، فالثدي تمنع القمص أن تلتصق ببطنها ، والرذف يمنعها أن
 تلتصق بظهرها ، فبين في التفسير في عجز البيت ما لفته في صدره كما ترى .
 وقوله « وإذا الرياح مع العشي تفاوحت » ، يريد : وإذا دنت الأصل

(١) ل : « تتجافى » .

(٢) البيتان في أمالي القالي (١ : ٢٣) .

وهبت رياحُ الصيف ، فتقابلت ريحانِ كالشمال والجنوب ، أو الصبا والدبور ،
وابتردت هذه ، التصقَ من درعها ببطنها وظهريها ما كان يمنعه ثديها وردفها
قبل هبوبها ، وظهر من محاسنها ما ينبئه الحاسد ويهيج الغيور ، لأن ما خفي
منها ظهر للعيون والمناظر ، فالغيور يكره ، والحاسد يتنبه . وقوله « وأن تمس »
جاز انعطافه على « مس البطون » لكون العامل والمعمول فيه في موضعه ومعناه .
والبطون في موضع المفعول ، لأن المصدر يُضاف إلى المفعول كما يُضاف إلى الفاعل .
والبطون مع لفظ مس ، كظهوراً مع أن تمس .

٤٩١

وقال بكر بن النطاح (١) :

١ - بيضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو وخف أسحم

٢ - فكأها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلم

وصف شعرها بالطول ، وكثرة الأصول ، فإذا قامت سحبتة ، وإذا أرسلته

(١) شاعر حنفي من بني حنيفة بن لجم ، أو عجل من عجل بن لجم وهما أخوان . وكان
بكر بن النطاح صعلوكا يصيب الطريق ثم أقصر عن ذلك ، فجعله أبو ذئب من الجند وجعل له
برزقا سلطانيا ، وكان شجاعاً بطلاً فارساً ، شاعراً حسن الشعر والتصرف فيه ، كثير الوصف
لنفسه بالشجاعة والإقدام ، وكان الرشيد قد غضب عليه فاخنتي ، ولم يظهر حتى مات الرشيد ،
فلما مات ظهر . وهو القائل :

أكذب طرفي عنك في كل ما أرى وأسمع أذني منك ما ليس تسمع

فلا كبدى تبلى ولا بك رحة ولا عنك إقصار ولا فيك مطع

وهو مما غنى به قديماً وحديثاً . غنته في عصرنا « أم كلثرم » . والقائل في غلام نصراني

كان يحن به :

يا من إذا درس الإنجيل ظل له قلب التقى عن القرآن منصرفا

إني رأيتك في نومي تمانقني كما تمانق لام السكاكب الأنفا

«الأغاني» (١٧ : ١٥٣ - ١٦١) .

سَتَرَهَا فَتَغْيِبُ فِيهِ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ شَدِيدُ السَّوَادِ ، مُسْتَرَسِلٌ فِي جُمُودَةٍ وَارِدٌ فِي جُثُولَةٍ ، فَكَأَنَّهَا لَشِدَّةُ بِيَاضِهَا إِذَا تَغَشَّاهَا ، نَهَارٌ يَسْطَعُ مِنْ خَلَلِ الظَّلَامِ ، وَكَأَنَّ شَعْرَهَا لَشِدَّةُ سَوَادِهِ عَلَيْهَا ، أَيْلٌ مُظْلِمٌ تَغَشَّى بِيَاضَ نَهَارِهِ (١) .

٤٩٢

آخر :

١ - تَأَمَّلْتُهَا مُغْتَرَّةً فَكَأَنَّهَا رَأَيْتُ بِهَا مِنْ سُنَّةِ البَدْرِ مَطْلَعًا

٢ - إِذَا مَا مَلَأْتُ العَيْنَ مِنْهَا مَلَأْتُهَا مِنَ الدَّمْعِ حَتَّى أَنْزِفَ الدَّمْعَ أَجْمَعًا

يقول : نظرتُ إليها على غرّةٍ منها اختلاستها ، وغفلةٍ ترصدتها ، فكأنني رأيتُ بها بدرًا طالعا . وسنةِ البدر ، أراد وجهه . ويقال : اغترّ فلانٌ ، إذا فوجى عن غرّة .

وقوله « إِذَا مَا مَلَأْتُ العَيْنَ مِنْهَا مَلَأْتُهَا مِنَ الدَّمْعِ » يقول : إِذَا تَزَوَّدَتْ عَيْنِي مِنْ حُسْنِهَا فَفَنظَرْتُ فِي أُعْطَافِهَا ، اِمْتَلَأْتُ مَتَحَيَّرَةً مِنْ جَمَالِهَا ، كَمَا يَتَحَيَّرُ ظَرْفُ المَاءِ إِذَا اِمْتَلَأَ مِنْهُ . وَإِنَّمَا قَالَ « مَلَأْتُهَا مِنَ الدَّمْعِ » لِأَنَّهُ كَانَ يَفْتَقِعُ (٢) وَوَصَلَ تَحْمُلُهُ ، وَتَفَجَّلُ (٣) عَقْدَ تَجَلُّدِهِ ، وَجَدًّا بِهَا ، وَتَحْمُشَرًّا فِيهَا . وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَظْرَهُ لَمْ يَكُنْ عَنِ اتِّفَاقِ أَنَّهُ قَالَ : تَأَمَّلْتُهَا مُغْتَرَّةً ، وَمَعْنَى « أَنْزِفَ الدَّمْعَ » أَفْنِيهِ كُلَّهُ . يَقَالُ : نَزَفْتُ المَاءَ وَأَنْزَفْتُهُ ، بِمَعْنَى وَاحِدٍ .

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل « يغشى » .

(٢) ل : « يتقطع » .

(٣) ل : « يتجملل » .

٤٩٣

وقال كثير^(١) :

١ - وِدِدْتُ وَمَا تُغْنِي الْوِدَادَةُ أَنْتَى بِمَا فِي ضَمِيرِ الْحَاجِبِيَّةِ عَالِمٌ

٢ - فَإِنْ كَانَ خَيْرًا سَرَّيْنِي وَعَلِمْتُهُ وَإِنْ كَانَ شَرًّا لَمْ تَلْمُنِي اللُّوَامُ

يقول : تَمَنَيْتُ أَنْتَى عَالِمٌ بِمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ قَلْبُ هَذِهِ الْمَرَأَةِ لِي ، وَمَا يَنْفَعُ التَّمَنَى إِذَا لَمْ يُسَاعِدِ الْقَدَرُ . وَقَوْلُهُ « وَمَا يَغْنَى الْوِدَادَةُ » اعْتِرَاضٌ بَيْنَ وِدِدْتُ وَمَفْعُولِهِ ، وَهُوَ أَنْتَى . وَيُقَالُ : وِدِدْتُ وِدَادَةً وَوِدَادَةً ، بَفَتْحِ الْوَاوِ وَكَسْرِهَا . وَقَوْلُهُ « فَإِنْ كَانَ خَيْرًا » يَرِيدُ : فَإِنْ كَانَ مَا تَضَمَّرَهُ لِي وِدَادًا صَافِيًا ، وَمِيلًا نَاصِعًا^(٢) سَرَّيْنِي ذَلِكَ وَسَكَنْتُ إِلَيْهِ ، فَلَا يَذْهَبُ مَا أَتَكَلَّفَهُ فِي هَوَاهَا بَاطِلًا ، وَإِنْ كَانَ مَا تَضَمَّرَهُ وَتَنْطَوِي عَلَيْهِ اعْتِرَاضًا خَالِصًا ، وَجَفَاءً مُرًّا ، قَتَلْتُ نَفْسِي وَأَرْحَتُهَا مِنْ لَوْمِ اللَّامَاتِ . وَقَوْلُهُ « وَعَلِمْتُهُ » اِكْتَفَى بِمَفْعُولٍ وَاحِدٍ لِأَنَّهُ بِمَعْنَى عَرَفْتُهُ .

٣ - وَمَا ذَكَرْنَاكَ النَّفْسُ إِلَّا تَفَرَّقَتْ فَرِيقَيْنِ مِنْهَا عَاذِرٌ لِي وَلَائِمٌ^(٣)

يقول : مَا أَخْطَرْتُهَا بِمَالِي عَلَى مَا أَقَاسِي فِيهَا ، وَيُؤَافِينِي مِنْ اطَّرَاحِهَا وَزُهْدِهَا

(١) هو كثير بن عبد الرحمن بن أبي جمرة الخزاعي ، صاحب عزة ، وأحد فحول شعراء الإسلام . وكان غالياً في التشيع معروفاً بالحق ، وكان من أتية الناس وأذهبهم بنفسه . وكان المسور بن عبد الملك يقول فيه : « ما ضر من يروي شعر كثير وبجميل ألا تكون عنده مغنيتان مطربتان » . توفي كثير سنة ١٠٥ . الأغاني (٨ : ٢٥ - ٤٢) . والشراء ٤٨٠ - ٤٩٩ وابن سلام ١٢١ - ١٢٥ والاشتقاق ٢٨٠ والمؤتلف ١٦٩ والمرزباني ٣٥٠ ، والخزاعة (٢ : ٣٧٦ - ٣٨٣) وابن خلكان ، ومعاهد التنصيص .

(٢) هذا في ل . وفي الأصل : « نافعاً » .

(٣) بعده عند التبريزي :

فريقُ أبي أن يقبل الضيمَ عموةً وآخرُ منها قابلُ الضيمِ راغِمُ

إِلَّا تَفَرَّقَتْ نَفْسِي فَرِيقَيْنِ : ففريقٌ يَعدِرُنِي ويقول : إنَّ مثلها في كالمها وظرفها
وحسبها ومنصبها ، وشرفها وسرورها ، يَصْبِرُ على كل أذى يَعْرِضُ في اكتسابها
وَيُعْتَلِقُ على جميع عِلاتها ، احتفالا باسمها في العُشاق ، وتكثرا بمكانها بين
ذوى الأهواء . وفريقٌ يلومني ويقول : إنَّك جاهلٌ بِمَالِكَ وَعَلَيْكَ ، مِمْتَدِلٌ
الرُّوحُ في هَوَى من لا يُشْفِقُ عَلَيْكَ ولا يرفقُ بِكَ ، ولا يرجعُ إلى شيء مما
تؤثره ، وإن امتدَّ مَدَى ذهابها عنك . وهذا قاله على عادة النَّاسِ فيما يَهْمُونُ ،
وتردُّهم بين ما يقوِّى العزمَ عليه وبين ما يضعفه ، فجعلَ كلَّ واحدٍ منهما
كأنه نفسٌ على حيالها .

٤٩٤

وقال أيضا :

- ١ - وَأَنْتِ الَّتِي حَبَبْتِ شَغَبًا إِلَى بَدَا إِلَى وَأَوْطَانِي بِلَادٍ سِوَاهِمَا^(١)
٢ - وَحَلَّتْ بِهَذَا حَلَّةً ثُمَّ أَصْبَحَتْ بِهَذَا فَطَابَ الْوَادِيَانِ كِلَاهُمَا

خاطبتها في البيت الأول مُعْتَدًا عليها بأنه كما آثرها على أهلِهِ وَعَشِيرَتِهِ ،
آثَرَ بِلَادَهَا على بلاده ، فذكر [طرفي محالها فقال : أَحَبُّ لَكَ وَفِيكَ شَغَبًا
إِلَى بَدَا ، وَبِلَادِي^(٢)] بِلَادٌ غَيْرَهَا . ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْهَا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي فَقَالَ :
وَنَزَلَتْ بِهَذَا - يَشِيرُ إِلَى شَغَبٍ - نَزَلَةً ، ثُمَّ أَصْبَحَتْ بِبَدَا ، فَفَاحَ الْوَادِيَانِ
وَتَضَوَّعَا بَرِيًّاها . ومثله قولُ الآخر :

(١) بعده عند التبريزي :

إِذَا ذَرَفَتْ عَيْنَايَ أَعْتَلُّ بِالْقَدَى وَعَزَّةٌ لَوْ يَدْرِي الطَّيِّبُ قَدَاهَا

(٢) الكلمة من ل .

استودعت نشرها الرياض فما تزداد إلا طيباً على القدم
ومثله أيضاً :

تضوع مسكاً بطن نغان أن مشت به زينب في نسوة خفرات^(١)

٤٩٥

وقال نصيب^(٢) :

١ - لقد هتفت في جنح ليل حمامة على فنن وهنأ وإني لنائم^(٣)
٢ - كذبت وبيت الله لو كنت عاشقاً لما سبقتني بالبكاء الحامم
هتفت : صاحت . في جنح الليل^(٤) ، أى فيما مال من الليل . والفتن :
الغصن . وهنأ : بعد ساعة من الليل . يقول : جددت لى حمامة بتفريدها وجداً

(١) البيت لعبد الله بن نعيم الثقفي ، كما في اللسان (ضوع) وإصلاح المنطق ٢٨٧ .
ويروى : « عطرات » .

(٢) هو نصيب بن رباح مولى عبد العزيز بن مروان ، كان شاعراً فحلاً مقدماً في
النسب والمدح ، ونصيب هذا هو نصيب الأكبر ، القائل في عبد العزيز :

لعبد العزيز على قومه وغيرهم نعم غامره
وأما نصيب الأصغر فهو شاعر عباسي مولى المهدي ، اشتراه في حياة المنصور ، فلما سمع
شعره قال : والله ما هو بدون نصيب مولى بنى مروان . فأعتقه وزوجه أمة له يقال لها جعفره ،
وكناه أبا الحجناء ، وأقطعه ضيعة بالسواد ، وعمر بعه الأغاني (١ : ١٢٥ - ١٤٥ و ٢٠ :
٢٥ - ٣٤) وابن سلام ١٤١ وياقوت (٧ : ٢١٢ - ٢١٦) والمعنى (١ : ٥٣٧ - ٥٣٨)
والشعراء ٣٧١ - ٣٧٤ .

(٣) بين هذا البيت وتاليه في ديوان الحماسة بشرح الشيخ الدجيموني :

فقلت اعتذاراً عندك وإني لنفسى مما قد رأته للائم
أأزعم أنني هائم ذو صبابة بسعدى ولا أبكى وتبكي الحامم
وهذان البيتان لم يروهما التبريزي ولا المرزوقي ، فهما ليسا من صلب الحماسة ، على أن
يبقى الحماسة هذين نسبا في الأغاني (٢ : ٨) إلى المجنون ، ورواية أولهما :

لقد غردت في جنح ليل حمامة على إليها تبكى وإني لنائم
(٤) الجنح بالضم والكسر ، وقد ضبط في النسختين والتبريزي بالكسر فقط .

وصباية . وهي على غُضْنٍ فيما مالَ من الليل ، وإني لساكنٌ نائمٌ ، ولو كنتُ عاشقاً وحقَّ بيتِ اللهِ لَمَّا سَبَقْتَنِي الحمائمُ بالبكاءِ ، لكني كاذبٌ في دعواي متزيِّدٌ . وهذا كلامٌ مستقصِرٌ فيما هو عليه ، مستزيدٌ لنفسه فيما يُجرى إليه ، بصورها بصورةِ المنتسبِ بما ليس فيه . وهذه الطريقة زائدةٌ على طريقة الملتذِّ بالهوى . وقوله « لَمَّا سَبَقْتَنِي » ، على عادتهم فيما يمتقدون من شَجْوِ الحمام . لذلك قال أبو تمام :

لا تَشَجِينَنَّ لها فَإِنَّ بكاءها ضَحِكٌ وَإِنَّ بُكاءَكَ استغرامٌ

وسلَّكَ مسلكَ نَصِيبِ عدى بنِ الرِّقاعِ فيما أظنُّ فقال :

فلَوْ قَبَلَ مَبْكَأها بِكَيْتُ صبايةً بِلُبْنِي شَفَيْتُ النفسَ قَبْلَ التقدُّمِ (١)
ولكنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَاجَ لِي البُكَاءُ بُكَأها فَقَلْتُ الفضلُ للمتقدِّمِ
وقوله « لَمَّا سَبَقْتَنِي بالبكاءِ الحمائمُ » اشتمَلَ على جواب اليمين ، وعلى جواب لو .

٤٩٦

وقال الشمايطُ الغطفاني (٢) :

١ - أَرَارَ اللهُ مُخَكِّ في السُّلَامِي إلى مَنْ بِالْحَنِينِ تَشَوَّقِينَا (٣)

(١) في الكامل ٥٠٤ ليبسك : « بسعدى شفيت » .

(٢) ذكر في الأغاني (٢ : ٨٦) أن « شمايط » كان معاصراً لابن ميادة . وأنشد له في الأغاني واللسان (شط) :

أنا شمايط الذي حدثت به متى أنه للغداء أنته
حتى يقال شره ولست به

وهذه الحماسية جاءت عند التبريزي غير منسوبة ، ونص إنشاده : « وقال آخر » .

(٣) التبريزي :

أرار الله نقيك في السلامي على من بالحنين تعوليننا

٣ - فإني مثل ما تجدين وجدى ولكني أسير وتعلمينا

٣ - وبني مثل الذي بك غير أنني أجأ عن العقال وتمقلينا

قوله : « أَرَارَ اللهُ » يخاطب ناقته ووجدتها تحن فقال داعياً عليها : جعل الله نخك ريراً . والرير : الرفيق من المخ . والقصد في الدعاء إلى أن يجعلها الله نضواً مهزولاً ، وخصّ السلامي لأنها والعين آخر ما يبقى فيه المخ عند الهزال . لذلك قال الشاعر^(١) :

لا يشتكين أماً ما أنقنين مادام مخ في السلامي أو عين

وقوله : « إلى من بالحنين تشوقينا » ، يجوز أن يكون إنكاراً منه على الناقة في حنينها ، ويجوز أن يريد تفخيم شأن المشتاق إليه ، كأنه قال : تشوقيني بحنينك إلى إنسانٍ وأى إنسان ، ويكون « من » اسماً نكرةً ، ويكون الكلام خبراً ، وفي الأوّل يكون استفهاماً . وإنما أنكر ضجراً بها ، لأنه لم يدبر أحنينها إلى ولدٍ أو وطن أو صاحب .

وقوله : « فإني مثل ما تجدين » يجوز أن يكون « وجدى » في موضع النصب ، عل أن يكون بدلاً من المضمرة في إني ، ويكون مثل في موضع خبر إن ، فكأنه قال : إن وجدى مثل ما تجدين ، ويجوز أن يكون وجدى في موضع الرفع على الابتداء ، ومثل خبر له مقدّم ، والجملة في موضع خبر إن ، كأنه قال : إني وجدى مثل ما تجدين .

وقوله : « ولكني أسير وتعلمينا » يريد إن عقلي يمسكني ، وإن كان وجدى مثل وجدك وبرحي مثل برحك ، عن إظهار التألم ، وفي القلب ما فيه ، وأنت تعلمين وتصيحين .

وقوله : « وبني مثل الذي بك » يقول : إن نزاعي مثل نزاعك ، ولكني

(١) هو الراجز أبو ميمون النضر بن سلمة ، كافي اللسان (نقى) والرجز في صفة خيل .

بُؤْمَانُ مَنِيَّ أَنْ أَهِيْمَ عَلَى وَجْهِ ، إِذْ كُنْتُ أَضْبِطُ نَفْسِي بِمَا أُعْطِيتُ مِنْ تَمِيْزِي وَإِبْقَائِي ، وَأَنْتِ تُتَعَقِّلِينَ مَخَافَةَ أَنْ تَنْدِي عَلَى وَجْهِكَ ، إِذْ لَا بُسْكَةَ بَكَ ، وَلَا رِقَبَةَ لَكَ ، وَلَا حِيَاءَ يَرُدُّكَ ، وَلَا رِعَةَ تُمَسِّكَ .

٤٩٧

وقال (١) :

١ - وَلَمَّا أَبَى إِلَّا جَاحًا فَوَادَهُ وَلَمْ يَسَلْ عَنْ لَيْلِي بِمَالٍ وَلَا أَهْلٍ
٢ - تَسَلَّى بِأُخْرَى غَيْرِهَا فَإِذَا الَّتِي تَسَلَّى بِهَا تُغْرِي بَلْبِي وَلَا تُسَلِّي
يقول : لَمَّا عَصَى قَلْبُهُ وَتَأَبَّى إِلَّا جَاحًا فِي لَجَاجَتِهِ ، وَخُرُوجًا عَنْ طَاعَتِهِ ، وَلَمْ تَنْصَرَفْ نَفْسُهُ عَنْ لَيْلَى شُغْلًا بِتَمْيِيرِ مَالٍ ، وَتَرْقِيحِ عَيْشٍ ، وَلَا بِإِرْضَاءِ أَهْلٍ وَاسْتِصْلَاحِ عَشِيرَةٍ ، أَخَذَ يَطْلُبُ السُّلُوَ عَنْهَا فِي مُوَاصَلَةٍ غَيْرِهَا مِنَ النِّسَاءِ وَشَغَلَ الْقَلْبَ بِجَبِّهَا دُونِهَا ، فَإِذَا الَّتِي طَلَبَ التَّسَلَّى بِهَا تَبَعَتْهُ عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى لَيْلَى ، وَتَحَضُّضٍ عَلَى تَرْكِ الْإِبْتَارِ عَلَيْهَا ، لِأَنَّهُ يَظْهَرُ مِنْ زِيَادَاتِ مَحَاسِنِهَا ، وَأَنْوَاعِ مَا تَوَحَّدَتْ بِهِ مِنْ فَضَائِلِهَا ، مَا يَدْعُو إِلَى التَّشَبُّثِ بِهَا ، وَعِمَارَةِ هَوَاهَا .
وَجَوَابَ لَمَّا أَبَى « تَسَلَّى » . وَالْجَاحُ مِنْ قَوْلِهِمْ : جَمَحَ الْفَرَسُ ، إِذَا جَرَى جَرِيًّا غَائِبًا لِرَاكِبِهِ . وَقَوْلُهُ « فَإِذَا الَّتِي تَسَلَّى بِهَا » إِذَا هِيَ هَذِهِ الَّتِي لِلْمَفْجَأَةِ ، وَمِنْ الظُّرُوفِ الدِّكَانِيَّةِ لَا الزَّمَانِيَّةِ ، وَمَا بَعْدَهُ مُبْتَدَأٌ وَخَبَرٌ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُجْعَلْ مُسْتَقَرًّا .

٤٩٨

آخر (٢) :

١ - عَجِبْتُ لِبُرْتِي مِنْكَ يَا عَزَّ يَعْدَمَا عَمِرْتُ زَمَانًا مِنْكَ غَيْرَ صَحِيحٍ

(١) التبريزي : « وقال آخر » .

(٢) التبريزي : « وقال آخر ، وهو كثير » .

٢- فَإِنْ كَانَ بُرءُ النَّفْسِ لِي مِنْكَ رَاحَةً فَقَدْ بَرَّيْتُ إِنْ كَانَ ذَلِكَ مُسْرِيحِي

٣- تَجَلَّى غِطَاءُ الرَّأْسِ عَنِّي وَلَمْ يَكُنْ غِطَاءُ فُؤَادِي يَنْجَلِي لِسْرِيحِ

يقول : قضيتُ العجبَ من انصرافِ قلبي عنك ، وبرئتي من الداءِ فيك ، بعد ما بقيت زماناً مبتلي النفس في هواك ، عليل القلبِ بوجدك ، مُبرحاً بي حُبِّك ؛ فإن كان برءُ النفسِ يُعقبُ لي راحةً منك وفي هواك فقد برَّيتُ والراحةُ منتظرةٌ ، إن كانت من نتائجهِ ومسبباته . ثم قال « تجلَّى غطاءُ الرأسِ » يريد شبتُ واستبدلتُ بلون رأسي وسوادِ شعري لونا آخرَ حديثاً ، فكان المتقدمُ كان كالغطاءِ على رأسي ، تكشفُ بالتأني^(١) ، ولم يكُنْ ما تغشى قلبي من حُبِّك يفتكشِفُ بالهُويّتي .

فإن قيل : في ظاهر هذا الكلامِ تناقضٌ ، لأنَّ القائلَ إذا قال كِدْتُ أفعالُ كذا معناه شافهتُ فعله وشارفتهُ ، ولا يكون قد فعله ؛ وإذا قال : لم يكُدْ فلانُ يفعلُ كذا ، معناه يُقربُ وقوعُ ذلك منه . فإذا كان كذلك فقد نفي عن نفسه ما أثبتته بقوله « تجلَّى غطاءُ الرأسِ » ، لقوله : ولم يكُدْ غطاءُ فؤادي ينجلي لسريح ؟ قلت : لو أمسك عند قوله « ولم يكُدْ غطاءُ فؤادي ينجلي » لكان الأمرُ على ما قلت ، لكنّه لما قال « لسريح » بيّن أنه لم يكُنْ عن سهولة وبعجلة ، وقلة تعبٍ ومشقةٍ ، فنفيهِ في الحقيقة لِقلةِ التعبِ والسهولة لا الانجلاء ، وإذا كان كذلك يكونُ الغطاءُ قد انجلى عن القاب ، لكنّه انجلى بعد طولِ مزاولَةٍ نصّب ، ومقاساةٍ كمدٍ ، وعن شدةٍ تفاقمٍ ، وبلاءٍ مُلّازمٍ . ويقال في الدعاءِ للمرأةِ إذا طُلقت عند الولادة : اللهم اجعله سهلاً سرحاً . فالسراحُ والتسريحُ والسريحُ كلُّها في طريقٍ واحدٍ ، وهو السهولةُ والعجلةُ . ويقال : سرحه الله

(١) ل : « بالثاني » .

تعالى للخير ، أى وفقه له وعجّله . وفى المثل : « السراح من النجاج » .

٤٩٩

وقال عروة بن أذينة (١) :

- ١ - إلفان يعنیهما للبين فرقتُهُ ولا يملآن طول الدهر ما اجتمعا (٢)
 ٢ - مُستقبلان نشاصا من شبابههم إذا دعا دعوة داعي الهوى سَمِما
 ٣ - لا يُعجبان بقول الناس عن عرضٍ ويُعجبان بما قالا وما صنعا

البين يقع على وجوه : أحدهما أن يكون مصدرَ بان يبين بيئنا وبينونة .
 والثانى أن يكون ظرفاً ، تقول : بين القوم كذا ، وهو لشئئين يتباين أحدهما عن
 الآخر فصاعداً . والثالث أن يفيد معنى الوصل ، على ذلك قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ
 تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ . ألا ترى أن معناه تَقَطَّعَ وَصْلُكُمْ ، ولا يصح أن يكون المراد
 تَقَطَّعَ افتراقكم ، لفساد المعنى . وعلى هذا قولهم : سعى فلان لإصلاح ذات البين
 من عشيرته ، لأن المراد إصلاح الوصل لا الافتراق . والذي فى البيت هو الثالث ،
 لأن المعنى : هما متحابان قد ألفت كلُّ منهما صاحبه ، والذي يُهْمُهُما ويعنیهما
 للوصل ما يُخشى تعقبه له من الفرقة ، نخوفهما منها وكرها فيها ، ولا يكتسبان

(١) هو عروة بن أذينة - وأذينة لقب لأبيه واسمه يحيى - بن مالك بن الحارث بن عمرو بن عبد الله الليثى الكنانى ، فقيه محدث ، وشاعر غزل مقدم من شعراء أهل المدينة ، روى عنه مالك بن أنس وعبيد الله بن عمر العدوى ، وكان محمد وفد على هشام بن عبد الملك ، ووقفت عليه سكينه بنت الحسين ومعها جوار لها فقالت له : أنت القائل كذا وكذا ، وأنشدت أبياتاً من النسب فقال لها : نعم . فالتفتت إلى جواربها وقالت : هن حرائر إن كان خرج هذا من قلب سام قط . الأغاني (٢١ : ١٠٥ - ١١١) ، وابن خلكان فى ترجمة سكينه بنت الحسين ، والمؤتلف ٥٤ والشعراء ٥٦٠ - ٥٦٦ .

(٢) التبريزى : « تعنیهما » .

مَلَّالًا من اتَّصَلَ الاجتماعُ طُولَ الدهرِ . [فقوله «طولَ الدهرِ» يجوز أن يكون مفعول يملآن ، أى لا يملآن تطاولَ الوقت إذا اجتمعا ، ومدَّة اجتماعهما . ويجوز أن يكون طول الدهر ظرفًا ، وما اجتمعا مفعول يملآن ، أى لا يملآن الاجتماع طولَ الدهرِ^(١)] . وقوله «مستقبلان نشاصًا» فالنشاص أصله السحاب إذا ارتفع من قِبَل العين حين^(٢) ينشأ ويعلو ، فاستعير هنا لما يُقْتَبَلُ من الشباب وأيام الصِّبا واللاهو . كأنه يطرُّهُما النشاطَ والشُّرور كما يطرُّ السحابُ الغيثَ . وجعل ذلك فيهما بحيثُ يسمعان قريبًا دعاءَ مُنادىِّ اللهو ويحييانه ؛ لأنَّ الوقت وقتُ التَّصَابِي والبَطَالَةِ . وإلى هذا أشارَ أبو نُوَاسٍ في قوله :

قَدْ عَذَّبَ الْحُبُّ هَذَا الْغَلْبَ مَا صَلَحَا فَلَا تَعُدَّنَّ ذَنْبًا أَنْ يُقَالَ صَحَا
وقوله « لا يُعْجَبَان بقول النَّاسِ عن عُرُضٍ » هو من قولهم : نَظَرْتُ إِلَيْهِ عن عُرُضٍ ، أى عن ناحية . والمعنى أَنَّهُ لا يُعْجَبَان من مقال النَّاسِ وفعألهم شئٌ ، ولا يأخذ قلبَهُما وعَيْنُهُمَا^(٣) حديثٌ ولا إبلاغٌ مَن كان عن ناحيةٍ وشِقِّ ، لكنَّ الحُسنَ عندهما فيما يتفاوضانه أو يتقارضانه ، والإعجاب يتعلَّق بما يصنعانه ويؤثرانه^(٤) ؛ إذ كان كلُّ واحدٍ منهما قد صار في مَلَكَتِ هَوَى صاحبه ، وفي رِفاقِ قَبِيلِهِ^(٥) ، فلا يُبَصِّرُ إِلَّا بِعَيْنِهِ ، ولا يَسْمَعُ إِلَّا بِأُذُنِهِ .

(١) التكملة من ل .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « حتى » .

(٣) ل : « وعينهما » .

(٤) كذا في ل . وفي الأصل : « ويورثانه » .

(٥) ل : « ميله » . والرفاق : مصدر رافق مرافقة ، وهو أيضا حبل الدابة يشد

من الوظيفة إلى العضد .

٥٠٠

وقال^(١) :

- ١ - ولَمَّا بَدَأَ إِلَى مَنِكَ مَيْلٌ مَعَ الْعِدَى سِوَايَ وَلَمْ يَخْدُثْ سِوَاكَ بَدِيلٌ
 ٢ - صَدَدْتُ كَمَا صَدَّ الرَّمِيُّ تَطَاوَلَتْ بِهِ مُدَّةُ الْأَيَّامِ وَهُوَ قَتِيلٌ
 قال سيبويه : معنى سِوَايَ بَدَلٌ وَمَكَانٌ تَقُولُ . عِنْدِي رَجُلٌ سِوَايَ زَيْدٍ ،
 مَعْنَاهُ وَكَانَ زَيْدٌ وَبَدَلُ زَيْدٍ ، وَعَلَى مَا فَسَّرَهُ يَكُونُ مَعْنَى الْبَيْتِ : وَلَمَّا بَدَأَ إِلَى
 مَيْلِكَ مَعَ الْأَعْدَاءِ بَدَلٌ مَيْلِكَ إِلَيَّ وَمَكَانٌ مَيْلِكَ ، وَلَمْ يَخْدُثْ لِي بَدِيلٌ مَكَانَكَ
 وَعِوَضًا مَنِكَ أَعْرَضْتُ عَنْكَ إِعْرَاضَ الرَّمِيِّ مِنَ الصَّيْدِ الْمَصَابِ بِسَهْمِ الصَّيَّادِ ،
 وَهُوَ قَتِيلُهُ ، لِأَنَّ الْإِصَابَةَ عَمِلَتْ عَمَّاهَا ، لَكِنَّ الْمُدَّةَ تَطَاوَلَتْ بِهِ ، فَهُوَ رَهِينٌ
 بِإِصَابَتِهِ . يَرِيدُ : صَدَدْتُ عَنْكَ صَدُودَ يَأْسٍ لَا صَدُودَ مَقْلَبِيَّةٍ ، وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَّ
 هُوَاكَ قَاتِلِي كَهَذَا الرَّمِيِّ الَّذِي لَا يُشَكُّ فِي كَوْنِهِ قَتِيلًا وَإِنْ طَالَ نَفْسُ مُهْلَمَتِهِ ،
 وَمُدَّةٌ مِنْ أَمَدٍ مَنِيَّتِهِ .

٥٠١

وقال آخر :

- ١ - أَحِبًّا عَلَى حُبِّ وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ وَقَدْ زَعَمُوا أَنْ لَا يُحِبُّ بِخَيْلٍ
 ٢ - بَلَى وَالَّذِي حَجَّ الْمُدَّبُونَ بَيْتَهُ وَيَشْفِي الْهَوَى بِالنَّيْلِ وَهُوَ قَلِيلٌ
 ٣ - وَإِنَّ بِنَا لَوْ تَعْلَمِينَ لَغَالَةً إِلَيْكَ كَمَا بِالْحَائِمَاتِ غَلِيلٌ
 الألف من قوله « أَحِبًّا » لفظه الاستفهام ومعناه التوبيخ . وانتصب حُبًّا

(١) التبريزي : « وقال آخر » .

(٢) ضبطت « يجب » في ل بالنصب والرفع مشفوعة بكلمة « معا » نصا على الروایتين .

باضمارِ فِعْلٍ ، كأنه قال : أتجمعين عَلَيَّ حُبًّا على حُبِّ ، أو أتزيدينني حُبًّا بعد حُبِّ ، مع بُحْلِكَ وإِيثَارِ زَهْدِكَ ، وعند النَّاسِ وفي أَحْكَامِهِمْ واعتقادهم أَنَّ البُخِيلَ لا يكون محبوباً . كأنه عاتبها وقرعها من أمر الذي بينهما ، وأنهما من أَجْله في طَرَفِي نقيض ، وفي لَوْنٍ من العِشْقِ طريف^(١) ، وذلك أَنَّ معاملتها له معاملةٌ من لا يَتَنَدَّى عليه ولا يرحمه ، ولا يَتَسَخَّى بشيء له ، وأنَّ جَذْبَهَا إِيَّاهُ في الهوى جَذْبٌ مَنْ لا يكتفي معه بعفوه حتى يجهدهُ ويزيده وجداً على وَجْدٍ ، وألماً بعد ألمٍ . قال : هذا حَالِي معك ، وفي زَعَمَاتِ النَّاسِ أَنَّ القُلُوبَ جُبِلَتْ على حُبِّ المحسنين الباذلين ، لا المسيئين الباخلين ، ثمَّ استدرك فقال : بلى والله الحجوجِ بِيئته ، المعظمِ حَرْمُهُ ، المُداوِي من داءِ الهوى باليسير الخفيف من النَّيْلِ ، إِنَّ البَخِيلَ لِيُحَبِّ . ودلَّ على المُقَسِّمِ له بقوله « وإنَّ بنا لو تعلمين لغلَّةٌ » وهي حرارةُ العَطَشِ ، كما يكون غُلَّةُ الحائِمَاتِ ، وهي الطُّيور التي تحوم على الماء وتدور من شدَّةِ العَطَشِ ثمَّ تقعُ عليه ، وقد تكون العِطَاشُ أَنفَسَهَا . وقوله « وأنت بخيلةٌ » الواو واو الحال . وقوله « ألا يُحَبِّ » إن شئت جعلت أن النَّاصِبَةَ للفعل فنَصَبْتَ يُحَبِّ به ، وإن شئت جعلته الخنيفة من الثَّقِيلَةِ فيرتفع يُحَبِّ ، يريد أنه لا يُحَبِّ . ثم قال : بلى ، وهو جوابُ استفهامٍ مقرونٍ بنفي . على ذلك قولُ الله عزَّ وجل : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ . كأنه قيل له مُسْتَفْهِمًا منه : أَيَحَبُّ البَخِيلُ المُمْسِكُ ؟ فقال : بلى وأقسمُ أيضاً ، تأكيداً . والحججُ : القصد . والنَّيْلُ : مصدرٌ فُلْتُهُ أَنالُهُ . وقوله « لو تعلمين » كالعذر لها ، وقد أقامه مستعظفاً ، يُصَوِّرُهَا بِأَنَّهَا لو عَلِمَتْ ما به كانت لا تستجيزُ ما يجري عليه .

(١) كذا في ل . وفي الأصل : « ظريف » .

٥٠٢

وقال آخر :

١- إذا كُنتَ لا يُسَلِّيكَ عَنْ مَنْ تَوَدُّهُ تَمَاءٌ وَلَا يَشْفِيكَ طُولُ تَلَاقِ

٢- فإِنَّ أَنْتَ إِلَّا مُسْتَعِيرٌ حُشَّاشَةٌ لِمُهْجَةِ نَفْسِ آذَنْتَ بِفِرَاقِ

يخاطبُ نفسه متوجِّعًا لها ، ومستوحشًا من الحالة التي مُنيَ بها ، فيقول : إذا لم تستوفِ مع من تحبُّه التباعدَ عنه ، وأخذَ النفسَ بالتفصِّي منه ، ليُورِثَكَ سُلوًا دونه ، ولم يقرب شفاءك من الداء فيه طولُ الاجتماع معه ، وانصَّالُ التردُّد منه ، والمريض في العُرف والعادة إذا اشتكى من دواءٍ عُوِّجَ به نُقلَ إلى ما يَضَادُّهُ ، فإن لم يُغنِ سُلْمَ لعلته ، فكذلك أنت إذا لم ينفِّعك فيما تقاسيه لا التَّنَائِي ولا التَّدَانِي ، فما ذاك إِلَّا غَرَامٌ ، وما أنت فيه إِلَّا مُسْتَعِيرٌ حُشَّاشَةٌ ، وهى رُوح القلب ، ورمقٌ من حياة النفس وقد آذنت بالمفارقة . والمُهْجَةُ : خالصةُ النفس ؛ ومنه لَبَنٌ أَمْهَجَانٌ .

٥٠٣

وقال عبدُ الله بن الدَّمِينَةِ^(١) :

١- أَلَا يَأْصِبَا نَجْدٍ مَتَى هَجَّتِ مِنْ نَجْدٍ فَقَدْ زَادَنِ مَسْرَاكِ وَجَدًّا عَلَى وَجْدِ^(٢)

٢- أَأَنْ هَتَفَتْ وَرَقَاءَ فِي رَوْقِ الضُّحَى عَلَى فَنَنِ غَضِّ النَّبَاتِ مِنَ الرَّنْدِ

٣- بَكَيتَ كَمَا يَبْكِي الْوَالِيدُ وَلَمْ تَزَلْ جَلِيدًا وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تُبْدِي

الصَّبَا : القبول . يقال : صَبَّتِ الرِّيحُ تَصْبُؤًا صُبُؤًا . ومتى هجَّتِ ، أى متى

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٤٥٦ ص ١٢٢٣ .

(٢) التبريزي : « لقد زادني » .

ثُرْتُ واهْتَجْتُ . يقال : هاجَ الفحلُ والرَّيحُ هَيَاجًا . وهم يخاطبون الرِّيحَ والبرقَ إذا كانا من نحوِ أرضِ الحبوب . فيقول : متى اهْتَجْتُ من أرضي نجدُ^(١) فقد زادني سَيْرُكَ شوقًا ، وجدَّدَ لي هُبُوبَكَ على ما كنتُ أكابِدُهُ من الوجدِ وجدًا .

وقوله « أَنْ هَتَمْتُ » يخاطبُ نفسه مبيِّنًا فيقول . أَلَا نَ صاحت حمامةٌ ورقاءَ في أوَّلِ الضحى واقعةً على غصنِ غَضٍّ من شجرِ الرِّندِ بكيتَ بكاءَ الصَّبِيِّ إذا أعياه مطلوبه ، وأظهرت العجزَ عما حَمَلَتْه ، وعَهْدُ الناسِ بك فيما مضى من أيامك ولم تزلْ ثابتَ القدمِ فيما ينوبُك ، دائمَ الصبرِ على بلواك ، إنَّ هذا منكر .

- ٤ - وقد زعموا أنَّ المَحِبَّ إذا دَنَا يَمَلُّ وأنَّ النَّأْيَ يَشْفِي من الوجدِ
٥ - بكلِّ تَدَاوَيْنَا فلم يَشْفِ ما بِنَا على ذاك قُرْبُ الدَّارِ خَيْرٌ من البُعْدِ
٦ - على أنَّ قُرْبَ الدَّارِ ليس بِنَافِعٍ إذا كان مَن تَهَوَّاهُ ليس بذى ودٍ^(٢)

يقول : زعم الناسُ أنَّ الاستكثارَ من الحبوبِ والتَّدَانِي منه يُكسِبُ المَحِبَّ مَلَالًا ، وأن الاستقلالَ من زيارته والتَّنَائِي عن محلِّه وداره يُنتجُ له سُلوًا ، فدأويتُ بكلِّ واحدٍ من ذلك فلم يَنْجِعْ ؛ إلَّا أنه على الأحوالِ كلِّها وجدتُ قُرْبَ الدَّارِ منه خيرًا من بعدها عنه ، لِمَا تَوَسَّوسَ به النفسُ في الوقتِ بعد الوقتِ من طَمَعٍ فيه ، ولتَطَّلَعَ المجاورينَ له ، وتجدُّدِ الحديثِ عنه ، إلى كثيرٍ مما يُعَدَمُ في البِعادِ . ثمَّ رَجَعُ فيما أُعْطِيَ فقال : على أنَّ تقارُبَ الدِّيارِ لا يكادُ

(١) هذا ما في ل ، على الجمع ، وفي الأصل : « أرض نجد » .

(٢) هذا ما في ل ، وهو ما يتساوق مع الشرح ، وفي الأصل والتبريزي : « ليس .

بذى عهد » .

ينفع إذا كان المحبوب لا وُدَّ له ، ولا مَيَّلَ له . ويُرْوَى : « ليس بذي عهد » ،
أى لا يبقى على ما عهد عليه .

٥٠٤

آخر :

١ - إذا ماشئت أن تسألني خليلاً فأكثر دونه عَدَدَ الليالي

٢ - فما سألني خليلك مثل نأى ولا بلى جديداً كما بمذال

معناها ظاهرٌ بما تقدّم ، ويقال : سألته ، بمعنى سلوت . قال :

* لو أشربُ السُلوانَ ما سألته^(١) *

٥٠٥

وقال آخر :

١ - ألا طرقتنا آخر الليل زينبُ عليك سلامٌ هل إِمّا فاتَ مَطْلَبُ

٢ - وقالت تجنّبنا ولا تقرّبنا فكيف وأتم حاجتي أتجنّبُ

يقول : أتدنا هذه المرأة سحرًا فقلتُ مسأماً عليها : عليك سلامُ الله هل

لما فات من أيام الوصال والإقبال على الإحسان مَطْلَبُ لي فأسأله^(٢) . فقالت

لي مجيبةً : جا نَبْنَا ولا تَدُنُونَنَّ مِنَّا . فقلتُ : أنى يكونُ منى بجانبٍ وأتم في

الدنيا حاجتي ومُنأى ، ولا اختيارَ مع الضرورة ، كما أنه لا غنى عن الفاقة . هذا

هو ظاهرُ الكلام . وقد رأيتُ من يفسّره على أن المراد بآخر الليل آخر أيام

(١) لرؤية في ديوانه ٢٥ واللسان (سلا) .

(٢) كلمة « الإحسان » ليست في ل .

الشباب . وكان يروى : « عليك سلامٌ » بفتح الكف ، ويجعل الخطاب والتسليم من المرأة للرجل ، ويقول : إنما حيَّتهُ بتحيَّة الموتى لتوَلَّى أيامه ، وتناهى عُمره ، وقولها « هل إمات مطاب » من كلامها معاتبه ، كأنها أنكرت التعرُّض لها وقد فاتته دالة الشباب ، وشفاعة النَّضارة والاقْتبال .
والأولى ما قدَّمته .

٣ - يقولون هل بعد الثلاثين ملعبٌ فقلت وهل قبل الثلاثين ملعبٌ (١)
٤ - لقد جَلَّ خطبُ الشَّيبِ إن كنتُ كَلَمَّا بدتُ شَيْبَةً يَعْرِى من اللّهُومِ مرَّ كَبُ المضمَر في « يقولون » المتعصِّبون للمرأة والنَّاس . يريد : عيروني بتعاطي الصِّبا واللَّهْوِ واللَّعب ، بعد تَقَضَّى الثلاثين من أيَّامِ عمري فقالوا : هل بعد الثلاثين ملعب ، أى لا ينبغى اللّهُوُ لمثلك . فقلت لهم : وهل قبل الثلاثين ذلك . والمعنى أن مَنْ عَدَّ ما دون الثلاثين فهو في عداد الصِّبيان ، لا يعرف اللذات ، ولا يصلح للبطالات . ويجوز أن يكون المراد : وهل تسهَّل لي قبل الثلاثين شىءٌ مِنْ مَبَاغِي اللّهُوِ واللَّعبِ فَيُنْكَرَ مِنِّي طلبى إياه بعده .

وقوله : « لقد جَلَّ خطبُ الشَّيبِ » لقد جوابُ يمين مضمرة ، ولك أن تروى « أن كنتُ كَلَمَّا » والمعنى لأن كنتُ كَلَمَّا . ولك أن تكسِر الهمزة فتكون إن المفيدة للشَّرط ، والمراد : إن كنتُ كَلَمَّا بدتُ في رأسى لُمعةٌ من الشَّيبِ يلزم منها أن أعرِّى مرَّ كَبًا من مراكب اللّهُوِ ، فلقد عظمَ خطبُ الشَّيبِ ، ويكون جوابُ إن في قوله « لقد جَلَّ خطبُ الشَّيبِ » ، وكَلَمَّا في موضع الظَّرف .

(١) البيت وتاليه في عيون الأخبار (٤ : ٥٣) .

٥٠٦

وقال كثير^(١):

١ - وَأَذْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا مَا فَتَنَنِي بِقَوْلِ يَحْلُ الْمُضْمَ سَهْلَ الْأَبَاطِيحِ^(٢)

٢ - تَنَاهَيْتَ عَنِّي حِينَ لَا لِي حِيَلَةٌ وَغَادَرْتَ مَا غَادَرْتَ بَيْنَ الْجَوَانِحِ^(٣)

يقول: توفرت عليّ ولطفت لي المقال والفعال، على تطلّقي من وجهك، وهشاشة ظاهرة منك، حتى أوقعتنني في حبالتك، وخيبت^(٤) قلبي بكلام يقرب البعيد، ويسهل العسير، ويؤنس النافر، ويطمع اليأس، فهما استكمال مرادك في ضمت أطرافك إليك، وقبضت ما انبسط من أملي فيك. والمضم: جمع أعصم وعصماء، وهي الوعول الجبائية التي في قوائمها بياض. وجواب «إذا» تناهيت عني. والمعنى: بعد ما كسبتني خبالاً، وجلبت عليّ عقلي وقلبي فساداً، كففت عني، وتباعدت مني وقت أعيتني الحيل في الانفكاك، وتأتى تمازج الهوى وتلاصقه من الانسلاخ، وتركت بين جوانحي ما تركت من وجد متصل، وحزن دائم.

فإن قيل: إن كثيراً علم في النسب، فلم لم يرض بإظهار التوجع من المعاملة، والتألم من التهاجر والقطيعة، حتى اعتد على صاحبه ذنباً. ونسب إليها،

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٤٩٣ ص ١٢٨٧. والبيتان نسبا في الأغاني (٢: ١٤) إلى الجنون.

(٢) التبريزي: «إذا ما ملكيتي». وفي الأمل (٢: ٢٢٨): «إذا ما استبيتني». والأغاني (٢: ١٤): «إذا ما سبيتني».

(٣) القالي: «توايتني حين لا لي مذمب». الأغاني: «تناهيت عني». وخلفت ما خلفت.

(٤) خيبت، من الخيب، وهو الخدع. وفي الأصل: «خيبت» بصوابه في ل.

خِيَانَةٌ وَوِزْرًا ؛ لِأَنَّ الَّذِي وَصَفَ مِنْ افْتِنَانِهَا فِي افْتِتَانِ الرَّجَالِ أَيْسَ مِنْ شَأْنِ
العَفَائِفِ ؟ قُلْتُ : إِنَّ كَثِيرًا لَمْ يَصِفْ صَاحِبَتَهُ إِلَّا بِصِفَةِ العَفَائِفِ . أَلَمْ تَسْمَعْ
قَوْلَ الْآخِرِ :

بَرَزْنَ عَفَافًا وَاحْتَجَبْنَ تَسْتُرًا وَشَبَّ بِقَوْلِ الْحَقِّ مِنْهُنَّ بَاطِلُ
فَذُو الْجِلْمِ مُرْتَابٌ وَذُو الْجَهْلِ طَامِعٌ وَهُنَّ عَنِ الْفَحْشَاءِ حَيْدٌ نَوَاكِلُ
كُوَاسٍ عَوَارٍ ، صَامِتَاتٌ نَوَاطِقُ بِعَفِّ الْكَلَامِ ، بِأَذَلَاتٍ بَوَاحِلُ
فَتَأْمَنُ مَا قَالَهُ فَإِنَّهُ غَايَةٌ فِي اسْتِقَامَةِ الطَّرِيقَةِ ، وَإِنْ هَلَكَتْ نَفُوسٌ ،
وَحَبِلَتْ عُقُولٌ .

وَحُدِّثْتُ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ ، عَنْ رَاوِيَةٍ
كَثِيرٍ^(١) قَالَ : كُنْتُ مَعَ جَرِيرٍ وَهُوَ يَرِيدُ الشَّامَ ، فَطَرَبَ فَقَالَ : أَنْشِدْنِي لِأَخِي
بَنِي مُلَيْحٍ^(٢) ، يَعْنِي كَثِيرًا ، فَأَنْشَدْتُهُ حَتَّى اتَّهَمْتُهُ بِإِلَى قَوْلِهِ : وَأَدْنَيْتَنِي حَتَّى إِذَا
مَا فَتَنْتَنِي ، الْأَبْيَاتِ ، قَالَ جَرِيرٌ : لَوْلَا أَنَّهُ لَا يَحْسُنُ بِشَيْخٍ مِثْلِي الْفَخِيرُ لَنَخَرْتُ
حَتَّى يَسْمَعَ هِشَامٌ عَلَى سَرِيرِهِ .

٥٠٧

وقال آخر :

- ١ - تَعَرَّضْنَ مَرَّحَى الصَّيْدِ ثُمَّ رَمَيْنَنَا مِنْ النَّبْلِ لَا بِالطَّائِشَاتِ الْخَوَاطِفِ
 - ٢ - ضَعَائِفُ يَقْتُلْنَ الرَّجَالَ بِلَادِمٍ فَيَا عَجَبًا لِلْقَاتِلَاتِ الضَّعَائِفِ
 - ٣ - وَلِلْعَيْنِ مَلْهَى فِي التَّلَادِ وَلَمْ يَقْدُ هَوَى النَّفْسِ شَيْءٌ كَأَقْتِيَادِ الطَّرَائِفِ^(٣)
- قَوْلُهُ « مَرَّحَى الصَّيْدِ » ، مَوْضِعُهُ نَصَبٌ عَلَى الظَّرْفِ ، أَيْ تَعَرَّضْنَ لَنَا وَبَيْنَنَا

(١) وَكَذَا فِي أَمَالِي الْقَالِي (٢ : ٢٢٨) بَدُونَ تَعْيِينِ لَهُ .

(٢) مُلَيْحٌ ، كَزَبِيرٍ : حَتَّى مِنْ خِزَاعَةٍ . الْقَامُوسُ (مُلَيْحٌ) ، وَنَهَايَةُ الْأَرْبِ (٢ : ٣١٨) .

(٣) الْبَيْتُ فِي الْخَيْوَانِ (١ : ١٧٠) .

وبينهن غلوة سهنهم ، فعل المتعرض للصيد إذا أراد رميه . ويراد بالصيد المصيد ، كما يراد بالخلق المخلوق . وقوله « ثم رمينا من النبل » ، يريد : ثم نظرنا إلينا وعرضنا محاسنهن علينا ، وتلك نبالهن التي لا تخف فتعدل ، ولا نخطف فتقصر . والخاطف من السهام : الذي يقع على الأرض ثم يجهو إلى الهدف كأنه يخطف من الأرض شيئاً . والطائش : الخفيف الذي لا يستقيم ؛ ومنه الطيش والطياش ، كأنه يرى خلفه عادلاً عن سواء السبيل . ومفعول رمينا الثاني محذوف كأنه قال : رمينا لا بالطائشات ، ولكن بالصائبات الناقرات . والناقر : الذي ينقر الهدف .

وقوله « ضمائف يقتلن الرجال بلا ديم » يريد بلا تريرة وذخيل . والضعف الذي أشار إليه يريد في الخلقة والخلق ، أي يقتلن الرجال وإن ضعفن عن جذبهم كيداً وفعلاً . ثم قال : يا عجبا لمن يقتل القوى على ضعفه . ويا عجبا يجوز أن يكون على طريق الندبة ، ويكون منادى مفرداً ألحق به الألف ليمتد به الصوت ، وبدل على فرط الشكو . ويجوز أن يكون منادى مضافاً ففر من الكسرة وبعدها ياء فانقلبت ألفا . واللام من قوله « للقاتلات » هي التي تفسر بأنها لام العلة ، كأنه علل تعجبه بقوله للقاتلات ، فارتفع ضمائف على أنه خبر مبتدأ محذوف .

وقوله « وللعين ملهى في التلاد » ، يريد أن للعين لهواً وراحة إذا نظرت في التلاد الرائق المعجب — والتلاد : ما قدم منك — ولم يجذب هوى النفس شيء كما يجذبه الطرائف ، وهي المستحدثات ، وهذا كما يقال : « لكل جديد لذة » وما أشبهه . وقاد واقتاد بمعنى واحد ، والملهى كما يجوز أن يراد به الحدث ، وهو اللهو ، يجوز أن يراد به موضع الحدث ووقته .

٥٠٨

وقال آخر: ^(١)

١ - لَبْنٍ كَانَ يُهْدَى بَرْدُ أَنْيَابِهَا الْعُلَى لِأَفْقَرٍ مِنِّي إِنِّي لَفَقِيرٌ
 قوله « يُهْدَى » يجوز أن يكون من الإهداء الإتخاف، ويجوز أن يكون من
 الهداء الزفاف. وقوله « أنيابها العلى » يراد به الشريفة العالية الشأن. ويجوز
 أن يراد بالعلَى الأعلى من الأسنان، لأنها موضع القبل. ويعنى ببرد الأسنان
 عذوبة الرضاب عند المذاق. وقوله « إِنِّي لَفَقِيرٌ » فعيل بفاء المبالغة، ولاسيما
 إذا أُطلق إطلاقاً، فلا يقال فقيرٌ إلى كذا وكذا فيخصص. والمعنى: إن كان
 يتربص بمسقى مضحكها، وواضح مقبلها، وطيب رضابها، وبرد أسنانها،
 لمن هو أفقر مني إليها، فإنني الفقير مطلقاً. والمعنى: لا غاية وراء فقري. ومما
 يجرى مجرى فقيرٍ إذا أُطلق، قولهم سقيم. ألا ترى قول الآخر ^(٢):

لَبْنُ لَبْنِ الْمُعْزَى بِمَاءِ مُوَيْسِلٍ بَعَانِي دَاءً إِنِّي لَسَقِيمٌ ^(٣)
 يريد المتناهى في السقم حتى لا غاية وراءه. وأفقر، كأنه بُني على فقر
 المرفوض في الاستعمال. وإنما قلت هذا لأن فقيراً كان حكمه أن يكون فعله
 على فقر، ولم يحى منه إلا افتقر. وشرط فعل التعجب وما يتبعه من بقاء
 التفضيل أن لا يحى إلا من الثلاثي في الأكثر، وما كان على أفعال خاصة،
 وإذا كان كذلك فأفقر لا يصح أن يكون مبنياً على افتقر ولكن على فقر؛

(١) هو عبد الله بن الدمينة. ديوانه ٢٥ - ٢٦.

(٢) هو واقد بن الغطريف الطائي، أو زيادة بن بحدل الطريقي الطائي، كما في معجم

البلدان (٨ : ٢٠٣).

(٣) قبله: يقولون لا تشرب نسيثاً فإنه إذا كنت محمواً عليك وخيم

فهذا طريق . ولك أن تقول : بُنِيَ مِنْهُ عَلَى حَذْفِ الزَّوَائِدِ ، كما جاء : رِيحٌ لَاقِحٌ وَالْمُرَادُ مُلْقِحٌ ، وما أشبهه .

٢ - فما أكَثَرَ الْأَخْبَارَ أَنْ قَدْ تَزَوَّجَتْ فَهَلْ يَأْتِيَنِي بِالطَّلَاقِ بِشِيرٍ
قوله « أن قد تزوجت » ، أراد : بأن قد تزوجت . وحذف الجارَّ مع
أن كثير ، وموضعه من الإعراب مفعول من قوله الأخبار . والأخبار : جمع
خَبْرٍ ، ووضع خبرًا موضع الإخبار ، كما يوضع الطاعة موضع الإطاعة ، ثم عدّاه
وهو مجموع ، ومثله :

* مَوَاعِيدَ عُرُقُوبٍ أَخَاهُ بِيَثْرِبِ (١) *

ألا تراه أنه انتصب أخاه عن جمع وهو مواعيد . ومعنى البيت : كثير في
أفواه الناس الإخبارُ بتزوّجها ، واشتغالها ببيعها عن غيره ، فهل يأتيني مبشّرٌ
بتطليقها . وهذا ليس باستفهام وإنما هو تمنّ .

٥٠٩

وقال آخر (٢) :

١ - يُقِرُّ بَعِيْنِي أَنْ أَرَى رَمَلَةَ الْغَضَى إِذَا مَا بَدَّتْ يَوْمًا لَعِيْنِي قِلَالُهَا (٣)

(١) البيت للأشجمي ، كما في أمثال الميداني (مواعيد عرقوب) . وصدّره :

* وعدت وكان الخلف منك سجية *

وأنشد في الأغاني (١٥ : ١٤٤) للشماخ :

وواعدني ما لا أحاول نفعه مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

وعرقوب هذا رجل من العالقي أتاه أخ له يسأله ، فقال له عرقوب : إذا أطلعت هذه
النخلة فلك طلعتها . فلما أطلعت أتاه للعدة فتقال : دعها حتى تصير بلحاً . فلما أبلحت قال :
دعها حتى تصير زهواً . فلما زهت قال : دعها حتى تصير رطباً . فلما أرطبت قال : دعها حتى
تصير تمرأ . فلما أتمرت عمد إليها عرقوب من الليل فجندها ولم يعط أخاه شيئاً . أمثال الميداني .

(٢) هو أحد الأعراب ، كما في معجم البلدان (٦ : ٢٩٥) .

(٣) في معجم البلدان : « إذا ظهرت يوماً » .

٢- ولست وإن أحببتُ مَنْ يَسْكُنُ الْغَضَى بِأَوَّلِ رَاجٍ حَاجَةً لَا يَنَالُهَا
 أضاف الرَّمْلَةَ إلى الغضى تشهيراً لها . وقوله « يُقِرُّ بَعِينِي » ، هذه الباء
 تزداد كثيراً مع أَفَرَّ ، والأصل يُقِرُّ عَيْنِي ، وزيدت الباء تَأْكِيداً . تقول قَرَّتْ
 عَيْنِي وَأَفَرَّهَا اللَّهُ . وقوله « أَنْ أَرَى » في موضع الفاعل لِيُقِرُّ ، والمراد : إذا بَدَّتْ
 يوماً لعيني قِلَالُ الْغَضَى - وهو جمع القلَّة وهي أعلى الجبل - فَقُرَّةٌ عَيْنِي فِي أَنْ
 أَرَى رِمَالَهَا أَيْضاً وَبَطْحَاوَاتِهَا . ثم قال على طريق اليأس من ذلك : ولستُ
 بِأَوَّلِ مَنْ رَجَا مَوْمِلاً . وائتمر مُقَدَّرًا ، ثم لم يحصل منهما على طائل . يريد : ولا
 غَرَوُ إِن كُنْتُ أَحْبَبْتُ سُكَّانَ الْغَضَى أَنْ يَكُونَ هَذَا حَالِي مَعَهُمْ . كأنه كان
 بين أهل الغضى وبين قومه عداوةٌ ، أو حالةٌ مانعة من المزاورة والمواصلة ،
 فلذلك قال ما قال .

٥١٠

وقال آخر^(١) :

- ١- سَلِيَ الْبَانَةَ الْغَنَاءَ بِالْأَجْرَعِ الَّذِي بِهِ الْبَانُ هَلْ حَيَّيْتُ أَطْلَالَ دَارِكِ^(٢)
 ٢- وَهَلْ قَمْتُ فِي أَظْلَالِنَّ عَشِيَّةً مَقَامَ أَخِي الْبِأَسَاءِ وَاخْتَرْتُ ذَلِكَ^(٣)

(١) هو عبد الله بن الدمينية . والأبيات من قصيدة في ديوانه ١٥ - ١٦ مطبوعها :

قفي يا أميم القلب نقض لبافة ونشك الهوى ثم افعل ما بدالك

(٢) التبريزي : « البانة الغنياء » ثم ذكر الرواية الأخرى .

(٣) بين هذا البيت وتاليه أربعة أبيات عند التبريزي ، وهي :

وَهَلْ كَحَلَّتْ عَيْنَايَ فِي الْمَدَارِ غُدُودَةً بَدْمَعٍ كَنَظْمِ اللُّؤْلُؤِ الْمُتَهَالِكِ
 أَرَى النَّاسَ يَرْجُونَ الرَّبِيعَ وَإِنَّمَا رَبِيعِي الَّذِي أَرْجُو نَوَالَ وَصَالِكِ
 أَرَى النَّاسَ يَخْشَوْنَ السَّنِينَ وَإِنَّمَا سِنِيَّ الَّتِي أَخْشَى صُرُوفَ احْتِمَالِكِ
 لَمَنْ سَاءَنِي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنْي خَطَرَتْ بِبِئَالِكِ

٣ - أَيِّهِنِكَ إِمْسَاكِي بِكَفِّي عَلَى الْخُشَا وَرَقْرَاقُ عَيْنِي رَهْبَةً مِنْ زِيَالِكِ

سَلِي ، أصله اسألني فحذف الهمزة تخفيفاً وأبقيت حركتها على السين فصار
اسلني ، ثم استغنى عن همزة الوصل لتحريك ما بعدها فحذفت فصارت سَلِي .
وهذا كما تقول في الأحمر إذا خففته : لَحَمَر . ومن قال الْخَمَر يقول : اسلني فيبقى
ألف الوصل . ويروى : « البانة الغيناء » والغناء : الملتفة الكثيرة الورك
والأغصان ، فإذا ضربتها الريح غنت^(١) . وهذا كما قال الآخر :

لَلثَّرَى تَحْتَهَا سُبَاتٌ وَالْمَا ءُ خَيْرٌ وَلِلغُصُونِ غِنَاءُ

والأجرع من الأماكن : السهل المختلط بالرمل . والغيناء ، هي العظيمة الواسعة ،
من قولهم غان عليه كذا إذا ستر ، وبه سُمِّيَ السَّحَابُ الْغَيْنُ . وإنما قال « الذي به
البانة » لأنه كان منبته . واستشهد بالبان على أنه هل قضى حق منزل الأحبة
لما وقف عليه ، وهل حيا أطلاله تحية المتقرب إليها ، والقاضي لوازمها ، وهل
قام في أطلال البان بها مقام الضرير البأس ، والكسير الرزح ، تذللاً لها ،
وتلوماً بها ؛ وهل ذلك كله عن اختيارٍ وقصدٍ أو كما اتفق .

ثم قال « لِيَهْنِكَ إِمْسَاكِي » كأنه لما وقف على الدار وتذكر العهود
فتصور له ما كان درس من آيات هواه ، وتجدد ما أخاق منها ، خشي على
كبيده التصدع فأمسك بكفه على حشاه ، تثبيتها لها وتقوية ، وبكى فترقرق
الدمع في عينه ثم سال . فقال هناك الله ذلك كله مني . وانتصب رهبة لأنه

(١) في هامشة ل : « حاشية قال السيد الإمام أبو الرضا رحمه الله : رحم الله أبا علي ،
غلط غلطة ، وكيف يكون الغناء من الغناء في شيء ، وهذا من غ ن ن ، وذلك من غ ن ي .
إنما هو من قولهم شجرة غناء كثيرة الأوراق ، وواد أغن أي كثير العشب تألفه ال [ذبان]
وفي أصواته غنة . فأما الغناء فبعيد منه . »

مفعول له . وهذا من باب التجلُّد في الهوى . ولزِّيَال : مصدر زَايَل . وفي
هذه الطريقة قولُ الآخر :

يَرْفَعُ يَمْنَاهُ إِلَى رَبِّهِ يَدْعُو وَفَوْقَ الْكَبِدِ الْيُسْرَى

٥١١

وقال آخر :

- ١- تَمَّعَ بِهَا مَا سَاعَفْتِكَ وَلَا تَكُنْ عَلَمِكَ شَجِي فِي الصَّدْرِ حِينَ تَبِينُ^(١)
- ٢- وَإِنْ هِيَ أَعْطَتْكَ اللَّيَانَ فَإِنَّهَا لِغَيْرِكَ مِنْ خُلَانِيهَا سَتَلِينَ^(٢)
- ٣- وَإِنْ حَلَفْتَ لَا يَنْقُضُ النَّأْيُ عَهْدَهَا فَلَيْسَ لِمُخْضَبِ الْبَنَانِ يَمِينُ

يصف النساء وأخلاقهن في الانقياد والتأبى إذا رُوِدْنَ ، واستعمالهن الوفاء من بَمَدِ غَدْرِهِنَّ^(٣) ، وبُوصَى باستبقاء المقاربة معهن ، وترك تدقيق محاسبتهن ، والرضا بالميسور من مصافاتهن ، فيقول : عليك في الاستمتاع بهن مدة انقيادهن لك ، وإسعافهن بالمراد من جهتهن ، لا يَشْجُونَكَ تَفَكُّرُهُنَّ لَكَ ، وبينوتهن إذا عَدَّانَ عَمَكَ ، واعلم أن الواحدة منهن إذا لانت لك فهي بعرض أن تلين لغيرك ، فلا تتمد عليهن وإن حلفت لك أنها تفي وتبقى على عهدها معك ، واعلم أنه لا يمين لئلهما يستوثق بها ، أو يستنام إليها ، وفي طريقته قولُ بشار :

لَا يُؤَسِّنُكَ مِنْ مُخَبِّبَةِ قَوْلُ تَغْلُظُهُ وَإِنْ جَرَحَا
عُسْرُ النِّسَاءِ إِلَى مِيَايِرَةِ وَالصَّعْبُ يُمَكِّنُ بَعْدَ مَا جَمَحَا

(١) التبريزى : « في الحاق » .

(٢) ل : « فإن هي » .

(٣) في النسختين : « من بعد وغدرهن » ، والوجه ما أثبتنا .

٥١٢

وقال العباس بن مرداس^(١) :

- ١- قَلِيلَةٌ لَحْمِ النَّاطِرِينَ يَزِينُهَا شَبَابٌ وَمَخْفُوضٌ مِنَ الْعَيْشِ بَارِدٌ
 ٢- أَرَادَتْ لِتَنْتَاشَ الرَّوَّاقَ فَلَمْ تَقُمْ إِلَيْهِ وَلَكِنْ طَاطَأَتْهُ الْوَلَائِدُ
 ٣- تَنَاهَى إِلَى لَهْوِ الْحَدِيثِ كَأَنَّهَا أَخُو سَقَطَةٍ قَدْ أَسْلَمَتْهُ الْعَوَائِدُ

الناظران : عرقان في مدمع العينين : يصفها بأنها ليست بجمجمة الوجه ،
 لكنها أسيلة الخدين ، ويزينها شبابٌ مُقْتَبِلٌ ، ورفاهةٌ من العيش ودعةٌ ،
 ويقال : عيش خفضٌ ، وخفضتُ عيشه فهو مخفوض . والبارد : الثابت .
 ويقال : برَدَ لى على فلانٍ حقٌ ، أى ثبت .

وقوله « أَرَادَتْ لِتَنْتَاشَ الرَّوَّاقَ » فالانتاش : التناول . يصفها بأنها مخدومة
 لا تبذل نفسها في مهنةٍ ، ولا في عارضِ خدومةٍ ، حتى أنها إذا أرادت تناولَ
 رواق البيت - والرواق : ما مدمع مع البيت من ستارةٍ - لم تُتْرَكْ والقيامُ
 إليه ، ولكن قدّمته الولائد^(٢) ، وأملنّه لها حتى نظرت إلى ما وراءه ، فإذا
 كانت في مثل هذا تُودّعُ وتُكفى ، فما هو أثقلُ منه أبعدُ من استعمالها فيه .
 والظأطأة : خفض الرأسِ وغيره عن الاشتراف . ويقال للفارس إذا ضبطَ
 فرسه بفخذه ثم حرّكه للحضّر : طأطأ فرسه .

وقوله « تَنَاهَى إِلَى لَهْوِ الْحَدِيثِ » أراد أنها تنصبُّ من كلِّ أحوالها إلى
 اللهو ، وتنتهي إليه ، إذ كان ما عدا اللهو قد كُفِيَتْ ، فهي مُنْعَمَةٌ لا تتعلّل

(١) عبارة الإنشاد هذه ساقطة من ل . وعند التبريزي : « وقال آخر ، وقيل هو عتبية

ابن مرداس » ، وقد سبقت ترجمة العباس في الحماسية ١٤٩ ص ٤٣٣ .

(٢) ل : « قريته الولائد » .

إِلَّا بِاللَّعِبِ وَالْهَزْلِ ، فَكَأَنَّهَا عَلِيلٌ يُتَرَفَّرَفُ عَلَيْهِ وَيُشْفَقُ ، حَتَّى يُتْرَكَ لَا يُهِمُّهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ ، يَعْنِي أَنَّهَا فِي تَوْفُّرِهَا عَلَى الْحَدِيثِ وَالْمَلَاهِي عَلَى نَعْمَتِهَا وَكَسَلِهَا ، كَذَلِكَ الْعَلِيلُ فِي تَوْفُّرِهِ عَلَى مَقَاسَاتِهِ مَا بِهِ .

٥١٣

آخر^(١) :

- ١ - وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْأَخْيَلِيَّةَ سَلَّمَتْ عَلَيَّ وَدَوْنِي تُرْبَةً وَصَفَاحُ^(٢)
 - ٢ - لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْزَقَا إِلَيْهَا صَدَّى مِنْ دَاخِلِ الْقَبْرِ صَاحُ^(٣)
 - ٣ - وَأَغْبَطُ مِنْ لَيْلَى بِمَا لَا أَنَالُهُ إِلَّا كُلُّ مَا قَرَّتْ بِهِ الْعَيْنُ صَالِحُ
- يقول : لو أن هذه المرأة سلمت علي وقد مت لحال بيني وبينها صفايح القبر ، وثرى الأحد ، لتسرعت إلى جوابها ، وقابلت سلامها ببشاشة مني لها وطلاقة وجه ، لتلقني وإجابتها . فإن حصل منع دون المراد صاح إليها صدّي لي من داخل قبري بدّل جواب منّي . وهذا على اعتقادهم كان ، أن عظام الموتى تصير هاماً وأضدأ .

وقوله « وَأَغْبَطُ مِنْ لَيْلَى » يقول : إني مرّموق ومحسود منذ عرفت بلبلي وإن لم أنل منها مطلوباً ، ولا حصّات من الشقاء بها طائلاً . ثم قال : « إِلَّا كُلُّ »

(١) هو توبة بن الحمير ، كما صرح التبريزي . والأبيات بهذه النسبة في الحيوان (٢ : ٢٩٩) وأمالى النقالى (١ : ١٩٧) والأغانى (١٠ : ٧٧) . وهو توبة بن الحمير بن حزم ابن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ، من شعراء الدولة الأموية ، وأحد عشاق العرب . الأغانى (١٠ : ٦٣ - ٧٩) والاشتقاق ١٨٢ والمؤتلف ٦٨ ، ٩٣ والخزانة (٣ : ٣١ - ٣٤) والعينى (١ : ٥٦٩ - ٥٧١) واللآلى ١١٩ - ١٢٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ والأمالى (١ : ٨٦ - ٨٩) وفوات الوفيات والشعراء ٤١٢ - ٤١٥ .

(٢) الحيوان : « جندل و صفايح » .

(٣) التبريزي ، والجاحظ ، والقالى والأصبهاني : « من جانب القبر » .

ما قرّرت به العينُ صالح « يريد أنى قريرُ العينِ بأنْ أذكرَ بها وتُعرفَ بى دون
طلّابِها ، وهذا القدرُ نافعٌ وإنْ تجرّدَ ممّا سواه .

٥١٤

وقال آخر :

١ - فَإِنْ تَمَنَعُوا لَيْلِي وَحُسْنَ حَدِيثِهَا فَلَنْ تَمْنَعُوا مِنِّي الْبُكَاءَ وَالْقَوَافِيَا

٢ - فَهَلَّا مَنَعْتُمْ إِذْ مَنَعْتُمْ حَدِيثِهَا خَيَالًا يُوَافِيَنِي عَلَى النَّأْيِ هَادِيَا

يقول : إن حُلّتْ بينى وبين ليلى ومنازعتها الكلام ، والتأسّ بِحديثها ،
وحبّسِ النَّفْسَ عَلَى التزوّد منها ومن مغازلتها ، فإنّكم لا تقدرون على ما أنا
بصدده من البكاء ها وجدّا فيها ، ومن قرّض الشعر فى النَّسِيبِ بها ؛ وإذ قد
منعتم حديثها والدنوّ منها ، فهلّا حبستم عنى خيالاً عارفاً بالطريق على البعد بينى
وبينها ، حسنَ الاهتداء إلى حيثُ ذهبتُ عنها ، يزورنى فى المنام فيطربى من
الشوق ما أخلق ، ويعيدُ من الهوى ما درّس . وهذا الكلامُ تحسيرٌ لهم ،
وتشهيرٌ بمكائدهم^(١) ، وتذكيرٌ بما يسوؤهم ، وإعلامٌ أنّ العهدَ بينهما مرعىٌّ ،
والهوى ممّا يقدح فيه من الجانبين محفوظ ، بدلالة أنّه لو استجفها لامتنع
خيالها ، لزوال نومها ، وذهاب هُدوّه . ألا ترى الآخر يقول :

وكان يزورنى منه خيالٌ فلما أن جفاً منَعَ الخيالاً

٥١٥

وقال نُصَيْبٌ (١) :

١ - كَأَنَّ الْقَلْبَ لَيْلَةَ قَيْلٍ يُغْدَى بَلَيْلَى الْعَاصِرِيَّةِ أَوْ يُرَاحُ

٢ - قَطَاةٌ عَزَّهَا شَرَكُ فَبَاتَتْ تُجَاذِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ (٢)

يقول : لَمَّا أَحَسَسْتُ بِاللَّيْلَةِ الَّتِي رُسِمَتْ بِوُقُوعِ الْفِرَاقِ فِي صَبِيحَتِهَا ، أَوْ فِي وَقْتِ الرَّوَاحِ مِنْ غَدِهَا ، وَتَصَوَّرْتُ أَنَّ الْمَتَوَاعِدَ بِهِ حَقٌّ ، وَالْمُتَحَدِّثَ بِهِ وَاقِعٌ ، صَارَ قَلْبِي فِي الْخَفَقَانِ وَالْاضْطِرَابِ كَقَطَاةٍ وَقَعَتْ فِي شَرَكٍ يَجْبُسُهَا ، فَبَقِيَتْ لَيْلَتَهَا تُجَاذِبُهُ وَالْجَنَاحُ عَلِقٌ لَا مُتَخَلِّصَ لَهُ ، نَشِبٌ لَا مُتَنَزِعَ مِنْهُ (٣) ، وَكَمِثْلِ ذَلِكَ قَلْبِي قَلِقٌ فِي حَشَاهُ ، غَلِقٌ عِنْدَ بَلَوَاهُ .

وارتفع قطاة على أنه خبر كأن ، وعزها (٤) في موضع الصفة لقطاة ، يريد غلبها . وانتصب « ليلة » على الظرف مما دل عليه « كأن القلب » من التشبيه ، ولا يجوز أن يكون ظرفاً بقليل ، لأنه بما بعده مضاف إليه ، والمضاف إليه لا يعمل

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٤٩٥ ص ١٢٨٩ . على أن الشعر نسب إلى المجنون في الأغاني (٢ : ٣ ، ١٤) والأمل (٢ : ٦١) والموشح ٢٥٠ . وهذه النسبة أقرب إلى الصواب . ونسب في ديوان المعاني (١ : ٢٧٠) إلى قيس بن ذريح .
(٢) بعده عند التبريزي :

لها فرخان قد تركا بوكرٍ فعضهما تصفقه الرياحُ

إذا سمعا هبوبَ الرِّيحِ نصًّا وقد أودى به القدرُ المتاحُ

فلا في الليل نالت ما تُرَجَّى ولا في الصُّبْحِ كان لها براحُ

نصا ، أى نصبا أعناقهما .

(٣) ل : « لا متزع منه » .

(٤) في الحيوان (٥ : ٥٧٧) : « غرها » بمعنى خدعه .

في المضاف . وقوله « تُجاذِبُه » والمفاعلة تكون في الأكثر من اثنين ، فلا تَهْجَعَلْ مَنْعَ الشَّرْكَ لَلْقَطَاةِ مِنَ التَّخَاصِّ جَذْبًا مِنْهُ .

٥١٦

وقال أبو حية النيرى^(١) :

١ - رَمَتْنِي وَسِثْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا وَنَحْنُ بِأَكْنافِ الْحِجَازِ رَمِيمٌ^(٢)

٢ - فلو أَنهَا لَمَا رَمَتْنِي رَمِيَّتْهَا وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالْمُضَالِ^(٣) قَدِيمٌ

رَمِيمٌ : اسم المرأة ، وارتفع لأنها فاعلةٌ ، وقد بُني على رَمَتْنِي . وأراد

بِسِثْرِ اللَّهِ الْإِسْلَامَ . فيقول : نظرت إلى رَمِيمٍ ، فكأنها رَمَتْنِي بِسَهْمٍ ، ونحن

مقيمون بأكناف الحجاز ، والإسلامُ حازرٌ بيني وبينها ، يمنع من مُغازلتها

وصراودتها . ومثل هذا قول الهذلي^(٤) .

فليسَ كعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرُّقَابِ السَّلَاسِلُ

وعادَ الفتي كالسكهل ليس بقائلٍ سِوَى الْحَقِّ شَيْئًا وَاسْتَرَّاحَ الْعَوَازِلُ^(٥)

كَنَى عَنِ الْإِسْلَامِ فِي مَنْعِهِ عَنِ الْقَبَائِحِ وَأَنْوَاعِ الْفُحْشِ وَالظُّلْمِ بِالسَّلَاسِلِ فِي

الْأَغْلَالِ الْحَيْطَةِ بِالْأَيْدِي وَالْأَعْنَاقِ .

(١) هو الهيثم بن الربيع بن زرارة بن كثير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نعيم

ابن عامر بن صعصعة ، شاعر راجز من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ومدح الخلفاء فيهما

جميعاً ، وكان يسكن البصرة ، وكان أهوج جباناً بخيلاً كذاباً معروفاً بذلك أجمع . قال ذات يوم :

عن لي ظبي فرميته فراغ عن سهمي ، فعارضه والله ذلك السهم ، ثم راغ فراوغه السهم حتى

صرعه ببيع الحبارات . الأغاني (١٥ : ٦١ - ٦٢) والخزانة (٤ : ٢٨٣ - ٢٨٥)

والمؤتلف ١٠٣ واللائي* ٢٤٤ والشعراء ٧٤٩ - ٧٥٠ .

(٢) الأبيات بهذه النسبة في الكامل ١٩ لبسك وبدون نسبة في الحيوان (٣ : ٤٩) .

والبيان (١ : ٦٨ / ٣ : ٣٢٤) . ويروى : « عشية آرام الكناس » .

(٣) يروى بينه وبين سابقه :

رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لِحَارَاتِ بَيْتِهَا ضَمَنْتُ لَكُمْ أَلَا يَزَالُ يَهِيمُ

(٤) هو أبو خراش الهذلي . ديوان الهذليين (٢ : ١٥٠) والأغاني (٢١ : ٤١) .

(٥) في الديوان : « سوى العدل شيئاً فاستراح » .

وقوله « فلو أنها لما رمته رميتها » جواب لو محذوف ، والمراد لو تعرّضت لها وقابلتها في عرض محاسنها بمثل ما يكون للشبان بمنزلة الشفعاء عند النساء ، لحق الأمر وكان القدرُ يجري إلى القدر^(١) ، ولكنني قد شخّنت وكبرت ، فعهدي بمناضلة النساء قديم .

٥١٧

وقال آخر^(٢) :

١ - أَسِجْنَا وَقَيْدًا وَاشْتِيَاقًا وَعَبْرَةً وَنَأَى حَبِيبٍ إِنَّ ذَا لِعَظِيمٍ^(٣)
 ٢ - وَإِنَّ امْرَأً دَامَتْ مَوَائِقُ عَهْدِهِ عَلَى كُلِّ مَا قَاسَيْتَهُ لَكَرِيمٍ^(٤)

انتَصَبَ « سِجْنَا » بِإِضْمَارِ فِعْلٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَتَجَمَعُ عَلَى حَبَسًا وَتَقْيِيدًا ، وَاشْتِيَاقًا إِلَى حَبِيبٍ وَبِكَاءٍ ، مَعَ بُعْدِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، إِنَّ ذَلِكَ أَمْرٌ مِنْكَرٍ فَظِيحٌ ، يَتَضَايِقُ نِطَاقُ الصَّبْرِ عَنْ أَحْتِمَالِهِ وَالْبَقَاءِ مَعَهُ ، وَأَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى اجْتِمَاعِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ ، وَنَبَّهَ عَلَى عَجْزِهِ فِي أَحْتِمَالِهَا لِوَلَا كَرَمِ عِرْقِهِ ، وَاسْتَحْكَامِ عَقْدِهِ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ تَحَمَّدَ بِحَالِهِ ، وَاعْتَدَّ عَلَى حَبِيبِهِ بِقِوَامِهِ عَلَى الْعَهْدِ لَهُ . وَدَوَامَ وُدِّهِ عَلَى اجْتِمَاعِ هَذِهِ الْأَحْوَالِ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : إِنَّ امْرَأً دَامَتْ مَوَائِقُ عَهْدِهِ ، يَرِيدُ : إِنَّ رَجُلًا ثَبَّتَ عَلَى أَوْلِيَّةِ شَأْنِهِ ، وَمَبَادِي مَوَائِقِهِ ، مَعَ مَا يَقَاسِيهِ مِنْ تَزَاوُجِ هَذِهِ الْبَلَايَا عَلَى قَلْبِهِ ، لَكَرِيمِ الْوَهْدِ ، نَبِيهِ الشَّانِ ، وَثِيْقِ الْعَقِيدَةِ .

(١) كذا ضبط في النسختين . والقدر ، بسكون الدال لغة في القدر بفتحها . وأنشد :
 كل شيء حتى أخيك متاع وبقدر تفرق واجتماع
 (٢) هو أحد الأعراب كما هو في البيان (٤ : ٦٢) . ونسب في الحيوان (٦ : ١٥٩)
 إلى بعض اللصوص .

(٣) الحيوان : « أقيد وحبس واغتراب وفرقة وهجر حبيب » . البيان :
 « أقيدا وسجنا واغترابا وفرقة وذكر حبيب » .
 (٤) التبريزي : « على مثل ما قاسيته » . البيان : « على كل ما لاقيته » . الحيوان :
 « على عشر ما بني إنه » .

ويُروى : « أُسِجِنٌ وَقِيدٌ » بالرفع ، والمراد : أتجتمع هذه الأشياء على طريق التَّفْظِيعِ والتَّهْوِيلِ .

٥١٨

وقال آخر^(١) :

١ - رَعَاكَ ضَمَانُ اللَّهِ يَا أُمَّ مَالِكٍ وَلِلَّهِ أَنْ يَشْفِيكَ أَعْنَى وَأَوْسَعُ^(٢)

٢ - يُذَكِّرُ نِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ وَالَّذِي أَخَافُ وَأَرْجُو وَالَّذِي أَتَوَقَّعُ

أشار بقوله « ضَمَانُ اللَّهِ » إلى ما في القرآن من قوله تعالى : ﴿ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ، فقال : أنا أدعو بأن يَشْفِيكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(٣) يَا أُمَّ مَالِكِ ، وقد ضمنَ الإجابةَ للداعى فَرَعَاكَ ضَمَانَهُ . ثم قال : وَلِلَّهِ أَنْ يَشْفِيكَ ، فحذف حرف الجرِّ ، والجارُّ يُحذف مع أن كثيراً ، لأنَّ حَذْفَهُ أَظْهَرَ غِنَاءً وَأَوْسَعَ قُدْرَةً . ونَبَّهَ بهذا الكلام أَنَّهُ فِي كَلِمَتِهِ الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْغَنَى الْقَادِرَ اعْتَمَدَ عَلَى مَا لَا بُدَّ مِنْ وَقُوعِهِ .

وقوله « يذكركم الخير والشر » يريد أنه لا ينساها في شيء من الأحوال والأوقات ، فما يتقلبُ فيه من خيرٍ باكرٍ ، أو شرٍّ طارقٍ ، فهو يذكركم ، وكذلك ما يخاف وقوعه أو يرجوه ، ولم يَصِرْ منهما على يقين يذكركم أيضاً ، وكذلك ما صار منه على يقين ، فهو يتوقَّعه ، يذكركم أيضاً . وإذا تأمَّلتَ حوادثَ الدهرِ وجدتها لا تنقسم إلا إلى قسمته ، لأنها لا تخلو من أن تكون محبوبَةً أو مكروهَةً ، أو واقعةً أو منتظرةً ، أو مخوفةً أو مرجوةً .

(١) هو أعرابي من هذيل كما في الحيوان (٧ : ١٤٨) . وفي البيان (٣ : ٣٣٠) : « وقال أعرابي » .

(٢) في نسخة فيض الله من البيان : « أرمى وأوسع » .

(٣) ل : « جل جلاله » .

٥١٩

وقال الحكم الخضرى^(١):

١ - تساهم ثوبها في الدرع رادة وفي المرط لفأوان ردفهما عبئ
 ٢ - فوالله ما أدري أزيدت ملاحاة وحسناً على النسوان أم ليس لي عقل
 معنى تساهم تقاسم ، ولذلك قيل : سَهْمَةٌ فُلَانٍ من هذا كذا ، أى قسمته
 ونصيبه . ويجوز أن يكون أصله من السهم : القِداح التى تُجَالُ بين الخصوم إذا
 تقارعوا ليستبد كل بما يخرج له لقسمته وبدنه . وفي القرآن : ﴿ فَسَاهَمَ فَكَانَ
 مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴾ ، فكأنه استعار - وإن كان أصله ما ذكرت - لتقاسم ،
 إذ كان يُفَعَّلُ للتقسيم وما يشبهه لا غير ، فيقول : انقسم جسم هذه المرأة بين
 درعها وإزارها ، فى درعها بدن ناعم وخصر دقيق ، وفى مرطها فخدان
 غليظتان عليهما ردف ضخيم .

وقوله « فوالله ما أدري » يريد أن الخيرة قد ملكته فى أسرها ، إما
 يرى من ميل قلبه إليها ، وشدة افتقانه بها ، فهو لا يدري أزيدت حسناً وملاحاة
 على نساء الدنيا كلها ، أم هو فائل الرأى فى الاختيار ، مخبول العقل فى
 الاعتبار ، ضعيف التبصر ، فى الارتياح والتخيير . والرادة والرودة : الناعمة .
 واللنأ : الكثرة اللحم . والعبئ : الضخم ، ومصدره العبالة .

(١) هو الحكم بن معمر بن قنبر بن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن
 محارب . وكان مالك بن طريف شديد الأدمة ، وكذلك خرج ولده ، فسموا الخضر ، وهم خضر
 محارب . وهو شاعر إسلامى ، كان معاصراً لابن ميادة ، وكان بينهما مهاجاة . الأغاني
 (٢ : ٩٤) والذلى ١٦ ومعجم الأديباء (١٠ : ٢٤٠ - ٢٤٥) .

٥٢٠

آخر :

١- أَرُوحٌ ولم أُحْدِثْ لِلْيَلِيِّ زِيَارَةً لَبِئْسَ إِذَا رَاعِيَ الْمَوَدَّةَ وَالْوَصْلَ

٢- تُرَابٌ لِأَهْلِي لَا وَلَا نِعْمَةٌ لَهُمْ لَشَدَّ إِذَا مَا قَد تَعَبَّدَنِي أَهْلِي

كَأَنَّ مَنْ صَحَبَهُ مِنْ أَهْلِهِ اسْتَعْجَلُوهُ عَنْ زِيَارَةِ ابْنِي ، فَيَقُولُ مُنْكَرًا وَمَقْطَعًا : أَرُوحٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَقْضَى حَقَّهَا ، أَوْ أَجِدُّدَ الْإِلْمَامَ بِهَا ، لَبِئْسَ رَاعِيَ الْمَوَدَّةَ وَالْمَوَاصِلَةَ أَنَا . حَذَفَ الْمَذْمُومَ بِلَبْسٍ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ ، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ : ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، وَالْمَعْنَى : نِعْمَ الْعَبْدُ أَيُّوبُ ، فَحَذَفَ الْمَذْمُوحَ بِنِعْمٍ ، لِكَوْنِ الْمُرَادِ مَفْهُومًا . وَإِذَا جَوَابٌ وَجَزَاءٌ ، وَكَأَنَّهُ حَسَّأً بِهِ الْكَلَامَ أَيُعْلَمُ أَنَّ مَا يَقُولُهُ جَوَابٌ لِمَا سِمْ . وَاللَّامُ مِنْ « لَبِئْسَ » لَامُ الْإِبْتِدَاءِ ، وَارْتَفَعَ رَاعِيَ الْمَوَدَّةَ بِهِ .

وَقَوْلُهُ « تُرَابٌ لِأَهْلِي » دَعَاءٌ عَلَيْهِمْ ، وَتَحْقِيرٌ لَهُمْ ، وَاسْتِخْفَافٌ بِهِمْ . وَجَازَ الْإِبْتِدَاءَ بِقَوْلِهِ « تُرَابٌ » وَهُوَ نَكْرَةٌ ، لِأَنَّ مَعْنَى الدَّعَاءِ مِنْهُ مَفْهُومٌ . وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ :

* فَتَرَبُّ لِأَفْوَاهِ الْوُشَاةِ وَجَمْدَلٌ *

وَالْمُرَادُ فِي الدَّعَاءِ طَلْبُ الذَّلِّ لَهُمْ .

وَقَوْلُهُ « لَا وَلَا نِعْمَةٌ لَهُمْ » يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُنْفَى بِإِلَّا الْأُولَى حُذِفَ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : لِأَهْلِهِ التُّرَابُ لِأَعِزَّتْ لَهُمْ وَلَا نِعْمَةٌ . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ « لَا » رَدًّا لِمَا عَرَضُوا عَلَيْهِ . وَهَذَا كَمَا يَقَالُ لِلْإِنْسَانِ . أَفْعَلُ لِفُلَانٍ كَذَا وَكَذَا ، فَيَقُولُ : لَا وَلَا كِرَامَةٌ ، أَيْ لَا أَفْعَلُ ذَلِكَ وَلَا أَكْرِمُ مَنْ يَسُوْمُنِيهِ . وَقَوْلُهُ « لَشَدَّ إِذَا مَا قَد تَعَبَّدَنِي أَهْلِي » تَعَبَّدَهُ وَاسْتَعْبَدَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، أَيْ اسْتَذَلَّهُ ، وَ« لَشَدَّ مَا » هُوَ كَمَا يَقَالُ : لَعَزَّ مَا . وَالْمَعْنَى الْإِنْكَارُ فِيمَا عَرِضَ عَلَيْهِ وَدُعِيَ إِلَيْهِ ، وَأَنْهُمْ تَجَاوَزُوا كُلَّ حَدِّ فِي امْتِنَانِهِ حِينَ عَرَضُوا عَلَيْهِ مِثْلَ ذَلِكَ . وَهَذَا الْكَلَامُ

مُسْتَمِلٌ عَلَى الْخِلَافِ وَقَلَّةِ الْاِحْتِفَالِ . وَيَجُوزُ أَنْ يُجْرَى شَدًّا مَا ، مُجْرَى
نَعْمَ وَبُئْسَ .

٥٢١

وقال أبو ذَهَبِلِ الْجَمَحِيُّ^(١) :

١ - أَأَتْرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا سِوَى لَيْلَةٍ إِنِّي إِذَا لَصَبُورُ

قوله « أَأَتْرُكُ » لفظه لفظ الاستفهام والمعنى معنى الإنكار ، كأنه أنكر من نفسه أن يترك التعريج على ليلي وبينهما مسيرة ليلة ، فقال : أَأَخِلُّ بزيارتها وأداء واجبها مع قُرب المسافة بيني وبينها ؟ إِنِّي إِذَا لَمُتَنَاءٌ فِي الصَّبْرِ عَنِ الْأَحْبَابِ ، كَسُولٌ عَنِ الْبِرِّ بَدْوَى الْأَذِمَّةِ وَالْأَسْبَابِ^(٢) . وإنما قال هذا باعثاً لِصَحْبِهِ عَلَى مُسَاعَدَتِهِ ، وطالبا منهم تمكينه من مراده . لذلك قال :

٢ - هَبُونِي إِسْرًا مِنْكُمْ أَضَلَّ بَعِيرَهُ أَهُ ذِمَّةٌ إِنَّ الذَّمَامَ كَبِيرُ

٣ - وَلِلصَّاحِبِ الْمَتْرُوكِ أَعْظَمُ حُرْمَةً عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بَعِيرُ

٤ - عَفَا اللَّهُ عَن لَيْلَى الْغَدَاةَ فَإِنَّهَا إِذَا وَلِيَتْ حَكْمًا عَلَى تَجْوُرُ

قوله « هَبُونِي » معناه احسبوني واجعلوني ، وهو يتعدى إلى مفعولين .
وحكى ابن الأعرابي : وَهَبَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ بِمَعْنَى جَعَانِي فِدَاءَكَ . وقوله « أَضَلَّ بَعِيرَهُ » يقال في الشيء الزائل عن مكانه إِذَا فَقِدَ : أَضَلَّتُّهُ ، فَإِنْ ثَبَّتَ فِي مَكَانِهِ

(١) هو وهب بن زمة بن أسيد بن أحيحة بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي ، كان رجلاً جميلاً شاعراً ، وكانت له حجة يرسلها فتضرب منكبيه ، وكان عفيفاً ، وقال الشعر في آخر خلافة علي بن أبي طالب ، وملك معاوية وعبد الله ابن الزبير ، وكان ابن الزبير قد ولاه بعض أعمال اليمن . الأغني (٦ : ١٤٩ - ١٦٥) والاشتقاق ٨١ والمؤتلف ١١٧ والشعراء ٥٩٦ - ٥٩٩ .

(٢) الأذمة : جمع ذمام ، وهو الحرمة والحق والمعهد .

ولم يُهْتَدَ إليه قيل: ضَلَّتْهُ. وقوله «إِنَّ الذَّمَّامَ كَبِيرٌ» كالاتِّفَاتِ، وقوله «أَضَلُّ بِعَيْرَةٍ» في موضع الصِّفَةِ لَامْرَأً، وكذلك «لَهُ ذِمَّةٌ» صِفَةٌ أُخْرَى. ومعنى منكم مِنْ خَاصَّتِكُمْ وَبَطَانَتِكُمْ، وهو يُفِيدُ معنى الوصف أيضاً والمعنى: أُجْرُونِي مَجْرَى رَجُلٍ مِنْكُمْ نَدَّ لَهُ بِعَيْرٍ، وله ذِمَامُ الصُّحْبَةِ وَالنَّسَبِ وَالْقَرَابَةِ، فَإِنَّ لِلذَّمَّامِ حَقَّهُ، وَحُرْمَةَ المُرَافِقَةِ كَبِيرَةً، وَدَعَوِي أَقْضٍ مِنْ حَقِّ لَيْلِي وَاجِبِهِ، وَلَا تَسْتَعْجَلُونِي فِي ذَلِكَ وَلَا تَمْنَعُونِي عَنْهُ، ثُمَّ قَالَ: فَإِنَّكُمْ إِذَا تَرَكْتُمُونِي وَلَمْ تَوْفَّرُونِي عَلَى مَا أُهْمُّ بِهِ فِيمَا يَخْتَصُّ بِي لَهَا، كُنْتُمْ تَرَكْتُمْ رَفِيقًا لَكُمْ وَضِيَّعْتُمُوهُ أَشَدَّ مَا كَانَ حَاجَةً إِلَيْكُمْ، وَالرَّفِيقُ أَعْظَمُ حُرْمَةٍ فِي صَاحِبِهِ المَتْرُوكِ مِنْ ضَلَالِ بِعَيْرٍ. يُرِيدُ: وَإِذَا عُدَّ تَرَكَ الاستِيفَاءَ^(١) بِنِ ارَادِ نِشْدَانَ ضَالَّتَهُ، تَجَوُّزًا فِي المَحَافِظَةِ، وَتَعَدِّيًا فِي حُكْمِ المُرَافِقَةِ كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ إِذَا فُعِلَ مَعَ مَنْ يَرُومُ تَجْدِيدَ العَهْدِ بَرُوحَهُ، وَالاستِيفَاءَ عَلَى لُبِّهِ، أَعْظَمَ فِي الجِنَايَةِ، وَأَقْبَحَ فِي الأَحْدُوثَةِ.

وقوله «عَمَّا اللهُ عَنِ لَيْلِي الغَدَةِ» تَشَكُّ وَتَأَلُّمٌ مِنْ سَوْءِ مَعَامَلَتِهَا وَأَنَّهَا مَتَى حُكِّمَتْ فِيهِ وَفِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ جَارَتْ وَلَمْ تُنْصَفِ. وَهَذَا الكَلَامُ مِنْهُ إِبْدَانٌ بِأَنَّهَا تَسْتَعْظَمُ الصَّغِيرَ إِذَا وَقَعَ مِنْهُ، بَلْ تَعُدُّهُ كَبِيرَةً وَتُعَلِّظُ العَقُوبَةَ عَلَيْهَا، وَالمُؤَاخَذَةَ بِهَا.

٥٢٢

وقال آخر:

١ - أَاخِرُ شَيْءٍ أَنْتِ فِي كُلِّ هَجْعَةٍ وَأَوَّلُ شَيْءٍ أَنْتِ عِنْدَ هُبُوبِي

٢ - مَزِيدُكَ عِنْدِي أَنْ أَقِيكَ مِنَ الرَّدَى وَوَدُّكَ كَمَا المُنْزَنِ غَيْرُ مَشُوبِ

قوله «فِي كُلِّ هَجْعَةٍ» العَامِلُ فِيهِ أَاخِرُ، وَكَذَلِكَ «عِنْدَ هُبُوبِي» العَامِلُ فِيهِ أَوَّلُ شَيْءٍ. يَقُولُ: لَا أَخْلُو مِنْ ذِكْرِكَ سَاعَةً؛ لِأَنِّي إِنْ نِمْتُ كَانَ خِيَالُكَ

(١) هو مصدر استبان، أي تأنى، ولم يعجل.

سميرى مدّة هجوعى، وإن أوقظت كنت لزيماً ذكراكِ مُدّةً يَظنّنى ، فأنتِ فى النّوم آخرُ شىء لى ، ولا فاصلَ بينَ الحالين . ثم قال : والذى يَزِيدُكَ من عندى ألاّ أشهرّ بك ، ولا أبوحَ بسرِّك ، ولا أعلنَ النّسبَ باسمك ، إذْ كان فى جميعه تنفيرُك ، وتعريضُك للرّدى : فضيحتك ، فأنا أقيك من ذلك ، وأنا أضفى لك الودّ حتى لا يشركك فى قلبى أحد ، فيصير ثاوى الود مشوباً ، وصافى الهوى مكدرًا ويجوز أن يكون المرادُ : مزيديك عندى أن أدعو الله تعالى بالصّيانة لك ، وتوفيرِ الحيطة عليك من كلِّ ما تكرهينه ، أو يؤدّى إلى شديك فيما ترومينه .

والذى يشهد لقوله « من الرّدى » وأن المراد به الفضيحة قولُ امرى القيس : صرفتُ الهوى عنهنّ من خشيةِ الرّدى ولستُ بمقلّي الخلالِ ولا قالِ ألا ترى أنّه كان ملكاً لا يخاف معارضاً له فيما يتعاطى من اللّهُو ، ويختاره من الصّبأ والبطالة مع مَنْ كان وفيمن اتفق ، فكيف ما يتعدّاه من طلب الغوائل له ، لكنّه عدّ انتشارَ الحديث فيه ، وقيامَ الناس وقعودهم يذكره هلاكاً وعطياً .

وقوله « أن أقيك » فى موضع خبر المبتدأ وهو مزيديك ، وانعطف عليه قوله « وودّك كاء المزن » .

٥٢٣

وقال آخر :

- ١ - ما أنصفتَ ذلفاءً أمّا دُنُوها فهجرتُ وأما نأيها فيشوقُ
٢ - تباعدتُ ممّن واصلتُ فكأنّها لآخر ممّن لا تودّ صديقاً^(١)

(١) التبريزى : « وكأنها » .

يقول : جارت هذه المرأة عليّ في حُكْمِ المَوَى ولم تُنصِفْ ، لأني إن طلبتُ التَّدَانِيَّ منها هَجَرْتَنِي واطَّرَحْتَنِي ، وإن رُمْتُ التَّنَائِيَّ منها شَوَّقْتَنِي وهاجبتني ، وإذا كانت من مُواصِلِهَا مُتَبَاعِدَةً ، ولمُوَادِّهَا مُهَاجِرَةً ، فَكَأَنَّهَا تَصَادِقُ مُعَادِيَهَا ، وَتُخَالِصُ مُنَادِيَهَا من دون مُواصِلِهَا ومقارِبِهَا ، وهذا عَجَبٌ من مثالها .

وقوله « أَمَا دُنُوُّهَا فَهَجْرٌ » المعنى أَمَا فِي دُنُوِّهَا فَتَهَجْرٌ . أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ « وَأَمَا نَأْيُهَا فَيَشُوقٌ » كَأَنَّهُ : وَأَمَا فِي نَأْيِهَا فَتَشُوقٌ . إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ فِعْلَهَا مَنْسُوبًا إِلَى دُنُوِّهَا وَنَأْيِهَا .

٥٢٤

وقال عبد الرحمن الزهري^(١) :

١ - وَأَمَا نَزَلْنَا مِنْزِلًا طَلَّهُ النَّدَى أَنِيقًا وَبُسْتَانًا مِنَ النُّورِ حَالِيًا^(٢)
 ٢ - أَجَدًّا لِفَاطِيْبِ الْمَكَانِ وَحُسْنُهُ مَنِي فَمَمْنَيْنَا فَكُنْتَ الْأَمَانِيَا
 جواب « لَمَا » قوله أَجَدًّا لَنَا . فيقول : لَمَا خَرَجْنَا إِلَى ظَاهِرِ مَحَالِّنَا مَمْتَرِّهِينَ ، وَنَزَلْنَا مَوْضِعًا رِيَاضُهُ رَكْبَهَا الطَّلُّ بِاللَّيْلِ ، فَتَمَاتَرَ عَنْهَا الْقَطْرُ بِالْغَدُواتِ ، وَنَبَاتُهُ شَرِقَتْ بِالرَّيِّ بَعْدَ الشَّمْسِ ، وَضَا حَكَتِ الشَّمْسُ بَعْدَ الشُّرُوقِ ؛ وَبَسَاتِيْنِ تَحَلَّتْ بِالْأَزَاهِيرِ ، وَتَحَفَّتْ مِنْ بَرَكَاتِ اللَّهِ بِأَثَارِ الصَّنْعِ ، دَعَعْتَنَا نَفُوسُنَا إِلَى أَنْ نَتَذَكَّرَ لَطِيْبِ الْمَكَانِ ، وَمُسَاعَدَةِ الْوَقْتِ وَالزَّمَانِ ، مَا يَكْمُلُ بِهِ الشُّرُورُ ،

(١) هذا ما في ن . وفي الأصل : « الزبيرى » . وعند التبريزي : « أبو بكر بن عبد الرحمن الزهري » . وقد سبق لأبي بكر الحماسية ٤٦٩ ص ١٢٤٥ . وأبوه عبد الرحمن بن المسور بن محرمة بن نوفل بن أهيب بن زهرة بن كلاب . وكان جده المسور من أدرك الإسلام صغيراً وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . الإصابة ٧٩٨٧ .
 (٢) روى التبريزي قبل هذه المقتطوعة مقتطوعة أخرى لحفص العليمي ، وستأتي مقتطوعة حفص العليمي هذا بعد المقتطوعة رقم ٥٣٦ .

وَنَمَنَى مَا إِلَيْهِ تَتَنَاهَى فِي الْاِقْتِرَاحِ الْعُيُونُ وَالْقُلُوبُ ، فَوَجَدْنَا الْأَمَانِيَّ كَلِمًا
لَا تَتَعَلَقُ إِلَّا بِكَ ، وَلَا تَحُومُ فِيهَا تُجَالُ فِيهِ وَتُرَاوِدُ عَنْهُ إِلَّا عَلَيْكَ ، ذَهَابًا فِيكَ
وَشَعَفًا بِكَ .

ويقال : طَأَّتِ الْأَرْضُ فِيهَا مَطْلُوعَةٌ . وَالْأَنْيَقُ : الْمُعْجَبُ . وَيُقَالُ : حَلَى
بِكَذَا ، وَتَحَلَى بِكَذَا .

٥٢٥

وقال معدان بن مضرب^(١) :

- ١ - إِنْ كَانَ مَا بُلِّغْتِ عَنِّي فَلَا مَنِيَّ صَدِيقِي وَشَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَنَامِلُ
 - ٢ - وَكَفَّنْتُ وَحْدِي مُنْذِرًا فِي رَدَائِهِ وَصَادَفَ حَوَاطًا مِنْ أَعَادِي قَاتِلُ
- قد مضى تفسيره في باب الحماسة .

٥٢٦

وقال آخر :

- ١ - صَفَا وَدُّ لَيْلَى مَا صَفَا لَمْ نَطِيعْ بِهِ عَدُوًّا وَلَمْ نَسْمَعْ بِهِ قِيلَ صَاحِبِ
- ٢ - فَلَمَّا تَوَلَّى وَدُّ لَيْلَى لَجَانِبِ وَقَوْمٍ تَوَلَّيْنَا لِقَوْمٍ وَجَانِبِ
- ٣ - وَكُلُّ خَلِيلٍ بَعْدَ لَيْلَى يَخَافُنِي عَلَى الْغَدْرِ أَوْ يَرْضَى بُوْدٍ مُقَارِبِ

(١) الذي في معجم المرزبانى ٤٠٧ : « معدان بن جواس الكنتدى السكونى » . قال :
له حلف في ربيعة ، مخضرم نزل الكوفة ، وكان نصرانياً فأسلم في أيام عمر بن الخطاب ، وقام
الزبير بن العوام رضى الله عنه بأمره فدحه . وهو القائل :

ورثت أبا حوط حجية شعره وأورثني شعر السكون المضرب

أبو حوط هو حجية بن المضرب ، فخر بهما . ثم أنشد له المرزبانى بيتي الحماسة هذين .
وقد نسبه أبو تمام هنا إلى أحد أجداده ، ونسبته في الإصمالية ٨٤٣٥ : معدان بن جواس بن
« غروة بن سلمة بن المنذر بن المضرب بن معوية » .

سلك في هذا مسلك ذى الرُّمَّة حين قال :

فَيَا مَيَّ هَلْ يُجْزَى بُيْكَائِي بِمَثَلِهِ سِرَّاراً وَأَنْفَاسِي إِلَيْكَ الزَّوَابِرُ

وقد زَيْفَ النَّقَّادَ هَذَا وَقَالُوا : ذُو الْهَوَى لَا يَسْتَدْعِي مِمَّنْ يَهْوَاهُ الْمَكْفَأَةَ

على ما يتحملة فيه ، وقد عاب ابنُ أبي عَتِيقٍ على كثيرِ قوله :

وَلَسْتُ بِرَاضٍ مِّنْ خَلِيلِي بِفَائِلٍ قَلِيلٍ وَلَا رَاضٍ لَّهُ بِقَلِيلٍ

وقال : هَذَا كَلَامٌ مُّكَافٍ لَّا كَلَامٌ مُّحِبٌّ . فقوله « وَدُّ لَيْلِي » يجوز أن

يكون الودُّ مضافاً إلى المفعول ، والمراد وَدُّنَا لِلَيْلِي ، فينتصب موضع قوله « ما صفا »

لكونه ظرفاً ، والمعنى : صفا وَدُّنَا لِلَيْلِي مَدَّةً بَقَائِهِ خَالِصاً مَّا يَشُوبُهُ وَيُفْسِدُهُ

من طاعة عدوِّ لها ، وإصغاء إلى قيلٍ ناصحٍ يَنْصَحُ فِيهَا . ويجوز أن يكون

المراد : صفا وَدُّنَا لِلَيْلِي مَدَّةً صَفَاءً وَدُّهَا لَنَا ، فخمينا من قَدَحِ الْأَعْدَاءِ فِيهِ ، وَالْإِصْغَاءُ

إلى قيلِ اللَّائِمِينَ وَعَتَبِهِمْ لَهُ . ويدل على هذا التفسير قوله مِنْ بَعْدُ :

فَلَمَّا تَوَلَّى وَدُّ لَيْلِي لْجَانِبِ وَقَوْمٍ تَوَلَّيْنَا لِقَوْمٍ وَجَانِبِ

فإن قيل : كيف زعمت أن المعنى ما صفا وَدُّهَا لَنَا ، وقد ذكرت أن الودَّ

مضاف إلى المفعول ؟ قلت : إن المضمرة في الثاني هو وَدَّ لَيْلِي ، والمصدر كما يضاف

إلى المفعول يضاف إلى الفاعل أيضاً ، واللفظ لفظ واحد . وإذا كان كذلك

صَلَحَ أَنْ يُنَوَّى فِي قَوْلِهِ « مَا صفا » عَوْدُ الضَّمِيرِ إِلَى وَدَّ لَيْلِي ، ويكون لَيْلِي

فاعلة لأن اللفظ ذلك اللفظ ، فيكون التقدير : صفا وَدَّ لَيْلِي مَا صفا وَدُّ لَيْلِي .

والمعنى : صفا وَدُّنَا لِلَيْلِي مَا صفا وَدُّهَا لَنَا ، أى صافيناها ما دامت تُصَافِينَا .

ويجوز أن يكون وَدَّ لَيْلِي أَضَافَ الْوَدَّ إِلَى لَيْلِي ، وهى الفاعلة ، لكنّه حذف

لمضاف وأقام المضاف إليه مقامه ، والمراد : صفا جَزَاءً وَدَّ لَيْلِي مِمَّا صفا هُوَ فِي

نَفْسِهِ لَنَا . وقد رُوِيَ : لَمْ نَطْعَ بِهَا عَدُوًّا « فيعود الضمير إليها ، وكذلك » ولم

نسمع بها» . وإذا رويت « به » يعود الضمير إلى الوُدّ .

وقوله « فلما تولى ودّ لبلى » يريد : ودّ لبلى لفا . والمعنى : لما مالت إلى جنبة غير جنبتى ، وقوم غير قومي ، نفّضت يدي من الاعتماد عليهما ، وأخايت قابي من هواها ، وصرفت نفسي إلى جنبة أخرى غير جنبتها ، وطائفة أخرى غير طائفتها ، لأنى كما أصل أقطع ، وكما أخالط أزايل ، واستمّن يقتل نفسه فى إثر من لا يريدنى إذا تولى عنى . وقوله « تولى » يجوز أن يكون من التولّى الإعراض والذهاب ، ويجوز أن يكون من الولاء والطاعة .

وقوله « وكلّ خليلٍ بعد لبلى يخافنى » يريد أن الناس لما رأوا ولوعى بلبلى ، وصفاء عقيدتى فى اللبيل إليها والبقاء على العهد معها ، ثم رأوا بعده انصرافى عنها فى أقرب المدد ، ولأدنى السبب ، صار كلّ خليلٍ فيما بينى وبينه يخافنى على الغدر . ويتهمنى فى الوُدّ ، فلا يطلب منى التناهى فيما يجمعنى وإيأاه ، خوفاً من الإعراض عنه ، أو يرضى معى ومن جهتى بوُدّ قريب لا سرف فيه ولا اشتطاط .

٥٢٧

وقال آخر :

١ - ألا ليت شعرى هل أبيتنّ ليلةً وذكرُك لا يسرى إلىّ كما يسرى

٢ - وهل يدعُ الواشونَ إفسادَ بيننا وحفراً لنا العاثورَ من حيث لا ندرى

هذا كلامٌ متبرّمٌ بالهوى ، مستقيلٌ من الوشاة وإفسادهم ، متفادٍ من تحريشهم وألبهم ، متمنٍ أن تنقطع أسبابُ الهوى ، وتنقطع أغراسُ الوُدّ .

وقوله « ليت شعرى » موضع شعرى نصبٌ لأنه اسمٌ ليت . وقوله « هل »

أبيتنَّ ليلةً « سَدَّ مَسَدَ مَفْعُولِي شِعْرِي ، لَأَنَّ مَعْنَاهُ عَلِمِي ، وَيَتَعَدَّى تَعَدِّيَةً ، وَخَبِرَ لَيْتَ مَضْمَرًا لَا يَظْهَرُ . وَالتَّقْدِيرُ : لَيْتَ عَلِمِي وَاقِعٌ ، وَمَا يَجْرِي جَرَاهُ وَالْمَعْنَى : أَتَمَّنِّي أَنْ أَعْلَمَ هَلْ أَبْقَى أَنَا لَيْلَةً مِنْ لِيَالِي الدَّهْرِ وَخَيَالِكِ لَا يَسْرِي إِلَيَّ كَمَا يَسْرِي السَّاعَةَ ، وَهَلْ أَرَى نَفْسِي سَلِيمَةً مِنْ رَمَى الوَشَاةِ وَطَلَبِهِمْ إِفْسَادًا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، وَحَفْرِ المَغْوَاةِ لَنَا^(١) إِذَا غَبَّنا عَنْهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا نَشْعُرُ وَلَا نَدْرِي فَنَنْتَقِمِيهِ وَنَحْذَرُهُ .

فإن قيل : كيف جاز أن يُكنَى عن الخيال بالذِّكْر حتى قال : « وَذَكَرُكَ لَا يَسْرِي إِلَيَّ » ؟ قلت : إن الخيالَ في المذام لا يكونُ إلا عن التذكُّر في اليقظة ، يَشْهَدُ لذلك قولُ أبي تمامٍ الطائي .

نَمْ فَمَا زَارَكَ الخيالُ وَلَكِنَّكَ بِالْفِكْرِ زُرْتَ طَيْفَ الخيالِ
وهذا ظاهرٌ وعليه مَبَانِي وصف الخيال .

والعائور : مَصِيدَةٌ للبهائم ، وَيُجْعَلُ اسْمًا للمتائف ، وهو فاعولٌ من العثار والعُثور ، وكذلك^(٢) استُعِيرَ لِلنَّقْصِ فِي الحَسَبِ ، لَأَنَّ صَاحِبَهُ يَعْتُرُّ بِهِ عَنْ غَايَةِ السَّابِقِ . وَانْتَصَبَ قَوْلُهُ « العائور » مِنَ المَصْدَرِ المُنَوَّنِ وَهُوَ حَفْرًا ، وَأَقْوَى مَا يَكُونُ المَصْدَرُ فِي العَمَلِ إِذَا كَانَ مَفْعُولًا ، إِذْ كَانَ شَبَهَ الفِعْلِ فِيهِ أَقْوَى .
وقال بعضُ أصحابِ المعاني : إِنَّمَا يَتَمَنَّى أَنْ يَمْلِكَهَا عَلَى حَدِّ يُسْقِطُ تَسْوِيقَ المفسدين فِيهِ^(٣) ، وَيَأْمَنُ التَّبِعَةَ مَعَهُ ، وَيَرْتَفِعُ العِشْقُ وَالمُهوَى مِنْ بَيْنِهِمَا .

(١) المغوأة : حفرة كالزبية تحتفر للأسد .

(٢) ل : « ولذلك » .

(٣) التسويق ، بالسین المهملة في النسختين ، وأصله من تسويق القوم ، إذا باعوا واشتروا .

٥٢٨

آخر :

١ - إن كان هذا منك حقاً فإنني مداوي الذي بيني وبينك بالهجر
 ٢ - ومُنصَرَفٌ عَنْكَ انصراف ابن حُرّة طوى ودّه والطى أبقى من النّشر
 يقول : إن كان هذا الذي يظهرُ منك موافقاً لما يبطنُ ، وهذا الإعراضُ
 عن جفَاءٍ وقلي لا دلالٍ وهوى ، فإنى سأداوي ما بيني وبينك بالتهاجر ،
 وقاعدُ عنك قعودٌ حُرٌّ لا يصيرُ على الجفَاءِ والتدابُرِ ، ولا يرضى من وديده
 بالمأذقة دون الصّفاء ، فأطوى ودّي معه وأصونه عن النّشر ، لأنّ الطى أوقى
 فيه ، وصيانتَه عن الابتذال أوعى له (١) .

وإنما قال : « ابن حُرّة » والتصد إلى الكريم من الرّجال ، الذي يصون
 نفسه ونفسَ صاحبه فلا يُوحش مع التهاجر ، ولا يُفحش على التّفكّر والتباغض ،
 لكنّه يلزم المجاملة والمساترة في كلِّ حال ، لأنّ الأمّ إذا كانت متملّكة تبعها
 الولد في الرّق ، فيحصل الرّق والهجنه معاً ، ومتى كانت الأمّ حُرّة لم يتبع
 الولد أباه في الرّق وإن كان عبداً مملوكاً ، ولكنّه يكون هجيناً غيرَ عربيٍّ
 خالص .

٥٢٩

آخر (٢) :

١ - وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة غزال كحيل المقلتين ريب (٣)

(١) ل : « أرعى له » .

(٢) هو بعض الأعراب ، كما في معجم البلدان (٨ : ٤٠١) .

(٣) ياقوت : « أحم المقلتين » . و بطن وجرة : منزل لأهل البصرة إلى مكة ، بينه وبين

مكة مرحلتان .

٢ - فلا تحسبني أن الغريب الذي نأى ولكن من تنأين عنه غريب
 كان شعبا الشاعر وصديقتيه مجتمعين ببطن وجرة زمانا ، فوَقعت الألفة
 بينهما ثم افترقوا ، فقال متأسفاً في إثرها ، ومثلها لما فاتته من الاجتماع بينهما :
 وفي الخلقاء الباكرين من هذا المكان امرأة كأنها غزال مكحل العينين
 مرَّ بَّ في البيوت ، منعمٌ بالاقْتناء ، ملكٌ قابي . ثم قال مخاطباً لها : لا تُظنِّي
 أن الغريبَ من بُعد عن سَكَنه ، ونأى عن إلفه ووطنه ، ولكن الغريبَ
 هو من تبعدين عنه وفي يدك قيادته ، فعلى البُعد تجذبيته ، ومن مراده تمنعيفه ،
 وقد ضاق عنه مكانه حتى صار فيه كمن نأى عن أهله ، وحصل في غير
 أرضه^(١) ومنزله .

٥٣٠

وقال آخر :

١ - بنفسى وأهلي من إذا عرَّضوا له ببعض الأذى لم يذر كيف يُجيب^(٢)
 ٢ - ولم يعتذر عُذر البرىء ولم تزل به سَكْنةٌ حتى يقال مُسْرِبُ
 تعلق الباء من قوله « بنفسى » بفعلٍ مضمَر ، كأنه قال : أفدى بنفسى
 وعشيرتى إنساناً - ويعنى به محبوبه - إذا اجتمع عليه اللُوم ، وتصرفوا في
 فنون الغض منه والعتب عليه ، فأذوا قلبه وضيقوا صدره ، ارتبك في الجواب
 وحر ، ولم يدر لغيرارته بماذا يُجيب ، ولسوء اهتدائه بوجوه الحيل كيف
 يتخلص ، فلا عُذْرهُ عُذْرٌ من لا جنابة له ، ولا سكوته سكوته من لا احتفال بهم .

(١) هذا ما في ل ، وفي الأصل : « أهله » .

(٢) عرضوا ، بالتشديد ، هو ضبط الأصل والتبريزى . وفي ل : « عرضوا » .

معه ، فهو في إطراقه وخفوته^(١) إذا قضيتهم نفذت فيه بأنه مسرب ، مرتكب ، ولما روي به مكتسب ، استدلالاً بسكوته على الذنب ، وبإمساكه عن إقامة المآذير على صحة القرء .

٥٣١

وقال آخر :

١- أرى كل أرض دمنتها ، وإن مضت لها حجج ، يزداً طيباً ترابها

٢- ألم تعلمن يا رب أن رب دعوة دعوتك فيها مخلصاً لو أجابها

يقول : أرى كل مكان أفامت فيه هذه المرأة زمناً فأثرت فيه أثراً يزداً على استمرار السنين والأحقاب ترابه طيباً ، وإن لم يكن لإفامتها أو أن تمتد زماناً متصل ، فقوله « يزداً » في موضع المفعول الثاني لأرى . ودمنتها : فعل مبني من الدمنة : أثر الدار وما سود بالرماد وغيره ، فكان معنى دمنتها أثرت فيها بالإفامة . وانتصب « طيباً » على التمييز ، وقد نقل الفعل عنه لأن الأصل يزداً طيباً ترابها ، فجعل الفعل للتراب فأشبهه « طيباً » المفعول . وعلى هذا : قررت به عينا .

فإن قيل : هل في هذا دلالة على صحة قول المخالف لسيبويه في جواز تقديم التمييز إذا كان العامل فيه فعلاً ، وهل يفصل بين هذا البيت وبين ما استدلووا به من قول الآخر^(٢) :

* وما كان نفساً بالفراق تطيب^(٣) *

(١) هذا ما في ل . والحنوت : سكون الصوت . وفي الأصل : « وحنوته » تحريف .

(٢) هو الخجل السعدي ، أو أعشى همدان . شواهد العيني (٣ : ٢٣٥) .

(٣) صدره : * أنهجر ليل للفراق حبيبها * .

قلت : لا دلالة في هذا الذي نَعْنُ فيه وإن كان البيت الذي أوردته
أَمَكَنَّ التَّمَلُّقُ به ، حتى ذكر أصحابُ سيبويه أن الرواية على غيره ، وهو :
* وما كان نفسى بالفراق تطيبُ *

وذلك أن « طيباً » لم يُتَقَدَّمْ على العامل وهو الفعل ، وإنما قُدِّمَ على ما صار
فاعلاً ، وإذا كان كذلك لم يصحَّ الاحتجاج به له ، لأنَّ الموضعَ المختلفَ فيه
هو جوازُ تقدُّمِهِ على العامل فيه وامتناعُهُ منه لا غير ، فأما ما دام واقعاً بعد الفعل
فلا مُستَدَلٌّ به على موضع الخلاف .

وقوله « ألم تعلمن يا رب أن ربَّ دَعْوَةٍ » ، أن مخنفة من أن الثَّقيلة ،
والتقدير : أنه ربَّ دعوةٍ . وفي ربَّ لغات : إحداهما التَّخفيف^(١) . وكأنه يتضرع
في هذا الكلام إلى خالقِهِ وَمَنْ يستغيث به فيما يُقاسمه ، ويقرِّر في الدُّعاء عليه
أنه قد ضمن الاستجابة في قوله تعالى : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ فقال : إنَّك
تعلم يا رب أني قد أخلصت دُعَاءَكَ في أوقاتٍ كثيرةٍ لَطَلَبَتِي لو اقترن بالدُّعاء إجابةً
وإسماف ، وضمائك الأصحُّ الأوفى ، فاستجِبْ . وفيه أيضاً ما يجري مجرى
الاستزادة إذا توجَّه إلى غيره تعالى . وانتصب « مخلصاً » على الحال . وقوله
« لو أجابها » يريد به لو أجاب فيها .

٣ - وَأُقْسِمُ لَوْ أَنِّي أَرَى نَسَبًا لَهَا ذِنَابَ الْفَلَا حُبَّتْ إِلَى ذِنَابِهَا
٤ - لَعَمْرُؤُا بِنِي لَيْلَى لَيْنٌ هِيَ أَصْبَحَتْ بَوَادِي الْقُرَى مَا ضَرَّ غَيْرِي اغْتِرَابُهَا

قوله « أقسم » جملة تنوب عن اليمين ، والجواب « حُبَّتْ إِلَى ذِنَابِهَا »
متعلقاً بالشَّروط المذكور ، وهو أن تكون مناسبة . وجواب لو هو ما صار جواباً

(١) في رب ست عشرة لغة : ضم الراء وفتحها ، وكلاهما مع التشديد والتخفيف ،
والأوجه الأربعة مع تاء التأنيث ساكنة أو محركة ومع التجرد منها ، فهذه اثنتا عشرة ، والضم
والفتح مع إسكان الباء ، وضم الحرفين مع التشديد ، ومع التخفيف ، فهذه أربعة أخرى ،
تكون كلها ست عشرة لغة .

لليمين ، وكذا يقع الشرط والجزاء بعدها . تقول : والله ائن جئتنى لأكرمك
ويروى : « حَبَّتْ » بفتح الحاء والأصل حَبَيْت ، وفَعَلَ في المضعف قائل .
ويروى « حُبَّتْ » بضم الحاء ، وهو بناء لما لم يُسَمَّ فاعله . ويقال : حَبَّبْتُهُ فهو
محبوب ، لغة في أَحَبَّبْتُهُ .

وقوله « لَعَمْرُ أبي لَبَلَى » إقسامه بأبيها تعظيم لها ، وتبئيه على تحله من
قلبه ، وأنه منصبٌ إلى مَنْ يجمعه وإياها عُلُقَةٌ وإن ضَعُفَتْ ، فكيف أبوها
والمختصُّ بها . وفي هذا زيادةٌ على ما قاله الآخر^(١) ، وهو :
وَمِنْ بَيْنَاتِ الحَبِّ أَنْ كَانَ أَهْلَهَا أَحَبَّ إِلَى قَابِي وَعَيْنِي مِنْ أَهْلِي^(٢)
واللام من « ائن » موطنة للقسَم ، وجواب القَسَم ما ضَرَّ ، والمعنى :
إن عادت هذه المرأة إلى موضعها من وادي القرى لم يضُرَّ غيري البعدُ منها ،
والاغترابُ عنها . وقوله « اغترابها » يريد اغترابي عنها ، ويجوز أن يُريد تباعدَها

٥٣٢

وقال آخر :

- ١- لَعَمْرُكَ مَا مِيعَادُ عَيْنَيْكَ وَالْبُكَاءِ بَدَارَاءِ إِلَّا أَنْ تَهَبَّ جَنُوبُ^(٣)
٢- أَعَاشِرُ فِي دَارَاءِ مَنْ لَا أَحِبُّهُ وَبِالرَّمْلِ مَهْجُورٌ إِلَى حَبِيبِ^(٤)

(١) هو الحسين بن مطير . الحماسة ٤٧٣ ص ١٢٥٣ .

(٢) ضبطت نون « عبي » في ل بالفتح والكسر لتقرأ بالتثنية والإفراد ، مشفوعة
بكلمة « معا » تحقيقاً للضبطين .

(٣) أنشد ياقوت في معجم البلدان هذه الأبيات في رسم (داراء) بيد أن ذكر أن
« داراء » من نواحي البحرين . ثم قال : « وهذا موضع استصعب علينا معرفته ، وأكثر تفتيشنا
إياه ، وظنه شارحو الحماسة دارا التي ببلاد الجزيرة ، فغلطوا ، حتى وجده الوزير صاحب
الأكرم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني الترنطلي ، أطال الله بقاءه ، بخط أبي عبد الله
المرزباني فيما كتبه عن الحسن بن عليل العنزي ، فأفادناه . »

(٤) ياقوت : « من لا أوده » . وستأتي هذه الرواية في الشرح .

٣- إذا هبَّ علويُّ الرِّياحِ وَجَدْتُني كَأَنَّ لعلويَّ الرِّياحِ نَسِيبُ
 يقول : وَبَقَائِكَ ما الموعِدُ بين البِكااءِ وَأنتِ بداراءِ إِلاَّ عندَ هُبوبِ
 الجنوبِ ، وَإِنَّمَا قالَ هذا لِأَنَّ الجنوبَ كانَ مَهْشَها مِن أرضِ صاحِبِته ، فعلى
 هذا التَّأويلِ يَكُونُ « والبِكا » في مَوضعِ الجُرِّ عَطْفًا على عَيْدِيكَ . ولا يَمْتَنَعُ
 أَن يَكُونَ المرادُ . ما مِيعادَ عَيْدِيكَ مع البِكا بِهذا المِكانِ إِلاَّ إِذا هَبَّتِ
 الجنوبُ ؛ فيَكُونُ مَفْعولًا مَعَهُ . وَإِنَّمَا قالَ ذلكَ لِأَنَّها تُهْدِي إِليه أَرَبِجَتَها^(١) ،
 أو يَمْتَنَعُ أَنَّها رَسولُها ، فَتُجَدُّ ذِكرُها ، وتَطْرَى الوجودَ بِها ، فيَبْكي شوقًا إِليها .
 وقالَ الخليلُ : المِيعادُ لا يَكُونُ إِلاَّ وَقْتًا أو مَوضِعًا . وَإِذا كانَ كذلكَ فالِميعادُ مَبْتدأُ
 وخبره أَن تَهَبُّ ، والمرادُ وَقْتُ هُبوبِها ، حَتَّى يَكُونُ الآخِرُ هو الأَوَّلُ ، إِلاَّ أَنه
 حَذَفَ المِضافَ .

وقوله « أَعاشِرُ في دَاراءِ مَن لا أودُّه » شَكَوُ مِنَ الدَّهْرِ حينَ جَمَعَ بَينَهُ
 في دَاراءِ وَبَينَ مَن لا هَوىَ لَه مَعَهُ ، وَفَرَّقَ بَينَهُ وَبَينَ مَحبوبِهِ فجَعَلَهُ بِالرَّمَلِ .
 وقوله « إِذا هَبَّ علويُّ الرِّياحِ » يَريدُ : إِذا هَبَّتِ الرِّيحُ مِن نَحوِ عالِيَةِ
 نَجْدِ ، فَكَأَنَّي^(٢) يَجْمَعُني وَإِياها نَسَبٌ ، لا هَتَازِي لَها ، وارْتِياحِي لِمُبوبِها ،
 فَأَنا أَنتَظَرُها تَرَقُّبَ المِساوِرِ وَقَد دَنا مَوافاتُهُ .

٥٣٣

آخر^(٣) :

١- هَلِ الحُبُّ إِلاَّ زَفَرَةٌ بَعْدَ زَفَرَةٍ وَحَرٌّ على الأَحْشاءِ لَيسَ لَه بَرْدُ

(١) كذا في النسختين والتبريزي . والأريجة مثل الأريج : الريح الطيبة ، والجمع الأرائج .

(٢) هذا ما في ل . وفي الأصل « وكان » .

(٣) هو عبد الله بن الدمينة . ديوانه ٢٦ .

٣- وفينضُ دُمُوعُ الْعَيْنِ يَأْتِي كَلِمًا بَدَا عَلِمَ مِنْ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو^(١) الاستفهام هنا في معنى النَّفْيِ ، كَأَنَّهُ حَاجَتُهُ صَاحِبَتُهُ أَوْ إِنْسَانٌ لَائِمٌ أَوْ غَيْرُهُمَا ، فَمَا يَدَّعِيهِ مِنَ الْحُبِّ ، فَقَالَ رَادًّا عَلَيْهِ حِينَ كَذَّبَهُ فِي دَعْوَاهُ : مَا الْحُبُّ إِلَّا تَتَابَعُ الزَّفَرَاتِ تَحْشُرًا ، وَالتَّهَابُ تَوَجُّدٍ^(٢) فِي الْحَشَا لَا يَتَعَقَّبُهُ ابْتِرَادٌ ، وَسِيلَانُ دَمْعٍ مِنَ الْعَيْنِ لَا يُرْقِئُهُ انْقِطَاعٌ ، فِي كُلِّ وَقْتٍ ظَهَرَ فِي مَرَأَى الْعَيْنِ لَهُ جَبَلٌ مِنْ أَعْلَامِ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو مِنْ قَبْلُ ، وَجَمِيعُ ذَلِكَ أَعْتَادُهُ مِنْ نَفْسِي ، وَيُؤَدِّرُكَ مِنْ يَتَأَمَّلُ حَالِي ، وَتَصَدَّقْهُ الْمَشَاهِدَةُ مِنِّي .

٥٣٤

وقال ابنُ مِيَادَةَ^(٣) :

١- كَأَنَّ فُؤَادِي فِي يَدِي ضَبَّتْ بِهِ مُحَاذَرَةٌ أَنْ يَقْضِبَ الْحَبْلَ قَاضِيَهُ
٢- وَأَشْفِقُ مِنْ وَشَكِّ الْفِرَاقِ وَإِنِّي أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ عَلَيْهِ فَرَاجِبُهُ
الضَّبْتُ : الْقَبْضُ عَلَى الشَّيْءِ ؛ وَمِنْهُ نَاقَةٌ ضَبُوثٌ ، أَيْ لَا يُشَكُّ فِي سِمَانِهَا إِذَا ضُبَّتْ عَلَى سِمَانِهَا . وَانْتَصَبَ « مُحَاذَرَةٌ » لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ ، وَمَوْضِعُ « أَنْ يَقْضِبَ » نَصْبٌ مِنْ مُحَاذَرَةٍ . فَيَقُولُ : كَأَنَّ قَلْبِي يُعْصِرُ بِقَبْضِ قَابِضٍ عَلَيْهِ ، خُوفِي مِنْ أَنْ يَقْطَعَ الْوَصْلَ قَاطِعُهُ مِنَ الْبَيْنِ ، وَمَعَ ذَلِكَ أَخَافُ مِنْ وَقُوعِهِ سَرِيعًا لِقُوَّةِ الْأَمَارَاتِ ، وَتَتَابَعِ الْمَحْذَرَاتِ الْمَفْذَرَاتِ . وَإِنَّمَا قَالَ « أَظُنُّ لَمَحْمُولٌ »

(١) في الديوان : « غروب العين بالدمع كلما » .

(٢) ل : « يوجد » .

(٣) هو الرماح بن أبرد . وميادة أمه وكازت أم ولد ، وهو من بني مرة بن عوف . ابن سعد بن ذبيان ، وهو شاعر مخضرم من شعراء الدولتين ، وكان ممن مدح المنصور ، ومات في صدر خلافته . الأغاني (٢ : ٨٥ - ١١٦) والحزانة (١ : ٧٦ - ٧٧) والمؤتلف ١٧٤ والاشتيقاق ١٧٥ .

عليه ، والظانُ بمعنى اليقين ، فهو مثل قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ . وقوله «لحمول عليه» إيدانٌ بأنه ليس يقعُ عن اتفاقٍ معه أو مشاركةٍ في تدبيره . وأظنُّ مفعولهُ الأوَّل ، والثاني مستدلٌّ عليه ، لأنَّ المراد ذلك في ظنِّي أو على ، فهو مُلغى . والقَضْبُ : القَطْعُ ، ومنه سيفٌ مِقْضَبٌ وقَضَابٌ . ووشكُ الفِراقِ : سُرعة القطيعة . ويقال أوشك هذا أن يكون ، أى أسرع .

٣- فوالله ما أدري أيعلبني الهوى إذا جدَّ جدُّ البين أم أنا غالبه
٤- فإن أستطع أغلب وإن يعلب الهوى فمثل الذي لاقيتُ يُغلب صاحبه

يقول : شارفتُ فِرَاقَ الأُحِبَّةِ بالدلائل اللائحة ، وأحلف بالله ما أعلم من حالى إذا وقع ، أأجزع أم أصبر .

وقوله « إذا جدَّ جدُّ البين » يجوز أن يكون المراد : إذا ازداد جدُّه جدًّا ، كأنه يظهر من جليلة أمره ما يزولُ اللَّبْسُ والشُّبهة معه . ويجوز أن يريد : إذا صار هزله جدًّا ، فسماه بما يؤول إليه ، كما يقال : خرجت خوارجه ، وريع روعه . والمراد أنه التبس عليه إذا باغته الفراقُ حاله معه ، فلا يدري أىَّ الأمرين يقع : أيعلبه الهوى فيسلبهُ التَّجَمُّلَ ، ويُببِسُهُ التَّهْتِكُ ، أم يعلبُ بدوام مُسكَّته وكمال تثبته الهوى فيستمر حالُ السلامة به . ثم قال كالمسلي والمنقاد لخاتمة الكائنة : فإن أطقتُ وكان فى مقدورى - إذا اجتهدتُ - غلبُ الهوى فهو المراد ؛ وإن جرى التَّدَرُّ بخلافه فمثلُ ما أقاسمه يعلبُ مُعانيه ، ويحتذبه إلى ما يكرهه ، وعذره لا تخ .

٥٣٥

وقال آخر:

- ١ - فيا أهل لبلى أكثر الله فيكم من أمثاليها حتى تجودوا بها إيا^(١)
 ٢ - فامسّ جنبي الأرض إلا ذكرتها وإلا وجدت ريحها في ثيابي
 بنى الكلام على أن عشيرتها والمالكين أمرها إنما ضنوا^(٢) بها لأنها
 معدومة النظير فيهم ، وأقبل يستعطفهم ويدعو لهم بأن يكثر الله أمثالها
 وأشباهاها فيهم ، حتى يتركوا المنافسة ، وتحتل قلوبهم الجود له بها .

وقوله « فامسّ جنبي الأرض إلا ذكرتها » يريد : ما اضطجعت للمنام
 خالياً بنفسى إلا امتنع النوم فقام ذكرها مقام خيالها ، ثم صرّت من الشوق
 والتحنّي أتصورها معي ، وأجد رائحتها في ثيابي . وهذا المعنى هو مخالف لمعنى
 الأنس بالخيال .

٥٣٦

وقال آخر :

- ١ - تقول العدي لبارك الله في العدي قد أقصر عن لبلى ورثت وسائله^(٣)
 ٢ - ولوأصبحت لبلى تدب على العصا لكان هوى لبلى حديثاً أوائله
 يُروى : « وراثت وسائله » . المراد بالعدي الوشاة المفسدون . وأصل

(١) أشير في هامشة ل إلى رواية أخرى في نسخة ، وهي « كثر الله فيكم شديها بللى
 كى تجودوا » .

(٢) في الأصل : « متوا بها » ، صوابه في ل .

(٣) التبريزى : « يقول » .

البركة الثباتُ مقترناً بالماء ومنه مَبْرَكُ الإبل ، وبراءُ كاهِ القتال . ويقال :
أَقْصَرَ عن الشيء ، إذا كَفَّ عنه وهو يقدر عليه ؛ وقَصَرَ عنه ، إذا عَجَز ؛ وقَصَّر ،
إذا فَرَط . يقول : ادَّعَى الوُشاةُ أنِّي قد كَفَفْتُ عن ليلي وزال ولوعى بها ،
وأنَّ وسائلي لديها قد أُخْلِقْتُ وتَقَطَّعتْ ، فلا بَارَكَ اللهُ فيهم فإنهم ادَّعَوْا باطلاً ،
واختلقوا إفساكاً ، ومُرَادهم إفسادُ قلبها على ، وصرْفها عن الانطواء على الجميل لي
ووفى . ثمَّ ذَكَرَ ما دَلَّ به على بقائه على العهد ، واستمراره في عِمارة الوُدِّ ، وعلى
بُطْلانِ قولهم فيما صَنَفُوهُ ؛ وبَهْتِهِمْ وتمويههم فيما نَسَبُوهُ إليه ووضعوه ، فقال : لو
شاخَتْ ليلي حتَّى يصير مَشِيهاً ديبياً وهي متوكئة على عُكَّاز ، لكان هواها في
قفاي جديداً أوائله ، شديداً أركانها وقواعده .

٥٣٧

وقال حفص بن عليم (١) :

١ - أَقُولُ لِجِلْمِي لَا تَزَعْنِي عَنِ الصَّبَا وَلِلشَّيْبِ لَا تَذَعْرِي عَلَيَّ الْغَوَانِيَا (٢)
٢ - طَلَبْتُ الْهُوَى الْغَوْرِيَّ حَتَّى بَلَغْتُهُ وَسَيَّرْتُ فِي نَجْدِيهِ مَا كَفَانِيَا
يصف انهماكه في البطالة ، وتماديته في الغواية ، والتذاذه للصبا واللهمو
والخسارة فقال : أقول لجلي : تباطأ عني ، ولا تعاجلني فتكفني عما أهواه
وقصرت شغلي عليه ؛ وللشيب : تراخ ولا تبادر فتروغ النساء وتنفر . وهذا
الكلام وإن كان ظاهره تلطفاً وسؤالاً فإنه يجري مجرى التمني في استدامة
ما كان يشتهيه ، ويوزع به .

وقوله « طلبتُ الهوى الغوري » يريد : تفننتُ في الهوى فأنجد بي طوراً ،

(١) التبريزي : « حفص العليمي ، من جناب من كلب ، ويقال هم قریش كلاب » .

(٢) سبق التنبيه على ترتيب هذه الحماسية عند التبريزي في ص ١٣٢٢ .

وغار بي طوراً ، إلى أن تناهيت ، وبلغت أقصى الغايات فوقفت . وموضع « ما » من قوله « ما كفانيا » نصبٌ على المصدر من سَيرت ، يريد : سَيرت في نجديةً سيراً كفانيا . ومعنى سَيرتُ أكثرُ السَيرِ وكررتُه . والغواني من النساء : اللاني تستغني بجمالها عن التحلي . وقيل : الغانية : التي تستغني بزواجها عن الرجال .

٣ - فيارب إن لم تقضها لي فلا تدع قذور لم واقبض قذور كما هيا^(١)
 ٤ - ويا ليت أن الله إن لم ألقها قضى بين كل اثنين ألا تلاقيا
 البيت الأول دلَّ به على ضيق صدره بحاله ، وشدة ضننه بصاحبه ، فدعا ربه أن يقبض قذور إليه إن لم يقدر بينهما مسافةً والتحاماً ، ويتوفأها بالموت ليأمن أن يملك أمرها غيره . وهذا يدلُّ على شدة غيرة فيه ، ومضابغة للناس كافة في شيء يتمناه ثم يقصر عنه . فأما قوله « كما هيا » فوضعه من الإعراب نصبٌ على الحال ، وما من قوله « كما » يجوز أن يكون بمعنى الذي ويكون هي خبراً لمبتدأ محذوف ، كأنه قال : كالذي هو هي . ويجوز أن يكون ما كافةً المكاف عن عمل الجر ويكون هي في موضع المبتدأ والخبر محذوف ، والمعنى : اقبضها كما هي عليه .

والبيت الثاني وهو « يا ليت أن الله إن لم ألقها » دلَّ به على حسدٍ شديد منه ، وقلة رضا بمساعدة القدر في شيء يحرم المشاركة فيه . وقوله « يا ليت » يريد : يا قوم ليت ، والمفادى محذوف ، والكلام بعده تمنٍّ في ألا يحصل الاجتماع بين متحابين إن لم يرزق مثله في صديقه . وقوله « ألا تلاقيا » أن فيه مخففة من الثقيلة ، والمعنى أنه لا تلاقى لنا ، فخير لا محذوف ، والجملة في موضع خبر

(١) قذور : اسم صاحبه . والقذور من النساء : التي تتنزه عن الأندار . وهي أيضاً المتنحية عن الرجال .

أَنَّ ، والضمير المقدر ضمير الأمر والشأن ، وخبر أن الله « قَضَى » وقد حصل في الجملة جواب الشرط ، وهو إن لم ألقها ، وخبر أيت .

٥٣٨

وقال آخر :

- ١- وَقَفْتُ لِلَّيْلِ بِالْمَلَا بَعْدَ حَقْبَةٍ بِمَنْزِلَةٍ فَانْهَلَّتِ الْعَيْنُ تَدْمَعُ^(١)
- ٢- وَأَتَّبَعُ لَيْلِي حَيْثُ سَارَتْ وَوَدَّعْتُ وَمَا النَّاسُ إِلَّا آفٌ وَمُودَعٌ
- ٣- كَانَ زِمَامًا فِي الْفُؤَادِ مُعَلَّقًا تَقْوُدُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرَّتْ فَأَتَّبَعُ

يقول : وَقَفْتُ مِنْ أَجْلِ لَيْلِي وَمِنْ أَجْلِ مَنَازِلِهَا بِالْمَلَا ، بعد زمان مُتَمَدَّة ، ودهر مُتَّصِل ، فَتَجَدَّدَ لِي مِنَ الْوَجْدِ مَا هَيَّجَ لِي بَكَاءً ، وَطَرَّيَ لِي عُهُودًا^(٢) فإني أُسِيرُ هَوَاهَا ، وَتَبِيعُ الْبَلْوَى فِيهَا ، فَقَلْبِي مَعَهَا حَيْثُ ظَعَنْتِ وَأَقَامَتْ . وقوله « وَدَّعْتُ » معناه تَوَدَّعْتُ . ثم قال : « وَمَا النَّاسُ إِلَّا آفٌ وَمُودَعٌ » يريد أن النَّاسَ مِنْ بَيْنِ آفٍ لَهَا لِكَوْنِهِ مَسَافِرًا مَعَهَا وَمُرَافِقًا لَهَا فِي طَرِيقِهَا ، أَوْ مُنْصَرِفٍ عَنْهَا بَعْدَ تَوَدِّيْعِهَا وَتَشْيِيعِهَا ، وَأَنَا عَلَى خِلَافِهِمْ كُلِّهِمْ ، لِأَنِّي مُلَازِمُهَا فِي كُلِّ حَالٍ .

وقد كُشِفَ عَنْ هَذَا الْغَرَضِ بِمَا بَيَّنَّهُ فِي قَوْلِهِ :

كَانَ زِمَامًا فِي الْفُؤَادِ مُعَلَّقًا تَقْوُدُ بِهِ حَيْثُ اسْتَمَرَّتْ فَأَتَّبَعُ
يريد طاعة قلبه وانقياده لها . وَمِثْلُ « وَدَّعْتُ » وَ « مُودَعٌ » يُسَمَّى
التَّجْنِيسَ النَاقِصَ .

(١) الملا : موضع بعينه ، كما ذكر ياقوت .

(٢) في الأصل : « مجهودا » ، صوابه في ل .

٥٣٩

وقال وَرَدُّ الْجُعْدِيِّ^(١) :

- ١ - خَلِيلِيَّ عُوَجًا بَارَكَ اللهُ فِيكُمْ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدٌ لِأَرْضِكُمْ قَصْدًا
٢ - وَقَوْلًا لَهَا لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَارَنَا وَلَكِنَّا جُرْنَا لِنَلْقَاكُمْ عَمْدًا^(٢)

يخاطب خليلين له متلطفًا لهما ، وسائلاً عن مجيها على ديار هند وإن لم تكن مسامحة لقصدهما ، وأن يبلاغها إذا التقيا معها أنا تعمدا زيارتك طلباً لقضاء ذمامك ، وتجديدا للعهد بك ، ولم يكن العدول إليك عن ضلال ملك قيادنا ، وصرفنا عن وجه رشادنا ، ليقع الاعتداد منها بتحررنا وفعلنا .

٥٤٠

وقال^(٣) :

- ١ - وَمَا فِي الْخَلْقِ أَشَقِيَّ مِنْ مُجِبِّ وَإِنْ وَجَدَ الْهَوَى حُلُوَ الْمَذَاقِ
٢ - تَرَاهُ بَاكِيًا فِي كُلِّ حِينٍ مَخَافَةَ فُرْقَةٍ أَوْ لاشْتِيَاقِ
٣ - فَيَبْكِي إِنْ نَأَوْا شَوْقًا إِلَيْهِمْ وَيَبْكِي إِنْ دَنَوْا خَوْفَ الْفِرَاقِ
٤ - فَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّنَائِي وَتَسْخَنُ عَيْنُهُ عِنْدَ التَّلَاقِ

وفي هذه الأبيات حق القسمة ، وأقام شرط المقسوم على حده المألوف من التجربة . فيقول : ليس فيمن خلقه الله من البشر أوفى شقاء ، وأعظم بلاء من

(١) هو ورد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة ، شاعر جاهلي ، وهو الذي قتل شراحيل ابن الأصهب الجعفي ، في حديث طويل رواه أبو الفرج في الأغاني (٤ : ١٣٣ - ١٣٤) .
وذكر في الأغاني (١٠ : ١٢٢) أن الأبيات للمرقش الأكبر .
(٢) الأغاني « أجازنا . . . جزنا » ، بالزاي فيهما .
(٣) التبريزي : « وقال آخر ، قال أبو رياش : هي مولدة » .

المحِبِّ ، وإن استخلى ذواق الحب واستلان جسسه ، إذ كنت تجده كل وقتٍ
مقالمًا من حاله ، ضجيراً بهيشه ؛ وذلك أنه لا يخلو من إحدى حالتين : إما أن
يكون مجتمعاً مع محبوبه فيخاف الافتراق ، أو يكون بعيداً منه فيكده الاشتياق ،
ولا حالة ثالثة للاجتماع والافتراق ، وهو سخين العين في كل منهما ، قليل
التودع في عقبهما .

وقوله « وإن وجد الهوى » جواب الشرط منه في قوله « ما في الخلق
أشقى من محب » . وقوله « شوقاً إليهم » انتصب على أنه مفعول له وكذلك
قوله « خوف الفراق » و « مخافة فرقة » . ألا ترى أنه عطف عليه
« أو لاشتياق » فجعل حرف الجر فيه اللام .

٥٤١

وقال ابن الطثرية^(١) :

١ - عُقَيْبِيَّةٌ أَمَا مَلَأَتْ إِزَارَهَا فَدِعْصٌ وَأَمَا خَصَرُهَا فَبِتَيْلٌ

٢ - تَقِيظٌ أَكْنَفَ الْحَمَى وَيُظْلِمُهَا بِنَعْمَانَ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ مَقِيلٌ

المَلَأَتْ : الموضع الذي يدَارُ به الشيء . ويقال : لُثْتُ عَلَى رَأْسِي الْعِمَامَةَ

لوثاً . ومنه قوله :

* كَانُوا مَلَاوِيثَ فَاحْتَاَجَ الصَّدِيقُ لَهُمْ^(٢) *

(١) هو يزيد بن سلمة بن صمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن
والطثرية أمه ، وهي من الطثر ، بالفتح : حتى من اليمن . قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح
الطاء المهملة وسكون الراء المثناة » ، وضبطها صاحب القاموس بالتحريك . وكان يزيد جميلاً
وسيماً شريفاً مثلاً ، توفي سنة ١٢٦ . وكان من شعراء بني أمية مقدماً عندهم . الأغاني
(٧ : ١٠٤ - ١١٧) وابن سلام ١٥٠ - ١٥٢ وابن خلكان (٢ : ٣٩٥ - ٣٩٩) .
ومعجم الأدباء (٧ : ٢٩٩ - ٣٠٠) والشعراء ٣٩٢ - ٣٩٣ وحواشي الحيوان (٦ : ١٣٧) .

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي في ديوانه ٤٤ واللسان (لوث) . وعجوه :

* فقد البلاد ، إذا ما تحمل ، المطرا *

أى كانوا الذين يُدارُ بهم ، ويُطاف عليهم ، ويُرجى خيرُهم . والمراد بالملآث هاهنا العَجْز . وشبَّهها بالدَّعص ، وهو الرَّمْلُ المَجْتَمِع ، لكثرة اللحمِ عليها واكتنازه . والبئيل : الهَضِيمُ الدَّقِيق ، وأصل البئيل القَطْع ، ومنه قول الله تعالى : ﴿ وَتَبْتَلُ إِلَى تَبْتِيلًا ﴾ . وَصَفَ المَرَأَةَ بِالنَّعْمَةِ وَالنَّعْمَةِ ، ومطَاوَعَةُ الخِيرِ لها والسَّعَةِ ، فيقول : هى دَقِيقَةُ الخَضِر ، قليلة العَجْز ، وهى فى فصول سَنَتِهَا تَنْتَقِلُ فى المَوَاضِعِ الطَّيِّبَةِ المُنْخَصِبَةِ ، لا تُكَابِدُ ضَيْقًا ولا تُعَانِي جَهْدًا . وَتَقَيِّظُ بِالمَكَانِ : أَقَامَ قِيظَهُ فِيهِ (١) . وَنَعْمَانُ : وادى الأراك . وَأَصْلُ تَقَيِّظُ تَقَيِّظُ ، فَحَذَفَ إِحْدَى التَّاءَيْنِ .

٣- أليس قليلاً نظرة إن نظرتها إليك ، وكلاً ، ليس منك قليل
٤- فياخلة النفس التي ليس دونها لنا من أخلاء الصفاء خليل
٥- ويا من كتمنا حبه لم يطع به عدو ولم يؤمن عليه دخیل
٦- أمامن مكان أشتكى غربة النوى وخوف العدى فيه إليك سبيل
قوله « أليس » يقرَّر به فى الواجب الثابت ، وكذلك ألم وألاً ؛ وذلك أن حرف الاستفهام يُضارع حرف النفي ، ونفى النفي إيجاب ، فإذا قال القائل : ألم أحسن إليك ؟ يجب أن يكون قد أحسن ، فتقريره به فيما قد وقع وثبت . وفى القرآن : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ . فكأنه قال مُدِلًّا بما يُقاسمه فيها ، ويتحمَّله من أجلها : أليس قليلاً نظرة منك إذا حصلت لى . ثم استدرك على نفسه راجعاً فيما أطلقه ، وناقضاً لما اعتقده ، فقال : « كلاً » - وهو حرف رَدْعٍ ونفى - لا قليل منك . ومثلى هذا قول الآخر :

هَلْ إِلَى نَظَرِ إِلَيْكَ سَبِيلُ فَيُرَوِّى الظَّامُ وَيُسْفَى القَلِيلُ
إِنَّ مَا قَلَّ مِنْكَ يَكْتُرُ عِنْدِي وَكَثِيرٌ مِنْ يَحِبُّ القَلِيلُ

(١) فى النسختين : « فيه » .

ف قوله « القليل » مبتدأ ، و « كثير من يحب » خبره .
 وقوله « فياخلة النفس » في هذا الكلام اعتداد في المناداة بما يتوخاه معها ،
 فيقول : يا صديقة النفس التي تفرّدت بملكها واجتذبتنا من أيدي خطّابها
 ففازت بها ، فليس لنا خليلٌ ممن يُصافي المودة من ذوئها^(١) ، ويا من ستّرنا حُبّه
 عن الناس كافةً ، صيانةً له عن الانتشار والابتذال ، فلم نُطع فيه وأشيأ
 فيفسد ذاتُ بيننا ولا مُضرباً^(٢) ، ولم نأمن عليه دخيله يُزاحمه في حماه فيصير
 موضعه مشترَكاً ، أما عندك مقامٌ لي فيه إليك سبيل أشتكى غربة النوى ،
 وخوف العدى . فالمنادى له قوله « أما من مقامٍ أشتكى » .

٧ - فدبتك أعدائي كثيرٌ وشقتي بعيدٌ وأشياعي لديك قليلٌ
 ٨ - وكنتُ إذا ما جئتُ جئتُ بعلةٍ فأفئبتُ علاني فكيف أقولُ
 ٩ - فما كلُّ يومٍ لي بأرضك حاجةٌ ولا كلُّ يومٍ لي إليك رسولُ^(٣)
 الشُّقة : بُعدُ مسيرِ أرضٍ إلى أرضٍ بعيدة ، وإمّا لم يقل بعيدة ، لأنّ فعلياً
 كثيراً ما يقع للمؤنث والمذكر على حالةٍ واحدة ، حملاً على النسب أو على فعولٍ .
 يقول : تفديك نفسي ، في أعدائي بحضرتك وفي الطريق إليك كثرةٌ ، وفي المسير
 بيني وبينك بُعدٌ ومشقة ، وفي النَّصَّارِ لي بحضرتك قلةٌ ، وكنتُ متى جئتُك من
 قَبْلِ ، ولم تبلغ الحالُ منّا هذا المبلغ ، أقيم معذرةً وأنصب لفعلي علةً . وقد
 كثر ذلك مني حتّى فنيت المعاذيرُ والعِللُ ، فلا أدري ماذا أقول ، ومن أين

(١) في الأصل : « من ذوئها » ، صوابه في ل .

(٢) التضريب : الإغراء بين التوم .

(٣) بعده عند التبريزي :

صحائفٌ عندي للعتابِ طويبتُها ستُنشرُ يوماً والعتابُ طويلُ
 فلا تحملي ذنبي وأنتِ ضعيفةٌ فحمل دمي يوم الحسابِ ثقيلُ

أُنوَصِّل ، بأىِّ شىءٍ أُنبلِّغ ، وعلى ماذا أُعوِّل ، ومع ذلك فاللحاجاتُ بأرضيك
لا تتكادُ تَعْرِضُ كلَّ يومٍ فتُذْكَرُ ، والرُّسُلُ لا توجدُ فتتقاطرُ ، فإذا تُؤمِّلُ
حالى فأبى حَبِيسٌ على المكاره ، أسيرٌ فى أيدى النَّوَابِ ، ضيقتى المجال والشَّوْرِ
فى الزيادة ، موفورُ الحظِّ من الأسبابِ الصَّادَةِ ، عظيمُ المِحْنَةِ فيما اجتمعَ علىَّ من
أنواعِ البلاءِ ، وموانعِ القضاةِ . وقوله « فكيف أقولُ » ، يريد : كيف أقول
ما أقوله ، فحذف المفعول ، ويجوز أن يكون المراد بأقول أنكلم ، فيستغنى عن
المفعول ، كقول الآخر^(١) :

بِحاجةِ نَفْسٍ لم تَقُلْ فى جَوَابِهَا فَتُبْلِغُ عُدْرًا وَلَمَقَالَةً تُعْذِرُ
أى لم تتكلم فى جوابها .

٥٤٢

وقال آخر :

١ - أَبْعَدَ الَّذِي قَدْ لَجَّ تَتَّخِذِيَنِي عَدُوًّا وَقَدْ جَرَّعْتَنِي السَّمَّ مُنْقَعًا
٢ - وَشَفَّعْتِ مَنْ يَبْغِي عَلَيَّ وَلَمْ أَكُنْ لِأَرْجِعَ مَنْ يَبْغِي عَلَيْكَ مُشَفَّعًا
ألف الاستفهام تطالب الفعل ، وإن كان المراد به هنا التقرير^(٢) والمعنى :
أنتخذيني عدوًّا بعد ما لَجَّ من الحُبِّ فيك والهوى ، وغلبَ من عَصِيانِ
القلبِ والأسى ، وبعد أن سقيتني جُرْعَ السَّمِّ المُنْقَعِ ، وأذقتني صرارة المنع
الجامد ، فوجدتني صابراً على الأذى ، مُنْصَبًّا إليك بنوازع الصِّبَا ، لا يُخَلِي
وَرْدَهُ وَإِنْ حُلِّيَّ ، ولا يكدر صفاء وُدِّهِ وَإِنْ دُوْفِعَ . والمُنْقَعُ : المُشْبَتُّ ، يقال :
« أَنْقَعُ لَهُ الشَّرَّ حَتَّى يَسَامَ » .

(١) هو عمر بن أبي ربيعة . ديوانه ٢ .

(٢) فى الأصل : « هذا التعريج » ، صوابه فى ل .

وقوله « وشفعت من يبنى على » أى رددت الباغى على مشفقاً بما جاء له فى معنای وطلبه ، وبقیت أنا لا أقبل نضح النصح ، ولا أصدق قول الوشاة ، ولا أوحى الشفيع عني منججاً ، ولا أضرف الباغى عليك مظفراً .

٣ - فقالت وما هممت برجع جوابنا بل أنت أبیت الدهر إلا تضرعاً

٤ - فقلت لها ما كنت أول ذى هوى تحمّل حملاً فادحاً فتوجعاً

يقول : أجابنى بعد أن كانت فى صورة من لا يعبا بما يبدأ به فلا يجيب ، ولا يرق لمن يشكو إليه فيستجيب : بل أنت تأبى إلا ضراعةً وتوجعاً ، وانخزلاً وتألماً . هذا عادتك والمألوف من طرائفك ، فإلى متى هذه الشكوى ، وأنى يكون منى فى مقابلة عتيتك العتبي ؟ فقلت فى جوابها : ما أنا ببذع فى الهوى ، ولست بأول من حمّل ما لا يطيقه ، أو ثقل عليه ما كلفه فتشكى . والفادح : المُنْقِل . يقال : دين فادح ، وقد فدحهُ الدين . والتضرع : التصاغُر والتذلل . يقال : رجل ضارعٌ وضارعٌ وقومٌ ضارع . ويقال : خده ضارعٌ ، وجنبه ضارعٌ .

٥٤٣

وقال آخر^(١) :

١ - أبى القلبُ إلا أمَّ عمرو وحبها عجوزاً ومن يحب عجوزاً يفند

٢ - كسحق اليماني قد تقدم عهدُه ورُفعتُه ما شئت فى العين واليد^(٢)

(١) التبريزى : « وهو أبو الأسود الدؤلى » . وهو أبو الأسود ظالم بن عمرو ، الذى هلصب إليه وضع النحو ، شهد مع على بن أبى طالب صفين ، وولى البصرة لابن عباس ، ومات بها وقد أسن ، سنة ٩٩ فى الطاعون الجارف . وهو يعد فى الشعراء ، والتابعين ، والمحدثين ، والبخلاء ، والمفاليج ، والنحويين . انظر مصادر ترجمته مسهبة فى الجزء الأول من إنباه الرواة بتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم ص ١٣ .

(٢) التبريزى : « كشوب اليماني » : وأشار إلى الرواية الأخرى .

انتصب « تجوزاً » على الحال . والتفئيد : التوبيخ . والسحق : الخلق من الثياب . لذي قد انسحق وانجرد ، وأضافه إلى اليماني إضافة البعض إلى الكل . هذا إذا جمعت اليماني البرد . ولك أن تجعله التاجر صاحب البرد ، فيكون الإضافة إليه . والمعنى : أبا قلبي إلا هذه المرأة وحبها لها في حال تعجزها ، ومن صرف ودّه إلى العجائز ونحو ، سكنها في النساء كخلق البرد اليماني في الثياب ، وقد قدم عهد ، أي معهوده ^(١) ، وإذا مسسته أو نظرت إليه وجدت رقعة زائدة على كل رقعة دقيقة ومتانة ، ومنظره راجحاً على كل منظر حسناً وجودة ، وكذلك منظر أم عمرٍو ومختبرها . وقوله « وحبها » أضاف المصدر إلى المفعول . وقوله « ما شئت » يريد ما شئت ، فحذف المفعول من الصلة تخفيفاً . وقوله « في العين » يريد في النظر . و « في اليد » يريد عند اللمس .

٥٤٤

وقال آخر ^(٢) :

١ — هَجَرْتُكَ أَيَّامًا بَدَى الْعَمْرُ إِذْنِي عَلَى هَجْرٍ أَيَّامٍ بَدَى الْعَمْرُ نَادِمٌ ^(٣)
 ٢ — وَإِنِّي وَذَلِكَ الْهَجْرَ لَوْ تَعَلَّمِينَهُ كَعَارِبَةٍ عَنِ طِفْلِهَا وَهِيَ رَائِمٌ
 الكلام اعتذار من إخلاله بزيارتها ، وهجرانه لها لعارض عرض بدى العمر ، ثم أظهر تقدمه على ذلك ، وأنه مدة هجره في وجدته بها وشفقته عليها وتشوقه لها ، كأم حيل بينها وبين طفلها ، وهي بعيدة عنه بنفسها ، ورثانها — أي عطفها — متوفر عليه . قال : وكذلك كنت في انقطاعي بالنفس ،

(١) ويصح أن يراد بالعهد الزمان .

(٢) هو عبدالله بن الدمينه ، المترجم في ١٢٢٣ . وانظر ديوانه ص ١٩ .

(٣) في الديوان : « أيامى » .

وَتَوَفَّرِي بِالْقَلْبِ . شَبَّهَ نَفْسَهُ بِالْعَازِبَةِ ، وَالْمُهْجُورَةَ بِالطَّفْلِ .

فإن قيل : إنما قال : وإني وذاك المهجر ، فيقتضى كلامه أن يكون التشبيه متناولاً له ولهجره ؟ قلت : يجوز أن يريد إني مع ذلك المهجر ، وهذا كما يقال : إن الرجال وأعضادها ، أي مقرونان ؛ وإن النساء وأعجازها ، أي مقرونان ، لأن المراد مع أعضادها ومع أعجازها .

ويجوز أن يكون أراد بالهجر المهجور ، لأن المصدر يوصف به ؛ ويجوز أن يكون ذكر الهجر لَمَّا كان من سببها ، والمراد تلك . وقوله « لو تعلينه » الضمير منه يعود إلى الهجر ، والمراد ما ذكرته . والعازبة : البعيدة . ويقال : عزب عنه عقله . والعازبُ أيضاً ، الكلاً البعيدُ المطلب .

٥٤٥

وقال آخر :

- ١ - ما أخذت النأي المفرق بيننا سلوا ولا طول اجتماع تقالبا
- ٢ - خليلي إلا تبكي لي أستعين خديلاً إذا أفقيت دمي بكى لي
- ٣ - كأن لم يكن بين إذا كان بعده تلاقٍ ولكن لا إخال تلاقيا

قوله « ما أخذت النأي » يصف أن الوجد الذي به قد صار غراماً ، فلا البعد منها يحدث سلوا عنها ، ولا الاجتماع معها يوجب ملالاً منها ، لكنه في الحالتين جميعاً على حد واحد من تباريح الهوى . ثم أقبل على صاحبين له يُخالهما فطلب منهما إسماعه في البكاء ، وأنهما متى لم يُسمعاً له بمطلوبه استعان بغيرهما ، حتى إذا نزف دمه بكى له نائبا عنه .

وقوله « كأن لم يكن بين » شبه البين إذا تعقبه المواصله أو الاجتماع

بما لم يكن ، لكنّه زعمَ أنّه يائسٌ لا يظُنُّ تَسَهُّلَ التَّلَاقِ بِهِهِ وبين محبوبِهِ واقِعًا . وقوله « ولا طول اجتماع » ارتفع بفعلٍ مُضْمَرٍ ، كأنه قال : أحدثَ طولُ اجتماعٍ .

وقوله « خليلي إلا تبكيالي » تألّم وتَشَكَّى من زمانه ، حين لم يكن له مَنْ يساعده في شدّةٍ أو رخاءٍ ، وبتحملٍ عنه ثِقَلًا في مَسْرَعَةٍ أو مَضْرَبَةٍ .
وقوله « كأن لم يكن » كان هذه هي التَّامَّةُ ، والمراد : كأن لم يَقَعْ بَيْنُ .
وكأن مخففة من الثَّقِيلَةِ ، وَقَعَ على محذوفٍ ، كأنه قال : كأن الأمر والشأن لم يكن بين إذا حصل بعده التقاء . وقوله « لا إخال تلاقيا » المفعول الثاني محذوف كأنه قال : لا أحسب تلاقيا بعده . وساغ ذلك لتقدّم ذكره ، فهو في حُكْمِ الملقوظ به .

٥٤٦

وقال جميل^(١)

وقد حاربَ الفخذَ الذين منهم بُثينة :

١ - تَفَرَّقَ أَهْلَانَا بِبُثَيْنٍ فَمِنْهُمْ فَرِيقٌ أَقَامَ وَاسْتَقَلَّ فَرِيقٌ

٢ - فلو كنتُ خوارًا القدباخ ميسمي ولكنني صلبُ القناة عتيقُ

٣ - كأن لم نحارب يا بُثَيْنَ لو أنها تَكشَّفُ عُماها وأنتِ صديقُ

قوله « أهلانا » أراد شعبيهما . وقال الخليل : أهل الرجل : أخصُّ الناس

به . وأهل البيت : سُكَّانُهُ . وأهل الإسلام : مَنْ يدين به . وُبُثَيْنٌ : نِدَاءٌ

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ١٠١ ص ٣١٤ . وانظر قصة الخلاف بين جميل وقوم

بثينة في الأغاني (٧ : ٨٨) .

مفردٌ مرخَّمٌ . وقوله فمنهم فريق أقام ، تفصيل لما أجمله في تفرَّق . وإنما افترقوا حتى ارتحل قومٌ وأقام قومٌ للخلاف الواقع كان بينهما .

وقوله « فلو كنتُ خوَّارًا » تنبيه على كراهيته لما حدث ، وإظهار أن ميله مع أهل بُنيَّة ، فقال : لو كنتُ ضعيفُ المُسَكَّةِ مُنْحَلِّ العُقْدَةِ ، لكان ميسمى . وقد بَخَّ ، أي زالت حرارته ، وسكفتُ خَمِيَّتَهُ ، بما أقاله وأشاهدُهُ حالاً بعد حال ، من عوارض الدهرِ ونوائبِ الزمانِ ، ولكنني عتيق النَّبَعِ ، صايبُ القناة . وهذا مثلُ ضربته لإبائه ، وبقائه على طريقةٍ واحدة في العهد والوفاء . ثم اعذر بعد ذلك فقال : « كأن لم نحارب يا بُنَيْنِ » يريد أن جميع ما يجرى عليه يخفُّ ويهون إذا بقيت له على ما فارقتها عليه ، وتعاقداله ، حتى كأنه لم يتبع تجاذب^(١) بين الحَيِّين ، ولا تحاربٍ بين الأهلين ، إذا انكشفت^(٢) الغيابةُ الحاصلة ، وارتفعت العماية الرَّاكدة ، وتلك باقيةٌ على المصافاة . ويقال : باخت النار بَوْخًا وبُؤُوخًا ، إذا خمدت . والغَمَى ، هي الخصلة المظلمة . ولك أن تروى « تكشَّفُ » بالرفع ، يريد تتكشَّفُ ، فحذفت إحدى التاءين استنقالاً لاجتماعهما . وإنما عدل عن الإدغام إلى الحذف ؛ لأنه كان يحتاج عند الإدغام لسكون أول الحرفين ، إلى جلب ألفِ الوصل ، وألفُ الوصل لا تدخل على الفعل المضارع . ولك أن تروى « تكشَّفَ » على أن يكون التاء للماضي . وجواب لو في قوله كأن لم نحارب ، والواو من « وأنت » واو الحال . وذكر « صديق » لأن المراد ذات صداقة ، ولو قال صديقة لجاز . قال :

إِذِ النَّاسُ نَاسٌ وَالزَّمَانُ بَغِيرَةٌ وَإِذْ أُمُّ عَمَّارٍ صَدِيقٌ مُسَاعِفٌ^(٣)

(١) في الأصل : « تحارب » ، صوابه في ل .

(٢) ل : « تكشفت » .

(٣) بينهم من صنع اللسان (سمع) أن البيت لأوس بن حجر ، وليس في ديوانه في القصيدة التي على هذا الروي ، وانظر نواذر المخطوطات ١ : ١٥٩ .

٥٤٧

وقال آخر :

١ - شَيْبَ أَيَّامِ الْفِرَاقِ مَفَارِقِي وَأَنْشَرَنْ نَفْسِي فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ
 بقول : أَثَرْتُ أَيَّامُ الْفِرَاقِ فِي فَأَبْدَلَنِي بِالشَّابِّ مَشِيبًا ، وَبِالْجِدَّةِ وَالْقُوَّةِ
 خُلُوقَةً وَوَهْنًا شَدِيدًا ، وَأَزْجَجَتْ نَفْسِي مِنْ مَقَرِّهَا فَارْتَفَعَتْ مِنْ مَرْكَزِهَا إِلَى
 مَا فَوْقَهَا ، فَالشَّيْبُ وَإِنْ جَاءَ قَبْلَ حِينِهِ يُؤَذِّنِي بِاقْتِرَابِ الْمَهْلِ ، وَنُشُوزُ النَّفْسِ
 يَبْشُرُنِي ^(١) بِدُنُوءِ الْأَجْلِ . هَذَا إِلَى مَا أَعَانِيهِ مِنْ حَوَادِثِ الْفِرَاقِ ، وَلَوْ أَدْعَى
 الْإِشْتِيَاقَ . وَقَوْلُهُ « فَوْقَ حَيْثُ تَكُونُ » جَعَلَ حَيْثُ اسْمًا وَأَضَافَ فَوْقَ إِلَيْهِ .
 وَحَيْثُ فِي الْأَمْكَانَةِ ^(٢) بِمَنْزِلَةِ حِينٍ فِي الْأَزْمَنَةِ . وَلِذَلِكَ احْتِيَاجٌ إِلَى جَهْلَتَيْنِ .
 « وَتَكُونُ » : مُسْتَقْبَلُ كَانَ التَّامَّةُ ، وَمَعْنَاهُ يَقَعُ وَبِحُصْلُ . وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا
 تَزَحَّفَ عَنْ مَجْلِسِهِ فَارْتَفَعَ فَوْقَ ^(٣) ذَلِكَ : نَشَرَ نُشُوزًا ، وَأَنْشَرْتَهُ إِشَارًا .
 وَقَوْلُهُ « أَيَّامُ الْفِرَاقِ مَفَارِقِي » بِسْمَى التَّجْنِيسِ الْفَاقِصِ . وَفَرَّقَ الرَّأْسَ وَمَقَرُّهُ وَاحِدٌ .

٢ - وَقَدْ لَانَ أَيَّامُ اللَّوَى ثُمَّ لَمْ يَكْدُ مِنْ الْعَيْشِ شَيْءٌ بَعْدَهُنَّ بِلَيْنُ
 ٣ - يَقُولُونَ مَا أَبْلَاكَ وَالْمَالُ غَايِرُ عَالِيكَ وَضَاحِي الْجِلْدِ مِنْكَ كَنِينُ ^(٤)

٤ - فَقُلْتُ لَهُمْ لَا تَعْدُلُونِي وَانظُرُوا إِلَى النَّازِعِ الْمَقْصُورِ كَيْفَ يَكُونُ
 حَيْدَ أَيَّامُهُ بِاللَّوَى إِذْ كَانَ فِيهِ اجْتِمَاعٌ مَعَ الْأَحْبَةِ ، وَمُسَاعَفَةٌ مِنَ الْمَقْدَارِ
 وَالْأَقْضِيَةِ . ثُمَّ تَعَقَّبَ بِزُعْمِهِ مَا صَعُبَ مِنْهَا وَخَشِنَ ، لَمَّا حَدَّثَ مِنَ الْبِعَادِ فِيهِ

(١) يبشرفي ، من البشر ، بمعنى التبشير ، وهذا على التهكم ، كما في قوله تعالى :
 « فبشرهم بعذاب أليم » . وفي الأصل : « ينشرفي » ، وصوابه في ل بهذا الضبط .
 (٢) هذا ما في ل . وفي الأصل : « الأماكن » .
 (٣) هذا ما في ل . وفي الأصل : « فوق » .
 (٤) التبريزي : « غامر لديك » .

فاستنكر ، فلم يستوفق بعدها شيئاً من الأوقات ، ولا ارتضى حالاً من الأحوال ،
لتمشير العيش ، ونكد الفراق .

وقوله : « يقولون ما أبلاك والمال غامر » يريد أن الناس متعجبون من شأني
وأمرى ، مستنكرون ما يشاهدون من حؤولي وضميري ، فيرجعون بالشؤال علي ،
ويقولون : ما الذي بلاك ، وهزلك وأنضاك ، وفي مالك وفور ، والضحى من
جلك بالكسوة مستور ، فلا تبدل للحرور اعتراك ، ولا إضاعة في المعاش
تغشاك . قال : فأجبتهم بأن اصرفوا عني العتب والملام ، واعتبروا حالي بالنظر
إلى البعير الحان إلى وطن ، مع أنه أغلظ ما خلقه له الله كبدًا ، وأثبت على الشدائد
نفساً وجلداً ، كيف يضج ، ولو خلى كيف يهيم على وجهه ويند . واعلموا أن
ما يبلغ به تلك الحالة من النزاع على ما به من العجمة والغباوة ، حقيق بأن
يُكمد مثلي ما توحدت به من التمييز والتحصيل^(١) ، والفرق بين أحناء
الأمور وأحنائها .

وقد أخذ أبو تمام هذا المعنى فنقله إلى الدار وقد خلت من الشكان فقال :

إن شئت ألا ترى صبراً مضطرباً فانظر على أي حال أصبَحَ الطلل^(٢)

٥٤٨

وقال أبو دهبيل الجمحي^(٣) :

١- أقول والرَّكْبُ قَدْ مَاتَ عَمَّا مُمْهُمُ وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأْسَ النَّعْسَةِ السَّهَرِ

(١) يقال : توحد الله بمصمته ، أي عصمه ولم يكله إلى غيره . اللسان (وحده ٤٦٦) .

(٢) ديوان أبي تمام ٢٢٦ .

(٣) سبقت ترجمته في الحماسية ٥٢١ ص ١٣١٩ . التبريزي : « وقال أبو محمد

الأعرابي : ليس قوله ياليت أنى بأنوابي لأبي دهبيل ، إنما وقع في ديوانه مع ثلاثة أبيات آخر ،
والصحيح أنها لمحمد بن بشير الخارجي ؛ وهذا البيت لا يكاد يعرف معناه البتة إلا بالأبيات التي

تتقدمه ، وهي :

٢ - ياليت أني بأثوابي وراحيتي عبد لأهلك هذا الشهر مؤتجر أول البيت الثاني ، وهو « ياليت أني بأثوابي » في موضع المفعول لأقول . والواو من قوله « والركب » واو الابتداء ، وهو الحال . وقوله « وقد مالت عمامهم » يريد لغلابة النوم عليهم ، ومجاهدة السير والسرى فيهم ، ومن أولتهم الشهر ، حتى كأنهم سقاهم كؤوس النعاس فسكروا ، والمعنى أن أقول ، على معاناة هذه الأحوال : يودى أني مستعبد لأهلك طول الشهر الذي نحن فيه ، مؤتجر بكسوتي وزادى وراحاتي ، لا أكلفهم مؤونة ، ولا أتحملهم مرزئة ، كل ذلك رغبة في التقرب إليك ، والاستسعاد بخدمة أهلك ، والفوز بالتعريح على تحلك ومرتحلك . وقوله « ياليت » ، المنادى محذوف ، كأنه قال : يا قوم ياليت أني .

٣ - إن كان ذا قدراً يُعطيك نافلة منا ويحرمنا ، ما أنصف القدر
٤ - جنيّة أو لها جن يعلمها رمى القلوب بسهم ما له وتر^(١)
جواب الشرط في قوله « ما أنصف القدر » على إرادة الفاء . وقوله « يعطيك نافلة » في موضع الصفة لقدراً . وأشار بـ « ذا » إلى ما بينه وبين محبوبه . والمعنى : إن كان ما يرى بيننا وبشاهد قدراً قدره الله تعالى ، يعطيك منا ما تستغني عنه وتستغني عنه ، ثم يمننا مثل ذلك منك فلا يوجب لنا ، فما أعطانا النصفة في القضية ، ولا سار بالسيرة المحمودة^(٢) في الحكومة .

= يا أحسن الناس إلا أن نائلها قدما لمن يرتجى معروفها عمر
ولنما دلتها سحر تصيد به وإنما قلبها للمشتكى حجر
هل تذكرين ولما أنس عهدكم وقد يدوم لعهد الخلة الذكر
قولي وركبك قد مالت عمامهم وقد سقاهم بكأس النوم السفر
(١) التبريزي : « بقوس ما لها وتر » ، وهذه الرواية أجود .
(٢) ل : « بالسيرة المحمودة » .

وقوله « جَنِيَّةٌ » يريدُ أنْ فَعَلَهَا مُبَايِنٌ لِفِعْلِ الْإِنْسِ ، وكذلك شكَّاهُ
وَحُسْنَهَا ، فَإِذَا أَنْ تَكُونُ مِنَ الْجِنِّ ، أَوْ لَهَا مِنَ الْجِنِّ مَنْ يُعَلِّمُهَا افْتِقَانَ الْعَقُولِ ،
وَاجْتِبَالَ الْأَفْنَدَةِ فِي الصُّدُورِ . وَقَوْلُهُ « بِسَهْمٍ مَالَهُ وَتَرٌّ » ، يَرِيدُ مَهْمًا لَا يُنْزِيهِ
الْوَتْرُ عَلَى الْقَيْسِيِّ ، بَلْ تَهَيَّئْتَهُ مُقَلُّ الْعُمُيُونَ ، وَنَوَاطِرَ الْفُتُونِ ، لِإِصَابَةِ حَبَّاتِ
الْقُلُوبِ ، وَانْتِظَامِ غِرَّاتِ النُّفُوسِ .

٥٤٩

وقال تَوْبَةُ بْنُ الْمُضَرِّسِ (١)

١ - يَقُولُ أَنَسٌ لَا يَضِيرُكَ نَأْيُهَا بَلَى كُلُّ مَا شَفَّ النَّفُوسَ يَضِيرُهَا
٣ - أَلَيْسَ يَضِيرُ الْعَيْنَ أَنْ تَرَدَّ الْبُكَاءُ وَيُمْنَعُ مِنْهَا نَوْمُهَا وَسُرُورُهَا (٢)
يقال : ضارَهُ يَضِيرُهُ ، فِي مَعْنَى ضَرَّهُ يَضُرُّهُ . وَشَفَّ النَّفُوسَ ، أَي آذَاهَا
وَأَذَابَهَا . وَالْمَعْنَى : أَنَّ النَّاسَ يَطِيبُونَ قَلْبِي وَبِرُومُونِ بِمُحَاجَّتِهِمْ لِي تَسْلِيَتِي ،
وَيَقُولُونَ إِنَّ بُعْدَهَا لَا يُورِثُكَ خَبَالًا ، وَلَا يَكْسِبُكَ ضَررًا وَوَبَالًا ، بَلْ يُعْقِبُكَ
سَلْوَةً ، وَيُبَدِّلُكَ مِنَ النَّاسِ بِالْاجْتِمَاعِ مَعَهَا نَفْرَةً ، فَأَثَبْتُ مَا نَفَوُهُ ، وَأَبْطَلْتُ
مَا أَلْفَوُهُ (٣) ، وَقُلْتُ : بَلَى كُلُّ مَا يُذِيبُ النَّفْسَ وَيَهْزِلُهَا ، وَيَسْلُبُهَا الْقَرَارَ
وَيُقْلِقُهَا ، فَهُوَ عَائِدٌ بِأَكْلِ الضَّررِ عَائِيهَا ، ثُمَّ رَدَدْتُهُمْ إِلَى الشَّاهِدِ مُسْتَدْلًا بِهَا ،

(١) عند التبريزي : « توبة بن الحمير » ، وقد سبقت ترجمته في الحماسية ٥١٣ ص ١٣١١ . وأما توبة بن المضرس فهو توبة بن المضرس بن عبد الله بن عباد بن محرث بن سعد بن حزام بن سعد بن مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، شاعر محسن ، قتل أخواه فجزع عليهما جزعاً شديداً ، وكان لا يزال يبكيهما ، فطلب إليه الأحنف بن قيس أن يكف ، فأبى ؛ فسماه « الخشوت » ، وهو الذي يمنعه الغيظ أو البكاء عن الكلام . المؤلفات ٦٨ - ٦٩ .
(٢) « ترد » هي رواية الأصل . وفي ل والتبريزي : « أن تكثر » ، وأشير في هامش ل إلى أنها في نسخة « ترد » .

(٣) هذا ما في ل ؛ وفي الأصل : « ألفوه » ، وقد أشير إلى هذه الرواية الأخيرة في هامش ل .

فقلتُ : أليس العين إذا أُدِيمَ البكاءُ بها ، ومُنِعَ النومُ وما يُلتذُّ به من مَسارحِ
اللَّهو والسُّرورِ منها ، يضرُّها ذلكُ ؟ كذلك النَّفسُ إذا جُمِعَ عابها ما لا تهواه ،
وفُرِّقَ بينها وبين ما تلتذُّه وترضاه .

٥٥٠

وقال ابن أبي دباكل الخزاعي^(١) :

١ - يطولُ اليومُ لا أَلقاكِ فيه وحوْلٌ نَلتقي فيه قصيرٌ^(٢)

٢ - وقالوا لا يَضِيرُكَ نَأْيُ شَهْرٍ فقالتُ لصاحبي فمتى يَضِيرُ^(٣)

يقول : إنَّ السَّنَةَ الكامِلَةَ إذا اتَّصَلَ الالتقاءُ بينهما فيها ، أَسْتَقْصِرُها
وأَحْرِصُ على الاستِزادةِ منها ، التذاذاً بها وبُعْدًا من اللَّلالِ لها ، وإنَّ اليومَ
الواحدَ إذا حِيلَ بيني وبينك فيه أَسْتَطِيلُهُ تقاليلًا له ، وتفادياً منه ، وكرهيةً لا مِتدادَه
والنَّاسُ يقولون لي : إنَّ الشَّهْرَ لا يَجْلُبُ عليك ضَرَرًا ، فقلتُ لصاحبي : فمتى
يَضِيرُ إذا ؟ استبعاداً للأجلِ المضروبِ . ويروى : « لصاحبي فمتى يَضِيرُ » .
والعنى : إذا لم يَضُرَّنِي الفِطْمُ عَمَّا لم أرتوِ منه فمن المضروبِ إذا .

(١) التبريزي : « دباكل علم مرتجل ، وليس منقولاً من جنس » . وفي القاموس :
« وابن أبي دباكل ، بالضم : شاعر خزاعي » . واسمه سليمان بن أبي دباكل ، كما في الأغاني
(٧ . ١٨/٢٩ : ١٩٥) شاعر أموي ، كان معاصراً للأحوص ، وقد صنع قصيدته التي
يقول في أولها :

يا بيت خنساء الذي أتجنب ذهب الشباب وحبها لا يذهب

فقال الأحوص في عروضها :

يا بيت عاتكة الذي أتعزل حذر العدى وبه الفؤاد موكل

(٢) ل : « وشهر نلتقي » . التبريزي : « ويوم نلتقي » . وقد روى التبريزي هذا

البيت بعد تأييده هنا .

(٣) ل والتبريزي : « فن يضير » ، وهما روايتان نص عليها في الشرح .

وقال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة^(١) :

١ - شَقَقْتُ الْقَلْبَ ثُمَّ ذَرَرْتُ فِيهِ هَوَاكَ فَلَيْمَ فَالتَّامَ الْفُطُورُ^(٢)
 ٢ - تَغْلَغَلَ حَيْثُ لَمْ يَبْلُغْ شَرَابٌ وَلَا حُزْنَ وَلَمْ يَبْلُغْ سُورُ
 يصف استحكام أمر الهوى وشدة تسلطه على قلبه وتمسكه من عقله ،
 فيقول : شَقَقْتُ قَلْبِي ، وَجَعَلْتُ هَوَاكَ ذُرُوراً فِيهِ ، فَرَسَخَ فِي جَوَانِبِهِ بَعْدَ أَنْ
 دَبَّ فِي مَسَامِهِ وَمَوَالِجِهِ ، ثُمَّ جَمَعَتْ فُتُوقَهُ حَتَّى التَّأَمَّتْ شَقُوقَهُ ، فَتَوَصَّلَ الْهُوَى
 مِنْهُ إِلَى حَيْثُ أُعْجِزَ كُلُّ سُورٍ وَحُزْنٍ . وَالْمَعْنَى أَنَّ الْهُوَى مَلَكَ مَجَامِعَ قَلْبِي فَأُخِجِي
 مِنْهُ مَا كَانَ مُحَرَّمًا عَلَى غَيْرِهِ . وَقَوْلُهُ « لَيْمَ » أَصْلُهُ الْهَمَزُ فَأُبْدِلُ مِنْ هَمْزَتِهِ يَاءً
 وَأِنْكَسَرَ اللَّامُ لَهَا . وَالتَّغْلُغُلُ : التَّوَصُّلُ عَلَى مِقَاسَةِ تَعَبٍ وَشِدَّةٍ . وَلَا يُقَالُ
 لِمَنْ تَوَصَّلَ وَالْمَذْهَبُ سَهْلٌ : تَغْلَغَلَ . وَيُقَالُ : ذَرَّرَ الشَّيْءُ ، إِذَا فَرَّقَهُ ؛ وَذَرَّ
 الْحَبُّ فِي الْأَرْضِ . وَقَوْلُهُ « التَّامَ الْفُطُورُ » ، أَرَادَ الْفُطُورَ مِنْهُ ، فَحَذَفَ تَحْقِيفًا ،
 لِأَنَّ الْمُرَادَ مَعْلُومٌ . وَالْفَطْرُ : الشَّقُّ ، وَمِنْهُ تَفَطَّرَ الْوَرَقُ .

(١) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي التابعي ، وعم أبيه هو عبد الله
 ابن مسعود . كان عالماً ثقة فقيهاً ، كبير الحديث والعلم ، شاعراً . قال ابن عبد البر : كان
 أحد الفقهاء العشرة ثم السبعة الذين يدور عليهم الفتوى ، وكان عالماً فاضلاً مقدماً في الفقه ،
 قديماً شاعراً محسناً ، لم يكن بعد الصحابة إلى يومنا فيما علمت فقيه أشعر منه ، ولا شاعر أفقه
 منه ؛ وكان له زوجة يقال لها « عثمة » فعتب عليها في بعض الأُمم فطلقها ، وله فيها أشعار
 كثيرة ، منها هذا الشعر ؛ وأوله عند ثعلب في مجالسه ٢٨٤ :

تغلفل حب عثمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير

وانظر الأغاني (٨ : ٩٣) ومجموعة المعاني ١٦٢ . وتوفي عبيد الله سنة ٩٨ . تهذيب التهذيب .

(٢) أنشد التبريزي بين هذا البيت وتاليه البيت الذي ذكر في الحاشية السابقة ، فهي

عنده ثلاثة أبيات .

وقال ابن ميادة^(١) :

٢ - وما أنسَ منَ أشياءَ لا أنسَ قولها وأدُمُّها يُذرينَ حشوَ الكاحلِ

٣ - تمتعَ بذا اليومِ القصيرِ فإنه رَهينٌ بأيامِ الشهورِ الأطولِ

انجزم « أنسَ » بما ، وما موضعه نصب على المفعول من أنسَ . والمعنى : إن أنسَ شيئاً من الأشياء لا أنسَ قولها . فلا أنسَ انجزمَ على أنه جوابُ الشرط وقوله « منَ أشياءَ » أصله من الأشياء ، وجعل الحذف بدلاً من الإدغام لعمَّا تعذر إتيانه في المتقارِبين ، وقد مرَّ مثله^(٢) مستقصى . وقوله « يُذرينَ » يزيدُ يُسقطنَ حشوَ الكاحلِ . أراد أنها كخلاء ، فكان الدَّمعَ حين ذرفَ صَحبه الكحل .

وقوله « تمتعَ بذا اليومِ القصيرِ » موضعه من الإعزاب نصبٌ على أنه مفعولٌ من قولها ، أى لا أنسَ قولها ، وقد شافهنا الفراق من يومِ التوديع والتشيع وهى تبكى : تمتعَ بيومِكَ القصيرِ^(٣) لكونه يومَ اجتماع ، فإنه مرتين^(٤) من الشهور الطويلة ، لكونها أيامَ التباين ؛ أى مثل هذا اليومِ لا يُفكُّ من الارتهان ، ولا يحصلُ إلا بعدَ تفضي تلك الأيام المستطالة .

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ٥٣٤ ص ١٣٣٣ .

(٢) ل : « ذكره » .

(٣) ل : « بذا اليومِ القصيرِ » ، وأشير في هامشها إلى أنها في نسخة : « بيومِكَ القصيرِ » .

(٤) ل : « رهين » ، وأشير في هامشها إلى الرواية الأخرى .

٥٥٣

وقال محمد بن بشير^(١):

- ١ - بَيْضَاهُ آنِسَةُ الْحَدِيثِ كَأَنَّهَا قَمَرٌ تَوَسَّطَ جَنَحَ لَيْلٍ مُبْرِدٍ
 ٢ - مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ إِنَّ الْحِسَانَ مَظْنَةٌ لِلْحُسَّادِ
 ٣ - وَتَرَى مَدَامِعَهَا تُرَقِّقُ مُقَلَّةً سَوْدَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الْإِيمِدِ
 وصف المرأة بإشراق اللون . ومعنى « آنسة » ذات أنس ، لأن الحديث
 يُؤنِسُ ولا يأنسُ ، كقولهم : هم ناصِبٌ ، والمراد مُنْصِبٌ . ثم شبهها بقمر
 توسَّطَ السَّمَاءِ فيما جَنَحَ مِنْ لَيْلٍ كَانَ فِيهِ غَيْمٌ وَبَرْدٌ . والقمرُ إذا خَرَجَ مِنْ حَلَاكِ
 الغمامِ فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ كَانَ أَضْوَاءً وَأَحْسَنَ . ويجوز أن يكون قوله « لَيْلٍ مُبْرِدٍ »
 يُرَادُ بِهِ لَيْلٌ ذُو بَرْدٍ أَوْ بَرْدٍ ، ويكون من باب أَشْمَلْنَا ، أى دَخَلْنَا فِي الشَّمَالِ ،
 وَأَشْمَلْنَا ، أى دَخَلْنَا فِي الشَّتَاءِ . ويُقال : بُرِدَتِ الْأَرْضُ ، إِذَا مَطَرَتِ الْبَرْدَ ،
 فَهِيَ مَبْرُودَةٌ . وَأَبْرَدْنَا ، أى دَخَلْنَا فِي الْبَرْدِ أَوْ الْبَرْدِ ، وكذلك قوله شِمَلْنَا :
 أَصَابْنَا رِيحَ الشَّمَالِ ، وَأَشْمَلْنَا : دَخَلْنَا فِي الشَّمَالِ . وقال الخليل : يقال أَبْرَدَ
 الْقَوْمُ ، إِذَا صَارُوا فِي وَقْتِ الْقُرْفِ فِي آخِرِ النَّهَارِ . وَالْأَبْرَدَانُ : طَرَفَا النَّهَارِ .
 وقال الشاعر^(٢) :

إِذَا الْأَرْضُ تَوَسَّدَ أَبْرَدِيهِ خُدُودُ جَوَازِيهِ بِالرَّمْلِ عَيْنِ
 يصف بقرةً وحشيَّةً بأنها تتوسَّدُ غصُونِ الْأَرْضِ الَّتِي تَلِي الْغَرَبَ بِالْفَدَاءِ ،

(١) سبقت ترجمته في الحاسية ٢٦٩ ص ٨٠٨ . وعند التبريزي : « وقال آخر » .
 وقد نسب الشعر إلى محمد بن بشير أيضاً في الأغاني (١٤ : ١٤٧ - ١٤٨) ، ونسبه
 في الأغاني (٢ : ١١) إلى مجنون ليل .

(٢) هو الشماخ بن ضرار . ديوانه ٩٤ واللسان (جزأ) .

فإذا دارت الشمس دارت معها إلى ناحية الشرق، فتوسّدت الغُصون التي ماتت الشمسُ عنها .

وقوله « موسومةٌ بالحسن » يريد أنه جُعِلَ سِيماها الحسن ، فهي ممسوحةٌ به موسومةٌ . وأصل السِّمة العلامة ، ومنه السِّبَا . ومعنى « ذات حواسِدٍ » أي من يراها من الناس يحسدها ، لأنّ الحِسانَ مَعْلَمٌ للحُسَدِ . وهكذا كما يُقال : إنّ الحسدَ يتبع النِّعم .

وقوله « وترى مدامعها ترقرقُ مُقلّةً » فالمدامع مَسابِلُ الدَّمع من القبائل في الرُّأس . ومعنى « ترقرقُ مُقلّةً » أي ترقرقُ الدَّمعَ في مُقلّةٍ . والرَّقراق : الدَّمع الذي يترقرق في العين ولا يسيل . قال :

* أو الدرّ رقرقاهُ المُنحدِرُ (١) *

والمعنى أنّها كخلاء ، وأنّ الدَّمع يتجمّع في مُقلّةٍ لها مُستفنيّةٌ عن سواد الكحل ، لكحلها .

٥٥٤

وقال آخر (٢) :

- ١- صَفْرَاهُ مِنْ بَقْرِ ابِإِوَاهِ كَأَنَّمَا تَرَكَ الْحَيَاءُ بِهَا رُدَاعَ سَقِيمِ-
 - ٢- مِنْ مُحْذِيَاتِ أَخِي الْهَوَى جُرْعَ الْأَسَى بِدَلَالِ غَانِيَةٍ وَمُقلّةِ رِيمِ-
 - ٣- وَقَصِيْرَةَ الْأَيَّامِ وَدَّ جَلِيْسُهَا لَوْ دَامَ مَجْلِسُهَا بِفَقْدِ حَجِيمِ-
- وصفها بأنّها دُرْبَةٌ اللون ، وأنّ فيها مَشَابَهَةً مِنْ بَقْرِ الْجِوَاءِ ، وَأَنَّهَا حَيِيَّةٌ

(١) لامرئ القيس في ديوانه ٧ . وصدوره :

* فأسبل دمعي كفض الجمان *

(٢) هو مجنون ليلي قيس بن معاذ . اللسان (ردع) .

قليلة الحركات لنعمتها ، قليلة الكلام لفرط حياؤها ، فكانت بها نكس سقم .
لما ألفتها من الكسل . وقال الخليل : الرذع والرذاع : النكس ؛ ورجل
عردوع . وقيل : الرذاع : الوجع في الجسد . فأما قول الأعشى :

بيضاء ضخوتها وصفرا ، العشيّة كالعراة

فجعل لها لونين : بيضا في أول النهار ، وصفرة في آخره حتى لونها لون
العراة . وإنما يريد أنها ثقيل فيمتد النوم بها إلى آخر النهار ، والقائم من
نومه أبداً يكون متغير اللون . ومثل قوله « ترك الحياء بهارذاع سقيم »
قول الآخر (١) :

كان لها في الأرض نسياً تقضه على أمها وإن تكلمك تبلت

وقوله « من مخذيات أخى الهوى » يريد أنها من النساء اللاتي تسي
الشبان وأرباب الهوى جرّع الأسي ، يريد أنها تفتنهم بحاسنها ، ثم لا تنيلهم
شيئا ، وهي الخذيا والخذوة . والأسي : الحزن .

وقوله « بدلال غانية » تعلق الباء منه بمخذيات . والغانية : التي تستغني
بجمالها عن الخلق . والریم : الظبي الخالص البياض . والمعنى أنها تفتنه بعينها
وكلامها وغنجها .

وقوله « وقصيرة الأيام » يريد أنها لا تمّل ، فالأيام في ملازمتها قصيرة ،
حتى أن مجالسها يود أن يدوم مجلسها له وإن فقد أقاربه . والقصد إلى أنها
طيبة الحديث ، مؤنسة المجلس ، مصرفة الملائم في أصناف الملاذ حتى ينسى
كل شيء غيرها ، ويبشّم جميع المناظر سواها .

وقوله « بفقْد حميم » الباء فيه يفيد معنى العوض ، فهو كما يقال : هذا لك
بكذا ، أى عوضاً منه .

(١) هو الشنفرى الأزدي . المفضليات ١٠٩ .

٥٥٥

وقال آخر :

١- وفار كسخر العود يرفع ضوءها مع الليل هبّات الرياح الصّوارد^(١)
 ٢- أصدّ بأيدي العيس عن قصد أهلها وقلي إليها بالمؤدّة قاصد
 شبه النار في حمرتها وتصاعدها بسخر العود . والسخر : الرّثة وما تعلق
 بالخلقوم . ويقال لمن نزلت به البطة : انتفخ سخره ؛ كما يقال : عدا طوره .
 وأكثر ما يقال ذلك لمن جبن عن شيء . والعود : الجمل المسن ؛ وقد عود ،
 أى نيب ، والجميع العودّة ، وفي لغة : العيدة . ويستعمل العود في الشؤدد
 القديم ، والطريق العادي .

وقوله « يرفع ضوءها » يريد أن هبّات الرياح الباردة تهيجها ، فكانها
 ترفع من ضوءها في ظلام الليل ومعه . والصّوارد : البوارد ، وهى من صفة
 الهبّات .

وقوله « أصدّ بأيدي العيس » جواب ربّ .

ويشبه البيت الثانى قول الآخر^(٢) :

يا بيت عاتكة الذى أنعزل
 حذر العدى وبه الفؤاد موكّل
 ومثل البيت الأوّل قوله :

تنوّرتها من أذرع وأهلها
 بيثرب أدنى دارها نظر عال^(٣)

(١) التبريزى : « ترفع ضوءها » . وانظر الحيوان (٥ : ٦٣) وكتاب الزهرة
 للأصفهاني ٢٣٥ .

(٢) هو الأحوص بن محمد الأنصارى . الأغاني (١٨ : ١٧٥ ، ١٩٦) ، وذكر
 أبو الفرج أنه عارض بقصيدته قصيدة سليمان بن أبي دباكل وسطا عليها ، ومطلع قصيدة سليمان :
 يا بيت خنساء الذى أتجنب ذهب الشباب وحها لا يذهب

(٣) البيت لامرئ القيس فى ديوانه ٥٦ .

وهذا منهم على التشوق والتحنن . ألا إنهم كانوا يتعللون بما كان من نحو
أرض الحبيب .

٥٥٦

وقال الحسين بن مطير^(١) :

١ - وكنت أذود العين أن ترد البكا فقد وردت ما كنت عنه أذودها
٢ - خليلي ما بالعيش عتب لو أننا وجدنا لأيام الحمى من يعيدها
يقول : كنت أصبر النفس فيما ركبتها وثقل عايتها من الوجد ، وأحبس
العين مما ترومه من البكاء ، فقد عيل الصبر ، وتسلط الحزن ، وغاب البكاء ،
فقد وردت عيني المورد الذي كنت أحلمها منه ، وأدفعها عنه .

وقوله « خليلي ما بالعيش عتب » رواه بعضهم : « ما بالعيش عيب » ،
وذكر العتب أحسن هاهنا . والمراد أنه لا معتبة على العيش ، لأن صفاءه بأن
تتصل له أيام كأيام الحمى ، فلو وجدنا من يعيد أمثالها فساعد فيها قرب الأزار ،
وإمكان الوصال ، لطاب وصفا كما كان من قبل فلا ذنب للعيش ، إنما
الذنب لما يكدره ويشحنه بالكاره .

٥٥٧

وقال آخر^(٢) :

١ - ولي نظرة بعد الصدود من الجوى كنظرة ثكلى قد أصيب وليدها
٢ - هل الله عاف عن ذنوب تسلفت أو الله إن لم يعف عنها يعيدها^(٣)

(١) سبقت ترجمته في الخامية ٣١٩ ص ٩٣٤ .

(٢) كذا في النسخين . أما التبريزي فقد جعل المقطوعتين مقطوعة واحدة .

(٣) التبريزي : « أم الله إن لم يعف عنها يعيدها » .

يقول : قَذَيْتَ عَيْنِي بِمَا حَصَلَ مِنْ صُدُودِ الْحَبِيبِ ، فَلَئِنْ نَظَرْتُ بَعْدَهُ لِحِجْوَى الْقَلْبِ وَالْجَوْفِ ، كَنَظَرَةِ أُمِّ أُصَيْبَتٍ بَوْلِيدِهَا فَتَمَكَّيْتَهُ . ثُمَّ قَالَ مَتَمَّنِّيَا : هَلْ يَعْفُو اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ لَنَا مِنْ ذُنُوبٍ ، أَوْ يَمِيدُ لَنَا تَسْهِيلَ أَمْثَالِهَا وَالتَّمَكِينَ مِنْ اقْتِرَافِ مُشَابِهِهَا إِنْ ضَاقَ عَفْوُهُ عَنْهَا . وَهَذَا كَلَامٌ مِنْ حَرَجِ صَدْرِهِ بِمُسْتَقْبَلِ أَمْرِهِ ، وَامْتِلَاءً قَلْبِهِ مِنَ التَّأْسُفِ فِي إِثْرِ مُسْتَدْبِرِهِ .

٥٥٨

وقال سوار بن المضرب (١) :

١ - يَا أَيُّهَا الْقَلْبُ هَلْ تَنْهَاكَ مَوْعِظَةٌ أَوْ يُحَدِّثُنَّ لَكَ طُولُ الدَّهْرِ نَسِيَانًا (٢)
 ٢ - إِنْ سَأَسْتُرُ مَا ذُو الْعَقْلِ سَاتِرُهُ مِنْ حَاجَةٍ وَأَمِيَّتُ السَّرِّ كِتْمَانًا
 عَتَبَ عَلَى قَلْبِهِ فِي عَصِيَانِهِ لَهُ ، وَاطَّرَاحَهُ مَوْاعِظَهُ ، وَوَأْوَعَهُ الْمُسْتَمِرَّ عَلَى تَطَاوُلِ الدَّهْرِ ، وَتَقَادُمِ الْأَمْرِ ، وَقَالَ : هَلْ لَبِنَ الْوَعْظُ مِنْكَ أَوْ أَحَدَثَ مَوَاصِلَهُ الْأَيَّامِ وَاسْتَمْرَارُهَا نَسِيَانًا لَكَ ، فَتَكْفَى عَمَّا يُبْكَرُهُ مِنْكَ ، أَوْ تَقْبَلُ بَعْضَ مَا تُدْعَى إِلَيْهِ مِنْ رُشْدِكَ .

وقوله « أَوْ يُحَدِّثُنَّ » زاد النون الخفيفة في المعطوف من غير أن حصل في المعطوف عليه ، وهو « يَنْهَاكَ » مثله ؛ وساغ ذلك لأنهم ألفوا زيادة إحدى النونين فيما ليس بواجب من الأفعال ، فكأنه قدّر أن الأوّل حصل فيه النون فزاد في الثانية ، لتوهم مثله في الأولى ، واستمرار العادة بزيادته . وهذا كما عَطَفَ فِي بَيْتِ امْرَأَتِ الْفَيْسِ :

(١) التبريزي : « المضرب » بالراء المشددة المفتوحة ، وقد مضت ترجمته في الخامسة

١٨ ص ١٣٠ .

(٢) في نسخة الأصل : « طول الليل » ، صوابه من ل والتبريزي .

فَظَلَّ طُهْمَةُ اللَّحْمِ مِنْ بَيْنِ مُنْضِجٍ صَفِيْفَ شِوَاءٍ أَوْ قَدِيرٍ مُعْجَلٍ
 قوله أو قديرٍ معجَلٍ ، وهو مجرور ، على صفيْفٍ شِوَاءٍ وهو منصوب ، لِنَيْتِهِ
 حذَفَ التَّنوينَ ، وجعلَ الإضافةَ بدلاً منه في مُنْضِجٍ .
 وقوله « إني سأستر ما ذوالعقل سآثره » ، وصفَ نفسه بحُسْنِ التَّمَاكُ فيما
 يأتيه ، واستعمالِ العقلِ في سآثر ما يجب إخفاؤه من حاجاته ، وضبطه للسّرِّ ،
 وقوّة كتمانِه ، حتى بصير السّرَّ كالميت الذي لا أثر له . ويُشير بذلك كله إلى
 دوام وفائه ، واتصال عَهْدِه ، وكتم ما يجري بينه وبين محبوبه . وانتصَبَ
 « كتماناً » لأنه مفعول له ، ويجوز أن يكون في موضع الحال ، كأنه قال :
 كاتمًا له .

٣- وحاجة دُونَ أُخْرَى قد سَنَحْتُ لها جَعَلْتُهَا لِأَنِّي أَخْفَيْتُ عُتْوَانًا^(١)
 ٤- إني كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ بَيْنَ النَّاسِ عُرْيَانًا^(٢)
 يريد : رُبَّ حَاجَةٍ عَرَضَتْ لَهَا وَأَظْهَرْتُهَا فِي النَّفْسِ خِلَافُهَا ، لِأَنِّي جَعَلْتُ
 الْمُظْهَرَ فِي التَّوَضُّعِ بِهِ إِلَى الْمُضْمَرِ كَعُنْوَانِ الْكِتَابِ الَّذِي يَظْهَرُ وَمَا يَنْطَوِي عَلَيْهِ
 الْكِتَابُ مُسْتَوْرٍ . يَصِفُ نَفْسَهُ بِالذِّكَاءِ وَجَوْدَةِ الْفِطْنَةِ ، وَحُسْنِ التَّائِي ،
 وَالْإِهْتِدَاءِ فِيمَا يَرُومُهُ لِلْحَيْلِ الْلطِيفَةِ . وَكُلُّ ذَلِكَ لِمَلَّا يَقِفُ مَوْقِفًا يُوَجِّهُ إِلَيْهِ
 الظُّنُونِ السَّيِّئَةِ ، وَيَجْلِبُ عَلَيْهِ الْقَالَةُ الْمُنْكَرَةَ .

وَالْعُنْوَانُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِعْوَالًا مِنْ عَنَّا لِي الشَّيْءِ ، إِذَا اعْتَرَضَ ؛ وَيَجُوزُ
 أَنْ يَكُونَ فُعْلَانًا مِنْ عَنَاهُ كَذَا . وَفِيهِ أَعَاتٌ وَكَلَامٌ طَوِيلٌ أَتَيْتُ عَلَيْهِ
 فِي (شَرْحِ الْفَصِيحِ) .

(١) التبريزي : « قد سنحت بها » .

(٢) التبريزي : « وسط القوم عريانا » .

وقوله « إني كأني أرى من لا حياء له » يريد : من خلع رِبْقَةَ الحياء ،
 واطَّرَحَ حِشْمَةَ الناس ، وعَرَّضَ الأمانةَ للضياع ، والأروءةَ للزَّوال ، فحُكْمُهُ
 حُكْمُ مَنْ أَظْهَرَ عَوْرَتَهُ ، وهتك اعابديه سِتْرَهُ ، ورَضِيَ بِمَا نِيلَ مِنْهُ ، وتُحْيِفُ
 مِنْ عِرْضِهِ وَدِينِهِ .

٥٥٩

وقال آخر^(١) :

١ - أَهَابُكَ إِجْلَالًا وَمَا بِكَ قُدْرَةٌ عَلَىٰ وَلَكِنْ مِلٌّ عَيْنٍ حَبِيبُهَا
 ٢ - وَمَا هَجَرَتْكَ النَّفْسُ أَنَّكَ عِنْدَهَا قَائِلٌ وَأَكِنَّ قَلَّ مِنْكَ نَصِيبُهَا
 انتَصَبَ « إجلالا » لأنه مفعول له ، جعله علة في تهذيبه لها . ويجوز أن
 يكون في موضع الحال ، فيقول : أَحْتَشِمُكَ بظُهور العيب ، وَأَخَافُكَ لَيْسَ لاقْتِدَارِ
 سُلْطَانِي مِنْكَ عَلَىٰ ، وامتلاكِ لَضَرِّي ونفمي في يدك ، ولكن رَفْعًا مِنْكَ ،
 وإكباراً لِقَدْرِكَ ، ولأنَّ العَيْنَ تَمْتَلِيُ مَنْ تَحَبُّهُ استكباراً . واستعظاماً ، لأنه يَحْمَدُهَا .
 والضمير من « حبيبها » للعين ، وإنَّ جَعَلْتَهَا للِرَّأَةِ ، أي ما تَحَبُّهُ وترضاه يَمْلَأُ
 العين ، جاز . والمِلُّ : القدر الذي يَمْتَلِيُ مِنْهُ الشَّيْءُ ؛ والمِلُّءُ ، بفتح الميم :
 مصدر مَلَأْتُ .

وقوله « وما هَجَرَتْكَ النَّفْسُ » يريد أن الإخلال بالزيارة ؛ والتأخر عن
 إقامة العادة ليس لزهدٍ ولا لاستقلال للحال ، وإزراء بالحق ، ولكن قَلَّ حَظِّي
 مِنْكَ ، ودام إِعْرَاضُكَ عَنِّي ، فرُئِمْتُ رِضَاكَ فِي البُعد عنك ، وترَكَ التَّنَاقُلُ عَلَيْكَ
 وقوله « مِلٌّ عَيْنٍ » جاز الابتداء به وإن كان نَكْرَةً لِحصول الفائدة
 في تعليق الخبر .

(١) هو نصيب : كما في سبط اللات ٤٠١ .

٥٦٠

وقال ابن الدمينة^(١) :١- أَلَا لَأَرَى وادِي المِيَاهِ يُثِيبُ وَلَا النَّفْسَ عَن وادِي المِيَاهِ تَطِيبُ^(٢)

٣- أَحِبُّ هُبُوطَ الوَادِيَيْنِ وَإِنِّي لَمُشْتَهَرٌ بالوَادِيَيْنِ غَرِيبُ

قوله « يُثِيبُ » أى يجعلُ لى ثوابا ، وَيَقْسِمُ لى لتوفرى عليه رِداءً ونفعا .
 ويجوز أن يكون من قولهم : بئز لها ثائب ، إذا كان ماؤها ينقطع أحيانا ثم يعود ؛
 فيكون أتاب بمعنى صار لها ثائب ، كأن الوادى كان اتفق فيه مواصلة بينه وبين
 محبوبه ثم انقطع ، فكان لا يثوب خيره . وهذا الذى قلناه فى أتاب ذكره
 أبو زيد . ويجوز أن يكون ذِكرُ الوادى كالكفاية عنها ، فيقول : ليست تسألو
 نفسى عن وادى المياہ وما يتصل به وعن أحبتي فيهما ، وأراه لا يوجب لى مثل
 ما أوجبہ ، ولا يرضخ لى جزاءً على ما أتحمله ، وأنا أحبُّ النزول بالواديين
 والانتعاش بزيارتهم ، لكننى مُشْتَهَرٌ بهما غريبٌ لا ناصر لى فيهما ، فأحتاج
 أن أحاذر الرقباء خوفاً على نفسى ، وتفادياً مما يلحقُ صاحبى من المكروه
 والإعنات بسببى .

٣- أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ وَاوِدًا وَلَا صَادِرًا إِلَّا عَلَى رَقِيبُ

٤- وَلَا زَائِرًا فَرْدًا وَلَا فِي جَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ إِلَّا قِيلَ أَنْتَ مُرِيبُ

هذا شرحٌ للاشتهار الذى أجمله ، والاعتراب الذى اشتكى منه . وقوله
 « أَحَقًّا » فى موضع الظرف ، كأنه قال : أفى حق . « وَأَنْ لَسْتُ » أن مخففة
 من الثقلية ، وموضعها بما بعده موضعُ الابتداء ، وأحقًا فى موضع الخبر . وقوله

(١) عبد الله بن الدمينة ، سبقت ترجمته فى الحماسة ٤٥٦ ص ١٢٢٣ .

(٢) ديوان ابن الدمينة ٧ - ١٤ .

« فَرَدًّا » انتَصَبَ عَلَى الْحَالِ ، وَالْعَامِلُ مَادَلَّ عَلَيْهِ « وَلَا زَائِرًا » مِنَ الْفِعْلِ ، فَيَقُولُ : أَيَّ حَقٍّ يَا عِبَادَ اللَّهِ أَيُّ لَا أَرِدُ الْوَادِيَيْنِ ، يَعْنِي وَادِيَ الْمِيَاهِ ، وَمَا ذَكَرَهُ فِيمَا بَعْدَ مِنْ ذِكْرِ الْكَيْتِيبِ الْفَرْدِ ، وَلَا أَصْدُرُ عَنْهُمَا إِلَّا وَعَلَى رَقِيبٍ مُحَافِظٌ ، يَمُدُّ لِحِطَاتِي وَأَنْفَاسِي ، وَيَتَأَمَّلُ قُصُودِي وَإِرَادَاتِي ، وَلَا أَزُورُهَا مِنْفَرِدًا وَلَا فِي صَحَابَةٍ إِلَّا وَسُلِّطْتَ عَلَيَّ التَّهَمَ ، وَنُسِبْتَ فِيمَا أُنْعَاطَاهُ إِلَى الرَّيِّبِ ، حَتَّى ضَاقَ عَلَيَّ الْجَمَالُ ، وَأَظْلَمَ لِي الْمَسْرَحُ وَالْمَطَافُ .

وقوله « إِلَّا قَيْلٌ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، أَيُّ لَا أَزُورُهَا إِلَّا مَقُولًا فِيهِ ذَلِكَ . وَمَوْضِعُ « أَنْتَ مَرِيبٌ » الْجُمْلَةُ رَفَعْتُ عَلَى أَنَّهُ قَامَ مَقَامَ فَاعِلٍ قَيْلٌ .

٥ - وَهَلْ رِيْبَةٌ فِي أَنْ تَحِنَّ نَجِيْبَةٌ إِلَى الْإِفْهَاءِ أَوْ أَنْ يَحِنَّ نَجِيْبٌ
٦ - وَإِنَّ الْكَيْتِيْبَ الْفَرْدَ مِنْ جَانِبِ الْحَمِيِّ إِلَى وَإِنْ لَمْ آتِهِ لِحِيْبٌ

قوله « هل ريبية » لفظه استفهام ومعناه النفي ، فيقول : لا ريبية في حنين أحد المتألفين الكريمي العهد إلى الآخر ، ولا استنكار فيما تنطوي عليه النفس من الهوى والود ، ولا محاسبة فيما يوجب المتحابان وبؤثرانه من المصافاة على البعد ، وإن موضع الحبيب من جانب الحمي قلبي موكّل به وإن لم أزره ، إذ كان بجانبتي إياه ، وتأخرى عنه ، لإبقائي على الحال بيني وبين من أحشمه ، ولإبشاري صيائته من تحدث الوشاة فيه ، لا لغيره .

٧ - لَكَ اللَّهُ إِنِّي وَاصِلٌ مَا وَصَلْتَنِي وَمُنِّي بِمَا أَوْلَيْتَنِي وَمُثِيبٌ^(١)
٨ - فَلَا تَتْرُكِي نَفْسِي شَعَاعًا فَإِنَّهَا
٩ - وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِيكَ حَتَّى كَأَنَّما
عَلَى بِيْظَهْرِ الْغَيْبِ مِنْكَ رَقِيبٌ

(١) بين هذا البيت وتاليه عند التبريزي :

وَآخِذْ مَا أَعْطَيْتِ عَفْوًا وَإِنِّي لِأَزُورُ عَمَّا تَكْرَهِينَ هَيُوبٌ

قوله « لَكَ اللهُ » يجوز أن يكون دعاءً لها، والمعنى: إحسان الله لك، وحفظه مشتملٌ عليك. ويجوز أن يكون قسماً، كما يقال أعطيك الله، وجوابه إني واصلٌ. وكأنه أقسم لها أو دعا لها بأنه يبقى على العهد لها مدةً دوام مواصلتها وبقائها على المصافاة والإيثار له، وأنه يوجب من إعظامها والثناء عايتها، ومكافأتها بالحسنى فيما تُسدى إليه وتُولى ما ينتفى عنه سمة التقصير والإقصار. ووجه الدعاء لها استعطافها وترقيق قلبها، ويكون كالنسيب من السائل.

وقوله « فلا تتركى نفسى شعاعاً » فالشعاع: المنتشر، وكذلك الشع والفعل منه شع. ويقال: تطاير القوم شعاعاً، أى متفرقين. فيقول: احفظى نفسى عن الانتشار والزوال، فإنها شارفت الذوب والسيلان وجدًا بك، وشافهت التلف والبوار شوقاً إليك. ثم قال: وإنى مستحي منك على البعد، إعظاماً لك، وتمثيلاً منك، حتى كأن لك رقيباً معى فى كلِّ حال، فأتعفف عن المنكرات، وأتزره عن ذميمة المقالات، فسكونى لى على ما توجبه صورتى، وتمتضيه قصتى. ومثل هذا قول الآخر^(١):

وإنى لأستحي فطيمة طابوا خميصاً وأستحي فطيمة طاعما
وإنى لأستحيك وألخرق بيننا مخافة أن تلقى أخا لى لأئما^(٢)

٥٦١

وقال آخر:

١ - تحمّل أصحابى ولم يجدوا وجدى وللناس أشجانٌ ولى شجنٌ وحدى
٢ - أحبكم ما دمت حياً فإن أمت فوا كيدا ممن يحبكم بعدى

(١) هو المرقش الأصغر. المفضليات ٢٤٦ طبعة المعارف الثانية.

(٢) فى المفضليات: « صارما ».

الشَّجَن : الحاجة ، والجميع الأشجان والشجون . قال :

* وَالنَّفْسُ شَتَّى شُجُونِهَا ^(١) *

وموضع « وَحْدَى » نصبٌ على المصدر ، وهو موضوعٌ موضع الإيحاد ^(٢) .
يقول : ارتحل أصحابي ولم يفلهم من الوجد ما نالني ، وفي نفوس الناس حاجاتٌ
وقد أوحدتُ نفسي بحاجةٍ إيحاداً . ثم أُقْبِلَ على الحبوب مفسراً لشجِنه الذي
تفرَّد به ، فقال : أَحْبُّكُمْ مَدَّةَ حَيَاتِي ، وَإِذَا مِتُّ فَوَا كَبِدًا مِّنْ بِلَى حَبِّكُمْ
بَعْدِي . وهذا تمحُّرٌ في إثر ما يفوته من الهوى إذا فارق الدنيا . وَيُرْوَى :
« مَن ذَا يُحِبُّكُمْ بَعْدِي » .

وقد عيب الشاعر بهذا فقيل : لم يَرْضَ بأن جعلَ لها مُحِبًّا حتى صار
يتحزَّن له . وقال بعضُ أصحاب المعاني : في هذا ظُلمٌ للشاعر ، وذلك أنَّ غرضه
في التماسه مُحِبًّا لها إشادةٌ ذكرها ، وإعلاء قدرها ، وتشهيرها عند الناس حتى
يصيرَ لها الجاهُ عند السلاطين . قال : وكثيرٌ من نساء العرب طَلَبْنَ التَّشْيِيبَ
من الشعراء مع العِفَّة ، كعزَّة ، وليلى ، وميَّة . وخلقاء بني أميَّة وأقرانها من
الأمراء معهنَّ محاورات .

وَيُرْوَى عن بعض السلف الصالحين ^(٣) أنه حجَّ ، فلما قضى نُسكَه قال
لصاحبٍ له : هَلُمَّ نَتَمِّمْ حَجَّنا ! أَلَمْ تَسْمَعْ قول ذى الرُّمَّة :
تَمَامُ الْحَجِّ أَنْ تَقِفَ الْمَطَايَا عَلَى خَرْقَاءٍ وَاضِعَةَ اللَّثَامِ

(١) وكذا استشهد بهذه القطعة ابن فارس في المقاييس (شجن) . والبيت بتمامه كما
في اللسان :

ذكرتك حيث استأمن الوحش والتقت رفاق به والنفس شتى شجونها
(٢) انظر الكلام على « وحده » و « وحدي » بتفصيل في شرح الأشموني وحاشية
الصبيان (باب الحال) .

(٣) هو الضبي ، أو محمد بن الحجاج الأسدي ، أو الحجاج الأسدي . الأغاني (١٦) .
١١٩ ، ٢٠/١٢٠ : ١٤٠ - ١٤١) .

والطريقة في نُضْرَتِهِ وتحسينِ قولِهِ ما قدَّمْتُهُ .

وأشنع من هذا قول الآخر^(١) :

أَهِيمٌ بِدَعْدٍ مَا حَيَّيْتُ فَإِنْ أُمَّتُ أَوْ كَلُّ بِدَعْدٍ مَنْ يَهِيمُ بِهَا بَعْدِي
وقد قيل في هذا أيضاً : إنه لو قال :

* فَلَ صَلَحَتْ دَعْدٌ لَدِي خَلَّةٌ بَعْدِي *

لكان صواباً ، سالماً مما يهجنه .

٥٦٢

أَبُو حِيَّةَ النَّعْمِرِيِّ^(٢) :

١ - رَمَتْهُ أُنَاةٌ مِنْ رَبِيعَةَ عَامِرٍ رَقُودُ الضُّحَى فِي مَاتَمِ أَيِّ مَاتَمِ^(٣)

٢ - فَجَاءَ كَخُوطِ الْبَانِ لَامْتَابِعٌ وَلَكِنْ بِسِيمَا ذِي وَقَارٍ وَمَيْسَمِ-

أُنَاةٌ أَصْلُهُ وَنَاةٌ ، لِأَنَّهُ مِنَ الْوَنَى : الْفَتُورِ وَالْكَسَلِ .

والواو المفتوحة لم تُبدل منها الهمزة إلا في أحرف قليلة ، وهي «أناة» في صفة المرأة الثَّقِيلَةِ الْفَاعِمَةِ ؛ و «أحد» صفةً واسماً للعدد ؛ وما جاء في الحديث من قولهم^(٤) : «أى مالٍ أُدِّيتُ زَكَاتُهُ فَقَدْ ذَهَبَتْ أَبْلَتُهُ» ، يُرَادُ وَبِأَلِهِ . وقال أبو زيد : الْأَبْلَةُ فِي الطَّعَامِ أَصْلُهُ الْوَابِلَةُ . وَيُقَالُ : «أَجِثْتُ أُجُومًا» فِي وَجِثْتُ . فهذه الأحرفُ جاءت على ما ترى .

(١) هو النمر بن تولب ، كما في الأغاني (١٩ : ١٥٩ ، ١٦٠) ، قال أبو الفرج : « والناس يروون هذا البيت لنصيب ، وهو خطأ » . انظر أيضاً الأغاني (١١ : ١٨) .

(٢) سبقت ترجمته في الحاشية ٤١٦ ص ١٣١٤ .

(٣) التبريزي : « نؤوم الضحى » .

(٤) هو حديث يحيى بن يعمر ، كما في اللسان (أبل) .

وقوله « رُقود الضُّحى » وصفها بالترفة ، وأنها مكفَّية الخدمة ، فهي تنام القيلولة . وهذا كما قال امرؤ القيس :

* نَوُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَهِقْ عَنْ تَفَضُّلِ (١) *

والماتم : الذساء يجتمعن في الخير والشر . يقول : نظرت إلى هذا الرجل امرأة طلعت عليه في جملة نساء ، مترفة منعمة سميعة ، تنام عن شؤونها أوقات الضُّحى ، لأن لها من يكفئها كل ما تهتم له ففتدته ، ثم اقتص كيف نصبت الحباله له ، ومن أين وقع فيها حتى اصطادته ، فقال : جاء الرَّجُلُ وكأنه عُصَن طائش في وروده وصدرة ، ولكن بعلامة ذى سكون ، وميسم ذى صلاح وهُدُوء . والتتابع يُوصف به الخيران والسكران إذا رمى بنفسه . وتتابع البعير في مشيته ، إذا حرك أواحه حتى كأنه يتفكك . والماتم أصله من الأتم ، وهو أن تلتقى الخرزتان فتصيرا واحدة . وموضع « كخوط » نصب على الحال من جاء . والخوط : العُصن الناعم لسند . وقوله « لا متتابع » ارتفع لأنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : لا هو متتابع . وقوله « ولكن » استدراك بعد نفي ، أى جاء غير متتابع ولكن بهذه السببا .

٣ - فقلن لها سيرا فديناك لا يرخ صحيجا وإن لم تقمليه فالممى

٤ - فالقت قناعا دونه الشمس واتقت بأحسن موصولين : كف ومعصم

٥ - وقالت فلما أفرغت في فؤاده وعينيه منها السحر قلن له قم

قوله « سيرا » يجوز أن يكون مصدرا في موضع الأمر ، كأنه قال ساربه . مُسَارَةٌ ، فوضع السَّرَّ موضع المُسَارَةِ ، ويكون على هذا قوله « لا يرخ » جواب

الأمر الذى دلَّ عليه سِرًّا . ويجوز أن يكون سرًّا مصدرًا فى موضع الحال ،
ويكون لا يَرُحَ مجزومًا بلا النَّهْيِ . وجَعَلَ النَّهْيَ فى اللَّفْظِ لِلرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ هِىَ
الْمُنْهِيَّةُ ، كما يقال : لا أَرَيْنَكَ هِنَا . والمعنى : لا تكن هناك فأراك ، والمراد :
لا تَدْعِ بِهِ يَرْوَحُ صَحِيحًا . يقول : قالت النساءُ الْمُحْتَفَّةُ بالأناة المذكورة لها : أشيرى
إليه فى السَّرِّ إشارةً تَفْتِنَهُ ، واعْرِضِ عَلَيْهِ محاسنك ما يُجَبِّلُ قلبه بعدَ تعرُّضه
لنا فى سَمْتِهِ وَوَقَارِهِ حَتَّى لا يَرْوَحَ عَنَّا صَحِيحًا ، وإن لم تُبَالِغِ فى استغوائه وَفَتْلِهِ
عن رشاده ، وإِهْلَاكِه ، فكونى منه على أوفى محلِّ . فائتمرتُ لهنَّ وألقتُ قِنَاعًا
وراءه الشَّمْسِ ، أى وجهه إشراقه كإشراق الشمس ، فعرضت وجهها ثم سترته
فأبدت كَفِّهَا وَمِعْصَمَهَا - وهو موضع السوار من يدها - أيضًا ، وتكلمتُ
بكلامٍ كالْمِنْكَرَةِ من نفسها ما اتَّفَقَ عليها ، والمستحيية المتذممة من حالها ، فلما
عَلِمَ النساءُ أَنَّهَا أفرغتُ فى فَوَادِهِ بالكلام ، وفى عَيْنِيهِ بالسكفِّ والوجهِ السَّجَرِ
أى صبت - قلنَ للشَّابِّ المتعرض : قُمْ عَنَّا فابنك إِمَّا نَابِكَ^(١) وأنت لا تعلم .
والسَّجَرُ : إخراجُ الشَّيْءِ فى أحسن مَعَارِضِهِ حَتَّى يَفْتِنَ ، لذلك قيل للرائقِ
المُعْجِبِ : هو السَّجَرُ الحلال . يقال : سَحَرْتُ الفِضَّةَ ، إذا طَلَّيْتَهَا بِالذَّهَبِ .

إن قيل : أين مفعولُ قالت ؟ قلت : إنه هنا فى معنى تكلمتُ ، فاستغنى

عن المفعول ، ومثله قولُ عمرَ بنِ أبي ربيعة :

* لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ تَقُلْ فى جوابها^(٢) *

أى لم تتكلم .

(١) فى النسختين : « فإنك لما بك » . التبريزى : « ويروى : قلن له انعم ، على

القلب أى احزن وتوجد من العشق » .

(٢) عجزه : * فتبلغ عذرا والمقالة تعذر *

٦ - فَوَدَّ بِجُدْعِ الْأَنْفِ لَوْ أَنَّ صَحْبَهُ تَنَادَوْا وَقَالُوا فِي الْمُنَاخِ لَهُ نَمِّ

يقول : انصرفَ عنهم وهو يتمنى أن جُدِعَ أنفه في وقت ما هم بالخروج إليهم ، ويمنعه أصحابه من التعرضِ لهم ، وقالوا له : نَمِّ في المُنَاخِ ولا تبرح ، ويجوز أن يكون معناه : ودَّ أن يتركه صحبه ويقولوا له : نَمِّ في المُنَاخِ ولا تتبِعِنَا ، وأن أنفه قطع . والباء من قوله « بجُدْع » هو الذي يُفيد معنى العِوض . تقول : هذا بذاك ، أى عوض من ذلك .

وقوله « تنادوا » يجوز أن يكون معناه تجمَعوا ، من الندى وهو المجلس ؛ ويجوز أن يكون من النداء ، أى تداعوا وقالوا له ذلك .

٥٦٣

وقال آخر^(١) :

١ - نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرَطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ

٢ - فَعَيْنَايَ طَوْرًا تَغْرَقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَأَعْشَى وَحَيْفًا تَحْسِرَانِ فَأُبْصِرُ

يقول : وقفتُ بدارِ الأُحبة فتوهمتُ آياتها ، ثم عرفتُها فتمثل لي مَنْ كان بها ، وتطَرَّى ما كان دارِ يدي وبيدِها ، فاغرورتُ عيناى من الدَّمعِ تحسِرًا وتوجُّعًا ، وبقيتُ إذا نظرتُ إلى الدَّارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ مِنْ وَرَاءِ زُجَاجَةٍ فَلَا أُتَبِّينُ الأَثَارَ ، وإذا انهملتما بما فيهما عُدتُ في صحَّةِ الإدراكِ بهما إلى ما كنتُ عليه من قبل . وقد مرَّ القول في حقيقة النَّظَرِ .

فأما « تحسيران » فيجوز أن يكون من قولهم : حَسَرَ البحرُ ، إذا نَضِبَ

(١) ابن جنى في التنبيه : « وهو أبو حية » . وهذه النسبة أيضا في اللالكى ٢٦٥ وأمالى المرتضى (٢ : ١٠٣) . ونسبت في زهر الآداب (٤ : ٨٢) إلى المجنون . وللبيت الأول قصة في الأغاني (٢١ : ١٠٣) .

الماء عن ساحله ؛ ويجوز أن يكون من حَسَرْتُ القِنَاع ، ويكون على هذا مفعوله محذوفاً . والأوّل أحسن . ومن الثّاني قولهم : امرأةٌ حسنةٌ المَحَاسِر ، كما يقال حسنة المَعَارِي . وتلخيص البيت الأوّل : كَأَنِّي من فَرَطِ الصَّبَابَةِ أَنْظِرُ إِلَى الدَّارِ من وراء زُجَاجَةٍ . والطَّوْرُ : النَّارَةُ . ويقال : النَّاسُ أَطْوَارٌ ، أى على أحوالٍ شَتَّى .

٥٦٤

وقال آخر^(١) :

- ١ - فَمَا شَتْنَا خَرَقَاءَ وَاهِيَةَ الكَلَى سَقَى بهما ساقٍ فَلَمْ يَتَبَلَّلَا^(٢)
٢ - بِأَضِيْعٍ مِنْ عَيْنَيْكَ لِلدَّمْعِ كَلَمًا تَوَهَّمْتَ رَبْعًا أَوْ تَذَكَّرْتَ مَنْزِلًا

الخرقاء : التي لا رِفَقَ لها في الأعمال ولا بَصِيرَةَ . والشَّنَّةُ ، أراد بها هنا الدَّلَوَ الخَلْقَ ، وهى السَّقَاءُ البالى في الأصل . ويقال : لِقَطْرَانِ المَاءِ من الشَّنَّةِ شَيْئًا بعد شيء : الشَّنِينُ ، ثم يُسْتَعْمَلُ في الدَّمْعِ . قال :

* يَا مَنْ لِدَمْعِ دَائِمِ الشَّنِينِ^(٣) *

ولم يرض بأن جعل الدلّو خلقًا حتى جعلها لامرأة لا تحسن عملاً من خرزٍ وغيره ، فكانت تُصَلِّحُهَا ، ثم جعل سَقَى الإبل بها قبل تهللها وانسداد خُرْزِهَا ونُقْبِهَا . فيقول : ما دَلَّوَانِ هذه صفتُهما بأشدَّ إضاعةً للماء من عينيك للدَّمْعِ كلما توهَّمت دارَ الحبيبِ وهى مأهولة ، أو تَذَكَّرْتَ مَنْزِلًا من منازل سفرِها وهى منتجعَةٌ .

(١) هو غيلان ذوالرمة كما في أمالي القتالي (١ : ٢٠٨) وزهر الآداب (٤ : ٨٢) واللسان (١٩ : ١١٦) وملحقات ديوان ذى الرمة ٦٧١ . وانظر مجالس ثعلب ٤١٣ .
(٢) التبريزى : « وما شتتا خرقاء واهيتا الكلى » . ويروى : « ولما تبللا » .
(٣) أنشده في المقائيس (٣ : ١٧٦) واللسان (شنن) .

وقوله « بأضِيعَ مِنْ عَيْنَيْكَ » كان الواجبُ أن يقول : بأشدَّ إضاعةً
للدمع ، فجاء به على حذف الزوائد ، أو على طريقةٍ سبويه في جواز بناء
التمجُّب مما كان على أفعل مما زاد على الثلاثي خاصَّة .

٥٦٥

وقال أبو الشَّيْص (١) :

— وَقَفَ الْهَوَىٰ بِحَيْثُ أَنْتِ فَايْسَ لِي مُتَأَخَّرٌ عَنْهُ وَلَا مُتَقَدِّمٌ
٢— أَجِدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكَ لِذِكْرِكَ فَحُبًّا لِيَوْمِ الْوَمِّ
يقول : حبسنى الهوى فى الموضع الذى تستقرين فيه فلزمته ولا أفارقه ،
فأنا معك مقيمة وظاعنة ، لا أعديلُ عنك ولا أميلُ إلى سواك ، ومن لامنى
فيك أستلذ لومه محبةً لذكرك ، ووجداً باسمك ، فليستمرَّ اللائمون فى أقوالهم ،
ولتدُم عِظاتهم على وإنكارهم ، فإنهم لا يجدون منى اتِّباعاً ولا رُجوعاً ، ولا
ملالاً فى ولا قصورا . وقوله « حُبًّا لذكرك » انتصب لأنه مفعول له ، وبيان
لعله لذته ، بما يجلب على غيره ضجراً ، وهو اللوم .

ومثل هذا قولُ الآخر (٢) :

* وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرَّكْبَ عَهْدُهُمْ عَهْدِي (٣) *

يريد ، أنه يستلذ ذكرها .

وقوله « حيث أنت » خبر المبتدأ وهو أنتِ محذوف ، كأنه قال : حيثُ

(١) اسمه محمد بن عبدالله بن رزين . وأصل معنى الشَّيْص : الردى من التمر . وهو ابن عم
دعبل الشاعر ، كان فى زمن الرشيد معاصراً لأبى نواس ، وعمى فى آخر عمره . وله مرثى فى
عينيه قبل ذهابهما وبعده . توفى سنة ١٩٦ . الأغاني (١٥ : ١٠٤ - ١٠٨) ونكت
الهميان ٢٥٧ - ٢٥٨ والشعراء ٨٢٠ - ٨٢٥ ومعاهد التنصيص (٢ : ١٤٢) .

(٢) هو ابن هرم الكلابى ، كما سياتى فى المقتوعة ٥٨٨ .

(٣) صدره : * وأستخبر الأخبار من نحو أرضها *

أنت واقفة ، لأن « حيث » في الأمكنة بمنزلة حين في الأزمنة ، في حاجته إلى جملتين ، والمتأخر والمتقدم بمنزلة التأخر والتقدم ، فهما مصدران .

٣- أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ صار حظي منك حظي منهم (١)
٤- وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً مامن يهون عليك ممن أكرم (٢)

يقول : وافقت في مواصلي أعدائي أخذاً فيما أكرهه وأنسخطه ، وذهاباً عما أحبُّه وأرضاه ، ولأن حظي منك فيما أرومهُ مماثل حظي من أعدائي فيما أسومهم فأشرب قلبي حبهم ، وانصب إلى جانبهم الميل معهم لمساهبتك لهم ، ومماثلة فعالك لفعالهم ، وأذلتني فأذلت نفسي على صغر مني ، اقتداءً بك ، ومجانبة للخلاف عليك ، ولأنني لا أرى كرامة من ترين هوانه ، ولا إرضاء من ترين إسخاطه . وانتصب « صاغراً » على الحال من أهنت . وقوله « ممن أكرم » العائد إلى الموصول محذوف ، كأنه قال : ممن أكرمهم . وقوله « حظي منهم » يريد به التشبيه ، كأنه قال : كحظي منهم ، ومنك في موضع الحال ، وكذلك منهم .

٥٦٦

وقال آخر :

١- ولا غرو إلا ما يُخبر سالم بأن بني أستاذها نذروا دمي (٣)
٢- ومالي من ذنب إليهم علمته سوى أنني قد قلت ياسرحة أسلمي
٣- نعم فأسلمي ثم أسلمي ثممت أسلمي ثلاث تحيات وإن لم تكلمني

(١) ل والتبريزي : « إذ كان حظي » .

(٢) في الأصل : « يا من يهون عليك » ، صوابه من ل والتبريزي . و « ما » في قوله

« ما من » هي النافية .

(٣) هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « لا غرو » بالحرم

معنى « لاغَرَوْ » لا عَجَب ، وخبر لا محذوف ، كأنه قال : لاغَرَوْ في الدنيا ، أو موجود . وموضع « ما يُخَبِّر » رفعٌ على أنه بدل من موضع لاغَرَوْ . وإنما قال « بنى أستاذها » لأنه يريد أنهم مخرؤون لا مولودون . فيقول متهازفاً^(١) : لا عَجَب إلا ما يُخَبِّرُ به سالمٌ ، بأن سَقَطَها والدين لا عَمُولَ لهم فيها ، قالوا : لله علينا سَنَكُ دَمِهِ . ثم قال : هذا اعتقادهم وأقوالهم ؛ ولا جنابة لى عليهم ، ولا ذَنْبٌ مِنِّي أهتدى إليه فيهم سوى قولى : يا سَرْحَةُ أدامَ اللهُ لكِ السلامة — وكان جعل « سرحة » ، [وهى شجرة^(٢)] ، كنايةً عن امرأة فيهم — نعمٌ قد قلتُ وأقوله مكرراً : أسلمى أسلمى . يُغايِظُهُم ويُناكِدُهُم بهذا المقال .

وقوله « سوى أننى » موضعه من الإعراب استثناءً خارج . و« ياسرحة » إذا ضمته فالضمة الأصل في استعمال المنادى المفرد للمعرفة ، وإذا فتحة فلاعتيادهم الترخيم في مناداته ما في آخره هاء التأنيث ، أتموه ونووا الترخيم فجعلوا حركته حركة المرخيم منه . وهى الفتحة .

وقوله « نعم » وإن كان فى الأصل حرفاً يُوجِبُ به ويُجابُ فى الاستفهام المحض فقد يُتَوَصَّلُ به إلى بسط الكلام وصلته . وقوله « ثلاث تحيات » انتصب على المصدر من فعلٍ دلَّ عليه قوله أسلمى ، كأنه قال : أحيى ثلاث تحياتٍ ، وإن لم ترجى الجواب إلى . والسرحُ من العضاه ، ويكون دَوْحُه مَحَلًّا يَحُلُّ الناس تحتها فى الصَّيف . وقال الفراء : كلُّ شجرةٍ لاشوكٍ فيها فهى سَرْحَةٌ ، ذهب إلى السرح ، وهو السهل .

وقال ابن هرمة وكنى بها عن امرأة :

سَقَى السَّرْحَةَ لِلْمِحْلَالِ دُونَ سُوَيْبَةَ نَجَبَاهُ الثُّرَيَّا مَرَامِنًا هُطُولُهَا

(١) التهافت : التضاحك ، والضحك بالسخرية . وفى الأصل : « متهازفاً » تحريف .

(٢) التكلة من ل .

وقد تسمى المرأة « سَرَحة » .

٥٦٧

وقال خليلدُ مولى العباسِ بن محمد^(١) :

- ١ - أَمَا وَالرَّاقِصَاتُ بَذَاتِ عِرْقِي وَمَنْ صَلَّى بِنَعْمَانِ الْأَرَاكِ
 - ٢ - لَقَدْ أَضْمَرْتُ حُبِّكَ فِي فُؤَادِي وَمَا أَضْمَرْتُ حُبًّا مِنْ سِوَاكِ
 - ٣ - أُرَيْتِ الْأَمْرِيكَ بِضُرْمِ حَبْلِي مُرِيهِمْ فِي أَحْبَبْتِهِمْ بِذَلِكَ^(٢)
 - ٤ - فَإِنْ هُمْ طَاوَعُوكَ فَطَاوَعِيهِمْ وَإِنْ عَاصُوكَ فَاعْصِي مَنْ عَاصَاكَ
- أقسمَ بالحجيجِ وبرواحلمهم التي ترقص بهم في السير متوجهين بوادى عرفة وذاتِ عِرْقِ إلى بيتِ الله عزَّ وجلَّ . وأضافَ نَعْمَانَ إلى الأراكِ لكثرتها بها . وجواب اليمين قوله « لقد أضمرتُ حُبِّكَ » . والمعنى أنه أقسمَ أنَّ وُدَّهُ لها مكتومٌ انطوى عليه قلبه ، وخالصٌ فيها قد أكنه ضميره لا يُشاركها فيه عدل ، ولا يُجاذبها بسببه قسيمٌ ، وإنما يتحمَّدُ عليها بحفظِ السَّرَارِ ، وتخليصِ العقيدة ، وشغلِ القلبِ والعقلِ بمِارةِ الهوى لها . ثم أقبل عليها فقال مخاطبها : أعلتِ الذين يُشيرون عليك بقطيعتى والتنكُّرِ لى ، وجدُّ الأسبابِ والمواثيقِ بينى وبينك ؟ كُرى عليهم مستدرجةٌ لهم ، وعاجمةٌ تنصُّحهم ، وأمرهم في أحببتهم بمثل ما أمروك في ، فإن وجدتهم سامعين لك ، وصائرين إلى القبول منك ، فخذى أنتِ أيضاً مأخذهم ، والتزى طاعتهم . وإن وجدتهم متأبئين عليك مخالفين لك ، فأعصى من عصاك ، ودعى الاستنامة إلى رأى من لا يرى لك

(١) التبريزى : « مولى العباس بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس » .

(٢) ل والتبريزى : « أطمت الأمرىك » .

مثل ما يراه لنفسه . وكان الواجبُ في قضيّة سِياق الكلام أن يقول : وإن عاصوكِ فعاصيهم ؛ فعَدَل عن الإتيان بالضمير إلى ذكر الظاهر ، ليبيّن فيه ما يُشْتَع به عليهم ، وليُظهِر السَّبَبَ المُوجِبَ للإغراء بهم ، والانصرافِ عن رأيهم . ولو قال : فاعصيهم لم يَبين ذلك فيه .

وقوله « أَرَيْتِ » أصله أَرَأَيْتِ ، حذفَ الهمزة منه حذفًا كما حُذِفَ في بَرَى ، وترى ، ونرى .

٥٦٨

وقال أبو القمقام الأسدي :

— إقرأ على الوشَلِ السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ كُلُّ الْمَشَارِبِ مُذْ هُجِرَتْ ذَمِيمٌ^(١)
 ٢ — سَقِيًا لِظِلِّكَ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى وَابْرَدِ مَائِكَ وَالْمِيَاهُ حَمِيمٌ
 ٣ — لَوْ كُنْتُ أُمَّلِكَ مُنْعَ مَائِكَ لَمْ يَذُقْ مَا فِي قِلَاتِكَ مَا حَيَّيْتُ لَيْثِيمٌ
 الوشَلُ هاهنا : ماء معروف في أرضٍ محبوبه . وقال الدُّرْبَدِيُّ : الوشَلُ : موضعٌ معروفٌ بعينه . والوشَلُ : الماء القليلُ يترقرقُ على وجه الأرض . وقال صاحبُ العين : الوشَلُ مُحَرَّكٌ : الماء القليلُ يتحلَّبُ من صَخْرَةٍ أو جبلٍ ، يقطرُ منه قليلاً قليلاً . والواشَلُ : القاطر ، يقال : جَبَلٌ وَشِلٌ : يقطرُ منه الماء . والشاعرُ أهدى إليه التَّحِيمةَ ، وراسَلَهُ أنَّ الْمَشَارِبَ كُلَّهَا مَذْمُومَةٌ عِنْدَهُ مِنْذُ تَحْوَلَ عَنْهُ وَتَرَكَ وَرُودَهُ . ثم دَعَا لِظَلِّهِ بِالسَّقِيَا فَقَالَ : سَقِيًا لِظِلِّكَ بِالْعَشِيِّ وَبِالضُّحَى . والظلُّ يكونُ للشَّجَرَةِ وَغَيْرِهَا بِالْعِدَاةِ ، وَالنِّفْيُ بِالْعَشِيِّ ، فَكَانَ فِي الْوَأَجِبِ أَنْ

(١) ياقوت : « اجوهري : وشل اسم جبل عظيم بناحية تهامة » . وأنشد ياقوت بين

هذا البيت وتاليه :

جبل يزيد على الجبال إذا بدا بين الرباع والجثوم مقيم
 تسرى الصبا فتبتت في أكنافه وبيت فيه من الجنوب نسيم

يقول : سَقِيًّا لظَلِّكَ بِالغَدَاةِ ، وَلفَيْئِكَ بِالعَشِيِّ . أَلَا تَرَى قَوْلَ الْآخِرِ (١) :
 فَلَا الظَّلَّ مِنْ بَرْدِ الضُّحَى نَسْتطِيعُهُ وَلَا النَّيَّ مِنْ بَرْدِ العَشِيِّ نَذُوقُ (٢)
 إِلَّا أَنَّهُ سَمِيَ النَّيَّ ظِلًّا لِتَشَابُهُمَا فِي مَنَظَرِ العَيْنِ وَالغَنَاءِ (٣) . فَلَمَّا تَسَاوَايَا
 وَأَجْرَى عَلَيْهِمَا مَعًا لَفْظَةَ الظَّلِّ ، وَكَانَ الوَاوُ يَفِيدُ الجَمْعَ مِنْ دُونَ التَّرْتِيبِ - لَمْ
 يُبَالِ أَنْ يَقُولَ بِالعَشِيِّ وَبِالضُّحَى ، فَيُقَدِّمُ بِالعَشِيِّ ، وَإِنْ كَانَ الظَّلُّ أَلْتِيقَ بِأَنْ
 يَلِيقَ بِالضُّحَى لَوْ جُرِّدَ . وَلَمْ يُشْبِهْ هَذَا قَوْلَ القَائِلِ : فَلَانَ أشْعَرُ الجِنِّ وَالإِنْسِ ،
 لِتَرْكِهَ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ المَعْطُوفِ وَالْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ طَلَبَ المَطَابَقَةِ وَالمُوَافَقَةِ . أَلَا تَرَى
 أَنَّ الوَجْهَ فِي هَذَا أَنْ يَقَالَ : فَلَانَ أشْعَرُ الإِنْسِ وَالجِنِّ لِيَصِحَّ لَفْظُ الأوَّلِ ،
 وَيُضَافُ أشْعَرُ إِلَى مَا هُوَ بَعْضُهُ ثُمَّ يَجِيءُ الثَّانِي ؛ وَأَنَّ قَوْلَكَ : سَقِيًّا لظَلِّكَ وَقَدْ
 نَوَيْتَ إِجْرَاءَ الظَّلِّ لِلنَّيِّ أَيْضًا صَارَ حَكْمُهُ حَكْمَ اللَّفْظَةِ المَوْضُوعَةِ لِشَيْئَيْنِ ، فَإِذَا
 كَانَ كَذَلِكَ فَأَيْهِمَا أَوْلَايَتُهُ مِنَ العَشِيِّ وَالضُّحَى فَقَدْ وَقَعَ إِلَى جَنْبِ
 مَا يَطَابِقُهُ وَيُوَافِقُهُ .

فَإِنْ قِيلَ : لَوْ سَلَّمْتُ لَكَ مَا نَقُولُهُ وَتَدَّعَيْهِ مِنَ الاستِعَارَةِ لَمَّا سَلِمَ الكَلَامُ المُنْتَزَعُ
 مِنْ أَنَّهُ جَاءَ عَلَى غَيْرِ حَدِّهِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الظَّلَّ يَكُونُ فِي الضُّحَى حَقِيقَةً وَفِي العَشِيِّ
 مَجَازًا ، وَإِجْرَاءُ الكَلَامِ عَلَى حَدِّهِ أَنْ يُقَدَّمَ مَا يَكُونُ حَقِيقَةً عَلَى المَجَازِ . قُلْتَ :
 إِنَّ الظَّلَّ فِيهَا حَكَاهُ الخَلِيلُ ضِدُّ الضُّحَى ، وَيُقَالُ : أَفَاءَ الظَّلُّ وَتَفَيًّا . وَفِي القُرْآنِ :
 ﴿ يَتَفَيًّا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ ﴾ (٤) ، فَهُوَ ظِلٌّ قَبْلَ التَّفَيُّوِّ وَبَعْدَهُ ،

(١) هُوَ حَمِيدُ بَنِ ثَوْرٍ . دِيوَانُهُ ٤٠ .

(٢) يَرُوى : « تَسْتطِيعُهُ » وَ « تَذُوقُ » بِالتَّاءِ فِيهِمَا ، عَلَى التَّجْرِيدِ . وَقَبْلَهُ :

حَمَى ظِلُّهَا شَكَمَ الخَلِيقَةَ خَائِفٍ عَلَيْهَا مُعْرَامُ الطَّائِفِينَ شَفُوقِ

(٣) الأَصْلُ : « الفَنَاءُ » ، صَوَابُهُ فِي ل . وَالغَنَاءُ ، بِالفَتْحِ : الفَائِدَةُ وَالتَّنْفِيعُ وَالكِفَايَةُ .

(٤) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَيَعْتَمُوبُ وَالبِزْيَدِيُّ : « تَتَفَيًّا ظِلَالُهُ » ، وَبَاقِي القُرَّاءِ : « يَتَفَيًّا » ،

بِالتَّذْكِيرِ ، لِأَنَّ تَأْنِيثَهُ مَجَازِي . إِتْحَافُ فَضْلَاهُ البَشَرِ . ٢٧٨ فِي سُورَةِ النَّحْلِ .

وإنما نسخه للشمس هو الذي صار به فَيَمًا ، وإذا كان كذلك لم يكن من باب ما يكون حقيقة في شيء ، ومجازاً في آخر . وهذا بين .

وقوله « والياه حميم » فالواو فيه الابتداء ، وهو واو الحال .

وقوله « لو كنت أملك منع مائك » جواب لو « هو قوله « لم يدق » . وهذا الكلام فيه إظهار الضمان بالماء المذكور ، واستمراره في الحسد إلى كل حد معلوم بسببه ، حتى كان بزعمه يمنع عنه اللئام مدة حياته ، ويعنى به أربابه فيما أظنه ، لأنهم أعداؤه . والقلات : جمع القلت ، وهي حفرة في الجبل يستنقع فيها ماء المطر .

٥٦٩

وقال ابن الدمينة^(١)

وقد كتب بها إلى أمانة^(٢) :

- ١ - وأنت التي كلفتنى دأج الشرى وجون القطا بالجلهتين جثوم
- ٢ - وأنت التي قطعت قلبي حزازة وقرفت قرح القاب وهو كليم^(٣)
- ٣ - وأنت التي أخفقت قومي فكلهم بعيد الرضا داني الصدود كظيم^(٤)

قوله « دأج الشرى » ، فالشرى : سير الليل ، والدأج : السير في بعض الليل . ويقال : سار دُلجَة ، أي ساعة من أول الليل ، فلذلك أضاف الدأج إلى الشرى ، فجري مجرى إضافة البعض إلى الكل . والشاعر يعدد عليها ما ناله

(١) سبقت ترجمته في الحماسة ٤٥٦ ص ١٢٢٣ . والشعر في ديوانه ٣٦ - ٣٧

والحيوان (٣ : ٥٥) والأغانى (١٥ : ١٤٨) ومعاهد التنصيص (١ : ٥٨) .

(٢) هذه العبارة لم يذكرها التبريزي .

(٣) يروى : « وقرحت » . و « فهو كليم » .

(٤) الحيوان : « أسخطت قومي » .

حَالاً بعد حالٍ من ضُروبِ المَشَفَّاتِ والمَتَأَلِّفِ فيها ، فيقول : تَحَمَّلْتُ فَيْكَ كُلَّ عَظِيمَةٍ وَبَلِيَّةٍ ، فَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتِنِي الشَّرَّيَ وَالسَّيْرَ ، وَرَكُوبَ انْخَطَارِ اللَّيْلِ وَالطَّيُورِ سَاكِنَةَ فِي عَيْشَتِهَا^(١) لَمْ تَبْرَحِ ، وَأَنْتِ الَّتِي قَطَّعْتِ جَوَانِحِي ، وَعَدَّعْتِ جَوَانِبَ كِبْدِي حَزَازَةً بِدَوَامِ تَمَنُّعِكَ وَتَشَدُّدِكَ ، وَاتَّصَالَ جَفَانِكَ وَأَطْرَاحِكَ — وَالْحَزَازَةُ : وَجَعٌ فِي الْقَلْبِ — فَفَكَاتِ الْكَلِمَ مِنْ قَلْبِي قَبْلَ انْدِمَالِهِ ، وَقَشَّرْتَ جُلْبَتَهُ عِنْدَ صِلَاحِهِ وَالتَّمَامِهِ ، فَأَرَاهُ أَبَدًا دَائِمِي الظَّاهِرِ فَاسِدَ الْبَاطِنِ ؛ وَأَنْتِ الَّتِي أَغْضَبْتِ عَلَيَّ مَعْشَرِي ، وَأَفْسَدْتَ عَلَيَّ رَهْطِي وَأَعَزَّنِي ، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِذَا خَبِرَ وَاسْتُكْشِفَ بَعِيدُ الرِّضَا عَنِّي ، قَرِيبُ الْهَجْرَانِ لِي ، مَمْتَلِي الصَّدْرِ مِنْ بُغْضِي ، يَكْظِمُ غَيْظَهُ تَجْمُلًا ، وَيُسِرُّ نُكْرَهُ تَصَبُّرًا .

وقوله « جُونُ الْقَطَا » ، جمع جُونِيَّة . قال :

* جُونِيَّةٌ كَحِصَاةِ الْقَسَمِ *

وهذا كما يقال عَرَبِيٌّ وَعَرَبٌ ، وهذا الجمع كالجمع الذي ليس بينه وبين واحده في اللفظ إلا طرح الماء نحو تَمْرَةٌ وَتَمْرٌ وما أشبهه . وَجُؤُومٌ : جمع جَائِمٍ . وَجَمُّ الطَّائِرُ ، إِذَا أَلْصَقَ صَدْرَهُ بِالْأَرْضِ ، وَيَسْتَعْمَلُ فِي السَّبْعِ وَغَيْرِهِ ، وَمِنْهُ الْجُبْمَانُ لِحِمِّ الْإِنْسَانِ . وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : الْجُبْمَانُ الشَّخْصُ ، وَالْجُبْمَانُ الْجِسْمُ . وَالْجَلْمَةُ : مَا اسْتَقْبَلَكَ مِنَ الْوَادِي . وَمَعْنَى قَرَفَتْ : قَشَّرَتْ وَلَمْ يَكُنْ رَأً . وَيُقَالُ : كَظَمَ غَيْظَهُ ، إِذَا جَرَّعَهُ . وَكَظَمَ الْبَعِيرُ جِرَّتَهُ ، إِذَا ابْتَلَعَهَا . وَالْكَظْمُ^(٢) : مَخْرَجُ النَّفْسِ . وَيُقَالُ لِلْحَزُونِ : إِنَّهُ لَمَكْظُومٌ وَكَظِيمٌ .

(١) جمع عش ، ومثله عشوش وأعشاش . وفي الأصل : « عششها » .

(٢) بالتحريك ، وجمعه أكظام ، ومنه حديث النخعي : « له التوبة ما لم يؤخذ بكظمه »

لأى عند خروج نفسه ، وانقطاع نفسه .

٥٧٠

فأجابته أمامة^(١) :

١- وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني وأسمت بي من كان فيك يلوم
 ٢- وأبرزتني للناس ثم تركتني لهم غرضاً أرمى وأنت سليم
 ٣- فلأن قولاً يكلم الجسم قد بدا بجسعي من قول الوشاة كلوم
 أخذت تقابله بمثل الذي ابتدأها ، وتعددت من جنائياته عليها كفاء ما عدده
 وعصب به رأسها ، فقالت : إن ما ارتكبته مني أشنع ، وما خملته وقتاً بعد
 وقت أظلم ، لأنك الذي نكثت عهدى ، ونقضت مواعيدى ، وأسمت بي
 كل ناصح فيك ، وصدقت مقال كل لأثم بسببك ، فظنوني بك مكذبة ،
 وظنون النصح واللؤام مصدقة ؛ ثم جعلتني مضغة في أفواه الناس ، وأكلة
 لجامعهم ، يتملأون بحديثي ، ويتبأغون عند أعدائي بقصتي ، فقد صررت
 كالغرض المنصوب لكل قرح مبري ، والعلم المقصود لكل مشاء بنهم ،
 يغري بي من كان لي سماً ، ويرق لي من آل لي حرباً ، وأنت سليم من
 المكاره ، بعيد عن المتاعب ، تعزك بحببك ما يمثنى ، وتتقى بقله الاكتر
 ما ينضجني ؛ لأن نار الوشاية اعتمادها بالإحراق في النساء أبلغ منه في الرجال ،
 وعار الشناعة الصق بجوانبهن منه بجوانب أمثالك ، فلأن كلاماً كالم جينماً
 لبدت بجسمي ندوب ومنافذ وجروح بأنياب المغتابين ، ونبال الرماة المرصدين .
 وقد عدل في هذه الأبيات وفيما تقدمها في صلوات الذي والتي عن الإخبار

(١) التبريزي : « على وزنها وروبوها » . وفي الأغاني « أميمة » ، وأنها التي قالت هذا
 الشعر في بادئ الأمر ثم أجابها هو بلمتطوعة السابقة ، ثم تزوجها بعد ذلك وقتل وهي عده .
 والشعر في المراجع المتقدمة والبيان (٣ : ٣٧٠) .

إلى الخطاب ، وقد مضى القولُ في جوازه مشروحاً^(١) ، وبيدنا كيف ساغ تعرّي .
الصّلة من الضمير العائد إلى الموصول .

٥٧١

وقال المعلوط الأسدي^(٢) :

- ١ - إنَّ الظَّمائنَ يومَ حَزَمِ سُوَيْبَةَ أَبْكَينَ عِنْدَ فِرَاقِهِنَّ عِيُونًا^(٣) ،
 - ٢ - غَيَّضَنَّ مِنَ عِبْرَاتِهِنَّ وَقَانَ لِي مَاذَا لَقِيَتْ مِنَ الْهَوَى وَلَقِينَا^(٤) ،
 - ٣ - بَلْ لَوْ يُسَاعِدُنَا الْغَيُورُ بَدَارِهِ يَوْمًا لَقَدْ مَاتَ الْهَوَى وَحَيِينَا^(٥) .
- الظّمينّة : المرأة ، لأنها تطعن إذا ظعن زوجها ، أي تشخص . وقيل :
الظّمينّة : الجمل لذي تركبه ، سمّيت به كما قيل لهزادة راوية . والحزم : ما غُظ
من الأرض . وإنما وصفَ حالهنَّ عند التوديع ووقت الفراق ، فيقول : إنهنَّ
بكين وأبكين ، وبجهدٍ منهن كففن الدموع ، وخفّضن ما علا من الشّيج ،
ثم قلن متحسّرات : أي شيء لقيت أنت وقاسيت من أحداث الهوى وأسبابه ،
وقاسينا نحن ، ولو ساعدنا الغيور ودانانا بداره يوماً لقضينا من أوطارنا ما نحيا به .
نفوسنا وقلوبنا ، ويموت له كلفنا وهو انا .

(١) انظر ما مضى في ص ١١٥ ، ٢٩٧ ، ٤٠٧ ، ٦١١ ، ٦٤٢ .

(٢) التبريزي : « المعلوط بن بدل السعدي » ، وهو الصواب . والمعلوط بن بدل القريني
ثم السعدي شاعر إسلامي ، كما في اللالي ٤٣٤ . ويروي أبو الفرج في الأغاني (١٥ : ٦٥)
وابن قتيبة في الشعراء ١٢ أن جريراً سطا على بيتي المعلوط وأدخلهما في شعره . ورويا الأول :
إن الذي غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك ما يزال معيننا

(٣) التبريزي : « يوم جو سريقة » .

(٤) في الأغاني عن عبد المطلب بن عبد العزيز قال : أنشدت أبا السائب قول جرير هذا :
فقال : يا ابن أخي ، أتدرى ما التغييض ؟ قلت : لا . قال : هكذا . وأشار بإصبعه إلى جفنته
كأنه يأخذ الدمع ثم ينضجه .

(٥) التبريزي : « بل يساعفنا » ، و « بدارة » .

وَذِكْرُ مَوْتِ الْهَوَى كَمَا قَالَ الْآخِر :

فَمَا أُلْتَقَى الْحَيَّانِ أُتِيتِ الْعَصَا وَمَاتَ الْهَوَى لَمَّا أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ
 وَقَوْلُهُ « غَيِّضَنَ » أَيْ قَلَّانَ . وَيُقَالُ : هَذَا مِنْ ذَاكَ غَيِّضٌ مِنْ فَيِّضٍ ،
 أَيْ قَلِيلٌ مِنْ كَثِيرٍ . وَالْمَعْنَى مَسَّحَنَهُ بِأَصَابِعِهِنَّ تَسْتُرًا .

وَأَخَذَ ذُو الرُّثْمَةِ هَذَا فَقَالَ :

وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا جَرَّتْ مِنْ عُيُونِنَا دُوعٌ وَزَعْنَا غَرْبَهَا بِالْأَصَابِعِ
 وَنَلْنَا سِقَاطًا^(١) مِنْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ جَنَى النَّحْلِ مَمْرُوجًا بِمَاءِ الْوَقَائِعِ

وَمَعْنَى « يَسَاعِفْنَا الْغَيُورُ بَدَارِهِ » يَقَارِبُنَا بِمَجَلِّهِ . وَالْإِسْعَافُ : قِضَاءُ الْحَاجَةِ
 وَإِدْنَائُهَا . وَلِئِنْ أَنْ تَجْمَلَ « مَاذَا » بِمِرْلَةٍ اسْمٍ وَاحِدٍ ، فَيَنْتَصِبُ بِلَقِيمَتِهِ : وَلِئِنْ
 أَنْ تَجْمَلَ ذَا بَعْنَى الْقَدَى ، وَيَكُونُ ضَمِيرُهُ الْعَائِدُ مِنَ الصَّلَةِ مَحذُوفًا ، كَأَنَّهُ قَالَ :
 لَقِيمَتَهُ وَلَقِيمَاهُ .

٥٧٢

وقال جميل^(٢) :

١- وَمَاذَا عَسَى الْوَاشُونَ أَنْ يَتَحَدَّثُوا سِوَى أَنْ يَقُولُوا إِنِّي لَكِ وَأَمِقُ^(٣)
 ٢- نَعَمْ صَدَقَ الْوَاشُونَ أَنْتِ كَرِيمَةٌ عَلَيْنَا وَإِنْ لَمْ تَصْفُ مِنْكِ الْخِلَاقُ^(٤)
 مَاذَا فِي مَوْضِعِ الْمَبْتَدِئِ ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَيُّ حَدِيثِ عَسَى الْوَاشُونَ يَتَحَدَّثُونَ
 سِوَى قَوْلِهِمْ : إِنِّي لَكِ مُحِبٌّ . فَهُوَ كَقَوْلِكَ : أَيُّ ضَرْبٍ عَسَى زَيْدٌ أَنْ يَضْرِبَهُ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَبَقْنَا سِقَاطًا » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٢) صَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْخَمَاسِيَةِ ١٠١ ص ٣١٤ .

(٣) التَّبْرِيْزِيُّ : « عَاشِقٌ » .

(٤) التَّبْرِيْزِيُّ : « أَنْتِ حَبِيْبَةٌ إِلَى » .

وسبيله سبيل المصدر والمضاف إلى المصدر إذا ابتدئ بهما . ولا يجوز أن ينتصب
 بيتحدثوا ، لأنه في صلة أن ، فلا يعمل فيما قبل الموصوف ، ولا يجوز أن يكون
 ذا منه بمنزلة الذي ، لأن عسى لا يصلح لكونه غير واجب أن يقع صلة له ،
 وكذلك أخوات عسى . ألا ترى أن الاستفهام والنفي وأخواتهما لا يقعن
 صلوات ، إذ كانت الصلوات إنما تكون من الجمل الخبرية الواجبة والمعنى أنهم
 لا يقدرّون في وشايتهم على أكثر من قطع القول بأنني لك محبٌّ وعاشق .
 ثم أوجب بنعم فقال : قد صدقوا فيما ادعوا ولتقوا ، أنت تَكْرُمِين علينا وإن
 لم يعد علينا منك خير ، ولا صادفنا من إحسانك صفاءً ولين . كأنه يُبرئ
 صاحبها ، ويرى أن ميله وهواه لا يشبهها مع سلامة طريقتها ، واستحكام عفافها .

٥٧٣

وقال آخر :^(١)

- ١ - وإذا عتبت عليّ بث كآنتي بالليل مُحتلسُ الرُفَادِ سَلِيمُ
 ٢ - ولقد أردت الصبرَ عنك فمآقني علقَ بقلبي من هوائك قديمُ
 ٣ - يَبْقَى على حدّث الزمانِ وربّيه وعلى جفائك إنّه لأكريمُ

يقول : اليسيرُ من إنكارك ولؤمك يعظمُ عندي ويضعُ عليّ ، حتى
 أبقى له ليلتي ساهراً مؤرقاً ، وسادماً قلقاً ، كأنني لديغُ حية ، أو مُسلمٌ لعارضِ
 علة . ولقد رمتُ التسلّيَ عنك ، والتصبرُ منك ، فدفعني عن المراد ما علقَ بقلبي
 من هوائك قديماً وملاك قيادي لك ، حتى لا أجدُ دونك منصرفاً ومجيباً . ثم
 وصّف العلقَ اللازم له ، والحبّ الغالب عليه فقال : إنه يبقى على تمير الزمان ،

(١) التبريزي : « قال أبو ريش : هي لابن الدمينة » .

وتلوّن الحَدَثَانِ ، فلا يَغْرِضُ له فَتُورٌ ولا نِكُوصٌ ؛ وعلى ما يتجدّد عليه في كل حال من جفاء فيك شديد ، وإعراض الأيم ، فلا يُبدّلُه قُصورٌ ولا نُبوٌ ؛ إنَّ هذا العَلَقَ لِكريمِ المَحْتَدِ ، مُحْكَمِ العَقْدِ ، ثابتِ الأساسِ والبِناءِ ، مقدّمِ الذِّكرِ في صُحُفِ الوِدادِ والصفاءِ .

وهذا الكلام ، أعنى قوله « إنه لكريم » يسمّى الالتفات .

٥٧٤

وقال آخر^(١) :

- ١ - أَلِيمٌ عَلَى دِمَنِ تَقَادَمَ عَهْدُهَا بِالْجِزْعِ وَاسْتَلَبَ الزَّمَانُ جَمَالَهَا
- ٢ - رَسْمٌ لِقَاتِلَةِ الْغَرَائِقِ مَا بِهِ إِلَّا الْوُحُوشُ خَلَّتْ لَهُ وَخَلَا لَهَا
- ٣ - ظَلَّتْ تُسْأَلُ بِالْمَتِّمِ أَهْلُهُ وَهِيَ الَّتِي فَعَلَتْ بِهِ أفعالَهَا

الإمام : الزيارة الخفيفة . يُخاطَبُ صاحبًا له ويسأله مساعذته في زيارة دار أحبّته ، فقال : زر آثار دار متقدمة العهد بسكانها ، مسلوية الجمل لتأثير نوائب الزمان فيها ، بالجزع - وهو منعطف الوادي . وروى بعضهم : « جلا لها » ، ويكره هذا لما حكاه الأصمعي من أنه لا يقال الجلال إلا في الله تعالى ، ولأنه وإن جاء في غيره عز وجل فهو قليل في العرف والاستعمال .

وقوله « رسم لقاتلة الغرائق » ابتداء كلام ، أي هو رسم دار لامرأة كانت تصيد الغرائق وتقتلهم بالحرب . والغرائق : الشاب الفاعم الحسن ، بضم

(١) التبريزي : « قال أبو رياش : هي لعمرو بن الأيهم ، وقيل الأصم » . وعمرو بن الأيهم بن أفلت التغلبي شاعر نصراني إسلامي ، ويقال إن اسمه « عمير » . وقيل للأخطل وهو يموت : على من تخلف قومك ؟ قال علي العميرين . يريد القطامي عمير بن شميم ، وعمير بن الأيهم . اللالي* ١٨٤ .

الذين ، وجمعه الغرائق بفتحها ومثلها العراعر^(١) ، والجوالق والجوالق .
وقد استبدلت بأهلها وحوشاً فهي خالية لها ، وهي راتمة فيها ، لا تفدل عنها .
وقوله « ظلت تسائل » أي تبقى نهارها تسأل عشيرة العاشق عنه وعن
استهتاره وعلته ، وهي أعرف الناس بأخباره ، إذ كانت المتوالية لفنتته وخباله .
والمتميم : المعبد^(٢) ؛ يقال : تيمه الحب ، أي عبده واستعبده . وقوله « خلت له »
في موضع الصفة للرسم .

٥٧٥

وقال آخر :

١- وما برح الواشون حتى أرتموا بنا وحتي قلوب عن قلوب صوادف
٢- وحتى رأينا أحسن الوصل بيننا مساكنة لا يعرف الشر قارف
قد تقدم القول في « ما برح » وأنه في معنى ما زال . فيقول : لم ينفك
الشعاع عن الوشاية والتقاط الأحاديث للنميمة ، واستدراج الخنلطين بنا ،
واستشفاف المتبلغين بأخبارنا وأخبار غيرنا ، حتى فرقوا بيننا ، فأقبلوا يرمي
بعضها^(٣) بعضاً بمصائر أمورنا ، وحتى صدفت القلوب ، فقال كل من عشرتنا إلى
الاستبدال بموضعه ، والانتقال عن جوار صاحبه ، وإلى أن رأينا أحسن المواصلة
بيننا ملازمة السكوت ، وأطراح الإيحاء والرؤوس ، توقيماً من فرقة تتوجه ،
وتفادياً من شهمة تتسلط . هذا إذا رويت « لا يعرف » بضم الفاء . ويروى
« لا يعرف » بكسر الفاء ، ويكون في موضع الجزم جواباً للأمر الذي يدل
عليه قوله مساكنة ، لأنه في هذا الوجه مصدر في معنى الأمر . والجملة في موضع

(١) العراعر : بضم العين الأولى : السيد ، والجمع عراعر ، بالفتح .

(٢) ل : « المتعبد » .

(٣) هذا ما في ل : وفي الأصل : « بعضنا » تحريف .

النَّصْبِ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَفْعُولًا ثَانِيًا لِقَوْلِهِ رَأَيْنَا . وَالْمَسَاكِينُ لَا تَكُونُ مُوَاصَلَةً
تُجْمَلُ بِدَلَالَةٍ مِنْهَا . وَيَكُونُ هَذَا مِثْلَ قَوْلِ الْآخِرِ (١) :

* تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ (٢) *

ويكون المعنى : رأينا أحسن المواصلة بيننا وتواصينا بأن ساكتوا الأحبة
ومن يختلف بيننا وبينهم ، لا يعرف الشرَّ قارفه . وفي الوجه الأوَّل يكون
مسالكته مفعولا ثانيا . والمعنى سُكوتًا من الجانبين ، أى كفافًا لا يتولد منه
قرف ولا تهمة ، ويكون قوله « لا يعرف الشرَّ » تفسيراً للمساكته ، وبياناً
لاختيارهم لها . ويروى « صوارفٌ » بالراء ، والمعنى قلوبٌ تصرف الودَّ بما
تأتبه وتستعمله عن القلوب الأخر .

٥٧٦

وقال آخر :

٧ - فإن ترجع الأيأمُ بيني وبينها بذي الأثلِ صيفاً مثل صيفي ومرّبعي

٣ - أشدُّ بأعناقِ النَّوى بعد هذه مسائر إن جاذبتها لم تقطع

« رَجَع » هذا مُعَدَّى ، لأنه بمعنى رَدَّ . يقال : رَجَعْتُهُ رَجْعًا فَرَجَعَ
رُجوعاً . و « صيفاً » انتصب على المفعول من قوله « ترجع » . وكان الواجبُ
أن يقول : صيفاً ومرّبعاً مثل صيفي ومرّبعي ، أو يقول : بذي الأثلِ صيفي
ومرّبعي ، أى أيّاماً كأَيّامها ، فلمَّا لم يلتبس المرادُ قال : صيفاً مثل صيفي
ومرّبعي .

(١) هو عمرو بن معديكرب . الخزانة (٣٤ : ٥٣) .

(٢) صدره : * وخيل قد دلفت لها بخيل *

وقوله «أشدّ بأعناق النوى» أشد في موضع الجزم، لأنه جواب الشرط. ولك أن تضمّ الدالّ منه إتباعاً للضمّة الضمة، وأن تكسرهما لالتقاء الساكنين. وأن تفتحها، لأنّ الفتحه أخفّ الحركات. والمعنى إن ردت الأيام الدائرة بيني وبينها ربيعاً مثل مربعي، وصيفاً مثل مصيفي، استظهرت على النوى بأن أوثق أواخيها، وأمرّ حبالها التي أربطها بها، حتى إن جاذبتها قوتك فلم تنقطع. وهذا مثل. والمراد أني أحكم أسباب التألف والتجمع بما يؤمن معه تعقب الآراء بالمزايلة والافتراق.

٥٧٧

وقال كلثوم بن صعّب^(١) :

- ١ - دَعَا دَعِيًّا بَيْنَ فَمَنْ كَانَ بَاكِيًّا مَعِيَ مِنْ فِرَاقِ الْحَيِّ فُلِيًّا تَنِي غَدَاً
 - ٢ - فَلَيْتَ غَدَاً يَوْمٌ سِوَاهُ وَمَا بَقِيَ مِنْ الدَّهْرِ لَيْلٌ يُحْبِسُ النَّاسَ سَرْمَدًا^(٢)
 - ٣ - لَتَبِكَ غَرَانِيقُ الشَّبَابِ فَإِنِّي إِخَالُ غَدَاً مِنْ فُرُوقَةِ الْحَيِّ مَوْعِدَاً
- كان شعبها متجاورين في النجعة، فلما تقضى أيامها وهما بالانصراف إلى المزالف^(٣) وجوانب القرى، دعا داعي الفراق في كل شعب منهما، وبعثوا على التهيؤ، لذلك تني فقال: داعياً بيني. وقوله «فمن كان باكياً» يريد: فمن آلمه ما أحسّ به من النوى، وأزعجه ما عزم عليه من شقّ عصا

(١) قال المرزباني في معجمه ٣٥١: «ذكره أبو تمام في حماسته ولم ينسبه». ثم أنشد هذه الأبيات بهذه الرواية. وضبط «بقى» بفتح القاف يشير إلى أنه طائي. ولأبي تمام ولوع بالاختيار للطائيين.

(٢) ضبطت «بقى» في ل بفتح القاف وكسرهما، مقرونة بكلمة «معا»، إشارة إلى الروايتين.

(٣) المزالف: البلاد التي بين البر والريف.

الهوى ، وأراد إسماعدي على البكاء فليحضرني غداً ، فإنه اليوم الموعود ،
والشهد المشهود .

وقوله « فليت غداً يومٌ سواه وما بقي » ، يقول : بوُدِّي أن يكون بدل
يوم غدٍ يومٌ آخر غيره ، تفادياً مما يجري ويحدث ، وليت بدل الليلة الحائلة بيننا
وبين غدٍ ما بقي من الدهر كله ، فحبس الناس عن التزائل والافتراق دائماً .
« وما بقي » لغة طيِّبٌ ، كأنهم فرثوا من الكسرة وبعدها ياء إلى الفتحة ،
فانقابت الياء ألفاً .

وقوله « لتبكِ غرائيق الشباب » فالغرائيق جمع ، واحدها غرائق . وقال
الخليل : يقال : شبَّبتُ غرائق . وأنشد :

ألا إن تطلَّاب الصِّبا منك زلَّةٌ وقد فات ريعانُ الشبابِ الغرائقِ^(١)

وقال أيضاً : الغرنوق : الشابُّ الأبيض الجميل ، والجمع غرائيق . ومراد
الشاعر : لتبكِ من استصلح للصِّبا من الشَّبَّان وأرباب الهوى ، [فإنَّ غداً فيما
أظنُّ أو أتيقن يومٌ مواعدة الحىِّ بازئال]^(٢) . وانتصب سرمداً على الظروف ،
ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف ، كأنه قال : حبسنا سرمداً .

٥٧٨

وقال زياد بن حمل^(٤) ، وقيل زياد بن منقذ :

١ - حَبَّذا أنتِ يا صنِّعاه من بَلَدٍ ولا شعوبُ هوى مني ولا نَقْمُ

(١) رواه الأزهرى : « ألا إن تطلَّابى لمثلك زلة » . اللسان (غرنق) .

(٢) ل : « لتبكِ كل مستصلح للصِّبا » ، وتبكِ بالتاء فيهما .

(٣) التكملة من ل .

(٤) التبريزى . « زياد بن حمل بن سعد بن عميرة بن حريث » ، وفي اللالى ٧٠ :
« أحد بنى العدوية ، وهم من بنى تميم » . وقد اضطرب الرواة في نسبة هذه الأبيات وفي نسبة
من تنسب إليه الأبيات أيضاً . انظر حواشى سمط اللالى والأغاني (٩ : ١٥٤) وزهر
الآداب (٤ : ١٩٥) ومعجم البلدان (أثنى ، الأميلح ، صنعاه) .

٣ - وَأَنْ أَحِبَّ بِلَادًا قَدْ رَأَيْتُ بِهَا عَنَسًا وَلَا بِلَدًا حَاتَتْ بِهِ قَدُمُ
 صنعاء : مدينةُ اليمَن . وشَمُوبٌ ونُقْمٌ : موضعان باليمن . وَعَنَسٌ وقُدُمٌ :
 حَيَّانٌ مِنَ اليمَن . وقوله « لَا حَبِّدَا أَنْتِ » ذا أُشِيرَ بِهِ إِلَى لَفْظَةِ الشَّيْءِ ، وَالتَّقْدِيرُ :
 لَا مَحْبُوبَ فِي الْأَشْيَاءِ أَنْتِ يَا صَنْعَاءُ مِنْ بَيْنِ الْبِلَادِ ، وَكَأَنْتِ اسْتِ بِمَحْبُوبٍ
 إِلَيَّ ، فَكَذَلِكَ شَعُوبٌ وَنُقْمٌ لَيْسَا بِهَوَايَ مَنِّي ، أَيْ لَا أَهْوَاهُمَا وَلَا أَحْنُ لِيَهُمَا .
 وقوله « وَلَنْ أَحِبَّ بِلَادًا » يَرِيدُ : وَلَنْ أَحِبَّ أَيْضًا مَنَازِلَ هَذَيْنِ الْحَيَّيْنِ .
 كَأَنَّهُ كَرِهَ الْمَوَاضِعَ بِأَهْلِهَا فَاجْتَوَاهَا وَذَمَّهَا . وقوله « بِلَادًا قَدْ رَأَيْتُ بِهَا عَنَسًا »
 حَمَّ إِلَى لَفْظَةِ بِلَادٍ مِنَ الصِّفَةِ مَا يَخْصُّهَا .

وقوله « حَبِّدَا » حَبَّ فِعْلٌ ، وَالْأَصْلُ فِيهِ حَبَّبَ ، وَذَا أُشِيرَ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ ،
 وَلِذَلِكَ وَقَعَ الْمَذْكَرُ وَالْمَوْثُوثُ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ فَقُلْتُ : حَبِّدَا زَيْدٌ ، وَحَبِّدَا هِنْدٌ ؛
 لِأَنَّ لَفْظَةَ الشَّيْءِ يَشْمَلُ الْمَذْكَرَ وَالْمَوْثُوثَ ، وَالوَاحِدَ وَالْجَمْعَ . فَهُوَ كَ « مَا » ،
 وَوُضِعَ لِلجِنْسِ .

٣ - إِذَا سَقَى اللَّهُ أَرْضًا صَوَّبَ غَدَابَةً فَلَا سَقَاهَنَّ إِلَّا النَّارَ تَضَطَّرِمُ
 لَمَّا كَانَ الْقَصْدُ فِي الدُّعَاءِ بِالشَّقِيَا بَقَاءِ الْمَدْعُورِ لَهُ عَلَى نَضَارَتِهِ ، وَالزَّيَادَةُ
 فِي طَرَاوَتِهِ ، وَاسْتِمْرَارِ الْأَيَّامِ بِهِ سَالِمًا ، ثُمَّ يُوَثِّرُ فِي عُنْفُونِ حُسْنِهِ ، أَوْ يَغْيِّرُ
 رَوْنَقَ مَائِهِ ، جَعَلَ عِنْدَ الدُّعَاءِ عَلَى الْمَذْمُومِ عِنْدَهُ الشَّقِيَا بِالنَّارِ ، لِكَوْنِ النَّارِ
 ضِدًّا لِلْمَاءِ وَمِمَّتًا لَمَّا يُحْبِيهِ . فيقول : إِذَا أَطَالَ اللَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ تَنْعِيمَ أَرْضٍ بِمَا يُقِيمُ
 مِنْ خِصْمِهَا ، وَيُدِيمُ مِنْ رَفَاعَتِهَا وَرَفَاهَتِهَا ، بِتَأْتِي الْأَمْطَارِ عَلَيْهَا ، وَتَبْكِيهِ الْغَوَادِي
 نَحْوَهَا ، فَلَا سَقَى هَذِهِ الدِّيَارَ إِلَّا نَارًا يَهَيِّجُ ضِرَامُهَا ، وَيُوجِّعُ لَهْبُهَا وَسُعَارُهَا ،
 لِتُبِيدَ خَيْرَهَا ، وَتُفَيْتَ حُسْنَهَا وَزَهْرَتَهَا . وقوله « تَضَطَّرِمُ » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ لِلنَّارِ .

٤ - وَحَبِّدَا حِينَ تَمْسِي الرِّيحُ بَارِدَةً وَادِي أُشَيْرٍ وَفَتِيَانٌ بِهِ هُضْمٌ
 ٥ - الْوَاسِعُونَ إِذَا مَا جَرَّ غَيْرُهُمْ عَلَى الْعَشِيرَةِ وَالْكَافُونَ مَا جَرَمُوا

٦ - وَالْمُطْعِمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَّةٌ وَبَاكَرَ الْحَيَّ مِنْ صُرَادِيهَا صِرْمٌ
 قوله « وحبذا حين تهب الرِّيحُ باردةً » ، جعل ما نفاه من الحب والحمد
 عما قدّم ذكره من البلدان ثابتاً لوادى أثنى وأهله ، وبّه على أنهم في أوان
 الجذب والقحط يشرّ كون غيرهم من العشيرة في خيرهم ، ويستنفدون الأموال
 التي يُنفّسُ فيها فيما يجلبُ الحمد ، ويببّ النّشر ، إذا هبت الرِّيحُ باردةً ،
 واقشعرت البلاد هامة ، حتّى بصيرَ وسعُهُم مبدولاً لهم يتوسّمون فيه إذا جرّ
 غيرهم الجرائر على عشيرته ، وذوى لحمته ، ثمّ من اكتسب جريمة منهم
 تكفّلوا باستنقاذها منها ، وأفاهوا ظلّ الحماية والصّيانة عليه فيها .

وقوله « والمطعمون » حذف مفعوله ، وإلما بصقّهم بأنهم يُقيمون القرى
 الأضياف إذا هبت الرِّيحُ شمالاً ، وغادى الحيّ السحابُ الباردة طوائف وفرقا .
 وقوله « هضم » جمع هضوم ، وهو المنفاق في الشتاء . وقوله « هبت شاميةً »
 انتصب على الحال . وقوله « الواسعون » مأخوذ من الوسع وهو الطّاقة ، وبقول :
 لا يسمعك كذا ، أى لست منه في سعة . والصّرّم ، أصله في أقطاع الإبل ،
 فاستعاره .

٧ - وَشْتَوَةٌ فَلَّوْا أَنْيَابَ لَزَبَتِهَا عَنْهُمْ إِذَا كَلَّحَتْ أَنْيَابُهَا الْأُزْمُ
 ٨ - حَتَّىٰ أَنْجَلَىٰ حَدَّهَا عَنْهُمْ وَجَارُهُمْ بَنْجَوَةٌ مِنْ حِذَارِ الشَّرِّ مُعْتَصِمٌ
 فللوا : كسروا . واللّزبة : السنّة المُجدبة ، وجعل الأنياب مثلاً لشدائدها .
 والكلوح : بدو الأسنان عند العُبوس . والأزم : جمع أزوم ، وهى العواض ،
 وقوله « وجارهم بنجوة » أى عزّ ومنعة . والنجوة : المرتفعة من الأرض لا يبلغها
 السيل ، فضرّبه مثلاً لللاذ الذى أووا إليه فى فئانهم حذاراً من الشرّ ، فيقول :
 ربّ شتوةٍ دفعوا أذاها ومعرتها عن العشيرة أشدّ ما كانت ، بما قاموا به من

إصلاح أمورهم ، وإزالة ضررها عنهم ، إلى أن انكشفت حذوها عنهم ، وجارهم معتمصم فيهم بأحى مكان ، وأمنع عزٍ وملاذ .

٩ - هُمُ الْبُحُورُ عَطَاءٌ حِينَ تَسْأَلُهُمْ فِي الْإِقْتَاءِ إِذَا تَلَقَى بِهِمْ بِهِمْ

١٠ - وَهُمْ إِذَا الْخَيْلُ حَالُوا فِي كَوَائِبِهَا فَوَارِسُ الْخَيْلِ لَا مَيْلٌ وَلَا قَزَمٌ

انتصب « عطاء » على التمييز ، ويجوز أن يكون مفعولاً له . وارتفع

« بِهِمْ » بالابتداء ، وخبره في الإقواء ، ومفعول تلقى محذوف ، كأنه قال : إذا

تلقى بهم الأعداء . والبهيم : جمع بهيمة ، وهو الشجاع الذي لا يدرى كيف

يؤتى له ، لاستبهاشأته وتناهي شجاعته . والمعنى : هم البحور إذا اجتداهم

الاجتدي ، لكثرة عطائهم ، أي لا ينفد عطائهم على كثرة الاجتداء ، كما

لا ينفد ماء البحر على كثرة الوراد ، وهم بهم في اللقاء إذا تقيت بهم الأعداء ،

وإذا ركب الفرسان الخيل وثبتوا في كوائبها - والكائبة : قدام المنسج منها -

فقرسانها لاثنام ضعاف صغار الأجسام ، ولما ثلثون عن وجوه الأعداء . والميل : جمع أميل ، وهو الذي يعرض عن وجه الكتيبة عند الطمان ، وقيل : هو الذي

لا يثبت على ظهر الدابة . ويقال : حال في ظهر دابته ، إذا ركبها . وارتفع

مائل على أن يكون معطوفاً على فوارس الخيل . ويجوز أن يكون خبر مبتدأ

محذوف ، كأنه قال : لا هم ميل ولا قزم . وقد مضى القول في فوارس وشذوذهِ (١) .

١١ - لَمْ أَلْقَ بَعْدَهُمْ حَيًّا فَأَخْبِرُهُمْ إِلَّا يَزِيدُهُمْ حُبًّا إِلَى هُمْ

١٢ - كَمْ فِيهِمْ مِنْ فِتْيٍ حُلُوِّ شَمَائِلُهُ جَمَّ الرَّمَادِ إِذَا مَا أَخَمَدَ الْبَرَمُ (١)

يقول : لم أخالط بعد فراق لم حياً من الأحياء فخبرتهم إلا وازدادوا في

عيني ورجحوا ، إذا قستهم بن سواهم في قياسي ونظري ، كمال آله وتناهي رياسته

وتوفراً على من يفتابهم من متحرمٍ بذمة^(١)، أو مدلٍ بقراية. وارتفع «هم» الأخير بيزيد، وقد وضع الضمير المنفصل موضع المتصل لأنه كان الوجه أن يقول: إلا يزيدونهم حباً إلى. وهذا كما يوضع الظاهر موضع المضمرة والمضمر موضع الظاهر إذا أمن الالتباس. وانتصب «فأخبرهم» لأنه جواب النفي بالفاء، والعامل أن مضمرة بين الفاء والفعل.

وقوله «كم فيهم من فتى حلو شمائله» فكلم للتكثير، وموضعه رفع بالابتداء وخبره من فتى. ومعنى «جم الرماد» أي كثير الأضياف، لأن الرماد إنما يكثر بحسب اتساع ضيافته، وكثرة غاشيته. والبرم: الذي لا يدخل مع القوم في الميسر، ومفعول أخذ محذوف، والمراد ما أخذ البرم النار لبخله ولشدة الزمان ونكدته. فجعل الفتى حلو الشمائل، وهي الطبائع؛ لأن الضيافة إنما تكرم وتشرّف بحسن خلق المضيف وخفيته في الخدمة، وملاطفته لضيوفه، وتحفيته وبرّه بهم.

١٣ - تحب زوجات أقوام حلالله إذا الأنوف امترى مكفونها الشيم
وصف النساء منهم بحسن التوفر على أشباههن، وكال التفقد بما يهدن
إليهن إذا قلت الهدايا واشتد الزمان، وبلغ البرد حدًا يستخرج مكفون الأنوف
من الرعام^(٢) فيقول: زوجات الأبرام ومن يشبههم من ذوى الحاجة، أو الممتنعين
من الميسر، يحببن أزواج هؤلاء الفتيان إذا انحل الزمان واشتد النحط
والجذب، لحسن تعطفهن عليهن، وصرف العناية وجميل التفقد إليهن. وامتري:
استخرج. والشيم: البرد. وأراد بالمكفون المخاط. والحلائل: النساء المتزوجات

(١) في النسختين: «يخدمه»، وليس بشيء.

(٢) الرعام، بالضم: الخاط. وفي النسختين: «الرجال»، تحريف.

مُتَمِّينَ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُحَالُ أَزْوَاجُهَا ، أَيْ تَنْزِلُ مَعَهَا ؛ وَالْوَاحِدَةُ حَالِيَةٌ وَفِعْلِيَّةٌ بِمَعْنَى مُفَاعَلَةٌ ، كَقَعِيدَةٍ ، وَجَابِسَةٍ .

١٤ - تَرَى الْأَرَامِلَ وَالْهَلَكَ تَتَّبِعُهُ يَسْتَنُّ مِنْهُ عَلَيْهِمْ وَابِلٌ رَزْمٌ

١٥ - كَانَ أَصْحَابَهُ بِالْقَطْرِ يَمْطُرُهُمْ مِنْ مُسْتَحْيِرٍ غَزِيرٍ صَوْبُهُ دِيمٌ

الأرامل : جمع الأرملة والأزمنة ، لأنه يقع الذكر والأنثى ، وهم الذين قد انقطع زادهم وضافت الأحوال بهم . والهلاك ، هم الفقراء الذين أشرفوا على الهلاك ، وإنما قال « تتبعه » لأنهم كانوا يتفقيئون بظله ، ويعيشون في أفنيته من خيره . وقوله « يستنُّ منه عليهم وابلٌ » مثلُ لما كان ينصبُّ عليهم . ويجرى ويدوم ، من إحسانه لهم ، لأن الحيا يجي الأرض ، كما أن معروف هؤلاء كان يجيهم . والرزم : السائل . ومعنى : يستنُّ ينصبُّ . سئنت الماء . وأسئنته بمعنى . والوابل : المطر الضخم القطر .

وقوله « كان أصحابه بالقطر يَمْطُرُهُمْ » يريد أنهم في دورهم ومحلهم ذلك فعلمهم مع عشيرتهم ، ومع رؤادهم ومؤملهم ، فإذا سافروا ترى الصحابة في المكان الخالي يَمْطُرُهُمْ مِنْ نَوَالِهِ مَا يَجْرِي تَجْرِي الصَّوْبِ مِنْ سَحَابٍ مَتَحْيِرٍ مَمْتَلِيٍّ مَاءً ، غَزِيرٍ النَّوَى ، دَائِمٍ السَّيْلِ . والدَّيْمُ : جمع دَيْمَةٍ ، وَهِيَ الْمَطَرُ يَدُومُ ، بِسُكُونِ ، وَالْمُسْتَحْيِرُ وَالْمَتَحْيِرُ . بِمَعْنَى وَاحِدٍ . وَهَذَا التَّحْيِيرُ إِنَّمَا هُوَ كِنْيَاةٌ عَنِ الْاِمْتَلَاءِ . وَيُقَالُ : اسْتَحَارَ شَبَابُهُ .

١٦ - غَمْرُ النَّدَى لَا يَبِيْتُ الْحَقُّ بِشُمْدُهُ إِلَّا غَدَاً وَهُوَ سَامِي الطَّرْفِ بِيَتْسِيمٍ

١٧ - إِلَى الْمَكَارِمِ يَبْنِيهَا وَيَعْمُرُهَا حَتَّى يَنَالَ أُمُورًا ذُنُهَا قَحْمٌ

الغمر : الواسع العطاء . ومعنى بِشُمْدُهُ يكثر عليه حتى يُفْنِي مَا عَقَدَهُ . والماء المغمود : المزدحم عليه حتى يَنْزُرَ نَزْفًا . وقوله « وهو سامي الطرف » ،

أى لا يَكسبه امتدادُ العطاء منه ، ودوامُ الإحسان ، غضاضةً طَرْفٍ وانكسارِ نشاطٍ ، بل يُرى بعقبه ضُحُوكا عالى النظر . وقوله : « لا يبيتُ الحقُّ يثمه . إلا غدا » ، يشتملُ على معنى الشرط والجزاء ، أى كلما باتَ الحقُّ يثمدا ما عنده غدا سائِمِ الطَرْفِ مبيتها .

وقوله « يَبنيها ويَعمرها » فى موضع الحال ، أى بانياً عامراً . وقوله « إلى المكارم » اتَّصل « إلى » بقوله « إلا غدا » . والقَحْمُ : الشدائد ، واحداً قُحْمَةٌ ، والمعنى أنه بذالٍ سَخِيٍّ جَمُّ المعروف ، لا يبيتُ تورُّدُ الحقوقِ نحوه . يستغرق ما له إلا ابتكرَ وهو ضحَّاكٌ عالى النظر إلى ابتناء المكارم ، جريباً على العادة وإلناً لها ، وهو بعمرها ويصلُ جوانبها بأمثالها حتى يُصِيبَ أموراً تحُولُ بينها وبين من يريدُ^(١) نيلَها والوصولَ إليها شدائدُ وتكاييف . وقُحْمُ الطَّرِيقِ : ما صُعبَ منها ، وفى الحديث : « إنَّ للخصومة قُحْمًا » ، أى يَتَقَحَّمُ على الماءِ لك .

- ١٨ - تَشَقَّى بِهٍ كُلُّ مِرْبَاعٍ مُودَعَةٍ عَرَفَاءُ يَشْتَوِ عَلَيْهَا تَامِكٌ سَنِيمٌ
١٩ - تَرَى الْجِفَانَ مِنَ الشُّبْرَى مُكَلَّلَةً قُدَّامَهُ زَانَهَا النَّشْرِيْفُ وَالْكَرَمُ
٢٠ - بَنُوهُا النَّاسُ أَفْوَجًا إِذَا نَهَلُوا عَلُّوا كَمَا عَلَّ بَعْدَ النَّهْلَةِ النَّعْمُ

المِرْبَاعُ : النَّاقَةُ التى من شأنها أن تضعَ ولدها فى الرَّبِيعِ ، وهى الحمود من النَّتَاجِ ، ولذلك قال :

* أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ رِبْعِيَّونٌ^(٢) *

ومِرْبَاعُ : بناءُ المبالغة . والمودَعَةُ : المَكْرَمَةُ الموقرةُ على التَّنَاسُلِ لا تُعْمَلُ

(١) فى الأصل : « يريك » ، صوابه فى ل .

(٢) لأكثم بن صيفى ، أو سعد بن مالك بن ضبيعة ، اللسان (صيف) .

ولا تُحْمَل. والعرفاء: التي لِسَمَنها صار لها كالعُرْف. والتَّامِك: السَّنام المُشْرِف. والسَّنيْمُ: العالى، ويقال: بعيرٌ سَنِيمٌ، أى مشرف السَّنام، والمعنى: تَبَقَى شَتَوَتَها سَمِيمةً لا يغيِّرُها الجَدْبُ والقَحْطُ، وإنما قال «تَشَقَى به»، وهو يريد الفتى لأن المراد لا يَنْجَرُ من الجُزُرِ إلَّا ما يُقْدَأَسُ فيه مثلِ ناقةٍ هذه صفتُها. وقوله «تَرى الجِفانَ من الشَّيزى مَكَلَّةً»، يريد أن الجِفانَ المَعْدَةَ للأضياف عليها كالأ كليل من فِدَرِ اللَّحْمِ^(١)، وقد زَيَّنَها كَرَمٌ بارِعٌ، وتشريفٌ فاخرٌ، وهذا بما يَسْتَعْمِلُه من اللُّطف والتأنيس مع الأضياف، ومن توفَّرِ خِدْمَةَ الخدم عليهم، وإكمال بهاء المجلس وكونه مشحوناً بما يَرُوقُ ويُعجِبُ. وقوله «يَنوِبُها» أى يَنْتَابُونَهَا طائفةً بعد طائفةٍ، وفَوْجاً بعد فَوْجٍ، فإذا تناوَلوا النَّهْلَ رَجَعُوا فأعقبوه العَلَلَ، كما يَفْعَلُ ذلك النَّعْمُ عند وروده الماء. وانتَصَبَ «أفواجا» على الحال. والنَّعْمُ يقع على الأزواج الثمانية، والغالب عليها الإبل.

٢١- زارت رويقة شعناً بعدما هجموا لدى نواحل في أرساغها الخدم

٢٢- وقمت للزور مرُناعاً وأرقني فقلت أهي سرت أم عادني حلم^(٢)

٢٣- وكان عهدى بها والمشى يبهظها من القريب ومنها النوم والسأم

يصف الخيال فيقول: زارت خيال هذه المرأة قوماً غبياً، أنضاء مرها^(٣)،

بعد ما ناموا عند إبل ضوامرٍ مهزبل، شدت في أرساغها سيور القد، لشدة

سيرها وتأثير الكلال فيها، فقامت من مضجعى للطيف الزائر خائفاً، وطار

القوم عني، وأخذني القلق، ووساوس النفس والزعع، فمليت الفكر بين شيتين

(١) الفدر، بالفاء: جمع فدر، بالكسر، وهى القطعة المجتمعة من اللحم. وفي

النسختين: «قدر اللحم»، تحريف. (٢) التبريزى: «فأرقني».

(٣) جمع أمره ومرهء، وهو من فسدت عينه لترك الكحل.

أحدها زيارتها بنفسها ، والثاني حلم نائم اعتادني فأرانيها ، وصيرت أراجيعُ
نفسى وأقول : كيف يجوز مجيئها ، وكنت أعهدا وقطعُ المسافة القريبة كانت
تتكلفه بشق النفس ، وتحمل الثقل والكد . هذا والغالب عليها اللال مما
يُتعب وإن خف ، وطلب الراحة بالنوم ليسير الخطب منها ببال ولو قل .
وانتصب « مرتاعاً » على الحال .

وقوله « أم عادني حلم » أم هذه هي المعادلة ، والمعنى أي هذين الأمرين
كان . وقوله « أهى سرت » أسكن الهاء من هي مع ألف الاستفهام ، لأنه
أجراها مجرى واو العطف وفائه ، فكما يسكن معها لأنها لا تقوم بنفسها ولا
تستقل كذلك أسكن مع الألف . ومعنى يبهظها : يثقل عليها ويشق .

وقوله : والمشي يبهظها « خبر كان فيه . وقوله : « وكان عهدى بها »
الواو واو الحال من قوله أهى سرت .

٢٤ - وبالتكاليف تأتي بيت جارتها تمشي الهويننا وما تبدو لها قدم

٢٥ - سود ذوائبها بيض ترايبها درم مرافقها في خلقها عم

يقول : ومما عهدتها عليه أنها كانت تأتي بيت جارتها قضاءً لذمام ،
أو أداءً لواجب حق ، بعد الجهد والشدة ، ومداورة النفس على أدنى الكلفة
والمشقة ، ومشيئتها الهويننا ، أي على رفق لا استعجال فيها ولا تهافت ،
ولا تقاذف في أعضائها ولا تتابع ، ولذيلها على الأرض سحب وجرب ، فقدمها
لا تبدو ، ووقارها المتسبب من كبرها وعجبها لا يهفو . والهويننا : تصغير الهوني
والهوني : تأنيث الأهون ، وموضعها من الإعراب نصب على المصدر . وقوله
« تمشي الهويننا » في ضمنه ما يوصف به مشيهاً من الترفه وفرط الحياء ، كما قال :
كان لها في الأرض نسيماً تقصه على أمها وإن تكلمك تبليت^(١)

(١) البيت للشنفرى الأزدي في المفضليات ١٠٩ .

وقوله «سُودٌ ذوائبها» يصفها بأنها في عنفوان شبابها، ففرعها أسود،
وصدرها بما حواليه أبيض، ومرافقها لا حجم لها لكثرة لحمها، وخلقتها
تامٌ لاستكمالها.

٢٦ - رُوِبِقَ إِنِّي وَمَا حَجَّ الْحَجِيجُ لَهُ وَمَا أَهْلَ بَجَنَّتِي نَخْلَةَ الْحُرْمِ

قوله «وما حجَّ الحجاج له» يجوز أن يكون ما بمعنى الذي، كأنه أقسم
بالييت الذي حجَّ إليه الحجاج، وبإهلال الحرم، وهو رفعُ الصوت بالتلبية،
بجَنَّتِي نخلة، وهو مكانٌ بقرب مدينة الرسول عليه السلام يقال له بَطْنُ نَخْلَةَ .
ويجوز أن يكون ما موضوعاً موضع من، على ما حكى أبو زيد من قولهم :
«سبحان ما سبَّح الرعد بحمده»، ويكون الله تعالى المُقْسَمَ به .

وقوله «ما أَهْلَ» يراد به وما أَهْلَ له، فحذف له لتقدم ذكره وطول الكلام .
به . ويجوز أن يكون «ما حجَّ» في موضع المصدر، كأنه أقسم بحجَّهم وإهلالهم،
ويكون الضمير من له يعود إلى الله تعالى وإن لم يجزِ ذكره، لأن المراد مفهوم،
أى حجَّوا له إقامةً لطاعته، وابتغاءً لمرضاته . وجواب القسم في قوله «لم
ينسني» . ويقال : أحرَم الرجلُ بالحجِّ فهو مُحْرِمٌ ، وقومٌ حرامٌ وحُرْمٌ
ومُحْرِمون .

٢٧ - لَمْ يُنْسِنِي ذِكْرُكُمْ مُذْ لَمْ أَلِاقِكُمْ عَيْشُ سَلَوْتُ بِهِ عَنْكُمْ وَلَا قِدْمُ

٢٨ - وَلَمْ تُشَارِكْ عِنْدِي بَعْدُ غَانِيَةً لَا وَالَّذِي أَصْبَحَتْ عِنْدِي لَهُ نِعَمٌ (١)

حَلَفَ بِمَا حَلَفَ أَنَّهُ لَمْ يَشْغَلْهُ عَنْ ذِكْرِهِمْ مِنْذُ حَصَلَ الْفِرْقَ بَيْنَهُمْ ، لَا عَيْشٌ
اِسْتِطَابَهُ لِمُسَاعَدَةِ الزَّمَانِ لَهُ بِمَا سَرَّهُ فَتَسَلَّى عَنْهُمْ ، وَلَا تَلَى مَا كَانَ يَسْتَجِدُّهُ كُلَّ
وَقْتٍ مِنَ الْوَجْدِ بِهِمْ وَتَذَكَرَ عَهْدَهُمْ تَقَادُمُ أَيَّامٍ فَتَنَاسَاهُمْ ، وَلَا شَارَكَهَا فِي

(١) هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « ولم يشاركك » .

مُسْتَوْتَن هَوَاهَا وَمَقَرُّ حَبِّهَ لَهَا امْرَأَةٌ غَانِيَةٌ ، فَتَضَاقُ عَنْهَا حِمَاهَا . ثُمَّ تَنَى الْيَمِينَ
تَوْكِيداً فَقَالَ : لَا وَاللَّهِ الَّذِي أَصْبَحَتْ لَهُ عِنْدِي نَعْمٌ مُقَابَلَتُهَا بِالشُّكْرِ وَاجِبَةٌ
لِلْأَمْرِ كَمَا قُلْتُ ، فَحُذِفَ لِأَنَّ الْمُرَادَ مَفْهُومٌ .

وقوله « لم يُنسى ذِكْرَكُم » يُجَابُ الْيَمِينَ مِنْ حُرُوفِ النَّفْيِ بِمَا ، وَلَكِنَّهُ
اضْطُرَّ فَوَضَعَ لَمْ يُنْسَى مَوْضِعَ مَا أَنْسَانِي . وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَفْرُدَ الْقَسْمَ الْأَوَّلَ بِهِ
جَوَاباً ، وَيَكُونُ جَوَابَ الْقَسْمِ الثَّانِي : وَلَمْ تَشَارِكْ^(١) عِنْدِي ، لِأَنَّهُ خَبْرٌ
ثَانٍ ، فَقَدَّمَ الْمُقَسَّمُ لَهُ عَلَى الْمُقَسِّمِ بِهِ ، كَمَا تَقُولُ : مَا فَعَلْتَهُ وَاللَّهِ .

٢٩- مَتَى أَمْرٌ عَلَى الشَّقْرَاءِ مُعْتَسِفاً خَلَّ النَّقَا بِمَرْوَحٍ لِحْمِهَا زَيْمٌ
٣٠- وَالْوَشْمُ قَدْ خَرَجَتْ مِنْهَا وَقَابَلَهَا مِنْ الثَّنَايَا الَّتِي لَمْ أَقْلِهَا بَرَمٌ^(٢)

قوله « متى أمرٌ » استبعاد واستعجال بما يتمناه من العود إلى هذه الأماكن
التي ذكرها . وراوه بعضهم « حتى أمرٌ » ، ويتعلق حتى بقوله « لا والذي
أصبحت عندي له نعم » أي حصلت له نعم عندي كي أمرٌ ، لأنَّ لِحْتِي
مَوْضِعِينَ ، وَالْفِعْلُ بَعْدَهَا مَنْصُوبٌ : أَحَدُهُمَا أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى لِأَنَّ وَكَيْ ، وَالثَّانِي
أَنْ يَكُونَ بِمَعْنَى إِلَى أَنْ ، تَقُولُ : جِئْتُكَ حَتَّى تُكْرِمَنِي ، وَالْمَعْنَى لِأَنَّ تُكْرِمَنِي ،
وَكَي تُكْرِمَنِي . وَتَقُولُ : أَنْتَظِرُ حَتَّى تَخْرُجَ ، وَالْمَعْنَى إِلَى أَنْ تَخْرُجَ . وَالشَّقْرَاءُ ،
قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : يَعْنِي فَرَسُهُ ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ الشَّقْرَاءُ وَالْمَرْوَحُ فَرَساً وَاحِداً .
وَالْبَاءُ مِنْ « بِمَرْوَحٍ » ، يَتَعَلَّقُ بِقَوْلِهِ مُعْتَسِفاً ، وَعَلَى الشَّقْرَاءِ بِأَمْرٌ ، وَيَكُونُ فِي مَوْضِعِ
الْحَالِ ، أَيْ رَاكِباً الشَّقْرَاءِ . وَانْتَهَبَ مُعْتَسِفاً عَلَى الْحَالِ . وَالْإِعْتِسَافُ : الْأَخْذُ

(١) فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ : « وَلَمْ يَشَارِكْكَ » .

(٢) التَّبْرِيْزِيُّ : « خَرَجَتْ مِنْهُ » . وَالْوَشْمُ ضَبَطَتْ فِي نَسْخَةِ الْأَصْلِ بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِهَا

مَصْحُوبَةٌ بِكَلِمَةِ « مَعاً » .

على غير هداية ولا دراية . ويقال : فلان يتعسف الناس ، أى يأخذهم بغير الحق . والخَلّ : الطَّرِيق في الرَّمَل . والنَّقَا : الرمل . والمَرُوح : النّشِيط . ومعنى زَيْمٌ : متفرّق . ووَشْمٌ وبرَمٌ : موضعان . والثنايا : العقاب . ويروى : « من العقاب التي لم أقلها تُرْمٌ » ، وهي جمع تُرْمَةٍ ، وهي صدعٌ يكون في الثَّيْبَةِ . ومنه قولهم : فلان أُثْرَمٌ ، إذا سقط بعضُ ثناياه فصارت بينهما فُرْجَةً . ولم أقلها : لم أفضّضها . وقد قيل في الشقراء : إله موضع أوهضبة . وانعطف « الوشم » عليه ، وبمَرُوحٍ حينئذٍ يتعلق الباء منه بحتّى أمرٌ . وعلى الوجه الأوّل تنصب الوشمَ وتعطف على خَلّ النقا .

- ٣١- ياليت شعري عن جنبي مكشحةٌ وحيث يُبني من الحنّاءِ الأطم^(١)
 ٣٢- عن الأشاءِ هل زالت مخارمها وهل تغيّر من آرامها إرم^١
 ٣٣- وجنّة ما يذمُّ الدهرَ حاضرُها جبارُها بالندى والحنّالِ مُحْتَزِمٌ

قوله « ياليت شعري » يا حرف النداء ، والمنادى محذوف . وهذا الكلام تحشر في إثر ما فاتته من أمر الأرضين المذكورة . وشعري اسم لیت ، وخبره محذوف لا يظهر البتّة ، ومفعولا شعري قوله « هل زالت مخارمها » .

وقوله « عن جنبي مكشحة » بيان ما تمنى علمه ، وفي أى جانب هو . ويروى : « عن جزعنى مكشحةٌ وحوثٌ » . والجزع : جانب الوادى . ومكشحة : أرض . وحوثٌ لغة في حيث ، لأن فيه أربع لغات : حيثُ ، وحيث ، وحوثٌ ، وحوثٌ . فالضمُّ تشبيهاً له بالغايات قبلُ وبعد ، والفتحة خلفته . والحنّاءة : أرض . والأطم : الحِصن وكلُّ بناءٍ مرتفع ، والجمع أطام . وقوله « عن الأشاءة » ، فإن كان الأشاءةً موضعاً وبعض ما يقع عليه

(١) التبريزى : « تبني » .

مكشحةٌ فإنه بدلٌ من عن جنبتي مكشحة ، وقد أعيد حرف الجرّ معه . وإن كان النخلة فإنه يجوز أن يريد بقمتها ، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه . ولا يمتنع أن يكون أراد : وعن الأشاءة ، فحذف العاطف كما تقول : رأيت زياداً ، عمرًا ، خالدًا . وأنشدنا أبو عليّ الفارسيّ :

كيف أصبحت كيف أمسيت ممّا يزرعُ الحبّ في فؤادِ الكريمِ^(١)
 فيقول : ليت علمي كان واقعاً بأحوال هذه المواضع ، وهل هي باقيةٌ على ما عهدتها من قبل ، أو هل تغيرت أعلامها وزالت نخارمها . وإنما يدلُّ على حديده إليها ، وتأشّفه على البعد عنها .

وقوله « وجنة » يريد وعن جنة حاضرها يرصّي عن الدهر ويحمده ، فلا يتسخط أيامه ، ولا يذم عوارضه . والجبار من النخل : ما فات اليد طولاً .

وقوله « بالندی والحمل محتزم » تنبيهٌ على الخصب فيها ، وعلى غضارة عيش سكّانها . والاحتزام كالالتفاف^(٢) ، ويروى « جبارها بالندی والخير » .

٣٤- فيها عقائل أمثال الدمي خردٌ لم يَغْدُهُنَّ شَقْمَا عَيْشٍ وَلَا يُتِمُّ^(٣)

٣٥- يَنْتَابُهُنَّ كِرَامٌ مَا يَذُمُّهُنَّ جَارٌ غَرِيبٌ وَلَا يُؤَدِّي لِهَمِّ حَشَمٌ

٣٦- مُخَدَّمُونَ ثِقَالٌ فِي تَجَالِيهِمْ وَفِي الرَّحَالِ إِذَا صَاحَبَتَهُمْ خَدَمٌ^(٤)

قوله « فيها » أي في الجنة . عقائل ، أي نساء كريمات ، كأنهنّ الصّور المنقوشة حسناً ، منعمات لم تمسهن فاقةٌ وفقر ، ولا جهدنّ بأيامٍ أدبرت عنهنّ ،

(١) في باب العطف من شرح الأشموني للألفية : « مما يفوس الود » .

(٢) في النسخين : « كالالتفات » ، تحريف . وعند التبريزي : « والاحتزام :

الالتفاف » .

(٣) ضبطت في التبريزي « يتم » بالتحريك ، وهي لغات ، يقال يتم بضم الياء وفتحها

وبالتحريك . القاموس ، واللسان . وتحريك التاء بالضم هنا للشعر .

(٤) يقتضى شرح التبريزي أن يضبط « خدم » بضمّتين . إذ قال : « خدم ، وهو

جمع خدوم ، ليقابل مخدّمون في المعنى ، لأن كل واحد منهما يدل على المبالغة » .

ولا شقين بما كدّ عيشهنّ ، ولا أصبنّ بموتِ كافلينّ أو قيّهنّ ، عفيفات ،
حييات ، لا يعرفنّ منكر الأخلاق ، ولا ما يشينُ من الأفعال ، فهنّ ربائب
النعم ، وغرائر الزّمن ، ومُدلّلاتُ العشار والسّكن^(١) .

وقوله : « بنتاهنّ كرامٌ » مدح الرجال عطفًا على مدحهنّ فقال : يدبر
هؤلاء النسوة رجالٌ كرامٌ أعزّاء ، بحمدُهم الجار الغريب ، لوفائهم له بالعقد ،
وحسن تعطفهم عليه عند البلاء والجهد ، ويرضى عنهم الخليلت النسيب لجمال
عشرتهم ، وكرم أخلاقهم ، لا كبر فيهم ، ولا ترفع معهم ، ثمّ ترى حسنههم
يسألهم^(٢) الدّانى والقاصى ، لعزّهم وحميتهم ونصرتهم ، وذهاب صيتهم ، وهم
في مجالسهم في الحضرة رزانٌ سادةٌ يخدمهم من يغشاهم ، وفي السفر خفافٍ لطاف
يكرمون الصّحابة والمرافقة ، ويخدمون الغاشية والمجاورة ، ويتحمّلون في أحوالهم
المؤنّ المحجفة ، وفي أموالهم الثّوب المثقّلة . والحشم : خدام الرّجل ومن يحشمُ
له ، أى يفضّض عند النّازلة ، ويدافع دونه لطروق الكائفة . وقوله « بنتاهنّ » ،
يُروى : « يأتاهنّ » يفتعل من الإياب .

٣٧- بل آيت شعري متى أغدوتُ عارضني جرّدها سابحةٌ أو سائحٌ قدّم

٣٨- نحو الأُمَيْلِحِ مِنْ سَمْنَانَ مُبْتَكِرًا بِفِتْيَةٍ فِيهِمُ الْمَرَارُ وَالْحَكْمُ^(٣)

٣٩- لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا يَغْدُونَ أُرْدِيَةٌ إِلَّا جِيَادُ قَيْسِ النَّبْعِ وَاللُّجْمُ

بل : حرفٌ يدخلُ للإضراب عن الأوّل والإثباتِ للثّاني ، كأنّه إمّا صرّف
الكلام عما كان فيه وشغله بغيره أتى ببيل ، إيدانًا بذلك . فيقول : ليت عليّ
واقعٌ بما يقتضى هذا السّؤال ، وهو متى ابتكر من سمنان نحو الأُمَيْلِحِ — وهما

(١) السكن : كل ما سكنت إليه واطمأنت من أهل وغيره .

(٢) فى الأصل : « يسألهم » ، صوابه فى ل .

(٣) التبريزى وياقوت فى معجم البلدان : « أو سمنان » .

موضعان — وتعارضني في السير حَجْرٌ قصيرة الشعر ، تَسْبَحُ في عَدْوِها ، أو ذَكَرَتْ سابقٌ بِسَبْقِ أصحابه^(١) ويتقدمها من حيث جَرَى ، ومعنى فِتْيَانٌ فيهم هذان المذكوران ، ثمَّ وصفَ الفِتْيَانَ بأنهم لا يُهمُّهم إلاَّ الفُروسِيَّةُ وركوبُ الخيل ، وإعدادُ آلاتِ الحرب ، والصَّيْدِ والطَّرد . وقوله « إِيَّا جِيَادُ » رَفَعَهُ والوجه الجيد النَّصَب ، لأنَّه منقَطِعٌ ممَّا قبله ، لكنَّ بنى تميمٍ يرفعون مثل هذا على البَدَل . وهذا يُشْبِه بَدَلَ الغَلَط ، لهذا ضَعَف في الإعراب .

والبيت يشبه قول لبيد :

* فُرْطٌ وَشَاحِي إِذْ غَدَوْتُ إِجَامُهَا^(٢) *

وانتصب « مَبْتَكِرًا » على الحال . وقِسِيٌّ مقلوب ، وأصله قُووسٌ ، ويروى : قِيَّاسِ النَّبْعِ^(٣) . والمرار قيل هو أخوه^(٤) . والحكم : ابن عمه ، كذا ذكره الأصمعي .

٤٠ - مِنْ غَيْرِ عُدْمٍ وَلَسَكِنْ مِنْ تَبَدُّلِهِمْ لِلصَّيْدِ حِينَ يُصَيِّخُ الْقَانِصُ اللَّحِيمُ
٤١ - فَيَفْزَعُونَ إِلَى جُرْدٍ مُسَحَّجَةٍ أَفْنَى دَوَابِرَهُنَّ الرَّكْضُ وَالْأَكْمُ^(٥)

قوله « من غير عُدْمٍ وَلَسَكِنْ » ، تعلق من بقوله « ليست عليهم إذا يغدون أرديةً » . والمعنى أن إخلالهم بلبس الأردية واستسراها والتأنيق فيها ، لا لفقراً وفاقةً ، لكن لولوعهم بالصَّيْدِ ، وتبدُّلهم له في الوقت الذي يستمتع الصَّائِدُ القَرْمُ

(١) في الأصل : « صاحبه » ، والصواب من ل .

(٢) صدره : * ولقد حميت الحى تحمل شكى *

(٣) والقياس : أحد جموع القوس ، ويقال قوس وقسى وقسى - بضم القاف وكسرها

وأقواس ، وقياس .

(٤) المرار العدوى شاعر إسلامي مشهور ، كان معاصراً لجرير ، وقد هاج الهجاء بينهما .

وهو المرار بن منقذ بن عبد بن عمرو بن صدى بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم الحنظلي العدوى . انظر المفضليات ٧٢ .

(٥) التبريزي : « إلى جرد مسومة » .

إلى اللّحم إلى أصحابه ، في اختيار مواضع الصّيد ، وافتقاره لقلته . ويروى :
 « حين يُنادى السّائف اللّحم » . قال الأصمعيّ : يريد يرتدون بقسيهم ولجُم
 خيلهم إذا ابتكروا ، لا هم لهم غيره . والسّائف : الذي يحوش الصّيد على
 أصحابه^(١) ، أي ينادى أصحابه باعثًا على الأخذ ، ومحدّرًا من القوت .

وقوله « فيفزعون إلى جُرْدٍ مسحّجة » أي يلبتجون إلى خيل قصيرة الشعر ،
 نشيطة ، قد مسح بعضها بعضًا بالعض والاسننان . ويجوز أن يريد أن العمل
 والسكّد مسحها ، ألا ترى أنّه قال : أفنى ماخير حوافرهن ركض الفرسان
 لها ، واستحناهم إياها ، وتأثير الإكام في حوافرها ، لأن جزيها كان عليها .
 ويقال : أكمة وأكم ، وإكام وأكم .

٤٢- يضرّحن صم الصفا في كل هاجرة كما تطايح عن مرضاحه العجم^(٢)

٤٣- يغدو أمامهم في كل مرّبة طلاع أنجدة في كشيحه هضم^(٣)

أصل الضرح الرمي . وإما وصف الخيل بصلاية الحوافر ، وأنها تكسر
 ما تطؤه من صلاب الصفا إذا سارت في الهاجرة . ثم شبه ما يتطاير من حوافرها
 من الحصى بما يتطاير من النوى عن مرضاحه . والمرضاح : الحجر الذي يكسر
 عليه النوى أو به . ومعنى تطايح : تطاير .

وقوله « يغدو أمامهم » يعني في التصيد . والمرّبة : المرّسة . وقوله
 « طلاع أنجدة » جمع نجد كفرخ وأفرخة ، ولا يمتنع أن يكون أنجدة جمع
 نجد ، ونجد جمع نجد ، فيكون أنجدة جمع الجمع . ويقال : طلع الجبل ، إذا
 علاه . والهضم : انضمام الضلوع . يصف خفته وشهامته ، وابتداله نفسه
 في الصّيد والفروسيّة .

(١) لم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى في المعاجم المتداولة .

(٢) التبريزي : « يرضخن » ، و « مرضاخه » .

(٣) يندو ، بالغين المعجمة ، كما في النسخين والتبريزي .

٥٧٩

وقال عمرو بن ضبيعة الرقاشي^(١) :

- ١- تَضِيقُ جُفُونُ الْعَيْنِ عَنْ عِبْرَاتِهَا فَتَسْفَحُهَا بَعْدَ التَّجَلُّدِ وَالصَّابِرِ
 ٢- وَغُصَّةِ صَدْرٍ أَظْهَرَتْهَا فَرَفَّهَتْ حَزَازَةَ حَرِّ فِي الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ
 العَبْرَةُ : الدِّمْعَةُ ، وَقَدْ اسْتَعْبِرَ ، أَيْ جَرَى عِبْرَتُهُ ، وَيُقَالُ : لِأُمَّهُ الْعُبْرُ ،
 وَأَرَاهُ عُبْرَ عَيْنِهِ ، أَيْ سُخْنَةَ عَيْنِهِ وَمَا أَبْكَاهُ . فيقول : تَمَلَّى الْعَيْنَ دَمْعًا حَتَّى
 تَتَضَايِقُ جُفُونُهَا عَنْ احْتِبَاسِهِ ، فَتَصُبُّهَا بَعْدَ تَجَلُّدِهَا فِي الْإِخْفَاءِ ، وَتَصْبُرُ عَلَى
 مَدَافِعَةِ الْبُكَاءِ .

وقوله « وَغُصَّةِ صَدْرٍ » يريدُ عُمَّةً اغْتَصَّ بِهَا الصَّدْرُ فَأَظْهَرَتْهَا ، بَعْدَ أَنْ
 كَانَتْ لَا تَسُوغُ بِتَنْفَسِ الصُّعْدَاءِ ، فَسَكَتَتْ تَفْطِيعَ لَوْعَةٍ تَمَكَّنَتْ بَيْنَ الْجَوَانِحِ
 وَالصَّدْرِ . وَالْحَزَازَةُ : وَجَعٌ فِي الْقَلْبِ مِنْ أذى يُصِيبُهُ . وَالْجَوَانِحُ : الْأَضْلَاعُ
 الْقَصِيرَةُ ، الْوَاحِدَةُ جَانِحَةٌ . وَقَوْلُهُ : « رَفَّهَتْ » : وَسَعَتْ ؛ وَعَيْشٌ رَافَةٌ .

- ٣- أَلَا لِيَقُلَنَّ مَنْ شَاءَ مَا شَاءَ إِنَّمَا يُبْلِغُ الْفَتَى فِيمَا اسْتَطَاعَ مِنَ الْأُمْرِ
 ٤- قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِ كَيْتِيَةً فَاصْطَبِرْ عَلَيْهِ فَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدْرِ

أَلَا : افْتِتَاحُ كَلَامٍ . وَاللَّامُ مِنْ « لِيَقُلَنَّ » لَامُ الْغَائِبِ ، وَقَدْ يَدْخُلُ فِي فِعْلِ
 الْحَاضِرِ ، عَلَى ذَلِكَ مَا رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَرَأَ : ﴿ فَبِذَلِكَ
 فَلْيَنْفِرْ حُرًّا ﴾^(٢) . وَقَوْلُهُ « مَا شَاءَ » أَرَادَ مَا شَاءَ أَنْ يَقُولَهُ ، فَحُذِفَ الْمَفْعُولُ ، وَكَذَلِكَ
 قَوْلُهُ « مَنْ شَاءَ » مَحْذُوفُ الْمَفْعُولِ ، أَيْ مِنْ شَاءَ الْقَوْلُ ؛ فَإِنَّ الْمَلَامَ يَسْتَحِقُّهُ الْفَتَى

(١) ذكره المرزباني في مجمه ٢٢٥ - ٢٢٦ وساق له هذه الأبيات .

(٢) هي قراءة أبي وابن الفقعان وابن عامر والحسن . تفسير أبي حيان (٥ : ١٧٢) .

وبجمهور القراء بالتاء على الخطاب .

فَمَا يُطِيقُهُ وَيَدْخُلُ تَحْتَ مَقْدُورِهِ ثُمَّ لَا يَفْعَلُهُ ، فَأَمَّا مَا لَا يَطِيقُهُ فَقَدْ سَقَطَ اللَّوْمُ فِيهِ عَنْهُ .

وقوله « قَضَى اللَّهُ حُبَّ الْمَالِكِيَّةِ » ، يريد حَتَمَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ وَأَوْجِبَهُ ، فَتَكَلَّفَ الصَّبْرَ فِيهِ ، فَقَدْ تَجَرَّى الْأُمُورُ عَلَى قَدَرٍ ، أَيْ عَلَى تَقْدِيرٍ ، تَضْيِيقُ الشُّبُلِ عَنِ الْإِنْفِكَالِكِ مِنْهُ ، فَلَا حِيلَةَ فِيهِ إِلَّا التَّرَاهُهَا . وَهَذَا تَسْلِيَةٌ مِنْهُ لِنَفْسِهِ وَبَعَثَ لَهَا عَلَى الرِّضَا بِمَا قَسِمَ لَهُ ، وَقُضِيَ عَلَيْهِ .

٥٨٠

وَقَالَتْ وَجِيهَةٌ بِنْتُ أَوْسِ الضَّبِيَّةِ :

١ - وَعَاذِلَةٌ تَعْدُو عَلَيَّ تَلُومُنِي عَلَى الشَّوْقِ لَمْ تَمْنَحِ الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي (١)

٢ - فَمَا لِي إِنْ أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي وَأَبْغَضْتُ طَرْفَاءَ الْقُصَيْبَةِ مِنْ ذَنْبِ (٢)

تَقُولُ : رَبِّ لَا أَمَّةَ هُمَّهَا مَقْصُورٌ عَلَى لُومِي وَعَتْبِي ، فِيمَا أَهْوَاهُ وَأَمِيلُ إِلَيْهِ ، وَأَعِدُ نَفْسِي بِهِ فَتَشْوَقُهُ (٣) ، فَلَا يُوَدِّي عَتْبَهَا إِلَى طَائِلِهَا ، لِأَنَّ تَنْصَحَهَا مَرْدُودٌ ، وَوَعظَهَا مَدْفُوعٌ ؛ وَلَا إِلَى طَائِلِ لِي ، إِذْ كَانَ لَا تَزْدَادُ الصَّبَابَةَ فِي قَلْبِي إِلَّا تَمَكَّنَا وَثَبَاتًا ، وَلَا الْاِشْتِيَاقَ الْإِلَازِمَ لِي إِلَّا زَيْدَادًا وَدَوَامًا ؛ وَأَنَا إِذَا أَحْبَبْتُ أَرْضَ عَشِيرَتِي وَرَهْطِي ، وَوَطْنَ أَحِبَّتِي وَأَهْلِي ، وَمَسَقَطَ رَأْسِي ، وَحَيْثُ حَلَّ الشَّبَابُ تَمِيمَتِي ، وَأَبْغَضْتُ الْقُصَيْبَةَ مَنْبِتَ الطَّرْفَاءِ ، أَرْضًا لَمْ أَفْضِ مَأْرَبَةً فِيهَا ، وَلَا أَوْجَبْتُ مَذْمَةً لَهَا ، فَلَا ذَنْبَ لِي أَلَامُ فِيهِ ، وَلَا جَرِيرَةَ مَكْتَسَبَةً فَأَعْتَبَ عَلَيْهَا . وَقَوْلُهُ « مِنْ ذَنْبِ » فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ ، لِأَنَّهُ اسْمٌ مَالِي ، وَجَوَابُ الْجَزَاءِ مِنْ قَوْلِهِ

(١) أَنشَدَ يَاقُوتُ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ فِي (الْقُصَيْبَةِ) ، وَالْبَيْتَ الْأَوَّلَ بِرِوَايَةٍ : وَعَاذِلَةٌ هَبْتَ

بَلِيلَ تَلُومُنِي .

(٢) الْقُصَيْبَةُ : مَوْضِعٌ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَخَيْبَرَ .

(٣) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « فَتَشْوَقُهُ » . يُقَالُ : تَشَوَّقْتُ إِلَى الشَّيْءِ ، أَيْ تَطَلَّعْتُ ،

وَتَشَوَّقْتُ إِلَى الشَّيْءِ : اِشْتَقَقْتُ .

« إن أحببت أرضَ عَشيرتي » في قوله « مالي من ذنب » ، وجواب رَبِّ في قوله « لم تمنحُ الصبايةَ » .

٣- فلو أن رِيحاً أبلغتُ وحيَ مُرسِلٍ حَفِيٍّ ، لَنَاجَيْتُ الجَنُوبَ على النَّقْبِ

٤- فقلتُ لَهَا أَدَى إِلَيْهِمْ تَحِيَّتِي ولا تَخْلِطِ بِهَا ، طَالَ سَعْدُكَ ، بالترابِ

٥- فَإِنِّي إِذَا هَبَّتْ شَمَالاً سَأَلْتُهَا هَلِ ازْدَادَ صَدَاحُ الثَّمِيرَةِ مِنْ قُرْبِ

الوَحَى : مصدر وَحَيْتُ لك بخير، أى أجبرت ؛ ويستعمل أَوْحَى وَوَحَى في

معنى البعث والإلهام . والإيحاء : الإيماء والإشارة . فيقول : لو أن رِيحاً أدت

خَبَرَ مُرْسِلٍ ، أو بَعَثَ مُلِحٌ مُنْفِذٌ لِسَارَزَتْ رِيحَ الجَنُوبِ على الطَّرِيقِ - والحَفِيُّ

يكون المُلِحُّ ، ويكون اللطيف ، ومصدره الحَفَايَةُ . والنَّقْبُ : الطَّرِيقُ في الجَبَلِ -

ولَقُلْتُ : يارِيحُ بُلِّغِيهِمْ تَحِيَّتِي ، وَصُونِهَا عن الإذالة ، وَخَلِطِهَا بالترابِ ، أَطَالَ

اللهُ سَعَادَتِكَ . وقوله « طَالَ سَعْدُكَ » دعاءٌ لها ، وهو من الاعتراضات المستحسنة ،

ومثله قولُ الآخر :

فَمَا مَكُنْتُمْ دَامَ الجَمِيلُ عَلَيْكُمَا بِنَهْلَانِ إِلَّا أَنْ تَزِمَّ الأَبَاعِرُ^(١)

وقول الآخر^(٢) :

إِن الشَّمَانِينَ وَبُلِّغْتَهُمَا قَدْ أَحْوَجَتْ سَمِعِي إِلَى تَرْجُمَانٍ

وقوله : فَإِنِّي إِذَا هَبَّتِ الرِّيحُ شَمَالاً ، انتصابه على الحال . وسَأَخُ ذَلِكَ فِيهِ

لِكونه صفةً لا اسماً . وعلى هذا الجَنُوبُ والقَبُولُ والدَّبُورُ ، يجوز في جميعها أن

تقع أحوالاً لكونها صفاتٍ . وكانَّ الجَنُوبُ كانت تَهَبُّ من نحو أرضِهِ مستقبلةً

لديارِ أَحِبَّتِهِ ، فلذلك جعلها رسوله . وكانت الشَّمَالُ تَهَبُّ من ناحيةِ أرضِ حبيبه

(١) ل : « فما مكثها » . وعلماء البديع يروونه : « دام الجمال عليكما » ويحملون في البيت

جناساً معنوياً بين الجمال بفتح الجيم وبين « الأباعر » لأن الأباعر جمال بكسر الجيم . فعدل قائل البيت ، وهو امرأة من بني عقيل ، عن الجناس اللفظي إلى الجناس المعنوي .

(٢) هو عوف بن محلم الخزاعي . من قصيدة في أمالي القالي (١ : ٥٠ - ٥١) .

مستقبلهً بلادَه ، فلذلك زعمَ أَنَّهُ يسألها عما استمعَ عليه من أخبارهم .
وقال ابن الأعرابي : مَهَبُ الْجَنُوبِ يَمَانٍ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ ، وَقَلَمًا تَسْرِي
بِاللَّيْلِ ، وَهِيَ مَبَارِكَةٌ . وَالشَّمَالُ شَامِيَةٌ ، فَهِيَ أَكْثَرُ الرِّيَّاحِ هَبُوبًا ، وَهِيَ
صَاحِبَةُ الشِّتَاءِ .

و «صَدَّاحُ النَّمِيرَةِ» الصَّدْحُ: الصَّوْتُ^(١) ، يُقَالُ : صَدَحَ الدَّيْكُ وَالغُرَابُ ،
إِذَا صَوَّتَا . وَيَعْنِي جَلْبَةَ الصَّوْتِ وَنِدَاءَ دَاعِيهِمْ . وَالْمُنَادِي بِالرَّحِيلِ فِيهِمْ كَأَنَّهُ
يَنْتَظِرُهُمْ لِحُضُورِ وَقْتِ انْتِجَاعِهِمْ وَنَهَضَاتِهِمْ ، وَكَانَ يَتَعَرَّفُ ذَلِكَ لِيَسْتَبْشِرَ^(٢) بِهِ .

٥٨١

وقال مرداس بن هماس الطائي^(٣)

- ١- هَوَيْتُكَ حَتَّى كَادَ يَقْتُنِي الْهُوَى وَزُرْتُكَ حَتَّى لَامَنِي كُلُّ صَاحِبِ
 - ٢- وَحَتَّى رَأَى مِنِّي أَدَانِيكَ رِقَّةً عَلَيْنِكَ وَلَوْلَا أَنْتِ مَا لَانَ جَانِبِي^(٤)
 - ٣- أَلَا حَبِّدَا لَوْ مَا الْحِيَاءُ وَرُبَّمَا مَنَعَتْ الْهُوَى مَا لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ^(٥)
 - ٤- بِأَهْلِي ظَبَاءَ مِنْ رَبِيعَةِ عَامِرٍ عَذَابُ الثَّنَائِيَا مُشْرِفَاتُ الْحَقَائِبِ
- يقول : بلغت الغاية القصوى في كلِّ ما كان فيك ولك ، فحملت نفسي من

(١) التبريزي : « وقيل المراد بصداح النميرة الديك ، وقيل : أهلها ، وقيل :
حادي لبها ، وقيل : صداح النميرة موضع » .
(٢) هذا ما في ل . وعند التبريزي : « وكانت تتعرف ذلك لتستبشر به » . وفي
الأصل : « ليستبشر به » تحريف .
(٣) وكذا في ل . وعند التبريزي : « مرداس بن همام الطائي » ، وفي معجم المرزباني .
٤٧٤ : « مرار بن مياس الطائي » ، وأنشد الأبيات ١ ، ٢ ، ٤ . وروى التبريزي عن
أبي العلاء أن الأبيات نسبت إلى « مرار بن هماس » .
(٤) التبريزي والمرزباني : « رقة عليهم » ، وأشير في هامش ل إلى رواية التبريزي
في إحدى النسخ .
(٥) التبريزي : « وروى : من ليس بالمتقارب » .

أعباء الهوى وطلب التناهى فيه ما كاد يأتى علىّ ، أعدُّ ذلك واجِباً لكِ أوديه ،
 وفرضاً من حقوقكِ أقيمه وآتية ، ثم أذمنتُ الزيارةَ خادماً ، وترددتُ في
 التعرف والاستمطاف متقرِّباً ، حتَّى توجَّهَ إلى اللوم من أصحابي ، واستسرفني
 في البرجيري وأودائي ، وإلى أن ظهر لأفاريبك شفقتي عليكِ وريقتي ، ووضح
 ما اشتهر به أسرى عندهم وعُرف . ولولا أنتِ لبقيتُ على ما وجدت عليه قديماً
 من صيانة النفس وإكرامها وتبعيدها^(١) عن المراكب الشائنة المؤدية إلى
 ابتذالها ، فلم يَلِنَ جانبي ، ولم يزلُ جِحاخي وصعوبتي .

وقوله « أَلَا حَبِّدَا » المحبوبُ محذوفٌ ، كما حُذِفَ الحمد في قوله تعالى :
 ﴿ نِعِمَّ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، والمراد حبيبٌ إلى التَهْتِكُ في الهوى ، وتجاوز
 المألوف فيه إلى المستشنع الفبيح ، لولا الحياء ، على أني ربّما منحتُ هوايَ
 ما لا مطمَع في بلوغه ودنوّه . وهذا كما قال أبو تمام :

غَالِي الْهَوَى ، مِمَّا يَرْقِصُ هَامَتِي أُرْوِيهِ الشَّعْفِ التي لم تُسَهِّلِ^(٢)

وقوله « بأهلي ظبلاء » رجوعٌ منه إلى استلذاذ الهوى وإظهار التجلُّد فيه ،
 فيقول : أفدى بأهلي نساء من ربيعةٍ عامرٍ ، عذابَ المَبَايِمِ ، حِسَانَ الثغور
 والمضاحك ، عظيماً الأَكْفَالِ ، مُشْرِفَاتِ الأردافِ .

والحقائب : جمع الحقيبة ، وهي عجزُ الرَّجُلِ والمرأةُ جميعاً . ويقال : امرأةٌ
 نَفُجُ الحَقِيْبَةِ . والقصدُ بالتَّفْدِيَةِ في قوله « بأهلي ظبلاء » إلى صاحبتِهِ ، وإن كان
 لفظه عامّاً لها وأغيرها .

(١) هذا الصواب من ل . وفي الأصل : « وتبعدها » .

(٢) رواية الديوان ٢٣٣ : « على الهوى بما تعذب مهجتي » ، أى من أجل تعذيب
 أروية الشف لمهجتي . والشف : جمع شغفة ، وهي رهوس الجبال . لم تسهل : لم تصر
 إلى السهل .

٥٨٢

وقال بعض بني أسد^(١) :

- ١- تَبَعْتُ الهَوَى يَاطِيبُ حَتَّى كَأَنِّي
 ٢- تَعَجَّرَفَ دَهْرًا نُمُّ طَاوَعِ أَهْلَهُ
 ٣- وَإِنَّ زِيَادَ الْحُبِّ عَنكَ وَقَدْ بَدَتْ
 مِّنْ أَجْلِكَ مَضْرُوسُ الْجَرِيرِ قَوْوُدُ
 فَصَرَّفَهُ الرُّوَّاضُ حَيْثُ تُرِيدُ
 اِعْيِنِي آيَاتُ الهَوَى لَشَدِيدُ

يقول : أعطيت الهوى مقادتي فيك ، فتبعتها حيث جرتني ، لا أتمنعُ عليه ، ولا أطلبُ معدولاً إليه ، حتى صرتُ كأنني بعيرٌ قد عضَّه الجريرُ فلانٌ وانقاد . والجريرُ : حبلٌ مضمورٌ من آدم . والضرسُ : العَضُّ . والقوودُ : فعولٌ في معنى مفعول ، فهو كالقوتوبِ والرُّكوبِ ، والهمزة فيه بدلٌ من العين .

وقوله « تَعَجَّرَفَ » ، أى أخذ غير القصد زماناً ، لأنه كان صعباً ثم تذللَ ودخل في طاعة مداريره ، وهذا مثلُ ضربهُ للنفس في ابتداء هواه ، وأهَّه تأبى عليه مُدَّةً ، فترددَ بين جده وهزله ، واقتساره وليانه ، حتى ركبَ منه كلَّ مَرَكَبٍ ، واستوطأَ ظَهْرَهُ كلَّ استيطانٍ . فهذا معنى « وَصَرَّفَهُ الرُّوَّاضُ حَيْثُ تُرِيدُ » .

وقوله « وَإِنَّ زِيَادَ الْحُبِّ عَنكَ » ، يريد أن دَفَعَ حُبَّهُ عنها وصرَّفَهُ عَسِرُ صَعْبٌ وَقَدْ بَدَتْ آيَاتُ الهَوَى . والمعنى أن للهوى علاماتٍ حيث مالت بالإنسان ذهبَ معها ، فَيَعُدُّ الغَى رُشْدًا ، وَيَرَى التَّهَالُكَ فِيهِ حَيَاةً ، وَلَوْ رَامَ دَفَعَ حُبَّهُ عَنْهُ ، وَلَى نَفْسِهِ دُونَهُ ، لَتَعَذَّرَ وَامْتَنَعَ .

٤- وَمَا كُلُّ مَا فِي النَّفْسِ لِلنَّاسِ مُظْهَرٌ وَلَا كُلُّ مَا لَا تَسْتَطِيعُ تَذَوُّدُ^(٢)

(١) الأبيات رويت في معجم البلدان (غضور) ، وهى بلدة فيما بين المدينة إلى بلاد خزاعة .
 (٢) التبريزى : « وما كل ما في النفس لى منك مظهر » ، وأشار إلى الرواية الأخرى .
 وروى التبريزى أيضاً : « ما لا نستطيع نذود » .

٥- وإني لأرجو الوصل منك كما رجأ صدى الجوف مر ناداً كداه صلود

يقول : ليس جميع ما يشتمل عليه صدرى ، ويشقى فى الهوى بتحمّله جوانحى ، ممكناً إظهاره ؛ ولا كل ما تطيقه النفس ، أو لا تمنض به ، يسهل دفعه ؛ فأنا أسيرُ الهوى وتبّيعه ، متردّد فى بلواه ، لا أجدُ منه تحلّصاً ، ولا أستطيع عنه ملجأً ومناصاً .

وقوله « وإني لأرجو الوصل منك » يقول : وعلى ما أصفه من حالى فيك أرجو وصالك رجاء إنسان شديد العطش ، يطلب الماء من موضع حفره فأكدى ، أى بلغ كدّيته ، وهى حجرة يعرض فى البئر عند الاحتفار فيمتنع قطعه بالمعاول ، وجمعها كدّى . وهذا مثل ، والمعنى أن رجائى فى خيرك مع حاجتى رجاء رجل عطشان يطلب الماء ويرجوه من بئر هكذا . والصلود : اليابس ، ويقال للبخيل : أضلدّ وصلدّ وصلود ، تشبيهاً به ، وكذلك زند صلود إذا لم يؤر . والمرتاد : الطالب ، ومفعوله محذوف ، ويجوز أن يُعنى بالمرتاد المطلوب ، ويراد به الماء ، وقد أقام الصفة مقام الموصوف ، وعلى الوجه الأوّل ينتصب على الحال .

٦- وكيف إطلاّبى وصل من لو سألته قذى العين لم يطلب وذاك زهيد

٧- ومن لو رأى نفسى تسيل لقال لي أراك صحیحاً والفؤاد جليد

يصف بخلها وتمنّعها فيقول : كيف أستجيز طلب وصال إنسان لو سألته إزالة قذى العين لم يجبنى إليه ، وذاك قليل فيما يسأل ويطلب . فحذف المضاف ، وأقام المضاف إليه مقامه ، كما قال الآخر^(١) :

يا صخر وراة ماء قد تناذره أهل الوارد ما فى وزده عار

(١) هو الخنساء من قصيدة فى ديوانها . وانظر الكامل ٧٣٧ ليساك .

يريدُ : ما في ترك وُروده عارٌ ، فحذف المضاف . ويجوز أن يريد لو سألته
ألاً يُقذى عيني ، كما تقول : سألت فلاناً ضربَ فلان ، أي استوهبته ضربه
لم يُطِئني . ويجوز أن يريد من لو سألته تافهاً لا خطر له ولا اعتداد به ،
فصربَ المثلَ بالقذى ، والمعنى : لو سألته ما يُقذى العين .

وقوله « مَنْ لو رأى نفسى » عطفه على مَنْ لو سألته ، يريد : ولو رأى
دمي يسيلُ لقال لقسوة قلبه على : أراك صحيحاً لا داء بك ولا آفة ، وقلبه
جليدٌ ، أي يرقُّ لى ولا يرحمى ، والمراد على هذا بالقلب قلبُ المرأة ، ويكون
الواو في « والنواد » واو الحال ، ويجوز أن يكون من تمام الحكاية ومن كلام
المرأة ، والمعنى أنها تقول مع ما ترى من سيلان دمي : أرى نفسك صحيحة ،
وقلبك ثابتاً ماضياً ، لا آفة بك ولا غائلة .

٨ - فَيَأْيُهَا الرِّيمُ الْمُحَلَّى لِبَانُهُ بَكَرْمَيْنِ كَرْمَى فِضَّةٍ وَفَرِيدُ
٩ - أَجِدِّي لِأُمْسَى بِرَمَّانِ خَالِيَا وَغَضُورَ إِلا قِيلَ أَيْنَ تُرِيدُ^(١)

كأنه استعطفها وذكَّرها اشتهاه بها ، وتوجَّه التَّهَمُ إليه بسببها ، حتى ضاق
بهذين الموضعين مجاله ، وتمسَّر عليه وإن تفرَّد فيها إمساؤه .

والرِّيمُ : الطَّيُّ الخالصُ البياض . والمُحَلَّى لِبَانُهُ ، أي ترائبه . بَكَرْمَيْنِ ،
أي بقلادتين . والفريد : الدرُّ . واللَّبَانُ : الصَّدْرُ . وقوله « وفريدٌ » إن جعلته
ممتوطاً على فِضَّةٍ يكون إقواءً ، ولك أن ترفعه بالابتداء والخبرُ محذوف ، كأنه
قال : وفريدٌ فيهما . ويروى : « كَرَمًا فِضَّةٍ وَفَرِيدُ » ، فينعطف الفريد على
« كَرَمًا » ويكون الكلام على الاستئناف لا الإبدال ، كأنه قال : هما كَرَمًا
فِضَّةٍ وفريدٌ . وهذا أصحُّ وأجود .

(١) التبريزي : « لا أمسى » ، ثم قال : « ويروى : لا أمسى » .

وقوله « أَجِدِّي » يريد: أعلى جِدِّي مِنِّي هذا الأمر، وهو أني لا أنسى
مفرداً بنفسى بَرْمَانَ وَغَضُورَ الْإَقِيلِ: أين مُرَادُكَ. و « أَجِدِّي » في موضع
المصدر، والفعل العامل فيه محذوف، وذكر الإماء والمراد الإماء والإصباح
جميعاً، لكنّه اكتفى بذكر أحدهما لعلم الناس بأن حاله فيما ذكره يستوى فيه
الليل والنهار.

٥٨٣

وقال رجل من بني الحارث:

١- مُنَى إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمُنَى وَإِلَّا فَقَدْ عَشِنَا بِهَا زَمَمًا رَغَدًا
٢- أَمَانِيٍّ مِنْ سُعْدَى حِسَانًا كَأَمَّا سَقَمْتُكَ بِهَا سُعْدَى عَلَى ظَمًا بَرْدًا^(١)

المُنَى: جمع مُنْيَةٍ، وموضعها من الإعراب رَفَعٌ على أنه خبر مبتدأ محذوف،
كأنه قال: هي مُنَى. فيقول: هذه الخصال التي نَعِدُ بِهَا أَنْفُسَنَا فِي هَذِهِ الْمَرَاةِ
وَتَعِدُّنَا بِهَا، لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تَكُونَ صَادِقَةً أَوْ كَاذِبَةً؛ فَإِنْ جَاءَتْ صَادِقَةً مُحَقَّقَةً
فهي أحسن الأمانى وأوفقها للناس، وإن كانت كاذبةً فإنما نعيش بِذِكْرِهَا
منتظرين لها زمماً ممتدداً، وعيشاً واسعاً رافهاً.

وقوله « أَمَانِيٍّ مِنْ سُعْدَى » نَصَبٌ بِإِضْمَارِ فِعْلٍ، كَأَنَّهُ قَالَ: أَذْكَرُ أَمَانِيٍّ
مِنْ سُعْدَى. وَكَرَّرَ لَفْظَ سُعْدَى تَلَذُّذًا لِاسْمِهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي أَنَّ الْأَعْلَامَ
وَأَسْمَاءَ الْأَجْنَاسِ يُفَعَّلُ بِهَا ذَلِكَ. وَالْمَعْنَى: أَذْكَرُ أَمَانِيٍّ مِنْ هَذِهِ الْمَرَاةِ جَمَلَةً تُرَحِّي
أَوْقَاتِنَا، وَكَأَنَّ مَوْقِعَهَا مِنْ قُلُوبِنَا مَوْقِعُ الْمَاءِ الْبَارِدِ مِنْ ذِي الْعُلَّةِ الصَّادِي. وَقَوْلُهُ
« زَمَمًا رَغَدًا » الرَّغْدُ: السَّعَةُ فِي الْعَيْشِ. وَيُقَالُ: عَيْشٌ رَاغِدٌ وَرَغِيدٌ. وَانْتِصَابُ
رَغْدًا عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ لِلْمَصْدَرِ مُحْذُوفٌ، كَأَنَّهُ قَالَ: عَشِنَا عَيْشًا رَغْدًا بِهَا زَمَمًا.

(١) التبريزي: «من سعدى رواء»، مع رفع «أمانى» و «رواء».

ولا يمتنع أن يكون صفة لقوله زَمَنًا ، كآته قال عَيْشًا واسِعًا . وقوله « على ظملي »
برزًا « يريد ماءً ذا برد .

٥٨٤

آخر (١) :

- ١- وَخُبِّرْتُ سَوْدَاءَ الْقُلُوبِ مَرِيضَةً فَأَقْبَلْتُ مِنْ أَهْلِ بَمِصْرَ أَعُودُهَا
٢- فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا أَأَبْرئُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا
قوله « خُبِّرْتُ » تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل ، ومریضة المفعول الثالث .
وقوله « أَعُودُهَا » في موضع الحال من أَقْبَلْتُ . ويجوز أن يريد بقوله « سَوْدَاءِ
الْقُلُوبِ » أَنَّهَا تَحُلُّ مِنَ الْقُلُوبِ محلَّ الشَّوَيْدَاءِ مِنْهُ ، كَأَنَّ الْقُلُوبَ عَلَى اخْتِلَافِهَا

(١) هو العوام بن عقبة بن كعب بن زهير . وكان من سبب الشعر ما روى التبريزي
عن أبي محمد الأعرابي أن صواب رواية البيت الأول : « سَوْدَاءُ الْغَمِيمِ » ، وأن سَوْدَاءَ الْغَمِيمِ
امرأة من بني عبد الله بن غطفان ، اسمها ليلي ولقبها سَوْدَاءُ ، وكانت تنزل الغميم من بلاد عطفان
وكان عقبة بن كعب بن زهير ينسب بها ، ثم علقها بعده ابنه العوام بن عقبة وكلف بها ، وكانت
تجد به كذلك ، فخرج إلى مصر في ميرة فبلغه أنها مريضة ، فترك ميرته وكرنحوها وأنشأ يقول :

نبيت سَوْدَاءَ الْغَمِيمِ مَرِيضَةً	فَأَقْبَلْتُ مِنْ مِصْرَ إِلَيْهَا أَعُودُهَا
فِيَالَيْتَ شَعْرِي هَلْ تَغْيِرُ بَعْدَنَا	مَلَا حَقَّ عَيْنِي أَمْ يَحْيِي وَجِيدُهَا
وَهَلْ أَخْلَقْتُ أَثْوَابَهَا بَعْدَ جَدَّةِ	أَلَا حَبْسًا أَخْلَاقُهَا وَجَدِيدُهَا
وَلَمْ يَبْقَ يَا سَوْدَاءُ شَيْءٌ أَحْبَبَهُ	وَإِنْ بَقِيَتْ أَعْلَامُ أَرْضِ وَبِيدُهَا
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي إِذَا أَنَا جِئْتُهَا	أَأَبْرئُهَا مِنْ دَائِهَا أَمْ أَزِيدُهَا
نَظَرْتُ إِلَيْهَا نَظْرَةً مَا تَسْرَنِي	بِهَا حَمْرُ أَنْعَامِ الْبِلَادِ وَسُودُهَا
وَلَوْ أَنَّ مَا أَبْقَيْتَ مِنِّي مَعْلَقٌ	بَعُودٌ ثَمَامٌ مَا تَأُودُ عُودُهَا

فلم يزل يلطف حتى رأته ورآها ، فأومأت إليه أن ما جاء بك ؟ فقال : جئت عائدًا
حين علمت حلتك . فأشارت إليه أن ارجع فإنني في عافية . فرجع لميرته واستعز بها المرض ،
فجعلت تتوله إليه حتى ماتت . فبلغه الخبر فقال :

سقى جسدنا بين الغميم وزلقة	أحم الذرى واهى العزالي مطيرها
وفيها يقول :	
وإن تلك سَوْدَاءُ الشَّيْءِ فَارَقَتْ	فقد مات ملح الغنائيات وفورها

تميل إليها وتنطوي على حبها . ويجوز أن يكون كان اسمها سوداء وأضافها إلى القلوب ، كما قال ابن الدُمَيْنَةِ :

قِنِي يَا أُمَيْمَ الْقَلْبِ نَقْضِ تَحِيَّةً ونشكو الهوى ثم أفعل ما بدالك

ويجوز أن يكون أراد أنها قاسية القلب سوداؤه ، فجمع القلب بما حوله فقال القلوب ، أو لأنها كأن لها مع كل متيم بها قلباً ، فقال القلوب على ذلك . فيقول : نُبِّيتُ أَنَّهَا تَأَلَّمَتْ لِعَارِضِ عِلَّةٍ ، فَأَقْبَاتُ مِنْ أَهْلِ بِمَصْرَ عَائِدًا لَهَا ، وَوَاللَّهِ أَحْلِفُ مَا أَدْرِي إِذَا حَصَلَتْ عِنْدَهَا أَصْبِرُ شِفَاءً مِمَّا بَهَا ، أَوْ أَزِيدُ فِي شِكْوَاهَا لِتَبْرُّمِهَا بِي ؛ كَأَنَّهُ ظَنُّ بِهَا تَفَكُّرًا وَحُورًا عَنِ الْعَهْدِ . وقوله « أم أزيدها » يريد : أم أزيدها داءً ، فحذف لأن المراد مفهوم .

٥٨٥

وقال آخر :

١- إني وإياك كالصّادى رأى نهلاً ودونه هوةٌ يخشى بها التلغا
٢- رأى بعينيه ماءً عزّ مورده وليس يملك دُونَ الماءِ مُنصرَفاً

يقول : مثلى ومثلك فى مَسَاسِ حَاجَتِي إِلَيْكَ ، وَتَنَاهِي رَغْبَتِي فِي وَصْلِكَ وَالنَّهْلِ مِنْكَ ، وَفِي احْتِجَازِكَ عَنِّي وَامْتِنَاعِكَ مِنِّي ، مَثَلُ رَجُلٍ عَطْشَانَ شَاهِدَ مَاءٍ ، وَقَدْ حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ وَرُودِهِ وَهَدَّةٌ عَمِيقَةٌ يَخْشَى مِنْ اقْتِحَامِهَا الْمَلَكَ ، فَالْمَاءُ بِمَرَأَى مَعَهُ ، وَقَدْ غَلَبَهُ الْمَانِعُ عَنْهُ ، لَيْسَ يَقْدِرُ عَلَى انْصِرَافِهِ مِنْ دُونِهِ ، لَغَلَبَةِ الْعَطْشِ عَلَيْهِ ، وَشِدَّةِ الْفَاقَةِ إِلَيْهِ ، فَكَذَلِكَ أَنَا وَأَنْتِ . وَقَوْلُهُ « رَأَى نَهْلًا » فِي مَوْضِعِ الْحَالِ ، وَقَدْ مَقْدَّرَةٌ فِي الْكَلَامِ ، لِأَنَّ رَأَى بِنَاءٍ لِلْمَاضِي . وَالنَّهْلُ وَالْمَنْهَلُ : الْمَاءُ ، وَمَوْضِعُ الْمَاءِ . وَقَوْلُهُ « وَدُونَهُ هُوَّةٌ » فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلنَّهْلِ ، كَمَا أَنَّ عَزَّ مَوْرِدُهُ فِي مَوْضِعِ الصِّفَةِ لِلْمَاءِ . وَإِنَّمَا قَالَ « رَأَى بَعِينِيهِ » فَذَكَرَ

العين تأكيذاً للرؤية . ومثله قوله تعالى : ﴿ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ وما أشبهه .

٥٨٦

وقال آخر :

١ - أَلَا بِأَيْدِنَا جَعْفَرٌ وَبِأَمِينَا نَقُولُ إِذَا الْهَيْجَاءُ سَارَ لَوَاؤُهَا

٢ - وَلَا عَيْبَ فِيهِ غَيْرَ مَا خَوْفِ قَوْمِهِ عَلَى نَفْسِهِ أَلَّا يَطُولَ بِقَاؤُهَا

قوله « أَلَا بِأَيْدِنَا » ، الجملة في موضع المفعول لقوله نقول . والباء من « بأيدنا » تعلق بفعل مضمر ، والمراد : نفدي بأيدنا وأمّاتنا جعفرأ إذا سار الخيس وحل لواء الجيش قاصداً إلى الهيجاء . وأضاف اللواء إلى ضمير الهيجاء لحاجتها إليه .

وقوله « وَلَا عَيْبَ فِيهِ » يريد أن جعفرأ برى من العيوب إلا من مخافة قومه على نفسه ألا تطول مدتها ، ولا يتنفّس مهلها . وليس ذلك بعيب ، وإنما يُشفقون مما ذكروا تنافساً في حياته ، ورغبة في الانتفاع به وبمكانه ، لكنه أراد أن من ذلك معيبه ، فكيف يكون مرضيه .

فإن قيل : إِمَّ أَدْخَلَ هَذَا فِي جَمَلَةِ السَّيْبِ وَلَيْسَ هُوَ مِنْهُ ؟ قُلْتُ : لَطَافَةٌ لَفْظُهُ وَحِلَاوَةٌ مَعْنَاهُ ، وَمُنَاسِبَةٌ بِذَلِكَ لِلسَّيْبِ ، أَدْخَلْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ . وَقَدْ فَعَلَ لِأَنَّ هَذِهِ الْعَلَّةَ مِثْلَ هَذَا فِيمَا تَقَدَّمَ ، وَنَبَّهْنَا عَلَيْهِ (١) .

٥٨٧

وقال آخر :

١ - وَإِنِّي عَلَى هِجْرَانِ بَيْتِكَ كَالَّذِي رَأَى نَهْلًا رَبًّا وَلَيْسَ بِنَاهِلٍ

٢ - يَرَى بَرْدَ مَاءٍ ذِيدَ عَنهُ وَرَوْضَةً بَرُودَ الضَّحَى فَيُنَانَةٌ بِالْأَصَائِلِ

يقول : إني على ما أجزى عليه من تعزلي لبيتك ، ومهاجرتي لفنائك ، ولما

(١) انظر ما سبق في ص ١٢٦٧ .

أنقى به من مكاشفة الرُقباء على ترصدهم بالمكروه لي ولك ، واختلافهم في التقاط
 حديثي وحديثك ، لكالعطشان وقد رأى ماء مُرَوياً كثيراً ، بارداً شهياً ،
 فُمِنِعَ منه ، وشافه^(١) روضةً باردةً الظلَّ عند الضحَاء ، كثيرة الأفنان والغُصون ،
 إذا هبَّت رياح العِشاء فحِيلَ بينه وبينها . والنَّهْلُ : الماء . والنَّاهِلُ : الرِّبَانُ هاهنا ،
 ويكون العطشان أيضاً في غير هذا . وذِبْدَ عنه ، أى مُنِعَ منه . والفينانة :
 الكثرة الأفنان ؛ وهو فَيَعَالٌ . والفَنَنُ : الغُصن . والأصائل : العشيَّات .

وقوله « برى برد ماء » ، يقول : يرى ماء بارداً ، لأنَّ البُرد لا يُدرك
 بالعين . وإن شئت قلت : جملة للمبالغة في الوصف كالحسوس .

٥٨٨

وقال آخر :

١ - فَمَرًّا عَلَى أَهْلِ الْغَضَى إِنَّ بِالْغَضَى رَقَارِقَ لَا زُرُقَ الْعِيُونَ وَلَا رُمْدًا^(٢)

٢ - أَكَادُ غَدَاةَ الْجِزْعِ أَبْدَى صَبَابَةً وَقَدْ كُنْتُ غَلَابَ الْهَوَى مَاضِيًا جَلْدًا

يخاطب صاحبين له يسألهما أن يجوزا بأهل الغضى ، لأنَّ فيها نساءً يترقرق
 ماء الشَّبَابِ فيهن ، لا زُرُقَ في عيونهن ولا رَمْدَ . ويقال : فَتَى رَقْرَاقٌ ، وفتاة
 رقراقةٌ ، والمراد به ابتداء الشَّبَابِ . وذكر بعضهم أنَّ المراد بالرقارق مياة رقيقة ،
 وأنَّ الزُرُقَ الصَّافِيَةَ ، والرَّمْدَ المتغيِّرة الألوان ، والأوَّلُ أقرب ، لأنَّ الرَّمْدَ
 لا يُستعمل إلا في الحاسَّةِ ، ولأنَّ الفائدة في كون مياة الغضى على هذه الصِّفة
 قليلةٌ . وقصدُ الشاعر فيما كلف صاحبيه أن يجددًا عهدًا بأهل الغضى ، ويتعرفًا
 من أخبار محبوبته ، ما تسكن نفسه إليه . وفي قوله « إنَّ بالغضى رقارق » ، إذا
 جعلت الرقارق نساءً ، نسيبٌ بها وبصواحبها : وقوله « لا زُرُقَ العيون » ،

(١) كذا في النسخين ، ويعنى بها المقاربة . (٢) ل وانتبريزى : « مرا » ، بالحرم .

ثَبَّتَ لَهْنَ كَحَلِّ الْعِيُونِ وَسَلَامَتِهَا مِنَ الْآفَاتِ ، بِنَفْيِ الْأَضْدَادِ عَنْهَا ، وَهَذَا كَمُتَّحِدِ بَدِ الشَّيْءِ بِالسَّلْبِ .

وقوله « أ كَادَ غَدَاةَ الْجِزْعِ » يَصِفُ مَا نَالَهُ غَدَاةَ يَوْمِ الْبَيْنِ ، وَأَنَّهُ مَعَ ثَبَاتِهِ فِي الشَّدَائِدِ ، وَصَبْرِهِ عَلَى النَّوَائِبِ ، وَحُسْنِ تَمَاسُكِهِ عَنِ جَوَالِبِ الْهَوَى ، يَفْتَضِحُ وَيُظْهِرُ عَلَيْهِ مِنَ الْاِكْتِثَابِ وَالْوَجْدِ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى مُسْتَكِنَاتِ صِبَابَتِهِ ، وَخَفِيَّاتِ أَحْوَالِهِ .

٣ - فَلِلَّهِ دَرِّي أَيَّ نَظْرَةٍ ذِي هَوَى نَظَرْتُ وَأَيْدِي الْعَيْسِ قَدْ نَكَبْتُ رَقْدًا^(١)

٤ - يُقَرِّبُنْ مَا قَدْ آمَنَّا مِنْ تَنُوفَةٍ وَيَزِدُّنْ مِمَّنْ خَلْفَهُنَّ بِنَا بُعْدًا

قوله « اللهُ دَرِّي » يَجْرِي مَجْرَى : اللهُ خَيْرِي . وَمِنْ عَادَتِهِمْ أَنْ يَنْسُبُوا مَا يُهْجِبُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ذَكَرَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ كُلَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ لَهُ . وَقَدْ فَارَقَ دَرِّي بِالِاسْتِعْمَالِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ الْمَصَادِرَ ، فَلَا يَتَعَلَّقُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ مُتَعَلِّقَاتِهَا . وَقَوْلُهُ « أَيَّ نَظْرَةٍ ذِي هَوَى » تَعْجُوبٌ ، وَانْتِصَابٌ أَيَّ بِنَظَرْتُ . وَكَأَنَّهُ لَمَّا صَبَرَ عِنْدَمَا رَأَى مِنْ آيَاتِ الْفِرَاقِ وَلِوَاذِعِ الْبَيْنِ ، وَصَارَ بِمَرَأَى مِنْهُ وَبَسْمَعٍ ، مِنَ التَّهَيُّؤِ لِلارْتِحَالِ ، وَمِنْ تَدْبِيرِ عَوَارِضِ السَّفَرِ ، عَدَّ ذَلِكَ مِنْ نَظَرِهِ وَجَلَدِهِ شَيْئًا عَجِيبًا . وَمَعْنَى « نَكَبْتُ رَقْدًا » وَهُوَ مَوْضِعٌ كَانَ يَجْمَعُهُمْ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرِيدَ بِذَلِكَ نَظْرَهُ فِي إِثْرِ الظَّمَانِ تَحْشُرًا وَصَاحِبَتِهِ مَعْنَى ، كَمَا قَالَ الْآخِرُ^(٢) :

بِعَيْنِي ظُنُّنُ الْحَيِّ لَمَّا تَحَمَّلُوا لَدَى جَانِبِ الْأَفْلَاجِ مِنْ جَنْبِ تَيْمَرَا
وقوله^(٣) :

وَمَا بَدَا حَوْرَانُ فِي الْآلِ دُونَهَا نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنِيكَ مَنظَرًا^(٤)

(١) التبريزي : « أي نظرة ناظر » ، وأشار إلى الرواية الأخرى .

(٢) هو امرؤ القيس . ديوانه ٩٠ .

(٣) هو امرؤ القيس . ديوانه ٩٥ .

(٤) يروي أيضاً : « والآن دونه » .

ويكون على هذا قوله « نَكَبْتُ رَقْدًا » معناه انحرقت عنه وتركته ،
لكونه مَفَرَّقِ الطَّرْقِ .

وقوله « يقرَّبُ ما قُدَّ اَمَنًا من تَنُوفَةٍ » وصف العيسَ بالشرعة . والتَّنُوفَةُ :
المفازة . والمراد أن ما يقطعُه غيرها في يومين تقطعُها هذه في يومٍ . والكلامُ
تَحْشُرٌ وتَوْجَعٌ ، لتباعدِه عَمَّنْ هواهُ معهم . ومثله قول الآخر :

إذا نحنُ قلنا وردهُنَّ ضُحَى غَدٍ تَمَطَّيْنِ حَتَّى وَرَدُهُنَّ طُرُوقُ
وتعلَّقَ الباءُ من قوله « بنا » بقوله يَزِدُّنِ . وبعداً ، انتصبَ على التَّمْيِيزِ .

٥٨٩

وقال ابنُ هَرَمِ الطَّائِي (١) :

١ - إني على طولِ التَّجَنُّبِ والنَّوَى وَوَأَشِ أتاها بي وواشٍ بها عندي (٢)
٢ - لأحسِنُ رَمِّ الوَصْلِ مِنْ أُمَّ جَعْفَرٍ بِحُدِّ القَوَافِي والمُنَوِّقَةِ الجُرُودِ

بصفُ حَسَنٍ تَأْتِيهِ فِي عِمَارَةِ الهوى والحُبِّ ، وبلِغَ لُطْفِهِ فِي تَلَاوِي مَا يَخَافُ
انقِطَاعَهُ مِنْ عِلَاقِ الوصلِ ، وانتِكاثِهِ مِنْ وثائقِ العهدِ ، لِوِشَايَةِ وَاشٍ ، أَوْ
تَضْرِيْبِ مُفْسِدٍ ، أَوْ قَدْحِ سَاجِ بالنَّمَامِ مَتَزِيْدٍ . فيقول : إني على مُطَاوَلَةِ البِعادِ ،
ومعاوَنَةِ الوِشَاةِ بالتَّحْرِيشِ والإفْسادِ ، لأحْسِنُ عِمَارَةَ الحَالِ بَيْنِي وَبَيْنِهَا ، وَرَمِّ
مَا يَسْتَرِمُ مِنْ جِوَانِبِ وَصَالِهَا ، بِمَا أَنْظِمُهُ مِنَ الشَّعْرِ ، وَأُحْكِمُهُ مِنْ عُقَدِ السَّجْرِ
فِي رَسَائِلِي ، وَأَرْدُدُهُ مِنَ الرُّسُلِ المَتَوَجِّهِينَ إِلَيْهَا عَلَي رِوَاحِي . وقيل فِي الحُدِّ : إنَّهَا
الأبْيَاتُ النَّافِذَةُ ، وقيل : هِيَ الخَفِيْفَةُ الوِزْنُ ، اللَّطِيْفَةُ السَّبْكُ . وقيل : إنَّهَا
المُسْتَقَلَّةُ بَأَنْفُسِهَا ، وَيُقَالُ : بَيْتٌ أَحَدٌ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مُضْمَنًا . والمُنَوِّقَةُ : المَرْوُضَةُ

(١) التبريزي : « الكلاب » .

(٢) التبريزي : « التجنب والهوى » و « لها عندي » .

المُدَّلَّة من الذوق . كذا قال الخليل . والجُرد : السَّرَاع . ويقال : نَجَاء
أَجْرَدُ . قال الشاعر :

* جَذَبَ القَرِينَةَ لِلنَّجَاءِ الأَجْرَدِ ^(١) *

وخبر إن في قوله « لأَحْسِنُ رَمَّ الوَصْلِ » .

٣- وَأَسْتَخْبِرُ الأَخْبَارَ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا وَأَسْأَلُ عَنْهَا الرِّكْبَ عَهْدُهُمْ عَهْدِي
٤- فَإِنْ ذُكِرَتْ فَاضْتَمِنَ العَيْنِ عِبْرَةٌ عَلَى لِحْيَتِي نَثْرَ الجُمَانِ مِنَ العِقْدِ

قوله « وأستخبرُ الأخبارَ » ، يجوز أن يكون على حذف المضاف وإقامة
المضاف إليه مقامه . والمراد : وأستخبر ذوى الأخبار من نحو أرضها . ويجوز أن
يريد أرجعُ فيما أعرف من أخبارها فيما بيني وبين نفسها حالاً بعد حال ، طالبا
لاستخراج زيادة فيها ، ومستمتعا بما يكون حاصلها فيها ، فكأنني أستخبرُ نفسَ
الخبر . وقوله « وأسأل عنها الركبَ عهدهم عهدى » مثله قول الآخر .

* وَذِكْرُكَ مِنْ بَيْنِ الحَدِيثِ أُرِيدُ *

استحلاء لاسمها ، وتلذذاً بذكرها .

وقوله « فَإِنْ ذُكِرَتْ » يقول : وإذا قرع سمعى ذكرها بكيث شوقاً إليها ،
ووجدأ بها ، فسأل الدمعُ من عيني ، وانثر ما غشي ليحيتى منه نثرَ الجمان من
قلادة لم يتفق نظامها ، وخان سلكها ، وتناثر حباتها . وانتصب « نثر » على
المصدر من غير لفظه ، فهو كقولك : تبسمت وميض البرق . وقوله « عهدهم
عهدى » ، الجملة في موضع الحال من أسأل .

(١) النجاء : السرعة . والقريئة : الناقة تشد إلى أخرى .

٥٩٠

وقال عمرو بن حكيم^(١) :

١- خَلِيلِيَّ أَمْسَى حُبَّ خَرْقَاءَ عَامِدِي فَنِي الْقَلْبِ مِنْهُ وَقَرَّةٌ وَصُدُوعٌ

٢- وَلَوْ جَاوَزْتَنَا الْعَامَ خَرْقَاءَ لَمْ نُبَيِّنْ عَلَى جَدِّبِنَا إِلَّا يَصُوبَ رَبِيعُ

جمل « أمسى » لاتصال الوقت . وخرقاء : اسم امرأة . وقوله عامدي :
ممرضى ، يقال : أى شىء يعمدك ، أى يوجعك . والوفرة : الهزيمة والأثر .
يقال : وقرة الشىء ، إذا جعل فيه وقرات . قال الهذلي^(٢) :

* فَوَقَّرَ بَرِّئًا مَا هُنَالِكَ ضَائِعٌ^(٣) *

يعنى بالبرِّ سيفاً .

يقول : يا خليلي ، إنَّ حبَّ خرقاء أمسى يقدح في قلبي ، فقد صار فيه من
أجله صدوع ، وآثار وشقوق ، ولو اتفق في هذا العام معها اجتماع لم نبال وإن
أجدبنا إلا يقع مطر ؛ إذ كان التبرك بها ، والاستسعاد الشامل بمكانها ، يقوم
مقام كلِّ خصب . وقوله « لم نبال » جزمه صرتين لأنه كان نبالي ، فدخل
الجازم عليه فحذف له الياء فصار لم نبال ، ثم أسكن اللام بعد أن طلب تخفيفه
لكثرة في الكلام ، فالتقى ساكنان : الألف واللام ، فحذفت الألف لالتقاء
الساكنين ، فصار لم نبال ، ومثل هذا لا ينقاس . وقوله « على جدبنا » في موضع
الحال ، تقديره مجديبين . ويقال : صاب المطرُ بصوب ، إذا وقع . والربيع :

(١) التبريزي : « عمر بن حكيم » . وفي معجم المرزبانى ٢٤١ : « عمرو بن حكيم
ابن معية التيمي ، من ربيعة الجوع ، إسلامي » . وأنشد له البيتين .

(٢) هو قيس بن عيزارة الهذلي . ديوان الهذليين (٣ : ٨٧) . وانظر ما سبق
في ١٤١ ، ٣٩٠ .

(٣) صدره : * فويل ام بز جر شعل على الحصى *

المطر . ويقال : ما باليتُ بكذا وكذا بالةً وباليةً . أى لم نبالِ بأن تنقطع الأمطارُ على ما بنا من جذب .

٥٩١

وقال آخر^(١) :

١ - أَلِمَّا عَلَى الدَّارِ الَّتِي لَوْ وَجَدْتَهَا بِهَا أَهْلَهَا مَا كَانَ وَحْشًا مَقِيلًا
٢ - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعَرَّجَ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلًا

يأمرُ صاحبِيه بزيارة دار حبيبيهِ ، ولو كان ساعةً . وخصَّصَ الدار بقوله « التي لو وجدتها بها أهلها » ، والمعنى التي لو وجدتها مأهولةً ما كان موضعها وَحْشًا ، أى خاليًا مُوحِشًا ، لكثرة أهلها وكثرة غواشي النعم فيها . وفي الحديث . « أن قريشًا قالوا للنبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّا لَأَكْرَمُ مَقَامًا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا » ، أى موضعًا ، فأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾ - يعنى النبيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَصْحَابَهُ - ﴿ بَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴾ . ويقال : بات فلان وَحْشًا ، أى خالى البطن ؛ وتوحَّشَ للدَّواء^(٢) .

وقوله « وإن لم يكن إلا مُعَرَّجَ سَاعَةٍ »^(٣) ، يريدُ إِلَّا تعريجَ ساعة ، وَعَطْفَ ساعة . ولم يرضَ بأن أضافَ المُعَرَّجَ إِلَى السَّاعَةِ حَتَّى وصفه بقوله قَلِيلًا ، وهذا على هذا التقدِير يكون من الصفات المؤكِّدة ، لا المُفيدة^(٤) ، كما يحىء الحال كذلك . ولا يمتنع أن يريد تعريجًا [قَلِيلًا^(٥)] فى سَاعَةٍ ، فيكونُ الصِّفَةُ مفيدة .

(١) قال أبو رياش : « البيت الثانى لذى الرمة فى قصيدته التى أولها :

* أخرقاه للبين استقلت هوها •

و البيت الثانى بنسبته إلى ذى الرمة فى ديوانه . ٥٥٥ وأمالى القالى (٣: ٢١٦) والتنبيه لابن جنى .

(٢) يراد بالدواء المسهل . وتوحش للدواء ، إذا أخلى معدته ليكون أسهل لخروج الفضول .

(٣) فى الديوان : « فإن لم يكن إلا تعلل ساعة » .

(٤) المفيدة ، بالفاء فى الفسخين والتبريزى . (٥) التكلة من ل .

وقوله « فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلًا » يجوز أن يرتفع قليلها بنافع ، ونافعٌ خبر إن ، كأنه قال : فَإِنِّي ينفعني قليلها . ويجوز أن يكون قليلها مبتدأ ونافعٌ خبر له مقدم عليه ، والجملة في موضع خبر إن ، والتقدير إني قليلها نافعٌ لي ، وانتصب مُعَرَّجٌ على أنه خبرٌ لم يكن ، أراد : وإن لم يكن الإمام إلا مُعَرَّجٌ ساعة .

٥٩٢

وقال آخر :

١ - ماذا عليك إذا خبرتني دنفاً رهنَ المنية يوماً أن تعودينا^(١)

٢ - أو تجعلى نطفةً في القعبِ باردةً وتغمسى فاكٍ فيها ثم تسقيننا

قوله « دِنْفًا » أى مُشْرِفًا على الهلاك ، وانتصابه على أنه مفعول ثالث لخبر . وقوله « ماذا عليك » لفظه استفهام ومعناه تقريع وبعث . وانتصب « رهنَ المنية » لأنه صفة لدنفا ، ومعناه في ضمن المنية وملاكها ، وكالرهن عندها ، إن شاءت أغلقته ، وإن شاءت فكته . والمراد : أى شئ عليك من أن تعودينا ، إذا أخبرتني عليلاً . فقوله « عليك » يقتضى فعلاً ، وذلك الفعل يعمل في أن تعودينا ، وقد حذف حرف الجر منه ، أى لا عار عليك ولا ضرر من عيادتنا ، ولا من مداواتنا بما هذه صفته ، فهلاً فعلت . وقوله « يوماً » ظرفٌ لخبرتني . وقد تقدم القول في « ماذا » في مواضع^(٢) .

(١) دنفا ، بفتح النون وكسرها ، كما ضبطت في النسختين مقرونة بكلمة « معا » فيهما .

(٢) انظر ص ٨١١ ، ٩٣٤ .

٥٩٣

وقال جميل^(١):

- ١ - بُدِّيْنَةُ مَا فِيهَا إِذَا مَا تُبْصَّرَتْ مَعَابٌ وَلَا فِيهَا إِذَا نُسِبَتْ أَشْبُ
 ٢ - لَهَا النَّظْرَةُ الْأُولَى عَلَيْهِمْ وَبَسْطَةٌ وَإِنْ كُرَّتِ الْأَبْصَارُ كَانَ لَهَا الْعَقْبُ^(٢)
 ٣ - إِذَا ابْتَدَلَتْ لَمْ يُزْرِهَا تَرَكَ زِينَةً وَفِيهَا إِذَا أزدَانَتْ لِدَى نَيْقَةٍ حَسْبُ
 تُبْصَّرَتْ ، أَى اسْتَقْصَى النَّظْرُ إِلَيْهَا ، وَالْكَشْفُ عَنْ حَالِهَا . وَالْمَعَابُ :
 الْعَيْبُ . وَالْأَشْبُ : الْخَلْطُ : يَقُولُ : إِنَّهَا عِنْدَ السَّيْرِ وَالنَّظَرِ ، وَالْكَشْفُ وَالتَّأْمُلُ ،
 نَيْقَةٌ مِنَ الْعَيْبِ ، بَرِيْثَةٌ مِنَ الشَّوْبِ ، فَلَهَا عِنْدَ الْمُبَالَغَةِ فِي الْبَحْثِ النَّظْرَةُ الْأُولَى ،
 وَلَهَا الْبَسْطَةُ وَهِيَ النَّظْرَةُ الثَّانِيَّةُ ، وَيَعْنَى بِهَا أَنْ يُبْسَطَ التَّمْيِزُ عَلَى مَا يَتَجَلَّى
 مِنْ أَمْرِهَا ، وَيُسَلَّطَ التَّنْقِيرُ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّا يَخْفَى مِنْ أَحْوَالِهَا . قَالَ : وَلَهَا الْعَقْبُ
 أَيْضًا ، وَهُوَ النَّظَرُ بَعْدَ النَّظَرِ ، وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ الْجُرْمَى بَعْدَ الْجُرْمَى . وَالْعَرَبُ
 تَقُولُ : « النَّظْرَةُ الْأُولَى حَقَاهُ » فَلِهَذَا قَالَ : لِهَذِهِ الْمُرَاةِ النَّظْرَةُ الْأُولَى ، وَلَهَا
 الْكَشْفَةُ الثَّانِيَّةُ وَهِيَ الْبَسْطَةُ ، وَلَهَا الْبَحْثَةُ الثَّلَاثَةُ ، وَهِيَ تَعَقُّبُ التَّجْرِبَتَيْنِ
 بِتَجْرِبَةٍ ثَالِثَةٍ .

وقوله « إِذَا ابْتَدَلَتْ » يَقُولُ : إِذَا تَرَكَتِ التَّزْيِينَ وَاكْتَسَتْ الْمُبَادِلَ
 لَمْ يُقْصَرْ بِهَا ذَلِكَ ، وَإِنْ تَزَيَّنَتْ كَانَ فِيهَا لِلتَّائِقِ الْكِفَايَةُ مِنْ جَمِيعِ مَا بَطَّلُ
 فِيهَا نَفْسًا وَخُلُقًا ، وَمُتَنَسِّبًا وَخُلُقًا . وَقَوْلُهُ « لَمْ يُزْرِهَا » أَى لَمْ يُزْرِ بِهَا ، يَقَالُ :
 زَرَيْتُ عَلَيْهِ وَأَزْرَيْتُ بِهِ ، لَكِنَّهُ حَذَفَ الْجَارَ . وَقَوْلُهُ « حَسْبُ » أَى كَافٍ ،

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ١٠١ ص ٣١٤ .

(٢) التبريزى : « ويروى : لها النظرة الأولى عليهم بسطة » .

فهو مبتدأٌ . على هذا تقول : حَسِبِي الله وحده^(١) ، ومثل هذا قول جرير :
إِذَا حُيِّتْ فَالْحَلِيُّ مِنْهَا بِمَقْدِيدٍ مَلِيحٍ وَإِلَّا لَمْ يَشْنِهَا عَوَاطِلُهُ

٥٩٤

وقال الحارثي^(٢) :

١ - سَلَبْتِ عِظَامِي لِحَمَاهَا فَتَرَكَتْهَا مُجْرَدَةً تَضْحَى إِلَيْكَ وَتَخْصَرُ^(٣)
٣ - وَأَخْلَيْتِهَا مِنْ نُحْهَاهَا فَكَأَنَّهَا قَوَارِيرُ فِي أَجْوَاهَا الرِّيحُ تَصْفِرُ^(٤)

يقول : أذيتني هوكي ، وانحسر اللحم من عظامي وتعرت ، فهي بارزة في النهار للشمس ، وعند الليل للبرد ، إذا أوتيت إليك وأسأدت . و « إلبك » موضعه بالفعل الذي يقتضيه نصب على الحال ، وإنما قال هذا لأن المهزول الحر والبرد إليه أسرع وأشد تثيراً فيه . ويقال : ضحى بضحي ضحى ، أصابه حر الشمس ، وأغى : ضحاً يضحو ضحواً وضحواً .

وقوله « وأخليتها من نوحها » ، يريد أنها أذهبت النقي من العظام أيضاً ورققتها ، نخلت من نوحها واستشفت ، فهي كالقوارير الخالية لو هبت الريح لصفرت بما يتخللها من الريح صفيها .

وقوله « في أجوافها الرِّيح تصفر » الجملة في موضع الصفة للقوارير ، وموضع تصفر نصب على الحال إن جعلت الرِّيح ترتفع بالظرف ، وكذلك مجردة في موضع الحال . وروى : « فكأنها أذابت في أجوافها الريح » ، والأول أحسن .

(١) ابن جنى في التنبية : « ليس حسب هذه هي التي في قولك في الأمر : حسبك ينم الناس . تلك اسم للفعل ، أي اكف ، ولذلك جزم ينم كما يجزم جواب الأمر . لكن حسب هنا هي التي في قول الله تعالى : فإن حسبك الله ، أي كافيك . وأصلها جميعاً من قول الله سبحانه : عطاء حسباً ، أي كافياً » .

(٢) كذا في النسختين والتبريزي . والأبيات منسوبة إلى المجنون في أمالي القالي (١: ١٦٢) .

(٣) الأمالي : « معرفة تضحي لديك » .

(٤) وكذا في الأمالي . وعند التبريزي : « فتركتها أنابيب »

٣- إذا سَمِعْتَ بِأَسْمِ الْفِرَاقِ تَقَعَّقَمْتَ مَفَاصِلُهَا مِنْ هَوْلٍ مَا تَنْتَظِرُ^(١)

٤- خُذِي بِيَدِي ثُمَّ أَنْهَضِي بِي تَبِيئِي بِي الضَّرِّ إِلَّا أَنِّي أَسْتَرُّ^(٢)

جعل الإخبار عن العظام ، وإن كان ما وصفه حالاً للجمله لا لها وحدها ، لقوله : سلبت عظامي لحمها . والمعنى إن ذكر الفراق يبلغ منها هذا المبالغ العظيم . وهي أنها لا ارتعادها تتداخل مفاصلها ويحكك بنضها بيهض حتى تسمع لها قعقة ، وذلك لهول ما ينتظره من وقوعه في نفسه ، واستمظامه للخطب . وفيه وله .

وقوله « خُذِي بِيَدِي » أراد أن يُرِيهَا ما تستبعده من وصف حاله بالخبر مشاهدة ، فقال : خُذِي بِيَدِي مَسْتَهْضَةً لِي بَيْنَ لَكَ أَمْرِي ، ويظهر المكنون فيك من ضربي ، والمجلوبُ عليّ من هزالي ، والمستورُ عنك من سوء حالي ، وقوله « إِلَّا أَنِّي أَسْتَرُّ » استثناء منقطع من الأول ، كأنه أراد : لَكِنِّي أَسْتَرُّ بتجلدٍ أظهره ، وبصبرٍ أتقى الناس به . وفي البيت طاق بقوله تَبِيئِي وَأَسْتَرُّ . وأصل تَبِيئِي تَتَبَيْتُ ، فحذف إحدى التاءين .

تم باب النسب ، والحمد لله على تظاهر آلائه ، وتوالي نعمائه ،

والصلاة على سيدنا محمد وآله^(٣) .

(١) القائل :

إذا سمعت ذكر الفراق تقطت علائقها مما تخاف وتحذر

(٢) التبريزي : « ثم ارفعي الثوب فانظري » . وأنشد بعده هذين البيتين ولم

يروهما القائل :

فما حياتي إن لم تكن لك رحمةً عليّ ولا لي عنك صبرٌ فأصبرُ

فوالله ما قصرت فيما أظننه رضاك ، ولكنني محبٌ مكفرٌ

(٤) الكلام من أول « تم » إلى هنا لم يرد في ل .

باب الفجاءة

(١) بابُ الهجاءِ

٥٩٥

قال موسى بن جابر (٢) :

١- كَانَتْ حَنِيفَةً لَا أَبَالَكَ مَرَّةً عِنْدَ اللَّقَاءِ أُسِنَّةٌ لَا تَنْكَلُ

٢- فَرَأَتْ حَنِيفَةً مَارَاتٍ أَشْيَاءُهَا وَالرَّيْحُ أَحْيَانًا كَذَاكَ تَحَوَّلُ

هذا الكلام تهكم وسخرية . ولا أبالك : بعث وتحميض ، وليس بنفي الأبوّة ، وخبر لا محذوف ، لأنّ النية في لا أبالك الإضافة ، ولذلك أثبت الألف في أبأ ؛ فكانه قال لا أبالك موجوداً أو في الدنيا . وقد مضى القول فيه مشروحاً (٣) . فيقول : كانت هذه القبيلة فيما مضى من الأيام ، وتقصّى من المرار ، عند لقاء الأعداء وفيما تباشره من الأمور والأحوال ، أسِنَّةٌ لا تكبو ولا تضعف ، نفاذاً في العزائم ومضاء ، ولا تذبو ولا تقف ، كلولاً في الصّرائم ونكولاً ، فقد عادت الآن مقتديّة بأشياءها ، وآخذة إخذهم في الارتداد والنكوص ، والإحجام والنبوّ ؛ والريح تتحوّل أحياناً [كذلك ، مرّة تكون شمالاً ومرّة

(١) التبريزي : « الهجاء هو الوقعة في الأنساب وغيرها ، ورمى الإنسان بالمنعيب ، وأصله التمسكين ، من قولهم : هجا غرثه وجوعه وأهجي ، إذا سكن . فكأنه إذا رمى الإنسان بالعيوب سكن من إشرافه . وقيل : بل معناه التفصيل ، ومنه حروف الهجاء ، وهجا فلان الكلمة ، إذا فصل حروفها . فكأن الشاعر إذا هجا غيره مزقه وفصله . »

(٢) سبقتم ترجمته في الحماسية ١٢٣ ص ٣٦٣ . قال التبريزي رواية عن يعرف العبرية « إنما سمى موسى لأنه لما رفع من بين الماء والشجر قالوا : موسى ، كأن معناه منشول ، أي فخلوه كما ينشل اللحم من القدر . وهذا يطابق ما ورد في سفر الخروج ٢ : ١٥ .

(٣) انظر ص ٥٠٠ - ٥٠١ .

جنوبا . وقوله « كذا » موضعه من الإعراب نصبٌ على المصدر من تحوّل .
أراد : والريح تتحوّل أحيانا^(١) [تحوّلًا كذلك . أي كما عرفت .

٥٩٦

[وقال قراد بن حنش الصاردي^(٢) :

- ١ - لِقَوْمِي أُرْعَى لِلْعُلَى مِنْ عِصَابَةٍ من الناسِ يا حَارِ بْنَ عَمْرِو تَسْوُدُهَا
- ٢ - وَأَنْتُمْ سَمَاءٌ يُعْجِبُ النَّاسَ رِزْهَا بَابِدَةٍ تُنْجِي شَدِيدٍ وَثِيْدَهَا
- ٣ - تُقَطِّعُ أَطْنَابَ الْبُيُوتِ بِحَاصِبٍ وَأَكْذَبُ شَيْءٍ بَرَقَهَا وَرُعُودُهَا
- ٤ - فَوَيْلٌ لَهَا خَيْلًا بَهَاءً وَشَارَةً إِذَا لَاقَتْ الْأَعْدَاءَ لَوْلَا صُدُودُهَا

يقول : لقومي أحسنُ رعايةً وتفقدًا ، وأوفرُ عنايةً وتكشيبًا لأسباب العلى
وحفظ أو اخبيا وموادها ، من طائفة من الناس أنت تسوسها وتدبرها ، وما
أشبهكم في كثرة دعاويكم وقلة فعالكم إلا بسحابة تكثر بروقها ورعودها ،
ويعجب متأملها ومستمتعها ربابها وهديرها ، بريح تعدد آبدة - أي أعجوبة
أوداهية تبقى على الأبد - شديدة الخفيف ، قطاعة لحبال البيوت بما يحيى
منها بالخصباء ، ثم تراها مخلقة^(٣) فيما وعدت من المطر ، فأكذب شيء برقها

(١) التكلمة من ل .

(٢) التكلمة من التبريزي وابن جني في التنبيه . وقال المرزباني في معجمه ٣٢٧ : « قراد
ابن حنش بن عبد الله بن عبد العزى بن صبيح بن سلامة بن الصارد بن مرة ، جاهلي من شعراء
غطفان المشهورين . وهو قليل الشعر جيده . قال أبو عبيدة : كانت غطفان تغير على شعره
فتأخذنه وتدعيه ، منهم زهير بن أبي سلمى ، ادعى الأبيات التي أولها :
إن الرزيفة لارزيفة مثلها ما تبغى غطفان يوم أضلت

وهم بتوا الصارد بن مرة بن عوف بن غطفان . الاشتقاق ١٧٦ . قال التبريزي :
الصاردي : النافذ : صرد السهم يصرد صردا .

(٣) كذا في ل . وفي الأصل : « مخالفة » .

اللَّمَاع ، ورعْدُها اللَّنبَاح . والباء من قوله « بأبْدَة » تعلقَت بقوله « يُعجِبُ الناس » أى يعجب رزّها بأبْدَة ، أى ومعها أبْدَة .

وقوله « قَوِيلُهُمَّا خَيْلًا » انتصب خَيْلًا على التَّمييز ، وحذفت الهمزة من أمّ فى قوله « وَيُلْتَمَا » لكثرة الاستعمال ، وليس الحذف هذا بة قياس . واللّفظَة تفيد التّعجّب . و « بهاء » انتصب على أنه مفعول له ، فيقول ساخرًا : وَيُلْتَمَا من خيل ، لكمال بهائها ، وحسن شارتها ، عند لقاء الأعدى ، لولا انهزأها وإعراضها .

وروى : « لِقَوْمِي أَدْعَى لِلْعَلَى » بالدال (١) ، والأوّل أحسن وأصوب .

والعصاة : الجماعة . وقوله « يا حارِ بنَ عمرو » الترخيم فى قول من يقول فى النداء يا حارث بن عمرو ، فيضم وينون فى غير النداء ، فيقول : هذا زيد بن عمرو (٢) . وأحسن منه فى قول من يقول : يا حارث بن عمرو ، فيفتح ويجعل الأوّل والثانى بمنزلة شىء واحد ، وذلك أنه يُخرج آخر الاسم إذا جُعِل مع الصّفة شيئًا من أن يكون آخرًا ، والترخيم يدخل الأواخر لا الأوساط .

وقوله « وأنتم سماء » يُسْمُون السحابَ سماءً ، وكذلك المطر . ألا

ترى قوله :

(١) التبريزى : « المراد أكثر دعاء إلى العلى » .

(٢) هذا نص نحوى نادر . وقال ابن جنى فى التنبيه : « كان القياس ألا يجوز ترخيم الاسم الموصوف بابن ، من قبل أن العلم إذا وصف بابن فلان فقد جعلنا معا كالاسم الواحد ، ولذلك قالوا يا زيد بن عمرو ، ففتحوا الأوّل لفتح الثانى ، وإذا كانا كالاسم المفرد فقد حصل جزء الاسم الأوّل حشوا إذن لا طرفا ، وإذا كان حشوا لم يتطرق عليه حذف الترخيم . فهذا وجه قياس امتناعه ، غير أنه جاز فيه الترخيم من حيث كان الموضع موضع إيجاز واختصار ، ولذلك حذف التنوين من الأوّل ، فلما جاز حذف تنوينه بغير إضافة جاز أيضاً حذف آخره للتخيم » .

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غِيضَابًا^(١)
 وَالرِّزُّ وَالْوَيْدُ جَمِيعًا : الصَّوْتُ . وَمَعْنَى تُنْجِي تُقْبِلُ . وَقَوْلُهُ « لَوْلَا
 صَدُودُهَا » جَوَابُ لَوْلَا فِي صَدْرِ الْبَيْتِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْمَبْتَدَأِ بَعْدَهُ وَجَبِيئُهُ
 بِإِلَّا خَبْرٍ^(٢) .

٥٩٧

وَقَالَ عُمَارَةُ بْنُ عَقِيلٍ^(٣) :

١ - مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي عَقِيلًا رِسَالَةً فَإِنَّكَ مِنْ حَرْبِ عَلِيٍّ كَرِيمٍ
 ٢ - أَلَمْ تَعْلَمْ الْأَيَّامَ إِذْ أَنْتَ وَاحِدٌ وَإِذْ كُلُّ ذِي قُرْبَى إِلَيْكَ مُلِيمٌ^(٤)
 ٣ - وَإِذْ لَا يَقِيكَ النَّاسُ شَيْئًا تَخَافُهُ بِأَنْفُسِهِمْ إِلَّا الَّذِينَ تَضِيمُ
 تَمَنَّى أَنْ يَتَّفِقَ مِنْ يَبْلُغُ عَقِيلًا عَنْهُ رِسَالَتَهُ ، فَأَتَى بِلْفِظِ الْاسْتِفْهَامِ ، وَالرِسَالَةَ
 « إِنَّكَ مِنْ حَرْبِ عَلِيٍّ كَرِيمٍ » وَمَا بَعْدَهُ . وَبَنَى كَلَامَهُ عَلَى الْاسْتِعْطَافِ ، ثُمَّ
 أَخَذَ فِي التَّقْرِيبِ . وَمَعْنَى قَوْلِهِ : « إِنَّكَ مِنْ حَرْبِ عَلِيٍّ كَرِيمٍ » إِنَّكَ تَكْرُمُ
 عَلِيًّا مِنْ جَمَلَةٍ مِنْ يَفْتَسِبُ إِلَى بَنِي حَرْبٍ^(٥) .

(١) لمعود الحكماء معاوية بن مالك ، كما في اللسان (سما) .

(٢) انظر ص ٢٨٣ .

(٣) كذا في النسختين . وعند التبريزي وابن جني : « علس بن عقيل بن علفة » .
 وقد سبقت ترجمة عقيل بن علفة في ص ٤٠٠ . وفي الأغاني (١١ : ٨٤) نسبة الأبيات إلى
 علفة بن عقيل بن علفة ، وعلفة بن عقيل أخو علس بن عقيل . وأما عمارة فهو عمارة بن بلال
 بن جرير بن عطية بن الخطمي ، وكان شاعراً مقدماً فصيحاً ، يسكن بادية البصرة ويزور
 الخلفاء في الدولة العباسية فيجزلون صلته ، ويميل قوادهم فيحظى بكل فائدة . وكان النحويون
 بالبصرة يأخذون عنه اللغة . الأغاني (١٠ : ١٨٣) . ونسبة الشعر إلى عمارة نسبة خاطئة .
 وللأبيات قصة في ترجمة عقيل بن علفة من الأغاني (١١ : ٨٤) .

(٤) التبريزي : « ألا تعلم الأيام » . الأغاني : « أما تذكر الأيام » و « ذميم » .

(٥) وقد تابعه التبريزي في هذا الفهم ، وليس لعقيل بن علفة علاقة ببني حرب . وإنما
 الحرب هنا العداوة والمشاكسة التي كانت مستمرة بين عقيل بن علفة وبنيه ، يعني أنه مع ذلك
 يمكن له إكراماً واحتراماً .

وقوله « ألم تعلم الأيام » تذكير له بخذلان عشيرته إياه ، وتفريده بما كان يقاسيه ، فيقول : أتذكر حين كنت فرداً وحيداً لا ناصر لك ، وإذ كان كلُّ قريبٍ ونسيبٍ لك مُليماً عندك - والمُليمُ : الذي يأتي بما يُلامُّ عليه - وحين لا وَاقٍ لك من شيءٍ تخافه إلا الذين أنت تظلمهم الساعة . فقوله « إلا الذين » استثناء بدل ، ويجوز أن يكون في موضع النصب على الاستثناء المطلق ، والضمير العائد إلى الذين من الصلّة محذوف ، استطالة الاسم ، والتقدير : تضييهم ، أي تظلمهم .

وقوله : « ألم تعلم الأيام » ، ألم : يقرّرُ به فيما ثبت ووقع . ويروى « الأيام » بالرفع ، و « الأيام » بالنصب . فإذا رويت الأيام بالنصب يكون الخطاب لعقيل ، ويكون تعلمُ بمعنى تعرف . والمعنى : أما عرفت الأيام التي كان حالك فيها ما ذكرت ، وأتدسى تلك الأيام . والمراد بالأيام حوادث الدهر . وقوله « إذ أنت » ظرفٌ لها ، وإذا رفعت الأيام يكون المعنى : ألم تعرف الأيام حالتك وقصّتك - والمعنى أهل الأيام وأصحاب الأيام - حين كنت كذا وكذا . فيكون الكلام على حذف المضاف .

٤ - أترقع وهى الأبعدين ولم يقيم لوهيك بين الأقربين أديم^(١)

٥ - فأما إذا عصت بك الحرب عصّة فإنك معطوف عليك رحيم

٦ - وأما إذا آنت أمتنا ورخوة فإنك للقربى اللد خصوم^(٢)

وقوله^(٣) : أترقع لفظه استفهام ، ومعناه التقريع ، فيقول : إنك آسى في

(١) رواية الأغاني :

تناول شأراً الأبعدين ولم يقيم لشأوك بين الأقربين أديم

(٢) التبريزى : « خصيم » لكن شرحه يدل على أن الكلمة محرقة ، فهو يقول نقلاً عن المرزوقى ، وإن لم يصرح كعادته : « والخصوم بناء للمبالغة ، وهو أبلغ من خصيم لأنه أشد تباعداً من أبنية أسماء الفاعلين » . وانظر ما سيأتى في الحواشى من كلام ابن جنى .

(٣) هذا ما فى ل ، وفى الأصل : « يقول » .

استعطف الأباعد وإدنائهم ، وإصلاح الفاسد من أحوالهم ، رجاء التثام أمرك بهم ، وقد أفتَ نفسك حظك من أقاربك ، ومن تحدُّ بهم عليك ، لسميك في إفساد أحوالهم ، ونحت أثلتهم ، وتضييع غيبتهم . وهذا رأى فائل ، وتوفيق سي .

وقوله « لم يعم لو هيك » ، يريد بالوهى الذى يحصل بك وبثلبك واغتيابك . وذكر الأديم مثل ، أى لا يبقى أصله لتمزيقك ، ولا يثبت صحته لتخريقتك . ويقال : فلان صحيح الأديم ، وفلان نغل الأديم . وفى المثل : « أوسعت وهيا فارقة » .

وقوله « فأما إذا عَضت بك الحربُ عَضَّةً » يريد : أنك إذا نابتك فائبة ، وأصابتك من أزمات الزمان وعضاته أزمة ، وأجأتك من مصارف الحرب ضغطة فإنك تستعطف عليك ذوبك وعشيرتك ، وتعتمد رحمتهم لك ، وتطلب شفقتهم والأخذ بالفضل فيك . وقوله « رحيم » هو فعيل فى معنى مفعول ، أى إنك معطوف عليك مرحوم .

وقوله « وأما إذا آنت » ، يقول : أما إذا أمنت ووجدت من مضابقتك رخاء ، ومن شدائدك ليناً ، على حسب عادة الدهر فى تلونه ، فإنك تخرج خصماً ألد لهم ، تطلب إعلاق الحجج عليهم ، وتسد أبواب الخير دونهم ، وتصرف مفتح الرشد عن وجوههم وطرقهم ، وهذا غاية اللؤم وسوء الاختيار . والألد : الشديد الخصومة ، العسر الأنياد . وهو اليلندد والألندد . والخصوم : بقاء المبالغة ، وهو أبلغ من خصيم ، لأنه أشد تباعداً من أبنية أسماء الفاعلين^(١) .

(١) ابن جنى : « خصوم أشد مبالغة من خصيم ، لأنها أقرب إلى الأصل الذى هو فعول ، أعنى المصدر . فإن قلت : فإذا كانت فعول أشد مبالغة من فعيل فهلا جاءت الآية بسم الله الرحمن الرحوم ؟ قيل : قد حصلت المبالغة بالرحن ، لأن فعولان من أبنيتها . وقد قال ابن عباس : إنهما اسمان رقيقان من الرحمة أحدهما أرق من الآخر ، يعنى الرحيم ، فلما كانت الرحمة فى الأصل من بنى آدم رقة ولينا وكانت هنا رافة وتعظفا ، كان فعيل أليق لها لفظاً من فعول » .

٥٩٨

وقال أرطاة بن سهية المري^(١) :

- ١ - تَمَنَّتْ وَذَاكُمْ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهَا لِأَهْجُوجِهَا لَمَّا هَجَّتَنِي مُحَارِبُ
 ٣ - مَعَاذَ الْإِلَهِ ، إِنِّي بِقَبِيلَتِي وَنَفْسِي عَنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ لَرَاغِبُ
 ارتفع قوله « محارب » بفعلها وهو تمننت . فيقول : تمننت هذه القبيلة لما
 تحمكت بي وهجتني ، وتشهت مقابلي إياها بمثل ما فعلت ، وذلك لخنفة رأيها ،
 وتناهي جهلها . فقوله « وذاكم » الواو واو الابتداء ، وهي لالحال ، وذاكم ابتداء ،
 ومن سفاهة خبره . وتلخيص البيت : تمننت محارب لما هجتني لأن أهجوها ،
 وذاكم من سفاهة رأيها . والمراد : حدثت منيها لهجوى لها . ومثله :

* أريدُ لأنسى ذِكْرَهَا^(٢) *

وفي القرآن : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ^(٣) ﴾ .

وقوله معاذ الإله انتصب على المصدر ، أى أعوذ بالله معاذاً من أن آتى
 ذلك ، لأننى أرغبُ بنفسى وأربأُ بأضلى عن الوقوف فى ذلك المقام ، وأصون
 شرفى وأرفع عقلى عن مساوئهم لفظاً بلفظ ؛ وفعلاً بفعل .

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ١٣٥ ص ٣٩٧ .

(٢) قطعة من بيت لكثير فى أمالى القالى (٣ : ١١٩) . وهو يتامه :

أريدُ لأنسى ذكراها فكأنما تمثل لى لىلى بكل سبيل

(٣) التبريزى : « فإذا جعل تمننت من الأمانى المعروفة فالمعنى ودت أنى أهجوها لتفخر
 بذلك ، ويكون الفعل واقعا على مضمحل محذوف ، كأنه قال : تمننت أموراً لأهجوها ، وأكثر
 الكلام تمنيت أن يكون كذا ، فيصل الفعل إلى أن وصلتها من غير حرف متوسط ... وإذا
 جعل قوله تمننت فى معنى كذبت فالمراد أنهم تكذبوا على فى الهجو لأغضب فأهجوهم » .

٥٩٩

وقال زميل^(١) :

- ١- إني امرؤ أطوي لمولاي شيرتي إذا أثرت في أخذعك الأنامل
 ٢- خلقت على خلق الرجال بأعظم خفاف تطوي بينهن الأنامل
 ٣- وقلب جلت عنه الشؤون وإن تشأ بخبرك ظهر الغيب ما أنت فاعل

يصف نفسه في البيت الأول بأنه يكفّ أذاه عن مولاه ، وأنه إذا أجمع أهل الرأى على نسبة مخاطبه إلى الغدر ، والخيانة والشر ، فأشاروا بأصابعهم إذا ولى إلى قفاه ، فقالوا : هذا قفا غادر ، فإنه ينطوي شيرته في ذلك الوقت عن مولاه ومكروهه ، فلا يُعنتُ نسيبا ، ولا يؤذى جاراً قريبا ولا غريبا .

وقوله « خلقت على خلق الرجال » تبجح في هذا البيت بأنه شخت من الرجال قليل اللحم ، مديد القامة ، فخلقه خلق الرجال لا خلق النساء ، فلا يشينه سمنة^(٢) ولا فسل ، ولا يقعد به آفة ولا كسل ، فأعظمه خفاف ، ومفاصله بينها مطوية ممحصاة لطاف .

وقوله « وقلب » عطفه على بأعظم ، يريد : وقلب هذبه الأمور ، وكشف عنه الطبع والرئس مزاوله الشؤون ، فهو بتجاربه يتصور ما لم يكن بصورة ما قد كان ، ومتى شئت أخبرك بخبره ومعرفته ، وفرط شهامته وتمييزه ،

(١) للتبريزي وابن جنى : « وقال زميل بن أبيير » ، وزميل وأبيير ههنا التصغير ، ويقال في اسم أبيه أيضا « وبيير » و « دبير » . وهو من نخصرى الجاهلية والإسلام ، أحد بنى عبد الله بن عبد مناف وهو قاتل ابن دارة في خلافة عثمان ، ويقال فيه أيضا « زميل بن أم ديثار » منسوباً إلى أمه . المؤلف والمختلف ١٢٩ والإصابة ٣٩٧٣ والخزانة (١ : ٢٩٣ - ٢٩٤) ، وكان بينه وبين أرطاة بن سهية مهاجرة .

(٢) المعروف في السمنة أنها دواء السمن .

وَحِدَّةٍ نَظَرَهُ وَبَصِيرَتِهِ بِمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ بَعْدَ الْغَيْبِ . وَانْتَصَبَ « ظَهَرَ الْغَيْبِ » عَلَى الظَّرْفِ ، وَ « مَا أَنْتَ » مَا فِيهِ بِمَعْنَى الَّذِي ، وَأَنْتَ فَاعِلٌ مِنْ صِلَاتِهِ ، وَقَدْ حَذَفَ حَرْفَ الْجَزْمِ مَعَهُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : يُخْبِرُكَ بِمَا أَنْتَ فَاعِلُهُ . وَيُقَالُ : خَبَّرْتُهُ كَذَا وَخَبَّرْتَهُ بِكَذَا ، وَحَدَّثْتَهُ كَذَا وَحَدَّثْتَهُ بِكَذَا .

- ٤ - وَلَسْتُ بِرَبْلِ مِثْلِكَ احْتَلَمْتُ بِهِ عَوَانٌ نَأَتْ عَنْ فَحْلِهَا وَهِيَ حَافِلٌ^(١)
٥ - فَجِئْتُ ابْنَ أَحْلَامِ النَّيَامِ وَلَمْ تَجِدْ لِصِهْرِكَ إِلَّا نَفْسَهَا مَنْ تَبَاعِلٌ^(٢)

كَانَ رِوَايَةُ النَّاسِ قَبْلَنَا « احْتَلَمْتُ بِهِ » وَالصَّوَابُ « احْتَلَمْتُ بِهِ » ، بِدَلَالَةِ قَوْلِهِ « فَجِئْتُ ابْنَ أَحْلَامِ النَّيَامِ » . وَالرَّبْلُ : السَّمِينُ الرَّطْبُ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ وَتَصَارِيفُهُ^(٣) . وَالْعَوَانُ : النَّصْفُ مِنَ النِّسَاءِ ، وَالْفِعْلُ مِنْهُ عَوَّانَتْ ، وَيُقَالُ : عَانَتْ الْبَقْرَةُ عَوَّانًا ، صَارَتْ عَوَّانًا . وَحَرْبٌ عَوَّانٌ : قُوْتِلَ فِيهَا مَرْءٌ بَعْدَ أُخْرَى فَيَقُولُ : لَسْتُ بِرَطْبٍ مُسْتَرْخٍ مِثْلِكَ ، احْتَلَمْتُ بِهِ امْرَأَةً عَوَّانًا بَعْدَ عَهْدِهَا بِفَحْلِهَا ، وَهِيَ مَمْتَنَةٌ شَبَقًا ، فَحَمَلَتْ فَجَاءَتْ مِنْ احْتِلَامِهَا بِكَ . وَالْمَعْنَى : أَنَّهُ لَا وَالِدَ لِكَ إِلَّا مَا رَأَتْ أُمُّكَ عِنْدَ شِدَّةِ غَلْمَتِهَا مِنْ احْتِلَامِهَا ، فَأَنْتَ شَرٌّ مِنْ يَجْبِيءُ لَزْنِيَّةٍ . وَمَعْنَى « وَلَمْ تَجِدْ لِصِهْرِكَ » أَي لَمْ تَصَاهِرْهُ فِيكَ ، أَي تَحَالَطَهُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الصَّهْرُ حُرْمَةُ الْخَتَنِ . وَخَتَنُ الْقَوْمِ : صِهْرُهُمْ . وَحُكِيَ عَنْ أَبِي الدُّقَيْشِ^(٤) : أَصْهَرَ بِهِمُ الْخَتَنَ ، أَي صَارَ فِيهِمْ صِهْرًا . فَيَقُولُ : لَمْ تَجِدْ خَتَنًا

(١) التبريزى عن أبي محمد الأعرابي : « ليس لزميل ، بل هو لأرطاة بن سبهية يهجو زميلا . ونظام البيت أيضا مختل ، والصواب :

ولست بربلٍ مثلكِ احتملتُ به
عوانٌ نأت عن بعلها وهى حائل
فجئت ابن أحلام النيام ولم يكن
لبضعك إلا طهرها من تباعل

(٢) التبريزى : « لظهرك » وقال : « أى للطهر الذى حملتك فيه . ومن روى : لظهرك ، فالمعنى للطهر الذى خرجت منه » .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٧٨٨ .

(٤) أبو الدقيش القناني الغنوى ، أحد الأعراب الفصحاء الذين أخذت عنهم اللغة =

إِلَّا نَفْسَهَا ، إِذَا كَانَ ذَلِكَ الْإِحْتِلَامُ لَمْ يَتَجَاوَزْهَا ، وَإِذَا كَانَ مِبَاعِلَةَ النَّفْسِ عَلَى مَا وَصَفَهُ إِنَّمَا حَصَلَتْ عَنْ شَبَقٍ وَلِزُومِ ذِكْرِ الْجَمَاعِ فِي الْيَقِظَةِ ، وَإِلَّا نَفْسَهَا : مُسْتَثْنَى مُقَدَّم . وَقَوْلُهُ « ابْنَ أَحْلَامِ النَّيَامِ » نَصَبٌ عَلَى الْحَالِ ، لِأَنَّ أَحْلَامَ النَّيَامِ لَا يَتَخَصَّصُ ، فَلَا يَصِيرُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ مَعْرِفَةً (١) .

٦٠٠

وقال خارجة بن ضرار المري (٢) :

- ١ - أْحَارَجَ هَلَا إِذْ سَفِهَتْ عَشِيرَةً كَفَفْتَ لِسَانَ السَّوِّءِ أَنْ يَتَدَعَّرَا (٣)
 ٢ - وَهَلْ كُنْتَ إِلَّا حَوْثَكِيًّا أَلَا قَهُ بَنُو عَمِّهِ حَتَّى بَغَى وَتَجَبَّرَا
 ٣ - فَإِنَّكَ وَاسْتِبْضَاعَكَ الشُّعْرَ نَحْوَنَا كَسْتَبْضِيعَ تَمْرًا إِلَى أَهْلِ خَيْبَرَا (٤)

قوله « سَفِهَتْ عَشِيرَةً » ، قال يونس : سَفِهَ لَغَةٌ فِي سَفَّهَ ، وَعَلَى هَذَا تَنْصِبُ عَشِيرَةً عَلَى الْمَفْعُولِ بِهِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِمَّا نَقَلَ عَنْهُ الْفِعْلُ ، كَأَنَّهُ قَالَ : سَفِهْتُ عَشِيرَتُكَ فَتَقَلَّ السَّفَهَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ : سَفِهْتُ ، فَأَشْبَهَ عَشِيرَةَ الْمَفْعُولِ ، فَنُصِبَ نَصَبَ التَّمْيِيزِ . وَقَوْلُهُ « يَتَدَعَّرُ » أَي يَنْحَبِثُ وَيَفْجُرُ . يَقَالُ : رَجُلٌ دَاعِرٌ بَيْنَ

== فهرست ابن النديم ٧٠ . وقال التبريزي في شرح الحماسية ٦٠٠ : « قال الليث : قلت لأبي الدقيش : ما الدقيش ؟ فقال : لا أدري . فقالت : فإي الدقيش ؟ قال : لا ، ولا هذا أدري . قلت : فإكتنيت بما لا تدري ما هو ؟ فقال : إنما الأسماء والكنى علامات » .

(١) أوضح منه قول ابن جنى في التنبيه ، « فإن قلت : فإنه معرفة . قيل : لما كان مثلا لا حقيقة تحته عاد به المعنى إلى التكبير » .

(٢) التبريزي : « وفي بعض النسخ : ونال زميل لخارجة بن ضرار » . وأنشد صاحب اللسان هذه الأبيات منسوبة إلى خارجة بن ضرار المري ، ونقل عن ابن بري أنها تروى لزميل ابن أبي هريرة . والشعر على رواية المرزوقي ينطق بأن قائله غير خارجة . ويفهم من هنا أيضا أن « خارجة » كان معاصرا لزميل بن أبي هريرة المترجم آنفا .

(٣) التبريزي : « أخالد » وبذا تقرب نسبة الشعر إلى خارجة . وروى في اللسان مرة : « أخالد » ومرة : « أخارج » .

(٤) التبريزي : « أرض خيبرا » .

الدَّعَارَةُ . وَحُكِي : فِي خَلْقِهِ دَعَارَةٌ ، فِي مَعْنَى زَعَارَةٍ ، وَعَلَى زَنْتِهِ . وَمِنْهُ عُودُ دَعِرٍ ، أَيْ كَثِيرِ الدُّخَانِ . وَالْحَوْتَكِيُّ : الضَّأْوِيُّ الضَّعِيفُ . وَقَالَ الخَلِيلُ : الْحَوْتَكُ وَالْحَوْتَكِيُّ : القَصِيرُ الضَّعِيفُ . وَمَعْنَى الْأَقْفُ : الْأَصْقَةُ وَصَمَّهُ أَبْنَاءُ عَمِّهِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ ، فَبَغَى لَمَّا رَأَى ذَلِكَ . وَاسْتَبْضَعَ السَّلْمَةَ : أَنْ تَحَمَّلَهَا بِنَفْسِكَ ؛ وَابْضَاعُهَا : بَعَثُهَا ، وَكَأَنَّ قَيْلَ فِي الْمَثَلِ : « كَمَسْتَبْضَعُ تَمْرًا إِلَى أَهْلِ خَيْبَرَ » لِكثْرَةِ نَحْلِهَا ، قِيلَ أَيْضًا « كَمَسْتَبْضَعُ التَّمْرَ إِلَى أَهْلِ هَجَرَ » ، وَهَذَا كَمَا قِيلَ « كَمَسْتَبْضَعُ الْمَلْحَ إِلَى بَارِقٍ » .

وَمَعْنَى الْأَبْيَاتِ : هَلَا إِذْ كُنْتَ سَفِيهَ الْعَشِيرَةِ لثِيمَ الْفَصِيلَةِ ، أَمْسَكَتَ عَنِ الْخَلْطِ وَالْفُحْشِ ، وَصُنْتَ نَفْسَكَ وَلَمْ تَعْرِضْهَا لِلْهَجَاءِ الْمُبِضِّ : هَذَا وَمَا كُنْتَ إِلَّا حَقِيرًا قَلِيلًا ؛ قِيمًا صَغِيرًا ، رَقَّ لَهُ أَقَارِبُهُ بَعْدَ مَا كَانُوا يَنْفُونَهُ وَيَتَبَرَّءُونَ مِنْهُ ، فَالْصَّقُوهُ بِأَنْفُسِهِمْ ، فَطَغَى مِنْ ذَلِكَ وَاسْتَعَلَى . وَأَمَّا عَلِمْتَ أَلَّكَ وَحَمَلْتَ الْهَجَاءَ إِلَيْنَا فِي النَّدَمِ وَالْخُسْرَانِ ، وَسُوءِ الْعَاقِبَةِ ، كَمَنْ حَمَلَ التَّمْرَ إِلَى خَيْبَرَ يَتَجَرَّرُ فِيهِ ، فَرَجَعَ نَادِمًا ، وَحَصَلَ خَاسِرًا .

٦٠١

عُمَارَةُ بِنُ عَقِيلٍ^(١) :

- ١- بَنِي مُنْقِدٍ لَا آمَنَ اللَّهُ خَوْفَكُمْ وَزَادَكُمْ ذُلًّا وَرِقَّةَ جَانِبِ
 - ٢- فَمَنْ يَرْتَجِيكُمْ بَعْدَ نَائِلَةِ الَّتِي دَعَتْ وَيَبَاهَا لَمَّا رَأَتْ ثَارَ غَالِبِ
 - ٣- دَعَتْهُ فِي أَنْوَابِهِ مِنْ دِمَائِهَا خَلِبَطًا دَمٍ مِنْ نَوْبِهِ غَيْرِ ذَاهِبِ
- نَائِلَةٌ : امْرَأَةٌ زُوِّجَتْ قَاتِلَ أَبِيهَا أَوْ أُخِيهَا ، فَجَعَلَ عُمَارَةُ يَمِيرُهُمْ ذَلِكَ .

(١) سبتمت ترجمته في الحماسية ٥٩٦ ص ١٤٣٢ .

والعرب تقول : دمُ فلانٍ في ثوبِ فلان ، إذا كان قاتله .

قال أوس بن حجر :

نُبِيتُ أَنْ دَمًا حَرَامًا نِلْتَهُ فَهَرِيقَ فِي ثَوْبِ عَلِيكَ مُخَبَّرِ

وقال الفرزدق :

تَمَشَّى حَرَامٌ بِالْبَقِيعِ كَأَنَّهَا نَشَاوَى فِي أَثْوَابِهِدَمْ سَالِمِ^(١)

فيقول : أبدلكم الله يا بني مُنْقِذًا بِالْأَمْنِ خَوْفًا لَا يَفَارِقُكُمْ ، وَزَادَكُمْ عَلَى سِرِّ الْأَيَّامِ ذُلًّا وَخُضُوعًا ، وَلِينَ تَجَسَّ وَسُقُوطًا ، فَإِنَّهُ لَا يُعَلِّقُ الرَّجَاءَ بِكُمْ ، وَلَا يَسْتَنِيمُ أَحَدٌ إِلَيْكُمْ ؛ بَعْدَ نَائِلَةٍ الَّتِي دَعَتْ بِالْوَيْلَاتِ لَمَّا رَأَتْ نَارَ غَالِبِ أَخِيهَا أَوْ أَبِيهَا ، وَقَدْ مَلَكَتْ مَوَاهِ أَسْرَهَا ، وَجَعَلَتْ مَوَاهِ بِالنِّزْوِيجِ قَيْمَهَا ، ثُمَّ قَالَ : دَعَتْ نَائِلَةُ الْوَيْلِ فِي أَثْوَابِ زَوْجِهَا لَهَا خَلِيطًا دَمٌ هَا دَمُ أَبِيهَا أَوْ أَخِيهَا ، بِفَتْلِهِ لَهُ ؛ وَالثَّانِي دَمُ عُدْرَتِهَا ، لِتَزُوجَهُ بِهَا ، فَهِيَ لَا زِمَانَ لِثَوْبِهِ لَا يَفَارِقَانَهُ . وَيُرْوَى « شَرِيحًا دَمٌ » . وَكُلُّ لَوْنَيْنِ اجْتَمَعَا فَهِيَ شَرِيحَانِ . وَقَوْلُهُ « غَيْرُ ذَاهِبٍ » ، غَيْرُ صِفَةِ لِدَمٍ ، وَيُرْوَى : « مُهْرَاقُهُ غَيْرُ ذَاهِبٍ » ، وَيَكُونُ الْجُمْلَةُ صِفَةً لِدَمٍ أَيْضًا . وَقَوْلُهُ « مَنْ يَرْتَجِيكُمْ » اسْتَفْهَامٌ عَلَى طَرِيقِ التَّقْرِيعِ ، وَفِيهِ مَعْنَى النَّفْيِ ، أَيْ لَا يَرْجُوكُمْ أَحَدٌ . وَمَعْنَى « دَعَتْ وَبِأَيْهَا » صَاحَتُ بِالْوَيْلِ لِي . وَفِي الْقُرْآنِ : ﴿ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

(١) حرام : قبيلة ، وهم بنو حرام بن سمال بن سليم بن منصور . الاشتقاق ١٨٧ والمعارف ٣٨ . والبيت من أبيات في هجاء عبد الله بن خازم السلمى ثم الحرابي ، وكان قتل مولى ابني يربوع بن خراسان يقال له سالم . ورواية الديوان ٧٧٦ : « كأنها حبال » .

٦٠٢

وقال طرفة بن العبد^(١) :

- ١- وفَرَّقَ عن بَيْتَيْكَ سَعْدَ بْنَ مالِكٍ وَعَمْرًا وَعَوْفًا ما تَشَى وتَقُولُ
- ٢- وَأنتَ على الأذنى شمالَ عَرِيَّةٍ شَامِيَّةٍ تَزوِي الوجوهَ بَلِيلُ
- ٣- وَأنتَ على الأفضى صَبًّا غيرُ قَرَّةٍ تَدَاءَبَ منها مُرْزِغٌ ومُسَيْلُ
- ٤- وأَعْلَمُ عِلْمًا أيسَ بالظنِّ أَنه إِذا ذَلَّ مَوَالِي المرءِ فهو ذَائِلٌ^(٢)

قوله « ما تشى » فى موضع الفاعل لفرَّق . و« ما » إن شئت جعلته بمعنى الذى ، وصلته تشى ، والضمير العائد من الصلَّة إليه محذوف كأنه قال : ما تشيه وتقولُه . وإن شئت جعلت ما حرفاً ويكون مع الفعل فى تقدير مصدر ، ولا يحتاج إلى ضميرٍ من الصلَّة يعود إليه ، لكونه حرفاً ، ويكون التقدير وشابتك وقولك . ويعنى ببَيْتَيْكَ : أخواله وأعمامه . فيقول : فرَّقَ عن بيتي أهلك وذوئك من قبَل أبيك وأمك ما تأتيه من إبلغاتٍ تتقوؤها ، ونمائم تحلقها وتهصنُّها : سعد بن مالك وعمراً وعَوْفًا ؛ وإنما يعنى بهم أنخاذاً وبطوناً كان

(١) طرفة بن العبد : أحد شعراء الجاهلية الذين تنسب إليهم المعلقات ، وطرفة لقب له ، واسمه عمرو . والطرفة بالتحريك : واحدة الطرفاء ، وهو الأثل . وقال طرفة الشعر صغيراً ، يروون أنه قتل وهو ابن عشرين فيقال له : ابن العشرين . وقيل : وهو ابن ست وعشرين ، وفى ذلك تقول أخته فى رثائه :

عددنا له ستاً وعشرين حجة فلما توفاهما استوى سيدا ضمخما

وخاله المتلمس الضمى صاحب الصحيفة . انظر الخزانة (١ : ٤١٢ - ٤١٧) والشعراء ١٣٧ - ١٤٩ والأغانى (٢١ : ١٢١ - ١٣٢) .

(٢) الأبيات من قصيدة فى ديوانه ٥٠ - ٥٣ يهجو بها عبد عمرو بن بشر بن عمرو ابن مرثد . وأنشد بعده التبريزى :

وإنَّ لسانَ المرءِ ما لم تَكُنْ له حَصَاةٌ على عوراتِهِ لَدَائِلُ

ضَلُّهُمْ مَعَهُمْ^(١) ، فلم يَزَلْ يَسْعَى بالتحرّيش ، ويمشى بالذم ، حتى فرّق جمعَهُمْ ، بما أوقع من الشرّ فيهم .

وقوله « وأنت على الأدنى شمالَ عَمْرِيَّةٍ » فالعربية : الباردة ، ومنه قولهم : عَمَرَوَاهُ الحَمَى . فيقول : أنت على أقاربك في سوء اعتقادك لهم ، وسوّفك الشرّ إليهم ، وجرك الجرائر عليهم ، بمنزلة الريح للشمال الباردة ، المحرقة للوجوه ، إذا هبت في الشتاء ، ويضعبها بدل من المطر ، وندى يقبض الجلد ، ويخفف المفصل والوجه . وإنما قال شامية ، وإن كان الشمال لا تهب إلا من ناحية الشام تأكيداً . وللصفات كما تجيء مفيدة مميّزة^(٢) تجيء أيضاً مؤكدة لا تُفيد في الموصوف أكثر مما عرّف فيه . وعلى هذا قد تجيء الأحوال أيضاً ، لكونها صفات في الأصل .

وقوله « وأنت على الأفصى صَبَاً غيرُ قرّةٍ » يريد أنه على الأجانب في تعطفه عليهم ، والانطواء على الجميل لهم ، بمنزلة ريح الصبا تهب ولا برّد معها . وقد تذاب منها ، أي تسهل واضطرب من أجلها . والذئب فيمن همز منه اشتق ، لأنه كلما طرد من جانب يتسهّل ويحصل من جانب آخر ، لوقاحته . والمُرزِغُ : الذي يأتي بالرزغة ، وهي الوحل . والمسيل : المذيب للجماد . والمعنى : أنت للأجانب بمنزلة القبول التي تزرغ الأرض في مهاجتها ، وتسيل التلاع ، وتبث الخير ، وتوسع الخصب .

وقوله « وأعلم علماً ليس بالظن » لما كان لفظه العلم قد يُطلق على الظنّ الغالب ، لقيامه مقام ما هو علم في الحقيقة ، أكّد قوله وأعلم بقوله ليس بالظن ، وبين بهذا الكلام الخطأ فيما يأتيه الخطاب ، وأنه إذا أقت نفسه حظه من

(١) الضلع ، بالفتح : الميل والهوى .

(٢) في الأصل : « لا مميّزة » صوابه في ل .

أفاربه وعشائره بسوء معاملته ، فإنه لا يستفيد من الأجانب ما عند الحاجة يُغني ، وإذا ذلّ أتباعه ولم يستبقهم لنفسه فالدنك لاحق له ، ومُحتَفٌّ به .
وبهذا الخطاب نعى عليه فعله ، وبَيَّن له سوء التقدير فيما اختارهُ ، وفعل الغواية فيما اعتقده واعتاده . والضمير من قوله « إنه » للأمر والشأن ، كأنه قال : وإن الأمر الحق إذا ذلّ ابن عم المرء فهو ذليل .

٦٠٣

بشير بن أبي جذيمة^(١) :

- ١- أُنْخَطِرُ لِلْأَشْرَافِ يَا قِرْدَ حِذِيمٍ . وَهَلْ يَسْتَعِدُّ الْقِرْدُ لِالْخَطَرَانِ^(٢)
 - ٢- أُنْبِي قِصْرُ الْأَذْنَابِ أَنْ يَنْخَطِرُوا بِهَا . وَلَوْمُ بَنِي قِرْدٍ بِكُلِّ مَكَانٍ^(٣)
 - ٣- لَقَدْ سَمِنَتْ قَعْدَانُكُمْ آلَ حِذِيمٍ . وَأَحْسَابُكُمْ فِي الْحَيِّ غَيْرُ سِمَانٍ^(٤)
- قوله « أنخطر » لفظه لفظ الاستفهام ، والمعنى التبكيت . ولما كان المخاطب من بني قرد^(٥) جملة قرداً في الحقيقة . والخطر : أصله إشالة الذنب من الفحل عند هياجه ومصاواته لفحل آخر ، فاستعاره لفعل هؤلاء الخطابين لما حدّثوا أنفسهم بمباراة الأشراف ومساجلتهم . فيقول : أتحدّث نفسك على بائعك .

(١) النبريزي : « بشير بن أبي بن جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة » . وهو بشير ، بهيئة التصغير ، ابن أبي جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة العبدي . ذكره الأمدى في المؤتلف والمختلف ٦١ .
(٢) أنشد الجاحظ هذه الأبيات في الحيوان (٤ : ٦٧) . ورواية هذا البيت عنده : « أنخطر للأشراف حذيم كبرة » . والكبرة بالكسر : التجبر والكبر .
(٣) النبريزي : « أن نخطروا بها » . الجاحظ : « ولو لم قرد وسط كل مكان » .
(٤) الجاحظ : « لقد سمنت قردانكم » . والقردان ، بالكسر : جمع قراد بالضم ، وهي دويبة تلزم الإبل ومعاطنها . وسئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : « كنى بالقردان هاهنا عن القمل ، أي سمنت أحسامكم ودقت أحسابكم ولو تم . ويقال في المثل للإنسان إذا سمن : دب قله » .
(٥) النبريزي : « قيل : بنو قرد تبرز فبرزوا به » .

الضيق ، وذَنبِكَ القصير ، بمَجَازِيَةِ الأشراف ومخاطرتهم ، حتى تفعل ما يفعله
الفحل في صِيَالِهِ ؟ أُنَى لَكَ ذَلِكَ ، وَالقِرْدُ لَا ذَنْبَ لَهُ يُسْأَلُ بِهِ وَيَخْطُرُ ؟ وَهَذَا
مَثَلٌ ، وَفِيهِ مَعَ الإِزْرَاءِ تَهْكُمُ .

وقوله « أَبِي قِصْرُ الأذنان أَنْ يَخْطُرُوا بِهَا » رَجَعَ الضمير إِلَى القبيلة
بِأَمْرِهَا . وَقَوْلُهُ « وَلَوْمْ بَنَى قِرْدٌ » الوَاوُ لِلإِبْتِدَاءِ وَمُقِيدَةٌ لِلحَالِ ؛ وَالْمَعْنَى اشْتِهَارُهُمْ
بِاللَّوْمِ حَتَّى لَا يَخْفَى أَمْرُهُمْ فِي جَوَانِبِ أَرْضِهِمْ ، وَعِنْدَ أَعْلَامِ مَعَارِفِهِمْ .

وقوله « أَبِي قِصْرُ الأذنان » تَفْسِيرٌ لِمَا أَنْكَرَهُ بِقَوْلِهِ : « وَهَلْ يَسْتَعْدُّ
القِرْدُ لِلخَطَرَانِ » ، وَتَفْصِيلٌ لِمَا أَمَّهُمْ .

وقوله « لَقَدْ سَمِنَتْ قَعْدَانُكُمْ » فَالقَعْدَانُ : جَمْعُ القَعْدِ ، وَهِيَ الناقَةُ
تَقْتَعِدُ ، أَيْ تُرْكَبُ (١) .

وقوله « آلَ حِذِيمٍ » إِضَافَتُهُ لِآلٍ (٢) إِلَى حِذِيمٍ إِضَافَةٌ البَعْضِ إِلَى الكُلِّ
وَكَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ « يَا قِرْدُ حِذِيمٍ » ، يَكْشِفُ لَكَ أَنَّهُ قَالَ : وَلَوْمْ بَنَى قِرْدٌ
بِكُلِّ مَكَانٍ . وَإِنَّمَا يَنْسُبُهُمْ إِلَى حُسْنِ تَقَدُّمِ لَأَمْوَالِهِمْ ، وَسَوْءِ إِهْمَالِهِمْ لِحَسَبِهِمْ ،
فَقَدْ سَمِنَتْ إِهْلَامُهُمْ بِحُسْنِ رِغِيَّتِهِمْ لَهَا ، وَتَوَفَّرَ عَلَيْهِمْ عَلَى إِصْلَاحِهَا ، وَتَرْتِيحِ دِيَشَمِهِمْ
بِقَتْمِيرِهَا وَتَكثِيرِ نَسْلِهَا ، وَأَنَّ أَحْسَابَهُمْ مُضَيِّعَةٌ مُهْمَلَةٌ ، مَقْرُوكَةٌ مِنَ التَّفَقُّدِ بِأَثَرِهِ ،
لَا تُرْمُ فِرْعُوعُهَا ، وَلَا تُضْبَطُ أَصُولُهَا ، وَلَا يُحْتَنَزُ بِحُسْنِ المِرَاعَةِ مِنَ السَّقُوطِ
وَالرُّزُوحِ هَزْبُهَا .

(١) التبريزى : « ويقال : القعود : الذكر ، والقولوس : الأثني من شوايب الإبل .
وإنما جعل قعدانهم سمينة لأنهم يؤثرونها بالبن على الضيف والجار ، فأحسابهم غير سمان لأنهم
يضيعون الحقوق فلا حسب لهم يمدحون به » . وانظر ما سبق من الكلام على رواية هذا البيت
وتوجيهه في الحواشي السابقة .

(٢) ل : « الآل » .

٦٠٤

وقال أبو منازل^(١) في ابنه :

- ١ - جَزَتْ رَحْمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ مُنَازِلٍ جَزَاءً كَمَا يَسْتَنْزِلُ الدِّينَ طَالِبُهُ^(٢)
 ٢ - تَرَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا أَضَّ شَيْظَمًا يَكَادُ يُسَاوِي غَارِبَ الفَحْلِ غَارِبُهُ^(٣)
 ٣ - تَقَمَّدَ حَقِّي ظَالِمًا وَلَوْ يَدِي لَوْ يَدُهُ اللهُ الَّذِي هُوَ غَالِبُهُ^(٤)

قوله « جَزَتْ رَحْمٌ » دعاء على ابنه منازل . وجعل فعل الجزاء للرحم .
 والجازي هو الله تعالى ، لأنه السبب في الجزاء ، ولتكون الشكوى أبلغ ،
 فيقول : جَزَى اللهُ مُنَازِلًا عَلَى الرَّحْمِ الَّتِي بَيْنِي وَبَيْنَهُ وَقَدْ قَطَعَهَا وَلَمْ يَقُمْ بِحَقِّهَا ،
 جَزَاءً يَسْتَوْفِي لَهُ وَعَلَيْهِ مَا يَحِقُّ ، كَمَا يَسْتَنْزِلُ طَالِبُ الدِّينِ مِّنْ عَلَيْهِ الدِّينُ حَقَّهُ .

(١) التبريزي : « وقال فرعان بن الأعراف في ابنه منازل » . وهو أحد بني مرة بن
 عبيد بن الحارث بن عمرو بن مقاعس بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، شاعر لص مخضرم ،
 وله مع عمر بن الخطاب حديث في عقوق ابنه منازل . المؤتلف ٥١ والمرزباني ٣١٦ والإصابة
 ٧٠٠٩ . ولفرعان أخ يسمى « منازل » أيضاً ، ومن عجب أن يروى له الأمدى في المؤتلف
 ٥١ شعراً يذكر فيه عقوق ابنه له . لكن هذا الشعر رواه أبو ريش منسوباً إلى منازل بن
 فرعان بن الأعراف يشكو فيه عقوق ابنه المسمى « خليج » . فكان هذه الأسرة عيقة في أن
 يعق الولد منهم أباه .

(٢) الأبيات في معجم المرزباني والإصابة . وفي معجم المرزباني : « سواء كما يستنجز » .

(٣) المرزباني وابن حجر : « وأطعمته حتى إذا صار » .

(٤) المرزباني وابن حجر : « تخون مالي ظالماً ولو يدي » . وأنشد بعده التبريزي :

وكان له عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَى مَنِ الزَّادِ أَحْلَى زَادِنَا وَأَطْيَبُهُ
 وَرَبَّيْتُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكَتُهُ أَخَا القَوْمِ وَاسْتَعْنَى عَنِ المَسْحِ شَارِبُهُ
 وَجَمَعْتُهَا دُهْمًا جِلَادًا كَأَنَّهَا أَشَاءَ نَخِيلٍ لَمْ تُقَطَّعْ جَوَانِبُهُ
 فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيمًا كَأَنِّي حُسَامٌ يَمَانٍ فَارَقَتْهُ مَضَارِبُهُ
 أَلَّا أَنْ أُرْعِشْتَ كَفَا أَيْمِكَ وَأَصْبَحْتَ يَدَاكَ يَدِي لَيْثٍ فَإِنَّكَ مَضَارِبُهُ

ثم أخذ يقتصُّ ما دار بينهما ، وما أوجب عليه الفرض الذي ضيَّعه فقال :
 تربيته طفلاً وناشئاً ، حتى إذا صار شاباً طویل القامة يكاد غاربه يساوي غارب
 الفحل ، أى بلغ قامته قامة الفحل . والغارب : مُقَدَّم السَّنام . والشَّيْظم : الطويل
 الغليظ . ويروى : « لربيته » ، ويكون اللام جوابَ قَسَمٍ انطوى عليه
 الكلام . ويقال : ربيته ورببته وتربيته بمعنى واحد . حتى إذا آض ، أى إلى
 أن صار . وإذا جوابه قوله « تغمَّد حتى » يريد : لما بلغ هذا المبلغ ستر حتى
 ولم يف به ، متعدياً طوره ، وبأخس ما استوجبته عليه بالولادة والتربية ،
 فلما جاذبته بلساني مدَّ يده فلوى يدي ، أى فتلمها وأزلها عن حالها وهيئتها
 ثم قال داعياً عليه : لوى يده الله ، أى أشلها وأبطلها ، وهو القادر على ذلك
 منه ، والغالب له وعليه^(١) .

٦٠٥

وقال عارق الطائي^(٢) :

- ١ - والله لو كان ابنُ جفنة جاركم لكسا ألوجوة غضاضةً وهوانا
- ٢ - وسلاسلًا يُنننن في أعناقكم وإذا لقطَّع منكم الأفرانا
- ٣ - ولكان عادته على جاراته منك ورِبَطًا رادعًا وجفانًا

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « له عليه » .

(٢) هو قيس بن جروة بن سيف بن وائلة بن عمرو بن مالك بن أمان بن ربيعة بن جرول
 ابن ثعل الطائي الأجدى ، نسبة إلى أجد : أحد جبلى طيسى ، وهما أجد وسلمى . وهو شاعر جاهل .
 وعارق لقب له ، قالوا : سمى به لقوله :

لئن لم تغير بعض ما قد صنعتم لانتحين للعظم ذو أنا عارقه

انظر الخزانة (٣ : ٣٣٠ - ٣٣١) والأغاني (١٩ : ١٢٧) ، والمزهر (٢ : ٤٣٨) .
 وقال أبو رياش : ليس هذا الشعر لعارق ، إنما هو لثرملة بن شعاث الأجدى ، قاله على
 لسان عارق . وذكر التبريزى سبب هذه الأبيات مقارباً لما رواه المرزوق ، ولكنه نسب هذه
 الأبيات النوفية إلى ثرملة ، وذكر أنه قالها على لسان عارق لينجى عارقاً من كيد عمرو بن المنذر .

لهذه الأبيات قصة طريفة ، وأنا أذكرها بما عرّض من السهو فيها .
 ذكر هشام الكلبى أن عمرو بن المفذر بن ماء السماء - وأمه هند بنت
 الحارث الملك - كان عاقداً طيباً ألاّ بُغزوا ولا يُفاخروا ، فاتفق أن غزا
 همرو اليمامة فرجع مُنْفِضاً^(١) ، فمرّ بطيبي ، فقال زُرارة بن عدس : أبيت اللعن ،
 أصيب من هذا الحى شيئاً . فقال : ويلك ، إن لهم عقداً ! قال : وإن كان ،
 فإنك لم تكتب العقد لهم كلهم . فلم يزل به حتى أصاب نسوة وأذواداً ، فقال
 فى ذلك قيسُ ابن جرّوة الأجبى :

أَلَا حَى قَبْلَ الْبَيْنِ مَنْ أَنْتَ عَاشِقُهُ وَمَنْ أَنْتَ مُشْتَقٍ إِلَيْهِ وَشَائِقُهُ
 - وستجىء الأبيات فى هذا الباب من الاختيار من بعد ، لكن فى
 آخرها قوله :

إِنَّ لَمْ تُغَيِّرْ بِمِضَ مَا قَدْ صَنَعْتُمْ لَأَنْتَجِحِينَ لِلْعَظْمِ ذُو أَنَا عَارِقُهُ
 فلُقّب يومئذ بعارق - فلما بلغ عمرو بن هند هذا الشعرُ قال له زُرارة :
 أبيت اللعن ، إنّه ليتوعدّك على انتقامه بزعمه . فقال عمرو لثُرْملة بن شعاب
 الأجبى : أيهجونى ابن عمك ويتوعدّنى ؟ فقال : والله ما هجّاك ، ولكنه قال :
 والله لو كان ابن جفنة جاركم ما إن كساكم غصّة وهوّانا
 وسلاسلًا يبرقن فى أعناقكم وإذا لقطع منكم الأقرانا
 وكان عادته على جيرانه ذهبًا ورِبْطًا رادعًا وجفاناً^(٢)
 يعنى بابن جفنة عمرو بن الحارث ، وإنما أراد ثُرْملة أن يُقبّح عليه^(٣)

(١) أنفض القوم : لقد طعامهم وزادهم . والإنفاض : الحاجة والحاجة وهلاك المال .

(٢) وكذا عند التبريزى . وفى ل : مسكاً وربطاً .

(٣) ل : « إليه » .

فَعَلَّمَتْهُ ، وَمَعَ ذَلِكَ يُذْهِبُ سَخِيمَتَهُ عَلَى ابْنِ عَمِّهِ ، فَقَالَ عَمْرُو : وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّهَ إِذَا
فَبَلَغَ ذَلِكَ عَارِقًا فَقَالَ :

مَنْ مُبْلِغٌ عَمْرَوُ بْنُ هِنْدٍ رِسَالَةً إِذَا اسْتَحَقَّ بِهَا الْعَيْسُ تَنْضَى مِنَ الْبُعْدِ
وَسَتَجِيءُ مِنْ بَعْدٍ أَيْضًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال الشيخ الإمام أبو علي رحمه الله :

وَإِذَا تَأَمَّلْتَ مَا اقْتَصَصْتُ ، بَانَ لَكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ الَّتِي أَوْلَاهَا : « وَاللَّهِ
لَوْ كَانَ ابْنُ جَفْنَةَ » ، لَيْسَ بِهَجْوِ لَابْنِ جَفْنَةَ وَإِنَّمَا هُوَ مَدْحٌ لَهُ ، وَقَدْ عُبِّرَ
بِذِكْرِهِ عَمْرَوُ بْنُ هِنْدٍ ، وَأَنَّهُ لَوْ تَوَلَّى مِنْ طَيْبٍ مَا تَوَلَّاهُ عَمْرُو بْنُ هِنْدٍ كَانَ
مَعَامَلَتَهُ إِيَّاهُمْ بِخِلَافِ مَا عَامَلَهُمْ بِهِ هُوَ ، فَتَصَوَّرَ^(١) أَنَّهَا هَجْوٌ لِابْنِ جَفْنَةَ ،
وَجُمِلَ بِدَلِّ « مَا إِنْ كَسَاكُمْ » : لَكَسَا الْوَجُوهَ ، وَبَدَّلَ قَوْلَهُ « إِذَا لَقِطَّعَ
تَلَكَمُ الْأَقْرَانَا » : مِنْكُمْ الْأَقْرَانَا ، وَبَدَّلَ قَوْلَهُ « وَلَكِنْ عَادَتْهُ عَلَى جِيرَانِهِ » :
عَلَى جَارَاتِهِ ، وَمَعَ هَذِهِ التَّغْيِيرَاتِ لَيْسَ بِخُلُصٍ هَجْوًا .

قال أبو علي : وَأَنَا أَعُودُ إِلَى عَادَتِي مِنْ تَفْسِيرِهَا وَشَرْحِ مَعَانِيهَا :

قَوْلُهُ « غَضَّةٌ » فَعْلَةٌ مِنْ غَضَّ ، وَالْفِضَاضَةُ وَالْفَضُّ : الْفُتُورُ فِي الطَّرْفِ .
وَنَصَبَ قَوْلَهُ « وَسَلْسِلًا » عَلَى الْمَعْنَى ، فَهُوَ مِنْ بَابِ قَوْلِ الْآخِرِ^(٢) :

يَا لَيْتَ بَعْلَاكَ قَدْ غَدَاَ مَتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحًا

لَأَنَّ السَّلْسِلَ لَيْسَ مِنْ كُسُوتِ الْوَجُوهِ ، فَكَأَنَّهُ قَالَ : مَا إِنْ كَسَاكُمْ
غَضَّةٌ وَلَا قَلْدَكُمْ إِذَا غَلَّكُمْ سَلْسِلَ تَبْرِقُ فِي أُنَاقِكُمْ . وَقَوْلُهُ « يُبْذَنِينَ » مَعْنَاهُ
يُعْطَفْنَ وَيُؤَيِّنِينَ . وَ « إِذَا لَقِطَّعَ تَلَكَمُ الْأَقْرَانَا » فَالْأَقْرَانُ الْحِبَالُ ، وَالوَاحِدُ

(١) الضمير في هذا لأبي تمام نختار الحماسة ، والتغييرات التي نص عليها المرزوق هي
تغييرات أبي تمام ، كما هي عادته ، انظر ما سبق في مقدمة المرزوق ص ١٤ .

(٢) هو عبد الله بن الزبير . الكامل ١٨٩ ليسك . وانظر ما سبق في حواشي ١١٤٧

قَرَنَ . وَإِذَا رَوَيْتَ « يَبْرُقَنَّ » فإلغى ظاهره . ويشيرُ إلى ما لحقهم من جهة هَنرُوبنِ هِنْد . وقوله « إِذَا » أَجَابَ لَوْ بِإِذَا كما أَجابه بِاللَّامِ من قوله « اكسا » وبما على الأصل الأوَّل^(١) . ومعنى « لقطع تلکم الأقرانا » أى لو كنتم مأسورين لكان بفقكم ، ويقطع تلك الحبال التي صارت إسارًا لكم . وإذَا رُوِيَ « وَإِذَا لقطع منكم الأقرانا » كان معنى البيت : يشدكم فى السلاسل ويبدد جمعكم . وقوله « وليكان عادته على جيرانه » ، يريد أنه يفعل خلاف ما فعله عمرو بن هند ، لأن عادته فى الجيران أن يمؤأهم وبصأهم ، ويبرأهم ويخلع عليهم ، ويقر بهم ويمؤهم . وعلى الرواية الثانية يرميه ويقذفه بالجارات ، ومعنى ذلك ظاهره . والرأدع : المتغير اللون بالطيب والخلوق . ويقال : ترأدع بالخلوق ، إِذَا تَلَطَّخَ .

٦٠٦

وقال آخر^(٢) :

- ١- زعمتم أن إخوانكم قریش لهم ألف وليس لكم إلف
 - ٢- أولئك أومنوا جوعًا وخوفًا وقد جاءت بنو أسد وخافوا
- يخاطب بنى أسد ويكذب دعواهم فى انتمائهم إلى قریش ، وتنشئهم بالقرى والقراية منهم ، فقال : ادعيتم أن قریشًا إخوانكم ، وسياء الكذب ظاهرة على هذه الدعوى ، لأن قریش إبلافا فى الرحلتين المعروفتين للتجارة ، وليس لكم ذا ؛ وقد آمنهم الله تعالى من الجوع والخوف ، وأنتم خائفون جائعون .

(١) أى على رواية : « ما إن كساكم غضة » .

(٢) هو مساور بن هند بن قيس بن زهير ، يهجو بنى أسد ، كما قال التبريزى ، وكما فى اللسان (ألف) . وقد سبقت ترجمة « مساور » فى الحماسية ١٤٨ ص ٤٣٠ .

وإنما يشير إلى الشورة المنزلة : ﴿ لِإِبْلَافٍ قَرِيْشٍ إِبْلَافِيْهِمْ . رَحَلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّنِيْفِ ﴾ ... إلى آخرها . ويقال : أَلِفَ يَأْلِفُ الْفَأَ وَإِلَافًا ، وَأَلَفَ يُؤَلِفُ إِبْلَافًا .

٦٠٧

وقال آخر^(١) :

١- إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مَنِيٌّ وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
 ٢- صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ وَإِنْ ذُكِرَتْ بِشَرٍّ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا
 ٣- جَهْلًا عَلَىَّ وَجُبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَبِئْسَتِ الْخَلْقَانِ الْجَهْلُ وَالْجُبْنُ

انتصب « فرحًا » على أنه مفعول له ، وكان الواجب أن يقول : يطيروا بها فرحًا ، لأنه لا يجوز أن يعمل حرف الشرط في الشرط بالجزم ويجعل الجواب فعلًا ماضيًا في الكلام ، وإن كان يجوز في الشعر . ومعنى البيت الأول أنهم إذا رأوا حسنةً كتَمَوْها ، وإذا رأوا سيئةً أظْهَرَوْها . وقوله « مَنِيٌّ » أراد من جهتي . ومعنى « طاروا بها » أي كثروها في الناس وأذاعوها ، ووصلوا القيام بالعود في نشرها . وهذا ضدُّ ما ذكره من الدفن في قوله « وما سمعوا من صالحٍ دفنوا » في المعنى .

وقوله « صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا » ارتفع صُمٌّ على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه قال : هم صُمٌّ ، أي يتصامون عمًّا أنسبُ إليه من الخصال الصالحة . ويقال للمعرض عن الشيء : هو أَصَمُّ عنه . على ذلك قوله :

* أَصَمُّ عَمَّا سَاءَهُ سَمِيعٌ *

(١) هو قعنب بن أم صاحب ، وهي أمه ، واسم أبيه ضمرة ، أحد بني عبد الله بن ظفنان . وكان في أيام الوليد بن عبد الملك . والتضيب : الصلب الشديد من كل شيء . عن شرح التبريزي ، والتنبية لابن جني .

قال : ومتى ذُكِرْتُ بِشَرِّ أَدْرَكَوهُ وَعَلِمُوهُ . ويقال : أُذِنَ يَأْذِنُ
أُذْنًا . قال :

* بِسَمَاعِ يَأْذِنُ الشَّيْخُ لَهُ ^(١) *

ويجوز أن يكون اشتقاقه من الأذن الحاسة . وانتصب « جهلا » لأنه
مصدر لعلّة . ينسبهم إلى أنهم مع الأقارب يستعملون الجهل والحسد عليهم
ومعهم ، وأنهم جبناء عن الأعداء ضعفاء عجززة إذا طُلب كفايتهم ،
لا يصلحون لدفع مكروهه ، ولا جلب محبوب . ثم سوا عليهم فعلهم فقال
بُئِسَتْ الْخَصَلَتَانِ جَهْلُهُمْ عَلَى أَقْرَبِهِمْ ، وَجُبْنُهُمْ عَنْ أَعَادِيهِمْ . وهذا تأكيد في
التعبير ، ومبالغة في التقرّيع .

٦٠٨

وقال منصور بن مسجّاح ^(٢) :

١ - نَأْرَتْ رِكَابَ الْعَيْرِ مِنْهُمْ بِهَجْمَةٍ صَفَايَا وَلَا بُدْيَا لِمَنْ هُوَ نَائِرٌ ^(٣)
٣ - من الضَّهْبِ أَثْنَاءَ وَجُدْعًا كَأَنَّهَا عَذَارَى عَلَيْهَا شَارَةٌ وَمَعَاصِرُ
قوله « رِكَابَ الْعَيْرِ » يُرْوَى « رِكَابَ الْقَوْمِ » . وأراد بِالْعَيْرِ السَّيِّدَ ، وكان
استيق لرئيسهم إبلٌ فارتجع بدلاً منها على ما وصفه . ومعنى « نَأْرَتْ رِكَابَ
الْعَيْرِ » أى أدركت الثَّأْرَ فيها منهم بأن أخذت هَجْمَةً من الإبل - وهى المائة
وما داناها - غِزَارًا سَمِيفَاتٍ ، ولِلثَّأْرِ لَيْسَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُبْقَى ، والأصل فى
لِلثَّأْرِ الْقَاتِلِ ، فوضعه موضع الواتر للنتقم . يقال : نَأْرَتْ فُلَانًا وَنَأْرَتْ بِفُلَانٍ ،
إِذَا قَتَلْتَ قَاتِلَهُ .

(١) لعدي بن زيد العبادي ، كما فى اللسان (أذن) . وعجزه :

* وحديث مثل ماذى مشار *

(٢) هو منصور بن مسجّاح - ويقال مسجّاح بتقديم الحاء على الجيم - بن سباع

الضبي : شاعر جاهلى . معجم المرزبانى ٣٧٣ .

(٣) كذا فى ل والتبريزى والمرزبانى . وفى الأصل : « عنهم بهجمة » .

وقوله « من الضَّهَبِ أَثْنَاءُ وَجُدْعًا » ، هذا تفسير للهَجْمَةِ ، وتفصيل
للجملة ، يريد : من الإبل الضَّهَبِ . والضَّهْبَةُ : حمرة يعلوها بياض . وتعلَّقَ من
بقوله هَجْمَةٌ . وَأَثْنَاءُ : جمع ثَنِيٍّ . والجُدْعُ : جمع جَدْعٍ ، وهو كخُشْبٍ وخَشَبٍ .
والحجة في أن العَيْرَ السَّيِّدُ قوله :

زَعَمُوا أَنْ كُلَّ مَنْ ضَرَبَ الْعَيْرَ رَمَوَالٍ لَنَا وَأَنَا الْوَالِيُ^(١)

وهذا أحد الوجوه التي قيل فيه . وقوله « كَانَهَا عَذَارَى » يعني حُسْنَهَا ،
والمعاصر : جمع المَعْصِرِ ، وهي من النساء التي شارفت الإدراك والبُلُوغَ . قال :
* قد أَعْصَرَتْ أَوْ قَدْ دَنَا إِعْصَارُهَا^(٢) *

والشَّارَةُ : الهيئة . ويقال : رَجُلٌ شَيْرٌ صَيْرٌ ، من الصُّورَةِ والشَّارَةِ .

٣ - فَإِنْ تَلَقَّ مِنْ سَعْدٍ هَنَاتٍ فَإِنَّا نُكَائِرُ أَقْوَامًا بِهِمْ وَنُفَاخِرُ^(٣)
٤ - لَقَدْ كَانَ فِيكُمْ لَوْ وَفَيْتُمْ لِحَارِكُمْ إِحَى وَرِقَابٌ عَزْدَةٌ وَمَنَاخِرُ^(٤)

بَيَّنَّ أَنَّ الْقَدِيمَ أَدْرَكَ مِنْهُمْ مَا أَدْرَكَ هُمُ بَنُو سَعْدٍ . وهذا الكلام تهكم
وسُخْرِيَّةٌ . كأنه يريد : إن اتَّفَقَ من سعدٍ الزَّلَّةُ بعد الزَّلَّةِ ، والسَّقَطَةُ المنكَرَةُ
بعد السَّقَطَةِ ، فإننا على ذلك نُكَائِرُ بِهِمُ الْأَعْدَاءَ . وَنُفَاخِرُ بِمَكَانِهِمْ . ثم أُقْبِلَ
عليهم وقد نقل الكلام عن الإخبار إلى الخطاب ، فقال : لَوْ رُمْتُمْ الْوَفَاءَ لِحَارِكُمْ ،
ولم تظَمَعُوا فِي مَالِهِ لِقَرَبِ ذَاكَ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ آلَاتِ الْوَفَاءِ مُعَدَّةٌ فِيكُمْ : إِحَى
موفورة ، وَرِقَابٌ غليظة ، وَمَنَاخِرُ واسعة منتفخة .

(١) البيت للحارث بن حلزة اليشكري في معلقته .

(٢) الرجز لمنظور بن مرثد الأسدي ، في اللسان (عصر) . وقبله :

جارية بسفوان ذارها تمشي الهويني ساقطاً خازها

(٣) المرزباني : « بها ونفاخر » .

(٤) بعده عند التبريزي :

فبهرًا لمن غرَّت كغالة منقرٍ وإن كان عقدٌ بينهم متظاهرٌ

٦٠٩

وقال حَوَّاسُ الضَّبِّيُّ لَامْرَأَةٍ (١) :

- ١ - وَاللَّهِ مَا أَخْشَى حَكِيمًا وَرَهْطَهُ وَلَكِنَّمَا يَخْشَى أَبَاكَ حَكِيمًا (٢)
- ٢ - وَجَدْتِ أَبَاكَ تَابِعًا فَتَبِعْتِيهِ وَأَنْتِ لَعُتَّارِ الرَّجَالِ لَزُومُ
- رَمَى الْمَرْأَةَ الْمُخَاطَبَةَ وَقَذَفَهَا بِحَكِيمٍ ، فَقَالَ لَهَا مُعَيَّرًا وَمُشَهِّرًا بِهَا : إِنِّي لَا أَخَافُ صَاحِبَكَ حَكِيمًا وَلَا عَشِيرَتَهُ ، وَلَا أَحْتَشِمُهُمْ فِيكَ ، وَلَكِنْ حَكِيمٌ يَخْشَى أَبَاكَ لِاجْتِمَاعِهِ مَعَكَ عَلَى الْفَاحِشَةِ . ثُمَّ قَالَ : تَعَاطَيْكَ الْفُجُورَ وَرِاثَةَ ، لِأَنَّكَ وَجَدْتِ أَبَاكَ فِي الْأُبْنَةِ تَابِعًا لَسَلَفِهِ فِيهَا ، فَاقْتَدَيْتِ بِهِ ، فَهُوَ يَطْلُبُ مَنْ يَشْفِيهِ مِنْ دَائِهِ ، وَأَنْتِ أَيْضًا شَدِيدَةُ اللَّزَامِ لِلزُّنَاةِ وَالْفُسَّاقِ ، وَالْوَلَدُ يَتَّقِيكَ لِأَبَاهُ (٣) .
- ٣ - عَلَى كُلِّ وَجْهِ عَائِدِي دَمَامَةً يُوَافِي بِهَا الْأَحْيَاءَ حِينَ تَقُومُ (٤)

(١) هو جواس بن نعيم ، أحد بني حرثان بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر ابن سعد بن ضبة . المؤتلف ٧٥ وشرح التبريزي . وهذه الأبيات يقولها ردا على أبيات قالتها امرأة من عائدة بن مالك ، وأنشدها التبريزي . وهي :

مَتَى تَلَقَّ جَوَاسًا وَإِنْ كَانَ مُحْرِمًا يَقُولُ لَكَ هَلْ تَخْشَى عَلَيَّ حَكِيمًا

وَمَا لِي لَا أَخْشَى عَلَيْكَ مُحْرَبًا أَخَا ثِقَةٍ يَنْعَى قَتِيلًا كَرِيمًا

مَتَى تَلَقَّهُ يَعْدُو بِهِ الْوَرْدُ جَانِلًا بِشَكَّتِهِ تَلَقَّ الْأَلَدَّ النَّسُومًا

(٢) التبريزي : « قيل إن الصحيح من الروايات : ولكنما يهواك أنت حكيم . وعلى هذا يجعل حكيماً عاهراً ورمهاها به . وإذا قلت : ولكنما يخشى أباك حكيم ، فعناه لأنه منك بسبيل » .

(٣) يتقيل أباه : ينزع إليه في الشبه .

(٤) التبريزي : « حين يقوم » ، أي حين يقوم في المناسك الملوك .

٤ - وَأُورِثَهَا شَرُّ التُّرَاثِ أَبُوهُمْ قَمَاءَةً جِسْمِهِمُ وَالرِّدَاءُ ذَمِيمٌ^(١)
 تمدّاهما إلى فصيلتهما بل قبيلتهما فقال: على وجه كل رجلٍ من بني عائذة
 قُبْحٌ وَخِزْيٌ، إذا قامت أحياء العرب في أسواقهم ومجامعهم يوافيهم به. والمعنى
 أنهم مشهورون باللؤم ودناءة النفوس، فوجوههم مسودّة بالعار، مشهورة
 بسوء الفعّال عند القبائل، فتمت وأفوا يوماً مجموعاً فيه الناسُ وُجِدَ آثارُ الخِزْيِ،
 وَغَضَاضَةُ الطَّرْفِ لِلخِزَايَةِ، تَلُوحُ عَلَى صَفَحَاتِ وُجُوهِهِمْ. ودمامة الوجوه
 ضربها مثلاً لذلك.

وقوله: « وأورثها »، يريد أن اللؤم فيهم وراثته، وقد عرّفوا ذلك من
 أنفسهم واعترفوا به، فترى أجسامهم في المحافل والمشاهد قميئة تصاغراً وتذلاًلاً،
 وتفاضراً وتخشعاً. وقد ردّاهم الله برداء أعمالهم من الغدر والخيانة، والغلول
 والسّفاهة؛ فرادوهم مذمومٌ في الألسنة عند الخاصة والعامة. ويجوز أن يكون
 المراد أن سيّاهم كالرّداء عليهم، فهم مذمومون لها وعليها، ويروى: « والرّوَاءُ
 ذَمِيمٌ^(٢) »، يعني قُبْحُ الطَّلَعَةِ. ودميمٌ: اسم الفاعل من دَمِمْتَ دَمَامَةً. وفعلتُ
 في المضاعف قليل. والرّوَاءُ يجوز أن يكون فعلاً من الرّوئية، ويجوز أن يكون
 من الرّى.

٥ - كَأَنَّ خُرُوءَ الطَّيْرِ فَوْقَ رُؤْسِهِمْ إِذَا اجْتَمَعَتْ قَيْسٌ مَمَّا وَتَمِيمٌ

٦ - مَتَى تَسْأَلِ الضُّبِّيَّ عَنْ شَرِّ قَوْمِهِ يَقُلْ لَكَ إِنَّ الْعَائِذِيَّ لَتِيمٌ

لَمَّا كَانَ يوصف الوقور المتثبت في الأمور إذا حصل مع أشباهه من أهل

(١) ل: « أورثهم » ورسم فوقها « نخ شها » أي أنها في نسخة « أورثها ». وفي
 التنبيه لابن جني: « قال أبو علي - يعني للفارسي - كتبنا منذ أربعين سنة: يحتل الرواء
 أمرين: أحدهما أن يكون فعلاً من رأيت لأنه يدركه الناظر، غير أنه اجتمع على تخفيفه.
 والآخر أن يكون فعلاً من الرى. قال: وذلك لأن للريان نضارة وحسناً. فقوله اجتمع على
 تخفيفه يدلك على أنه غير مهموز العين. ومنهم من يهمله. »

(٢) هي رواية التبريز.

الأناة والرَّفْق والرَّزَانة وسكون الجأش في منتدَى لهم ، وتناجوا وتشاوروا ،
أو حضروا في مجلسٍ مُحْتَشَمٍ فتجادبوا وتناظروا ، بقولهم : كأنَّ على رُءوسهم الطَّير ،
وهذا التشبيه إنما حصل على أنهم من الشُّكُون ومفارقة التَّعَجُّلِ بمنزلة مَنْ على
رأسه طَيْرٌ فيخافُ في تحرُّكِهِ ذهابَها وطيرانَها ؛ ولما كان هذا الشَّاعرُ يهجو
بنى عائذة ويهزأ بهم ، جعلَ بدل ذلك القول « كأنَّ خرُوءَ الطَّيرِ فوق رءوسهم » .
وقوله « إذا اجتمعت قيسٌ معاً وتميمٌ » بيانٌ لاختلاطهم بأهل الحِلِّ والعِتدِ من
وُجوه القبائل ، ورؤساء المحافل . وكان الحُكْمُ أن يقول : إذا اجتمعت قيسٌ
وتميمٌ معاً ، فقدَّم « معاً » لأنَّ اللماطف يُذَبِّهُ على موضع المعطوف .

وقوله « متى تسأل الضبيَّ عن شرِّ قومه » ، يروى : « عن سِرِّ قومه » ،
وهو حَسَنٌ ، والمعنى أنهم لثامٌ باعترافٍ من قومهم به ، واتِّفاقٍ منهم عليه ،
لكنَّهم يُسِرُّون أمرَهُمْ ويُخفُّونَهُ .

٦١٠

وقال محرز بن المكعب الضبي^(١) :

- ١- أبلغَ عديباً حيثُ صارَ بها النوى وليسَ لِدهرِ الطَّالِبِينَ فَنَاهِ
- ٢- كَسَالِي إِذَا لَاقَيْتَهُمْ غَيْرَ مَنطِقِ يُبَلِّغِي بِهِ المَتَّبُولُ وَهُوَ عَنَاهِ^(٢)
- ٣- أَخْبِرْ مَنْ لَاقَيْتُ أَنْ قَدْ وَفَيْتُمْ وَلَوْ شِئْتُ قَالَ المُنْبِئُونَ أَسَاءُوا

(١) يقولها لبني عدى بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، كما ذكر التبريزي .
وقد مضت ترجمة « محرز » في الحماسية ١٨٥ ص ٥٧٢ . قال التبريزي : « كان
محرز بن المكعب جاراً لبني عدى بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، فأغار بنو عمرو
ابن كلاب على إبله فذهبوا بها ، فطلب إليهم أن يسعوا له ، فوعده أن يفعلوا ، فلما طال
ذلك عليه ورآهم لا يصنعون شيئاً أنى الخارق والمساحق ابني شهاب المازنيين ، وهما من
بني خزاعة ، فسعيا له بإبله فرداها عليه » .

(٢) كسالى في النسختين بفتح الكاف ، وفي التبريزي بضمها . وهما جمعان
صحیحان لكسلان .

يقول: أد إلى بني عدي رسالتي حيث استقرت بها النوى^(١) بأن زمن طلاب الأوتار فيما عليهم من إدراك الثأر قد اتصل وامتد، فليس يقطع لسلامهم عن السعي في رداء المغار عليه^(٢)، واستيطايمهم سرا كب العجز عن نصرته، غير مواعيد خالية من الفعل بقرّبونها، وأقوال مزخرقة عند الالتقاء ببذلونها، إذا اعتمدها الموتور انصرف بها مغرورا، فكانت عند السامعين لها ضلالا وبورا، وعناء للقلوب والجوارح، لا يحلى منه بطائل، ولا يترجم على أحد بمائد. هذا وأنا أحسن أمركم، وأقول لمن يسأل عن أخبارنا وأخباركم: إنهم قد وفوا بالعهد، وأدوا ما لزمهم من النصرة بحق الجوار والعقد، لكن للأمور أوقات، وللأفضية آجال وأماد، فينبني الذم عنكم، ويحط العار دون فنائكم، ولو شئت لقال السائل والسامع: أساءوا حين بدلوا الخفارة بالإخفار، وضيعوا الحقوق بالتقصير والإقصار: وقوله «أن قد وقئتم» أن فيه مخففة من الثقلية، واسمه مضمر، وهو ضمير الأمر، والجملة في موضع الخبر. وقوله «غير منطوق» انتصب على أنه استثناء خارج. و«يلهي به» من لهوت عن كذا ولهيت، ألهو لهوا، وألهى لهيا، إذا انصرف عنه. والمتبول: المصاب بدخل وتبل.

٤ - لهم رثية تغلو صريمة أمرهم وللأمر يوما راحة فقضاء^(٣)

٥ - ولاني لراجيكم على بطة سفيكم كما في بطون الحاملات رجاء

الرثية: الضعف. والصريمة: ما يقطع من العزيمة ويجزم إضاؤه بعد العقيدة، فيقول مصورا حالهم في التفريط والإهمال: متى هموا بإنفاذ عزائمهم، وتشديد شكائهم، وإنجاز ما يندجز عليهم من مواعيدهم، أو يهتمون لرخص

(١) ل: «بهم النوى».

(٢) الردء: العون.

(٣) التبريزي: «ريشة»، بتقديم الياء. وقال في شرحه: «ريشة: إبطاء».

ورثية ضعف.

دَرَنِ العارِ عن شِيَمِهِم وأخلاقِهِم ، ولسدَّ طريقِ العارِ^(١) والتعميرِ عن مذاهبِهِم
وأفعالِهِم ، علاهِمَهُم وهَمَّتَهُم وَهَنٌ وفشلٌ ، ومَلَكَ قِيادَهُم ومَقوَدَهُم ضعفٌ
وكسلٌ . ثمَّ أخذَ يتهكَّم ويهزأ فقال : والمرءُ في أمرِهِ يَمْضى يوماً ويكفُّ يوماً ،
فما يَجْبُرُ كَسْرَ التَّعَبِ إلاَّ ما يتعقَّبُهُ من الرِّاحةِ .

وقوله « فإني لراجيكم على بطاء سعيكم » ، يريد أنهم على تباطئهم وتأخر
فَعالِهِم عن مقامِ مرجوونٍ ، كما أن الحاملاتِ على تأخر وضعهنَّ مرجوَّاتٍ ،
فأنا ناظرٌ في أعقاب الأمل متى يتحقَّق .

وقوله « فقضاء » أي فقضاء يوماً آخر . وقوله « كما في بطون الحاملاتِ
رَجاء » أي أرجوكم مثل ذلك الرجاء .

- ٦ - فَهَلَّا سَعَيْتُمْ سَعَى عُصْبَةِ مَازِنٍ وَهَلْ كُفَلَاتِي فِي الْوَفَاءِ سِوَاهُ
٧ - لَهُمْ أَذْرُعٌ بَادٍ نَوَائِرُ أَحْمِهَا وَبَعْضُ الرَّجَالِ فِي الْحُرُوبِ غُنَّاهُ
٨ - كَأَنَّ دَنَانِيرًا عَلَى قَسَمَاتِهِمْ وَإِنْ كَانَ قَدْ شَفَّ الْوَجُوهَ لِقَاءَهُ

هذا الكلامُ بهتٌ وتخصيضٌ . وهلاّ : حرفُ إغراءٍ وتخصيضٍ . وذكَرَ بنى
مازنٍ تحريكاً منهم ، وليوجِّعُهُم بتفضيلِ غيرِهِم عليهم . وقوله « وهل كُفَلَاتِي » ،
قال الكفيل : الضامنُ للشيءِ : وهذا المصراعُ التفتاتُ ، كأنه لما هَجَّنَ فِعْلَهُم وقرَّعَهُم ،
وأطرى غيرَهُم مؤثراً عليهم . التفتتَ إلى مَنْ حوله فقال : وهل ضَمَّنَاتِي مُستَوُونَ في
الوفاءِ فأجرِيَهُم مُجرَى واحداً . وهذا أبلغُ من كلِّ نكبيرٍ ، ومن كلِّ هجوٍ فظيعٍ .
و « سِوَاهُ » وإن كان في الأصلِ مصدرًا ؛ فقد صار هنا كأسماءِ الفاعلينِ انميا بته عنها ،
لذلك صحَّ أن يَعْمَلَ في الظَّرْفِ قبله وهو قوله « في الوفاء » ، لأنَّ المصادرَ لا تعملُ
فيما قبلها إلا إذا أمرَ بها ، كقولك : صرُّ بآ زبداً ، أو إذا أُجرِيَ هذا المُجرى^(٢) .

(١) هذا ما في ل ، وهو الموافق لما بهمه . وفي الأصل : « العاب » بمعنى العيب .

(٢) ابن جنى : « الظرف متعلق بسواء لا بكفلاتي . ألا ترى أن معناه : وهل من

يكفلاتي متساوون في الوفاء » .

وقوله «لهم أذرع» صفة للمصيبة المازنية. وهم يتمدحون بالهزال. والنواشر: عروق ظاهر الذراع. وقوله «وبعض الرجال في الحروب غناء»، تعويض بالآخرين، وهم بنو عدى. والغناء: ما يعلو السيل من الغثر والزبد. والمعنى: بعضهم لا غناء عنده ولا كفاية، فتراه كيبيس النبات وقد احتمله الماء.

وقوله «كأن دنانيرا على قسامتهم»، القسامات: الوجوه، وقيل هي مجارى الدموع. ويقال: وجهه مُقسّم، أى حسن، والقسامة: الحُسن. ومرجعه إلى القسمة، كأنه مسح كل جزء من الوجه بقسم من الجمال، فتعادلت الأجزاء وحسنت. وقوله «وإن كان قد شفا الوجوه لقاء» تعريض أيضا، والمعنى: أن وجوههم تشرق في الحرب وتضىء، إذا صارت وجوه غيرهم مشفوفة متغيرة. ويقال: شفا المرض، إذا أذابه وهزله. وذكر الدنانير في إثبات ماء الوجه ونضارة الحُسن قد جاء في النسيب، ألا ترى قوله:

الدشُرُ منك والوجوه دنا نيرٌ وأطرافُ الأُكفِّ عَنَّم (١)

٦١١

وقال شمعة بن الأخضر (٢)

- ١ - وَضَعْنَا عَلَى الْمِيزَانِ كُوزًا وَهَاجِرًا فمالت بنو كوزٍ بأبناء هاجر
 - ٢ - وَلَوْ مَلَأَتْ أَعْفَاجَهَا مِنْ رَيْبَةٍ بنو هاجر مالت بهضب الأُكادر (٣)
 - ٣ - وَلَكِنَّمَا اغْتَرَّوْا وَقَدْ كَانَ عَهْدُهُمْ قَطِيبَانِ شَتَّى مِنْ حَلِيبِ وَحَازِرِ
- هذا الكلام هُزءٌ وسُخريةٌ. فيقول: نظرنا ما بين كوزٍ وهاجرٍ بالمقياس.

(١) البيت للمرقش الأكبر. وهو البيت ٦ من المفضلية ٥٤.

(٢) التبريزى: «وقيل: منذر بن الرقاد بن ضرار بن عمرو الضبى». وقد سبق.

ترجمة «شمعة» في الخماسية ١٨٣ ص ٥٦٥. وأما منذر بن الرقاد فلم نعث له على ترجمة.

(٣) ل والتبريزى: «ولو ملأت».

القائم ، والميزان الحاكم ، فوجدنا كيفة بنى كوز أرجح وأوزن ، ولو علمت بنا وبفعلنا للملات بطونها من الرثيثة ، فزادت زنتها على هضاب الأكلد ، لكنها أصيبت غفلتها ، وفوجئوا بالوزن قبل الشرب والامتلاء ، والتجرؤ للأمر والاستعداد ، وكانت الحال مُساعدةً ، وأنواع الحليب ممكنة ، وذاك أجلبُ لحسرتهم ، وأدعى إلى ندامتهم .

والأعجاج : الأمعاء ، والواحد عَفَجٌ^(١) . ويقال : اغتَرَّ فلانٌ ، أى أخذ على غرّة . والقطيب : المزوج . والحازر : الجامض . والرثيثة : المجموع من الحازر والحليب . وقد رماهم بأن طعامهم ذلك لا غير .

٦١٢

وقال قرواش بن حوط الضبي^(٢) :

- ١ - نُبِئْتُ أَنَّ عِقْلًا ابْنَ خُوَيْلِدٍ بِنِعَافِ ذِي غُذْمٍ وَأَنَّ الْأَعْلَمَ^(٣)
 - ٢ - يَنْبِئِي وَعَيْدُهُمَا إِلَىٰ وَبَيْنَنَا شَمٌّ فَوَارِعٌ مِنْ هِضَابِ يَوْمَرَمَا
- الأجود في العلم وقد وُصف بالابن أو الابنة ، إذا كانا مضافين إلى علمٍ ، أو ما يجرى مجراه ، ترك التنوين فيه . وقد نوّن هذا الشاعر عِقْلًا ، وإذا قد فعل ذلك فالأجود في ابن خويلد أن يجعل بدلًا ، ويجوز أن يجعل صفة على اللغة الثانية^(٤) .

(١) العفج ، بالفتح ، وبالكسر ، وبالتحريك : وككتف .

(٢) ذكره المرزباني في المعجم ٣٣٩ وقال : قرواش بن حوط بن أنس بن صرمة بن

زيد بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن ضبة . جاهلي .

(٣) الأبيات ١ ، ٢ ، ٥ في معجم البلدان (غذم) و ١ ، ٤ ، ٥ ، ٣ في الحيوان

(٦ : ٢٨٣) و ٣ ، ٤ ، ٥ في معجم المرزباني . التبريزي : « غنم » بالعين المهملة ، تحريف .

وذو غنم : موضع من نواحي المدينة .

(٤) أضف إلى هذا ما ورد في الحماسة ٥٩٥ ص ١٤٣١ ، وهو نص نادر .

والنماف : جمع نغف ، وهو المكان المرتفع في اعتراض ، وأعلى كل شيء ؛ ومنه منافع الجبل . والأعلم : اسم رجل ، وأعاد « أن » معه توكيدا ، والخبر قوله « ينمى » ، والعامل فيه أن الأولى ، لأن الثانية لا يعتد بها عاملا وإن كان مؤكدا . ومثل هذا قول الخطيب :

* إِنَّ الْعَزَاءَ وَإِنَّ الصَّبْرَ قَدْ غَلَبَا ^(١) *

ويكون على هذا الألف في « غلبا » ضمير المثنى . والشم : الجبال المرتفعة . والفوارع : العوالى . ويألم : علم الجبل ^(٢) ، ويروى : « يرمزم » .

٣ - غُضَّا الْوَعِيدَ فَمَا كُونُ لِمُوْعِدِي قَنَصَا وَلَا أُكْلَالَهُ مُتَخَضِّمًا ^(٣)

٤ - ضَبْعًا مُجَاهِرَةً وَلَيْثًا هُدْنَةً وَثُعَيْلِبًا تَحْرٍ إِذَا مَا أَظْلَمَا

٥ - لَا تَسَامِلِي مِنْ دَسِيسِ عَدَاوَةٍ أَبَدًا فَلَيْسَ مُسْتَيْبِي أَنْ تَسَامَا

يقول : أقصيرا إليكما من تهديكما ، فإني لا احتفل بكما ولا بوعيدكما ، ولا أصطاد بإرعادكما وإبرافكما ، ولا أصير مأكلا لأحد فيأكلني بغمه كله خضما كما يؤكل الرطب اللين ، لا قضا . ثم أخذ يعدد مخازيهم فقال : عند المكاشفة والملاقة تخبئان وتحممقان ، خبث الضبع وحقاقته ، وعند الاصطلاح والهدو تشجعان وتقدمان إقدام الأسد وشجاعته ، وفي ظلام الليل تسرقان وتحتالان هلى الناس ، وتراوغان مراوغة الثعلب وسرقتيه . والخمر : ما وارك من شجر

(١) صدره في ديوان الخطيب ص ٥ :

* قالت أمامة لا تجزع فقلت لها *

(٢) على ليلتين من مكة .

(٣) روى بدمه الجاحظ في الحيوان .

فمتى ألاقكما البراز تلاقيا عركا يفلأ الحد شاكا معلما

وغيره . و « إذا ما أظلماً » أى دَخَلَا فى الظلام . والعاملُ فى إذا ما دَلَّ على جوابه وقد تقدّمه .

وقوله « لا تسأما » يقول : لا تَمَلَّأ مَدَاجَاتِي وَطَلَبِ الْغَوَائِلِ لِي فى السَّرِّ وبظهر الغيب ، فإنَّ لسكاً على مثل حالتكما لى ، ولا تَفْتَرَا عنه فَإِنَّى لا أَفْتَرُ ولا أَمَلَّ وإن مَلَلْتَا أيضاً ، فإن مَلَاكُما لا يُكْسِبُنِي فَتُورًا ولا إمساكاً . والدَّسُّ : إدخالك شيئاً تحت شيء ، وهو الإخفاء^(١) . وفى القرآن : ﴿ أَمْ يَدُسُّهُ فى التُّرَابِ ﴾ والدَّاسُوسُ والجاسوسُ يتقاربان . ويُرَوَى : « مِنْ رَسِيْسِ عِدَاوَةٍ » ، ويكون مثل رَسِيْسِ الْحَمَى والهوى ورَسِيْسِهَا ، لما يبدأ منهما . وهوضع « أن تسأما » من الإعراب رفعٌ على أن يكون اسمٌ ليسَ ، كأنه قال : ليس بمسببى سَأَمْتُكُما فهو كقولك : ليس بمنطلقٍ عَمْرُو .

٦١٣

وقال سويد بن مشنوء^(٢) :

١- ذَرِي عَنكَ مَسْعُودًا فَلَا تَذْكَرْنَهْ إِلَى بِسْوَءٍ وَاغْرِضِي لِسَبِيلِ

٢- نَهَيْتُكَ عَنْهُ فى الزمان الذى مَضَى ولا يَنْتَهَى الْغَاوِي لِأَوَّلِ تَبِيلِ

قوله « ذَرِي » ؛ أى دَعَى . والأمرُ يُبْنَى على المستقبل ، وهو يَذَرُ ، وقد استعمل . فأما وَذَرَ فَمِن المرفوض استعماله استغناءً عنه بِتَرَكَ . وقوله : « لا تذكريه إلى » كسَرَ الرأء مفعله لأنه مخاطبةٌ مؤنث ، والأصل تذكريهين ، فحذف النون الأولى للاجزم ، ثم حذف الياء لالتقاء الساكنين ، فصار تذكريه .

(١) هذا ما فى ل . وفى الأصل : « وهو فى خماء » .

(٢) ذكره أبو الفرج فى الأغاني (١٦ : ٣٨) فى خبر مع الخطيئة ، وقال : بن حليف

بنى على بن جناب الكلبيين .

والمعنى : لا ينتهين ذكره إلى ، ولا يتجاوزن ذكره إلى بسوء . فعدي .
تذكرن تعدياً تتجاوزن إلى ، حملاً على المعنى . ومما جاء على هذا قوله :
إذا تغنى الحمام الوزق هييجني ولو تعزيت عنها ، أم عمارة^(١)
عدي هييجني تعدياً ذكرني ، لأنه في معناه . وهذا كما يحملون في التعدي .
التقيض على التقيض ، كقوله :

إذا رصيت على بنو قشير أعمر الله أعجبتني رضاها^(٢)
عدي رصيت تعدياً غضبت لأنه تقيضه ، كما عدي هييجني تعدياً
ذكرني لأنه نظيره . وكما حكى :

* قد قتل الله زياداً عني^(٣) *

عدي قتل تعدياً صرف .

وقوله « نهيتك عنه » ، يقول : كنت أهدرك عنه فيما سلف من الزمان
وتقضى ، لكن الجاهل لا يرتدع للزجر الأولى حتى يردع مرة بعد أخرى .
وهذا مثل ، أعنى قوله :

* ولا ينتهي الغاوي لأول قيل *

وقوله « واعرضي لسبيل » أى اعرضي إلى طريق غيره ، واذكريه بسوء .
ويقال : لا تعرض عرضة ، أى لا تذكره بسوء .

(١) للناخبة الذبياني في جبهة أشعار العرب ص ٥٣ وكتاب سيبويه (١ : ١٤٤) .

وقد سبق في ٣١٥ .

(٢) للقحيف العقيلي في الكامل ٣٤٢ ، ٤٨٨ .

(٣) للفرزدق في ديوانه ١٨١ ، واللسان (قتل) ، قاله حين خرج من المدينة بعد

موت زياد ، وكان زياد قد نفاه وآذاه ونذر قتله . وقد سبق في ٣١٥ .

٦١٤

وقال معدان بن عبيد^(١) :

١ - عَجِبْتُ لِعِبْدَانَ هَجَوْنِي سَفَاهَةً أَنْ اصْطَبَحُوا مِنْ شَائِهِمْ وَتَقَيَّلُوا^(٢)

٢ - بِجَادٍ وَرَيْسَانٍ وَفَهْرٍ وَغَالِبٍ وَعَوْنٍ وَهَذْمٍ وَابْنِ صِفْوَةَ أَخِيلٍ

٣ - فَأَمَّا الَّذِي يُخَصِّصِيهِمْ فَمُكَثِّرٌ وَأَمَّا الَّذِي يُطْرِيهِمْ فَمُقَلِّلٌ

يقال : عَبْدٌ وَأَعْبُدُ وَعِبَادٌ وَعَبِيدٌ وَعَبْدِي وَعَبْدَانٌ وَمَعْبُودَاهُ وَمَعْبُدَةٌ وَعُبدٌ .

فبعض هذه الأسماء مما صيغ للجمع ، وبعضها جمع في الحقيقة . وانتصب

« سَفَاهَةً » لأنه مفعول له . وهم يَكُونُونَ عن اللّام بالعبيد والعبدان ، وبالقزم

والقزمان^(٣) . و « أَنْ اصْطَبَحُوا » يريد لأن اصْطَبَحُوا ، أي شَرِبُوا الصُّبُوحَ ،

وهو ما يُشْرَبُ صباحاً . والقَيْلُ ، وهو شرب نصف النهار . وكما قال تَقَيَّلُوا ،

يقال تَصَبَّحُوا أيضاً . والمعنى عَدَوْا طَوْرَهُمْ فَهَجَوْنِي ، لأنهم رأوا بأنفسهم ما لم

يمهدوه . فَطَعَوْا عِنْدَ الْغَنَى ، وأصابوا مِنْ شَائِهِمُ الصُّبُوحَ والقَيْلُ ، بعد أن

كانوا كَلَالاً على غيرهم . ثم ذكرهم بأسمائهم تخضيماً^(٤) وتشنيعاً . ويرتفع بجادٌ

إن شئت على الاستئناف ، يريد : هم بجادٌ ورَيْسَانٌ ؛ وإن شئت على البدل

من المضميرين في قوله اصْطَبَحُوا .

وقال من بَعْدُ : مَنْ يَعُدُّهُمْ يُكَثِّرُ لَوْفُورِ عَدَدِهِمْ ، ومن يُثْنِي عَلَيْهِمْ يَقَلِّلُ

أقله من يستحق الثناء فيهم ومنهم . ويجوز أن يكون أن من قوله أن اصْطَبَحُوا

أن المفسرة ، كأنه فسّر لِمَ طَعَوْا فَهَجَوْا .

(١) هو معدان بن عبيد بن عدي بن عبد الله بن خيبري بن أفلت الطائي ثم المعنى .

شرح التبريزي ومعجم المرزباني ٤٠٧ .

(٢) ضبطت « عبدان » في النسختين والتبريزي بكسر العين ، ويقال فيها أيضا

« عبدان » بضم العين .

(٣) لم تذكر المعاجم المتداولة هذا الجمع . والمعروف أقزام : وقزامي ، وقزم بضميتين .

(٤) ل : « تخصصاً » :

٦١٥

وقال يزيد بن قنافة^(١) :

- ١- لَعَمْرِي وَمَا عَمْرِي عَلَىٰ بَهَيْنٍ لَبِئْسَ الْفَتَى الْمَدْعُوُّ بِاللَّيْلِ حَاتِمٌ^(٢)
 - ٢- غَدَاةَ أَنَّى كَالثَّوْرِ أُحْرَجَ فَاتَّقَىٰ جَبْهَتَيْهِ أَفْتَالَهُ وَهُوَ قَائِمٌ
 - ٣- كَانَ بِصَحْرَاءَ الْمُرَيْطِ نِعَامَةً تُبَادِرُهَا جِنْحَ الظَّلَامِ نِعَامٌ
 - ٤- أَعَارَنِكَ رِجْلَيْهَا وَهَافِي لُبَّهَا وَقَدْ جُرِّدَتْ بِيضُ الْمُتُونِ صَوَارِمٌ
- قد مضى الكلام في قوله لَعَمْرِي . وقوله « وما عمري على بهين » تحقيق لليمين ، وأن عمره ليس يهون عليه فيحلف به كاذبا . وفي الكلام إزارا بالمخبر عنه . وقوله « المدعو بالليل » كثير من النحويين يذهبون في مثله إلى

(١) التبريزي : « وقال يزيد بن قنافة بن عبد شمس العدوي ، من بني عدى بن أخزم ابن أبي أخزم ، من ثعل بن عمرو بن الغوث ، رهط حاتم بن عبد الله » . وقال ابن جنى : « القنف صغر الأذنين وغلظهما ، رجل أنف وامرأة قنفاء ، وبه سمى الرجل قنافة ، إذا كان ضخما الأذن ، ويقال : هو الطويل الجسم . فقد يجوز أن تكون الهاء في قنافة لحقت للمبالغة ، ويجوز أن يكون أيضا لحاقها ضربا من ضروب تغيير الأعلام ، كما أن الهاء في راحة قد يجوز أن تكون كذلك . وقد يجوز أن يكون قنافة علما مرتجلا من غير طريق الصنعة التي ذكرت » .

(٢) قال أبو رياش : كان من خبر هذه الأبيات أنه عمد رجل من بني السيد بن مالك ابن بكر بن سعد بن ضبة ، يقال له زيد بن ثابت ، فجاور في طى وكانت له نعمة فيهم ، وكان جيرانه منهم بنو معن ، فقتلوه وأخذوا ماله : فيبلغ ذلك بني السيد فركبوا فيمن تبعهم من بني ضبة حتى لقوا رجلا من طى فقالوا له : من أنت ؟ فكتهم فعرفوا لغته ، فقالوا له : أنت آمن إن دلتنا على أقرب أبيات بني معن منك . فدظم على بني ثور بن ود من بني معن ، وذلك من العشى ، فقتلوهم إلا قليلا ، وانفلت منهم رجل حتى أتى حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج ، وهو حاتم طى ، وهو في قبة له آدم في دار ليس معه فيها أحد غير أهل بيت أو بيتين من بني عدى ، فيهم يزيد بن قنافة ، وهو بمكان يقال له صحراء المريط ، فأخبره الخبر فأمر أمته أن توقد في قبة واحتمل تحت الليل فجاء ، وبقى يزيد بن قنافة لم يعلم الخبر حتى صبحته الخيل غدوة ، وكانت امرأته لا تكلمه فدعته باسمه فأخبرته الخبر ، فنار إلى قوسه فمع بناته وابنيه وامرأته وذهب بحاله . وإنما كان القوم أرادوا حاتما فأفلت . وفي ذلك يقول يزيد بن قنافة هذا الشعر هاجيا .

أنه بدل لاصفة ، لأنَّ نِعَمَ وبئس يرفعان من المعارف ما فيه الألف واللام ودلَّ على الجنس ؛ وما يدلُّ على الجنس [لا^(١)] يتأتَّى فيه الوصفية . والصواب عندي تجويز كونه وصفاً ، بدلالة أنه يثنى ويُجمع ، فيقال : نعم الرجلان الزيدان ، ونعم الرجال الزيدون ، والثنوية والجمعُ أبعد الأشياء من أسماء الأجناس ، إلا إذا اختلفت ، فكما يجوز ثنية هذا وجمعه لدخول الاختلاف فيه ، كذلك يجب أن يجوز وصفه لمثل هذه العلة ، ولا فصل . وإذا كان كذلك كان قوله المدعوُّ بالليل صفةً للفتى ، كأنه قال : مذمومٌ في الفتيان المدعوين بالليل حاتم . وهذا ظاهرٌ .

وذكر الليل لشدة الهول فيه .

وقوله « غداة أتى كالثور » يعني حاتماً ، وإنما يهزأ به . ومعنى أخرج : ضيق عليه وأخرج من عادته فأحوج إلى أن يبعث . والأقتال : الأقران والأعداء ، والواحد قتل . فيقول متهمكماً : جاء كالثور الهاج غضباً وحميةً ، وقد بان له من طلابه ترك الإبقاء عليه ، فجعل بينه وبين أقرانه قرنيه يتقيمهم بهما ، ويعيدهم الشرَّ بإعمالها ، فهو ثابتُ القدم متهيئٌ للقتال . هذا كان حاله في الجيء ، فلما جاء وقت الدفاع والمصادمة ، والقراع والمكافحة ، انهزم فكان نعمةً سابقها حين جنح الظلام نعامٌ إلى أداحيها ، أعارت حاتماً رجليها وطائر قلبها ، وهو يعدو مذعوراً ، ويطلب النجاء مفلولاً ، وقد جردت السيوف من أعمادها ، وصار الأمر في الطلب والهرب جدياً . وإنما قال « أعارت رجليها » لأنه نقل الكلام عن الإخبار إلى الخطاب .

٦١٦

وقال عَارِقٌ، وهو قَيْسُ بنِ جِرْوَةَ الطَّائِي (١) :

١ - من مُبْنِغٍ هَمْرُو بنِ هِنْدٍ رِسَالَةً إِذَا اسْتَحَقَّبَتْهَا الْعَيْسُ تُنْضَى مِنَ الْبُعْدِ

٢ - أَبُوعِدْنِي وَالرَّمْلُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ تَبَيَّنَ رُؤَيْدٌ مَا أَمَامَهُ مِنْ هِنْدِ

٣ - وَمِنْ أَجَا حَوْلِي رِعَانٌ كَأَنَّهَا قَنَابِلُ خَيْلٍ مِنْ كَمَيْتٍ وَمِنْ وَرْدِ

كان عمرو بن هند غزاة اليمامة على ما حكيت من قصته فيما تقدم (٢) ، فأخفق ورجع منفضاً . فرم بطيئاً ، وكانوا في ذمته بكتاب عقدي اكتبه لهم ، وعهد أحكمه معهم ، فقال زُرارة بن عدس له : أبئت اللعن ، أصب من هذا الحمى شيئاً . قال : وبلك إن لم عقدا لا يجوز لها تحطيه . فأخذ زُرارة يهون أمر العهد عليه ، ويحسن الإيقاع بهم ؛ فلم يزل يفتل في الذرورة والغارب معه لشيء كان في نفسه على طيئ حتى أصاب أذواداً ونساءً ، فهجا عارقاً عمرو ابن هند بأبيات يعصب رأسه فيها بالغدر الذي كان منه ، فوَقعت الأبيات إلى عمرو بن هند ، فتوعد عارقاً وحلف أنه يقتله ، فاتصلت مقاتلته بعارقٍ فقال هذه الأبيات . ومعنى « استحقبتُها » حملتها في الحقائق . وجعل الفعل للعيس اتساعاً . ومعنى تُنْضَى : تهزّل ، لبعد المسافة .

وقوله « أبوعدني » استفهام على طريق التقرير لعمرو ، واستعظام منه الأمر . والمعنى أنه لا ينالني مع حصانة حبلي وداري ، ولا يتمكّن مني على بُعد طريقي وأرضي ، فليُنظرُ برفقٍ ، وليُميّلْ بين أمه وأمي ، وليكن التعلّي والتوعدُ

(١) سبق ترحمته في الحماسية ٦٠٤ ص ١٤٤٦ .

(٢) في الحماسية ٦٠٣ ص ١١٤٧ .

بمقدار فضله وقدرته . وذكر الأمام إظهار لقلة المبالاة ، وأنه يجسر على تناول
الحرام منه باللسان .

وقوله « ومن أجا حو لي رعان » أجا : أحد جبلينهم^(١) . والرعان : جمع
رعن ، وهو أنف يتقدم من الجبل . والمراد بيان حال جبلي طي في وثاقتها
وحصانتها ، وأمن من ينزل بهما ، وأن رعانه كأنها جماعات خيل أحاطت
بالجبل وأحذقت ، فهي تذب عنها^(٢) كمنما ووردا^(٣) . وذكر القنابل في
التشبيه ، والعز بأربابها يحصل .

ع - غدرت بأمر كفت أنت اجتذبتنا إليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد
٥ - وقد يترك الغدر الفتى وطعامه إذا هو أمسى جلّه من دم الفصد
يُروى : « أنت احتدبتنا » ، وهو افتعل من الحدو : السوق . واجتذبنا ،
من الجذب . ويروى : « أنت دعوتنا » .

والشاعر يشير إلى ما كان في يد طي من عقد الجوار وكتاب العهد ،
فيقول : كفت أنت الباني لذلك ، والمؤسس لعماره ، فأبيت إلا أن تنقضه ،
وبئس العادة الغدر مع العقود ، ونكت عرى المهود . والفتى قد يؤثر الإقامة
على الوفاء مع الإضافة ، وشدة الفاقة ، ويطلب اكتساب المحمدة ، وإن كان
مسكيناً ذا مترية ، حتى إذا أمسى يكون جلّ طعامه فصيد الدم . ويروى :
« إذا هو أمسى حلبة من دم الفصد » ؛ والأول أحسن . ويرتفع « جلّه » على

(١) والآخر « سلمى » .

(٢) أي عن طي القبيلة .

(٣) التبريزي : « وجعلها مختلفة الألوان لاختلاف ألوان الجبال » .

أنه مبتدأ ثان ، والجملة خبر المبتدأ الأول ، وهو طعامه . وينتصب إذا من قوله « جُلُهُ من دَمِ الفَصْدِ » ، لأنَّ الدالَّ على جوابه ^(١) .

٦١٧

وقال آخر :

- ١ - لَعْمَرِي وَمَا عَمَرِي عَلَى بَهَيْنٍ لَقَدْ سَاءَ نِي طَوْرَيْنِ فِي الشَّعْرِ حَاتِمٌ
 - ٢ - أَبْقَظَانُ فِي بَعْضَانِنَا وَهَجَانِنَا وَأَنْتَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَالْبِرِّ نَائِمٌ
 - ٣ - بِحَسْبِكَ أَنْ قَدَسُدْتَ أَخْزَمَ كُلِّهَا لِكُلِّ أَنْسٍ سَادَةٌ وَدَعَامٌ
 - ٤ - فَهَذَا أَوْ أَوَانُ الشَّعْرِ سُلَّتْ سِهَامُهُ مَعَابِلُهَا وَالْمُرَهَقَاتُ السَّلَاجِمُ
- أقسم بحياة نفسه ، وخبر المبتدأ محذوف ، والمراد : لَعْمَرِي مَا أُقْسِمُ بِهِ ؛ لِأَنَّ اللامَ منه لامُ الابتداء ، وجواب القسم لَقَدْ سَاءَ نِي . وقوله « مَا عَمَرِي » اعتراض ، وقد مرَّ القول في فائدته ^(٢) . وَالطَّوْرُ : التَّارَةُ . أَيْ تَعَرَّضَ لِي مَرَّتَيْنِ بِمَا سَاءَ نِي . ثم أقبل عليه فقال : أَبْقَظَانُ ؟ والمعنى : أَنْتَ يَقْظَانُ ، أَيْ مُنْتَبِهٌ فِي هَجْوِنَا وَبَعْضِنَا وَعِدَاوَتِنَا ، وَنَائِمٌ عَنِ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ ، وَإِسْدَاءُ الْمَعْرُوفِ وَالْبِرِّ وَالْإِفْضَالِ ؟ ثمَّ أَخَذَ يَهْرَأُ بِهِ فَقَالَ : بِحَسْبِكَ . وَالْمُرَادُ حَسْبُكَ ، لَكِنَّهُمْ يَزِيدُونَ الْبَاءَ فِي الْمَبْتَدَأِ ، نَحْوَ قَوْلِكَ : بِحَسْبِكَ أَنْ تَفْعَلَ كَذَا ، وَفِي الْخَبَرِ أَيْضًا يَزِيدُونَ ، نَحْوَ قَوْلِهِ :
- * وَمَنْعُكَهَا بِشَيْءٍ يُسْتَطَاعُ ^(٣) *

(١) ابن جنى : « يصح أن ينصب إذا شيء مما قبلها ، طعامه ولا غيره ، من حيث كان الشرط لا ينصبه ما قبله ، لكن العامل ما دلت عليه حلبة » أي إذا هو أمسى يحلب له من دم الفصد . ولا يجوز أن يتعلق بحلبة ، من حيث كان مصدرا فلا تتقدم صلته عليه . يعني أن المصدر لا يعمل فيما قبله - فإن قلت : فإن الحلبة هنا بمعنى المحلوبة واسم المفعول يتقدم عليه ما عمل فيه ، فذلك وجه مستقيم ، يجوز انتصاب إذا عليه بنفس الحلبة .

(٢) انظر البيت الأول من الحماسية ٦١٤ ص ١٤٦٤ .

(٣) لعبيدة بن ربيعة بن قحطان ، كما سبق في حواشي الحماسية ٤٨ ص ٢٠٩ . وصدده :

* فلا تطمع أبيت اللين فيها *

وانظر الخزانة (٢ : ٤١٣) .

أى شئ؟ يُستطاع . وهذا أحد ما قيل فيه ، وقال آخر^(١) :
 بِحَسَبِكَ فِي الْقَوْمِ أَنْ يَعْلَمُوا بِأَنَّكَ فِيهِمْ غَنِيٌّ مُضِرٌّ^(٢)
 والمعنى : كما فيك أن ترأست على أخزم ، وأخزم : رهط حاتم . ثم أزرى
 برياسته وبهم ، فقال : ولكل طائفة من طوائف الناس رؤساء وعمد ، وهذا
 يجري مجرى الالتفات . كأنه بعد ما قال ذلك التفت إلى من حوله يؤنسهم
 ويقول : ليس ذا بمنكر ، فلكل قوم من يسوسهم ويدعمهم .
 وقوله « فهذا أوان الشعر سلت سهامه » ، يعنى شعره . فيقول : لكل
 زمان شئ؟ يظهر فيه ويغيب ، وزماننا هذا مع قرضك للشعر زمان الشعر ،
 وقد أتزعت سهامه من كنفاتها بعد أن نُثرت ، فجردت للرئى بها معايلها ،
 وهى العراض ، وسلاجها وهى الطوال . والمرهفات : المرققات الحد . والمراد
 بهذا التنويع فنون الشعر وأساليبه . أى أنت فيه ذو فنون ، والمعيل^(٣) : الذى
 معه معايل^(٤) . وعبلته : أصبته بمقبلة .

٦١٨

وقال رجل من طي :

١ - إن امرأ يعطى الأسننة نجره وراء قریش لا أعد له عقلا
 ٢ - يذمون لي الدنيا وقد ذهبوا بها فما تركوا فيها لملميس ثغلا^(٥)

- (١) هو الأشعر الرقبان الأسدى . اللسان (ضرر) .
 (٢) المضر : الذى له قطعة من الإبل أو الغنم .
 (٣) وردت فى القاموس ، ولم ترد فى اللسان .
 (٤) فى الأصل : « فيه معايل » ، صوابه فى ل .
 (٥) مثل هذا المعنى لعبد الله بن همام السلولى ، قال يهجو العلماء فى شعر يخاطب به النعمان
 ابن بشير الصحابى :

وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها أفأويق حتى ما يدرها ثمل
 اللسان (٩ : ٤٨٤ / ١٣ : ٨٨) والأغاني (١٤ : ١١٦) . وانظر مجالس ثعلب
 ٥١٥ ومقاييس اللغة (٢ : ٤٠١) .

وَصَفَ الْأَمْراءَ الَّذِينَ أَشارَ إِلَيْهِمْ بِسُوءِ الْحافِظَةِ ، وَذَهابِهِمْ عَن مَعْرِفَةِ
الْحقوقِ وَمِراعاتِها ، وإِنزالِ المَوالِينَ مَنازِلَهُم فيها فقال : إن مَن يَغْتَرُّ بِكم بَعْدَ
هذا الوَقتِ واعْتَمَدَكم ، فبَدَلَ نَفْسَهُ وِراءَكم المَتالِفِ ، وَرَكِبَ في هِواكم
المِعاطِبِ ، لا عَقَلَ لَهُ ولا رَأى .

ثمَّ بَيَّنَّ ما أَشكاهُ مِنْهُم ، وَسِوَأَ مِعامَلَتِهِم فقال : يَذمُّونَ الدُّنيا لى ،
ويزهدونى فيها وفى الأَخِذِ مِنْها ، وَقَدَ فازُوا بِها حَتَّى لَمْ يُبَقِّوا فيها فَضالَةً لأَحَدٍ ،
أى تَغَبَّرُوا كَلَّ مَحلوبِ فيها ، وَلَمْ يُبَقِّوا فى ضِروعاها شَيْئاً حَتَّى لَمْ يَتْرُكُوا نُفُلاً
فيها . وهذا مَثَلٌ ، وَالشُّعْلُ هِو الطُّبىُّ الزائِدُ ، وَالسُّنُّ الزائِدَةُ . وَيقالُ : نُعِلَّتْ
سِنُّهُ . وشاةٌ نُعُولٌ : لها نُعْلٌ^(١) . وَذَكَرَ بَعْضُ أَهلِ اللُّغَةِ أَنَّ الشُّعْلُولَ مِنَ الشَّاءِ :
التي يُمكنُ أَنْ يُحَابَّ مِنْ نُعْلِها أَيْضاً .

وقوله « وِراءَ قُرَيْشٍ » يَكُونُ وِراءَ بِمعنى خَلْفَ وَقَدَّامَ ، والأولى بِهِ هِنا
أَنْ يَكُونُ بِمعنى قَدَّامَ . ومِثْلُهُ فى القرآنِ : ﴿ وَكانَ وِراءَهُم مَلِكٌ ﴾ .

٦١٩

وقال رُوَيْشِدٌ^(٢) :

١ - وَمُوقِعٌ تَنْطِقُ غَيرَ السَّدادِ فَلا جِيدَ جِزْعِكَ يا مُوقِعُ

٢ - فما فِوقَ ذَلَّتِكُمُ ذِلَّةٌ ولا تَحْتَ مَواضِعِكُم مَواضِعُ

مُوقِعٌ^(٣) : قَبيلَةٌ . يَريدُ أَنَّهُم يَتكَلَّمونَ بِالْفُحْشِ وَغَيرِ الصَّوابِ ، لِسَفِها

(١) يُقالُ نُعِلٌ ، بِالضَّمِّ ، وَبِالْفَتْحِ ، وَبِالتَّحريكِ .

(٢) هِو رُوَيْشِدُ بنِ كَثِيرِ الطَّائى ، الَّذى سَبَقَتْ لَهُ الحِمايَةُ ٣٢ ص ١٦٦ .

(٣) مُوقِعٌ ، بِضَمِّ المِيمِ ، كَمَا فى الأَصْلِ والتَّبْرِيزى . وَفى القامُوسِ : « وَمُوقِعٌ بِالضَّمِّ :

قَبيلَةٌ » لَكِن ضَبَطَتْ فى ل بِفَتْحِ المِيمِ وَالقافِ .

وسوء تمييزها ، ثمّ دَعَا عليها ، فقال : لا مُطْرَ جَانِبُكَ وَفِئَاةَ وادِّيكَ بِالْجَوْدِ ،
ولا أَصَابِكُمْ خِصْبُ .

وقوله « فما فوق ذلتكم » طابِقَ بِتَحْتِ وَفوقَ فِيهِ ، وهو غريبٌ حَسَنٌ .
يريد : لا مَرْتَبَةَ فِي الدَّلِّ أَعْلَى مِنْ مَرْتَبَتِكُمْ ، فَإِنَّهَا الغَايَةُ القُصْوَى ؛ ولا مَوْضِعَ
أَشَدُّ تَأْخِرًا وَانْحِطَاطًا فِي العِزِّ مِنْ مَوْضِعِكُمْ ، فَإِنَّهُ المَنْزِلُ الأَخْسُ الأَدْنَى . وقوله
« غيرَ السِّدادِ » ، يريدُ به تَنْطِيقَ النُّطْقِ غيرَ السِّدادِ . ويقال : جَيِّدَ جَوْدًا ،
فِي المَطَرِ ، وَتَوَسَّعَ فِيهِ فَعِيلٌ :

* وَجُودٍ مِنْ صُبَابَاتِ الكَرَى ^(١) *

ويقال جَيِّدَ جَوَادًا ^(٢) ، إِذَا عَطِشَ .

٦٢٠

وقال جَابِرٌ ^(٣) :

١- أَجِدُّوا النَّعَالَ بِأَقْدَامِكُمْ أَجِدُّوا فَوَيْهَا لَكُمْ جَرَوَلُ
٢- وَأَبْلِغْ سَلَامَانَ إِنْ جِئْتَهَا فَلَا يَكُ شِبْهًا لَهَا المِغْزَلُ
٣- يُكْسَى الأَنَامَ وَيُعْرَى اسْتَهُ وَيَنْسَلُ مِنْ خَلْعِهِ الأَسْفَلُ

يقول : استجِدُّوا النَّعَالَ لِأَقْدَامِكُمْ ، أَوْ فِي أَقْدَامِكُمْ اسْتَجِدُّوا هَا يَا جَرَوَلُ ،
وَيْهَا لَكُمْ . وَإِنَّمَا كَرَّرَ الأَمْرَ تَأْكِيدًا لِلقَوْلِ عَلَيْهِمْ . وَيُقَالُ فِي الدُّعَاءِ : أَبْئَلُ
وَأَجِدُّ . وَوَيْهَا : اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الأَفْعَالِ يُعْرَى بِهِ ، وَلَا يَحْيَى إِلَّا مُنَوَّنًا ،

(١) البيت للبيد في اللسان (جود) . وعجزه :

* عاطف الفمق صدق المبتدل *

(٢) وجودة أيضا بفتح الجيم ، وفيه قول ذى الرمة :

تماطيه أحياناً إذا جيد جودة رضاها كطعم الزنجبيل المعسل

(٣) كذا ورد اسمه بدون نسبة .

وذلك علامة لتفكيره . وإنما قلنا هذا لأن في أسماء الأفعال ما يُنكر ويعرّف .
ومنه ما لا يجيء إلا منكورا . ومثل وَبِهَا إِيَّهَا ، وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْكِفِّ ، وَوَاهَا ،
وهو للمعجب ، وكل ذلك يجيء منونةً منكّرةً . وجَرَّوْلُ : اسم رجل .
وجعل أول الكلام خطاباً لجماعتهم ، ثم خصّ بالنداء واحداً منهم وجعله
المأمور بما أراد . ألا ترى أنه قال : « وَأَبْلِغْ سَلَامَانَ إِنْ جِئْتَهَا » .
وسَلَامَانُ : قبيلة . ومثل هذا التخصيص قول الهذلي^(١) :

* أَحْيَا أَبَا كَنْنَ يَا لَيْلَى الْأَمَادِيحِ^(٢) *

فقال : أبا كَنْنَ ، ثم قال : يا ليلي ، وهذا التخصيص مثل التخصيص الذي
في قوله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ ، وما أشبهه . وقوله
« فَلَا يَكُ شِبْهًا لَهَا الْمَغْزَلُ » ، لو قال لكم لساغ ، لأنهم يفتنون في مثل هذا
الموضع بين الخطاب والإخبار ؛ على هذا قول الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ
بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ ، قرئ : ﴿ لَا يَعْبُدُونَ ﴾ بالياء والتاء^(٣)
فالتاء للخطاب ، والياء للإخبار . والرّسالة التي يريد إبلاغها قوله :

* فَلَا يَكُ شِبْهًا لَهَا الْمَغْزَلُ *

والمعنى لا يكونن سبيلكم سبيل من يتبع الغير ويضرب نفسه ، كالمغزل
الذي يُكسَى الخلق ويجعل استه عريان . وهذا مثل . وكما ضرب المثل بالمغزل
ضرباً أيضاً له بالسراج فقليل :

وَلَا تَكُونَنَّ ذُبَالَةً نُصِبَتْ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

فأمّا قوله « وَيَنْسَلُ مِنْ خَلْعِهِ الْأَسْفَلَ » ، فإنه كان يُروى : « مِنْ خَلْفِهِ »

(١) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ١١٣) . وقد سبق في ٢٤٨ .

(٢) صدره : * لو كان مدحة حتى أنشئت أحداً *

(٣) قرأ بالياء التحتية ابن كثير وحزرة والكسائي . وقرأ أبو وابن مسعود :

* لَا يَعْبُدُوا » ، على النهي . تفسير أبي حيان (١ : ٢٨٢) .

وليس يصح له معنى . والمستقيم كما روينا : « من خَلَعِه الأسفل » . وذلك أن
 المغزل ينسل أسفله بأن يُخْتَلَم كُتْبَتُهُ ، وهذا ظاهر . وكان سَلَامَان كانت تفتحم
 أهوالاً غنمها بصير لغيرها ، وغرُمها يكون لها ، فلذلك جعل المغزل مثلاً له .
 ٤ - فَإِنَّ بُجَيْرًا وَأَشْيَاعَهُ كَمَا تَبَحَثُ الشَّاةُ إِذْ تَذَالُ^(١)
 ٥ - أَثَارَتِ عَنِ الْحَتْفِ فَاغْتَالَهَا فَمَرَّ عَلَى حَلَقِهَا الْمِغْوَلُ
 ٦ - وَآخِرُ عَهْدِهَا مُونِقٌ غَدِيرٌ وَجِزْعٌ لَهَا مُبْقِلُ
 قوله « كما تبَحَثُ الشَّاةُ » محمولٌ على المعنى ، لأنَّ المعنى أنَّ بَحَثَ بُجَيْرٍ
 وأشْيَاعِهِ كَبَحَثِ الشَّاةِ فِي ذَائِلَاتِهَا ، وهو جنسٌ من عَدْوِهَا ، وذلك لِأَنَّهُ يُشَبَّهُ
 الْحَدَثُ بِالْحَدَثِ ، وَالذَّاتُ بِالذَّاتِ ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَقَوْلُهُ إِنَّ بُجَيْرًا حَذَفَ
 الْمُضَافَ مِنْهُ ، لِأَنَّ الْقَصْدَ تَشْبِيهُهُ بِالْبَحَثِ بِالْبَحَثِ . وَفِي الْمَثَلِ : « حَتَفَهَا تَحْمِلُ
 ضَانٌ بِأُظْلَافِهَا » ، وَ« كَمَا تَبَحَثُ الشَّاةُ عَنِ مُدْيَتِهَا » وَ« لَا تَكُنْ كَالْبَاحِثِ
 عَنِ الشَّفْرَةِ » ، وَإِنَّمَا يَنْهَى بِهَذَا مَنْ يَجْنِي عَلَى نَفْسِهِ فِيمَا يَأْتِيهِ ، وَيَسْعَى فِي
 إِهْلَاكِهِ بِرِجْلِهِ ، فَيَقُولُ : لَا يَكُونُ سَبِيلُهُ سَبِيلَ الشَّاةِ الَّتِي كَشَفَتْ عَنِ الْمُدْيَةِ ،
 وَقَدْ اسْتَتَرَتْ عَنِ الذَّابِحِ ، بِظَلْفِهَا ، حَتَّى ذُبِحَتْ بِهَا . وَمَعْنَى أَثَارَتِ عَنِ الْحَتْفِ ،
 أَثَارَتِ عَنِ الْمُدْيَةِ ، ثُمَّ كَانَ الْحَتْفُ فِيهَا . فَفِيهِ تَوْشَعٌ . وَهُمْ يُقِيمُونَ السَّبَبَ
 مَقَامَ الْمَسَبِّ كَثِيرًا . وَاغْتَالَ : افْتَعَلَ مِنَ الْغَوْلِ ، وَهُوَ الْهَلَاكُ . وَالْمِغْوَلُ :
 السَّكِينُ ، وَقَدْ اشْتَهَرَتْ بِهَا إِذَا جُمِلَتْ فِي وَسَطِ السَّوْطِ فَصَارَ كَالْغِلَافِ لَهَا .
 وَقَوْلُهُ « وَآخِرُ عَهْدِهَا مُونِقٌ غَدِيرٌ^(٢) » ، يَعْنِي الشَّاةَ بَعْدَ إِثَارَتِهَا السَّكِينِ .

(١) فِي النُّسخَتَيْنِ : « وَأَشْيَاعَهَا » ، صَوَابُهُ عِنْدَ التَّبْرِيزِيِّ . قَالَ : « بِجَيْرِ :

اسم رجل » .

(٢) ابن جنى : « أراد أن يقول غدير مونق ، إلا أنه قدم وصف النسكرة عليها
 فأعربها إعرابها وأبدلها منها ، كقولك : مرت بظريف رجل . ولو نصبه لأنه نكرة
 قدم عليها فنصب حالاً منها لحاز على قولك : فيها قائماً رجل . غير أن سيبويه قال : هذا كلام
 أكثر ما يجيء في الشعر وقلما يجيء في الكلام » .

وهو إظهارها إياها . فيقول : كان آخرُ عهدِها المُعْجِبُ لها روضةً قد أبقَلتْ ،
وغديرًا امتلاءً ماءً وكان شِبعه وربّه منهُما ، فَبَطِرَتْ وأثارت عن حَتْفِها حتّى
هَلَكَتْ . ولك أن تروى « مُونِقٌ » بالرفع ، فيكون صفة لآخرِ عَهْدٍ ،
و « مُونِقٍ » بالجرّ فيكون للعهد . وجَمَل الإيفاق للعهد لأنّ المراد بالعهد
المعهد ، وهو المرعى المُعْجِبُ . ويجوز أن يجعل المُونِقُ من صفة الغدير وقد
قُدِّم عليه ، وجَمِل هو بدَلًا منه ، ويكون التَّقدير : وأخرُ عهدٍ لها غديرٌ
مُونِقٌ وجِزَعٌ مُبْقِلٌ . ويقال : أبقَل المكانُ فهو باقِلٌ ومُبْقِلٌ . وأفعل فهو
فاعلٌ شاذ ليس بكثير .

٦٢١

وقال إياس بن الأرت^(١) :

- ١ - كَأَنَّ مَرْعَى أُمَّكُمْ إِذْ بَدَتْ عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرُبَانٌ
 - ٢ - إِكْلِيلُهَا زَوْلٌ وَفِي شَأْوِلِهَا وَخَزُّ أَلِيمٌ مِثْلُ وَخَزِّ السَّنَانِ
 - ٣ - كُلُّ عُدْوٍ مُبْتَقٍ مُقْبِلًا وَأُمَّكُمْ سَوَزَتْهَا بِالْمِجَانِ
- قوله « كَأَنَّ مَرْعَى أُمَّكُمْ » ، يجوز أن يكون « مَرْعَى » اسمًا لها ،
وأُمَّكُمْ بدَلًا منه ، ويجوز أن يكون لقبها الشاعر به . وسئِل الأحنف عن شيء
من أمور النساء ، فقال : « الرَّجَالُ حَمَى وَالنِّسَاءُ مَرْعَى » ، فعدَّت من سَقَطَاتِهِ .
ومثل قوله « عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرُبَانٌ » قولُ الآخر :

كَالْجُعَلَيْنِ رَكِبَا دُخْرُوجًا دَمَامَةً وَمَنْظَرًا سَمِيحًا

والعُقْرُبَانُ : ذَكَرَ العُقَارِبُ . وَالسَّقَادُ : السَّفَادُ . وقوله « إِكْلِيلُهَا زَوْلٌ »

(١) سبقَت ترجمته في الحماسية ٣٥٧ ص ١٠٢٨ .

(٢) انظر الحيوان (٢ : ٤/٢٨٦ : ٢٥٩ - ٢٦٠) .

كنى عن قرني العقربة بالإكليل . والزؤل : الخفيف الظريف . وقوله « وفي شولها وخز » أي فيما تشول العقربة من ذنبها . وزاد الماء في عقربة توكيداً للتأنيث . وهذا كما قالوا : جمل وناقاة ، وكبش ونعجة ، ووعل وأزوية ألحقوا الماء توكيداً وتحقيقاً للتأنيث ؛ ولو لم تلحق لم تحتج إليها . وحكى : عجوزة . والوخز : الطعن الشديد الموجه . وإنما يعني شوكتها إذا ضرب بها ، فشبه تأثيرها بتأثير السنان .

وقوله « كل عدو يمتقي مقبلاً » ، أراد أن يذكر السوءة فيها استهزاء واستهانة بذكرها ، فقال : كل عدو يمتقي شره إذا أقبل ، وأمكم يمتقي شرها إذا أدبرت . والعجان يريد الدبر به ^(١) . وهو في الأصل ما بين الخصىة إلى سم الدبر . والسورة : الوثبة .

٦٢٢

وقال أدهم بن أبي الزعرار ^(٢) :

١ - بني خيبري نههوا من قناذع أتت من لدنكم وانظروا ماشوونها ^(٣)

٢ - فكانن بها من فاشص قد علمتم إذا نفرت كانت بطيئا سكونها

هذا الكلام منه توعد واستهزاء . فيقول : يا بني خيبري ، كفوا عن أبيات هجاء وفخر جاءتنا من عنديكم ، وانظروا كيف ترسلونها وماذا شوونها حتى اهتمجت وجاءت . والقناذع ، أصله الفحش . ويقال للديوث : القنذع .

(١) ل : « يزيد به الدير » .

(٢) سبقت ترجمته في الحماسية ٢٠٠ ص ٦١٣ .

(٣) التبريزي : « عن قناذع » .

وقوله « فـكـائـن » بناء كائـن لغةً في كم . و « بنا » أى عـيدنا .
« ناشـص » أصله فى المرأة ، يقال : نشـصت المرأة على زوجها ونشـزت ، إذا
تمنعت . فاستعاره للشعر والهجو . يريد : كم من قافية إذا نـفرت كانت بطيئاً
سكونها . وهذا توعد ، والمراد : إنما نمسك عن القول ما أمكن ، فإذا تكلمنا
استمر القول بنا فيبطؤ سكوننا ؛ لأن الاحتمال غايةً وللسكون نهاية ، إذا
بلغناها فقد أقمنا العذر ، وما وراء ذلك نبلغ فيه الأقصى ، ولا نرضى بالمنزل
الأدنى . والكناية عن القصائد والقوافى بالهدى والعروس مشهورة . وقد
قيل : المراد بالناشـص الحرب ، وقيل : أراد به امرأة سيئة الخلق والعشرة ،
لعجبها بنفسها . كأنه لما جاءهم خاطباً زهدهم فى نساءهم ترفعاً عنهم . والصواب
فيما بدأت به .

- ٣ - وبالـجـل المـقـصـور حـول بيوتنا نواشي كالغزلان نجل عيونها^(١)
٤ -- وإنا لمـحـقـوقون حين غضبتهم بأيمه عبد الله أن سـنـهـنـها^(٢)
٥ - فلست لمن أـدعى له إن تفقت عليها دماميل أسـتـه وحبونها

الـجـل : جمع حـجـلة . والمـقـصـور : المرسل عليه الستور . والنواشي : النساء
الشواب . وقصد الشاعر إلى أن يحسرهم ويقصر بشأنهم ويهينهم حين عدوا
طورهم ، فخطبوا غير كقوم ، فقال : إن عندنا نساء كالغزلان فى جيدها ،
وبقر الوحش فى عيها^(٣) ، مخدرات فى الجبال ، تمنعت حوالى بيوتنا ، ربأ
بأقدارها عن مواصلتكم بهن ، فتحسروا وارجعوا عنا مقذوعين مذللين ؛ فإننا

(١) التبريزى : « خلف ظهورنا » .

(٢) التبريزى : « ويروى : حين غضبتهم بلحية عبد الله » .

(٣) الجيد ، وبالتحريك : طول العنق وحسنه . والعين ، وبالتحريك أيضاً : سعة

العين وحسنها .

أَحِقَاءَ حِينَ غَضِبْتُمْ بِسَبَبِ أَيْمَةِ عَبْدِ اللَّهِ ، وَتَرْفَعِنَا عَنْ مَنَاحِكِهِ ، بَأْتًا لَا نَسْتَعْظَمُهَا
بَلْ نَهْوَنَهَا^(١) ، وَنُقَلِّدُ فِكْرَنَا فِيهَا . وَقَوْلُهُ « أَنْ سَنُهَيْنُهَا » أَنْ مَخْفَفَةٌ مِنْ
بِالثَّقِيلَةِ . وَالْمَعْنَى : إِنَّا لَمُتَّقُونَ بِأَنَّا سَنُهَيْنُهَا لَا تَحَالَةَ . وَمِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْآخِرِ^(٢) :

فَمَا كَبُرَ الْأَشْيَاءَ عِنْدِي حَزَاةً بَأَنْ أُبْتَ مَزْرِبًا عَلَيْكَ وَزَارِيَا

وقوله « فلست لمن أَدَعَى له » يجري مجرى اليمين ، أى للوالد الذى أنسبُ
إليه ، أن أنكحَ عبدُ اللهَ فيما ، وتشققتُ خراجًا استبه عليها . وهذا الكلامُ
إِزْرَاءٌ بِهِ ، واحتمارٌ له ، بذكر السوأة منه . وذكرُ الدماميلِ تشنيعٌ للحال ،
وَأَنَّ الْعَزْبَةَ^(٣) بلغتْ به هذا المبلغَ لزهد النَّاسِ فِي مُنَاحِكِهِمْ . وَقَالَ « دَمَامِيلُ »
لِأَنَّهُ أَشْبَعَ كَسْرَةَ الْمِيمِ فَأَحْدَثَ عَنْهَا يَاءً . وَمِثْلُهُ :

* نَفَى الدَّرَاهِمَ تَنْقَادِ الصِّيَارِيفِ^(٤) *

وَالأَصْلُ الدَّرَاهِمُ وَالصِّيَارِفُ .

٦٢٣

وَقَالَ حُرَيْثُ بْنُ عَتَّابٍ^(٥) :

« — بَنِي تُعَلِّ أَهْلَ الْخَفَمَا مَا حَدِيثُكُمْ لَكُمْ مَنَطِقٌ غَاوٍ وَلِلنَّاسِ مَنَطِقٌ

(١) ل : « بل نهينها » .

(٢) هو جزء بن كليب النعمسى . والبيت فى الحماسية ٦٢ ص ٢٤٢ .

(٣) العزبة بالضم : العزوبة .

(٤) (الفرزدق ، فى خزائن الأدب (٢ : ٢٥٥) وكتاب سيبويه (١ : ١٠) . والبيت

جاء شاهداً على الفصل بين المتضامتين بالمفعول ، فإن أصله « نفى تنقاد الصياريف الدراهم » ،

وروى أيضاً بجر الدراهم على الإضافة ورفع تنقاد ، فيكون من إضافة المصدر إلى مفعوله .

وروى أيضاً برفع الدراهم ونصب تنقاد على القلب .

(٥) سبقت ترجمته فى الحماسية ٦٩ ص ٢٥٥ . وفى النسختين : « عتاب » ، صوابه

فى التبريزى .

٢ - كَأَنَّهُمْ مِعْزَى قَوَاصِعِ جِرَّةٍ من العِىِّ أَوْ طَيْرٌ بِخَفَّانٍ تَنْفِقُ^(١)

٣ - دِيَابِئِيَّةٌ غُلْفٌ كَانَ خَطِيبِهِمْ سَرَاةَ الضُّحَى فِي سَلْحِهِ يَتَمَطَّقُ^(٢)

قوله « بنى نعل أهل الخنا » يجوز أن يكون أهل الخنا انتصابه على الذم والاختصاص ، كأنه قال : يا بنى نعل ، أذكرُ أهل الخنا . وقوله « ما حديثكم » يريد : ما لغتكم . وبفسره قوله بعمده « لكم منطلق غاوٍ وللناس منطلق » ، ينسبهم إلى أنهم نبطٌ ، وأن لغتهم ذات غواية وزبغ . ويعنى بقوله « وللناس منطلق » العرب . ويجوز أن يكون معنى ما حديثكم : ما شأنكم المستحدث وما أمركم ؟ ينسبهم إلى أنهم لا قديم لهم ولا حديث .

وقوله « كأنهم معزى قواصع جرة » ، يقول : إنهم اعبيهم إذا تكلموا كأنهم معزى تجرُّ ، أو طيرٌ بخفَّانٍ^(٣) تنفق . يعنى بالطير الغراب ، ليكون أشام ، والقلوب من ذكرها أنفر . ويقال : قصع البعيرُ بجرته ، إذا دقها من جوفه .

وقوله « ديابية » ، دياب : أرض بالشام . وقصده إلى أن يخرجهم من أن يكونوا عرباً ، وجعلهم غلفاً إلخافاً لهم بالعجم والغلفة والغرلة والغلفة تقارب . ورجل أغرل وأغلف وأقلف . وقوله « كأن خطيبهم » أى الفصيح منهم ، والمعد يوم فخارهم ، والنيابة عنهم فى نفاهم ، كأنه يتمطق فى سلحه . والتمطق : تذوق الشيء بضم إحدى الشفتين على الأخرى مع صوت بينهما . وجعلهم كذلك فى سراة الضحى ، أى إنهم يتباطؤون فى كل حال ، حتى لا يقوموا من فرثهم إلا فى ذلك الوقت .

(١) التبريزى : « كأنكم » . و « معزى » يجوز أن ينون وألا ينون ، بجعل ألفه لإلحاق أو للتأنيث .

(٢) التبريزى : « قلف » ، بدل « غلف » .

(٣) خفان : أجمة قريبة من مسجد سعد بن أبى وقاص بالكوفة .

وهذا يقال في شِدَّة البرد . فيقول : إذا طَلَعَ النَّجْمُ عند غُرُوبِ الشَّمْسِ ، — يشير إلى تَجَرُّدِ اللَّحْلِ ، وتكشُّفِ الجَدْبِ — أُخْرِتْ مَقَارِي هذه القبيلة وَسُتِرَتْ ، تفادياً من الضِّيافة ، وهرباً من الضِّيْفان . والمَقَارِي : جمع مِقْرَاةٍ ، وهي ما يُطْعَمُ فيه الضَّيْفُ من الجِفان . والمراد أَنَّهُ لا مِقْرَاةَ نَمٍّ ؛ لأنَّهُمْ في الشِّتَاءِ يُضَيِّفُونَ ويستضيفُونَ ، فإذا عَطَّلَتْ جِفَانُهُمْ في ذلك الوقتِ فَلِأَنَّهُ لا قَرِيَّ عندهم ولا مَقَارِي . وقوله « واشتكي العَدْرَ جارُها » ينسُبُهُمْ إلى أن إساءَتَهُمْ مقصورة على الجار ، وطمَعَهُمْ فيه وفيمن جَرَى مجراه ؛ فعند الحاجة لا يَشْقَى بِهِمْ إِلَّا جارُهُمْ . وجواب إذا النَّجْمُ « أُجْحِرَتْ » . و « مَغْرِبَ الشَّمْسِ » يجوز أن يكون مفعولاً ، وأن يكون اسماً لموضع الغروب ، ويكون وافي من الموافاة . ويجوز أن يكون ظرفاً^(١) ، ويكون معنى وافي طَلَعَ .

٦٢٥

وقال آخر^(٢) :

فما كِنَانَةٌ في خَيْرٍ بِخائِرَةٍ وما كِنَانَةٌ في شَرٍّ بأشْرارِ

يقال : خَيْرُهُ فِخْرَتُهُ خَيْرًا . وأنا خائِرُهُ ، إذا كُنْتَ خَيْرًا مِنْهُ . واستَخَرْتُ الله نَحَارِلِي . وهذه خَيْرَتِي^(٣) ، أي التي أختارُهُ . والمعنى لا يَرْجِعُونَ إلى حالٍ يُعْتَدُّ بِهِمْ لها ، وَيُعْتَمَدُ بِمَكَانِهِمْ عَلَيْهَا ، فلا عِنْدَ الْخَيْرِ وَتَعْدَادِ أَهْلِهِ يَفُوزُونَ بِسُهْمَةٍ ، ولا في الشَّرِّ وَتَعْدَادِ أَهْلِهِ يَحْصُلُونَ على خُطَّةٍ .

(١) ويجوز أن يكون ظرفاً ، ساقط من ل .

(٢) هو عقاب بن هاشم ، كما سبق في حواشي الخاسية السابقة . وهذا البيت لم يعهده

التبريزي في عداد الخاسيات ، بل ذكره استطراداً كما سبق في النقل عنه .

(٣) شمال بكسر ففتح ، وبكسر فسكون ، والأولى أفصح .

٦٢٦

وقال حُرَيْثُ بْنُ عَنَابٍ^(١) :

- ١ - قَوْلًا لَصَخْرَةَ إِذْ جَدَّ الْهَجَاءُ بِهَا عُوَجِي عَلَيْنَا يُحْيِيكَ ابْنُ عَنَابٍ
 - ٢ - هَلَّا نَهَيْتُمْ عُوَيْجًا مِنْ مَقَادَعِي عَبْدَ الْمَقْدُ دَعِيًّا غَيْرَ صِيَابٍ
 - ٣ - مُسْتَحْقِبِينَ سُلَيْمَى أُمَّ مُنْتَشِرٍ وَأَبْنَ الْمَكْفَفِ رِدْفًا وَأَبْنَ خَبَابٍ
- قوله « يحْييك » ، يجوز أن يكون في موضع الحال ، أي عُوَجِي مُحْيِيًّا لَكَ هَذَا ، ومثله : ﴿ فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا . يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْهُ أُمَّيَّاتِي ﴾ أي وارثًا . ويجوز أن يكون في موضع الجزم جوابًا لقوله عُوَجِي ، وَأَجْرِي الْمَعْتَلَّ مَجْرَى الصَّحِيحِ .

ومثله :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَأَقَتْ لَبُونُ بْنُ زِيَادٍ^(٢)

وهذا الكلام تهكمٌ وسخرية . وإنما يخاطب صاحبه له يبعثهما^(٣) على أن يبغوا بني صخرَةَ ويبعثاها وقت تهيجها بالهجاء وكون تصرُّفهم فيه جدًّا منهم وهما لم على أن يعطفوا عليهم ، ليُسَلِّمَ عليهم ابنُ عَنَابٍ ، يعني نفسه . وذكُرُ التحية هاهنا هُزْءٌ منه . وهذا كما قال الآخر^(٤) :

* تَحِيَّةٌ بَيْنَهُمْ ضَرْبٌ وَجِيعٌ^(٥) *

إِلَّا أَنَّ هَذَا فِي الْأَفْعَالِ ، وَابْنُ عَنَابٍ جَعَلَهَا فِي الْأَفْوَالِ .

(١) سبقته ترجمته في الحماسة ٦٩ ص ٢٥٥ .

(٢) لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسي ، في الخزانة (٣ : ٥٣٦) وكتاب سيبويه

(١ : ١٥ - ٢ : ٥٩) .

(٣) ل : « فبعثهما » .

(٤) هو عمرو بن معديكرب . الخزانة (٤ : ٥٣) .

(٥) صدره : * وخيل قد دلفت لها بخيل *

وقوله « هَلَّا نَهَيْتُمْ » تقريعٌ ولومٌ وتذكيرٌ بسوء تآتئهم ، وقبوح فعلهم .
 فيقول : هَلَّا كَفَفْتُمْ عَنْ مَفَاحِشِي عَوَيْجًا - وهو رجل منهم - وجعله عبدًا
 الْمَقْدُّ ، أَيْ لَيْيَمًا وَدَعِيًّا فِيهِمْ غَيْرَ خَالِصِ النَّسَبِ . الْمَقَادِعةُ : الْمَفَاحِشَةُ . وَيُقَالُ :
 أَقْدَعَ الرَّجُلُ ، إِذَا أُنِيَ بِفُحْشٍ . وَانْتَصَابَ « عَبْدَ الْمَقْدِّ » بِحُجُوزِ أَنْ يَكُونَ عَلَى
 الْبَدَلِ ، وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الدَّمِ ، وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى الْحَالِ . وَالْمَقْدُّ ؛
 مَنبِتُ الشَّعْرِ مِنْ مَقْدَمِ الرَّأْسِ وَمُؤَخَّرِهِ . وَيُقَالُ : فَلَانُ عَبْدُ الْقَفَا ، وَعَبْدُ الْمَقْدِّ ،
 وَيُرَادُ بِالْمَقْدِّ الْقَفَا . وَهَذَا كَمَا يُقَالُ فِي ضِدِّهِ : هُوَ حَرُّ الْوَجْهِ ، وَكَرِيمُ الْمُحْيَا .
 وَالضُّيَّابُ : الْخَالِصُ ، كَأَنَّهُ يَهْجَنُهُ . وَقَالَ الْخَلِيلُ : الضُّيَّابُ وَالضُّيَّابَةُ : أَصْلُ
 كُلِّ قَوْمٍ . وَقَالَ أَيْضًا : الضُّيَّابُ : الْخِيَارُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ^(١) . وَأَنْشَدَ :

* يَحْتَلُّ مِنْ كِنْدَةَ فِي الضُّيَّابِ *

وقوله « مستحقين سليمي » ، أَفْحَشَ فِيهِ ؛ أَيْ جِئْتُمْ لِمَاجَاتِي وَقَدْ
 اسْتَحَقَبْتُمْ هَذِهِ الْمَرَأَةَ وَابْنَ الْمَكْفَفِ مَعَهَا رِدْقًا وَابْنَ خَبَّابٍ . كَأَنَّهُ بَرِي سُلَيْمِي
 بِهِمَا أَوْ يَعُدُّهُمْ جَمِيعًا مِنْ مَخَازِيهِ . فَهَذَا هُزْءٌ أَيْضًا . أَيْ جَازِ يَتَمُونِي بِنِ هُوَ
 شَيْنُكُمْ ، وَجَعَلْتُمْ عِيُونََكُمْ بِرَأْيِي وَمَسْمَعٌ إِذَا كَانَ غَيْرُكُمْ يُخْفِي أَمْرَهُ وَيَسْتُرُهُ .
 يَرِيدُ : اسْتَهْدَقْتُمْ لِي بِهِؤْلَاءِ . وَسُلَيْمِي كَانَتْ لَهَا قِصَّةٌ . وَالاسْتَحْقَابُ : شِدَّةُ الْحَقِيقَةِ
 مِنْ خَلْفٍ ، وَكَذَلِكَ الْاِحْتِقَابُ : وَكَتَبَنِي عَنْ الْعَجْزِ بِالْحَقِيقَةِ لِذَلِكَ .

٤ - يَا شَرُّ قَوْمِ بَنِي حِصْنِ مُهَاجِرَةٍ وَمَنْ تَعَرَّبَ مِنْهُمْ شَرُّ أَعْرَابِ
 ٥ - لَا يَرْتَجِي الْجَارُ خَيْرًا فِي بَيْوتِهِمْ وَلَا تَحَالَةَ مِنْ شَتْمِ وَأَقَابِ
 يَنْسُبُهُمْ إِلَى أَنَّهُمْ شَرُّ قَوْمٍ هَاجَرُوا إِلَى الْأَمْصَارِ أَوْ بَقُوا فِي الْبَدْوِ . وَ « بَنِي

(١) ابن جنى : « وذلك أنها فعال من صاب يصوب ، أى اطمأن واستقر . يقولون :
 فلان من صياحه قومه ، أى ثابت راسي التدم فيهم . وقياسه صوابه ، غير أنهم آثروا الياء
 استحساناً لا وجوباً » .

حصن « يجوز أن يكون انتصب على النداء ، كأنه قال : يا شر قوم يا بني
حصن . وانتصب « مهاجرة » على الحال ، ناداهم في هذه الحالة . أى أتم شر
قوم في مهاجرتكم . ومثله :

* يا بوس لاجهل ضراراً لأقوام^(١) *

ويؤنسُ بوقوع الحال بعد النداء قولهم : يا زيدُ دعاءً حقاً . فإذا ساغ أن
يقع المصدرُ بعده تأكيداً ، فكذلك الحال . قوله « ومن تعرب » فيه معنى
التكاف ، لأنَّ تفعلل يجرى لذلك كثيراً . وصرف الكلام عن السنن الأول
وجعله استئناف خبر . ويجوز أن يكون انتصب بنى حصن على الذم
والاختصاص .

وقوله « لا يرتجى الجار » يريد أن جارهم مبتذلٌ فيهم ، يأس من خيرهم
سأدام معهم ، وملئى من جهتهم بالاستخفاف والتقليب^(٢) ، والشتم القبيح .
وأجرى قوله « لا محالة » مجرى قولهم لا بُدَّ ، كأنه أراد : الجار لا يرجو خيراً
فيهم ، ولا بُدَّ له من شتمٍ يُقصدُ به ، وأقربُ يُعرفُ بذكره . وقال الخليل :
« يقولون في موضع لا بُدَّ : لا محالة » . ويقال : حال حولاً وحيلةً ، أى احتمال .

٦٢٧

وقال آخر :

١ - بني أسدٍ إلا تنحوا تطأكم مناسيمٌ حتى تحطموا وحوافرُ
٢ - وميماد قومٍ إن أرادوا لقاءنا ميماءٌ تحامتها تميمٌ وعامرُ

(١) للنايفة الذبياني في ديوانه ٧١ واللسان (خلا) والشعراء ٤٢ ، ١٢٥ والخزاعة
(١ : ٢٨٥) . صدره :

* قالت بنو عامر خالوا بنى أسد *

(٢) أى الرمي بالألقاب . وهذا ما فى ل . وفى الأصل : « والتقليب » ، تحريف .

٣ - وما نام مَيَّاحُ البِطَاحِ وَمَنْعِجٍ ولا الرِّسَّ إِلَّا وهو عَجَلَانُ سَاهِرٌ
يقول : يا بني أَسَدٍ ، خَلُّوا الطَّرِيقَ وتباعدوا عنها ، فإنَّكم إن لم تفعلوا
ذلك وطئتمكم الإبلُ والخيلُ فخطمتكم . ينسبهم إلى القِلَّةِ والضعف ، وبتهمكم
مع ذلك ٣٣ .

وقوله : « وميعاد قومٍ » بمعنى بني أسدٍ وأنصارهم ، والميعاد والوعد
واحد ، وإذا كان كذلك كان المعنى : وموضعُ الوعدِ لمن أراد الالتقاء معناه
مياهٌ تتحاماها بنو تميم وبنو عامرٍ - بمعنى أحبيتهم - فلا تجسرُ على ورودها
وإن كثروا . فحذف المضاف ، وهو الموضع .

وقوله « وما نام مَيَّاحُ البِطَاحِ وَمَنْعِجٍ » ، فالمَيَّاحُ : الذي يَمِيعُ ماءً
الركيَّة . وأراد بالبِطَاحِ وَمَنْعِجٍ والرِّسَّ مواردَ الماء . والرِّسَّ : البئرُ القديمة .
جعلَ المستقي من هذه الآبارِ يَمِيعُ . وأراد بمَيَّاحِ الكثرة ؛ لأنَّ لكلِّ موضعٍ
من المواضع المذكورة ماحةً . والمَيَّاحُ : الدُّخُولُ إلى أسفلِ البئرِ ليغرفَ الماءَ
في الدلاءِ ، إذا قَلَّ الماءُ . والمَيَّاحُ : الاستيقاء ، يريد : متَّجِّوا أولاً ثمَّ ماحوا ،
لكثرة الوارِدَةِ . وإنما وصَّفَ سُكَّانَ هذه المواضع - وهم جيشهم - بوفورِ
العدد ، وأنَّ سقَّاتهم بهذه الصِّفة من العَجَلَةِ والسَّهَرِ . وقوله : وما نام إِلَّا وهو
عجلان ساهر ، يريدُ : نومهم تركُ النَّومِ ، والاستعجالُ في السَّقْيِ . وهذا كما
قال الآخر^(١) :

* فَإِنَّ المُنْدَى رِحْلَةٌ فَرُّ كُوبٍ^(٢) *

وكقول أبي تمام :

* تعليقها الإسراجُ والإجامُ^(٣) *

(١) لعلامة الفحل في المفضلية ١١٩ واللسان (ندى) .

(٢) صدره : * ترادى على دمن الحياض فإن تعف *

(٣) صدره في ديوانه ٢٨١ :

* بسواهم لحق الأياطل شزب *

٤- تضاءلتم منا كما ضم شخصه أمام البيوت الخارئة المتقاصر

٥- ترى الجون ذالشمراخ والورد يبتغى ليالي عشرًا وسطنا وهو عائر^(١)

قوله « تضاءلتم » أن تصاغرتم منا وانزويتم ، لفشلكم وذهاب منتكم ، كما يفعله المتغوط أمام البيوت إذا استولى عليه الخجل لما يريده من قضاء الحاجة ، فهو يتقاصر ويخفي شخصه لئلا يرى . وهذا التشبيه في المنخزل وقد مسه الحياه والخجل غاية .

وقوله « ترى الجون ذالشمراخ » يريد به ذا العرة السائلة على الأنف .

والشمراخ من الجبل : المستدق الطويل ، على التشبيه . والعائر : الختاف ،

والسهم العائر من هذا . يقول : إننا لكثرتنا واتساع منادحنا وأفطارنا ،

لو أفلتت فينا فرس أدهم ذو غرة سائلة - وجعله كذلك ليكون أشهر أمرًا

وأقل خفاء - وفرس ورد أغر أيضًا ، ثم طلب عشر ليال فيما بيننا لما ظفر به .

٦ - ولما رأيناكم لثامًا أدقة وليس لكم مولى من الناس ناصر

٧ - ضمناكم من غير فقر إليكم كما ضمت الساق الكسير الجبار

وصف حالهم القديمة معهم ، وكيفية اتصالهم بهم وانعطافهم عليهم حتى

أبطرهم ذلك ، فاستغصوا عليهم ، ووسوست نفوسهم إليهم بالاستغناء عنهم ،

والاكتفاء من دونهم . فيقول : لما رأيناكم أدنياً في أنفسكم ، أدقاء في أحوالكم

لا ناصر لكم ، ولا مدافع دونكم ، تعطفنا عليكم انرفع خسيستكم ، رحمة لكم ،

وضمناكم إلى أنفسنا من غير حاجة إليكم ولا تكثير بكم ، لنجبر كسركم ، ونوفر

نقصكم كما تضم العصاب التي يعصب بها الكسر ، والجبار التي يسوى بها

العظم الكسير الجبور . وهذا من التشبيه الصائب ، والكلام المتخير . والأدقة :

جمع الدقيق ، وهو الرجل القليل الخير . والفعل دق دقة . وقال : الكسير ،

(١) التبريزي : « عشرًا بينا » .

والساق مؤنثة لأنه فَعِيلٌ في معنى مفعولة . وعند أصحابنا البصريين هذا لا ينفاس ، بل يُدْتَمِعُ فيه المحكى عنهم .

٦٢٨

وقال أبو صعتره^(١) :

١ - أَتَهَجُونَا وَكُنَّا أَهْلَ صِدْقٍ وَتَنَسَى مَا حَبَّأكَ بَنُو بَرَاءِ
 ٢ - هُمْ نَتَجُوكَ تَحْتَ اللَّيْلِ سَقْبًا خَبِيثَ الرِّيحِ مِنْ خَمْرِ وَمَاءِ
 ٣ - وَهُمْ جَهَلُوا عَلَيْكَ بِغَيْرِ جُرْمٍ وَبَلَّوْا مِنْكَ كَبَيْتِكَ مِنَ الدِّمَاءِ
 يخاطب رجلاً من عشيرته ، ويقرّعه على ما كان منه من ثلبيه وهجوه ،
 فيقول : أتدثنا مع إحساننا إليك ، وكوننا أهل صدق لك ، ورهط صفاء
 ووداد معك ، وتنسى ما كان منك حتى تعرضت لبني براء بمثل تعرضك
 لنا ، وما قابلك به من عطية وحباء ، وحسن مكافأة وجزاء على فعلك ، وقد
 كان في الحكم أن يؤدّبك ذلك ويردعك ، وينبّهك على رشادك وصلاحك ،
 ويمنعك من معاودة شبهه ويقمعك . ثم أخذ يصف الحباء الواصل إليه من
 جهتهم ، والجزاء المعدّ له ، فقال : هم نتجوك تحت الليل سقبا ، أى ولدوك ليلاً
 سقبا خبيثا . وهو في الأصل المذكّر من أولاد الإبل . ويقال : استقبت الناقة
 وهى مسقاب . والمعنى : ضربوك حتى سلخت شيئا منكرا . والذّكر أرذل
 النتاجين ، فلذلك خصّه . وقال « تحت الليل » لأنّ الليل أخفى للوبل .

وقوله « وهم جهلوا عليك [بغير جرم^(٢)] » ، يعنى أنهم فعلوا ذلك بك ،
 ومن قبل ذلك كانوا أسلفوك ، بلا جنابة كانت منك عندهم ، ولا جريرة سبقت
 عنك إليهم ، أن جرّحوك حتى بلّوا منك كبيتك من الدماء السائلة عليك .

(١) سبقت ترجمته في الحماسية ٣٥٩ ص ١٠٣٣ .

(٢) التكملة من ل .

٦٢٩

وقال الطرمّاح^(١) :١ - إِنَّ بَمَعْنٍ إِنْ فَخَرْتَ لَمَفْخَرًا وفي غيرها تُبْنَى بُيُوتُ الْمَكَارِمِ^(٢)٢ - مَتَى قُدَّتْ يَا بْنَ الْحُنْظَلِيَّةِ عُصْبَةً مِنْ الدَّاسِ تَهْدِيهَا فِجَاجِ الْمَخَارِمِ^(٣)

هذا الكلام هزئ وسخرية ، يقول : لك أن تفتخرَ ببني مَعْنٍ ، فإنهم في موضع ذاك ، لكونهم يجمع الفضائل ، لكن مباني الكرم تؤسس في غيرهم . ثم أقبلَ عليه فقال : أخبرني متى حدثتَ نفسك بأن تكون قائدَ طائفةٍ من الناس فتقدمهم^(٤) وتهديهم الطُّرُقَ ، وهم يطؤون عقبك ، ويدورون على مُرادك ؛ لقد رأيتَ ما لم تؤمِّله ، ونلتَ ما لم تره ترقِ إليه همَّتكَ .

والفِجَاجُ : الطُّرُقُ . والمخارِمُ : جمع نَحْرِمٍ ، وهو مُنْقَطَعُ أَنْفِ الْجَبَلِ . وهذا مثلٌ ، أى تُصِرُّفَهُمْ حَيْثُ أَرَدْتَ ، وَنَوَجَّهُهُمْ كَيْفَ شِئْتَ .

٣ - إِذَا مَا ابْنُ جَدِّكَ كَانَ نَاهِزَ طَيِّبٍ فَإِنَّ الذَّرَى قَدْ صِرْنَ تَحْتَ الْمَنَائِمِ-

٤ - فَقَدْ بَزِمَامٍ بَظَرَ أَمِّكَ وَأَحْتَفِرَ بِأَيْرِ أَبِيكَ الْفَسَلِ كُرَاثَ عَاسِمِ^(٥)

« ابن جدِّ » يريدُ به صاحبَ جدِّ وحظِّ في الدنيا . فيقول : إذا اتَّفَقَ

(١) التبريزى : « وقال الطرمّاح بن جهم السبى ، لنافذ بن سعد المعنى » . وهو أحد بنى سبى بن معاوية بن جرول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيبى ، كما فى المؤلف ١٤٨ . وهو غير الطرمّاح الشاعر المشهور ، فذاك الطرمّاح بن حكيم بن نضر ، الذى سبقت ترجمته فى الخامسة ٥٦ ص ٢٢٧ .

(٢) أنشد ياقوت هذه الأبيات فى معجمه فى رسم (عاسم) ، وهو رمل لبني سعد .

(٣) ياقوت : « يا ابن العنبرية » .

(٤) ل : « تتقدمهم » .

(٥) قال ياقوت : « قيل : كان أحد جديهِ بما لا والآخر حراثا ، فلذلك قال : فقد بزمام

بظُر أمك واحتقر الكراث » .

لمتقدّم بنفسه محدود، لا أوليّة له، خارجي، أن يكون ناهز طيّ، أي مدرّهم وكبيرهم والذي ينهز الدّون البئر، أي بنزاعها، كأنه أراد: الذي يقوم بأمرهم عند السلطان، ويتنجزّ عليه حاجاتهم ومهمّاتهم، فقد انقلب الدهر، وانحطّ الأعلى، وصارت الأشراف أدلاء، لأنه لا يتقدّم الوضيع إلا بتأخر الرّفع. وحكى غير واحد من أهل اللغة أنه يقال: هو ناهز القوم، أي كاسبهم والساعي لهم.

وقوله « فقد بزمام » استهزاء وإذراء بهم، وقلة احتفال، بتناول القبيح من ذكرهم. لذلك سمى السوءة من طرفيه^(١). والفشل: الرذل. والفشل: الضعيف، وهما روايتان. وعاسم: موضع.

٦٣٠

وقال الكروّس بن زيد^(٢):

- ١ - أَلَا لَيْتَ حَظِّي مِنْ عَطَائِكَ أَنِّي عَلِمْتُ وَرَاءَ الرَّمْلِ مَا أَنْتَ صَانِعُ
- ٢ - فَقَدْ كَانَ لِي عَمَّا أَرَى مُتَزَحِّحٌ وَمُتَسَّعٌ مِنْ جَانِبِ الْأَرْضِ وَاسِعٌ
- ٣ - وَهَمٌّ إِذَا مَا الْجَبَسُ قَصَرَ هَمَّهُ طُلُوعٌ إِذَا أَعْيَا الرَّجَالُ الْمَطَالِيعُ^(٣)

يقول: تمنيت أن يكون الذي حظيت به من عطائك لي أني علمت وأنا وراء الرّمل ما أنت صانعُه وقد قدّمت عليك. فقوله « وراء الرّمل » ظرف لعلمت، وأنّي علمت خبر ليت، كأنه ودّ أن يكون بدلَ حظّه من العطاء علمه بما يفعله، فكان اختياره بحسبه. ولا يجوز أن يكون وراء الرّمل يتعلّق بصانع،

(١) أي صرح بذكر سوءة طرفيه: أبيه وأمه.

(٢) التبريزي: « وقال الكروس بن زيد بن حصن بن مصاد بن مالك بن معقل

ابن مالك ». وقد سبقت ترجمته في الحماسية ٢١٠ ص ٦٣٩.

(٣) التبريزي: « قصر نفسه ».

لأنك إن جعلت ما موصولا فالصلة لا تتقدم هي على الموصول ، ولا شيء مما يتعلق بها^(١) . وإن جعلت ما موصوفا فالصفة لا تتقدم على الموصوف ولا ما يتعلق بها ، وإن جعلت ما استفهاما فما بعد الاستفهام لا يعمل فيما قبله . وإذا كان كذلك ظهر فساد تعلته به على الوجوه كلها ، من طريق الإعراب ومن طريق المعنى^(٢) ، فالصحيح ما قدمته . ألا ترى أنه قال : فقد كان لي عمّا أرى متزحزح ومتسع . والمتزحزح : المبتعد . أى كان لي جانب من الأرض واسع أتزحزح فيه عمّا أراه وأرد عليه ، وكان لي همّ طويل ممتد الشاؤ يذهب صعداً ، إذا كان همّ الجبس قصيراً . طلوع إلى أعلى العزّ وذراءه إذا أعجز الرجّال مطالع العزّ . والجبس هو الثقيل الجاني . أى يقصر همّ نفسه فيرضى بالخاصل له . وقوله « إذا ما الجبس » ظرف لما دلّ عليه همّ ، و « إذا أعيا » ظرف لطلوع . ولا يمتنع أن يكون إذا ما الجبس ظرفاً لطلوع ، ويجعل إذا أعيا بدلاً منه ؛ لأنّ المعنيين يتقاربان . والأوّل أقرب وأجود .

(١) أى ولا شيء مما يتعلق بالصلة يتقدم على الموصول . وفي النسختين : « ولا على شيء مما يتعلق بها » وليس بصواب . وعبارة ابن جني في التنبيه : « لاستحالة جواز تقديم الصلة أو شيء منها على الموصول » .

(٢) أما ابن جني فيرى أن التعليق صحيح من جهة المعنى ويقول : التقدير ما أنت صانع وراء الرمل . وأما التعلق من جهة الإعراب فيراه غير جائز في الأوجه الثلاثة المتقدمة . ثم يقول : « فإذا كان المعنى عليه - أى على التعليق - وسبيل الإعراب ضيقه عنه - أى لا تحتمله في الصناعة - أضمر له ما يتناوله ما يدل الظاهر عليه » ، فيرى أن الظاهر تفسير لعامل مقدر يشبهه . ثم قال بعد أن ذكر هذا الوجه : « ويجوز أن يكون وراء الرمل متعلقاً بنفس ، أى علمت علمت في هذا الموضع كذا وكذا ، على صغر معناه ويجوز وجه ثالث غير هذين ، وهو أن ينصب وراء نصب المفعول به بعلمت ، أى لتبنى عرفت هذا الموضع ، وتبدل منه ما أنت صانع ، أى الذى أنت صانع فيه ، كقولك : عرفت هذا الذى تجدد من أمرها . ويجوز إذا أبدلت ما أنت صانع أن تجمل ما استفهما ، كقولك : قد عرفت زيدا أبو من دو ، فبدل أبو من هو ، من زيد ، فتصير إلى أنك كأنك قلت ، قد عرفت أدو من زيد . ويجوز أيضاً إذا جعلت وراء ممنوعاً به أن تجمل علمت المتعدية إلى مفعولين وتجعل ما بعدها من الاستفهام في موضع المفعول الثاني ، كقولك علمت زيدا كم ما له » .

٦٣١

وقال وضاح بن إسماعيل^(١) :

- ١- مَنْ مُبْلِغُ الْحِجَّاجِ عَنِّي رِسَالَةً فَإِنْ شِئْتَ فَاقْطَعْنِي كَمَا قُطِعَ السَّلَا^(٢)
- ٢- وَإِنْ شِئْتَ أَقْبِلْنَا بِمُوسَى رَمِيضَةً جَمِيعًا فَقَطِّعْنَا بِهَا عَقْدَ الْعَرَى^(٣)
- ٣- وَإِنْ قُلْتَ لَا إِلَّا التَّفْرِقَ وَالنَّوَى فَبُعْدًا أَدَامَ اللَّهُ تَفْرِقَةَ النَّوَى^(٤)
- ٤- فَإِنِّي أَرَى فِي عَيْنِكَ الْجَذَعُ مَعْرِضًا وَتَعْجَبُ أَنْ أَبْصُرْتَ فِي عَيْنِي الْقَدَى^(٥)

هذه أبياتٌ ذهبَ النَّاسُ مِنْ طَرِيقِ الرَّوَايَةِ وَالْمَعْنَى فِيهَا مَذَاهِبَ طَرِيفَةٍ ،
وَالصَّحِيحُ مَا أوردُهُ . وَذَلِكَ أَنَّهُ رَتَّبَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحِجَّاجِ مَرَاتِبَ ثَلَاثًا ،
خَبَّرَهُ فِيهَا بِالشُّرُوطِ الْمُبَيَّنَةِ :

(١) التبريزي : « وضاح بن إسماعيل بن عبد كلال بن داود بن أبي أحمد » . والصواب :
« بن داود بن أبي جمد » . كما أسلفنا في ترجمته في الحماوية ٢١٢ ص ٦٤٣ . يؤيد ذلك ما رواه
أبو النرج في الأغاني (٦ : ٣١) من قوله في بنات عمه :
من بنات السكريم داود وفي كذا دة ينسبن من أباة اللعن
وقوله يفتخر بجمه أبي جمد :

بني لي إسماعيل مجدا مؤثلا وعبد كلال بعده وأبو جمد
(٢) في الأغاني (٦ : ٤٢) أن هذه الأبيات يقولها وضاح في أخيه « سماعة » وقد
عتب عليه في بعض الأور . وقد روى البيت الأول هكذا :

فن مبالغ عنى سماعة ناهيا فَإِنْ شِئْتَ فَاقْطَعْنَا كَمَا يَتَّطَعُ السَّلَى
(٣) التبريزي وابن جني : « فاقتلنا بموسى » و « فقطعنا » بصيغة الأمر . وقال التبريزي
في تفسيره : « ونصب عقد العرى على المصدر ، أي فقطعنا تقطع عقد العرى ، ثم حذف
المضاف وأقام المضاف إليه مقامه » . نحو هذا الكلام لابن جني .
(٤) الأغاني :

وإن شئت صرما للتفرق والنوى فبعدا أدام الله تفرقة النوى
(٥) مقتبس من قول عيسى عليه السلام : « لماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك »
وأما الخشبة التي في عينك فلا تفتن لها » . إنجيل متى ٧ : ٣ ولو ٦ : ٤١ . وفي عيون الأخيار
(٢ : ٢٧١) : « كيف تبصر القذاة في عين أخيك ولا تبصر السارية في عينك » .

فالشَّرْطُ الأولُ قوله « إن شئت فاقطعني كما قُطِعَ السَّلا » وهذا يحتمل
 معنيين : أحدهما أن يريد إن شئت خُصِّني بقطيعة لا وصالَ بتمعُّبها ، كما أن
 السَّلا ، وهو الجِلْدَةُ التي يلتفُّ فيها الولد عندَ خروجه من بطنِ أمه ، إذا
 قُطِعَ عنه لم يَعمُدْ إليه . ويجوز أن يكون المعنى : اقطعني قطيعةً لا يُرجى معها
 وَصْلٌ ؛ لأن السَّلا إذا انقطعَ في بطنِ الحامل لم يمكن استخراجُه ، ولا يُرجى
 الخِلاصُ معه . ولهذا ضُربَ المثلُ به في الشَّدائدِ فقيل : « انقطع السَّلا في
 البطن » . والمراد في هذه القطيعة المذكورة أن تبقى العلائق التي بينهما على
 ما حصلتْ وثبتت لا يُغيَّرَ منها شيء .

والشَّرْطُ الثاني : « وإن شئت أقبلنا بموسى رميضة » ، يقول : وإن
 شئت أخذ كلُّ منَّا موسى محدَّدة ، فقطَّعنا بها الأوصار التي بيننا . وهذا مثل ،
 والمعنى أن لنا الأسباب التي توأصلنا بها فصارت مثل الأنساب ، وحلَّنا عُقدَ
 العرى الوثيقة فيما توأشجنا فيه حتى نصير كالأجانب لا وصالَ تجمُّعنا ،
 ولا أواخىَّ تنظُّمنا ، إلا ما طوى البعادُ بيننا من قُرب الجوار والدار .

والشرط الثالث : وإن قلت لا إلا التفرُّق بالأبدان معها ، فيكون النَّوى
 مُبدَّدةً شملنا ، فلا نلتقي في شَعْبٍ ومَسَلَكٍ ، ولا نتحدَّى في منزلٍ وتجمُّعٍ ،
 ولا نتجاورُ في محلٍّ ومَقَرٍّ^(١) ، فإنَّا نَبْعُدُ بُعْدًا كما نختار ؛ وأدام اللهُ تفرقةَ
 النَّوى بيننا ولا جَمَعَ ما تشئت منها :

ويقال : سَكَّينُ رَمِيضٌ : حادٌّ . وكل حادٍ رَمِيضٌ ، ومنه ارتَمَضَ مِنْ
 كذا ، إذا اشتدَّ عليه وأغضبه :

وقوله « فإنِّي أرى في عينك الجِذع » ، يقول : إن العداوة بيننا رسختُ .

(١) هذا ما في ل . وفي الأصل : « وسفر » .

وثبتت واستحكمت من جهتك ، فلا استبقاء معك ، ولا صبر على أذى مفض منك ، حتى تعجب لأذى شيء يحول ، وتستعظم أصغر ما يحدث ويدور ، وأنا أرى الجذع يعترض في عينك فلا أنكر ، ولا أحاسب عليه ولا أضابق . وهذا كما يقال في المثل : « تبصر القذاة في عين أخيك ، وتدع الجذع المعترض في حلقك » (١) .

٦٣٢

وقال جواس الكلبي من بني عدي بن جناب (٢) :

١- ضرننا لكم عن منبر الملك أهله بجيرون إذ لا تستطيعون منبراً
٢- وأيام صدق كلها قد علمتم نصرنا ويوم المرج نصرًا مؤزرًا (٣)
٣- فلا تكفروا حسنى مضت من بلاننا ولا تمنحونا بعد لين تجبراً
يخاطب بهذا الشعر بني مروان ممتناً عليهم ، وذاك أن معاوية بن أبي سفيان لما هلك استعمل ابنه يزيد ، فتابعه الناس ما خلا بني قيس فإنهم قالوا : لا نبايع ابن الكلبي ، ف وقعت الحرب بين أمية وقيس . وجيرون : باب من أبواب دمشق ، وأولئك كان مستقرهم بالشام . ويعنى بقوله « أهله » بني هاشم ، وبالملك الخلافة .

وقوله « إذ لا تستطيعون منبراً » ، أي ارتقاء منبر وصعوده ، فحذف المضاف . والمراد : إننا نصرناكم في طلب أمر كان لغيركم لا لكم بجيرون ،

(١) أصله من كلام عيسى عليه السلام . إنجيل متى ٧ : ٣ - ٤ ولوقا ٦ : ٤١ ، ٤٢ . وانظر ١٤٩٠ .

(٢) التبريزي : « وقال عمرو بن مخلد الجمار الكلبي » . وقد سبقت ترجمة عمرو بن مخلد الجمار في الحاشية ٢١٤ ص ٦٤٧ . وأما جواس ، فهو جواس بن القمطل بن سويد بن الحارث بن حصن بن عدي بن جناب الكلبي . وهو شاعر إسلامي كان معاصراً لزر بن الحارث الكلبي . المؤلف ٧٤ .

(٣) التبريزي : « قد عرفتم » .

حين لا تقدرّون على صعود منبر ، ولا تستقيم لكم قفأة ملكٍ ونصرنا أيضاً^(١) يوم مزج راھطٍ ، وأياماً آخرَ قبله وبعده ، صادّقناكم فيها ونصرناكم نصراً قوياً ، فلا تجحدوا نعمنا فيها ، فكفران النعم ذميم ، ولا تتكبروا علينا بعد ملايبتكم لنا ، فإن التكبر منكم عظيم . وقوله « حُسْنِي مَضَتْ » مصدر في معنى الإحسان ، وليست بتأنيث الأحسن ، لأنّ تلك تلزمه الألف واللام .

- ٤- فكم من أميرٍ قبل مروان وأبنيه كشفنا غطاء النعم عنه فأبصرنا
٥- ومستسلمٍ نفسن عنه وقد بدت نواجذُه حتى أهلّ وكبراً
٦- إذا افتخر القيسيُّ فاذا كُرَّ بلاءُه بزراعة الضحّاكِ شرقيّ جوبراً
٧- فما كان في قيسٍ من ابنِ حفيظة يُعدُّ ولكن كلُّهم نهبُ أشقرا
- قوله « كم من أمير » أراد به معاوية وأشياعه . أى ذببنا دونه وأزلنا ما كان تراكم عليه من رواكد الظلم حتى أبصر رُشدَه ، وعادت إليه بصيرته ، بعد أن كان تحير في أمره ، والتبس عليه ما يتنقل فيه ، فلا يعرف ما عليه مما له .
- وقوله « ومستسلمٍ » عطفه على « من أميرٍ » ، والضمير في « نفسن » للخيل ولم يجز لها ذكركر ، ولكن عُرف منه المراد . يريد : وكم من مُنقادٍ لما دهمه ، مُستسلمٍ للشّرّ المفاجئ له والمحيط به ، نفست خيلنا عنه بعد أن يبتس ريقه ، وتقلّصت شفتاه فظهرت نواجذُه ، لما مُني به من شدّة البلاء ، وجهد البأساء ، حتى أهلّ ، أى رفع بالحمد لله صوته ، وأظهر شكره ، وعظّمه وكبره لما أعقب من الأمن عقيب الخوف ، والسلامة بعد الهلك . ويروى : « كشفنا غطاء الموت » . ويروى : « ومستلجمٍ نفستُ عنه وقد بدت مقاتله » والمعنى فيهما ظاهر .

(١) هذا ما في ل ، وهو الأوفق . وفي نسخة الأصل : « ونصرنا نصراً » .

وقوله « إذا افتخر القيسيُّ فاذكر بلاءه » ، يعيِّرهم ما كان منهم من
التقصير والتقصور في ذلك الموضع . وأخرج الكلامَ نَحْرَجَ الهُزْمَ ، لأنهم قَصَّروا
ولم يُبَلِّوا ؛ لذلك قال : اذْ كُرَّ بلاءه . والزَّرَّاعات : مواضع الزرع ، كالملاحات .
والزَّرْبَع : العَثْرِيُّ الذي يُسْقَى من السماء ، فكلُّ ناعمٍ زَرْبَعٌ تشبيهاً به .
وجَوْزَبُرُ : نهر . وانتَصَبَ « مشرقاً » على الظَّرفِ ، يعني ما ولىَّ المشرقَ منه .
والضَّحَّاكُ^(١) كان على شُرطة معاوية ، ثم صار مع ابن الزُّبير بعد موت يزيد^(٢) .
وفي جملة هذه الأبيات :

فلو كنتُ من قَيْسِ بنِ عَيْلانٍ لم أُجِدْ فخاراً ولم أَعْدِلْ بأن أتَقَصَّرَا
يَقْبَحُ صورتهُم كما ترى .

وقوله : « فما كان في قَيْسٍ من ابنِ كَرِيهةٍ يُعَدُّ » و يروى : « فما كان في
قيسِ بنِ عَيْلانٍ سَيِّدٌ يُعَدُّ » ، وَيَعْنِي بَنَهَبَ أَشْقَرَ فَرَسَ طَفِيلِ بنِ مالِكٍ ، وكان
فَرَّاراً^(٣) . يقول : كَأَنَّما انْتَهَبَهُمْ طَفِيلٌ في ذلك اليوم . وكان اسمُ فَرَسِ طَفِيلِ
قُرْزُلاً ، لذلك قال الآخر^(٤) يصف قوماً منهزمين :
يَعْدُو بِهِمْ قُرْزُلٌ وَيَسْتَمِعُ النَّاسُ إِلَيْهِمْ وَتَخْفِقُ اللَّعْمُ
جعل فرس كلِّ منهم كقُرْزُلٍ لما هربوا .

(١) هو الضحَّاكُ بن قيسِ الزهري ، ولد في زمان الرسول بعد الهجرة ، وولد معاوية
الكوفة ثم عزله ، ثم ولاء دمشق ، ولما مات معاوية بن يزيد بن معاوية دعا إلى نفسه فقاتله
مروان بن الحكم ، فقتل بمِرْجِ رَاهِطِ سنة ٦٤ . الإصابة ١٦٤ ؛ والطبري (٧ : ٣٧ - ٤١) .
(٢) الحق أنه كان يتظاهر بالدعوة لابن الزبير ، واستغل هذا في استعداد أنصار ابن الزبير
ليقوى بهم على محاربة مروان .

(٣) وقال ابن الكلبي : أشقر : رجل من كلاب ، أصاب صندوقاً في إغارة للكلاب على
إياد ، فظن أن فيه خيراً كبيراً ، فلذا فيه عظام ، فضربته العرب مثلاً لما لا خير فيه . وقيل :
إنه أراد بالأشقر العبد . والعرب تسمى العجم «الحمر» لأن الغالب على ألوان الفرس الصبية
وعلى هذا معناه : كلهم نهب من لا قدرة له ولا هيبة . عن شرح التبريزي .

(٤) هو الجميح الأسي . المفضليات ٤ ، الطبعة الثانية بالمعارف .

٦٣٣

وقال جواس الكلابي أيضا :

١- أَعْبَدَ الْمَلِيكَ مَا شَكَرْتَ بِلَاءَنَا فَكُلْ فِي رِخَاءِ الْأَمْنِ مَا أَنْتَ آكِلٌ
 ٢- بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ لَوْلَا ابْنُ بَحْدَلٍ هَلَكْتَ وَلَمْ يَنْطِقْ لِقَوْمِكَ قَائِلٌ
 يعاتبُ عبدَ الملكِ بنَ مروانَ ، وذلكَ أنه لما قُتِلَ ابنُ الزُّبَيْرِ وسكنتِ الحربُ
 وصفاله الأمرُ : أَقْبَلَ يَتَأَلَّفُ قَيْسًا وَهُمْ أَعْدَاؤُهُ ، وَيُوحِشُ بَنِي كَلْبٍ وَهُمْ أَنْصَارُهُ ،
 حتَّى انتهى الحالُ به إلى أن عزَلَ كثيراً ممَّن استعمله من كَلْبٍ على أعماله ،
 وجعل أبدأهم من قيس ، فقال جواسُ : يا عبدَ الملكَ ، ما حدثَ بلاءنا في
 نُصرتِكَ ، ولا قابلتَ انقطاعنا إليك وسعيننا لك ببعضِ ما وجب لنا عليك ،
 فكلُّ من دُنِيَاكَ في سَعَةِ الْأَمْنِ وَظِلِّ الْهُدُوِّ مَا أَنْتَ آكِلُهُ ، لا مُدَافِعَ لَكَ
 ولا معترضَ عليك ، فلولا ابنُ بَحْدَلٍ وقيامه بأمرِكَ بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ لَهَلَكْتَ
 ولم يَنْطِقْ لِقَوْمِكَ قَائِلٌ ، أَى لم يكن فيهم خليفةٌ يَخْطُبُ على منبرٍ فيدعو ويدعى
 له . وتعلق قوله « بِجَابِيَةِ الْجَوْلَانِ » بقوله ما شَكَرْتَ بِلَاءَنَا . وهلكَتْ
 جواب لولا ، وخبر المبتدأ محذوف ، وقد مرَّ أمثاله .

٣- فَمَا عَلَوْتَ الشَّامَ فِي رَأْسِ بَاذِيحٍ مِنَ الْعِزِّ لَا يَسْطِيعُهُ الْمُتَفَاوِلُ
 ٤- نَفَخْتَ لَنَا سَجَلَ الْعِدَاوَةِ مُعْرِضًا كَأَنَّكَ مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ جَاهِلُ
 يقول : فلما مَدَكَتَ المَطْلُوبَ وأدركتِ المأمولَ ، واستوبتَ على الشَّامِ في
 عزِّ بَاذِيحٍ وَجَدَّ صَاعِدٍ ، لا يَقْدِرُ على تَفَاوُلٍ مثله أحدٌ بِأَمَلٍ أو هَمَّةٍ ، اطرحتنَا
 وأعرضتَ عنَّا ، معطياً سَجَلَ الْعِدَاوَةِ لَنَا ، كأنك جاهلٌ بالدَّهْرِ وقَمَلَاتِهِ ،
 وحوادِئِهِ ومُملَّاتِهِ . ومن رَوَى : « كَأَنَّكَ مِمَّا يُحْدِثُ الدَّهْرُ » ، يريدُ كأنك مما
 أحدثهُ الدَّهْرُ لك من الرِّيَاسَةِ جاهلٌ . أَى اغتررتَ فكأنك استحدثتَ جهالةً .

ويُروى : « كَأَنَّكَ عَمَّا يُجَدِّثُ الدَّهْرَ [غافل^(١)] » فجاهلٌ يجرى مجرى غافلٍ .
وهذا يجرى مجرى الوعيد . أى لا تأمن غير الأيام ومعاردتك ما يختمُ عليك
بالفقر إلينا ثانياً .

وفي هذه الطريقة ما أنشدته لمحمد بن غالب :

فَتِي مِسْمَعٍ أَنْتَ مِنْ مِسْمَعٍ بِحَيْثُ السُّوَيْدَاءِ وَالنَّاطِرَانِ
مَلَكَتَ فَأَسْجِحِ وَزُغْ بِالزَّمَامِ وَخَفَ مَا يَدُورُ بِهِ الدَّائِرَانِ
٥- وَكُنْتَ إِذَا أَشْرَفْتَ فِي رَأْسِ رَامَةٍ تَضَاءَلْتَ إِنْ الْخَائِفَ الْمُتَضَائِلِ^(٢)
٦- فَلَوْ طَاوَعُونِي يَوْمَ بَطْنَانَ أُسَلِمْتَ لِقَيْسِ فُرُوجٍ مِنْكُمْ وَمَقَائِلِ^(٣)

راماة : هضبة . يذكره ضيق أقطار الأرض عليه ، فيقول : إنك حينئذ
متى أشرفت في رأس هذه الهضبة تخاشعت وتذلت ، لاستشعارك الخوف
الشديد ، واستظهارك بالانتماء من أعدائك البليغ . والخائف هذا دأبه وعادته .
على أنهم - بمعنى أصحابه - لو طاوَعُونِي في هذا اليوم وقبِلُوا نُصْحِي ، وعَمِلُوا
برأيي ، لأَسَلِمْتَ لِقَيْسِ فُرُوجِكُمْ ، وهي مواضع المخافة ، ومقاتلكم . والمعنى :
كُنَّا نَخْذُلُكُمْ وَنُسَلِّمُكُمْ حَتَّى يَتِمَّ الْقَتْلُ مِنْكُمْ ، وتعلو سمة الذل على أحوالكم .
وإنما قال هذا لأن القيسية كانت تدعو إلى ابن الزبير ، وكتب تدعو إلى
المروانية ، وكان الناس يومئذ إنما يُعرَفون بالبخدائية أصحاب مروان ،
والزبيرية ، وهم أنصار ابن الزبير . لذلك قال عبدالرحمن بن الحكم أخو مروان :
وما الناس إلا بجدلي على الهدى وإلا زُبَيْرِي عَصَى فَتَزَبَّرَا

(١) هذه الكلمة ساقطة من الأصل ، وبدلها في ل : « جاهل » ، والوجه ما أثبتنا ،
لما يتضميه سياق الكلام .

(٢) التبهريزي : « من وأس هضبة » .

(٣) التبهريزي : « ويروى : أسلمت فروج نساء منكم » .

(٤) سبق البيت محرفاً بدون نسبة في ص ٦٥٠ .

٦٣٤

وقال جَوَّاسٌ أيضاً :

١ - صَبَغَتْ أُمِّيَّةٌ بِالْدِّمَاءِ رِمَاحَنَا وَطَوَتْ أُمِّيَّةٌ دُونَنَا دُنْيَاهَا

٢ - أُمِّيُّ رُبٌّ كَتَيْبَةٌ بَجْهَوْلَةٍ صَيْدِ الْكُفَاةِ عَلَيْنَكُمُ دَعَاوَاهَا

٣ - كُنَّا وِلَاةَ طِعَانِيهَا وَضِرَابِيهَا حَتَّى تَجَلَّتْ عَنْكُمُ عُمَاهَا

يقول : استنصرنا أُمِّيَّةٌ ودافعَ الأعداءَ بنا ، وعرضنا للقتل والقتال ، والضرب والطعان ، حتى رويتَ قفائنا من دماء مجاذبيهم ، والمتكرِّهين لأيامهم ودولهم^(١) ، فلما وضعت الحرب أوزارها ، وارتفع الهَيْحُ والفِتْنُ من أنحاءها ومقاصدِها ، استبدُّوا بِطِيِّ الدنيا وزِيَّها^(٢) ، والفوز بها وبأعراضها من دوننا . ثم أخذ يخاطبها فقال : يا أُمِّيَّةُ^(٣) ، رُبٌّ كَتَيْبَةٌ بَجْهَوْلَةِ الشان ، لم ندرِ كيف يُدفع في وجهها . ولا من أين يُصرف شرُّها ، متكبري الأبطال ، بهم الشُّجْعان ، دعواها عليكم لا لكم ، ودفاعها فيكم لا عنكم ، تولينا مطاعمتها ومُكافحتها ، وافترضنا على أنفسنا دفعها . ويجوز أن يكون المراد بقوله « بجهولة » أننا لا نعرفُها ، ولا مُجاذبةً بيننا وبينهم ولا مُعاملةً ، فهي بجهولة لنا ، اتخذنا كالأعداء لنا في هواكم ونصرتكم .

فأما قوله « صَيْدِ الْكُفَاةِ » فإنما جمع فقال صَيْدًا ، تحملاً على معنى الكَتَيْبَةِ ، ولو تحمّل على اللفظ لقال : رُبٌّ كَتَيْبَةٌ صَيْدَاءِ الْكُفَاةِ .

والصَيْدُ يُسْتَعْمَلُ عَلَى وَجْهَيْنِ : يقال : مَلِكٌ أُصَيْدٌ ، أى متكبرٌ لا يلتفت

(١) كذا ضبطت في النسختين بكسر ففتح . ويقال أيضاً « دول » بضم ففتح ، كلاهما

جمع دولة

(٢) الطي ، بالكسر : واحد الأطواء ، وهى من الثوب والشحم طرائقه ومكاسر فيه .

(٣) ل : « أُمِّي » .

إلى الناس يمينا ولا شمالا. وحكى الخليل أن الصيّد ذُبابٌ يدخل في أذن البعير فيقلقُ له ، فيظلُّ رافعا رأسه . فشبهه الملائكُ ذو الزُّهُو به . فهذا وجهه . والوجه الآخر : أن يُرادَ بالأصيّدِ الذي لا يستطيع الالتفات من دأته .

وقوله : « حتى تجلّت عنكم غمّاهما » ، يقال : هم من أسرم في غمّاه ، أى في شدّةِ والتباسٍ شديدٍ عليهم . ومعنى حتى : إلى أن . والوُلاة : جمع الوالي ، وهو المتولّى للشيء والفاعل له . ولا يمتنع أن يريدَ به الملائكُ ، كأنهم ملكوا تدبيرَ الحى فصاروا كالوُلاة لها وفيها .

٤ - وأللهُ يَجْزِي لا أُمِيَّةُ سَعِينَا وَعُلَى شَدَدْنَا بِالرُّمَاحِ عُرَاهَا^(١)

٥ - جِئْتُمْ مِنَ الْحُجْرِ الْبَعِيدِ نِيَاطُهُ وَالشَّامُ تُنْكِرُ كَهَيْلِهَا وَفَتَاهَا

٦ - إِذْ أَقْبَلْتُ قَيْسٌ كَأَنَّ عِيُونَهَا حَدَقُ الْكِلَابِ وَأَظْهَرَتْ سِيَاهَا

يقول : الآنَ وقد جحدت أُمِيَّةُ نِعْمَتَنَا عِنْدَهَا ، وَبَعُدَتْ عَنِ الصُّلَاحِ بِكُفْرَانِهَا ، فَإِنَّ الْاعْتِمَادَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى جَدُّهُ فِي أَنْ يَتَوَلَّى جِزَاءَ سَعِينَا ، وَيَعْرِفَ لَنَا مَا أَنْكَرْتَهُ أُمِيَّةُ مِنْ بَلَانِنَا ، وَعُلَى مَعَالِ أَحْكَامِنَا وَثَائِقَهَا ، وَشَدَدْنَا عَقْدَهَا وَعَلَائِقَهَا ، فَتُوجِبَ لَنَا مِنْ إِثَابَةِ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا مَا يَكُونُ فِيهِ عِوَضٌ مِنْ كُلِّ فَاثَةٍ .

وقوله « جئتم من الحُجْرِ » أراد بالحُجْرِ الجنس . والمراد : جئتم من المكانِ الكثير الحُجْرَ ، ومن بلاد الحُجْرِ ، يعنى الحجاز . ومعنى « البعيدِ نياطه » البعيد مُعَلَّقُهُ . ويقال : نُطْتُ الشَّيْءَ أَنْوَطُهُ نِيَاطًا وَنَوَطًا ، إِذَا عَلَّقْتَهُ . وَرَوَى بَعْضُهُمْ :

(١) التبريزي : « فالله » .

« من الحَجَز » ، بالزاء ، وقال : يريد الحِجَاز . فهذا كما قيل في تهامة :
التَّهَم . قال :

* نظرتُ والعَيْنُ مُبِينَةُ التَّهَمِ (١) * .

والحاجز والحِجَاز والحَجَز ، واحد . قال : وسمى الحِجَاز حجازاً ، لأنه
يَفْصِلُ بين العُور والشام وبين البادية . وقوله « والشَّامُ تُنْكَرُ كَهَلْمَا وفتاها » ،
أى لم يكونوا من أهلها فاستغفرتهم . وهذا كما قال في المقطوعة الأولى (٢) :
« رَبُّ كَتِيبَةٍ مَجْهُولَةٍ » .

وقوله « إِذْ أَقْبَلْتُ قَيْسٌ » ، إِذْ ظَرْفٌ لقوله جئتم من الحِجَر ، أى جئتم
وقت إقبال قيس . ويجوز أن يكون ظرفاً لقوله « تُنْكَرُ كَهَلْمَا » أى تنكر في
ذلك الوقت . ويروى : « وَتَزَبَّرْتُ قَيْسٌ كَأَنَّ عْيُونَهَا » ، أى صار هواها زُبَيْرِيًّا .
وقوله « كَأَنَّ عْيُونَهَا حَدَقُ الْكِلَابِ وَأَظْهَرَتْ سِيَاهَا » قَصْدُهُ إِلَى الدَّمِّ
بِوَالِي أَنْ نَظَرَمُ نَظَرُ الْكِلَابِ ، لَكِنَّهُ جَرَّدَ التَّشْبِيهَ أَوَّلًا ، ثُمَّ قَالَ :
« وَأَظْهَرَتْ سِيَاهَا » أى أَظْهَرَتْ سِيَاهُ الْكِلَابِ فِي إِقْبَالِهَا ، فَتَرَكَ لَفْظَ التَّشْبِيهِ ،
وَصَارَ كَأَنَّهُ يُخْبِرُ عَنْ حَقِيقَةٍ .

٦٣٥

وقال عبد الرحمن بن الحكم (١) :

١ - لَحَا اللهُ قَيْسًا قَيْسَ عَيْلَانَ إِنَّهَا أَضَاعَتْ نُغُورَ الْمُسْلِمِينَ وَوَلَّتْ

(١) بعده في اللسان (تهم) :

إلى سنا ناز وقودها الرتم شبت بأعلى عاندين من إضم

(٢) كفا . وإنما يعنى ما ورد في البيت الثاني من نفس هذه المقطوعة .

(٣) هو عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، شاعر إسلامي ، وهو

القاتل لمعاوية حين استلحق زيادا :

أد أبلغ معاوية بن حرب مغنغلة من الرجل الهجان

أنغضب أن يقال أبوك عن وترضى أن يقال أبوك زان

٢- فَشَاوِلٌ بِقَيْسٍ فِي الرَّخَاءِ وَلَا تَكُنْ أَخَاهَا إِذَا مَا الْمَشْرِفِيَّةُ سَلَّتِ^(١)

قوله «لخا الله»، يجوز أن يكون بمعنى قشر الله، ويجوز أن يكون بمعنى سب الله. وقوله «إنها أضاعت ثُغورَ»، يروى بفتح الهمزة، والمعنى لأنها، ويروى بالكسر على الاستئناف. ومعنى وَلَّتْ انهزمت وأعرضت.

وقوله «فشاوِلٌ بَقَيْسٍ»، أي خاطِرٌ غيرك ورافِعهم بهم في الرخاء والسعة، والأمن والدعة، وإياك والاعتماد عليهم ومؤاخذتهم في الحرب وعند استلال الشيوف؛ فإنهم يُسَلِّمُونَكَ وينهزمون، ويخذُلُونَكَ ولا يَنْصُرُونَ. ويقال: شَاوِلَ الفحلَ وخاطَرَهُ، إذا هابَجَهُ.

٦٣٦

وقال أبو الأسد^(٢) في الحسن بن رجاء^(٣):

١- فَلَا تُنْظَرُنَّ إِلَى الْجِبَالِ وَأَهْلِهَا وَإِلَى مَنَابِرِهَا بِطَرْفِ أَخْزَرِ^(٤)
٢- مَا زِلْتَ تَرْكَبُ كُلَّ شَيْءٍ قَانِمٍ حَتَّى اجْتَرَأْتَ عَلَى رُكُوبِ الْمَنْبَرِ

= الأغاني (١٢ : ٦٩ ض ١٣/٧٣ : ١٤٤ - ١٤٨). وفي تاريخ الطبري (٧ : ٤٢) أن هذه الأبيات يجيب بها زفر بن الحارث في قوله :

أفي الله أما بجدل وابن بجدل فيحيا وأما ابن الزبير فيقتل
كذبتم وبيت الله لا تقتلونه ولما يكن يوم أغر محجل
وهي الحماسية ٢١٥. انظر ص ٦٤٩.

- (١) التبريزي : « بقیس فی الطمان ». الطبري : « فباه بقیس فی الرخاء » .
(٢) هو أبو الأسد نباتة بن عبد الله الحماني ، شاعر من شعراء الدولة العباسية من أهل الدينور ، وكان طيبا مليح النوادر مداحا خبيث الهجاء . الأغاني (١٢ : ١٦٧) .
(٣) التبريزي : « الحسن بن رجاء ابن أبي الضحاک » . وهو أحد ولاة الدولة العباسية كان واليا على الجبال ، وكان هذا علما لما بين أصحابان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والري وما بين ذلك . وهو ممن مدحهم أبو تمام ومحمد بن وهيب . الأغاني (١٧ : ١٤٢) .
(٤) الميثاق مع ثالث برواية أخرى في البيان (١ : ٢٩٦) بدون نسبة .

قوله « بطرفٍ أخزر » تعلق الباء منه بقوله فلا نظرن ، والمراد بنظرٍ يميلُ إلى ناحية ، أى نَظَرٍ بُغْضٍ وشنانٍ ، لكونه متوالياً لها والمعنى : هانت في عيني وصغر قدرها عندي ، فصرتُ أتكرهها ، وأبغضُ أهلها وكورها ، ومواقع الدعوة منها ، مذ صيرت أميرها ومدبرها .
وقوله « ما زلت تركب » معناه ظاهر .

٦٣٧

وقال آخر^(١) :

- ١- عَجِبْتُ مِنَ السَّارِينَ وَالرَّيْحِ قَرَّةً إِلَى ضَوْءِ نَارٍ بَيْنَ فَرْدَةٍ وَالرَّحَى^(٢)
 - ٢- إِلَى ضَوْءِ نَارٍ يَشْتَوِي الْقِدَّ أَهْلَهَا وَقَدْ يُكْرَمُ الْأَضْيَافُ وَالْقِدُّ يَشْتَوِي
 - ٣- فَلَمَّا أَتَوْنَا فَاشْتَكَيْتُمْ إِلَيْهِمْ بَكَّوْا وَكَلَّ الْحَيَّيْنِ مِمَّا بِهِ بَكِّي
 - ٤- بَكِّي مُعَوِزٌ مِنْ أَنْ يُبْلَامَ وَطَارِقٌ يَشُدُّ مِنَ الْجُوعِ الْإِزَارَ عَلَى الْحَشَا
- يقول : تعجبتُ من العُصبة التي سرت ليلاً إلى ضوءِ نارٍ أوقدت في مكان يتوسط فردة والرحى ؛ وهما موضعان . والرؤاية المستقيمة على كل وجه : « بين فردة فالرحى » وهذا هو ما كان الأصمعيُّ يُنكره في بيت امرئ القيس ، وهو
- * بسقط اللوى بين الدخول فحومل^(٣) *

وقد مرَّ القولُ فيه وفي أشباهه^(٤) ، وفي حكم بين ومقتضاه أن الاسم الذي

(١) هو الراعى ، كما ذكر التبريزي . وقد سبقترجمته في الحماسية ٨٠ ص ٢٧٥ . قال التبريزي : « ونزل بالراعى النميري رجل من بني كلاب في ركب معه ليلاً في سنة مجدية وقد عزبت عن الراعى إبله ، فنحرح لهم ناقة من رواحلهم ، وصبحت الراعى إبله فأعطى رب الناب ناباً مثلها وزادها ناقة ثنية ، فقال ... » .

(٢) التبريزي : « فالرحى » .

(٣) صدره مشهور ، حتى قيل : « أشهر من قنما نبتك » .

(٤) انظر ما سبق في ص ٧٩٨ ، ١٢٤١ .

يليه يجب أن يكون كاسم الجمع في تناوُلِه أ كَثَر من واحد، حتَّى يصحَّ ترتيبُ الفاء عليه في العطف .

وقوله «والريح قرّة» أى تهبُّ شمالاً ببردٍ شديد. والواو منه واو الحال .
وقوله «إلى ضوء نار يشتوى القِدَّ أهلها»، أ بَدَل إلى ضوء نارٍ كما فى البيت الأول بإعادة حرف الجرّ معه . ويعنى ناراً لقومٍ مضرورين مجهودين لا خيرَ عندهم، ولا طعامَ بفنائهم، مضطربين إلى شىءٍ القِدِّ، لأنهم أعوزهم ما هو خيرٌ منه .
فتمجَّب وقد استضافهم هؤلاء السَّارون ، ثمَّ قال : وقد يُكرَّم الأضيافُ مع مجاهدة الفقر ، ومزاولة الضَّرِّ ، إذا كان المضيفُ لطيفَ الحيلة ، رفيعَ الهمة .

ويقال : شويتُ اللحمَ واشتويتُه ، فانشوى هو . وحكى سيدهويه فى بناء المطاوعة اشتوى أيضاً . ومثله نظمتُ الشىء وانتظمتُه فانتظمتُ هو .

وقوله «فلما أتونا» يقول : فلما حصلوا عندنا تباثنا وتباكيها ، وكلُّ واحدٍ من الحيينِ شكاً إلى الآخرِ دهره وأنهى إليه فى إضاقتِه أمره .

وقوله «بكى معوزٌ» ، هذا بيانُ وجهِ العلةِ فى البكاء . يقول : بكى فقيرٌ بخفاةِ أن يُتهمَ ولا يُصدَّقَ ظاهرُ حالِه فيما ينطقُ به من ضرِّه ، وأن تلاحقَ به اللائمةُ إذا ذُكرَ واجباتُ ضيفِه ؛ والضيفُ الطارقُ بكى لما مسَّه من نائباتِ دهرِه ، وإما يظهر من مَسَّاسِ حاجته ، ويُقيم به العذرَ فى الماسه ، حتَّى شدَّ حشاهُ تخلاءِ جوفِه

- ٥- فَأَلْطَفْتُ عَيْنِي هَلْ أَرَى مِنْ سَمِينَةٍ
 - ٦- فَأَبْصَرْتُهَا كَوْمَاءَ ذَاتِ عَرِيكَةٍ
 - ٧- فَأَوْمَأَتْ إِيْمَاءَ خَفِيًّا لِحَبْتِ
 - ٨- وَقَلْتُ لَهُ أَلْصِقْ بَأَيْدِسِ سَاقِهَا
- ووطئتُ نَفْسِي لِلغَرَامَةِ وَالقِرَى
هَجَانًا مِنَ اللَّائِي تَمْتَعْنَ بِالصُّوَى
وَلِلَّهِ عَيْنًا حَسْبَتِ أَيْمًا فَتَى
فَإِنْ يُجَبِّرِ العُرْقُوبُ لَا يَرِقَا النَّسَا

قوله « أَلطَفْتُ عَيْنِي » أى نظرتُ بعيني نظراً لطيفاً ، هل أرى فى إبلى المُستَضْيِئِينَ ورواحِلِهِمْ نَاقَةً سَمِينَةً أَنحَرُهَا لَهُمْ ، وَإِذَا رُدَّتْ إِبِلِي إِلَى مَبَاءَتِهَا أَعْوَضُ صَاحِبَهَا خَيْرًا مِنْهَا ، وَأَغْرَمُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَهُ مَا أَرْضِيهِ بِهِ . ويقال : أَلطَفْتُ أَخِي بِكَذَا ، إِذَا أَتَحَفَّتَهُ بِمَا يُعْرِفُ بِهِ بَرِّكَ وَأَلطَفْتُ الأُمَّ بِالوَلَدِ ، وَأُمًَّ لَطِيفَةً ، أَى أكرمَتْهُ وَبَرَّتْهُ .

وقوله « أَبصَرْتُهَا كَوْماء » ، الكوماء ؛ الطويلة السنام الغايضة ، وقيل : الكوم : العِظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ : والعريكة : السنامُ إِذَا عرَكَ الحِمْلُ . وناقَةٌ عَرُوكٌ : لم يكن فى سنامها إِلاَّ اليَسِيرُ مِنَ الشَّحْمِ . والهجان : الكريمة . ويقال : نَاقَةٌ هِجَانٌ وَنُوقٌ هِجَانٌ . وقد مرَّ القولُ فى وقوعه للواحد والجمع على صُورَةٍ^(١) .
وقوله « تَمَتَّنَ بالصَّوَى » فالصَّوَى : الأعلام والحجارة . أى رعت الحزن والسَّهْلَ . ومعنى تَمَتَّنَ ، أى أَقْمَنَ بِهَا وَيَقِينُ حَتَّى اسْتَمْتَعَنَ . ويقال : مَتَّعَ المَاءُ الشَّجَرَةَ ، إِذَا أَنشَأَهَا . ونخلةٌ مَاتعةٌ ، أى طويِّلةٌ .

ويروى :

..... مِنْ سَمِينَةٍ تَدَارِكُ فِيهَا نَى عَامِنٍ وَالصَّرَى

والنَى^(٢) : الشَّحْمُ . وَالصَّرَى : حَبَسُ الإِبِلِ فى الرَّغَى^(٣) ، وَمِنْهُ سَمَى المَاءُ الَّذِى قَدِ طَالَ إِنْقَاعُهُ فى مَوْضِعٍ : الصَّرَى . وَيُرْوَى : « وَالصَّوَى » ، وَهُوَ الإِحْسَانُ إِلَيْهَا وَالإِبْقَاءُ عَلَيْهَا .

وقوله « فَأَوْمَاتُ إِيمَاءَ خَفِيًّا لِحَبْتِ » فحبتُ : اسم ابنه ، وَإِنَّمَا رَسَمَ لَهُ

(١) انظر ما سبق فى ص ٩٤ .

(٢) التى ، بفتح النون وكسرها ، وضبط فى الفسختين بالفتح ، وهما الغتان فيه .

(٣) الرعى ، بالكسر : الكلاء والمرعى . وفى ل : « المرعى » .

عَرَقْتَهَا فِي السَّرِّ بَعْدَ أَنْ اخْتَارَهَا مَخَافَةَ أَنْ يَمْتَنِعَ صَاحِبُهَا مِمَّا هُمْ بِهِ فِيهَا . وَقَوْلُهُ « عَيْنَا حَبْتَرٌ » اعْتِرَاضٌ . وَانْتَصَبَ « أَيَّمَا فَتَى » عَلَى الْحَالِ ، كَأَنَّهُ أَحَدَهُ حِينَ حَسُنَتْ فُطْنَتُهُ وَتَسَرَّعَ إِلَى مُرَادِهِ . وَيُقَالُ : مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أَيْ رَجُلٍ ، فَتَجَمَّلَهُ صِفَةً لِلتَّكْرَرِ ؛ وَبَزِيدٌ أَيْ رَجُلٌ ، فَيَصِيرُ حَالًا الْمَعْرِفَةِ . وَعَلَّقَ الْمَدْحَ بِعَيْنِيهِ ، لِأَنَّهُ بِهِمَا أُدْرِكَ إِيمَاءُهُ . وَإِذَا عَظَّمُوا الشَّيْءَ نَسَبُوا مِلْسَكَهُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ . وَقَوْلُهُ « أَلْصِقْ بِأَيْبَسِ سَاقِيهَا » الْأَيْبَسُ : مَا قَلَّ عَلَيْهِ اللَّحْمُ مِنَ السَّاقِ وَغَيْرِهَا . وَالسَّيْفُ أَعْمَلُ فِيهِ . وَقَوْلُهُ « فَإِنْ يُجَبَّرَ الْعُرْقُوبُ » الْعُرْقُوبُ : عَقَبٌ مُؤْتَرٌّ خَلْفَ الْكَعْبَيْنِ فُويقَ الْعَقَبِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، وَهُوَ مَوْصِلُ الْوُضَيْفِ وَالسَّاقِ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ . وَالْمَعْنَى : أَصِيبْ سَاقَهَا فَإِنَّ الْعُرْقُوبَ إِنْ أَمَكَّنَ التَّلَافِي مِنْهُ بِالْجُبْرِ وَالْعِلَاجِ وَالشَّدِّ ، فَإِنْ نَسَاهُ لَا يَنْقَطِعُ الدَّمُ مِنْهُ ، فَصَاحِبُهَا يَنْتَسِ مِنْهَا عِنْدَ ذَلِكَ . وَالْمَعْنَى : اضْرِبْهَا ضَرْبَةً لَيْسَ فِي الْبُرِّ مِنْهَا مَطْمَعٌ ، لِيَرْضَى صَاحِبُهَا بِالتَّعْوِيضِ مِنْهَا ، وَيَسْتَقِيمَ أَمْرُ الضَّيْفِ وَالضِّيَافَةِ ، وَإِنْ لِحَقْنَا غُرْمٌ فِيهَا .

٩ - فَأَعْجَبَنِي مِنْ حَبْتَرٍ إِنْ حَبْتَرًا مَضَى غَيْرَ مَنْكُوبٍ وَمُنْصَلَهُ انْتَضَى

١٠ - كَأَنِّي وَقَدْ أَشْبَعْتُهُمْ مِنْ سَنَايِهَا جَلَوْتُ غِطَاءً عَنْ فُؤَادِي فَاَنْجَلِي

١١ - فَبِتْنَا وَبَاتَتْ قِدْرُنَا ذَاتَ هِزَّةٍ لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَاءٌ وَمُضْطَلِّي

قَوْلُهُ « غَيْرَ مَنْكُوبٍ » أَيْ غَيْرَ مَدْفُوعٍ فِي صَدْرِهِ . وَيُقَالُ : حَافِرٌ مَنْكُوبٌ وَنَكِيبٌ ، إِذَا أَثَّرَ فِيهِ مَا يَطْوُهُ مِنْ حَصَى أَوْ حَجَرٍ . وَقَوْلُهُ « وَمُنْصَلَهُ انْتَضَى » أَيْ جَرَّدَ سَيْفَهُ . وَانْتَصَبَ مُنْصَلَهُ لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ مُقَدَّمٌ . وَقَوْلُهُ « جَلَوْتُ غِطَاءً » ، يَقُولُ : كَدِمْتُ مَهْتَمًّا قَلَقًا ، فَلَمَّا شَبِعُوا مِمَّا أُعِدَّتْ لَهُمْ وَتَحَلَّتْ مِنْ أَجْلِهَا سَكَنَتْ فَكَأَنَّهُ كَانَ عَلَى قَلْبِي غِطَاءٌ مِنَ الْغَمِّ رَانَ عَلَيْهِ ، فَانْجَلَى وَذَهَبَ .

وَقَوْلُهُ « فَبِتْنَا وَبَاتَتْ قِدْرُنَا » خَبَرَ بِنْتَنَا قَوْلَهُ « لَنَا قَبْلَ مَا فِيهَا شِوَاءٌ » ،

وشوَاء ارتفع بالابتداء . يريد : بئنا لنا قَبْلَ ما أُودِعَ القِدرَ شِوَاءَ واصطلاءً
بالتَّارِ ، كأنه طال عليهم انتظار القِدرِ ، فَعُمِدَ إلى أطايب الجَزورِ وشُوى .
وقوله « ذات هِزَّة » خبر بانة قدرنا ، أى لها هزيرٌ بالغَلِيانِ . ويجوز أن
يريد : لِقِدرِ اللَّحْمِ فيها اهتزازٌ واضطراب ، كما قال :

* قُرْشِيَّةٌ يَهْتَرُ موكبها *

وهذا الذى اقتصه من حاله وحالمه ، بيانُ اهتمامه بأمر الضيف وحسن
النَّائِي في تفقده .

١٢ - وَأَصْبَحَ رَاعِيْنَا بُرَيْمَةَ عِنْدَنَا بَسْتَيْنَ أَنْقَتَهَا الْأَخِلَّةُ وَالْخَلَا

١٣ - فَقُلْتُ لِرَبِّ النَّابِ خُذْهَا نَدِيَّةً وَنَابٌ عَلَيْنَا مِثْلُ نَابِكَ فِي الْحَيَا

يقول : أصبَحْنَا وراعينا بُرَيْمَةَ رَدًّا إِبْلانًا مِنْ مَرعاهَا ، وهى سَتُونٌ قَدْ أَنْقَتَهَا
— أى جعل لها نَقِيًّا — الْأَخِلَّةُ ، وهى جمع خِلال ، وهو ما اخْتَلَّ واجتَزَّ من
العُشْبِ وهو أخضر . وَالْخَلَا : الرُّطْبُ . وقال بعضُ أصحابِ المعاني : لا يقال
أَنْقَتِ النَّاقَةُ ، إِذِ سَمِنَتْ ؛ وَلَكِنْ لَمَّا سَمِنَ مِنَ الحَشِيشِ ، وكان الحَشِيشُ وَالْخَلَا
سَبَبَ سَمِنِهَا جَعَلَ الفِعْلَ لها على سعة الكلام ، والأصل أَنْقَتَ هى . قال :

لَا يَشْتَكِينُ الْمَاءُ ما أَنْقَيْنَ ما دام مُخٌّ في إِسْلامِي أو عَيْنٌ^(١)

وقال غيره : يجوز أن يكون أنقى ها هنا مُعَدِّي ، ويكون على غير
ما فسَّرتموه ، وهو أنه يقال : أنقيته فأنقى ، كما يقال : أمأيتُ الدَّراهمُ فأمأيتُ
هى^(٢) . والمعنى سَمِنْتُهُ وجعلتُ له نَقِيًّا فَسَمِنَ واحتمل .

قال البرقي : الرواية الصحيحة عندي : « أَبَقَّتْهَا الْأَخِلَّةُ » ، أى أَبَقَّتْهَا على
البرِّدِ والجَدْبِ ، لأنَّنا كُنْناها وخَلَيْناها . ورواه بعضهم : « الْأَجِلَّةُ » بالجيم .

(١) الرجز لأبي ميمون النضر بن سلمة ، كما في المسان (نقى) . وانظر متنايبس اللغة

(١ : ٢٠٦) .

(٢) أى صارت مائة .

قال : ويقال : جُلٌّ وجِلَالٌ وأَجِلَّةٌ ، أى لم نَدَعُها ولم نُهَمِّها ، بل أَلَبَسْنَاها وتَفَقَّدْنَاها .

وقوله « وقلتُ لربِّ النَّابِ خُذْها ثَنِيَّةً » ، أى حَكَمْتُ صاحبَ الذبِّ التى عَقَرْتُها فى أن يَخْتارَ من إبْلِ ثَنِيَّةٍ على ما يشتميه ، وتصطفيه عينه وتنتقيه ، وقلتُ مُضِيفاً إلى العَوْضِ الواجبِ له : لك علينا نَابٌ مثل نَابِكَ فى السَّمَنِ . والحيا من باب ما سُمِّيَ باسمِ غيره إذ كان منه بسبب . فالحيا : المطر ، لأنه يُحْيِي العبادَ والبِلادَ ، ثم يَسْمَى النَّبْتُ حَيًّا لأنه بالمطر يكون ، ويُسَمَّى الشَّحْمُ حَيًّا لأنه عن النَّبْتِ يكون . وهذا البابُ كثيرٌ واسعٌ (١) .

٦٣٨

فقال فى [ذلك (٢)] خنزر بن أقرم (٣) :

- ١ - بَنِي قَطَنِ ما بَالُ نَاقَةٍ ضَيْفِكُمْ نَعَشَوْنَ مِنْها وَهِيَ مُلَقَى قُتُودُها
 - ٢ - غَدَا ضَيْفِكُمْ يَمِشِي وَنَاقَةُ رَحْلِهِ عَلَى طُنْبِ الفَقَمَاءِ مُلَقَى قَدِيدُها
 - ٣ - وَبَاتِ الكِلَابِيُّ الَّذِي يَبْتَغِي القَرَى بَلِيَّةٍ نَحْسٍ غَابَ عَنْها سُمُودُها
- أخذ يُسألُهم عما غيَّرَهم به تهكمًا [وسُخرية (٤)] . ومعنى الكلام الإنكارُ . يقول : لِمَ تَعَشَوْنَ من نَاقَةٍ ضَيْفِكُمْ ؟ وكيف استَجَزتم ذلك حتى صارت قد

(١) التكملة من ل والتبريزن ، وهذا نص على علاقة هذه الأبيات بسابقتها .

(٢) قال التبريزى فى آخر شرحه لهذه القصيدة : « وليس هذا من الهجو فى شيء ، وإنما أورده أبو تمام لما يتبعه من قصيدة خنزر بن أقرم » .

(٣) كذا فى نسخة الأصل . وفى ل والتبريزى « أرقم » [وأشير فى ل إلى أنه فى نسخة « أقرم » . وخنزر ، قال التبريزى : « واسمه الخلال ، وهو أحد بنى بدر بن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن ندير . والراعى من بنى قطن بن ربيعة » ، فهما بنو عمومة . وقد سبقت ترجمة الراعى فى الحماسية ٨٠ ص ٢٧٥ .

(٤) التكملة من ل .

أَلْتَقَى قَتُودُهَا وَهِيَ مَطْبُوحَةٌ مَا كَوَلَةٌ ؟ وَالْقَتُودُ لَا وَاحِدَ لَهَا عِنْدَ أَصْحَابِنَا
الْبَصْرِيِّينَ . ثُمَّ قَالَ مَقْبَحًا الصَّوْرَةَ : ابْتَكَّرَ ضَيْفُكُمْ يَمْشِي وَرِاحَاتُهُ قَدْ نُجِرَتْ -
وَقَدِّدَتْ لِحُومِهَا ، وَشُدَّتْ عَلَى طُنْبِ الْفَقَاءِ . وَهَذَا تَفْظِيحٌ لِلشَّانِ . وَالطُّنْبُ :
حَبْلٌ مِنْ حَبَالِ الْخَيْمَةِ . وَالْفَقَاءُ يَعْنِي بِهَا امْرَأَةٌ الرَّاعِي ، لِقَبْلِهَا بِذَلِكَ .

وقوله « وَنَاقَةٌ رَحْلِهِ » ، رَوَاهَا الْمَفْضَلُ : « وَنَاقَةٌ رِجْلِهِ » كَأَنَّهُ لَمَّا قَالَ
غَدَا ضَيْفُكُمْ يَمْشِي ، قَالَ : وَنَاقَةٌ رِجْلِهِ ، يَرِيدُ النَّاقَةَ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُ رِجْلَهُ .
وَمَنْ رَوَى : « وَنَاقَةٌ رَحْلِهِ » لَهُ أَنْ يَقُولَ : كَمَا قَالَ (١) : وَهِيَ مُلْتَقَى قَتُودُهَا ، قَالَ :
وَنَاقَةٌ رَحْلِهِ ، أَيْ الرَّحْلُ الْمُلْتَقَى .

وقوله : « وَبَاتَ الْإِكْلَابِيُّ » يَعْنِي بِهِ بَاتَ الْمُسْتَضِيفُ الطَّالِبُ لِلْقِرَى عِنْدَكُمْ
بِأَيْلَةٍ شَوْمٍ قَدْ فَارَقَهَا الشُّعُودُ ، لِأَنَّكُمْ غَضِبْتُمْ نَاقَتَهُ ، وَلَمْ يَنْبَلِ الْقِرَى عِنْدَكُمْ .

٤- أَمَنْ يَنْقُصُ الْأَضْيَافَ أَكْرَمُ عَادَةً إِذَا نَزَلَ الْأَضْيَافُ أَمْ مَنْ يَزِيدُهَا

٥- كَأَنَّكُمْ إِذْ قُتِمْتُمْ تَنْجَرُونَهَا بَرَازِينَ مَشْدُودٌ عَلَيْهَا لُبُودُهَا

٦- فَمَا فَتَحَ الْأَقْوَامُ مِنْ بَابِ سَوْءَةٍ بَنِي قَطْنٍ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُهْرُودُهَا

يَقْرَرُ عَلَى تَقْبِيحِ مَا كَانَ مِنْهُمْ ، فَيَقُولُ : خَبَّرُونِي أَيُّ الْعَادَتَيْنِ أَقْرَبُ إِلَى
الْكَرَمِ ، وَأَحْرَى (٢) فِي وِفَاءِ الشِّيمِ : أَعَادَةٌ مَنْ يَسْتَنْزِلُ الْأَضْيَافَ عَنْ أَوْلَاهِمُ
وَيَنْقُصُ مَا تَوَفَّرَ لَهُمْ ، أَمْ عَادَةٌ مَنْ يَزِيدُهُمْ وَيُسَمِّرُ حَضُوظَهُمْ .

وقوله « عَادَةً » انْتَصَبَ عَلَى التَّمْيِيزِ . وَإِذَا نَزَلَ ظَرْفُ لِقَوْلِهِ « أَمَنْ يَنْقُصُ
الْأَضْيَافَ » . وَكَرَّرَ لَفْظَ الْأَضْيَافِ وَلَمْ يَأْتِ بِالضَّمِيرِ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي تَكَرُّرِ
الْأَعْلَامِ وَالْأَجْناسِ ، وَقَدْ مَضَى مِثْلُهُ .

وقوله « كَأَنَّكُمْ إِذْ قُتِمْتُمْ تَنْجَرُونَهَا بَرَازِينَ » شَبَّهَهُمْ فِي الْعَجْزِ وَالثَّقَلِ وَقِيَّةِ

(١) ل : « لَمَّا قَالَ » .

(٢) هَذَا مَا فِي ل . وَفِي الْأَصْلِ : « أَجْرَى » بِالْجِيمِ .

الغناء ، والتباطؤ والبلادة ، بالبراذين ، وهم يضربونها مثلاً للمذموم . وجعلها
شدت اللبؤد عليها تقييحاً لصورها .

وقوله : « فما فتح الأقوام من بابِ سوءة » ، يريد : لا يسبق طوائفُ
الناس وفرقتهم إلى خصلة مذمومة أو سوءة مشوهة منكرة إلا وبنوقطن
حضورها ؛ أى لا يمكن الإغراب فى المخازى عليهم ، لأنهم السابقون فى
البدار إلى كل عار ، والأولون عند الولوج فى كل باب ، والحاضرون لكل
نكر وعاب .

٦٣٩

فأجابه الراعى (١) :

- ١ - ماذا ذكرتم من قلوبٍ عقرتها بسيفي وضيغان الشتاء شهودها (٢)
- ٢ - فقد علموا أنى وفيت لربها فراح على عنسٍ بأخرى يقودها
- ٣ - قربت الكلابى الذى يبتغى القرى وأمك إذ تخذى إلينا قعودها (٣)

الرواية الجيدة : « ماذا نكرتم » . ويقال : نكرتُ الشيء وأنكرته
واستنكرته بمعنى . فأما « ذكرتم » فمراده ماذا عيرتم فذكرتم من ناقة
الغبرى عقرتها حين عزبت إبل لضيغان الشتاء بحضرتهم ، وبمراى منهم . وقد
جرى رسم الكرام بمثل ذلك إذا دعت الحال إليه ، موطنين أنفسهم للغرامة ،
ورد الاثنين بدل الواحد على الخصم فيه .

وقوله « فند علموا » يستشهد بالضيغان فيقول : حضروا وتيقنوا أنى وفيت

(١) سبقت ترجمته فى الحماسية ٨٠ ص ٢٧٥ .

(٢) التبريزى : « وىروى : من كزوم عقرتها » . والكزوم : الناقة المسنة التى
مشفرها الأعلى أطول من الأسفل .

(٣) التبريزى : « يحدى إلينا » .

لربها بمثلها وزدته أخرى ، فراح راكباً إحداها وقائداً الأخرى معها . ثم اقتصص ما دعاه إليه فقال : قَرَبْتُ السِّكِّابِيَّ الْمَبْتَغِيَّ لِلْقَرِيِّ وَقَرَبْتُ أُمَّكَ ، يعني أمَّ خَنْزَرِ بْنِ أْفَرَمٍ ^(١) لِلْمَعِيرِ الْمُنْكَرِ . وَالخَذِي : ضَرْبٌ مِنَ السَّيْرِ . وَالقَمُودُ : الْبَكْرُ إِذَا بَلَغَ الْإِنْتَاءَ ؛ وَالَّذِي يَقْتَعِدُهُ الرَّاعِي فَيُرْكَبُهُ وَيَحْمِلُ زَادَهُ عَلَيْهِ قَعُودٌ أَيْضاً . وَفِي ذِكْرِ الْأُمِّ وَأَنَّهُ أَضَافَهَا مَعَ السِّكِّابِيَّ بَعْضُ الْغَضِّ وَالإِبْهَامِ .

٤- رَفَعْنَا لَهَا نَارًا تَنْقَبُ لِلْقَرِيِّ وَلِقْحَةَ أَضْيَافٍ طَوِيلًا رُكُودَهَا

٥- إِذَا أُخْلِيَتْ عُودَ الْهَشِيمَةِ أَرْزَمَتْ جَوَانِبُهَا حَتَّى نَبَيْتَ نَدُودَهَا

٦- إِذَا نُصِبَتْ لِلطَّارِقِينَ حَسْبَتُهَا نِعَامَةٌ حِزْبَاءَ تَقَاصَرَ جِيْدُهَا

ويروى : «رفعنا لها مشبوبة يهتدى بها» . ومعنى «تنقب» تُذَكِّي وتضاء .

وقيل : السكوكب الثاقب والحسب الثاقب ، للضوء والتلاؤ . ومعنى «للقري»

الإقامة القرى ، و « اللقحة » يراد به القدر هاهنا ، وأصله في الناقة الخلوب .

وجعل ركودها طويلًا لثقلها وكبرها ، ولأنها لا تنزل ^(٢) إلا للغسل ثم تماد

والجفنة الر كود : الثقيلة الممتلئة .

وقوله «إذا أُخْلِيَتْ» أي جعل الخطب لها بمنزلة الولد ، فهو لها كالولد ،

وهي له كالناقة الخلية ^(٣) ، وهي التي تعطف على ولدها وترأفه . والهشيمة :

اليابس من الشجر وغيره . وأرزمت : صاحت بغليانها ، لكبرها ، حتى نبئت

فُسَكِّنَ منها . وإذا نُصِبَتْ على الأثافي لزوار الليل - يعني الأضياف -

حسبتُها لإشرافها نعاماً حِزْبَاءَ . والحِزْبَاءُ ^(٤) : الأرض الصُّلْبَةُ المرتفعة : شبهة القدر

(١) ل : « أرقم » ، وقد سبق التنبيه .

(٢) في الأصل : « تترك » ، صوابه في ل .

(٣) التبريزي : « إذا أُخْلِيَتْ ، أي جعل الخطب لها بمنزلة الخلا للناقة فأوقد تحتها .

ويروى : إذا خليت ، أي جعل الخطب لها بمنزلة الولد ، فهو لها كالولد وهي له كالناقة الخلية .

(٤) هي جمع حِزْبَاءِ .

بالنعامة ، لأنها تُكثِرُ رفعَ رأسِها ووضعَه ، لِحُبِّها ونُفُورِها ، فكذلك القدر ترفعُ المَحَالَّ وتخفضُها ، لشدَّةِ غليانِها . وقال « تقاصرَ جيدُها » ليتبينَ وجهُ التشبيهِ منه ويصحَّ . ومثله قولُ الآخر (١) :

* غُضُوبٌ كحيزومِ النِّعَامَةِ أُحْمِشَتْ (٢) *

٧ - تَبَيْتُ المَحَالَّ العُرْثِ فِي حَجَرَاتِهَا شَكَارَى مَرَاهَا مَاؤُهَا وَحَدِيدُهَا

٨ - بَعَثْنَا إِلَيْهَا المُنزِلَيْنِ فَحَاوَلَا لَكِي يُنزِلَاهَا وَهِيَ حَامٍ حَيُودُهَا

٩ - فَبَاتَتْ تَعُدُّ النُّجُومَ فِي مُسْتَحِيرَةٍ سَرِيعِ بَأْيِدِي الآكِلِينَ جُودُهَا (٣)

المَحَال : فِقْرُ الظَّهْرِ ، والواحدة مَحَالَّة . وجعلها غُرًّا لِسِمِّهَا . والحجرات : النواحي ، وجعلها شَكَارَى لامتلائها وَدَكَأ . ويقال : شاةٌ شَكِرَةٌ ، إذا كانت غزيرةَ اللحم ، وضرَّةٌ شَكْرَى ، أى ممتلئة . وشُكْرُ النِّعَمِ من ذلك ، لأنه به تُستدام وتُمتري الزيادة (٤) . ويُروى : « سَكَارَى » بالسِّينِ غيرِ معجمة ، والمراد مثلُ ذلك لأنَّ الشُّكْرَ من الامتلاء يكون . ومعنى مَرَاهَا استخرج دَسَمَهَا . مَاؤُهَا ، أى صرقتُها . وحديدُها أى مفرقتُها .

وقوله « بعثنا إليها المنزِلَيْنِ » إنما نَبَّيْ لِيُرَى أَنَّ الواحدَ لا يُطيقُها ولا يَنْهَضُ بتجريبِها لثقلِها . واللامُ من قوله « لَكِي يُنزِلَاهَا » يجوزُ أن يتعلَّقَ بقوله بَعَثْنَا ،

(١) هو الفرزدق ، كما في الحيوان (٤ : ٣٢٢) وما سياتي في الحماسية ٧٥٣ .

(٢) عجزه : • بأجذالِ خشبِ زال عنها هشيمها •

(٣) بعده عند التبريزي :

فَلَمَّا سَقَيْنَا العَكْسَ ثَلَاثَ مَذَاخِرُهَا وَارْفُضْ رَشْحًا وَرِيدُهَا

وَلَمَّا قَضَتْ مِنْ ذِي الإِنَاءِ لُبَانَةً أَرَادَتْ إِلَيْنَا حَاجَةً لَا نُرِيدُهَا

والبيت الأولُ منهما منسوبٌ في اللسان (عكس) إلى أبي منظور الأَسَدِيِّ . والعكسُ : الخائبُ تصبُّ عليه الإهالةُ والمرقُ ثم يشرب .

(٤) ابنُ جنِّي في التشبيه : « والشُّكْرُ موضعُ زيادةِ اللفظِ الإطنابِ في حسنِ القولِ ... »

ومنه الشُّكْبَرُ لصغارِ الورقِ والرَّيشِ ، وذلكُ لأنَّ زيادةَ على الجسمِ .

كَأَنَّهُ قَالَ : بَعَثْنَا الْمُنْزِلِينَ إِلَيْهَا لَسْكَى يُنْزِلُهَا فِخَاوَلَاهُ ، وَحَذَفَ مَفْعُولَ حَاوَلِ . وَكَتَبَتْ هَذِهِ هِيَ النَّاصِبَةُ لِلْفِعْلِ ، لِذَلِكَ دَخَلَهَا اللَّامُ الْجَارَةُ . وَالْحَاوَلَةُ : مَطَالِبَةُ الْأَمْرِ بِالْحَيْلِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَمَلَّقَ بِحَاوَلَا . وَالْحَيْوُدُ : الْجَوَانِبُ ، أَيْ إِذَا أَرَادَ أَنْزَالَهَا وَفِي جَوَانِبِهَا بَعْدُ حَيْمٌ ، اسْتَعْجَالًا .

وقوله : « فَبَاتَتْ تَعَدُّ النُّجُومَ » إخبار عن أم خنزر بن أفرم^(١) . والمستحيرة : المتحيرة لامتلائها . أَيْ فِي مَرَقَةٍ أَوْ قِدْرِ قَدْ تَحَيَّرَتْ ، فَهِيَ مِنْ صَفَائِهَا وَكَثْرَةِ دَسَمِهَا تَرَى فِيهَا نُجُومَ السَّمَاءِ . وَقِيلَ : شَبَّهَ الرَّاعِي النَّفَّاحَاتِ الَّتِي كَانَتْ عَلَى رَأْسِهَا مِنْ كَثْرَةِ الدَّسَمِ بِالنُّجُومِ ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ أَنَّ هَذِهِ الْقِدْرَ مَرْتَفَعَةٌ الشَّانُ ، عَالِيَةٌ الْأَمْرِ ، فَأَمَّهُ كَانَتْ تَعَدُّ النُّجُومَ فِيهَا لَمَّا أُطْعِمَتْ مِنْهَا كَأَنَّهَا بَلَفَتْ النُّجُومَ فِي عُلُوِّهَا ، لِأَنَّهَا لَمْ تَرَ مِثْلَهَا قَطُّ^(٢) . وَهَذَا هُوَ الْوَجْهُ عِنْدِي ، لَيْسَ كَوْنُ قَدِ غَضٍّ مِنْ أُمَّهُ جَزَاءً عَلَى مَا قَالَهُ وَأَنْكَرَهُ . وَقَوْلُهُ « حَيْوُدُهَا » ارْتَفَعَ بِحَاوَلٍ ، وَكَذَلِكَ « جُودُهَا » ارْتَفَعَ بِسَرِيحٍ . وَيَجُوزُ أَنْ يَرُودَ : « سَرِيحٌ » بِالرَّفْعِ عَلَى أَنْ يَكُونَ خَبْرًا لِلْمَبْتَدَأِ وَقَدْ قَدَّمَ عَلَيْهِ ، وَالْمَبْتَدَأُ جُودُهَا .

٦٤٠

وقال رجلٌ من بني أسد :

- ١ - دَبَبْتَ الْمَجْدِ وَالسَّاعُونَ قَدْ يَلْفُوا جَهْدَ النُّفُوسِ وَالْقَوَادُونَهُ الْأَزْرَا
٢ - فَكَابَرُوا الْمَجْدَ حَتَّى مَلَأَ كَثْرُهُمْ وَعَانَقَ الْمَجْدَ مَنْ أَوْفَى وَمَنْ صَابِرَا

(١) فِي هَذِهِ اتَّفَقَتِ الدَّسَخَتَانِ . وَانظُرِ الْحَاشِيَةَ الْأُولَى لِهَذِهِ الْحَمَاسِيَّةِ .
(٢) قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ الْأَعْرَابِيُّ : « لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ النُّجُومُ هُنَا إِلَّا الثَّرِيَا ، وَذَلِكَ أَنَّ فِي الْبَيْتِ خَبِيئَةً لَمْ يَخْرُجْهَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ - يَعْنِي النَّمْرِيَّ - وَذَلِكَ أَنَّ الثَّرِيَا لَا تَكَادُ تَرَى فِي قَمَرِ الْخَفْنَةِ . وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَوَانِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَمَرُ الرَّأْسِ ، وَلَا يَكُونُ قَمَرُ الرَّأْسِ إِلَّا فِي صَمِيمِ الشَّتَاءِ ، وَيُقَالُ حَيْنَئِذٍ : أَقْمَرَ النُّجُومَ ... وَقَوْلُهُ تَعَدُّ النُّجُومَ . أَيْ لِصَفَاءِ الْوَدَكِ فِي الْخَفْنَةِ تَعْرِفُ عَدَدَ الثَّرِيَا فِيهَا . وَهَذَا مَعْنَى مَلِيحٍ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ نَجُومَ الثَّرِيَا لَا تَكَادُ يَعْدهَا إِلَّا ذُو بَصَرٍ حَدِيدٍ ، وَلِذَلِكَ يَقُولُ النَّاقِلُ : إِذَا مَا الثَّرِيَا فِي السَّمَاءِ تَعَرَّضْتَ يَرَاهَا حَدِيدُ الْعَيْنِ سَبْعَةَ أَنْجُمٍ » .

٣ - لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ تَمْرًا أَنْتَ آكَلُهُ لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حَتَّى تَلْعَقَ الصَّبْرَ
 يقول: تباطأ سَعْيُكَ لِمَجْدٍ، ولما سمعتَ كان سَعْيُكَ دَيْبِيًا وَطُلَّابًا الْمَجْدَ
 قَدْ جَهَدُوا أَنْفُسَهُمْ، وَأَلْقُوا الْأُزْرَ دُونَهُ، تَخْفِيفًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، وَتَشْهِيرًا فِي طَلْبِهِمْ
 وَهَذَا مِثْلُ . وَالْمُرَادُ أَنْ مَا يَفْعَلُهُ السَّاعِي فِي سَعْيِهِ إِذَا طَلَبَ شَيْئًا مِنْ التَّجْرُدِ
 وَالتَّخَفُّفِ لِيُدْرِكَ مَطْلُوبَهُ [قَدْ فَعَلُوهُ ^(١)] . ثُمَّ أَخَذَ يَفْصِلُ مَجْهُودَهُمْ مِنْ بَعْدُ ،
 فَقَالَ : كَابَرُوا الْمَجْدَ ، أَي جَاهَدُوهُ لِيَبْلُغُوهُ قَسْرًا لَا خَيْلًا ، فَمَنْ صَبَرَ وَأَوْفَى نَالَهُ
 وَاحْتَوَاهُ ظَافِرًا بِهِ ، مَعَانِقًا لَهُ ، وَمَنْ مَلَّ وَقَصَّرَ - وَهُوَ الْأَكْثَرُ - خَابَ وَأَخْفَقَ .
 وَرَجَعَ نَادِمًا لَاهِيًا عَنْهُ .

وقوله « لَا تَحْسَبِ الْمَجْدَ » تَقْرِيعٌ ، وَالْمُرَادُ : لَا تَظَنَّ الْمَجْدَ يُدْرِكُ بِالسَّعْيِ
 الْقَصِيرِ ، وَاسْتِمَالِ التَّمَذِيرِ ، وَعَلَى مَلَازِمَةِ الرَّاحَةِ دُونَ تَوَطُّنِ النَّفْسِ عَلَى السَّكْدِ
 الشَّدِيدِ وَالْمُجَاهِدَةِ ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يُنَالَ إِلَّا بِتَجَرُّعِ الْمَرَارَاتِ دُونَهُ ، وَاقْتِحَامِ الْمَعَاطِبِ
 بِسَبَبِهِ . وَيُقَالُ : لَعِقْتُ الصَّبْرَ لَعْفًا . وَاسْمُ مَا يُلْعَقُ هُوَ اللَّعُوقُ .

٦٤١

وقال آخر :

١ - وَمُسْتَعْجِلٍ بِالْحَرْبِ وَالسَّلْمِ حَظَّهُ تَلَمَّا اسْتُنْثِرَتْ كَلَّ عَنْهَا مَحَافِرُهُ
 ٢ - وَحَارِبٍ فِيهَا بَأْمَرِي حِينَ شَمَّرَتْ مِنْ الْقَوْمِ مِعْجَازٍ لَيْمٍ مَكَايِرُهُ
 ٣ - فَأَعْطَى الَّذِي يُعْطَى الدَّلِيلُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سَعْيٌ صِدْقٍ قَدَّمَتْهُ أَكَابِرُهُ

يقال : استعجل بالشئ ، إِذَا طَلَبَ مَجْلَتَهُ وَلَمْ يَصْبِرْ إِلَى وَقْتِهِ وَإِنَاءِهِ . فَيَقُولُ :
 رَبِّ أَمْرِي يُعْجِلُكَ فِي هَيْبِ الْحَرْبِ لَهُ ، وَنَصْبِ الشَّرِّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ ، فَتَرَاهُ
 يَرْتَقِي فِي الْإِيذَاءِ وَالْمَسْكَافَةِ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ الْقَصْدِ ، وَحَظَّهُ فِي أَنْ يُسَالِمَ ،

لكنه بسوء تآتية ونقص اختياره، أبى لنفسه إلا تعريضها لما يستوخم عاقبته، ويتمجل شره، فلما هيجت الحرب له وأجيب في إثارتها، وإيقاد نائرتها، إلى مراده منها، عجز فيها عن الإيفاء والاستيفاء، وكل عن مباشرة الورد والصدر، واستعان فيها برجل ركاب لرواحل العجز، لثيم المكسر والمختبر، ضيق العطن والمبرك، ويعنى به نفسه، وهذا كما يقال: لقيتني لقيت بي قرناً باسلاً. ويعنى بالقرن نفسه. وقوله «حين شمّرت» يريد حين كشفت الحرب عن ساقها، وأبدت أعجازها وهواديتها، ففعل فعل الذليل، وأعطى من الانقياد ما يعطيه الضعيف الفريد، ولم يكن سعيه سعيًا مصدوقًا فيه، ولا وقوفه وإمساكه إمساكًا يُعذر له، فتراه عند الأمائل من جملة الأراذل، وعند طلاب الخير مقتحما في الشر. ومعنى «قدمته أكاره» أسلافه وأمائله قومه.

٦٤٢

وقال إسماعيل بن عمار^(١):

١ - بكت دار بشر شجوها إذ تبدلت هلال بن مرزوقٍ بدشر بن غالب

٢ - وهل هي إلا مثل عرس تحوّات على رغيها، من هاشم في محارب^(٢)

«شجوها» انتصب على أنه مفعول له، والشاعر يفضل بشرًا على هلال، ويقول: إن الدار التي كان يستوطنها بشرًا لما ارتحل عنها وصار فيها بدلًا منه هلال بكت وتحسرت، وحق لها ذلك، فها هي في استبدالها إلا كعروس زوجت

(١) التبريزي: «إسماعيل بن عمار الأسدي» ثم قال: «قال دعبل بن علي: هي للوليد بن كعب قالها لما مات بشر بن غالب واشتري داره هلال بن مرزوق».

وإسماعيل بن عمار الأسدي: شاعر مقل مخضرم من شعراء الدولتين الأموية والعباسية. وأخباره في الأغاني (١٠: ١٢٨ - ١٣٥).

(٢) التبريزي: «مثل عرس تبدلت».

في هاشم ، ثم انتقلت إلى محارب . ومُحَارِبٌ قَبِيلَةٌ فِيهَا ضَمَّةٌ وَخَوْلٌ ، حَتَّى قَالَ
بَعْضُ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ يَخْلِفُ :

* فَصَيَّرَنِي رَبِّي إِذَا مِنْ مُحَارِبٍ *

٦٤٣

وقالت امرأةٌ قُتِلَ زَوْجُهَا^(١) :

- ١ - مَتَى تَرِدُوا عُكَاظَ تُوَافِقُوهَا بِأَسْمَاعِ مَجَادِعِهَا قِصَارُ
- ٢ - أَجِيدَانَ ابْنِ مَيَّةَ خَبَّرُونِي أَعْيُنُ لَابِنِ مَيَّةَ أَمِ ضِمَارُ
- ٣ - تَجَلَّلَ خَزِيئَهَا عَوْفُ بْنُ كَعْبٍ فَلَيْسَ لَخَلْفِهَا مِنْهُ اعْتِدَارُ
- ٤ - فَإِنَّكُمْ وَمَا تُخْفُونَ مِنْهَا كَذَاتِ الشَّيْبِ لَيْسَ لَهَا خِمَارُ

عُكَاظُ : وادٍ للعرب فيه سوقٌ لهم يجتمع فيها طوائفُ الناس من [جميع^(٢)]
الأحياء ، فيتعارفون فيها ويتملقون بالأخبار بعد التذاكر بها والتنسّم لها ، وبينهم
المواعِدات والمقايضات ، والإحنُ والترات ، والمناقراتُ والمناقضات ، فكلُّ فرقةٍ
تتجمّل للأخرى^(٣) وتودّ أن تسمع فيها ما ليس عندها من حسنٍ وقبيح ، ومحمود

(١) التبريزي : « قتل زوجها في جوار الزبرقان فلم يطلب بثاره ... وخبر هذه الأبيات
أن رجلاً من عبد القيس كان يقال له ابن مية ، وكان جاراً للزبرقان بن بدر ، قتله رجل من بني
عوف بن كعب بن زيد مناة في جوار الزبرقان ، وكان الذي قتله يقال له هزان ، قتله
بموضع يقال له ذو شبرمان ، فحلف الزبرقان ليقتلن هزالا . وقالت امرأته هذه الأبيات . ثم
سعت بنو سعد في القصة حتى أصلحوها وفدى ابن مية ، ثم مكثوا هنية من الزمان وخطب هزال
إلى الزبرقان أخته خليدة فزوجه إياها ، فلما هاجاه الخبل نوى ذلك عليه فقتل :

وأنكحت هزالا خليدة بعدما زعمت برأس العين أنك قتله
وأنكحته وهوى كأن عجانها مشق إهاب أوسع السليخ فاجله
يلاهبها تحت الفراش وجاركم بنى شبرمان لم تزيل مفاصله .

(٢) التكملة من ل . (٣) هذا ما في ل . وفي الأصل : « تتحمل الأخرى » .

ومذموم، إلى غير ذلك من الأنباء السائرة، والأوابد العائرة^(١)، التي يُتهدى بها، ويُستطرف وقوعها، ويُتبلَّغُ باستماعها وأدائها. فيقول: متى وردتم عكاظ ووافيتموها أذلاءً قد اكنسيتم عاراً يُخزيتكم ويُلازمتكم، فتصير كالمثلة عليكم، فكان آذانكم قد استوعبَ صلُّها، عقوبةً لكم بما عملتم به جاركم من إحقار وإسلام، حين^(٢) قُتل في جواركم، واستُبيحَ نحرُ مائه في ذمكم. ثم قال مستهزئاً ومعيّراً: يا جيران ابن مية، أنبئوني أنصرتكم له عين أم ضمارة، ووقاؤكم بما عقدتم له حق أم كذاب. والعين: ما يُحضر ويُشاهد، لذلك قيل في المثل: «يدع العين ويتبع الأثر». والضمارة: الغائب الذي لست منه على ثقة. قال الأعمش:

نرانا إذا أضمرتكَ البلادُ نُجفَى وتقطع منا الرحمُ

وقوله «تجلل خزيها عوف بن كعب»، يريد: لبس خزي هذه الغدرة وتغطى بدمها قبائل عوف بن كعب كلها لأنتم فحسب، فليس لأعقابها بعدها عذر يُقبل، ولا تنصل يُسمع.

وقوله «ولإنكم وما تُخفون منها»، يريد مثلكم في سترك أمرها، وتقديركم إخفاءها، على انتشارها وذهابها في الناس، وعلى تفشيكم بدرانها، واستقذار الناس لكم لوسخها، مثل امرأة شاب رأسها ولا يخار لها فتختمر، مع ميلها إلى أن لا يُرى شيبها. والمعنى: الأمرُ أظهر من أن يُكتم أو يُدفن.

(١) السائرة: السائرة.

(٢) ل: «حتى».

٦٤٤

وقال آخر :

٥- تَوَلَّتْ قُرَيْشٌ لَذَّةَ الْعَيْشِ وَاتَّقَتْ بما كلَّ فَجَّحَ مِنْ خُرَّاسَانَ أَغْبَرَا

٦- فَلَيْتَ قُرَيْشًا أَصْبَحَتْ ذَاتَ لَيْلَةٍ تَوُمُّ بِهَا مَوْجًا مِنَ الْبَحْرِ أَكْدَرَا

هذا كلامُ رَجُلٍ قَدِ بَجَّرَهُ الْوَالِي^(١) ، وَتَبَرَّمَ بِغُرْبَتِهِ ، وَشَقِيَ بِالتَّبَاعُدِ مِنْ
أَهْلِهِ وَوَطْنِهِ ، فَيَقُولُ : تَفَرَّدَ قُرَيْشٌ بِالتَّفَنُّمِ وَالتَّلَذُّذِ ، وَاسْتَأَثَرَ بِالْعَيْشِ الطَّيِّبِ
وَالرَّيَّةِ الْهَنِئِئَةِ^(٢) ، وَرَمَتْ بِهَا مَرَامِيَّ مُنْكَرَةً لَا رَاحَةَ مَعَهَا ، وَلَا طَائِلَ فِيهَا ،
وَسَدَّتْ طُرُقَ الْمَفَاوِزِ الْغُبْرِ الَّتِي لَا تُسَلِّكُ وَلَا تُعْبِرُ ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَهْلِ الْمَشْرِقِ ،
وَبُودَى^(٣) أَنْ ثَبَتَ قُرَيْشٌ عَلَى لَيْلَةٍ تُفْضِي بِهَا صَبِيحَتَهَا إِلَى أَنْ تُسَلِّمَهَا إِلَى
مَوْجِ أَكْدَرٍ ، يَجْرُفُهَا إِلَى الْبَحْرِ وَيَفْضِيهَا . وَهَذَا مِثْلٌ ، وَالْمَعْنَى : أُمْنَى أَنْ
تَشْمَلَهَا بَلِيَّةٌ تُفْنِيهَا وَتُرِيحُ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ مِنْهَا . وَالْكَدَرُ : نَقِيضُ الصَّفَاءِ .
وَيُقَالُ : عَيْشٌ أَكْدَرٌ ، وَقَدْ كَدِرَ . وَجَعَلَ الْمَوْجَ كَذَلِكَ تَهْوِيلًا ، وَتَكْثِيرًا
لِمَاءِ بَحْرِهِ . وَقَوْلُهُ « ذَاتَ لَيْلَةٍ » يَرِيدُ السَّاعَةَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا اللَّيْلَةُ الْمَطْلُوبَةُ .
وَعَلَى هَذَا قَوْلُكَ : فَعَلْتُ كَذَا ذَاتَ الْعِشَاءِ ، يَرِيدُ السَّاعَةَ الَّتِي فِيهَا الْعِشَاءُ .
وَالْمَعْنَى : أَصْبَحْتُ مَنَّا عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ قُرَيْشٌ ، أَيْ حَصَلَتْ مِنْ لَيْلَتِهَا عَلَى
صَبَاحٍ هَكَذَا .

(١) تجمير الجند : أن يحبسهم في أرض العدو ولا يقفلهم من الثغر .

(٢) ل : « والنعمة الهنيئة » .

(٣) كذا ضبطت بالفتح في النسختين . والود والوداد مشاهتان ، كما في اللقائوس .

٦٤٥

وقالت امرأة^(١) :

- ١- حَلَفْتُ وَلَمْ أَكْذِبْ وَإِلَّا فَكُلُّ مَا مَلَكَتُ لِبَيْتِ اللَّهِ أُهْدِيهِ حَافِيَةً .
 ٢- لَوْ أَنَّ الْمَنَائِيَا أَعْرَضَتْ لِأَقْتَحَمَتِهَا مَخَافَةً فِيهِ إِنْ فَاهُ لِدَاهِيَةٍ^(٢) .
 ٣- قَمَا جِيْفَةُ الْخَنزِيرِ عِنْدَ ابْنِ مَغْرِبٍ قَتَادَةَ إِلَّا رِيحُ مِسْكِ وَغَالِيَةٍ .
 ٤- فَكَيْفَ اصْطَبَارِي يَا قَتَادَةَ بَعْدَمَا سَمِئْتُ الَّذِي مِنْ فَيْكَ أَثْنَى صِمَاخِيَةٍ .

قولها « ولم أكذب » في موضع الحال أى حلفت صادقة في خبرى ، وإلا فما أملكه لبیت الله — تعنى لمن حول بيت الله ، فحذف المضاف — أهديه إليه بنفسى حافية لاحذاء لى . فقولها « أهديه » ، يجوز أن يكون في موضع خبر المبتدأ ، كأنها قالت : وإلا فما أملكه أهديه لبیت الله حافية ، أى في هذه الحال . ويقال : أهديت إلى البيت وللبيت هدباً ، إذا تقررت فيه بقربان . واللام من « لبیت الله » على هذا يتعلق بأهديه . ويجوز أن يكون لبیت الله خبر المبتدأ . وأهديه إن شئت كان مستأنفاً ، وإن شئت كان خبراً ثانياً ، وإن شئت كان بدلاً .
 وقولها « لو أن المنايا أعرضت » أى مكنت من النظر إلى عرضها ، أى إلى الجانب الذى تجىء منه « لاقتحمتها » ، أى لوقعت فيها وصرت في قحمتها . وانتصب « مخافة فيه » على أنه مفعول له .

وقولها « فاجيفة الخنزير » تريد : ما رائحة جيفة الخنزير إلا ريح مسك لأن الحدث يشبه بالحدث ، والعين بالعين .

(١) التبريزى : « وقالت امرأة تهجو قتادة بن مغرب البشكرى ، وهو زوجها » .
 وقاتادة بن مغرب : شاعر من شعراء الدولة الأموية كان معاصراً للزيادة الأعجم ، وكانت بينهما مهاجاة . انظر الأغاني (١٠ : ١١٢ / ١٤ : ١٠٠ ، ١٠٣) والشعراء ٣٩٦ . ومغرب بضم الميم وسكون النين ، ويقال بفتح الفين وكسر الراء المشددة ، كما ذكر ابن قتيبة في الشعراء .
 (٢) التبريزى : « إن فيه » ، فإن صححت كان معناها إن في فيه .

وقولها « فكيف اصطبارى يا فتادة » ، يريد : كيف أتكلّف صبراً على مجاورتك والكون معك . بعد ما بُليتُ به من بخرِكَ وثنن فمك ، الذي أفسد على آلة الشّم والسمع . ومعنى أثنى صمّأخيه ، أى أفسده . والصمّأخ : ثقب الأذن الذي يُفضى إلى الرأس . وآلة الشّم الأنفُ دون الأذن ، ولكن تريد أنه فسّد بمجاورته .

٦٤٦

وقال عبد الله بن أوفى الخزاعي^(١) :

- ١ - نَكَحْتُ ابْنَةَ الْمُنْتَضَى نَكْحَةً عَلَى الْكُرْهِ ضَرَّتْ وَلَمْ تَنْفَعِ^(٢)
 - ٢ - وَلَمْ تُغْنِ مِنْ فَاقَةٍ مُعْدِمًا وَلَمْ تُجِدْ خَيْرًا وَلَمْ تَجْمَعْ^(٣)
 - ٣ - مُنْجِدَةً مِثْلُ كَلْبِ الْهَرَّاشِ إِذَا هَجَعَ النَّاسُ لَمْ تَهْجَعْ
 - ٤ - مُفَرِّقَةً بَيْنَ جِيرَانِهَا وَمَا تَسْتَطِيعُ بَيْنَهُمْ تَقْطَعُ
 - ٥ - بِقَوْلٍ رَأَيْتُ لِمَا لَا تَرَى وَقِيلَ سَمِعْتُ وَلَمْ تَسْمَعْ
- قوله « على الكره » في موضع الحال من نكحت . وقوله « ضرت » من صفة نكحة ، وكذلك ما في البيت الثاني من الجمل كلٌّ في موضع الصفة

(١) التبريزي : « في امرأته » . ثم قال في نهاية تفسير الأبيات : « ويقع في بعض النسخ هذه الأبيات منسوبة إلى أبي الهندي ، قالها في امرأته . وأول البيت :

* نَكَحْتُ بِشَهْبِيدِ نَكْحَةً *

وشهبيدق ، ذكرت في التماموس ، ولم تذكر في اللسان ولا في معجمي البلدان ، قال في القماموس : « شهبيدق : بلد » . وعبد الله بن أوفى الخزاعي لم نعثر له على ترجمة . والأبيات ٣ ، ٧ ، ٩ في اللسان (قعد) منسوبة إلى عبد الله .

(٢) التبريزي : « المنتضى » بالصاد المهملة . و « ولم تنفع » هذا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « فلم تنفع » .

(٣) ولم تغن ، كذا في ل والتبريزي . وفي الأصل : « فلم تغن » .

لها . فيقول : نَكَحْتُ هذه المرأة مُكْرَهًا نَكْحَةً ضَارَّةً غير نَافِعَةٍ في شيء من الوجوه ، فما أَغْنَتْ من عُدْمِ عَدِيمَا ، ولا أَنَالَتْ خَيْرًا ، ولا جَمَعَتْ شِمْلًا . وحذَفَ مفعول « ولم تجمع » ، لأن المراد مفهوم .

وقوله « منجذة » من الفاجذ ، وهو ضِرْسُ الْحِلْمِ . والدواجد : أربعة أضراس ، وقال بعضهم : هي الضواحك ، محتجًا بحديث النبي صلى الله عليه وسلم « أنه ضحك حتى بدت نواجذُه » . ويقال : نَجَذَ فلانًا الخطوبُ ، إذا أَحْكَمْتَهُ . وقال :

* وَنَجَذَنِي مَدَاوِرَةَ الشُّؤُونِ ^(١) *

فيقول : إنها قد جُرِّبَتْ ومُلِّمٌ منها ومَلَّتْ . وقوله « مثل كلب الهراش » يعني في خَلْقِهَا وخُلُقِهَا . ومعنى « إذا جمع الناس لم تهجع » ، يصفها بأنها تمشي بالنائم . ولذلك قال الآخر ^(٢) :

قَوْمٌ إِذَا دَمَسَ الظَّلامُ عَلَيْهِمُ حَدَجُوا قَنَافِدَ بالنَيْمَةِ تَمَرَعُ

لأنَّ القنْفُذَ لا ينام بالليل . فيقول : هي بوشايتها تفرق بين الخُلطاء ، وتُقَطِّعُ الوُصْلَ والأواصرَ بينهم .

ولك أن تنصب « منجدة » و « مفرقة » على الحال ، ولك أن ترفعهما على الاستئناف . وقوله « وما تستطع » شرطٌ وجزاء ، وللفعول محذوف ، فهو كقولك : ما تُطِيقُ تَفْعَلُ .

فأما قوله : يقول رأيتُ وقيل سمعتُ ، فالباء تتعاقب بقوله تقطع . والمعنى أنها تَبَاهَتْ وتُكَابِرُ ، وتزِيدُ في القول وتُجَاهِرُ ، فتدعى مشاهدة ما لا تشهدُه ،

(١) لسحيم بن وثيل الرياحي في الأصمعيات ٦ طبع المعارف .

(٢) صدره : * أخو خمسين مجتمعا أشدى *

(٣) هو عبدة بن الطيب ، في المفضلية ١٤٧ .

وَسَمَاعٌ مَا لَا تَدْرُكُهُ . وَهَذَا زَائِدٌ عَلَى مَا قَالَهُ الْآخَرُ حِينَ نَقَى هَذِهِ الطَّرِيقَةَ ، وَهُوَ :
وَلَيْسَتْ مِنَ اللَّائِي بِكَوْنِ حَدِيثِهَا أَمَامَ بُيُوتِ الْحَيِّ إِنْ وَإِنَّمَا^(١)
ورواه بعضهم :

تَقُولُ رَأَيْتُ لَمَّا لَا تَرَى وَقَالَتْ سَمِعْتُ وَلَمْ تَسْمَعْ

وَالَّذِي رَوَيْنَاهُ أَحْسَنُ تَلَاوُثًا وَأَقْرَبُ .

١ - فَإِنْ تَشْرَبِ الزَّقَّ لَا يُرْوَاهَا وَإِنْ تَأْكُلِ الشَّاةَ لَا تَشْبَعِ

٧ - وَلَيْسَتْ بِتَارِكَةٍ مَحْرَمًا وَلَوْ حُفَّ بِالْأَسَلِ الشَّرْعُ^(٢)

٨ - وَلَوْ صَعِدَتْ فِي ذُرَى شَاهِقٍ نَزَلَتْ بِهَا الْعُضْمُ لَمْ تُضْرَعِ^(٣)

٩ - فَبِئْسَتْ قِعَادُ الْفَتَى وَحَدَّهَا وَبِئْسَتْ مُوقِّئَةُ الْأَرْبَعِ

مَحْرَمًا ، أَى حَرَامًا . وَالْحُرْمَةُ : مَا لَا يَحِلُّ اتِّهَانُكَ ، وَكَذَلِكَ الْحَارِمُ .

وَفِي الْمَثَلِ « لَا بُقْيَا لِلْحِمِيَّةِ بَعْدَ الْحَرَامِ » أَى عِنْدَ الْحُرْمَةِ . وَهُوَ ذُو مَحْرَمٍ

وَحُرْمَةٌ فِي الْقَرَابَةِ . وَالشَّرْعُ : جَمْعُ شَارِعٍ ، وَيُقَالُ : أَشْرَعْتَ الرَّهْمَحَ قِبَلَهُ

فَشَرَعَهُ . وَصَفَهَا بِالنَّمِيمَةِ وَشِدَّةِ الْحِرْصِ عَلَى تَنَاوُلِ الْحَرَمِ وَلَوْ انْتَزَعْتَهُ مِنْ بَيْنِ

الْأَسِنَّةِ . ثُمَّ وَصَفَهَا بِالتَّجْلِيحِ^(٤) ، وَحُسْنِ التَّنْفِيحِ^(٥) ، وَالْحَذَقِ فِي التَّوَضُّعِ إِلَى

الْمَنْفُوعِ ، وَلَوْ اِحْتَاجَتْ إِلَى أَنْ تَتَرَقَّى فِي مَصَاعِدِ الْجِبَالِ ، وَمَدَارِجِ الْهَضَابِ

الْمُعْجِزَةِ لِلْعُضْمِ .

وَقَوْلُهُ « فَبِئْسَتْ قِعَادُ الْفَتَى وَحَدَّهَا » انْتَصَبَ قِعَادٌ وَمُوقِّئَةٌ عَلَى التَّمْيِيزِ ،

(١) لحميد بن ثور ، في ديوانه ١٨ طبع دار الكتب .

(٢) في اللسان : « المشرع » .

(٣) بها ، أَى بالذرى . وفي الأصل : « نزل به » ، وأثبتنا ما في ل والتبريزى .

(٤) التجليح : الإقدام الشديد ، والتصميم في الأمر والمضى .

(٥) في اللسان : « كل ما نحيث عنه شيئاً فقد نقحته » . والتنفيح أيضاً : الإصلاح

وإزالة العيوب . وهذا ما في ل . وفي الأصل : « وحسن التقيح » .

لأنه وإن كان معرفةً في اللفظ ، فلا اختصاصَ فيه . ويُروى بالرفع في
الموضعين . فإذا نصبتَ فهو كقولك : بدستِ رَبَّةِ البيتِ هِنْدٌ . وإذا رفعتَ
فهو كقولك : بدستِ دارِ الكافرِ النارُ . وفي القرآن : ﴿ وَلَنِعَمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾ .
والمذمومة بدست في الوجهين محذوفة . وانتصب « وحدها » على المصدر . فيقول :
هي مذمومة في النساء تفرّدت أو اجتمعت مع ثلاثٍ آخر . والقعادُ والقعيدة
واحدة ، ويقال : ليست له قعيدةٌ تُقعدُهُ ، أي امرأةٌ تعزُّبه ، أي تزبلُ عزُّبته .

وحُكي أن الأصمى ألقى على أصحابه يوماً هذا البيت ، وهو :

واحدةٌ أعضلكم شأنها فكيف لو قُمتَ على أربع

[أربع ^(٢)] يعنى النساء .

٦٤٧

وقال بعض آل المهلب ^(٣) :

١ - قومٌ إذا أكلوا أخفوا كلامهم واستوثقوا من رتاجِ البابِ والدارِ

٢ - لا يقبِسُ الجارُ منهم فضلَ نارِهِم ولا تُكفُّ يدُ عن حُرمةِ الجارِ ^(٤)

معناها ظاهر ولا إعراب فيهما . والقبَسُ : الشعلة من النار . والقابِسُ
طالب النار وآخذها ، ويقال : قبستُ النارَ واقتبستها وأقبستها وأقبسنيها فلان .
والمقياس نحو من القبَس . والرتاجُ : الغلق . ويقال : رتجت الباب وأرتجته .

(١) ابن جنى : « وذلك تعريف الجنس ، لا يخس واحداً بعينه ، فصارح بشياعه النكرة ،
ولأجل ذلك ما كان أسد وهو نكرة كأسامة وهو معرفة ، وغدوة وهو معرفة كغداة وهي نكرة
وكذلك ثعلت وثعالة . وهو كثير فاعرفه لطيفاً » .

(٢) التكلمة من ل . وفي التنبية لابن جنى : « أى لو تزوجت أربع نسوة » .
واقظر مجالس العلماء ٣٣ وطبقاً ، الزبيدي ٢١٦ والمزهر ٢ : ٣٧٩ .

(٣) اسم ، عبد الله بن عبد الرحمن ، وسميه أبو الأنواء ، كما ذكر التبريزى رواية عن

دعبل . (٤) تكف ، يالثناء في ل والتبريزى . وفي الأصل : « يكف » بالياء .

٦٤٨

وقال آخر :

- ١ - كَاثِرٌ بِسَعْدٍ إِنْ سَعْدًا كَثِيرَةٌ وَلَا تَنْبَغُ مِنْ سَعْدٍ وَفَاءٌ وَلَا نَصْرًا
 - ٢ - وَلَا تَدْعُ سَعْدًا لِلْقِرَاعِ وَخَلَّتْهَا إِذَا أَمِنَتْ وَنَعْتَهَا الْبَلَدَ الْقَفْرَا
 - ٣ - يَرُوعُكَ مِنْ سَعْدِينَ عَمْرٍ وَجُسُومِهَا وَتَرْهَدُ فِيهَا حِينَ تَقْتُلُهَا خُبْرَا
- كَاثِرٌ : أمرٌ من كَاثَرْتُهُ ، إِذَا غَلِبَتْهُ بِالْكَثْرَةِ ، وَيُقَالُ : كَاثَرْتُهُ فَكَثَرَتْهُ أَكْثَرَهُ بِضَمِّ الْعَيْنِ . وَعَلَى هَذَا يَجِيءُ هَذَا الْبِنَاءُ ، سِوَاهُ كَانَ مَفْتُوحًا فِي الْأَصْلِ أَوْ مَضْمُومًا أَوْ مَكْسُورًا ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْبِنَاءُ مَعْتَلًّا ، فَإِنَّهُ يُبْرَكُ عَلَى حَالِهِ . يُقَالُ بَاكَيْتُهُ فَبِكَايَتِهِ أَبْكِيهِ لِأَخِيرِ . وَذَلِكَ أَيْلًا يَلْتَبِسُ بِنَاتِ الْيَاءِ بِنَاتِ الْوَاوِ . وَقَوْلُهُ : « وَنَعْتَهَا الْبَلَدَ الْقَفْرَا » ، يَصِفُهُمُ بِالسَّلَامَةِ فِي حَالِ الْأَمْنِ ، وَبِحُسْنِ تَصَرُّفِهِمْ فِي فُنُونِ الْقَوْلِ ، وَأَنْ لَهُمُ الْمَنْظَرَ الْحَسَنَ دُونَ الْمَخْبَرِ ، ثُمَّ لَا وَفَاءَ لَهُمْ فِي الذَّمِّ وَالْمُعْتُودِ وَلَا نَصْرَةَ فِي الدِّفَاعِ عِنْدَ الْحُرُوبِ . وَمَعْنَى يَرُوعُكَ يُعْجِبُكَ . يَرِيدُ : أَعْطُوا الْبَسْطَةَ فِي الْأَجْسَامِ ، فَإِذَا خَبَرْتَهُمْ صَغَّرْتَهُمُ الْخُبْرَ ، فَأَوْرَثَكَ الزُّهْدَ فِيهِمْ . وَيُقَالُ : لِي بِهِمْ خُبْرٌ وَخِبْرَةٌ .

٦٤٩

وقال آخر :

- ١ - أَطَارِبُ ذُو وَفَخْرٍ بِإِفْكَ وَأَلْسِنَةُ لِطَافٍ فِي الْمَقَالِ
 - ٢ - رَضُوا بِصِفَاتِ مَا عَدُوهُ جَهْلًا وَحُسْنُ الْقَوْلِ مِنْ حُسْنِ الْفَعَالِ
- يقول : إِنَّهُمْ يَفْتَخِرُونَ بِمَفَاخِرِ مَا فَوْكَ مَكْدُوبَةٍ^(١) ، وَلَهُمُ أَلْسِنَةٌ يَلْطَفُونَ بِهَا ،

(١) مَأْفُوكَةٌ ، مِنْ الْإِفْكَ ، وَهُوَ الْكُذْبُ .

وَيَصُورُونَ الْبَاطِلَ مِنْ مَفَاخِرِهِمْ بِصُورَةِ الْحَقِّ ، فَهَمُّ أَصْحَابِ مَقَالٍ لَا فِعَالٍ ،
وَأَرْبَابُ كَذِبٍ وَزُورٍ ، لَا حَقَّ وَصِدْقٍ ، وَلِجَاهِهِمْ يَرْضَوْنَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَلَهَا
يَأْنُ بِصِفُوهَا بِمَا هُوَ مَعْدُومٌ فِيهِمْ ، وَقَنَعُوا بِحُسْنِ الصِّفَاتِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِقَوْلِهِمْ ،
وَأَنْ عَدِمُوا شَهَادَةَ الْأَشْهَادِ عَلَى دَعْوَاهُمْ ، اعْتِقَاداً مِنْهُمْ أَنَّ الْقَوْلَ يَفْنَى عَنِ
الْفِعْلِ ، وَأَنَّ الْخَبَرَ يُكْتَفَى بِهِ عَنِ الْخَبْرَةِ ، وَأَنَّ الْكِرْمَ فِي الدَّعَاوِي لَا فِي الْحَقَائِقِ .

٦٥٠

وقال مالك بن أسماء^(١) :

- ١- لو كُنْتُ أُحْمِلُ خَمْرًا حِينَ زُرْتُكُمْ لَمْ يُنْكِرِ الْكَلْبُ أَنِّي صَاحِبُ الدَّارِ^(٢)
- ٢- لَكِنْ أَتَيْتُ وَرِيحُ الْمِسْكِ تَفْغَمُنِي وَعَنْبَرُ الْهِنْدِ مَشْبُوبًا عَلَى النَّارِ^(٣)
- ٣- فَأَنْكَرَ الْكَلْبُ رِيحِي حِينَ أَبْصَرَنِي وَكَانَ يَعْرِفُ رِيحَ الزَّقِّ وَالْقَارِ

قوله « تفغمني » ، أى تسدُّ خياشيمي وتملؤها . ويقال : الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ تَفْغَمُ
الْمَزْكُومَ^(٤) . وقوله « مشبوبا على النار » ، يقال : رأيتُ شَبَّةَ النَّارِ ، أى اشتعلها ،
وقد شَبَّبْتُهَا . وتوسَّعوا فيه فقالوا : فلانة يَشْبُهَا فَرْعُهَا ، إِذَا أَظْهَرَ بِيَاضَ وَجْهِهَا
سَوَادَ شَعْرِهَا . وانتصب « مشبوبا » على الحال . ومعنى الأبيات ظاهرٌ .

(١) قال دعبل : بل قالها عيينة بن أسماء بن خارجة ، وكان زار صديقا له فلما بلغ باب
دار بينه شد عليه كلب صديقه فعضه . عن شرح التبريزي . والشعر ورد في الحيوان (١) :
(٣٨٠) والبخلاء ٢٠٢ بدون نسبة معينة ، وفي البيان (٣ : ٣١١) لبعض الحجازيين .
ومالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري : شاعر إسلامي غزل ، وأخته
هند بنت أسماء ، زوج الحجاج ، وهو ممن عرف بالجمال في العرب . ترجم له الأغاني (١٦) :
(٤٠ - ٤٦) ومعجم المرزبني ٣٦٤ - ٣٦٥ واللائلي ١٥ - ١٨ والشعراء ٧٥٦ -
٧٥٨ .

(٢) التبريزي والجاحظ : « يوم زرتكم » .

(٣) التبريزي والجاحظ : « والعنبر الورد أذكيه » .

(٤) الريح بمعنى الراححة مؤنثة .

٦٥٠

وقال آخر :

- ١ - هجوتُ الأذعِيَاءَ فَنَاصَبْتَنِي مَعَاشِرُ خِلْتُمَا عَرَبًا صِحَاحَا
 ٢ - فقلتُ لَهُمْ وَقَدْ نَبَّحُوا طَوِيلًا عَلَيَّ فَلَمْ أُجِيبْ لَهُمْ نُبَاحَا
 ٣ - أَمِنْهُمْ أَنْتُمْ فَأَكْفَ عَنْكُمْ وَأَدْفَعَ عَنْكُمْ الشَّتْمَ الصَّرَاحَا (١)
 ٤ - وَإِلَّا فَاحْمَدُوا رَأْيِي فَإِنِّي سَأَنفِي عَنْكُمْ التَّهْمَ الْقِبَاحَا
 ٥ - وَحَسْبُكَ تَهْمَةٌ بِيْرِي قَوْمٍ بَضُمُ عَلَى أَخِي سَقَمَ جَنَاحَا

هذه الطَّرِيقَةُ فِي ذَمِّ الأَدْعِيَاءِ غَرِيبَةٌ حَسَنَةٌ جَدًّا . وَفِيمَا قَالَ أَبُو العَتَاهِيَةِ

فِي وَالبَّةِ بْنِ الحَبَابِ مَا هُوَ مُسْتَبَدَعٌ أَيْضًا ، وَهُوَ :

- مَا بَالُ مَنْ آبَاؤُهُ عَرَبُ الْاَلْوَانِ أَصْبَحَ مِنْ بَنِي قَيْصَرَ (٢)
 أَكْذَا خُلِقْتَ أَبَا أُسَامَةَ أُم لَوْنَتَ سَالِفَتَيْكَ بِالْعُصْفَرِ (٣)
 وَأَخَذَهُ أَبُو نُوَاسٍ (٤) فَقَالَ أَيْضًا :

وَإِبْنُ الحَبَابِ صَلِيبَةٌ زَعَمُوا وَمِنْ المُحَالِ صَلِيبَةٌ لِأَشْقَرِ

وَمَصْدَرُ الدَّعِيِّ الدَّعْوَةُ وَالدَّعَاوَةُ . وَنَاصَبْتَنِي ، أَيْ عَادَتَنِي ؛ وَيُقَالُ :

نَاصَبْتُ فُلَانًا الحَرْبَ وَالعِدَاوَةَ ، وَنَصَبْنَا لَهُمْ حَرْبًا . وَيُقَالُ : العَرَبُ العَارِبَةُ

(١) فِي نَسْخَةِ الأَصْلِ : « فَأَكْفَ عَنْهُمْ » ، تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي الأَغَانِي (١٦ : ١٤٤) : « يُحْسَبُ مِنْ بَنِي قَيْصَرَ »

(٣) أَبُو أُسَامَةَ : كُنْيَةُ وَالبَّةِ بْنِ الحَبَابِ ، وَفِيهِ يَقُولُ عَلِيُّ بْنُ ثَابِتٍ :

بَكَتِ البَّرِيَّةُ قَاطِبُهُ جَزَعًا لِمَصْرَعٍ وَالبَّسَهُ

قَامَتْ لِمَرْتِ أَبِي أُسَا مَةَ فِي الرِّفَاقِ النَّادِيَهُ

وَكَلِمَةُ « أَبَا » سَاقِطَةٌ مِنَ الأَصْلِ ، وَهِيَ وَالكَلِمَةُ الَّتِي بَعْدَهَا سَاقِطَتَانِ مِنْ ل . وَالتَّحْقِيقُ

يَقْتَضِي مَا أَلْبَتْنَا .

(٤) كَذَا . وَالبَيْتُ التَّالِي فِي الأَغَانِي مَنْسُوبٌ إِلَى أَبِي العَتَاهِيَةِ مَعَ البَيْتَيْنِ السَّابِقَيْنِ وَأَبْيَاتٍ

أُخْرَى .

والعرباء ، أى الخالص . والعرب المستعربة : الذين دخلوا فيهم بعد .
 وقوله « عرب الأوان » مثل قولهم : سُرُوجٌ خَزُّ الصُّفَاتِ (١) .
 و « عرباً سخاها » أى صحاح الأنساب . والنباح يُستعمل فى صوت
 التيس عند السفاد ، وفى الهدد والظنى . ويستعمل فى الشاعر على طريق الهمز .
 ويقال : نبَّحَه ونَبَّحَ عليه . قال الهذلي (٢) :

* ولو نبَّحتني بالثكارة كلابها (٣) *

والمراد بقوله « لهم نباحا » : لم أجِبْ نُبَاحَهُمْ . « ولهم » تبيين .
 وقوله « أمينهم أنتم » فى موضع المفعول من قلت ، وانتصب « فأكف »
 بإضمار أن ، وهو جواب الاستفهام بالفاء . والصرّاح : الخالص من كل شئ ،
 وكذلك الصريح والصرّاح . ورجلٌ صريحٌ : ضد هجين ، من قومٍ صرّحاء .
 ونخرٌ صرّاحٌ : لم تُشَبَّ بمزاج .
 وقوله « حسبك تهمة » ارتفع على الابتداء ، ويكتفى به لأن فيه معنى
 الأمر ، أى اكتف . وانتصب تهمة على التمييز ، ومعنى الأبيات ظاهر .

٦٥٢

وقال مدرک (٤) :

١ - لقد كنت أرمى الوحش وهى بغيرة
 وتسكن أحيانا إلى شرودها
 ٢ - فقد أمكنتنى الوحش مذرت أمني
 وما ضرَّ وحشا قانص لا يصيدها

(١) الصفة للسرّج بمنزلة الميثة من الرجل .

(٢) هو أبو ذؤيب . ديوان الهذليين (١ : ٨٠) ، وقد سبق فى ص ٣٧٦ .

(٣) صدره : * ولا هرها كلبى ليعبد ثمرها *

(٤) التبريزى : « مدرک ، أو مفلس بن حصن الفقعسى » . وفى معجم المرزبانى ٣٩١ :
 « مدرک أو مفلس بن حصن الفقعسى إسلامى » . قال أبو محمد الأعرابى : « وليس لواحد
 منهما ، وإنما هو لحماة بن الحلف - وهو الربيع - بن عبد الله ، أبو هليل اليربوعى . يتقوله
 لحنى زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى » .

٣- فأعرضتُ عن سَلَمَى وقلتُ لصاحبي سواءَ علينا بُخْلُ سَلَمَى وَجُودُهَا،
 جَمَلِ الْوَحْشِ كَفَايَةً عَنِ النَّسَاءِ . وإنما يذكر أيامَ شبابه ، ووقتَ صباه
 ولهوه ، فيقول : كنتُ أتعرضُ للنساءِ وهي مغترةٌ وفي غفلةٍ عني ، فأصيبها
 بمحاسني وأصطادها . والشاردةُ منها الفائرةُ من الرِّيبِ تَكُنُّ إلى وتميل
 نحوى وقتاً بعد وقت ، وحالاً بعد حال . هذا فيما مضى من عمري ، والآن قد
 شِخْتُ فسهاى قد رنَّتُ ، وآلاتى كَلَّتْ . وإنما يريد محاسنه عندهن من
 قبلُ ، وأنها قد بارت ، وما كان يُنفقه عندهن من نفوذِ نصاله عند الرِّماءِ
 فيهن كَلَّتْ . قال : فالوحشُ تمكِنى وأنا لا أرميها وتكشِبُ لى وأنا غافلٌ
 دونها . ومعنى تمكِنى أن النساءِ تنبسطُ إلىّ فلا تنقبِضُ ، وتستنيمُ فلا تنفِرُ
 لأمنها من توجُّهِ الرِّيبةِ . قال : والصائد لا يضرُّ الوحشَ إذا لم يصدّها ، يعنى
 نفسه . وهذا الكلامُ يجرى بجرى الأمثال . والمعنى أنهم لا ينفرون منى ،
 وقد سَكَنُ إلىّ وأمن رَمِي .

وقوله « فأعرضتُ عن سَلَمَى » ، يقول : تركتُ صاحبتي التي كنتُ
 أولعُ بها ؛ وأستلذذُ ذكرها ، زاهداً فيها ، وقلتُ لقربتي وأُليفي : بُخْلُهَا وَجُودُهَا
 يَسْتَوِيَانِ عَلَى مَعِ إِعْرَاضِي وَضَعْفِ حَاجَتِي ، وَكَلَالِ حَدِّي ، وَعَجْزِ قُدْرَتِي ،
 وَتَسَلُّطِ رَثِيَّاتِ الشَّيْبِ عَلَى^(١) ، وَتَمَكُّنِ أِبْدَالِ الْإِلَهِيِّ . وقوله « سواءَ علينا »
 سواءٌ مصدرٌ في الأصل ، وقد وُصِفَ به .

٤- فَلَا تَحْسُدَنَّ عَبْسًا عَلَى مَا أَصَابَهَا وَذُمَّ حَيَاةً قَدْ تَوَلَّى زَهِيدُهَا
 ٥- تَشَبَّهَ عَبْسٌ هَاشِمًا أَنْ تَسْرَبَلَتْ سَرَابِيلَ خَزٍّ أَنْكَرَتْهَا جُلُودُهَا
 كان الوليد وسليمان ابنا عبد الملك أمهما عبسيه^(٢) ، فارتفع شأنُ بنى عبس

(١) الرثية : الضيف ، وانحلال الركب والمفاصل .

(٢) وكذا قال المرزبانى فى معجمه ٣٩١ . قال أبو محمد الأعرابى : « هذا غلط ، لأن

أم الوليد وسليمان هى ولادة بنت خليلد بن جزء بن الحارث بن زهير » .

بها ، واختلطوا بمدبري الخِلافة وسُوَّاسِ الرعيَّة ، والذَّابِّين عن المملِكة . فيقول مخاطباً لصاحب له : لا تحسُدنُ بني عَبْسٍ على ما نالته من المُلْكِ والرِّياسة ، وذمِّ زَمَانَا ساعداً على ذلك وأهلها له ، وحياةً قد تولى زهيدُها في الشَّقَاءِ بها ، ومكابدة الأوابد منهم فيها . والزَّهيدُ : القليلُ الخَيْرِ ، ويقال : رجلٌ زهيد وامرأة زهيدة ، وهما القليل الطَّعم ، يريد أن أمرهم خُلُسةٌ من خُلسِ الدهر ، وسينقطع منكروه ويعود إلى دون ما يجبُ له .

وقوله « تشبَّه عَبْسٌ هاشمياً » ، يُقال : شبَّهته كذا وبكذا ، وتشبَّه زيد بكذا وكذا . يقول : تنعموا بلذات الدنيا وزخارفها ، وشاركوا أرباب الخِلافة ووُلاتها في ملابسهم التي تُفكرُها جلودهم ، ومطامعهم التي لم تذُقها لهواتهم ، فخذنوا أنفسهم بأنهم أمثالهم ، ووسوسَ الشَّيْطَانُ إليهم ممائلةً حالهم لأحوالهم عند الحننل ، وفي الخلوات . وقوله « أن تسرَّبت » يريد : لأن تسرَّبت . كأنهم لمساعدتة الأحوال لهم ففعلوا ما فعلوا . وإنما قال « أنكرتها جلودها » لأنها لم تعتدُها من قبل . ومثله قولُ الآخر :

بَكَى الخَزُّ من عَوْفٍ وَأَنكَرَ جِلْدُهُ وَضَجَّتْ ضَجِيحًا من جُدَامِ المَطَارِفِ
٦ - فلا تحسبن الخَيْرَ ضربةً لآزبٍ لعَبْسٍ إذا ما مات عنها وليدُها
٧ - فسادة عَبْسٍ في الحديثِ نساؤها وقادة عَبْسٍ في القديمِ عبيدُها

هُوَ ذَا يُسَالِي صَاحِبَهُ عَمَّا تَدَاخَلَهُ مِنَ العَيْظِ عَلَى زَمَانٍ بَلَغَ بِنِي عَبْسٍ مَا بَلَغَ ، فيقول : لا تظننَّ أن هذه الأمور تجرى على ما تشاهدها سليمةً من الحوادث ، وأن الدولة تمتدُّ لبني عَبْسٍ وتَصِيرُ كالواجب لها ، بريئةً من الصَّوَارِفِ ، نقيَّةً من الشوائب ؛ فإنَّ كلَّ ذلك بعرضِ الزوال والتغيُّر ، متى مات من تقدموا به ، وهو الوليد بن عبد الملك .

وَحِكِي عَنِ الْحُضَيْنِ^(١) بِنِ الْمُنْذِرِ أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ بَنِي عَبْسٍ وَقَدْ تَنَازَعَا فِي شَيْءٍ: «إِنَّمَا أَنْتُمْ يَا بَنِي عَبْسٍ بِحِرِّ^(٢)، فَإِنْ ابْتَلَّ ابْتَلَّتُمْ، وَإِنْ يَبْسُ يَبْسْتُمْ». وَقَوْلُهُ فَسَادَةُ عَبْسٍ نَسَاؤُهَا، يَعْنِي أُمَّ الْوَالِدِ وَالْمَتَّصِلَاتِ بِهَا. هَذَا فِي الْحَدِيثِ زَعَمَ. قَالَ: وَفِي الْقَدِيمِ كَانُوا بِالْعَبِيدِ، يَعْنِي بِهِ عَنْتَرَةَ بِنِ شَدَّادِ، لِأَنَّ عَبْسِيٌّ، وَكَانَ هَجِيئًا، وَلِذَلِكَ قَالَ:

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبْسٍ مَنْصِبًا شَطْرِي وَأَحْمِي سَاثِرِي بِالْمُنْصُلِ
وَقَالَ أَيْضًا:

أَنَا الْهَجِينُ عَنْتَرَةَ كُلُّ امْرِيُّ يَخِي حِرَّهُ^(٣)
أَسْوَدَهُ وَأَحْمَرَهُ

وَهُوَ أَحَدُ الْفُرْسَانِ الَّذِينَ جَلَّ أَمْرُهُمْ، وَعَظُمَ شَأْنُهُمْ.

٦٥٣

وَقَالَ آخِرُ:

١ - أَقُولُ حِينَ أَرَى كَغَبًا وَإِحْيَيْتَهُ لَا بَارِكَ اللَّهُ فِي بَضْعِ وَسْتَيْنِ
٢ - مِنَ السَّنِينِ تَمَلَّأَهَا بِلَا حَسَبٍ وَلَا حَيَاءٍ وَلَا قَدْرٍ وَلَا دِينَ
أَجْرِي جَمَعَ السَّلَامَةَ فِي أَنْ أَعْرَبَ آخِرَهُ مَجْرَى جَمُوعِ التَّكْسِيرِ، وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ كَثِيرًا. عَلَى هَذَا قَوْلُ الْآخِرِ^(٤):

* وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ^(٥) *

(١) فِي النَّسَخَتَيْنِ: «الْحَصِينِ» بِالضَّادِ الْمُهْمَلَةِ، وَصَوَابُهُ بِالْمَعْجَمَةِ، كَمَا فِي التَّبْرِيزِيِّ وَالْمَقْذُوفِيِّ ٨٧ وَتَهْذِيبِ التَّهْذِيبِ، وَالْحِزَانَةِ (٢: ٨٩ - ٩٠) وَالْقَامُوسِ (حُضْنِ).

(٢) يَعْنِي أَنْ قَدْرَهُمْ وَمَنْزِلَتَهُمْ، لِأَنَّهَا هِيَ بِنَسَائِهِمْ وَصِهْرِهِمْ فِي الْخُلَفَاءِ.

(٣) الْحَرُّ: حَرُّ الْمَرْأَةِ. وَالرَّجْزُ فِي اللِّسَانِ (حَرْج).

(٤) هُوَ سَحْبُ بِنِ وَثِيلِ الرِّبَاحِيِّ. الْأَصْمَعِيَّاتُ ٦ طَبَعِ الْمَعَارِفِ.

(٥) صَدْرُهُ: وَمَاذَا يَدْرِي الشُّعْرَاءُ نَبِيَّ *

وقوله :

* وابنُ أبيّ أبيّ من أبيّين^(١) *

وقوله « من السنين » تعلق بقوله في بضع . والبضعُ مختلفٌ فيه ، فمنهم من يقول : يتناول ما بين الثلاثة إلى العشرة كُله ، ومنهم من يجعله متناولاً للنصف من ذلك . والأول هو الصحيح . وقيل في قوله : ﴿ بضع سنين^(٢) ﴾ إنها سبعة ، وقد حُكيَ الفتحُ في الباء منه أيضاً ، وأصله من القطع .
وقوله « تملّاهَا » عاش مُلّاوتَهَا . والملاوةُ تُكسر ميمه وتضم . ومنه اللَّيْلُ من الدهر ، وقولهم : تملّيتُ حبيبياً .

٦٥٤

و قال عُوَيْفُ القَوَافِي^(٣) :

١ - وما أممكم تحت الخوافقِ والقمنا بِشكلى ولا زهراء من نسوة زهرِ
٢ - ألسنتم أقل الناس عند لوائهم وأكثرهم عند الذبيحة والقدرِ
وصفهم بأنهم يتصوّنون ، فلا يبتذلون أنفسهم في الحروب ، فأهّياتهم
تثكلهم تحت الأعلام إذا خفقت ، والرّماح إذا أشرعت . وقوله
« ولا زهراء » ، أى ليست هى بكريمة فى نفسها . وهذا ضد قول الآخر^(٤) :
* أمك بيضاء من قضاة^(٥) *

(١) البيت لدى الإصحح العدواني فى المفضليات ١٦٠ طبعة المعارف الثانية . وصدّره :

* إني أبى أبى ذو محافظة *

(٢) من الآية ٤٢ فى سورة يوسف : « فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن

بضع سنين » .

(٣) سبقتم ترجمته فى الحماسية ٧٢ ص ٢٦٢ .

(٤) هو ابن قيس الرقيات . ديوانه ٨٣ . وقد سبق فى ١٥٠ ، ٤١٩ .

(٥) تمامه : أمك بيضاء من قضاة فى الد * بيت الذ يستكن فى طنجه .

يريد بياض السكرم لا بياض اللون .

وقوله : « أَلَسْتُمْ أَفْلُ النَّاسِ » ، ويقرّرهم على لؤمهم وتأخرهم في الحروب ، وقتلهم عند خفق البنود ، وعند عقدها للرياسات ؛ وعلى أنهم يكثرون في المآذب ، ويتزاحمون على الذبائح . وإنما يُقرّر بالآيس وبالْم وما أشبهه في الواجب ، لأن الاستفهام كالنفي ، والنفي إذا دخل على النفي صار واجبا ، وقد مرّ الكلام فيه فيما تقدّم .

٦٥٥

وقال آخر :

- ١ - وَنُبِيتُ رُكْبَانَ الطَّرِيقِ تَنَازَرُوا عَقِيلًا إِذَا حَلُّوا الذَّنَابَ فَضَرَحَدَا
 - ٢ - فَتَى بَجَعَلُ المَحْضِ الصَّرِيحِ لِبَطْنِهِ شِعَارًا وَيَقْرِي الضَّيْفَ عَضْبًا مُهَنَّدًا
- قوله « تناذروا » ، أى أنذر بعضهم بعضا ، وموضعه من الإعراب نصب على أن يكون مفعولا ثالثا لفبئت . والذئاب وصرحخد : موضعان . والمعنى أن السفر والسابلة والمارة قد عرفوا عقيلا بالغدر والخيانة ، والطمع في مال الضيف والجار والحليف ، فإذا نزّلوا هذين الموضعين وهما مما يقارب محلّ عقيلا ومأواه ، حذر بعضهم بعضا ، وتواصوا بالاحتراز منه ، ثم قال : هو فتى يملأ بطنه من خالص المحض ، فالخص شِعَارُ بطنه ، يليه ويشحنه ويلتبس به ، ويعُدُّ لقرى ضيفه سيفا قاطعا . والأصل في الشمار ما يلي الجسد من الثياب ، ثم توسّع فيه فقيل : أشعر قلبى هما أى بطنه . وحكى بعضهم : هنت السيف : شحذته وأحدته . والمشهور نسبه إلى هند^(١) .

(١) كذا في النسختين . وفي اللسان أيضا : « هند : اسم بلاد » . ومن عجب أنه لم يعقد للهند رسم في معجمى البلدان .

وقد استعمل القرى على هذا غيره فقال، وهو أبو وجزة :
 ذاك القرى لا قرى قوم رأيتمهم يقرؤون ضيفهم الملوية الجددا^(١)
 يعنى السياط .

٦٥٦

وقال آخر :

١- أناخ اللؤم وسط بني رباح مطيته فاقسم لا يريم
 ٢- كذلك كل ذي سفر إذا ما تنأى عند غايته مقيم
 يقال : أنخت البعير فبرك ، ولا يقال فناخ . وهذا من باب ما استغنى به
 عن غيره ، ومعنى لا يريم لا يبرح .

وقوله « كذلك » فى موضع الحال ، لأن « كل ذي سفر » مبتدأ ،
 ومقيم خبره ، كأنه قال ، وكل مسافر إذا ما انتهى إلى غايته يلقى عصاه ،
 ويحط رحله . كذلك ، أى مثل إقامة اللؤم فيهم .

وهذا المعنى قد نقله البحرى إلى المدح فيهم :

أو ما رأيت المجد ألقى رحله فى آل طلحة ثم لم يتحول^(٢)

٦٥٧

وقال آخر :

١- إذا بكرية ولدت غلاماً فيا لوماً لذلك من غلام
 ٢- يزاحم فى المادب كل عبدي وليس لدى الحفاظ بذي زحام

(١) كذا فى ل والكامل ١٠٧ ليساك ، وهى جمع جديد . وفى الأصل : « الجدا » .

(٢) فى الأصل : « طلحة لم يتحرك » ، صوابه فى ل .

قوله « يا نُؤْمًا » لفظه لفظ النداء وللمعنى معنى التعجب ، أى ما أشدّه من
 نُؤْم . ومثله : ﴿ يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ﴾ ، وقولُ الشّاعر^(١) :
 فِيا شاعِراً لا شاعِراً اليَوْمَ مثلهُ جَريرٌ ولسكن في كُليبٍ تَواضِعُ
 وقوله « يُزاحم في المآدب » يشبه قول عُوَيْف :
 أَلَسْتُمْ أَقَلَّ النَّاسِ عِنْدَ لَوَائِهِمْ وَأَكْثَرَهُمْ عِنْدَ الذَّبِيحَةِ وَالْقَدْرِ^(٢)
 وإن كان زاد عليه لما جعل مزاحمته على الطّعام مع العبيد . وقوله « من
 غَلامٍ » أى لذلك الغلام من بين الغلمان . وواحد المآدب مأدبة^(٣) ، والفِعلُ
 منه أَدَيْتُ .

٦٥٨

وقال آخر :

١- رِدِي نُمَّ اشْرَبِي نَهْلاً وَعِلاًَّ وَلَا يَغْرُزُكَ أَقْوَالُ ابْنِ ذَيْبٍ^(٤)
 ٢- فلو كان القليبُ على إِحْآمٍ لَأَسْهَلَ وَطُؤُهَا شَفَةَ الْقَلِيبِ
 يشجعها على الورود والصّدْر ، وشرب العليل بعد النهل . وعلى ألا تحتفل
 بتهدّد ابنِ ذئبٍ وإِرْعادِهِ وإِبْرَاقِهِ ، فإنّه قولٌ لا فِعلٌ معه ، وقعمةٌ لا وَقَعُ
 بَعْدَهَا . وكان التّخاضُّمُ في بئرٍ ، فلذلك قال ما قال .
 وقوله « فلو كان القليب على إِحْآمٍ » استخفافٌ بهم وإِهانةٌ . ومعنى أسهل :
 وجدها سهلاً ، ويعنى بوطئها وطاء الإبل ، ولم يجر لها ذكر ، ولكن المراد
 مفهوم : وللمعنى : كانت تجدُ حَرْفَ البئرِ سهلاً لا حَزْناً . يقول : لو كان موضع البئر

(١) دو الصلتان العبدى . الحزافة (١ : ٣٠٤ - ٣٠٨) . وقد سبق في ٥٣٨ .

(٢) البيت الثانى من الحماسية ٦٥٣ ص ١٥٢٩ .

(٣) المشهور فى « المأدبة » ضم الدال ، وأجاز بعضهم الفتح .

(٤) التبريزى : « ولا تغررك » .

لِحَتَاهُمْ مَا جَسَرُوا عَلَى الْمَنَعِ ، وَلَا عَلَى التَّمَانِعِ ، وَلَا كَانَ يَتَعَمَّقُ وَرُودَهَا لِانْكَارِ
وَلَا وَبَالَ .

٦٥٩

وقال آخر :

١- إن تبغضوني فقد أسخنت أعينكم وقد أتيت حراماً ما تظنوناً^(١)

٢- وقد ضمنت إلى الأحشاء جاريةً عذباً مقبلها مما تصونوناً

يقول : لا ملام عليكم في بغضائكم لي ، فقد نلت منكم ما استحققت به
ذاك . وانتصب « حراماً » على الحال من أتيت ، وما تظنوناً في موضع المفعول ،
والضمير العائد من الصلة محذوف . وقوله « مما تصونوناً » ولم يقل ممن ، لأن
القصد إلى الجنس و « ما » للصفات والأجناس ولما دون الناطقين . فأما قوله
« تظنون » فيجوز أن يكون من غالب الظن ، ويجوز أن يكون من اليقين .

٦٦٠

وقال آخر :

١- يا قبَّح الله أقواماً إذا ذكروا بني عميرة رهط اللوم والعار

٢- قوم إذا خر جوامن سوءة ولجوا في سوءة لم يجنوها بأستار

المفادى في قوله « يا قبَّح الله » محذوف ، كأنه قال : يا قوم ، أو يا ناس
قبَّح الله أقواماً ، أى أبعدهم الله . و « بني عميرة » انتصب على البدل من
أقواماً ، وللمعنى في قوله « إذا ذكروا » أى وقت ذكروا فأبعدهم الله . و « رهطاً »

(١) تبغضون ، هو سا في ل والتبريزى . وفي نسخة الأصل : « تبغضوناً » .

اللؤم « انتصب على الدم والاختصاص ، والعامل فيه فعل مُضْمَرٌ ، كأنه قال :
أذكر رَهْطَ اللؤمِ .

وقوله « قومٌ » ارتفع على أنه خبر المبتدأ ، أى هم قوم إذا خَرَجُوا مِنْ
سَوَاءٍ وَنَحْزِيَةٍ ، أى من اكتسابهما وفعلهما ، دخلوا فى مثلها أو أسوأ منها
وأخرى لا يتسترون فيها ولا يستحيون منها .

٦٦١

يَهْجُو الْحَضْرِيَّ وَيَمْدَحُ الْبَدَوِيَّ :

وقال آخر :

- ١ - جَوَّابٌ يَبْدَأُ بِهَا عَرُوفٌ^(١)
- ٢ - لَا يَأْكُلُ الْبَقْلَ وَلَا يَرِيفُ
- ٣ - وَلَا يُرَى فِي بَيْتِهِ الْقَلِيفُ
- ٤ - إِلَّا الْحَمِثُ الْمُنْفَمُ الْمَكْشُوفُ
- ٥ - لِلجَارِ وَالضَّيْفِ إِذَا يَضِيفُ
- ٦ - وَالْحَضْرِيُّ مُبْطَنٌ مَعْلُوفٌ^(٢)
- ٧ - لِلنَّفْسِ فِي أَنْوَابِهِ شَفِيفُ
- ٨ - أَعْجَبُ يَنْتِيهِ لَهُ الْكَنِيفُ
- ٩ - أَوْطَايَةٌ مُبْقَلَةٌ وَسِيفٌ^(٣)

(١) رواه التبريزى : « عزوف » ، وقال : « يقال رجل عزوف وعزوفة وعزيف » .
وفى اللسان (ريف) : « غروف » ، تحريف .

(٢) التبريزى : « بطنه معلوف » .

(٣) التبريزى : « أوطانه » ، ثم قال : « ويروى : أوطاية مبقلة ورينف » .

قوله « جَوَابُ بِيْدَاءٍ » يصف به البدوى ، أى قَطَاعَ المَفَاوِزِ بليغ المعرفة بها . ويقال : رجل عَرُوفٌ وَعَرُوفَةٌ وَعَرِيفٌ ، أى عَارِفٌ . ويقال من العَرِيفِ بكسر العين ، وهو الصبر : عَارِفٌ وَعَرُوفٌ أى صَبُورٌ ؛ فيجوز فيه الوجهان . ويروى : « جَوَابُ بِيْدِ أَيْهَ عَرُوفٌ » ، والأَيْهُ : الصَّيْتُ المتبني على الحى القابِ والنفس : والبيد : جمع بيدا .

وقوله « لا يَأْكُلُ البَقْلَ » ، أى هو قَوِيٌّ صُلْبُ العُرُوقِ ، لأنَّ البقول تَرخِي الأَعْصَابَ . و « لا يَرِيفُ » أى لا يدخل الحَضْرَ . والرِّيفُ : الخَضْرَاءُ . وقال الدَّرِيدِيُّ : الرِّيفُ : مَا قَارَبَ السَّوَادَ من أرض العرب ، والجميع أريافٌ ورُيُوفٌ . وترِيفَ القومِ ورافوا : دَنَوْا من الرِّيفِ .

وقوله : « ولا يُرْسَى في بيته القَلِيفُ » أى طعامه طعام البدويين : اللبنُ والتَّمْرُ ، لا الخُبْزُ . وَقِلَافَةُ الخُبْزِ وَقَلِيفُهُ : الذى يَلْزَقُ منه بالتَّنَوُّرِ .

وقوله : « إلا الحَمِيَّتُ » بدل من القَلِيفِ ، وهو نَجْحَى السَّمَنِ . والنَّقَمُ : المملوء . وجَعَلَهُ مكشوفاً للجَارِ والضيِّفِ ليدلُّ على سَخَانِهِ بما فيه ، ولا سِتْرَ عليه ولا حجابَ دونه ، فاللام من قوله للجَارِ يتعلق بالمكشوف .

وقوله « والحَضْرِيُّ مُبْطَنٌ مَعْلُوفٌ » ، أى يُطَيِّعُهُ ما يَأْكُلُهُ ، ويرتفع فيه فيَنهَمُّ فيه ويتجاوز حدودَ كلِّ النَّاسِ حتَّى يصيرَ معلوفاً كما تُعَلَفُ الدَّوَابُّ للسَّمَنِ . والمُبْطَنُ : المَوْسَعُ البَطْنِ . وقد بَطَنَ بَطْنًا ، أى عَظَّمَ بَطْنَهُ ، وأصابته البِطْنَةُ . وفي المَثَلِ : « البِطْنَةُ تُذْهِبُ الفِطْنَةَ » ، أى كثرةُ الأكلِ تُحْدِثُ البِلَادَةَ ، ورجلٌ بَطِينٌ ومِبْطَانٌ : عَظِيمُ البَطْنِ . والمِبْطَانُ : الخَمِيصُ البَطْنِ . قال :

* فَأَتَتْ بِهِ حَوْشَ الفِئَادِ مِبْطَانًا ^(١) *

(١) البيت لأبي كبير الهللى ، كما سبق فى ص ٨٨ . وعجزه :

* سبدا إذا ما نام ليل الهوجل *

وقال مُتَمِّمٌ :

* فَتَى غَيْرَ مِنبَطَانِ الْعَشِيَّاتِ أَرْوَعًا^(١) *

والشَفِيفُ : بَرْدٌ رِيحٍ فِي نُدُوءَةٍ ، وَاسْمٌ تِلْكَ الرِّيحِ الشَّقَّانُ .

وقوله « أَعْجَبُ بَيْتَيْهِ » أَى الذى يَأْكُلُ فِيهِ والذى يُحَدِّثُ فِيهِ .
والكَنِيفُ جَمَلُهُ أَعْجَبَ إِيْمَهُ لِكثْرَةِ أَطْيَافِهِ^(٢) .

والطَّايِبَةُ : الأَرْضُ الفُضَاءُ الواسِعَةُ . وَالسَّيْفُ : سَاحِلُ البَحْرِ . وَأَبْقَلَ
المَكَانُ : كَثُرَ بَقْلُهُ .

٦٦٢

وقال رَبَّعَانُ :

١ - إِذَا كُنْتَ عَمِّيًّا فَكُنْ قَقْعَ قَرَّ قَرٍّ وَإِلَّا فَكُنْ إِنْ شِئْتَ أُبْرَ حِمَارٍ^(٤)

٢ - فَمَا دَارُ عَمِّيِّ بَدَارِ خَفَّارَةٍ وَلَا عَقْدُ عَمِّيِّ بِعَقْدِ جَوَّارِ

يعنى بالقَقْعِ الكَمَامَةُ . وَيضْرِبُ المَثَلُ بِهَذَا فِي الذَّلِّ فيقال : « أَذَلُّ مِنْ
قَقْعِ بَقَاعٍ » ، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَجْتَنِيهَا مِنْ يَشَاءُ ، وَأَضَافَهُ إِلَى قَرَّ قَرٍّ مِنْبِتِهِ . وَيَقَالُ :
قَاعٌ قَرَّ قَرٍّ ، أَى مَسْتَوٍ . وَأَنَّى بِالصِّفَةِ لِأَنَّ المَرَادَ مَفْهُومٌ ، وَالْمَعْنَى : إِذَا كُنْتَ
عَمِّيًّا فَكُنْ ذَلِيلًا كَالْقَقْعِ ، أَوْ شَيْئًا يُتَحَامَى ذِكْرُهُ وَمَنْظَرُهُ كَذَلِكَ العُضْوِ .
وَأَخْفَرْتُهُ ، إِذَا نَقَضْتَ عَهْدَهُ . وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ . وَجَعَلَ لَأَنَّ قَوْلَهُ « وَلَا عَقْدُ »
بَدَلًا مِنْ مَا ، وَلِذَلِكَ أُدْخِلَ البَاءَ فِي بَعْقَدٍ .

(١) صدره في المفضليات ص ٢٦٥ طح المعارف :

* لقد كفن المنال تحت رداثة *

(٢) أطاف يطاف أطيافا : تغوط وذهب إلى البراز .

(٣) التبريزى : « وقال ربيعان ، ويقال ربيعان » .

(٤) العمى : نسبة إلى بنى العم ، وهم بنو مرة بن مالك بن حنظلة . اللسان (عم) .

وانظر الأغاني (٣ : ٧٣) .

٦٦٣

وقال آخر :

- ١ - أَرَانِي فِي بَنِي حَاكِمٍ غَرِيْبًا عَلَى قُتْرِ أَزْوَرٍ وَلَا أَزَارُ
٢ - أَنَا نَسٌ يَا كَلُونَ اللَّحْمِ دُونِي وَتَأْتِينِي الْمَعَاذِرُ وَالْقُتَارُ

قوله « على قُتْرٍ » أى على حرف . ويقال قُتْرٌ وَقُتْرَةٌ . يتول : ليس
فيهم تمكّن ، لغرقتى . والقُتْرُ والقُتْرُ والحَرْفُ والجانب تتقارب . وقد استعمل
الحرف استعمال القُتْرِ ، بل هو أشهر فى هذا المعنى ، وأكثُرُ تصرُّفاً ، يقال :
هو على حَرْفٍ من أمره ، أى انحراف ، وانحرقت بهم دُنْيَاهُمْ ، ومالى عن كذا
مَحْرَفٌ ، أى مَصْرَفٌ ومُنْتَهَى . وفى القرآن : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ
عَلَى حَرْفٍ ﴾ : وإنما وصفهم بأن من جاورهم يسبون عشرته ولا يروؤن له
ما يراه لهم من قضاء ذِمَامٍ ، وإيجاب حق ، بل بطرحونه ويُهْمَلُونَهُ . وقوله
« وتأتيني المعاذر » ، أراد ربح عذراتهم وأفئيتهم ، فحذف المضاف . « والقُتَارُ » ،
أى وتأتيني ربح اللحم المشوى . وقيل فى المعاذِر : إنها جمع مَعْدِرَةٍ . والأوَّلُ
أبلغ . والمعاذِرُ والمعاذرة والعذرة : الحَدَثُ ، وقد أعذَرَ ، أى أحدث . ويرتفع
أناسٌ على أنه خبر مبتدأ محذوف ، كأنه أراد : هم أناس ، وقد وصِفُوا بِجَمَلَتَيْنِ .
وقد كان يجب أن يقول : وتأتيني المعاذِرُ والقُتَارُ منهم ، فحذف الضمير ، ويجوز
أن يكون « وتأتيني » على الاستئناف .

٦٦٤

وقال آخر :

- ١ - مَا إِنْ فِي الْحَرِيشِ وَلَا عُقَيْلٍ وَلَا أَوْلَادٍ جَعْدَةَ مِنْ كَرِيمٍ^(١)

(١) كذا بالخرم فى النسختين . وفى التبريزى : « وما إن » .

٢ - ولا البُزْصِ الفِجَاحِ بَنِي نُمَيْرٍ ولا العَجَبَانَ زَائِدَةَ الظَّلِيمِ -
 ٣ - أَوْلَانِكَ مَعْشَرٌ كَبِنَاتِ نَعَشٍ رَوَاكِدَ لَا تَسِيرُ مَعَ النُّجُومِ
 يعني بزائدة الظلِيمِ الخلف ، لأنه لا يكون للطير . أي هم زيادة في الناس
 بمنزلة تلك الزائدة في الظلِيمِ .

وقوله «أولئك معشر كبنات نعش» ، يريد أنهم لا ينهضون لا كتساب
 مكرمة . ولا يقومون لاجتلاب منقبة ، فهم لا خير فيهم يازمون مضاجعهم
 كسلاً وقصر همة ، ورضى بأدنى الهمتين وأسقط العيشتين . والعرب تسمى
 من كان كذلك ضاجعاً وضججياً^(١) وضججة . وبنات نعش ليست من النجوم
 السيارة ، فلذلك شبهه بها .

٦٦٥

وقال رجل من بني جرم^(٢) :

١ - دَلَقْتُ إِلَى صَمِيمِكَ بِالْقَوَافِي عَشِيَّةً مَخْفِلٍ فَهَتَمْتُ فَاكَا
 ٢ - وَصَدَّقَ مَا أَقُولُ عَلَيْكَ قَوْمٌ عَرَفَتْ أَبَاهُمْ وَنَفَسُوا أَبَاكَ

الصَّمِيمُ : الخالص من النسب والفخر . وجعل له ذلك على طريق الهُزء ،
 فهو كقول الله تعالى : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ . يقول : ما كان
 من حسبك خالصاً ، ومن نسبك صافياً لا شوب فيه ولا لبس دونه ، أبطائه
 بقوافي ، وزيفته حين اختلفنا في المجمع بمراحي ، فهتمت أسفانك ، وأخرستك
 في دعاوبك . والهِتَمُ : كسر التثنية من الأصل ، وجعل الفم كناية عن الأسنان .

(١) بضم الصاد وكسر ها . ومثله « القمدي » بكسر القاف وضمها .

(٢) التبريزي : « وقال رجل من جرم لزيد الأعجم ، وقيل إنه لزيد الأعجم » .

وستأتي ترجمة زيد الأعجم .

أى جعلتكم بحيث لا مَعَصَّ لَك ، وَمَشْهَدُنَا مشهود^(١) ، وأهل التمييز حضوراً ،
وَصَدَقْتَنِي مَنْ لَهُ الْقِدْمَةُ وَالسَّابِقَةُ عَلَيْكَ ، وَأَنْتَ تَعْرِفُهُمْ وَتَعْرِفُ أَوْلِيَّيَهُمْ ،
وَهُمْ يَنْكُرُونَ سَلْفَكَ ، وَيُبْطِلُونَ دَعَاوَيْكَ .

٦٦٦

وقال زياد الأعجم^(٢):

١ - وَمَنْ أَنْتُمْ إِنْ نَسِينَا مَنْ أَنْتُمْ وَرِيحُكُمْ مِنْ أَى رِيحِ الْأَعَاصِرِ
٢ - وَأَنْتُمْ أَوْلَى جِسْتُمْ مَعَ الْبَقْلِ وَالذَّبَابِ فَطَارَ وَهَذَا شَخْصُكُمْ غَيْرُ طَائِرِ
٣ - فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بِنَ كَانَ قَبْلَكُمْ وَلَمْ تُدْرِكُوا إِلَّا مَدَقَّ الْحَوَافِرِ

قوله « إنا نسينا من أنتم » يجوز أن تجعل من استفهاما ، وقد كرره ،
وعاقل نسينا قبله ، وإن لم يكن من أفعال الشك واليقين ، لأنه أجراه مجرى
نقيضه ، وهو عرفت وذكرت ؛ وهم يحرون النظير [مجرى النظير^(٣)] ،
والنقيض مجرى النقيض . وقد مرّ له نظائر . ويجوز أن نجعل من بمعنى الذى .
وقد حذف صائته^(٤) ، كأنه قال : إنا نسينا الذين هم أنتم . والأول أوجه . ونظير
الأول^(٥) عند أصحابنا البصر بين قوله تعالى : ﴿ لِنَعْلَمَ أَى الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى إِمَّا
لَبِثُوا ﴾ . وفى باب الذى قوله تعالى : ﴿ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ ﴾^(٦) لأن المعنى من

(١) هذا الصواب من ل . وفى الأصل : « لا يشهدنا مشهود » .

(٢) زياد الأعجم : أحد شعراء الدولة الأموية ، وقد شهد فتح إصطخر مع أبى موسى
الأشعري وطال عمره ووفد على هشام بن عبد الملك . وفى الاشتقاق ٢٠١ عند الكلام على
عبد القيس : « ومنهم زياد بن سلمى النوى . يقال له زياد الأعجم الشاعر » . ويقال له أيضا :
زياد بن سلميان . انظر البيان (١ : ٧١) والخزانة (٤ : ١٩٣) ومعجم المرزبانى ١٢٣
والشعراء لابن قتيبة والأغانى (١٤ : ٩٨ - ١٠٥) . (٣) التكملة من ل .

(٤) كذا فى النسختين . والمراد « حذف صدر صائته » .

(٥) فى النسختين : « الثانى » والنظير الأول ، وهو التعليل بالاستفهام .

(٦) هذه قراءة يحيى بن يعمر ، وابن أبى إسحاق ، وهى القراءة التى يستقيم بها الاستشهاد
وقراءة الجمهور : « أحسن » بفتح النون ، عل أنها فعل . وقال بعض نحاة الكوفة فى =

هو أحسن . وقوله « من أي ریحِ الأعاصِر » ، والأعاصِر : جمع الإعصار ، وهو الغبار الساطع المستدير ، وفي المثل : « إن كنت ریحاً فقد لا قيت إعصاراً » . وإنما خصّها بالذِّكر لأنّها تسوق غيثاً ، ولا تدثر سحاباً ، ولا تُلقحُ شجراً ، فضرِبَ المثلُ بها لقلة الانتفاع بهم . وهذا كما قال الآخر^(١) :

وأنتَ على الأذنى شمالَ عَرِيَّةٍ شَامِيَةٍ تَزَوِي الوُجوةَ بِلَيْلٍ

وهم يجعلون الرِّيحَ كنايةً عن الدَّولة ، فيقال : فلانُ هَبَّتْ له رِيحٌ ، فكأنه جعل دولتهم لا تجدى ولا تردّ نفعا ، بل تُتَوِي^(٢) وتجرّ شراً ، وقوله « وأنتم أولى جئتم » ، يريد الذين جئتم مع البقل . والمعنى أن شرفكم حديث . ومثله قول الآخر :

تموتونَ هَزَلِي في السَّنِينِ وأنتمُ أسارِبِعُ تحيا كلُّها نبتَ البقلِ

وقوله « فطارَ وهذا شخصُكم غير طائر تضجّر بهم وتمجّب من بقائهم ، وعَتَبٌ على الزمان في استبقائهم .

وقوله « فلم تسمّوا إلا بمن كان قبلكم » يريد أن كلَّ من يُذكر لكم^(٣) وعِنْدَكم فهو سابقٌ لكم ، مقدّمٌ عليكم بالزمان والفضل ، فأتم على الساقية لم تُدرِكوا ممن أحرزَ قصباتِ السَّبِقِ إلا مدقَّ الحوافر ، ومواطئ الأقدام . جعلهم فساً كل ، ومتأخرين عند الفضائل .

= تخریجها : یصح أن یكون أحسن هذه اسما ، وهو أفضل تفضیل مجرور بالفتحة صفة للذی وإن كان نكرة ، من حیث قارب المعرفة إذ لا یدخله «أل» ، كما تقول العرب : مررت بالذی خیر منك ، ولا یجوز مررت بالذی عالم . تفسیر أبی حیان (٤ : ٢٥٥) .

(١) هو طرفه بن العبد ، كما سبق فی الحماسیة ٦٠١ ص ١٤٤١ .

(٢) أتواه : أهلکة . وفي الأصل : « تنوی » تحریف . وفي ل : « توی » .

(٣) فی الأصل : « من یدلکم » ، صوابه فی ل .

٦٦٧

وقال عمرو بن الهذيل^(١) :

١- نحنُ أقمنا أمرَ بَكْرٍ بنِ وائلٍ وأنتَ بِشَاحِ ما تَمِرُّ وما تُحَلِي^(٢)

٢- وما استتوى أحسابُ قومٍ تُورثتُ قديماً وأحسابُ نَبْتَنَ مع البقلِ

تأجُّجٌ : اسم ماء . وما تَمِرُّ وما تُحَلِي ، أى لا تأتي بجلو ولا مَرٍّ . يصف
عجزه وضعفه ، وقعوده عن المعونة أو أن الحاجة . وقول زهير :

* على صيرِ أمرٍ ما يُبرُّ وما يَحْأُو^(٣) *

فأمرٌ فيه بمعنى صار مراً . ويقال في هذا مراً أيضاً . وقولهم في المثل :
« ما أمرٌ فلانٌ وما أحلى » فهو مثلُ المعنى الذى فى البيت . والمعنى : ما أتى بجلو
ولا مَرٍّ . ومرادُ الشاعرِ فى هذا البيتِ ظاهر ، وهو المعنى المتقدم .

وقوله « وما استتوى أحسابُ قومٍ » تستوى بمعنى تساوى وتماثل ، وقد
يكون استتوى بمعنى استعلى . على ذلك قولهم :

* قد استتوى بشرٌ على العِراقِ^(٤) *

(١) التبريزى : « وقال عمرو بن الهذيل العبدى . وقال أبو ريثان : هى لرجل من بني
صجل » . وفى معجم المرزبانى ٢٤١ « عمرو بن الهذيل الربعى » . قال المرزبانى : « يقوله
لأبى غسان مالك بن مسمع حين فر أيام النصبية ، فنزل بأجأ حتى تجت النصبية » .
(٢) المرزبانى : « لا تمر ولا تحل » . وقبلة عند التبريزى :

لا تَرَجُ خيراً عِنْدَ بابِ ابنِ مِسمعٍ إِذا كُنْتَ مِنْ حَيِّ حَنِيفَةٍ أَوْ عِجْلِ

(٣) ثانى بيت له من القصيدة التى مطلعها :

صحا القلب عند سلمى وقد كاد لا يسلو وأنقر من سلمى التعانيق والنقل

وصدره : * وقد كنت من سلمى سدينا ثم نيا *

(٤) بعده فى اللسان (سوى) :

* من غير سيف ودم مهراق *

٦٦٨

وقالت كنزة في مية^(١) :

- ١ - أَلَا حَبَّذَا أَهْلُ الْمَلَاغَيْرِ أَنَّهُ إِذَا ذُكِرْتُ مَيِّ فَلَاحَبَّذَا هِيَا
- ٢ - عَلَى وَجْهِ مَيِّ مَسْحَةٌ مِنْ مَلَاخَةٍ وَتَحْتِ الشَّيَابِ الْجِزْيُ لَوْ كَانَ بَادِيَا
- ٣ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَاءَ يُخْلِفُ طَعْمُهُ وَإِنْ كَانَ لَوْنُ الْمَاءِ فِي الْعَيْنِ صَافِيَا^(٢)
- ٤ - إِذَا مَا أَتَاهُ وَارِدٌ مِنْ ضَرُورَةٍ تَوَلَّى بِأَضْعَافِ الَّذِي جَاءَ ظَامِيَا
- ٥ - كَذَلِكَ مَيِّ فِي الشَّيَابِ إِذَا بَدَتْ وَأَثْوَابُهَا يُخْفِينِ مِنْهَا الْمَخَازِيَا
- ٦ - فَلَوْ أَنَّ غَيْلَانَ الشَّقِيَّ بَدَتْ لَهُ مُجَرَّدَةً يَوْمًا لَمَا قَالَ ذَا لِيَا
- ٧ - كَقَوْلِ مَضَى مِنْهُ وَلَكِنْ لَرَدَّهُ إِلَى غَيْرِ مَيِّ أَوْ لِأَضْبَحَ سَالِيَا

قوله ذا من لفظة «حَبَّذَا» أُشيرَ به إلى الشيء ، وهو مع حَبِّ بمنزلة الرجل من نعم الرجل ، إلا أَنَّهُ أُجْرِي معه تَجْرِي الأمثال ، لا يَغْيَرُ ولا يُفْصَلُ بينهما . والمعنى : محبوبٌ في الأشياء أهل الملاغَيْرِ مَيِّ ، فإنَّهَا إِذَا ذُكِرَتْ لا تَسْتَعْقُ مَدْحًا ولا اخْتِصَاصًا ، ولا نِفَاءً ولا إِطْرَاءً ، فلا تُعْطَى هذا القول ، ولا تُذَكَّرُ عند الدُّعَاءِ بالشُّقْيَا ، ولا تَدْخُلُ عند الحمد أو العُبِّ في الذِّكْرِ . وقولها « فَلَاحَبَّذَا هِي » جَمَلُ أَلِفِ ذَا على انفصالها تَأْسِيسًا ، لأنَّ الرَّوِيَّ من اسم مُضْمَرٍ وهو هِي .

(١) التبريزي : « كنزة أم شملة المنقرى في مية صاحبة ذى الرمة . وقيل : هي لذى الرمة ، وذلك أنه كان يشهب بمية وكانت من أجل انناس ولم تره قط ، فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة أول ما تراه . فلما رأته وأت رجلا دميما أسود ، فقالت : واسومناه ! فقال ذو الرمة فيها » . و قد سبقت ترجمة « كنزة » في الحماسية ٢٤٠ ص ١٠١ . وفي الأغانى (١٦) : (١١٤) وأمالى الزجاجي ٥٧ أن تلك الأبيات قيلت على لسان ذى الرمة بغية الإفساد بينه وبين صاحبه . وانظر ملحقات ديوان ذى الرمة ٩٦ - ٩٧ .

(٢) التبريزي : « أبيض صافيا » .

وقولها « على وجهي مَسْحَةٌ » تريد أن ظاهرها حَسَنٌ ، كأن الله عزّ وجلّ قد مسحها بالجمال مَسْحًا ، ويكون أصله من المَسْحِ باليد ، وقد استعمل في الدعاء فقيل للمريض : مَسَحَ اللهُ ما بك من علة ، وقيل أيضاً : هو ممسوح الوجه أى مستوى الخلقمة . وقولها « وتحت الثياب الخزي » تريد أن ما سوى المعاري منها مما هو مؤارَى من بدنها ، ومستورٌ بثيابها ، قبيح . وقولها « لو كان بادياً » جواب لو مُقَدَّمٌ عليه . أرادت : لو ظهر الخافي منها كان خزيًا . ثم شبهتها بالماء يتناهى صفاؤه ولونه ، ويتراءى للناظر زُرْقَتُهُ ، ويُحَسَبُ عَذْبًا سلسالاً فإذا هو مِئِخُّ أجاج ، حتى إذا وردّه الواردُ فنظر إليه صار كأنه يعدّه من نفسه بظاهره عذوبةً ، فإذا طعمه يُخْلِفُ ولا يفي ، بل يُعطيه سهرارة . هذا إذا روى « يُخْلِفُ » لأنه من الخلف في الوعد ، وقد روى « يَخْلِفُ » فيكون من الخُلوْف : التغيّر . وفي الحديث « خُلوْفُ فَمِ الصَّامِمْ أَطْيَبُ عند الله مِنْ رِيحِ المِسْكِ » والمراد أن ظاهر هذه المرأة كظاهر هذا الماء ، وباطنها كباطنها فكما أن وارد هذا الماء وقد اضطرمّ العَطَشُ وساقه حرارة الجَوْفِ واللغة يصدُرُ عنه وقد تضاعفَ ظمؤُه وتزايدت حرّته ، كذلك هذه المرأة للكاشف عن أمرها ، والذائق بعد الاغترار بها . وقولها « بأضعاف الذي جاء » ، [تريد جاء^(١)] عليه ، فحذف حرف الجرِّ وَوَصَلَ الفِعْلُ بنفسه ، فصار جاءه ، ثم حذَفَ الضمير من الصلّة استنقالاتاً واستطالةً لكون أربعة أشياء شيئاً واحداً : الموصول ، والفعل ، والفاعل ، والمفعول . ومَنْ جَوَّزَ حذَفَ الجار والمجرور من الصلّة فالأمرُ عنده أقربُ . وانتصب « ظامناً » على الحال .

وقولها « فلو أن غيلان الشقي » تعنى به ذا الرثمة ، لأنه كان ينسبُ بميَّة^(٢) ، وكان يسميها مرّة مَيًّا ومرّة مِيَّة . فتقول : لو أنها تجرّدت له لتبرأ منها وتقدم

(٢) في الأصل : « يشبها » صوابه في ل .

(١) التكلّة من ل .

على ما سَيَّرَهُ من النَّسِيبِ فِيهَا . وَانْتَصَبَ « مُجْرَدَةٌ » عَلَى الْحَالِ . وَأَشَارَتْ بِذَا
 مِنْ قَوْلِهَا « لَمَّا قَالَ ذَالِيَا » إِلَى مُجْرَدِ مَيَّةَ ، أَيْ مَا حَدَّثَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ لَهُ . وَيُرْوَى :
 « لَمَّا قَالَ آليَا » وَهَذَا يَتَعَلَّقُ بِمَا بَعْدَهُ . أَرَادَتْ : لَمَّا قَالَ كَقَوْلِهِ فِيمَا سَلَفَ ذَالِيَا .
 وَآليَا ، أَيْ مَقْصُرًا عِنْدَ نَفْسِهِ فِي دَعْوَاهُ ، وَأَعْرَفَ تَشْبِيهُهُ^(١) إِلَى غَيْرِهَا ،
 وَلَدَسَلَى مِنَ النِّسَاءِ رَأْسًا . وَزَهَدٍ فِيهِمْ اسْتَبْشَاحًا لَهَا . وَآليَا ، مِنْ قَوْلِكَ : لَا آلُو
 فِي كَذَا ، أَيْ لَا أَقْصِرْ ، وَيَنْتَصِبُ عَلَى الْحَالِ . وَقَوْلُهَا : « لَرَدُّهُ » ، الْإِلَامُ جَوَابُ
 يَمِينٍ مَضْمُورَةٌ . وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ مَعْنَى آليَا حَالِفًا ، أَيْ كَانَ لَا يُقْسِمُ بِهَا ، وَهَذَا
 خَطَأٌ ، لِأَنَّهُ كَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُوَلِيًّا . أَلَا تَرَى أَنَّهُ يُقَالُ : آلَيْتُ فِي الْيَمِينِ
 إِبْلَاءً . وَقِيلَ : آ : تَوَجُّعٌ فَهُوَ كَأَوْهٍ ، وَالْمَعْنَى : لَمْ يَقُلْ لَمَّا يَسْتَعِجِدُ مِنَ الزُّهْدِ فِيهَا
 آ إِلَى ، مُتَأَوِّهَا وَمَتَوَجِّعًا — وَهَذَا كَمَا يُقَالُ فِي الْأَسْرِ وَقَدْ نَكَأَ فِي مَتَوَلِيَّهِ : شَقَاءٌ
 لِي ، بَكَاءٌ لِي ، وَأَشَقَى لِي ، وَأَبْكَى لِي — وَجَدَّأَ بِهَا ، فَعَلِيَ هَذَا يَكُونُ آ إِلَى
 حِكَايَةً صَوْتٍ مَوْضِعُهُ رَفْعٌ بِالْإِبْتِدَاءِ ، وَلِي خَيْرُهُ ، وَالْأَوَّلُ أَقْرَبُ عِنْدِي .

٦٦٩

وقال أبو العتاهية^(٢) :

- ١ - جُزِيَ الْبَخِيلُ عَلَى صَالِحَةٍ عَنِّي بِمُخْفَتِهِ عَلَى ظَهْرِي
- ٢ - أَعْلَى وَأَكْرَمَ عَن يَدَيْهِ يَدِي فَعَلِمْتُ وَنَزَّهُ قَدْرُهُ قَدْرِي
- ٣ - وَرَزِقْتُ مِنْ جَدْوَاهُ حَافِيَةً أَلَّا يَضِيقَ بِشُكْرِهِ صَدْرِي
- ٤ - وَغَنَيْتُ خِلْوًا مِنْ تَفْضُلِهِ أَحْنُو عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الْعُذْرِ
- ٥ - مَا فَاتَنِي خَيْرٌ أَمْرِي وَضَعَتْ عَنِّي يَدَاهُ مَوْثُونَةَ الشُّكْرِ

(١) ل : « نسيبه » .

(٢) لقب له ، واسمه إسماعيل بن القاسم ، شاعر عباسي منشؤه بالكوفة . وأكثر شعره في الزهد . توفي سنة ٢٠٥ . الأغاني (٣ : ١٢٢ - ١٧٦) والشعراء ٧٦٥ - ٧٦٩ .

يَقُولُ : جَزَى اللهُ الْبَخِيلَ عَلَيَّ بِمَا لِهَ خَصَلَةٌ صَالِحَةٌ ، فَقَدْ خَفَّ نَحْمَلُهُ عَلَى ظَهْرِي ، اسْقُوطَ مِنتَهُ عَنِّي ، وَذَاكَ أَنَّهُ أَجَلَّنِي عَنْ صَنِيعَتِهِ ، وَأَكْرَمَ نَحْلِي إِذْ أَخْلَانِي مِنْ عَارِفَتِهِ ، وَصَانَ قَدْرِي حِينَ لَمْ يَبْتَدِلْهُ لِعَطِيَّتِهِ ، وَرَفَعَ يَدِي وَكَرَّمَهَا حِينَ لَمْ يَسْنِهَا بِمَرْزِيَّتِهِ ، فَرَزَقَنِي اللهُ عَافِيَةً مِنْ ضَيْقِ الذَّرْعِ بِشُكْرِهِ ، وَالتَّطَوُّقِ بِأَفْضَالِهِ ، وَاسْتَفْنَيْتُ عَنْهُ خَالِيًا مِنْ بَرٍّ ، مُنْصَرِفًا مِنْ تَفْضُلِهِ ، مُتَعَطِّفًا عَلَيْهِ بِيَسْطِ عُنْدِهِ حِينَ لَمْ يَجِدْ عَلَيَّ ، وَلَمْ يَتَلَقَّ إِقْبَالِي عَلَيْهِ بِقَبُولِهِ لِي .

وَلَمَّا قَالَ : أَعْلَى يَدِي فَعَلْتِ ، كَانَ الْأَحْسَنُ فِي مَقَابِلَتِهِ أَنْ يَقُولَ : وَنَزَّةٌ قَدْرِي فَنَزَّةٌ . وَيُقَالُ : فَلَانٌ نَزِيهٌُ كَرِيمٌ ، إِذَا كَانَ بَعِيدًا مِنَ اللَّوْمِ . وَقَوْلُهُ « أَلَّا يَضِيقُ » لَكَ أَنْ تَرْفَعَهُ وَأَنْ تَنْصِبَهُ ، فَالْتَّضَبُّ عَلَى أَنْ يَكُونَ أَنَّ النَّاصِبَةَ لِلْأَفْعَالِ ، وَالرَّفْعُ عَلَى أَنْ تَكُونَ أَنْ مَخْفَفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ ، وَيَكُونُ اسْمُهُ مُضْمَرًا ، كَأَنَّهُ قَالَ : أَنَّهُ لَا يَضِيقُ ، وَالْجَمَلَةُ خَبْرُهُ . وَالْعَافِيَةُ : مَصْدَرٌ كَالْعَاقِبَةِ ، وَمِثْلُهُ مَا أَبَالِيهِ بِالْيَةِ ، وَقَمٌ قَائِمًا ؛ لِأَنَّهُ لَا خِلَافَ أَنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ يَكُونُ اسْمًا لِلْمَصْدَرِ وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي بِنَاءِ الْفِعُولِ . وَمَوْضِعُ « أَلَّا يَضِيقُ » نَصْبٌ بِكَوْنِهِ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِ عَافِيَةً . وَانْتَصَبَ « خِلُوا » عَلَى الْحَالِ . وَجَمَلَةُ الْمَعْنَى : أَنَّهُ لَمْ يَفْتِنِي إِحْسَانُ رَجُلٍ لَمْ يَلْزَمْنِي لَهُ شُكْرُ إِفْضَالٍ ، وَلَمْ يَجِبْ بِفَعْلِهِ بِي عَلَيَّ اعْتِدَالًا .

٦٧٠

قال ابن عبدل الأسدي^(١) :

- ١ - أَضْحَى عُرَاجَةٌ قَدْ تَعَوَّجَ دِينُهُ بَعْدَ الْمَشِيبِ تَعَوَّجَ الْمِسْمَارِ
 - ٢ - وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى عُرَاجَةِ خِلْتَهُ فُرِجَتْ قَوَائِمُهُ بِأَيْرِ حِمَارِ
- أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ أَنَّهُ يَجْسُرُ عَلَى تَشْبِيهِهِ بِالسُّوءَةِ . وَضَرَبَ الْخِفَا وَالْفُحْشَ مَثَلًا

(١) سبقت ترجمة الحكم بن عبدل في الحماسية ٤٥٠ ص ١٢٠٤ .

له في هجوه ، فأما المعنى فظاهر ، وإنما شبه تَعَوَّجَ دينه على كِبَرَتِه وسِنِّه بتعَوَّجِ
المِسْمَارِ في العَمَلِ ، وقد عَجَزَ عَمَّا حُلَّ ، فإن أُكْرِهَ على النَّفَازِ انكَسَرَ ؛ وإن
طَلِبَ نَزْعَهُ لِيُجْعَلَ أَقْوَى مِنْهُ بَدَلَهُ تَعَسَّرَ ، فكذلك عُرَاةُ في اعوجاج
دِينِه والتوائه ، لا صَرْفَهُ ورَدْعُهُ ممكن ، ولا احتمالُه عليه مُسَوِّغٌ .

٦٧١

وقال أم عمرو بنت وقدان :

- ١ - إن أنتم لم تطلبوا بأخيكُم فذروا السلاح ووحشوا بالأبرق
- ٢ - وخذوا المكاحل والمجاسد والبسوا نقب النساء فيئس رهط المرهق
- ٣ - أهلكم أن تطلبوا بأخيكُم أكل الخزير وانفق أجراد أتحق

تقول : إن ضيقتُم دم أخيكُم ، وقدمتُم عن الانتقام له ، لتقصيركم في طلب
ثأره ، فضعوا السلاح وأطرحوه بالأبرق . ويقال : وحش بثوبه وبسيفه ، إذا
رمى به بعيداً . وفي الحديث : «وحشوا برماهم^(١)» ، أي رموا بها . ويجوز
أن تريد توحشوا ، أي صيروا مع الوحش حياءً من فعلكم ، وهاجروا الناس
وحانبوهم . والعرب تقول : إذا أظلم الليل تأنس كل وحشي ، وتوحش كل
إنسي . يريدون بتأنس استأنس ، وتوحش استوحش . ومثل وحش بمعنى
توحش قدام بمعنى تقدم ، ونبه بمعنى تنبه . وعلى هذا يحمل قول امرئ القيس :

وأنا المنبّه بعد ما قد نؤموا وأنا المعان صفحة النؤام

لأنه إن لم يجعل منبه بمعنى متنبه بصير عجز البيت كصدره في أنهما بمعنى

(١) هو من حديث علي رضي الله عنه ، أنه أتى الخوارج فوحشوا برماهم واستلوا
السيوف . اللسان (وحش) . وفيه أيضاً : « ومنه الحديث : كان لرسول الله صلى الله عليه
وسلم خاتم من حديد ، فوحش به بين ظهراني أصحابه ، فوحش الناس بخواتمهم » .

واحد . وقال بعضهم : وَحَشُوا مَعْنَاهُ اطْلُبُوا صَيْدَ الْوَحْشِ وَتَقَوُّتُوهُ . وهذا يرجع معناه إلى ما ذكرناه ؛ لأن معناه فارقوا الناسَ وَالكَوْنَ معهم .
 وَخَصَّتِ الْأَبْرَقَ لِأَنَّهُ كَانَ مِمَّا وَلِيَهُمْ ، وَهُوَ الْمَكَانُ فِيهِ حِجَارَةٌ سُودٌ وَبَيْضٌ .
 ويقال : جبلٌ أبرد ، إذا كانت طاقاته سُوداً وَبَيْضاً .
 وقولها « وَخَذُوا الْمَكَاحِلَ » ، تريد : اجعلوا بدلَ السِّلَاحِ آلاَتِ النِّسَاءِ :
 وَالْمَجَاسِدِ : جمعُ الْمُجَسَّدِ ، وَهُوَ الثَّوْبُ الْمُسَبَّحُ صَبِغاً . وَالْجِسَادُ : الزَّعْفَرَانُ .
 وَالنَّقَبُ : جمعُ نُقْبَةٍ ، وَهِيَ إِزَارَةٌ تُجْعَلُ لَهُ حُجْرَةٌ كَحُجْرَةِ السَّرَاوِيلِ تَلْبَسُهُ
 الْمَرْأَةُ . قال :

بيضاء مثل القلب^(١) في نُقْبَةٍ وَإِنِّبِ

وَالْإِنِّبِ : القميص .

والعنى : إن لم تتأروا لصاحبكم فتزبوا بزى النساء فإنكم إناث ، وبئس رهط المرهق : المضيق عليه أتم . وحذف المذموم ببئس ، وهو أتم ، لأن المراد مفهوم . وهذا الكلام بعت وتمضيض على طلب الدم ، فهو كقول أخت عمرو حين بعثت عمراً على طلب دم أخيه عبد الله فقالت :

فإن أنتم لم تتأروا بأخيكُم فمشوا بأذان النعام المصلم^(٢)

ولا تردوا إلا فضول نساءكم إذا ارتملت أعتابهن من الدم .

وقولها « ألهاكم أن تطلبوا » تهيبج وإغراء . والحزير : حساء يحسى .

والأجرد : الأحمق ، يراد به نحى أوزق ديس . والأحمق : القليل ، كأنه بصير

لكم محققاً لا يبارك الله فيه ، وأحمق من باب أفعل الذى لأفعلاء له . والأحمق ،

هو لما فى الذئبى لاله ، فتوسّع فيه .

(١) القلب ، بتشليث القاف : قلب النخلة ، وهو جارتها .

(٢) سبق البيتان فى الحماسية ٥٢ ص ٢١٨ - ٢١٩ .

٦٧٢

وقالت امرأة من طي^(١) :

١ - فلو أن قومي قتلتهم عمارة من السرّوات والرّهوس الذّوائب^(٢)

٢ - صبرنا لما يأتي به الدهرُ عامداً وليكما أثارنا في محارب

٣ - قبيل لثام إن ظفّرنا عليهم وإن يغلبونا يوجدوا شرّاً غالب^(٣)

العمارة : الحى العظيم يطبق الانفراد ، وقد يُفتح العين منه فيقال : العمارة ، لغة . ومثله العميرة ، وقيل : هما جميعاً البطن . والسرّوات : الرؤساء . والذّوائب : الأعلى ، وهو جمع ذّوابة ، واستعملوا الذنائب في خلافه ، وهو جمع ذنابية ، وهما اسمان في الأصل ووصف بهما . وأثار : جمع الثّار . يقول : هم الذين أصابونا عن ذلتهم وخستهم ، فالبلاء أعظم ، وقرح القلب أوجع ، ولو أصابنا غيرهم كان الخطب أيسر ، والصبر عليه أوسع . وهذا كما يقال في المثل السائر : « لو ذات سوارٍ لطمّتي » .

وقولها « قبيل لثام » ، هو تفصيل ما أجمله . وقولها « إن ظفّرنا عليهم » عدّى ظفّرنا تمديّة علوّنا ، لأنه في معناه ، وهم يحملون الضمير على الضمير . والمعنى : لا اشتفاء في الانتقام منهم إذا نيلوا ، ولا يُنيمون طلاب الأوتار إذا ثاروا . وجواب الشرط ، وهو قوله إن ظفّرنا ، متقدّم يشتمل عليه قوله « قبيل لثام » ، لأن فيه معنى الفعل .

(١) للتبريزى : « وهى عاصية البولانية » .

(٢) روى قبله التبريزى :

أعاصى جودى بالدموع السّواكب وبكى لك الويلات قتلى محارب

(٣) التبريزى : « إن ظهّرنا » .

ومثل قولها « وإن يغلبونا يوجدوا شرًّا غالب » قول امرئ القيس :

* ولم يغلبك مثل مُغْلَبٍ^(١) *

إلا أنه في النسب .

٦٧٣

وقال آخر^(٢) :

- ١ - إذا ما الرزقُ أحجمَ عن كريمٍ فالجأهُ الزَّمانُ إلى زيادٍ^(٣)
 - ٢ - تلقَّاهُ بوجهٍ مُكفهرٍ كأنَّ عليه أرزاقَ العبادِ
- الإحجام : الفكوص عن القرن هيبة له . وقد تُوسَّعَ به هنا . وضده الإقدام . ويقال : نكصَ على عقبيه . والمكفهر : المستقبل بكرةه وتغضُّن وجهه . ويقال : سحابٌ مكفهرٌ ، إذا تراكم ، ووجهٌ مكفهرٌ . ويروى : « بوجهٍ مقشعرٍ » ، والأصل في الاقشمرار تقبُّض الجلد وانتصاب الشعر ، ثم يتوسَّعُ فيه فيقال : اقشمرت الأرضُ والنباتُ والسَّنة . والمعنى ظاهرٌ ، وهو أن العاقبَ إذا ورَدَ عليه تلقَّاهُ بعبوسٍ ، كأنه اجتمع عليه لورود واحدٍ من الناس أرزاقُ الخلقِ كلِّهم . وجوابُ إذا « تلقَّاه » .

٦٧٤

وقال أبو محمد الزبيدي^(٤) :

- ١ - عَجَبًا لأحمدَ والمعائبُ جَمَّةٌ أئىَّ يَلُومُ على الزَّمانِ تَبَدُّلِي

(١) تمامه :

فإنك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك مثل مغلب

(٢) التبريزي : « وقالت غيرها » .

(٣) التبريزي : « وألجأه » .

(٤) هو يحيى بن المبارك بن المنيرة العدوي ، أبو محمد الزبيدي النحوي المقرئ النوى =

- ٢ - إنَّ العَجِيبَ لِمَا أُبْثِكَ أَمْرَهُ مِنْ كُلِّ مَثْلُوجِ الفُوَادِ مُهْبِلِ
 ٣ - وَغَدِ يَلُوكُ لِسَانَهُ بِلَهْمَانِهِ وَتَرَى ضَبَابَةَ قَلْبِهِ لَا تَنْجَلِي
 ٤ - مُتَصَرِّفٍ لِلنُّوْكِ فِي غُلُوَانِهِ زَمِرِ المُرُوءَةِ جَامِحِ فِي المِسْحَلِ
 ٥ - وَإِذَا شَهِدْتَ بِهِ نَجَّالِسَ ذِي النُّهَى وَبَلَّتْ سَحَابَتُهُ بُنُوكِ مُسْهِلِ^(١)
 ٦ - غَلَبَ الزَّمَانُ بِجَدِّهِ فَسَمَّا بِهِ وَكَبَا الزَّمَانُ لَوْجِهِ وَالكَلْكَلِ

قوله « والمعجائبُ جمةٌ » اعتراضٌ بين أحمد وقصته التي عجبَ منها .
 ويقال : أمرٌ عَجَبٌ وَعُجَابٌ وَعَجِيبٌ وعَاجِبٌ . وأبلغ هذه الأبنية العُجَابُ .
 وانتصب « عَجَبًا » على المصدر . يقول : أتعجَّبُ لأحمد كيف أنكرَ خُلُقِي
 وطريقي ، حتى لآمَنِي في تبدُّلي على تنكُّرِ الأيامِ وتغيُّرِها ، ومن أين استطرَفَ
 مارأى من حالي وقِصَّتِي ، ومُقتضى الوقتِ وموجِبُ حكمه لا يدعُونَ إلى غيره .
 ثم أقبَلَ يخاطِبُ أحمدَ بعد الإخبارِ عنه فقال : إنَّ العَجَبَ ما أُطِيعَكَ عليه
 وأبأثُك فيه ، وأكشِفُ لك مستورَه وخافِيَه ، مِنْ كُلِّ رَجُلٍ بَطِيءِ الفِهْمِ ، مَيِّتِ
 الخاطرِ ، مَدْعُوٍ عليه بالهَبَلِ لِثِقَلِهِ وَعَجْزِهِ غَيْبِي ، عَيْبِي ، إنَّ حَدَثَ أَدَارِ لِسَانِهِ
 فِي فِيهِ يَمْضِغُ كَلَامَهُ ، وَإِنْ أُتُّمِنَ خَانَ ، وَكَانَ ذَا لَوْنَيْنِ لِنِفَاقِهِ ، وَكَأَنَّ قَلْبَهُ
 قَدِ رِينَ عَلَيْهِ لِمَا يَضْمِرُهُ مِنْ غِلٍّ ، فَعَلِيهِ لِكُلِّ أَحَدٍ ضَبَابَةٌ ، فَلَا تَصْفُو
 نَبْتَهُ ، وَلَا تَخْلُصُ طَوَائِفَهُ ، مُتَصَرِّفٍ فِي غُلُوَانِ الحَقِّ وَارْتِفَاعِهِ وَانْتِهَائِهِ ، قَلِيلِ

= مولى بنى عدى بن عبد مناة . بصرى سكن بغداد ، وحدث عن أبي عمرو والخليل ، وأدب
 أولاد يزيد بن منصور الحميرى خال المهدي ، ونسب إليه ، ثم أدب المأمون . قال المرزباني :
 « وكانت مرتبته أن يدخل إليه مع الفجر ، ويصلى معه ، ويدرس عليه المأمون ثلاثين آية » .
 وسأله مرة عن شيء فقال : لا وجعلني الله فداك ! فقال المأمون : لله درك ، ما وضعت الواو
 في مكان أحسن من موضعها هذا ! توفى بخراسان سنة ٢٠٢ . بنية الوداء : ٤١٤ - ٤١٥
 ومعجم الأدباء (٢٠ : ٣٠ - ٣٢) وابن خلكان (٢ : ٢٣٠ - ٢٣٣) ومعجم
 المرزباني ٤١٩ وتاريخ بغداد ٧٣٦٥ .

(١) هنا ما في ل والتبريزي . وفي الأصل : « بنوه » .

المروءة ، زمر الحمية ، يركب رأسه فيما يعين ، ويغفل عن القصد فيما فيه
يَجِدُّ ، ويمضى قدماً في الشر فلا يرتدع ، ويعلو على زاجره فلا يرجع ، ولا
يقف وإن كبح بلحام المنع ، ولا برعوى وإن أودن بالهلك ؛ ثم إن
حضرت به مجالس الفضل والعقل ، سالت سحابة جهله بحمق تلتطم أمواجه ،
وتدافع بصوبه أركانه ؛ وعلى ما به من الندالة والجهالة رزق جداً فحظي ،
وغاب على أهل زمانه بما قسم له فعلي ، وذلك له الدهر فكبا صدره ووجهه
ضارعاً ، وانقاد لأمره ونهيه صاغراً ، حتى أدرك ما شاء ممتداً في شأوه ، مُشْتَرِفاً
في شأنه ، آخذاً قصب السبق في ميدانه ، فإن تعجبت فالعجب هذا ، وإن
استفكرت فالذكير هذا .

وبروي :

غاب الزمان بجده وسمًا به فكبا الزمان

فيجعل الفعل للزمان ويكون معنى سَمًا به رفعه . ثم أخذ يدعو على الزمان
فقال : سقط لوجهه وكلـكـله ، حين اختار مثله لإحسانه ، وهذا حسن جداً .
والوَعْدُ : الدنى ، من قولك : وعدتُ القومَ إذا خدمتهم^(١) . والنهي :
العقول ، والواحدة نُهيّة . والنوك : أُلْحِق . والمسحلان : حلقنا شكيم اللجام ،
والجميع للساحل . ومعنى « على الزمان » ، على تصاريف الزمان ؛ فحذف
المضاف .

وموله « أثبك أمره » أي أجعل أمره مما تبث وتخرن له . والمثلوج
الفواد : البليد الخالي من الذكاء والحدة . واللوك : المضع .

(١) في الأصل : « إذا دنوتهم » ، صوابه في ل . وفي اللسان : « والوعد : خادم

القوم ، وقيل الذي يخدم بطعام بطنه » .

- ٧ - ولقد سموتُ بهمتي وسمما بها طَلَبِي الْمَكَارِمَ بِالْفَعَالِ الْأَفْضَلِ
 ٨ - لِأَنَالَ مَكْرَمَةَ الْحَيَاةِ وَرُبَّمَا عَتَرَ الزَّمَانُ بِيذِي أَلْدَهَاءِ الْخَوْلِ
 ٩ - فَلَمَّ غَلَبْتُ لَتَمُضِينَ ضَرْبِي كَلَبَ الزَّمَانَ بِمَقَّةٍ وَتَجَمَّلِ

رجع إلى صفة نفسه على تفكير^(١) الزمان له ، فقال : إني وإن لم تساعدني الحال ، ولا يقوم لما أنويه المال ، فلي همة رقيقة ، ونفس أتيبة ، بسمو بهما ارتقأني في درجات العُضل ، وطلبي المعالي بأحسن الفعل ، لأعيش مكرماً مَصُونًا ، فلا يفوتني سلامة الدين والبروة ، وإن فاتتني الزيادة في الحال والمقدرة ؛ والذهر قد يعمُرُ بالرجل للتمام النكر ، المرير القوة والخول ، لجهله بموضع الصنعة ، فإن غلبتني على حظي ، وتخطأني عند القسم إلى غيري ، فطبيعتي تسليني وترضيني ، ومعرفتي بمن عنده المال والعتاد تصرفُهم عني ، فتتمحى آثار الخلدان ، وعرامة الليالي والأيام^(٢) ، بعفافٍ أستعمله ، وتجمّل أنزيمه ، اثلاً يشمت عدوؤي ، أو يفرح حسود .

تم باب الهجاء بحمد الله وعونه^(٣)

والحمد لله على تظاهر آلائه ، والصلاة على سيّدنا محمد وآله .

[تم القسم الثالث ، من شرح المرزوقي للحماسة]

(١) في الأصل : « شكوا » ، صوابه في ل .

(٢) العرامة : الشدة والشراسة . وفي ل : « غرامة » تحريف .

(٣) ل : « ومنه » ، وما بعده من الكلام ليس في ل .

